

مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحیم


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الأصفى

في تفسير القرآن

المولى محمد محسن الفيض الكاشاني
(١٠٠٧ - ١٠٩١ هـ)

مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية

الفيض الكاشاني، المولى محمّدمحسن، ۱۰۰۷ - ۱۰۹۱ق.
الأصفىٰ في تفسير القرآن / ملامحسن فيض؛ حقّقه مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية. ـ قم: مكتب الإعلام الإسلامي، مركز النشر، ۱۳۷۶ -
ج. ـ (دفتر تبليغات اسلامی حوزهٔ علميهٔ قم، مركز انتشارات؛ ۵۰۰ : كتابهاى مركز مطالعات و تحقيقات اسلامى؛ ۶۵)
كتابنامه: [۷۰۳] - ۷۱۴؛ همچنين به صورت زيرنويس.
۱. تفاسير شيعه. الف. دفتر تبليغات اسلامی حوزهٔ علميهٔ قم، مركز مطالعات و تحقيقات اسلامى. مصحّح. ب. دفتر تبليغات اسلامی حوزهٔ علميهٔ قم، مركز انتشارات. ج. عنوان.
۶الف ۹ف ۹۷/۰۸ BP ۲۹۷/۱۷۲۶
فهرست نويسى پيش از انتشار توسط مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامى
شابك ۲ - ۲۵۷ - ۴۲۴ - ۹۶۴ ISBN 964 - 424 - 257 - 2



الكتاب: الأصفىٰ في تفسير القرآن/ ج۱
المؤلّف: المولى محمّدمحسن الفيض الكاشاني
التحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية
المحقّقان: محمّدحسين درايتي و محمّدرضا نعمتي
الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي
المطبعة: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي
الطبعة: الأولى / ۱۴۱۸ق، ۱۳۷۶ش
الكمية: ۱۵۰۰ نسخة
السعر: ۲۰۰۰ تومان

قم، شارع شهداء (صفائية)، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي،
ص ب: ۹۱۷، هاتف: ۷ - ۷۴۲۱۵۵، فاكس: ۷۴۲۱۵۴، توزيع: ۷۴۳۴۲۶

Printed in the Islamic Republic of Iran

دليل الجزء الأوّل


مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل القرآن الكريم، وجعله تبياناً لكل شيء ورحمة وهدى للمتقين. والصلاة والسلام على المصطفى الأمين أبي القاسم محمد وعلى الهداة الميامين من آله الطاهرين.

وبعد، فإن المهتمين بشؤون التراث الإسلامي بشكل عام والتراث القرآني بشكل خاص، يُدركون جيداً انّ المكتبة الإسلامية ـ التي تحوي على نفائس المخطوطات وبشتّى المعارف الإسلامية والإنسانية ـ زاخرة بذلك التراث العظيم الذي يكاد او كاد ان يندثر لولا قيام اهله واضطلاعهم بمسؤولية حفظه وبعث الحياة فيه من جديد، وهذا لايعني انّ التراث باجمعه قد وصل إلينا، فكم من عالم من العلماء تُنقل عنه اقوال ولاتجد له كتاباً لتوثيق مايُنقل عنه، وكم هي آثار من السلف الصالح فُقد ولم يصل إلينا ولاتوجد منها أثر في المكتبات.

والأدهى والأمرّ من ذلك وقوع تلك النفائس من المخطوطات بيد الجهّال، فربما مزّقها وربما باعها بابخس الأثمان.

ومن المؤسف جداً أنّ ما تمّ طبعه على الحجر مملوء بالاخطاء، دون أيّ اهتمام بفنون التصحيح والتحقيق، بل ولابابسط مستلزمات الكتاب، الامر الذي أدّى إلى ابتعاد الجيل الناشئ عن مطالعة الكتب الاسلامية.

والدعوة إلى إحياء التراث ـ عزيزي القارئ ـ ليست ترفاً فكرياً او بدعاً من الامر، وإنما هي دعوة لإعادة بناء الإنسانية من خلال رسم خط سيرها الفكري، ولاكتشاف تلك الذخائر التي من خلالها يتم إعادة بناء الإنسان.

ولذا كثُرت الدعوات في العقود الاخيرة من هذا القرن من اجل بعث هذا التراث وتاصيله، وخصوصاً بعد نجاح الثورة الإسلامية وقيام دولتها في إيران بقيادة الإمام الراحل الخميني العظيم. فحدثت كثير من التحولات التي لبّت طموح الآملين في إحياء آثار الإسلام والمسلمين، فانشئت كثيراً من المؤسسات التي عنيت بإحياء التراث، ومنها: مركز الابحاث والدراسات الإسلامية التابع لمكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية ـ قم. الذي انبرى العلماء والفضلاء المحقّقين فيه وشمّروا عن ساعد الجدّ لإحياء تراث الشيعة بدءاً بمصنفات الشهيدين ومروراً بآثار العلّامة وغيرهم من الافذاذ الذين لازالت مصنّفاتهم تنتظر ان تُكسى الحلّة الجديدة لتخرج بابهى صورة واجمل هيئة.

وبما أنّ القرآن هو المصدر الرئيسي في التشريع الإسلامي وأقدس كتاب لدى المسلمين على شتى مذاهبهم، و به ثبتت نُبوّة نبيّنا صلّى الله عليه وآله، وهو معجزة الإسلام الخالدة، وهو المصدر الوحيد «القطعي الثبوت» باتفاق المسلمين وإجماعهم، لم تطاله يد التحريف ولم تطرأ عليه زيادة أو نقصان، ومع كل ذلك فهو الكتاب المهجور الذي غفل عنه المسلمون وراحوا يلهثون وراء الأفكار الدخيلة التي هي أبعد ماتكون عن توفير حلول ناجعة لمشاكل الإنسانية.

ولاغرابة إذا قلنا: إنّ السبب الرئيسي في انحطاط المسلمين هو جهلهم بقيمة هذا الكتاب وماحواه من ثروات تشريعية وأخلاقية تكفل سعادة الإنسان إلى نهاية الشوط.

مضافاً إلى ان التعرف على القرآن الكريم له دور كبير في فهم العلوم الإلهية واستخراج الأحكام والقوانين الإسلامية العامة التي تعتبر حجر الأساس في صرح الدولة الإسلامية.

ولذا قرّر «مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية» تحقيق ونشر كتاب «تفسير الأصفى» للشيخ الفقيه والفيلسوف العارف والمفسّر المحدّث المولى محسن المعروف بـ«الفيض الكاشاني» من أعلام القرن الحادي عشر الهجري.

ويتميّز تفسير «الأصفى» عن باقي التفاسير بالإيجاز والاختصار، مضافاً إلى كونه تفسيراً روائياً جامعاً لما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير آيات القرآن الحكيم.

نبذة عن حياة المفسّر:

كان المولى محمدبن المرتضى المدعو بـ«محسن» والمعروف بـ«الفيض الكاشاني» أحد نوابغ العلم والمعرفة في القرن الحادي عشر، وكان ـ مضافاً إلى علمه وفضله ـ حكيماً متكلماً محدّثاً مفسّراً عارفاً أديباً متبحراً في جميع العلوم والمعارف.

ولد رحمه الله في سنة (١٠٠٧) في مدينة قم المشرّفة ونشأ فيها، ثم انتقل إلى كاشان ليشدّ الرحال بعدها إلى مدينة شيراز للانتهال من العلمين: السيد ماجدبن عليّ البحراني وصدرالمتألهين الشيرازي، حيث تزوّج من ابنة الأخير، وما إن ارتوى من تلك المعارف عاد إلى مدينة كاشان ليكون هناك مرجعاً فذّاً لاندّ له إلى أن توفّي فيها سنة ١٠٩١ وهو ابن الأربع والثمانين عاماً ودفن فيها، وقبره هناك مشهور يقصده العلماء والعارفون.

أما ترجمته فقد وردت في كثير من كتب التراجم وفي مقدمة كتبه التي حُقّقت وطُبعت أخيراً، وقد تصدّى في بعض كتبه لترجمة نفسه بنفسه، وقد ألّف الفيض الكاشاني ثلاث رسائل في فهرس مؤلفاته، طبعها المرحوم السيد محمد المشكاة في مقدمة المجلّد الثاني من كتاب «المحجة البيضاء»، ولنكتف بهذا القدر على أنّا نحيل من يريد الاطلاع على ماذكرنا آنفاً.

أقوال العلماء فيه:

نعته المحدّث الشيخ الحرّ العاملي بقوله: «كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيماً متكلماً محدّثاً

فقيهاً محققاً شاعراً أديباً حسن التصانيف ...»[1].

وقال عنه الرجالي الكبير محمدبن علي الاردبيلي: «محسن بن المرتضى رحمه الله العلّامة المحقق المدقّق، جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، فاضل كامل اديب، متبحّر في جميع العلوم»[2].

وقال صاحب الروضات: «أمره في الفضل والفهم والنبالة في الفروع والاصول وكثرة التاليف مع جودة التعبير والتوصيف اشهر من انْ يخفى في هذه الطائفة على احد إلى منتهى الابد»[3].

وقال المحدّث القمي: «وأمره في الفضل والادب وطول الباع وكثرة الاطّلاع وجودة التعبير وحسن التحرير والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول أشهر من ان يخفى»[4].

وقال العلّامة الأميني في ترجمة علم الهدى ابن المؤلف:

«هو ابن المحقق الفيض علم الفقه، وراية الحديث، ومنار الفلسفة، ومعدن العرفان، وطود الاخلاق، وعباب العلوم والمعارف، وهو ابن ذلك العدّ الذي قلّ ماانتج الدهر بمثله، وعقمت الايام ان تأتي بمشابهه»[5].

ونُقل عن العلّامة الطباطبائي صاحب الميزان قوله: «هو ممّن جمع العلوم وقلّ نظيره في العالم الإسلامي»[6].

مصنّفاته:

صرف المولى محسن الفيض عمره الشريف في ترويج الآثار المرويّة والمعارف الإلهيّة

١ـ «أمل الآمل» ٢: ٣٠٥

٢ـ «جامع الرواة» ٢: ٤٢

٣ـ «روضات الجنّات» ٦: ٧٩

٤ـ «الكنى والالقاب» ٣: ٣٥

٥ـ «الغدير» ١١: ٣٦٢.

٦ـ «مهر تابان» ٢٦.

تدريساً وتأليفاً، فخلّف ثروة علميّة عظيمة في شتّى أنحاء العلم والمعرفة من الفقه والحديث والحكمة والعرفان والأخلاق والتفسير والأدعية والأشعار وغيرها، ناهزت المائة والعشرين مصنّفاً، منها: «الصافي» و«الأصفى» في التفسير، و«الوافي» و«النوادر» في الأخبار، و«معتصم الشيعة» و«مفاتيح الشرائع» في الفقه، و«عين اليقين» و«علم اليقين» في الحكمة والكلام، و«المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء».

وقد امتازت تأليفاته بجودة التحقيق وحسن البيان والتأليف وسلامة الألفاظ ومتانة المباني ودقّة المعاني وعلوّ المقاصد.

لقد أولى الفيض اهتماماً متزايداً وعناية بالغة بالقرآن والحديث، واستدلّ على آرائه في جميع مصنّفاته بأدلّة من الكتاب العزيز وبالحديث الصادر عن الرسول وآله الطاهرين، وله في التفسير مسلك خاص، جمع فيه بين الطريقة والشريعة، ألّف في الحقائق القرآنية التي أسّست على أصول الفطرة والحكمة المتعالية ـ التي تنطبق على نواميس الطبيعة والعرفان الصحيح الذي يلائم الفطرة والعقل ـ تفسيريْه «الصافي» و«الأصفى».

مؤلفاته في التفسير:

(١) «الصافي» وقع الفراغ من تأليفه في خمس وسبعين بعد الألف[١]، وقد طُبع في عشرة مجلّدات سنة ١٩٧٩ بتصحيح الشيخ حسين الأعلمي.

(٢) «الأصفى» وهو منتخب من الصافي، وقع الفراغ منه بعد الصافي بسنتين[٢].

(٣) «تنوير المواهب»، قال في الفهرس: «وهو تعليقات على تفسير القرآن المنسوب إلى الكاشفي الموسوم بـ«المواهب العلية»، تنبّه على ما خالف الإمامية في تفسير الآيات وشأن النزول وما ليس على طريقة أهل البيت عليهم السلام، وتورد ما ورد عنهم عليهم السلام في ذلك، يقرب من ثلاثة آلاف بيت»[٣].

١ـ «رسالة للمصنّف في فهرست تآليفه» ضمن «المحجّة البيضاء» ٢: ٥.

٢ـ نفس المصدر السابق.

٣ـ نفس المصدر، ص١٢.

وذكره في «الذريعة» ٤: ٤٧١، الرقم: ٢٠٩١ باسم «تنوير المذاهب في تعليقات المواهب». ولم نعثر على نسخة منه في حدود مالدينا من فهارس المكتبات.

(٤) «تفسير آية الأمانة»[1] رسالة في جواب من سأل عن تفسير هذه الآية، والنسخ الخطّية الموجودة منه كالتالي:

أ ـ مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي المرقّمة (١٧١٢) ضمن مجموعة من صفحة (٢٥٤ ـ ٢٥٦)[2].

ب ـ مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي المرقّمة (١٧١٣) مع «اصول المعارف»[3] للمصنّف.

٤ ـ مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي المرقّمة (٤٧٠٢) ضمن مجموعة من الورقة (١٢٠ إلى ١٢٨)[4].

٥ ـ مخطوطة مكتبة مدرسة الشهيد المطهّري المرقّمة (٦٣٢٧)[5].

٦ ـ مخطوطة مكتبة كلّية الإلهيات والمعارف الإسلامية في مشهد الإمام الرضا عليه السلام، المرقّمة (١٣٣٥).

ما نُسب إليه من التفاسير فهي:

١ ـ «مجمع المطالب ومنتهى المآرب» في تفسير سورة الحمد والتوحيد. نسبه إليه في «الروضات» ٦: ٥٤٥، وفي «الذريعة» ٢: ١٢٤؛ ٢٥٥؛ ٢٠: ٤٤ و«ريحانة الأدب» ٦: ٣٦٩. وفي فهرست مكتبة ملك الوطنية ٦: ١٤٤، المرقّمة (٦٧٠٨) ذكر أنّه «في تفسير سورة الحمد والتوحيد، كتبه في أربعين عمره»، وهذا سهو قطعاً؛ وذلك لأنّه لم يَرِد ذكره

١ـ «المحجة البيضاء» ج ٢، ص ٢٠.

٢ـ «فهرست نسخه هاى خطّى مجلس شوراى اسلامى» ج ٥، ص ٥٦.

٣ـ نفس المصدر السابق، ج٥، ص ٥٧

٤ـ نفس المصدر السابق، ج ١٣، ص ٨٥

٥ـ فهرست نسخه هاى خطّى مدرسه سپهسالار (سابقاً) ١: ١٦٠؛ ٢: ١٥٥.

هي أحد من الرسائل الثلاث للمصنف، مع أنّ النسخة الموجودة في مكتبة ملك الوطنية قد تمّ تأليفه في سنة (١٢٧٠)، وهي لشخص كان يُدعى بـ«ملّا محسن».

٢ ـ «المصفّى» في تلخيص «الأصفى»، نسب إليه في «ريحانة الأدب» ٦: ٢٤٢ و«روضات الجنات» ٦: ٥٤٥ وقال الطهراني في «الذريعة» ٢: ١٢٤، الرقم: ٤٩٦ تحت عنوان «الأصفى»: «إن هذا أوسط التفاسير الثلاثة التي ألّفها الفيض.»

وعلّق السيد المشكاة على ذلك قائلاً: «هذا هو المشهور.. ولكنّي لا أعرف للفيض أكثر من تفسيرين، وليس لهذا التفسير الثالث الذي يسمّى بـ«المصفّى» أثر في المكتبات ولا في شيء من فهارسه لتأليفاته»[1].

وقفة مع «الأصفى»:

تفسير «الأصفى» واحد من الآثار التفسيرية القيّمة للمولى محسن الفيض الكاشاني، وهو منتخب من تفسيره الكبير «الصافي»، يتألّف من جزئين، يشتمل الجزء الأول على خمسة عشر جزءاً ابتداءً من سورة الفاتحة حتى سورة بني إسرائيل، والجزء الثاني من سورة الكهف حتى آخر سورة من القرآن الكريم.

وامتاز «الأصفى» ـ كما هو عليه «الصافي» ـ بأنّه تفسير مزجت فيه الرواية مع الدراية، وللاختصار حُذفت أسانيد الروايات، فكان تفسيراً موجزاً غاية الإيجاز مع شموله لجميع القرآن.

قال المصنف في خطبة الكتاب: «هذا ما اصطفيت من تفسيري القرآن المسمّى بـ«الصافي»، راعيتُ فيه غاية الإيجاز مع التنقيح ونهاية التلخيص مع التوضيح، مقتصراً على بيان مايحتاج إلى البيان من الآيات دون مايستغنى عنه من المحكمات الواضحات، فبالحريّ أن يسمّى بـ«الأصفى».

طبع الأصفى قبل هذه الطبعة ثلاث طبعات: الأولى عام ١٢٧٤، والثانية عام ١٣١٠

---

١ ـ «المحجّة البيضاء» ٢: ٢٤

في حاشية «الصافي»، والثالثة على الحجر في عام ١٣٠٣ ـ ١٣٥٤ في مجلد واحد كبير.

منهجية التحقيق:

أولاً. النسخ المعتمدة في التصحيح والتحقيق، وهي:

أ. مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي المرقّمة (١٢١٦)، تمّ تحرير الجزء الأول في عام ١٠٩٠، والثاني في عام ١٠٨٩، أي قبل سنتين من وفاة المصنف في ٢٣٥ ورقة.

وناسخها: ابن عليّ بن عليّ الشهير بنوروز الدين محمد نصير، وهي نسخة كاملة مصححة جميلة الخط، وفي حواشيها علائم التصحيح والبلاغ، وفي بعض الحواشي هناك تعليقات لاتخلو من فائدة برمز «منه دام ظلّه» و«منه دام فيضه» و«منه»، ورمزنا لهذه المخطوطة بـ«الف».

ب: مخطوطة مكتبة الروضة الرضوية المقدسة في مشهد والمرقمة (١١٦٢) في ٣٠٦ ورقة من المجموعة المهداة من قبل المرحوم الشيخ محمد صالح، العلامة الحائري المازندراني، تمّ تحريرها في شهر جمادى الثانية عام ١٠٨١هـ، وكتب في حاشية الصفحة الأخيرة: «بلغ سماعه على سماع تفهّم وتدبّر واستبصار واستكشاف، وفّقه الله للعمل به، وبلّغه أقصى مراتب الكمال، وكتبه الفقير إلى الله أحمدبن محمدحسن عفا الله عنه وأيّده الله لما يرتضيه».

وهي نسخة كاملة مضبوطة قيّمة، مصحّحة على نسخة المؤلّف، جميلة الخط، وفي حواشيه علائم التصحيح، وتعليقات نافعة برمز «منه سلّمه الله» و«منه دام ظلّه»، ورمزنا لها بـ «ج».

وكتب المرحوم الشيخ محمد صالح العلّامة الحائري المازندراني في الورقة الملصقة بأول النسخة: «هذا التفسير المسمّى بـ«الأصفى» كلّه بخطّ المولى محمدهادي سبط أخي المصنف، وخطّه الشريف موجود عندي على ظهر الجزء الرابع والخامس عشر من أجزاء «الوافي»، وهو إجازته لابن أُخته المولى محمد رفيع».

إلى أن قال. «ولمّا وصل التحرير إلى هذا الكلام ذكرت أنّه وقع بيدي تفسير مسمّى

بالمؤلف [كذا] بخط المؤلف من أهل هذا البيت، ففتحته فإذا فيه: يقول المتمسّك بحبل الله المتين «محمد بن المرتضى» المدعو بـ«نور الدين»، ثمّ قال في جملة كلام: ومن أراد الاطلاع على متون الأخبار والكتب المأخوذة هي منها، فليرجع إلى التفسير «الصافي» المنسوب إلى عمي «المحسن» الأستاذ ومن عليه فيما استفدته المعوّل والاستناد». وتفسير هذا خلاصة «الأصفى» بطرز بديع. وفرغ منه سنة تسعين وألف. والنسخة هي المسودة الأولى. وقد (شخط) على بعض عباراته، لمبالغته في الإيجاز. وأنا ... العلّامة الحائري المازندراني».

هذا ولايبعد أن يكون هذا التفسير هو التفسير الثالث المنسوب إلى الفيض المذكور في «الذريعة» وغيرها من المصادر كما تقدم.

ج: النسخة المطبوعة على الحجر عام ١٣٥٣ ـ ١٣٥٤ بخط محمد علي المصبحي النائيني والمتخلّص بـ«عبرت» وقد أضاف الكاتب في أوائل السور بعض الفوائد ورمزنا لها بـ«ب».

ثانياً: في موارد وجود اختلافات بين النسخ، أعرضنا عن إثباتها في الهوامش إلا ما اقتضت الضرورة إثباته، مع بذل الجهد في اختيار ماهو الأنسب والأصحّ، معتمدين في ذلك أسلوب التلفيق بين النسخ.

ثالثاً: خرّجنا الأحاديث والآثار والأقوال والآراء التي أوردها المصنف ـ تصريحاً أو تلميحاً ـ وبذل الجهد في تخريجها وإحالتها إلى مصادرها الأصلية، وأشرنا إلى بعض الاختلافات في الهامش، وفي حالة اقتضاء السياق للزيادة، وضعت تلك الزيادة بين معقوفتين[].

رابعاً: عمدنا إلى ضبط وإعراب بعض الكلمات في الموارد اللازمة وموضع الحاجة.

خامساً: اعتمدنا في الرسم القرآني على المصحف الشريف المكتوب بخط (عثمان طه)، وبالنظر لتعذر ضبط الآيات بهذا الرسم على أجهزة الكمبيوتر، فقد عمدنا إلى تجزئة الآيات وبالرسم العثماني ووضع كل آية في موضعها المناسب.

سادساً: اتبعنا في الترقيم والإملاء القواعد الحديثة والمتداولة.

الصفحة الأخيرة من نسخة «الف»

الصفحة الاولى من نسخة «ج»

الصفحة الأخيرة من نسخة «ج»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الّذي هدانا للتّمسّك بالثّقلين، و جعل لنا القرآن هدًى، والمودّة في القربى قرّة عين. ابلج عن هدى نبيّه المرسل بنور كتابه المنزل، و كشف عن سرّ كتابه المنزل بعترة نبيّه المرسل. جعل الكتاب و العترة بينه و بيننا حبلين ممدودين، و صاحبين مصطحبين غير مفترقين، لم يزل اقامهما فينا، طرفٌ منهما بيده و طرفٌ بايدينا، ماتمسّكنا بهما لن نضلّ، و ما اعتصمنا بهما لن نزلّ. فصلّ اللّهمّ على محمّد و عترته، واسقنا من كاسهم الاصفى ما يروينا، و آتنا من فهم القرآن و علمه الاوفى ما يُغنينا.

امّا بعد، فيقول الفقير إلى الله في كلّ مسلك و موطن، محمّد بن مرتضى المدعوّ بمحسن ـ زوّده الله في دنياه لعقباه، و جعل آخرته خيراً من أولاه ـ . هذا ما اصطفيت من تفسيري للقرآن المسمّى بـ«الصّافي» راعيت فيه غاية الإيجاز مع التّنقيح، و نهاية التّلخيص مع التّوضيح، مقتصراً على بيان ما يحتاج إلى البيان من الآيات، دون مايستغنى عنه من المحكمات الواضحات؛ فبالحريّ أن يسمّى بـ«الأصفى»

و عسى أن يفي ببيان أكثر ما لايفهم ظاهره بدون البيان من القرآن، و إن كان «الصّافي» هو الاوفى، و إنّما معوّلي فيه على كلام الإمام المعصوم من آل الرّسول، إلّا فيما يشرح اللّغة و المفهوم و ما إلى القشر يؤول؛ إذ لايوجد معالم التّنزيل إلّا عند قوم كان

ينزل في بيوتهم جبرئيل، و لا كشّاف عن وجوه عرائس أسرار التّأويل إلّا من خوطب بأنوار التّنزيل و لايتأتّىٰ تيسير تفسير القرآن إلّا ممّن لديه مجمع البيان و التّبيان فعلى من نعول إلّا عليهم؟ و إلى من نصير إلّا إليهم؟ لا والله لانتّبع إلّا أخبارهم، و لانقتفي إلّا آثارهم.

و لهذا ما أوردت فيما يفتقر إلى السّماع إلّا حديثهم ما وجدت إليه سبيلاً، إمّا بألفاظه و متونه، أو بمعانيه و مضمونه؛ غير أنّي لم أذكر قائله بخصوصه، إذ حديثهم واحد، و حديثهم حديث رسول الله، و حديث رسول الله ﷺ قول الله تبارك و تعالى، كما ورد عنهم عليهم السّلام[1].

فكلّ ما كان من ألفاظهم عليهم السّلام صدّرته بـ«قال»، أو «وَرَدَ»، أو «في رواية».

فإن تصرّفت في شيء منه لتلخيص يستدعيه، أو لتوضيح معانيه، نبّهت عليه إن احتاج إلى التّنبيه، ليُعْرَف أنّه المنقول بمضمونه و معانيه؛ و أكثر ما نبّهتُ به على ذلك تذيله بـ«كذا وَرَدَ»، فإنّه من أوجز ألفاظ هذا التّنبيه.

و ما نقلته من «تفسير عليّ بن إبراهيم القُمّي» ممّا لم ينسبه إلى المعصوم و ظاهره أنّه مسند إلى المعصوم، صدّرته بـ«القُمّي» ليمتاز عن المجزوم.

و ما رويت من طريق العامّة، صدّرته بـ«رُوِيَ» ليمتاز عمّا رويت من طريق الخاصّة.

و ما لم أجد فيه إلى حديث للمعصوم سبيلاً، أو لم أعتمد على ما وجدت منه، و هو ممّا يفتقر إلى السّماع ـ و عسى أن يكون قليلاً ـ أوردت من سائر التّفاسير ما هو أقوم قيلاً. و الله المستعان، نفعنا الله به و سائر الإخوان، بحقّ العترة و القرآن، إنّه الجواد المنّان.

١ ـ الكافي ١: ٥٣، الحديث: ١٤، عن أبي عبدالله ﷺ.

مقدّمة :

ينبغي لمن أراد فهم معاني القرآن من الأخبار من دون توهّم تناقض و تضادّ، أن لا يجمد في تفسيره و معناه على خصوص بعض الآحاد و الأفراد، بل يعمّم المعنى والمفهوم في كلّ ما يحتمل الإحاطة والعموم، كما ورد في بعض الآيات من الرّوايات. فإنّ وهم التّناقض في الأخبار المخصّصة إنّما يرتفع بذلك، و فهم أسرار القرآن يبتني على ذلك، و إنّ نظر أهل البصيرة إنّما يكون على الحقائق الكلّيّة، دون الأفراد الجزئيّة.

فما ورد في بعض الأخبار من التّخصيص، فإنّما ورد للتّنبيه على المنزّل فيه، أو الإشارة إلى أحد بطون معانيه، أو غير ذلك. و ذلك بحسب فهم المخاطب على سبيل الاستئناس، إذ كان كلامهم مع النّاس على قدر عقول النّاس[1].

و قد عمّم مولانا الصّادق عليه السلام الآية الّتي وردت في صلة رحم آل محمّد عليهم السّلام صلة كلّ رَحِمٍ، ثمّ قال: «و لاتكوننّ ممّن يقول في الشّيء: إنّه في شيء واحد»[2].

و عليه نبّه عليه السلام في حديث المُفضّل بن عُمَر، حيث فسّر له قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: «عليٌّ قسيم الجنّة و النّار»، و قد ذكرناه في مقدّمات «الصّافي»[3].

كيف و لو كان المقصود من القرآن مقصوراً على أفرادٍ خاصّة و مواضعَ مخصوصة، لكان القرآن قليلَ الفائدة، يسيرَ الجدوى و العائدة؟ حاشاه عن ذلك فإنّه «بحر لايُنْزَف»[4]،

١ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما كلّم رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قطّ»؛ و قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نُكلّم النّاس على قدر عقولهم». «الكافي ١: ٢٣، الحديث ١٥».

٢ـ الكافي ٢: ١٥٦، الحديث: ٢٨. و يأتي أيضاً في ذيل الآية ٢١ من سورة الرّعد.

٣ـ الصافي ١: ٢٢، المقدّمة الثالثة. و الحديث في علل الشّرائع ١: ١٦١، الباب ١٣٠، الحديث ١.

٤ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٣١٥، الخطبة: ٢١٨. و فيه: «بحرٌ لايَنْزِفُهُ المُسْتَنْزِفُون». نَزَفْتُ ماء البئر نزفاً: نزحته كلّه. الصّحاح ٤: ١٤٣٠ (نزف).

ظاهره أنيق[1]، و باطنه عميق، لا تُحصى عجائبُه، و لا تُبلى غرائبُه» كما ورد[2]

و قد تبيّن ممّا ذكرنا معنى التّأويل؛ فإنّه يرجع إلى إرادة بعض أفراد معنى العامّ، و هو ما بطن عن أفهام العوامّ، و يقابل التّنزيل[3]. و الله يقول الحقّ و هو يهدي السّبيلَ.

١ـ شيء أنيق، أي: حَسَنٌ معجب. الصّحاح ٤: ١٤٤٧ (أنق).

٢ـ الكافي ٢: ٥٩٩، الحديث ٢، عن رسول الله ﷺ

٣ـ في «ب» و «ج»: «بالتّنزيل»

سورة فاتحة الكتاب

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ قال: «الله هو الّذي يتألّه إليه كلّ مخلوق عند الحوائج و الشّدائد، إذا انقطع الرّجاء من كلّ مَنْ دونه و تقطّع الاسباب من جميع مَنْ سواه، يقول: «بسم الله»؛ أي: استعين على أُموري كلّها بالله الّذي لاتحقّ العبادة إلاّ له، المغيث إذا استغيث، والمجيب إذا دُعي»[1].

اقول: معنى يتألّه إليه: يفزع إليه و يلتجأ و يسكن. و في رواية: «يعني: بهذا الاسم أقرأ، او اعمل هذا العمل»[2]. و في أخرى: «يعني: أَسِمُ نفسي بِسِمَةٍ من سِمات الله و هي العبادة. قال: و السِّمَةُ: العلامة»[3]. و يأتي حديث آخر في معنى «الله» في تفسير سورة الإخلاص إن شاء الله.

﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ قال: «الّذي يرحم يبسط الرّزق علينا»[4]. و في رواية: «العاطف على خلقه بالرّزق، لايقطع عنهم موادّ رزقه، و إن انقطعوا عن طاعته»[5].

١ـ التّوحيد: ٢٣١، الباب: ٣١، الحديث: ٥، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام
٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥.
٣ـ التّوحيد: ٢٢٩، الباب: ٣١، الحديث: ١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٢٣٢، الباب: ٣١، الحديث: ٥، عن عليّ بن الحسين، عن أمير المؤمنين عليهم السّلام
٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٤.

أقول: الرّزق يشمل كلّ ما به قوام الوجود و الكمال اللائق به

﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال: «الـرّحيم بنا في ديننا ودنيانا و آخرتنا، خفّف علينا الدّين و جعله سهلاً، و هو يرحمنا بتمييزنا من أعدائه»[1]. و في رواية: «الرّحيم بعباده المؤمنين في تخفيفه عليهم طاعاته، و بعباده الكافرين في الرّفق في دعائهم إلى موافقته»[2].

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ قال: «قال الله: قُولوا: الحمدلله على ما انعم به علينا»[3]. ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. قال: «يعني. مالك الجماعات من كلّ مخلوق، و خالقهم، وسائق رزقهم إليهم من حيث يعلمون و من حيث لايعلمون، يقلّب الحيوانات في قدرته، و يغذوها من رزقه، و يحوطها[4] بكنفه، و يدبّر كلاً منها بمصلحته، و يمسك الجمادات بقدرته ما اتّصل منها عن التّهافت[5]، و المتهافت عن التّلاصق، و السّماء أن تقع على الارض إلاّ بإذنه، و الارض ان تنخسف إلاّ بامره»[6].

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾. لعلّ تكريرهما للتّنبيه بهما في جملة الصّفات المذكورة على استحقاقه الحمد.

﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾. قال: «يعني: القادر على إقامته و القاضي فيه بالحقّ. والدّين: الحساب»[7].

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ قال: «قال الله تعالى: قُولوا يا أيّها الخلق المُنْعَم عليهم: إيّاك - أيّها المُنعِمُ علينا - نطيع، مخلصين، موحّدين مع التّذلّل و الخشوع، بلا رياء و لا سُمعة»[8].

١ـ التّوحيد. ٢٣٢، الباب. ٣١، الحديث: ٥، عن عليّ بن الحسين، عن امير المؤمنين عليهم السّلام

٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٤.

٣ـ المصدر. ٣٠

٤ـ الحياطة: المحافظة. مجمع البحرين ٤: ٢٤٣ (حوط).

٥ـ التّهافت: التّساقط قطعةً قطعة. الصّحاح ١: ٢٧١ (هفت).

٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٠؛ و عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٨٢-٢٨٣، الباب ٢٨، الحديث: ٣٠.

٧ـ المصدر: ٣٨.

٨ـ المصدر: ٣٩

وفي رواية: «لانريد منك غيرك»[1].

أقول: إنّما انتقل العبد من الغيبة إلى الخطاب؛ لأنّه كان بتمجيده لله سبحانه يتقرّب إليه متدرّجاً، إلى أن بلغ في القرب مقاماً كأنّ العلم صار له عياناً، والخبرَ شهوداً، والغيبة حضوراً.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: «على طاعتك وعبادتك، وعلى دفع شرور أعدائك»[2].

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: «يعني ـ أدِمْ لنا[3] توفيقك الّذي أطعناك به في ماضي أيّامنا، حتّى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا»[4]. وفي رواية ـ «يعني: أرشِدْنا للزوم الطريق المؤدّي إلى محبّتك، والمبلّغ إلى جنّتك، والمانع من أن نتّبع أهواءنا فنعطَب[5]، وأن نأخذ بآرائنا فنهلِك»[6]. وفي أُخرى: «الصّراط المستقيم في الدّنيا ما قصر عن الغلوّ، وارتفع عن التّقصير، واستقام؛ وفي الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنّة»[7]. وفي أُخرى: «هي الطّريق إلى معرفة الله، وهما صراطان: صراط في الدّنيا وصراط في الآخرة، فأمّا الصّراط في الدّنيا فهو الإمام المفترض الطّاعة؛ من عرفه في الدّنيا واقتدى بهداه مرّ على الصّراط الّذي هو جسر جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدّنيا زلّت قدمه على الصّراط في الآخرة فتردّى[8] في نار جهنّم»[9] وورد: «الصّراط أدقّ من الشّعر

١ ـ تفسير القرآن الكريم، للسيّد مصطفى الخميني ١: ٤١٩، نقلاً من تفسير الإمام عليه السلام. ولم نجده فيما كان بأيدينا من تفسير الإمام عليه السلام ونقله في الصّافي ١: ٧٢ بلفظة: وفي رواية عامية عن الصّادق عليه السلام.

٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤١.

٣ ـ لمّا كان العبد محتاجاً إلى الهداية في جميع أموره آناً فآناً ولحظةً فلحظةً، فإدامة الهداية هي هداية أخرى بعد الهداية الأولى؛ فتفسير الهداية بإدامتها ليس خروجاً عن ظاهر اللّفظ. «منه في الصّافي ١: ٧٢».

٤ ـ معاني الأخبار: ٣٣، الحديث: ٤، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام.

٥ ـ العطب: الهلاك. الصّحاح ١: ١٨٤ (عطب).

٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٤.

٧ ـ معاني الأخبار: ٣٣، الحديث: ٤، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام.

٨ ـ أي: سقط في جهنّم. مجمع البحرين ١: ١٨١ (ردا).

٩ ـ معاني الأخبار: ٣٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

واحدّ من السّيف. فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق، و منهم من يمرّ عليه مثل عَدْوِ الفرس، و منهم من يمرّ عليه ماشياً، و منهم من يمرّ عليه حَبْواً[١]، و منهم من يمرّ عليه متعلّقاً، فتأخذ النّار منه شيئاً و تترك شيئاً»[٢]. وفي رواية: «إنّه مُظْلِمٌ، يسعى النّاس عليه على قدر أنوارهم»[٣].

أقول: مآل الكلّ واحدٌ؛ لأنّ الصّراط المستقيم ما إذا سلكه العبد أوصله إلى الجنّة، و هو ما يشتمل عليه الشّرع، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدي إلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ﴾[٤]. و هو صراط التّوحيد و المعرفة، و التّوسّط بين الأضداد في الأخلاق، و التزام صوالح الأعمال.

و بالجملة: صورة الهُدى الّذي أنشأه المؤمن لنفسه مادام في دار الدّنيا مقتدياً فيه بهدى إمامه، ينتقل فيه من معرفةٍ إلى معرفةٍ أُخرى فوقها، و من خُلقٍ محمودٍ إلى أحمده، و من عملٍ صالحٍ إلى أصلح، حتّى يلتحق بأهل الجنّة. و هو أدقّ من الشّعْر و أحدّ من السّيف في المعنى، مُظلم لا يهتدي إليه إلّا من جعل الله له نوراً يمشي به في النّاس، يسعى النّاس عليها على قدر أنوارهم في المعرفة. و ورد: «إنّ الصّورة الإنسانيّة هي الطّريق المستقيم إلى كلّ خير، و الجسر الممدود بين الجنّة و النّار»[٥].

و يتبيّن من هذا كلّه أنّ الصّراط و المارّ عليه شيءٌ واحدٌ، في كلّ خُطوةٍ يضع قدمه على رأسه؛ أعني يعمل على مقتضى نور معرفته الّتي هي بمنزلة رأسه؛ بل و يضع رأسه على قدمه؛ أي: يبني معرفته على نتيجة عمله الّذي كان بناؤه على المعرفة السّابقة، حتّى يقطع المنازل و يصل إلى الجنّة؛ و إلى الله المصير.

١ـ حَبَ الصّبيّ حَبْواً: إذا مشى على أربع. مجمع البحرين ١: ٩٤ (حبا).
٢ـ القمّي ١: ٢٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الصّافي ١: ٧٣؛ و معاني الأخبار: ٣٢٦، الباب: ٩١، في الصّراط.
٤ـ الشّورى (٤٢): ٥٢.
٥ـ الصّافي ١: ٧٣، عن الصّادق عليه السلام.

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ قال: «أي قولوا: صراط الّذين أنعمت عليهم بالتّوفيق لدينك و طاعتك لا بالمال و الصّحّة؛ فإنّهم قد يكونون كفّاراً أو فسّاقاً. قال: وهم الّذين قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَـٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـٰئِكَ رَفِيقًا ﴾»[1].

﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ قال: «هم اليهود الّذين قال الله فيهم: ﴿ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾»[2].

﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قال: «هم النّصارى الّذين قال الله فيهم: ﴿ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾. ثمّ قال: كلّ من كفر بالله فهو مغضوب عليه و ضالّ عن سبيل الله»[3].

و في رواية: «المغضوب عليهم: النّصّاب، والضّالّين: اهل الشّكوك الّذين لايعرفون الإمام»[4].

اقول: و يدخل في صراط المنعَم عليهم: كلُّ وسط و استقامة في العقائد والاخلاق و الاعمال، و هم: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾[5]؛ و في صراط المغضوب عليهم: كلُّ تفريط و تقصير، و لا سيّما إذا كان عن علم كما فعلت اليهود بموسى وعيسى و نبيّنا صلوات الله عليهم؛ و في صراط الضّالّين: كلُّ إفراط و غلوٍّ، و لا سيّما إذا كان عن جهل، كما فعلت النّصارى بعيسى عليه السلام؛ و ذلك لانّ الغضب يلزمه البعد والطّرد، و المقصِّرُ هو المدبِر المعرِض فهو البعيد المطرود، و الضّلال هو الغيبة عن المقصود، و المفرط هو المقبل المجاوز، فهو الّذي غاب عنه المطلوب.

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧ـ ٤٨، و الآية في النّساء(٤): ٦٩.
٢ـ المصدر: ٥٠. و الآية هي المائدة(٥): ٦٠
٣ـ المصدر: ٥٠. و الآية هي المائدة(٥): ٧٧.
٤ـ القمّي ١: ٢٩: عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ فصّلت(٤١): ٣٠؛ و الاحقاف(٤٦): ١٣



سورة البقرة

[مدنيّة، و هي مائتان و ستّ و ثمانون آية][1]

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. قد مرّ تفسيرها.

﴿الٓمٓ﴾. قال: «هو حرف من حروف اسم الله الأعظم، المقطّع في القرآن، الّذي يؤلّفه النّبيّ أو الإمام عليهما السّلام، فإذا دعا به أُجيب»[2]. و في رواية: «و إذا عدّ أخبر بما يغيب»[3].

أقول: فهو سرّ بين الله و بين الحبيب، لم يقصد به إفهام غيره و غير الرّاسخين في العلم من ذرّيّته. و فيه الأعاجيب؛ و التّخاطب بالحروف المفردة سنّة الأحباب في سنن المحابّ.

﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ قال: «يعني القرآن الّذي افتتح بـ"الم"، هو "ذلك الكتاب" الّذي أخبرت به موسى و من بعده من الأنبياء، و هم أخبروا بني إسرائيل أنّي سأُنزله عليك يا محمّد»[4] ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قال: «لا شكّ فيه لظهوره عندهم»[5]. ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال.

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ معاني الأخبار: ٢٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ لم نعثر على نصّه في الرّوايات، راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٣٣؛ و التّبيان ١: ٤٧.

٤و٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٢.

«الّذين يتّقون الموبقات، و يتّقون تسليط السَّفَه[1] على أنفسهم، حتّى إذا علموا ما يجب عليهم علمه، عملوا بما يوجب لهم رضا ربّهم، فإنّهم يهتدون به و ينتفعون بما فيه»[2].

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ قال: «بما غاب عن حواسّهم من توحيد الله، و نبوّة الأنبياء، و قيام القائم، و الرّجعة، و البعث، و الحساب، و الجنّة، و النّار، و سائر الأمور الّتي يلزمهم الإيمان بها ممّا لا يعرف بالمشاهدة، و إنّما يعرف بدلائل نصبها الله عزّ و جلّ عليه»[3]. ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ قال: «بإتمام ركوعها و سجودها، و حفظ مواقيتها و حدودها، و صيانتها ممّا يفسدها أو ينقصها»[4]. ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ قال: «من الأموال و الأبدان و القوى و الجاه و العلم»[5]. ﴿ يُنفِقُونَ ﴾: يتصدّقون.

«يحتملون الكَلّ[6]، و يؤدّون الحقوق لأهاليها، و يقرضون، و يُسْعِفُون[7] الحاجات، و يأخذون بأيدي الضّعفاء، يقودون الضّرائر[8] و يُنجونهم من المهالك، و يحملون المتاع عنهم، و يحملون الرّاجلين على دوابّهم، و يؤثرون من هو أفضل منهم في الإيمان على أنفسهم بالمال و النّفس، و يساوون من كان في درجتهم فيه بهما، و يعلّمون العلم من كان أهله، و يروون فضائل أهل البيت عليهم السّلام لمحبّيهم و لمن يرجون هدايته». كذا ورد[9].

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ من القرآن و الشّريعة ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ قال:

١ ـ السَّفَه: ضدّ الحلم. مجمع البحرين ٦: ٣٤٧ (سفه).
٢ ـ معاني الأخبار: ٢٥، الحديث: ٤، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام.
٣ و ٤ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٧ و ٧٣.
٥ ـ المصدر: ٧٥
٦ ـ الكَلّ ـ بفتح الكاف ـ الثِّقل والعيال. الصّحاح ٥: ١٨١١؛ و مجمع البحرين ٥: ٤٦٤ (كلل)
٧ ـ الإسعاف: الإعانة و قضاء الحاجة. مجمع البحرين ٥: ٧٠ (سعف).
٨ ـ الضَّرائر: المحاويج (المحتاجون). الصّحاح ٢: ٧٢٠ (ضرر).
٩ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٧٥.

«من التّوراة و الإنجيل و الزّبور و صحف إبراهيم و سائر كتب الله المنزلة»[١] . ﴿ وَبِالْآخِرَةِ ﴾ قال . «الدّار الّتي بعد هذه الدّار الّتي فيها جزاء الأعمال الصّالحة بأفضل مّا عملوه، وعقاب الأعمال السيّئة بمثل ما كسبوه»[٢] . ﴿ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ قال: «لا يشكّون»[٣]

﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ قال: «على بيان وصواب و علم بما امرهم به»[٤]

﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ قال: «النّاجون ممّا منه يوجلون، الفائزون بما يؤمّلون»[٥].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قال: «بالله و بما آمن به هؤلاء المؤمنون»[٦]. ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ قال: «خوّفتهم»[٧]. ﴿ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. قال: «أخبر عن علمه فيهم»[٨]

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾. قال: «وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته و أوليائه إذا نظر إليها بأنّهم الّذين لا يؤمنون»[٩]. «عقوبةً على كفرهم»[١٠].

﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾: غطاء. قال: «و ذلك أنّهم لمّا اعرضوا عن النّظر فيما كلّفوه و قصّروا فيما أريد منهم، جهلوا ما لزمهم الإيمان به، فصاروا كمن على عينيه غطاء، لا يبصر ما أمامه؛ فإنّ الله عزّ و جلّ يتعالى عن العبث و الفساد، و مطالبة العباد بما قد منعهم بالقهر منه»[١١]. ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ قال: «يعني في الآخرة العذاب المعدّ للكافرين، و في الدّنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه، بما ينزّل به من عذاب الاستصلاح لينبّهه على طاعته، أو من عذاب الاصطلام ليصيّره إلى عدله و حكمته»[١٢].

١، ٢ و ٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٨٨.

٤ و ٥ ـ المصدر: ٩٠

٦، ٧ و ٨ـ المصدر: ٩١

٩ .المصدر: ٩٨

١٠ـ عيون اخبار الرّضا عليه السلام ١ - ١٢٣، الباب: ١١، الحديث: ١٦

١١ و ١٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام. ٩٨

اقول: الاصطلام ـ بالمهملتين ـ الاستئصال.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ «نزلت في المنافقين و النّاصبين العداوة لآل الرّسول، من الّذين زادوا على الكفر الموجب للختم والغشاوة: النّفاق».

كذا ورد[1]. ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾. «يعاملون الله معاملة المُخادع». كذا ورد[2] وفي رواية: «يخادعون رسول الله بإبدائهم له خلاف ما في جوانحهم»[3]

اقول: وجه التّوفيق انّ مخادعة الرّسول مخادعةُ الله، كما قال عزّ و جلّ: "إنَّ الّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّما يُبَايِعُونَ اللّه"[4]. و قال: "مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللّهَ"[5]. وقال: "وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللّهَ رَمَى"[6].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾: و يخادعون الّذين آمنوا ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ قال: «ما يضرّون بتلك الخديعة إلّا انفسهم، لانّ الله غنيّ عنهم و عن نصرتهم، و لولا إمهاله لهم لما قدروا على شيء من فجورهم وطغيانهم»[7]. ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ قال: «انّ الامر كذلك، وانّ الله يُطْلِعُ نبيّه على نفاقهم»[8]

﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾: نفاق و شكّ تخلي على النّبيّ و آله، حقداً و حسداً و غيظاً

١ـ راجع: تفسير الإمام عليه السلام: ١١١ـ١١٣.

٢ـ و يدلّ عليه ما رواه العيّاشي عن الصّادق عليه السلام: «انّ النّبيّ صلى الله عليه وآله سُئل: فيما النّجاة غداً؟ قال: إنّما النّجاة أن لا تخادعوا الله فيخدعكم، فإنّ من يخادع الله يخدعه و يخلع منه الإيمان و نفسه يخدع لو يشعر. قيل له: و كيف يخادع الله؟ قال: يعمل ما أمره الله عزّ و جلّ ثمّ يريد به غيره، فاتّقوا الله و الرّياء، فإنّه شرك بالله» عنه في الصّافي ١: ٨١ـ٨٢، و الحديث مذكور في تفسير العيّاشي ١: ٢٨٣ مع اختلاف يسير

٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٤، و فيه «بإيمانهم»

٤ـ الفتح (٤٨): ١٠.

٥ـ النّساء (٤): ٨٠

٦ـ الأنفال (٨): ١٧

٧و٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٤

وخنقاً[1] ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ قال: «بحيث تاهت قلوبهم»[2]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: موجع غاية الإيجاع. و هو العذاب المعدّ للمنافقين، و هو أشدّ من عذاب الكافرين؛ لأنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: بسبب كذبهم أو تكذيبهم، على اختلاف القراءتين[3].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ «بإظهار النّفاق لعباد الله المستضعفين، فتشوّشوا عليهم دينهم و تحيّروهم». كذا ورد[4] ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾؛ «لأنّا لانعتقد ديناً، فنرضى محمّداً في الظّاهر و نعتق أنفسنا من رقّه في الباطن، و في هذا صلاح حالنا». كذا ورد[5].

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ قال: «بما يفعلون أُمور أنفسهم، لأنّ الله يعرّف نبيّه نفاقهم، فهو يلعنهم و يأمر المسلمين بلعنهم و لايثق بهم أعداء المؤمنين؛ لأنّهم يظنّون أنّهم ينافقونهم أيضاً كما ينافقون المؤمنين، فلا يرتفع لهم عندهم منزلة»[6].

أقول: و لهذا ردّ عليهم أبلغ ردّ. ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا﴾ قال: «قال لهم خيار النّاس»[7]. ﴿كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾. قال: «المؤمنون كسلمان و المقداد و أبي ذرّ و عمّار»[8].

أقول: يعني إيماناً مقروناً بالإخلاص، مبرّأً عن شوائب النّفاق.

﴿قَالُوا﴾ قال: «قالوا في الجواب لمن يفيضون إليه، لا لهؤلاء المؤمنين، فإنّهم لايجسرون على مكاشفتهم بهذا الجواب»[9]. ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾: «المذلّون أنفسهم

١ـ خنقه: إذا عصر حلقه. أساس البلاغة: ١٧٦ (خنق).

٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٧.

٣ـ فإنّه قرأ أهل الكوفة «يَكْذِبُونَ» بفتح الياء، مخفّفاً، و الباقون «يُكَذِّبُونَ». راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٤٧.

٤و٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٨.

٦،٧،٨و٩ـ المصدر: ١١٨ـ١١٩.

لمحمّد، حتّى إذا اضمحلّ أمره أهلكهم أعداؤه». كذا ورد[1] ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ قال: «الأخفّاء العقول و الآراء، الّذين لم ينظروا حقّ النّظر، فعرفوا نبوّته و ثبات أمره»[2] ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ قال: «أخدانهم[3] من المنافقين المشاركين لهم في تكذيب الرّسول»[4]. ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي في الدّين والاعتقاد كما كنّا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بالمؤمنين.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: «يجازيهم جزاء من يستهزئ به، أمّا في الدّنيا ففي إجراء أحكام المسلمين عليهم، و أمره الرّسول بالتّعريض لهم حتّى لايخفى من المراد بذلك التّعريض، و أمّا في الآخرة فبأن يفتح لهم ـ و هم في النّار ـ باباً إلى الجنّة فيسرعون نحوه، فإذا صاروا إليه سدّ عليهم الباب، و ذلك قوله تعالى: "فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ"[1]» كذا ورد[5]. ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ قال: «يمهلهم و يتأنّى بهم برفقه»[6]. ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: في التّعدّي عن حدّهم. ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيّرون، والعمه في البصيرة كالعمى في البصر.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ قال: «باعوا دين الله و اعتاضوا منه الكفر بالله»[7]. ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ قال: «ما ربحوا في تجارتهم في الآخرة، لأنّهم اشتروا النّار و أصناف عذابها بالجنّة الّتي كانت معدّة لهم لو آمنوا»[8]. ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ قال: «إلى الحقّ و الصّواب»[9].

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١١٨ـ١١٩.
٢ـ المصدر: ١١٩ـ١٢٠.
٣ جمع خِدن، و الخدن: الصّديق. الصّحاح ٥: ٢١٠٧؛ و مجمع البحرين ٦: ٢٤٣ (خدن).
٤، ٥ و ٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٢٣. و الآية في الرّقم الخامس، في المطفّفين (٨٣): ٣٤.
٧، ٨ و ٩ـ المصدر: ١٢٥ـ١٢٦.

﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي: حالهم العجيبة. و إنّما يضرب الله الأمثال للنّاس في كتابه لزيادة التّوضيح و التّقرير، فإنّها أوقع في القلب و أقمع للخصم. ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ قال: «ليبصر بها ما حوله»[١]. ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ «بإرسال ريح أو مطر أطفأها؛ و ذلك أنّهم أبصروا بظاهر الإيمان الحقّ و الهدى، و أعطوا أحكام المسلمين، فلمّا أضاء إيمانهم الظّاهر ما حولهم، أماتهم الله و صاروا في ظلمات عذاب الآخرة» كذا ورد[٢]. ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ قال: «بأن منعهم المعاونة واللّطف، و خلّى بينهم وبين اختيارهم»[٣].

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ قال: «يعني في الآخرة، كما قال عزّ و جلّ: 'وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا'»[٤].

أقول: و في الدّنيا أيضاً في بواطنهم من أُمور الآخرة، لأنّهم سدّوا مسامعهم من الإصغاء إلى الحقّ، و أبوا أن يطقوا به ألسنتهم، و أن يتبصّروا الآيات بأبصارهم. ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضّلالة الّتي اشتروها إلى الهُدَى الّذي باعوه وضيّعوه

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾: أو كمطر من العلا. قيل: يعني مَثَلُ ما خوطبوا به من الحقّ و الهدى كَمَثَلِ مطر؛ إذ به حياة القلوب، كما أنّ بالمطر حياة الأرض[٥] ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾. مثّل الشّبهات و المصيبات بالظّلمات، و التّخويفَ و الوعيدَ بالرّعد، و الآياتِ الباهرةَ المتضمّنة للتّبصير و التّسديد بالبرق، و تصامُمَهُم عمّا يسمعون من الوعيد، و ما يطرقون به من النّكايات[٦] بحال من يهوله الرّعد فيخاف صواعقه فيسدّ أذنه عنها، مع أنّه لاخلاص له

١ و ٢ـ تفسير الإمام عليه‌السلام: ١٣٠
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه‌السلام ١: ١٢٣، الباب: ١١، الحديث: ١٦
٤ـ تفسير الإمام عليه‌السلام: ١٣٠ـ ١٣١. والآية في الإسراء(١٧): ٩٧.
٥ـ جوامع الجامع ١: ٢٥؛ والتّفسير الكبير (للرّازي) ١: ٧٨.
٦ـ نكيتُ في العدوّ نكاية: إذا أكثرت الجراح. أساس البلاغة: ٦٥٥ (نكى)

منها. ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قال: «مقتدر عليهم؛ إن شاء أظهر لك نفاق منافقيهم وأبدى لك أسرارهم وأمرك بقتلهم»[1]

﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ يذهب بها. وذلك لأنّ «هذا مثل قوم ابتلوا ببرق فنظروا إلى نفس البرق، لم يغضّوا عنه أبصارهم، ولم يستروا منه وجوههم لتسلم عيونهم من تلألئه، ولم ينظروا إلى الطّريق الّذي يريدون أن يتخلّصوا فيه بضوء البرق فهؤلاء المنافقون يكاد ما في القرآن من الآيات المحكمة الدّالّة على صدق النّبيّ ﷺ الّتي يشاهدونها ولايتبصّرون بها، ويجحدون الحقّ فيها، يبطل عليهم سائر ما علموه[2] من الأشياء الّتي يعرفونها، فإنّ من جحد حقّاً أدّاه ذلك إلى أن يجحد كلّ حقّ، فصار جاحده في بطلان سائر الحقوق عليه، كالنّاظر إلى جرم الشّمس في ذهاب بصره». كذا ورد[3].

﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾: وقفوا وتحيّروا. «فهؤلاء المنافقون إذا رأوا ما يحبّون في دنياهم، فرحوا وتيمّنوا ببيعتهم وإظهار طاعتهم، وإذا رأوا ما يكرهون في دنياهم، وقفوا وتشأموا بها». كذا ورد[4].

قيل: مثّل اهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه، أو رفد تطمح إليه أبصارهم، بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلّما أضاء لهم، وتحيّرهم وتوقّفهم في الأمر حين تعرض لهم شبهة أو تعنّ لهم مصيبة، بتوقّفهم إذا أظلم عليهم[5] وإنّما قال مع الإضاءة «كلّما»، ومع الإظلام «إذا»، لأنّهم حرّاص على المشي، كلّما صادفوا منه فرصة انتهزوها، ولا كذلك التّوقّف[6].

١ـ تفسير الإمام ﷺ: ١٣٣.
٢ـ في المصدر: «عملوه».
٣ و ٤ـ تفسير الإمام ﷺ: ١٣٣ ـ ١٣٤.
٥ـ البيضاوي ١: ١٠٤.
٦ـ المصدر: ١٠١.

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ قال: «حتّى لا يتهيّأ لهم الاحتراز من أن تقف على كفرهم أنت وأصحابك، فتوجب قتلهم»[1]. ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾: لا يعجزه شيء».

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

قال: «لها وجهان: أحدهما: خلقكم وخلق الّذين من قبلكم لتتّقوه، كما قال "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"[2]. والآخر: اعبدوه لعلّكم تتّقون النّار. و«لعلّ» من الله واجب، لأنّه أكرم من أن يُعَنّي[3] عبده بلا منفعة ويطمعه في فضله ثمّ يخيّبه»[4].

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ قال: «جعلها ملائمةً لطبايعكم، موافقةً لأجسادكم، مطاوعةً لحرثكم وأبنيتكم ودفن موتاكم، لم يجعلها شديدة الحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الرّيح فتصدع هاماتكم[5]، ولا شديدة النّتن فتعطبكم، ولا شديدة اللّين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصّلابة فتمتنع عليكم في حرثكم وأبنيتكم ودفن موتاكم؛ ولكنّه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به في كثير من منافعكم»[6] ﴿ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ قال: «سقفاً من فوقكم محفوظاً، يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم»[7].

﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ قال: «يعني: المطر، ينزله من العلا ليبلغ قُلَلَ

1- تفسير الإمام عليه السلام: ١٣٣-١٣٤.
2- الذاريات (٥١): ٥٦.
3- بالنون على بناء التفعيل، أي: يكلّفه ما يشقّ عليه، وفي بعض النسخ «يُعيي» - بالياء - من قولهم: أعيى السيرُ البعيرَ أي: أتعبه وأكلّه. والأول أظهر.
4- تفسير الإمام عليه السلام: ١٤٠-١٤٢. و«لعلّكم» على المعنى الأول متعلّق بـ«خلقكم»، و«التقوى» بمعنى الصيانة، وعلى الثاني متعلق بـ«اعبدوا»، والتقوى بمعنى الحذر. «منه» في الصافي ١: ٨٧.
5- الهامة: الرأس. الصحاح ٥: ٢٠٦٣ (هيم).
6 و7- تفسير الإمام عليه السلام: ١٤٢ وعيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٣٧، الباب ١١، الحديث ٣٦.

جبالكم و تلالكم و هضابكم و أوهادكم، ثمّ فرّقه رذاذاً و وابلاً و هطلاً وطلاً[١] لتنشفه[٢] أرضوكم، و لم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضيكم و أشجاركم و زروعكم و ثماركم»[٣]. قال: «قال رسول الله ﷺ: ينزل مع كلّ قطرة ملك يضعها في موضعها الّذي أمره به ربّه جلّ و عزّ»[٤]. ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ أي لمطعمكم و مشربكم و ملبسكم و سائر منافعكم.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ قال: «أشباهاً و أمثالاً من الأصنام الّتي لا تعقل و لا تسمع و لا تبصر و لا تقدر على شيء»[٥] ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: «أنّها لا تقدر على شيء من هذه النّعم الجليلة الّتي أنعمها عليكم ربّكم»[٦].

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ قال: «حتّى تجحدوا أن يكون محمّد رسول الله، و أن يكون هذا المنزل عليه كلامي، مع إظهاري عليه بمكّة من الآيات الباهرات، كالغمامة المظلّلة عليه و الجمادات المسلّمة عليه و غير ذلك»[٧]. ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾: «من مثل ما نزّلنا مماثلة لهذا القرآن في البيان الغريب و حسن النّظم و البلاغة، أو[٨] من مثل عبدنا من هو على حاله، من كونه لم يقرأ الكتب و لم يأخذ من العلماء» كذا ورد[٩]. ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: «أصنامكم و شياطينكم و من

١ ـ الهضاب: أعالي الجبال، و الرّذاذ: المطر الضّعيف، و الوابل: المطر الشّديد، و الهطل: المطر الضّعيف الدّائم و تتابع المطر، و الطلّ: أخفّ المطر و أضعفه.
٢ ـ النّشف: ذهاب الماء في الأرض و الثّوب. يقال: نشفت الأرض الماء: شربته. النّهاية ٥: ٥٨ (نشف).
٣ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٤٣.
٤ ـ المصدر: ١٥٠. في المصدر و «ج»: «عزّ و جلّ».
٥ و ٦ ـ المصدر: ١٤٣.
٧ و ٩ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ١٥١ ـ ١٥٤ بالمضمون.
٨ ـ في التّرديد في التّفسير دلالة على أنّ القرآن ذو وجوه و أنّ حمله على الجميع صحيح، كما مرّ نظيره في قوله ـ سبحانه ـ: «يا أيّها النّاس اعبدوا ربّكم» الآية. و ليس التّرديد في مثل ذلك من قبيل التّرديد في معناه. «منه في الصّافي ١: ٨٨»

تطيعونه و تعبدونه من دون الله، و تزعمون أنّهم شهداؤكم يوم القيامة، يشهدون لكم بعبادتكم عند ربّكم، ليشهدوا لكم بأنّ ما أتيتم مثله». كذا ورد[1]. و قيل: لينصروكم على معارضته، فيكون الشّهيد بمعنى النّاصر[2]. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ قال: «بأنّ محمّداً تقوّله من تلقاء نفسه لم ينزّله الله عليه»[3].

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾: الإتيان بما يساويه أو يدانيه ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ قال: «و لا يكون هذا منكم أبداً، و لن تقدروا عليه»[4]. ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا﴾ قال: «حصبها»[5]. ﴿النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ قال: «حجارة الكبريت، لأنّها أشدّ الأشياء حرّاً»[6] و قيل: المراد به الأصنام الّتي نحتوها و قرنوا بها أنفسهم و عبدوها طمعاً في شفاعتها، كما في قوله تعالى: «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ»[7]. ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ قال «المكذّبين بكلامه و نبيّه»[8].

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ قال: «من تحت أشجارها و مساكنها»[9]. ﴿الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ «في الدّنيا؛ فأسماؤه كأسمائه، و لكنّها في غاية الطّيب، غير مستحيل إلى ما يستحيل إليه ثمار الدّنيا من الفضلات و الأخلاط إلّا العرق الّذي يجري من أعراضهم أطيب ريحاً من المسك». كذا ورد[10].

أقول: العِرْض ـ بالكسر ـ: الجسد.

١ـ تفسير الإمام ﷺ: ١٥١ـ١٥٤ بالمضمون.
٢ـ البيضاوي ١: ١١٣.
٣ـ تفسير الإمام ﷺ: ١٥٤.
٤ و ٥ و ٦ـ المصدر: ٢٠٢، عن عليّ بن الحسين ؑ.
٧ـ البيضاوي ١: ١١٦. والآية في سورة الأنبياء (٢١): ٩٨.
٨ـ تفسير الإمام ﷺ: ١٥٤.
٩ و ١٠ـ المصدر: ٢٠٢.

﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ قال: «يشبه بعضه بعضاً بأنّها كلّها خيار لا رذل[١] فيها، و بأنّ كلّ صنف في غاية الطّيب و اللّذّة، ليست كثمار الدّنيا الّتي بعضها نيّ[٢]، و بعضها متجاوز حدّ النّضيج[٣] و الإدراك إلى حدّ الفساد، من حموضة و مرارة و سائر صنوف المكاره، و متشابهاً أيضاً: متّفقات الألوان، مختلفات الطّعوم»[٤].

﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ «من أنواع الأقذار و المكاره لا يحضن و لا يحدثن و لا يصخبن و لا يتغايرن و لا يتباغضن و لا يغششن و لا يعبن و لا يخدعن و لا يكثرن الطّرف و الاختيال». كذا ورد[٥]. ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ قال: «لأنّ نيّاتهم في الدّنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنّيّات خلّدوا»[٦].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ قال: «للحقّ يوضحه لعباده المؤمنين»[٧].

﴿مَا﴾ يعني: أيّ مثل كان، فإنّ «ما» تزاد لزيادة الإبهام و الشّيوع. ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾. قال: «و هو الذّباب. ردّ بذلك على من طعن في ضربه الأمثال بالذّباب و العنكبوت، و بمستوقد النّار و الصّيّب، في كتابه». كذا ورد[٨].

أقول: وجه الرّدّ أنّ المعتبر في المثل أن يكون على وفق الممثّل له في الصّغر و العظم و الخسّة و الشّرف، ليبيّنه و يوضحه حتّى يصير في صورة المشاهد المحسوس، دون المثل.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ قال: «"أنّه": المثل المضروب،

١ـ الرّذل: الدّون الخسيس. الصّحاح ٤: ١٧٠٨؛ و مجمع البحرين ٥: ٣٨٢ (رذل).
٢ـ النّيّ: الفاكهة أو اللحم الّذي لم يطبخ، أو طبخ أدنى طبخ و لم ينضج. النّهاية ٥: ١٤٠ (نيا).
٣ـ في مصدر و «ب»: «النّضج». نضج اللحم و الفاكهة: استوى و طاب أكله. مجمع البحرين ٢: ٣٣٢ (نضج).
٤ و ٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٣. و الاختيال: التّكبّر. مجمع البحرين ٥: ٣٦٧ (خيل).
٦ـ علل الشّرائع ٢: ٥٢٣، الباب ٢٩٩، الحديث ١، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٨ـ المصدر: ٢٠٥.

"الحقّ من ربّهم" أراد به الحقّ و إبانته، و الكشف عنه و إيضاحه»[1] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ﴾: أيّ شيء أراد به من جهة المثل ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ﴾. قال: «يعني: يقول الّذين كفروا: إنّ الله يُضلّ بهذا المثل كثيراً و يهدي به كثيراً، أي: لا معنى للمثل. لأنّه و إن نفع به مَنْ يهديه فهو يضرّ به من يضلّ به، فردّ الله عليهم بقوله»[2]: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ قال: «الخارجين عن دين الله، الجانين على أنفسهم بترك تأمّله و بوضعه على خلاف ما أمر الله بوضعه عليه»[3]. و قيل: بل قوله: "يُضلّ به كثيراً" جواب "ماذا" أي: إضلال كثير بسبب إنكاره، و هداية كثير بسبب قبوله[4].

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾ قال: «المأخوذ عليهم لله بالرّبوبيّة، و لمحمّد بالنّبوّة، ولعليّ بالإمامة، ولشيعتهما بالجنّة والكرامة»[5]. ﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ قال: «إحكامه وتغليظه»[6]. ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ قال: «من الأرحام و القرابات أن يتعاهدوهم و يقضوا حقوقهم. و أفضل رَحِمٍ و أوجبهُم حقّاً رَحِمُ محمّدٍ؛ فإنّ حقّهم بمحمّد، كما أنّ حقّ قرابات الإنسان بأبيه و أُمّه، و محمّدٌ أعظم حقّاً من أبويه، و كذلك حقّ رَحِمِه أعظمُ، و قطيعتُه أقطع و أفضح»[7].

أقول: و يدخل في الآية التّفريق بين الأنبياء و الكتب في التّصديق، و ترك موالاة المؤمنين، و ترك الجمعة و الجماعات المفروضة، و سائر ما فيه رفض خيرٍ أو تعاطي شرٍّ، فإنّه يقطع الوصلة بين الله و بين العبد، الّتي هي المقصودة بالذّات من كلّ وصل و فصل.

﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ «بسبب قطع ما في وصله نظام العالم وصلاحه» كذا

١، ٢ و ٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٦.

٤ـ البيضاوي ١: ١٢٦ـ١٢٧، و فيه: «إهداء كثير».

٥ و ٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٦.

٧ـ مصدر: ٢٠٧.

ورد[1]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾قال: «الذين خسروا أنفسهم لمّا صاروا إلى النّيران، وحُرِموا الجنان»[2].

﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ قال: «الخطاب لكفّار قريش و اليهود»[3] ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾ قال: «في أصلاب آبائكم و أرحام أمّهاتكم»[4] ﴿فَأَحۡيَٰكُمۡ﴾قال: «أجرىٰ فيكم الرّوح وأخرجكم أحياء»[5]. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾قال: «في هذه النّشأة و يقبركم»[6]. ﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ قال: «في القبور، و ينعّم فيها المؤمنين و يعذّب الكافرين»[7]. ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ قال: «في الآخرة، بأن تموتوا في القبور بعد الإحياء، ثمّ تحيوا للبعث يوم القيامة، ترجعون إلى الثّواب أو العقاب»[8].

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ قال: «لتعتبروا به و تتوصّلوا به إلى رضوانه، و تتوقّوا من عذاب نيرانه»[9]. ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: «أخذ في خلقها و إتقانها»[10]. ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: عدّلهنّ مصونةً عن العِوَج و الفطور. ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ ولهذا خلق ما خلق، كما خلق لمصالحكم على حسب ما اقتضته الحكمة.

﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾قال: «الذين كانوا في الأرض مع إبليس و قد كانوا طردوا عنها الجنّ بني الجانّ و خفّفت عليهم العبادة»[11] و ورد: «إنّ الجنّ كانوا يفسدون في الأرض، فبعث الله إليهم الملائكة، فقتلوهم و أسروا إبليس من بينهم وكان حاكماً فيهم»[12]. ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ قال: «بدلاً منكم، ورافعكم منها، فاشتدّ ذلك عليهم؛ لأنّ العبادة عن رجوعهم إلى السّماء تكون أثقل

1و2ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٠٧

٣إلى٨ـ المصدر: ٢١٠.

٩و١٠ـ المصدر: ٢١٥

١١ـ المصدر: ٢١٦

١٢ـ القمي ١: ٣٦ـ ٣٧.

عليهم»[1]. و في رواية: «خليفة تكون حجّةً لي في أرضي على خلقي»[2].

﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ قال: «كما فعلته الجنّ؛ بنو الجانّ الّذين قد طردناهم عن هذه الأرض»[3]. ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ﴾ قال: «ننزّهك عمّا لا يليق بك من الصّفات»[4] ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال: «نطهّر أرضك ممّن يعصيك»[5] «فاجعل ذلك الخليفةَ منّا، فإنّا لا نتحاسد و لا نتباغض و لا نسفك الدّماء»[6]. و في رواية: «إنّهم منّوا على الله بعبادتهم إيّاه، فأعرض عنهم، و إنّهم قالوا في سجودهم في أنفسهم: ما كنّا نظنّ أن يخلق الله خلقاً أكرم عليه منّا، نحن خزّان الله و جيرانه، و أقرب الخلق إليه»[7]. و في أخرى: «فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة فرحمهم فتاب عليهم»[8].

﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ قال: «من الصّلاح الكامن[9] فيه، و من الكفر الباطن فيمن هو فيكم، و هو إبليس لعنه الله»[10]. ورد: «إنّه لمّا خلق الله آدم بقي أربعين سنةً مصوّراً، و كان يمرّ به إبليس و يقول: لأمرٍ ما خُلِقتَ؟ و قال: لئن أمرني الله بالسّجود لهذا عصيته»[11].

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ قال: «أسماء المخلوقات من الجبال و البحار و الأودية والنّبات و الحيوان و غيرها»[12]. و في رواية: «أسماء أنبياء الله و أوليائه و عتاة أعدائه»[13].

١، ٣، ٤ و ٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٦.
٢ و ٦ـ القمّي ١: ٣٦ـ٣٧.
٧ـ العيّاشي ١: ٣١، الحديث: ٧، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.
٨ـ علل الشّرائع ٢: ٤٠٦، الباب: ١٤٣، الحديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.
٩ـ في المصدر: «الكائن فيمن اجعله بدلاً منكم».
١٠ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٦.
١١ـ القمّي ١: ٤١، عن أبي جعفر عليه السلام.
١٢ـ المصدر: ٤٥.
١٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٧.

أقول: وجه التّوفيق أنّ المراد بالأسماء، أسماء الله الحسنى الّتي بها خلقت المخلوقات كما أُشير إليها في أدعية أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ بقولهم: «و بالإسم الّذي خلقت به العرش، و بالإسم الّذي خلقت به الكرسيّ، و بالإسم الّذي خلقت به الأرواح»[١] ، إلى غير ذلك. و إنّما اختصّ كلّ مخلوق باسم، بسبب غلبة ظهور الصّفة الّتي دلّ عليها ذلك الإسم فيه، كما أُشير إليه في الحديث القدسيّ: «يا آدم هذا محمّد و أنا الحميد المحمود في فعالي، شققت له اسماً من اسمي؛ و هذا عليّ و أنا العليّ العظيم، شققت له اسماً من اسمي»[٢] الحديث. و إنّما أُضيفت في الحديث تارةً إلى المخلوقات كلّها، لأنّها كلّها مظاهرها الّتي فيها ظهرت صفاتها متفرّقة؛ و أُخرى إلى الأولياء و الأعداء، لأنّهما مظاهرها الّتي فيها ظهرت صفاتها مجتمعة، أي ظهرت صفات اللّطف كلّها في الأولياء، و صفات القهر كلّها في الأعداء. و المراد بتعليمها آدم كلّها، خلقُه من أجزاء مختلفة وقوىً متباينة، حتّى استعدّ لإدراك أنواع المدركات، من المعقولات والمحسوسات والمتخيّلات والموهومات، وإلهامُه معرفةَ ذوات الأشياء وخواصّها وأُصول العلم وقوانين الصّناعات وكيفيّة آلاتها والتّمييز بين أولياء الله وأعدائه؛ فتأتّي له بمعرفة ذلك كلّه مظهريّته لأسماء الله الحسنى كلّها، و جامعيّته جميع كمالات الوجود اللّائقة به، حتّى صار منتخباً لكتاب الله الكبير الّذي هو العالَم الأكبر، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وفيك انطوى العالَمُ الأكبَرُ»[٣]

﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ أي: عرض أشباح المخلوقات جميعاً المدلول عليها بالأسماء كلّها. وفي الرّواية الأخيرة: «إنّه عرض أشباحهم حين كونهم أنواراً في

١ـ البلد الأمين: ٤١١ـ٤١٢؛ و البحار ٩٠: ٢٥٤ـ٢٥٥، و هو دعاء الأسماء الحسنى.
٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٠.
٣ـ ديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام: ٤١٠؛ و المصرع الأوّل: «و تحسب أنّك جرمٌ صغير».

الأظلة»[1]. ﴿فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني حقايقها التي هي أسماء الله التي بها خلقت هذه الأشباحُ التي هي مظاهرها. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ «بأنّ تركِكم هنهما أصلح من إيراد من بعدكم بأنكم أحق[2] بالخلافة من آدم»، كذا ورد[3].

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ﴾ قال: «بكلّ شيء»[4].

﴿الْحَكِيمُ﴾ قال: «المصيب في كلّ فعل»[5].

أقول: اعترفوا بالعجز و القصور لما قد بان لهم من فضل آدم ولاحت لهم الحكمة في خلقه، فصغُر حالهم عند أنفسهم و قلّ علمهم لديهم و انكسرت سَعِنة جبروتهم، فغرقوا في بحر العجز وفوّضوا العلمَ والحكمةَ إلى الله؛ وذلك لعدم جامعيّتهم وكونهم وحدانيّةَ الصفة، إذ ليس في جبلّتهم خلط وتركيب، ولهذا لا يفعل كلّ صنف منهم إلّا فعلاً واحداً، فالرّاكع منهم راكع أبداً، و السّاجد ساجدٌ أبداً، والقائم قائمٌ أبداً، كما ورد في الحديث[6]. وقد حكى الله تعالى عنهم بقوله: «وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ»[7]. فكلّ صنف منهم مَظْهَرٌ لاسم واحد من الاسماء الالهيّة لايتعدّاه؛ فـفاقهم آدمُ بمعرفته الكاملة و مَظْهَريّته الشاملة. و تمامُ بيان هذا التأويل يُطلب من تفسيرنا الكبير[8].

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾.

أقول: يعني أخبِرْهُم بالحقائق المكنونة عنهم، والمعارف المستورة عليهم، ليَعرفوا جامعيّتك لها، وقُدرةَ الله على الجمع بين الصّفات المتباينة و الاسماء المتناقضة في مخلوق

١، ٣و٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٧.
٢ـ في «ب» و «ج»: «و بأنكم أحق».
٥ـ تفسير الامام عليه السلام: ٢١٧.
٦ـ راجع: نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٤١، الخطبة: ١.
٧ـ الصّافّات (٣٧): ١٦٤.
٨ـ الصافي ١: ١٠٠.

واحد. ﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ قال: «فعرفوها»[1]. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: «سرّهما»[2]. ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ قال: «من ردّكم عليّ»[3]. ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قال: «من اعتقادكم أنّه لا يأتي أحد يكون أفضل منكم، وعزم إبليس على الإباء على آدم إنْ أمر بطاعته، فجعل آدم حجّةً عليهم»[4].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾. «وذلك لما كان في صلبه من أنوار نبيّنا، وأهل بيته المعصومين ـ صلوات الله عليهم ـ وكانوا قد فُضّلوا على الملائكة باحتمالهم الأذى في جنب الله، فكان السّجود لهم تعظيماً وإكراماً، ولله ـ سبحانه ـ عبوديّة، ولآدم طاعة». كذا ورد[5].

﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾. ورد: «إنّه كان بين الملائكة يعبد الله في السّماء، وكانت تظنّه منهم فلمّا استكبر علمت أنّه لم يكن منهم، وإنّما دخل في الأمر، لكونه منهم بالولاء ولم يكن من جنسهم»[6]. ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾ قال: «أخرج ما كان في قلبه من الحسد»[7]. ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾. ورد: «إنّه أوّل من كفر وأنشأ الكفر»[8].

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ورد: «إنّها كانت من جنان الدّنيا تطلع فيها الشّمس والقمر، ولو كانت من جنان الخلد لم يدخلها إبليس ولا خرج منها آدم أبداً»[9]. ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ قال: «واسعاً بلا تعب»[10]. ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ

١، ٢ و ٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٧.

٣ـ العيّاشي ١: ٣١، الحديث: ٧، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.

٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

٦ـ القمّي ١: ٣٥ ـ ٣٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٧ـ المصدر: ٤١ ـ ٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٨ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٤٤، الباب: ٢٤، الحديث: ١.

٩ـ القمّي ١: ٤١ ـ ٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

١٠ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

ٱلشَّجَرَةَ﴾ قال: «شجرة علم محمّدٍ و آل محمّد، الّتي آثرهم الله بها دون سـائر خلقه، لايتناولُ منه بأمر الله إلّا هم. قال: وكانت شجرةً تحمل أنواع الثّمار والفواكه والأطعمة، فلذلك اختلفت الحاكون بذكرها، فقال بعضهم: بُرّة؛ وقال آخرون: عنبة، وقال آخرون: عنّابة. وهي الشّجرة الّتي من تناول منها بإذن الله أُلهِمَ علمَ الأوّلين والآخرين من غير تعلّم، ومن تناول بغير إذن الله خاب من مراده وعصى ربّه»[١]

وفي رواية: «أنّها شجرة الكافور»[٢] وفي أخرى: «أنّها شجرة الحسد»[٣]. وفي أخرى: «أنّ كلّها حقٌّ وأنّ آدم قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضلَ منّي؟ فأراه الله أشباح آل محمّد»[٤]. وفي رواية: «أراه أسماءهم من العرش وقال: هؤلاء من ذرّيّتك، وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولا هم ما خلقتك ولا خلقت الجنّة ولا النّار ولا السّماء ولا الأرض، فإيّاك أن تنظر إليهم بعين الحسد وتتمنّى منزلتهم. فتسلّط عليه الشّيطان، حتّى أكل من الشّجرة الّتي نُهِيَ عنها، وتسلّط على حوّاء، فنظرت إلى فاطمة بعين الحسد، حتّى أكلت من الشّجرة كما أكل آدم»[٥].

أقول: كما أنّ للبدن غذاء من الحبوب والفواكه، كذلك للرّوح غذاء من العلوم والمعارف؛ وكما أنّ لذلك الغذاء أشجاراً تثمرها كذلك لهذا، و لكلّ صنف من النّاس ما يليق به من الغذاء، ولكلّ فاكهةٍ في العالم الجسماني مثال في العالم الرّوحاني، ولهذا فسّرت الشّجرة تارة بشجرة الفواكه، وأخرى بشجرة العلوم. وكأنّ شجرة علم محمّد إشارة إلى المحبوبيّة الكاملة المثمرة للتّوحيد الخالص المستجمع للكمالات الإنسانيّة قاطبةً،

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢١ـ٢٢٢.
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٨٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ و ٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٣٠٦، الباب ٢٨، الحديث: ٦٧.
٥ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٣٠٧، الباب: ٢٨، الحديث: ٦٧.

فإنّ فيها من ثمار المعارف كلّها. وشجرة الكافور إشارة الى برد اليقين الموجب لطمأنينة التامّة المقتضية للخلق العظيم الّذي كان لنبيّنا ﷺ. فلا تنافي بين الروايات، ولا بينها وبين ما قاله أهل التأويل. إنّها شجرة الهوى والطّبيعة. لأنّ قربها إنّما يكون بالهوى والشّهوة الطّبيعيّة. وهذا معنى ما ورد إنّها شجرة الحسد، فإنّ الحسد إنّما ينشأ منها.

﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ قال: «بمعصيتكما والتماسكما درجة قد أوثر بها غيركما إذا رمتما بغير حكم الله»[1].

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ «بوسوسته وخديعته وإيهامه وعداوته وغروره، بأن دخل بين لحيي الحيّة فأراهما أنّ الحيّة تخاطبهما» كذا ورد[2]. ويأتي تمام القصّة في سورة الأعراف إن شاء الله[3]. ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ قال: «من النّعيم»[4].

﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا ﴾ قال: «يا آدم ويا حوّاء ويا إبليس ويا حيّة اهبطوا»[5]. ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾. قال: «آدم وحوّاء وولدهما عدوّ للحيّة وإبليس، وإبليس والحيّة وأولادهما أعداؤهم. قال: وكان هبوط آدم وحوّاء والحيّة من الجنّة، فإنّ الحيّة كانت من أحسن دوابّها، وهبوط إبليس من حواليها، فإنّه كان يحرم عليه دخول الجنّة»[6].

أقول: لعلّه إنّما يحرم عليه دخول الجنّة بارزاً بحيث يُعرَف، وذلك لأنّه قد دخلها مختفياً في فم الحيّة ليُدلّيهما بغرور كما مرّ. وبهذا يرتفع التّنافي بين هذا الحديث وبين الّذي مرّ: أنّها لو كانت من جنان الخُلد لم يدخلها إبليس، أراد به دخولها وهو في غير

١ و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٢.
٣ـ الأعراف (٧): ١٩ إلى ٢٣.
٤، ٥ و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٤.

الحيّة. فتدبّر.

﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ قال: «منزل و مقرّ للمعاش»[1]. ﴿ وَمَتَاعٌ ﴾ قال: «منفعة»[2]. ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ قال: «حين الموت»[3]. وفي رواية: «يوم القيامة»[4]. ولعلّ وجه التوفيق، حديث: «من مات فقد قامت قيامته»[5].

﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾. قال: «يقولها، فقالها»[6]. ورد. «هي لا إلهَ إلاّ أنتَ، سُبحانَكَ اللّهُمَّ وبحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسي، فاغفِرْ لي وأنتَ خيرُ الغافرينَ. لا إلهَ إلاّ أنتَ، سُبحانَكَ اللّهُمَّ وبحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نفسي، فاغفِرْ لي وارحَمْني، إنّكَ أرحَمُ الرّاحِمينَ. لا إلهَ إلاّ أنتَ، سُبحانَكَ اللّهُمَّ وبحَمْدِكَ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسي، فتُبْ عَليَّ إنّكَ أنتَ التَّوّابُ الرَّحيمُ»[7]. وفي رواية: «بحقّ مُحَمَّدٍ وَعَليٍّ وَفاطِمَةَ وَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ»[8]. وفي أُخرى: «بحقّ محمّد وآل محمّد»[9].

وقيل، هي: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا» الآية[10]. ﴿ فَتَابَ ﴾ الله ﴿ عَلَيْهِ ﴾ بها ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ ﴾ قال: «القابل للتّوبات»[11]. ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ قال: «بالتّائبين»[12].

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾. قال: «أُمروا أوّلاً بالهبوط، وثانياً بأن لا يتقدّم أحدهم الآخرين»[13]. ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. قيل: «ما» مزيدة لتأكيد الشّرط، ولذلك حسن النّون من غير طلب؛

١، ٢و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام ٢٢٤

٤ـ القمّي١: ٤٣

٥ـ كنز العمّال١٥: ٥٤٨، الحديث: ٤٢١٢٣.

٦ـ تفسير الإمام عليه السلام، ٢٢٤.

٧ـ الكافي٨: ٣٠٤، الحديث: ٤٧٢، عن أحدهما عليهما السّلام.

٨ـ معاني الأخبار: ١٢٥، الحديث: ٢؛ و الكافي٨: ٣٠٥، الحديث: ٤٧٢، مرفوعة

٩ـ الاحتجاج١: ٥٥، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

١٠ـ البيضاوي١: ١٤٣. والآية في الأعراف (٧): ٢٣.

١١، ١٢و١٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٤.

والشّرط الثاني مع جوابه جواب الشّرط الأول[١].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: دلالاتنا ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال: «أولاد يعقوب»[٢]. ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ قال: «أن بعثت محمّداً و أقررته في مدينتكم و لم أُجشّمكم الحطّ[٣] والتّرحال إليه، وأوضحت علاماته ودلائل صدقه، كيلا يشتبه عليكم حاله»[٤]. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ قال: «الّذي أخذته على أسلافكم، بلسان أنبيائهم، وأمرتهم أن يؤدّوه إلى أخلافهم، ليؤمنُنّ بمحمّد العربيّ المؤيّد بالمعجزات»[٥]. ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ قال: «الّذي أوجبت به لكم نعيم الأبد في دار الكرامة»[٦]. ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ قال: «في مخالفة محمّد فإنّي القادر على صرف بلاء مَنْ يعاديكم على موافقتي، وهم لايقدرون على صرف انتقامي عنكم، إذا آثرتم مخالفتي»[٧]. وفي رواية: «أوفوا بولاية عليّ، فرضاً من الله، أُوفِ لكم بالجنّة»[٨].

﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ قال: «إنّ مثل هذا الذكر في كتابكم»[٩]. ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾. قيل: فيه تعريض بأنّ الواجب أن تكونوا أوّل مؤمن به، لأنّهم كانوا عالمين بشأنه، مستفتحين به، مبشّرين بزمانه[١٠]. ورد: «إنّ هؤلاء يهود المدينة، جحدوا نبوّة محمّد وخانوه بعد ما عرفوه، وقالوا: نحن نعلم أنّ محمّداً نبيّ وأنّ

١ـ البيضاوي ١: ١٤٤
٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٧.
٣ـ أجشمني فلان أمراً وجشّمنيه: كلّفني، والحطّ: النزول و وضع الأحمال عن الدّوابّ. لسان العرب ١٢: ١٠٠ و٧: ٢٧٢ (جشم، حطط)
٤، ٥، ٦، ٧ و٩ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٢٧ـ٢٢٨
٨ـ العيّاشي ١: ٤٢، الحديث: ٣٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ البيضاوي ١: ١٤٨.

علياً وصيّه؛ ولكن لست أنت ذلك ولا هذا، ولكن يأتيان بعد وقتنا هذا بخمسمائة سنة»[1].

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾. قال: «كان لهم مأكلة على قومهم في كلّ سنة فكرهوا بطلانها بأمر النبيّ، فحرّفوا لذلك آيات من التّوراة، فيها صفته وذكره؛ فذلك الثّمن الذي أُريد به في الآية»[2]. ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ قال: «في كتمان أمر محمّد وأمر وصيّه»[3].

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾: «لا تخلطوه به بأن تقرّوا به من وجه وتجحدوه من وجه»[4]. ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ قال: «من نبوّة هذا وإمامة هذا»[5]. ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قال: «إنّكم تكتمونه؛ تكابرون علومكم وعقولكم»[6].

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ قال: «المكتوبة التي جاء بها محمّد ﷺ، وأقيموا أيضاً الصّلاة على محمّد وآله»[7]. ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ قال: «من أموالكم إذا وجبت، ومن أبدانكم إذا لزمت، ومن معونتكم إذا التمست»[8]. وفي رواية: «هي الفطرة التي افترض الله على المؤمنين»[9]. قال: «نزلت الزكاة وليست للنّاس الأموال، وإنّما كانت الفطرة»[10].

﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ قال: «تواضعوا مع المتواضعين؛ لعظمة الله في الانقياد لأولياء الله»[11]. وقيل: صلّوا في الجماعة[12].

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ قال: «بالصّدقات وأداء الأمانات»[13]. ﴿ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾: تتركونها ﴿ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ قال: «التّوراة الآمرة لكم بالخيرات،

١ـ تفسير الإمام ﷺ ٢٢٩
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٩٥، عن أبي جعفر ﷺ.
٣ إلى ٨ـ تفسير الإمام ﷺ ٢٢٩
٩ـ العيّاشي ١: ٤٢، الحديث ٣٢، عن أبي عبدالله ﷺ
١٠ـ المصدر: ٤٣، الحديث ٣٥، عن أبي عبدالله ﷺ.
١١ـ تفسير الإمام ﷺ ٢٣١
١٢ـ البيضاوي ١: ١٥٠
١٣ـ تفسير الإمام ﷺ ٢٣٤.

النّاهية عن المنكرات»[١]. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قال: «ما عليكم من العقاب في أمركم بما به لا تأخذون، وفي نهيكم عمّا أنتم فيه منهمكون. قال: نزلت في علماء اليهود ورؤسائهم»[٢]. وفي رواية: «نزلت في الخطباء والقصّاص»[٣].

أقول: وهي جارية في كلّ من وصف عدلاً ثمّ خالفه إلى غيره.

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ «عن الحرام؛ على تأدية الأمانات، وعن الرّياسات الباطلة على الاعتراف بالحقّ واستحقاق الغفران والرّضوان ونعيم الجنان». كذا ورد[٤]. وفي رواية: «إنّ الصّبرَ الصّيام»[٥]. ﴿وَالصَّلَوٰةِ﴾ قال: «الصّلوات الخمس والصّلاة على محمّد وآله»[٦]. وفي رواية: «كان عليّ عليه السلام إذا هاله شيء، فزع إلى الصّلاة، ثمّ تلا هذه الآية»[٧]. وروي مثله عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً[٨]، فتشمل غير الخمس. ﴿وَإِنَّهَا﴾ القمّي: يعني الصّلاة[٩]. ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ قال: «عظيمة»[١٠].

أقول: يعني ثقيلة شاقّة، لقوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[١١].

﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ قال: «الخائفين عقاب الله في مخالفته في أعظم فرائضه»[١٢].

قيل: وذلك لأنّ نفوسهم مرتاضة بأمثالها، متوقّعة في مقابلتها ما يستخفّ لأجله مشاقّها ويستلذّ بسببه متاعبها، كما قال نبيّنا صلى الله عليه وآله: «جعلت قرّة عيني في الصّلاة»[١٣].

١ و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٤.
٣ـ القمّي ١: ٤٦، وفيه: «الخطّابية» بدل «الخطباء».
٤ و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٧ـ٢٣٨.
٥ـ الكافي ٤: ٦٣، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر ٣: ٤٨٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٩٩.
٩ـ القمّي ١: ٤٦.
١٠ و١٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٧ـ٢٣٨.
١١ـ الشّورى (٤٢): ١٣.
١٣ـ البيضاوي ١: ١٥١.

﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ قال: «يوقنون أنّهم يبعثون»[1] وفي رواية: «يقدّرون ويتوقّعون أنّهم يلقون ربّهم، اللّقاء الّذي هو أعظم كرامته لعباده ـ قال ـ: وإنّما قال "يظنّون" لأنّهم لايدرون بماذا يختم لهم، لانّ العاقبة مستورة عنهم، لايعلمون ذلك يقيناً، لأنّهم لا يامنون ان يغيّروا ويبدّلوا»[2]. ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ قال: «إلى كراماته ونعيم جنانه»[3].

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ قال: «ان بعثت موسى وهارون إلى أسلافكم بالنّبوّة، فهدياهم إلى نبوّة محمّد ووصيّة عليّ وإمامة عترته عليهم السّلام، وأخذنا عليهم بذلك العهود، إن وفوا بها كانوا ملوكاً في الجنان»[4].

﴿ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ ﴾ قال: «فضّلت أسلافكم في دينهم بقبول ولاية محمّد وآله، وفي دنياهم بتظليل الغمامة، وإنزال المنّ والسّلوى، وسقيهم من الحجر ماءً عذباً، وفلق البحر لهم، وإنجائهم من الغرق، وغرق أعدائهم»[5]. ﴿ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال: «عالمي زمانهم الّذين خالفوا طريقتهم وحادوا عن سبيلهم»[6]. «وإنّما خاطب اللهُ الأخلافَ بما فعل بالأسلاف أو فعلوه هم، لرضاهم به، ولانّ القرآن نزل بلغة العرب وهم يخاطبون بمثل ذلك»[7]. كذا ورد.

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا ﴾ قال: «وقت النّزع»[8]. ﴿ لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ قال: «لاتدفع عنها عذاباً قد استحقّته»[9]. ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ قال: «بتأخير الموت»[10]. ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ قال: «فداء، بان تُمات وتترك

١ ـ العيّاشي ١: ٤٤، الحديث: ٤٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «يوقنون أنّهم مبعوثون».
٢ و٣ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٣٧ ـ ٢٣٨.
٤ ـ المصدر: ٢٤٠، وفيه نسبة فعل الهداية والأخذ إلى الله تعالى.
٥ و٦ ـ المصدر: ٢٤٠ ـ ٢٤١.
٧ ـ المصدر: ٢٧٢.
٨، ٩ و١٠ ـ المصدر: ٢٤٠ ـ ٢٤١.

هي قال: هذا يوم الموت، فإنّ الشّفاعة والفداء لا يغني عنه، فأمّا في القيامة فإنّا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كلّ جزاء»[١]. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يعني في دفع الموت والعذاب.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ قال: «واذكروا إذ أنجينا أسلافكم»[٢].

أقول: هذا تفصيل لما أجمله في قوله: "اذكروا نعمتي"

﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قال: «وهم الذين كانوا يؤلون إليه بقرابته وبدينه ومذهبه»[٣]

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ قال: «كانوا يعذّبونكم»[٤].

أقول: من سامه الأمر: كلّفه إيّاه، وأكثر ما يستعمل في العذاب والشرّ.

﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ قال: «شدّة العذاب. وكان من عذابهم الشّديد أنّه كان فرعون يكلّفهم عمل البناء والطّين ويخاف أن يهربوا عن العمل، فأمر بتقييدهم، وكانوا ينقلون ذلك الطّين على السّلاليم إلى السّطوح، فربّما سقط الواحد منهم فمات أو زمن[٥]، ولا يحفلون[٦] بهم»[٧]. ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾. قال: «وذلك لمّا قيل لفرعون: إنّه يولد في بني إسرائيل مولود، يكون على يده هلاكك وزوال ملكك»[٨]. ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ قال: «يبقونهنّ ويتّخذونهنّ إماء»[٩].

﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ في الإنجاء ﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال: «نعمة»[١٠]. ﴿عَظِيمٌ﴾ قال: «كبير»[١١]

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٤٠ـ٢٤١
٢، ٣ و٤ـ المصدر ٢٤٢ـ٢٤٣
٥ـ رجل زمن: مبتلى بيّن الزّمانة، والزّمانة: العاهة. لسان العرب ١٣: ١٩٩ (زمن)
٦ـ الحفل: المبالاة. يقال: ما أحفل بفلان: أي ما أبالي به. لسان العرب ١١: ١٥٩ (حفل)
٧ و٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٤٣
٩، ١٠ و١١ المصدر ٢٤٤.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ قال: «واذكروا إذ جعلنا ماء البحر فرقاً ينقطع بعضه من بعض»[1] ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ قال: «هناك»[2]. ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قال: «فرعون وقومه»[3]. ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ قال: «إليهم وهم يغرقون»[4].

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾. «وعده الله أن يعطيه التّوراة بعد هلاك فرعون، وضرب له ميقاتاً ثلاثين يوماً، فاستاك بعد مضيّ ثلاثين، فذهب طيب فمه فأتمّه بعشر». كذا ورد[5]. ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً ومعبوداً ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾. يأتي قصّته في الأعراف إن شاء الله[6].

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. قال: «يعني عفونا عن أوائلكم عبادة العجل، لعلّكم ـ يا أيّها الكائنون في عصر محمّد من بني إسرائيل ـ تشكرون تلك النّعمة على أسلافكم وعليكم بعدهم»[7].

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال: «التّوراة»[8]. ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾ قال: «فرق ما بين الحقّ والباطل، والحقّ والمبطل»[9]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: «يقتل بعضكم بعضاً؛ يقتل من لم يعبد العجل من عبده»[10]. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾؛ «لأنه كفّارتكم فهو خير من أن تعيشوا في الدّنيا ثمّ تكونوا في النّار خالدين»[11]. كذا ورد. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قال: «قبل توبتكم، قبل استيفاء القتل لجماعتكم وقبل إتيانه على كافّتكم، وأمهلكم للتّوبة

١، ٢، ٣ و ٤ ـ تفسير الإمام ﷺ: ٢٤٥.
٥ ـ المصدر: ٢٤٨ ـ ٢٥٠.
٦ ـ في ذيل الآية: ١٤٣.
٧، ٨ و ٩ ـ تفسير الإمام ﷺ: ٢٥٢.
١٠ و ١١ ـ المصدر: ٢٥٤.

واستبقاكم للطّاعة»[1]. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ قال: «أسلافكم»[2]. ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال: «عياناً»[3]. وورد: «إنّهم السّبعون الّذين اختارهم وصاروا معه إلى الجبل فقالوا له: إنّك رأيت الله فأرناه كما رأيته؛ فقال لهم: إنّي لم أره فقالوا له ذلك»[4]. ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ قال: «إلى الصّاعقة تنزل»[5].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ قال: «الحياة الّتي فيها تتوبون وتقلعون، لكيلا تحلّوا في النّار»[6].

أقول: ويأتي تمام الكلام في سؤالهم الرّؤية في الأعراف إن شاء الله[7].

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ قال: «لمّا كنتم في التّيه[8] تقيكم من حرّ الشّمس وبرد القمر»[9]. ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ﴾ قال: «التّرنجبين كان يسقط على شجرهم، فيتناولونه». ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ قال: «السُّماني أطيب طير كان يسترسل بهم، فيصطادونه»[10]. وفي رواية: «ينزل عليهم باللّيل المنّ فيأكلوه، وبالعشيّ يجيء طائر مشويّ فيقع على موائدهم، فإذا أكلوا وشبعوا طار عنهم»[11].

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥٤.

٢و٣ـ المصدر: ٢٥٦.

٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٦١، الباب: ١٢، الحديث: ١.

٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥٦.

٧ـ في ضمن الآية ١٥٥.

٨ـ التّيه في اللّغة: المفازة يتاه بها. و تيهُ بني إسرائيل: الصّحراء الّتي تاهوا بها أي حاروا، فلم يهتدوا للخروج منها، و هي أرض بين «أيلة» و «مصر» و «بحر القلزم» و جبال «السّراة» من أرض الشّام يقال: إنّها أربعون فرسخاً في مثلها، و قيل: اثناعشر فرسخاً في ثمانية فراسخ. «راجع: معجم البلدان ٢: ٦٩ و لسان العرب ١٣: ٤٨٢ـ تيه».

٩و١٠ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٥٨.

١١ـ القمّي ١: ٤٨.

﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ قال: «قال الله - كلوا»[1] ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ قال: «لمّا غيّروا وبدّلوا ما به أُمروا، ولم يفوا بما عليه عاهدوا؛ لأنّ كفر الكافر لا يقدح في سلطاننا، كما أنّ إيمان المؤمن لا يزيد في سلطاننا»[2]. ﴿ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ قال: «هي "أريحا"[3] من بلاد الشام، وذلك حين خرجوا من التيه»[4]. ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ قال: «واسعاً بلا تعب»[5].

﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ ﴾ قال: «باب القرية»[6]. ﴿ سُجَّدًا ﴾: ساجدين لله ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ قال: «سجودنا لله حطّة لذنوبنا، ومحو لسيّئاتنا»[7] ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾ السالفة ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ قال: «من لم يقارف[8] الذنب منكم ثواباً»[9].

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ قال: «لم يسجدوا كما أُمروا، ولا قالوا ما أُمروا، بل دخلوها باستاههم[10]، وقالوا ما معناه: حنطة حمراء نتقوّتها، أحبّ إلينا من هذا الفعل وهذا القول»[11].

﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾. قيل: كرّره مبالغة في تقبيح أمرهم، وإشعاراً بأنّ الإنزال عليهم لظلمهم على أنفسهم، ولوضع غير المأمور به موضعه[12]. ﴿ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾: عذاباً. وهو في الأصل ما يعاف عنه، كالرّجس. ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ قال: «يخرجون عن أمر الله وطاعته. قال: والرّجز الذي أصابهم، أنّه مات بالطاعون

١ و ٢ ـ تفسير الإمام ﷺ ٢٥٨.

٣ ـ مدينة الجبّارين في الغور من أرض الأردنّ بالشام، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس. معجم البلدان ١: ١٦٥

٤، ٥، ٦، ٧، ٩، و ١١ ـ تفسير الإمام ﷺ: ٢٦٠ ـ ٢٥٩.

٨ ـ قرف الذنب: داناه و لاصقه. النّهاية ٤: ٤٥ (قرف)

١٠ ـ لاست: العَجُزُ و جمعه: استاه. «الصّحاح ٦: ٢٢٣٣ ـ سته» وفي مجمع البيان ١ ـ ٢: ١١٩ «كانوا لقد أُمروا أن يدخلوا الباب سجّداً وطوطئ لهم الباب ليدخلوه كذلك، فدخلوه زاحفين على استاههم»

١٢ ـ راجع: البيضاوي ١: ١٥٦.

منهم في بعض يوم، مائة وعشرون ألفاً وهم الّذين في علم الله أنّهم لايؤمنون ولايخرج من صلبهم ذرّيّة طيّبة»[1].

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ قال: «لمّا عطشوا في التّيه وضجّوا إليه بالبكاء»[2]. ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ قال: «اضربه بها داعياً بمحمّد وآله الطّيّبين، فانفجرت»[3]. ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ قال: «كلّ قبيلة من بني أب من أولاد يعقوب»[4] ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ قال: «ولايزاحم الآخرين في مشربهم»[5]. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾: من المنّ والسّلوى والماء ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي: لاتعتدوا، من العثوّ.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ قال: «المنّ والسّلوى ولابدّ لنا من خلط معه»[6]. ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾ قال: «الفوم: الحنطة»[7]. ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ قال: «أتستدعون الأدون ليكون لكم بدلاً من الأفضل؟»[8]. ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ قال: «من الأمصار»[9]. ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ قال: «الجزية والفقر»[10].

﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ﴾ قال: «رجعوا وعليهم الغضب واللّعنة»[11] ﴿مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ قال: «يتجاوزون أمر الله إلى أمر إبليس»[12]. قيل: جرّهم العصيان والاعتداء فيه، إلى الكفر بالآيات وقتل النّبيّين، فإنّ صغار الذّنوب تؤدّي إلى كبارها، كما أنّ صغار الطّاعات

١ إلى ٥ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦١
٦ ـ المصدر: ٢٦٣
٧ ـ القمّي ١: ٤٨
٨ إلى ١٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٣

تؤدّي إلى كبرها[١]. وفي رواية: «والله ما ضربوهم بأيديهم ولا قتلوهم بأسيافهم، ولكن سمعوا أحاديثهم فأذاعوها، فأخذوا عليها، فقتلوا فصار قتلاً واعتداءً ومعصيةً»[٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال: «بالله وبما فرض عليهم الإيمان به»[٣]. ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ قال: «يعني اليهود»[٤]. ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ قال: «الّذين زعموا أنّهم في دين الله متناصرون»[٥]. وفي رواية: «الّذين هم من قرية يقال لها: "ناصرة" من بلاد الشّام»[٦]. ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ قال: «الّذين زعموا أنّهم صبّوا إلى دين الله وهم كاذبون»[٧].

أقول: «صبّوا» أي «مالوا» إن لم يهمز، و «خرجوا» إن كان بالهمز. والقمّي: إنّهم ليسوا من أهل الكتاب، ولكنّهم يعبدون الكواكب والنّجوم[٨].

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾: «عهودكم: أن تعملوا بما في التّوراة وما في الفرقان الّذي أعطيته موسى مع الكتاب، وتقرّوا بما فيه من نبوّة محمّد و وصيّة عليّ والطّيّبين من ذرّيّتهما، وأن تؤدّوا إلى أخلافكم قرناً بعد قرن، فأبيتم قبول ذلك واستكبرتموه». كذا ورد[٩]. ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ قال: «الجبل، أمرنا جبرئيل أن يقلع من جبل فلسطين، قطعة على قدر معسكر أسلافكم فرسخاً في فرسخ، فقطعها وجاء بها، فرفعها فوق رؤوسهم»[١٠].

١ـ البيضاوي ١: ١٥٧.
٢ـ العيّاشي ١: ٤٥، الحديث: ٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣، ٤ و ٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٤.
٦ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٩، الباب: ٣٢، الحديث: ١٠.
٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٥.
٨ـ القمّي ١: ٤٨.
٩ و ١٠ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٦

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم﴾. قال: «قال لهم موسى: إمّا أن تأخذوا بما أمرتم به فيه، وإمّا أن أُلقي عليكم هذا الجبل، فأُلجئوا إلى قبوله كارهين، إلّا من عصمه الله من العناد؛ فإنّه قبله طائعاً مختاراً. ثمّ لمّا قبلوه سجدوا وعفّروا، وكثير منهم عفّر خدّيه لا لإرادة الخضوع لله، ولكن نظراً إلى الجبل هل يقع أم لا»[١]. ﴿بِقُوَّةٍ﴾ قال: «من قلوبكم ومن أبدانكم»[٢]. ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ قال: «من جزيل ثوابنا على قيامكم به، وشديد عقابنا على إبائكم له»[٣]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قال: «لتتّقوا المخالفة الموجبة للعقاب، فتستحقّوا بذلك الثواب»[٤].

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ قال: «عن القيام به»[٥]. ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ قال: «بإمهالكم للتوبة، وإنظاركم للإنابة»[٦]. ﴿لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ قال: «لمّا اصطادوا السمك فيه»[٧]. ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: «مبعدين عن كلّ خير»[٨].

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ قال: «المسخة التي أخزيناهم ولعنّاهم بها»[٩]. ﴿نَكَالًا﴾ قال: «عقوبة»[١٠]. ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ قال: «من ذنوبهم الموبقات التي بها استحقّوا العقوبة»[١١]. ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ قال: «ورَدعاً للّذين شاهدوهم بعد مسخهم الّذين يسمعون بها من بعدها، لكي يرتدعوا عن مثل أفعالهم»[١٢] ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٦.
٢ـ العيّاشي ١: ٤٥، الحديث: ٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٦.
٤ـ المصدر: ٢٦٧، وفيه: «جزيل الثواب».
٥و٦ـ المصدر: ٢٦٧.
٧، ٨و٩ـ المصدر: ٢٦٨.
١٠ـ المصدر: ٢٦٨، وفيه: «عقاباً وردعاً».
١١و١٢ـ المصدر: ٢٦٨.

ويأتي قصّتهم في الأعراف إن شاء الله[1].

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾. ملخّص ما ورد في بيان هذه القصّة. «انّ رجلاً من خيارهم خطب امرأة منهم حسناء، فأجيب، وخطبها ابن عمّ له، فردّ فحسده فقتله، وحمله إلى موسى عليه السلام وقال: ابن عمّي هذا قُتِلَ ولا ادري من قَتَلَهُ. فأمر الله موسى أن يأمرهم بذبح بقرة يضربون ببعضها المقتول، ليحيى ويخبرهم بالقاتل. فسألوا عن صفتها لجاجاً وسوء ظنّ بموسى، فتعيّنت وانحصرت في واحدة، فطلبوها فلم يجدوا إلاّ عند شابّ كان لا يبيعها إلاّ بملء جلدها ذهباً، فرجعوا إلى موسى فأخبروه، فقال لهم موسى: لابدّ لكم من ذبحها بعينها فاشتروها بملء جلدها ذهباً»[2].

﴿ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ قال: «سخرية»[3]، «تأتيك بقتيل فتقول: اذبحوا بقرة»[4]. ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾. قال: «انسب إلى الله ما لم يقل لي»[5]، -قال-: فعلموا أنّهم قد اخطأوا»[6].

﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾ قال: «ما صفتها لنقف عليها»[7]. ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ ﴾: إنّ الله ﴿ يَقُولُ ﴾ قال: «بعد ما سأل ربّه»[8]. ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ قال: «لا كبيرة ولا صغيرة»[9]. ﴿ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ قال: «وسط بين الفارض والبكر»[10]. ﴿ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾.

﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ ﴾ قال: «إنّ الله يقول»[11]: ﴿ إِنَّهَا

١- في ذيل الآية: ١٦٣.
٢- تفسير الإمام عليه السلام ٢٧٣-٢٧٥.
٣- المصدر: ٢٧٥.
٤و٦- القمّي ١: ٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥، ٧، ٨، ٩ و١٠- تفسير الإمام عليه السلام: ٢٧٦.
١١- المصدر ٢٧٧

﴿بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ قال: «حسنة الصفرة، ليس بناقص يضرب إلى البياض؛ ولا بمشبع يضرب إلى السّواد»[1]. ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ قال: «لبهجتها وحسنها وبريقها»[2].

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ قال: «ما صفتها؟ يزيد في صفتها»[3]. ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾. قال: «لو لم يستثنوا، لما بيّنت لهم آخر الأبد»[4].

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ قال: «لم تذلّل لإثارة الأرض[5] ولم ترض[6] بها»[7]. ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ قال: «ولا هي ممّا تجرّ الدلاء ولا تدير النّواعير، قد أعفيت من ذلك أجمع»[8]. ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ قال: «من العيوب كلّها»[9]. ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ قال: «لا لون فيها من غيرها»[10]. ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ قال: «من عظم ثمن البقرة»[11] قال: «لو عمدوا إلى أيّ بقرة أجزأتهم، ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم»[12].

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ قال: «اختلفتم وتدارأتم: ألقى بعضكم ذنب القتل على بعض وادرأه عن نفسه وذويه»[13]. ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قال: «من

١ و٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٧٧. والبريق: التلألؤ، يقال: برق السّيف وغيره، إذا لمع وتلألأ، والاسم البريق. لسان العرب ١٠: ١٥ (برق).

٣ ـ المصدر: ٢٧٧.

٤ ـ البيضاوي ١: ١٦٢؛ والدرّ المنثور ١: ٧٧.

٥ ـ أرض مثارة: إذا أثيرت بالسّنّ، وهي الحديدة التي تحرث بها الأرض. وأثار الأرض: قلبها على الحبّ بعد ما فتحت مرّة. لسان العرب ٤: ١١١ (ثور).

٦ ـ الرّضّ: دقّ الشيء. وإبل رضارض: راتعة، كأنّها ترضّ العشب. لسان العرب ٤: ١٥٤ (رضض).

٧، ٨، ٩ و١٠ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٧٧.

١١ ـ المصدر: ٢٨١.

١٢ ـ العيّاشي ١: ٤٦، الحديث: ٥٧، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

١٣ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٢.

خبر القاتل وإرادة تكذيب موسى باقتراحكم عليه ما قدّرتم أنّ ربّه لايجيبه إليه»[1].

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ قال: «اضربوا الميّت ببعض البقرة ليحيى، وقولوا له: من قتلك؟ فأخذوا ذنبها وضربوه به، فقام سالماً سويّاً وقال: يا نبيّ الله! قتلني ابن عمّي هذا، فقاده موسى عنه»[2]. ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ ﴾ قال: «في الدّنيا والآخرة؛ كما أحيا الميّت بملاقاة ميّت آخر؛ أمّا في الدّنيا، فيلاقي ماء الرجل ماء المرأة فيحيي الله الّذي كان في الأصلاب والأرحام حيّاً، وأمّا في الآخرة، فينزل بين نفختي الصّور من دوين السّماء من البحر المسجور منيّاً كمنيّ الرّجال، فيمطر ذلك على الأرض فيلقي الأموات البالية، فينبتون من الأرض ويحيون»[3]. ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ قال: «غلظت وجفّت ويبست[4] من الخير والرّحمة، قلوبكم معاشر اليهود!»[5]. ﴿ مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ قال: «من بعد ما تبيّنت الآيات البهرات»[6]. ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ ﴾ قال: «اليابسة؛ لاترشح برطوبة، ولاينتفض[7] منها ما ينتفع به. أي: إنّكم لاحقّ الله تؤدّون، ولا من أموالكم ولا من حواشيها[8] تتصدّقون، ولا بالمعروف تتكرّمون وتجودون، ولا الضّيف تقرُون، ولا مكروباً تغيثون، ولا بشيء من الإنسانيّة تعاشرون وتعاملون»[9]. ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾ قال: «فيجيئ بالخير والنّبات لبني آدم أبهم أوّلاً بالتّرديد، ثمّ بيّن أنّ قلوبهم

١ و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٢.

٢ـ المصدر: ٢٧٨، وفيه: «قتلني هذان ابناعمّي».

٤ـ في المصدر: «يبست».

٥ و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٣.

٧ـ نفضت الثّوب والشّجر أنفضه: إذا حرّكته لينتفض. والنّفض ـ بالتّحريك ـ ما تساقط من الورق والثّمر. لسان العرب ٧: ٢٤٠ (نفض).

٨ـ في المصدر: «مواشيها».

٩ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٣.

أشدّ قسوة من الحجارة». كذا ورد[١]. ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ قال: «وهو ما يقطر منه الماء دون الأنهار»[٢]. ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ قال: «إذا أقسم عليها باسم الله وبأسماء أوليائه»[٣]. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ قال: «يا محمّد أنت وأصحابك»[٤]. ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ قال: «هؤلاء اليهود، يصدّقوكم بقلوبهم»[٥] ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾. طائفة من أسلافهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ قال: «في أصل جبل طور سيناء»[٦]. ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ قال: «عمّا سمعوه، إذا أدّوه إلى من وراءهم»[٧]. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: فهموه بعقولهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال: «أنهم في تقوّلهم كاذبون»[٨] قيل: يعني: أنّ أحبارهم ومقدّميهم كانوا كذلك، فما طمعكم بسفلتهم وجهّالهم؟[٩]

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قال: «من دلائل نبوّة محمّد وإمامة عليّ»[١٠]. ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ قال: «بأنكم قد علمتم هذا وشاهدتموه، فلِمَ لم تؤمنوا[١١] به ولم تطيعوه؟»[١٢]. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قال: «إنّ الذي تخبرونهم به، حجّة عليكم عند ربّكم»[١٣]

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ قال: «هؤلاء القائلون لإخوانهم: "أتحدّثونهم"»[١٤]. ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

١و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٨٤
٣ـ المصدر: ٢٨٤
٤و٥ـ المصدر: ٢٩١.
٦، ٧و٨ـ المصدر: ٢٩٢.
٩ـ البيضاوي١: ١٦٤.
١٠ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٩٨.
١١ـ في المصدر: «فلم تؤمنوا به ولم تطيعوه»
١٢، ١٣و١٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٩٨.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ قال: «لا يقرؤون ولايكتبون. والأمّي منسوب إلى الأمّ، أي: هو كما خرج من بطن أمّه لايقرأ ولايكتب»[1]. ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ قال: «إلّا أن يُقرأ عليهم ويقال لهم: هذا كتاب الله وكلامه، لايعرفون أنّ ما قرئ من الكتاب خلاف ما فيه»[2].

أقول: يعني: إلّا ما يقدّرون في أنفسهم من مُنىً أخذوها تقليداً من المحرّفين للتّوراة واعتقدوه، لم يعرفوا أنّه خلاف ما في التّوراة. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾. لا علم لهم.

﴿فَوَيْلٌ﴾ قال: «شدّة من العذاب في أسوء بقاع جهنّم»[3]. ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾. يحرّفون من أحكام التّوراة ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾. «كتبوا صفة النّبيّ ﷺ بخلاف ما هو به، وقالوا للمستضعفين: هذه صفة النّبيّ المبعوث في آخر الزّمان، وأنّه يجيء بعد هذا الزّمان بخمسمائة سنة». كذا ورد[4]. ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ قال: «لتبقى لهم على ضعفائهم رياستهم، وتدوم لهم منهم إصاباتهم، ويكفّوا أنفسهم مؤنة خدمة رسول الله ﷺ»[5]. ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم﴾ قال: «شدّة العذاب ثانية[6] مضافة إلى الأولى»[7]. ﴿مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ قال: «من الأموال الّتي يأخذونها إذا ثبتوا عوامّهم على الكفر»[8].

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾. قيل: وهي الّتي عبدنا فيها العجل[9].

قال: «وهي تنقضي ثمّ نصير بعده في النّعمة في الجنان، ولانستعجل المكروه في الدّنيا

1 و2 ـ تفسير الإمام ﷺ: ٢٩٩
3، 4 و5 ـ المصدر: ٣٠٢ ـ ٣٠٣
6 ـ في «العبة»: ثانية»
7 و8 ـ تفسير الإمام ﷺ: ٣٠٢ ـ ٣٠٣
9 ـ البيضاوي 1: 156؛ و القمّي 1: 51

للعذاب الّذي هو بقدر أيّام ذنوبنا»[1] ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ قال: «إنّ عذابكم على كفركم منقطع غير دائم؟»[2]. ﴿فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ يعني، فإن اتّخذتم عهداً فلن يخلف الله عهده. ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. قال: «بل أنتم في أيّهما ادّعيتم كاذبون»[3]. قال: «بل ما هو إلّا عذاب دائم لانفاد له»[4]

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾. قال: «السيّئة المحيطة به أن تخرجه عن جملة دين الله، و تنزعه عن ولاية الله و تؤمّنه من سخط الله[5]؛ و هي الشرك بالله، والكفر به و بنبوّة محمّد، و ولاية عليّ وخلفائه عليهم السّلام. كلّ واحد من هذه سيّئة تحيط به، أي تحيط بأعماله فيبطلها و تمحقها»[6]. ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾: واذكروا إذ أخذنا ﴿مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال: «عهدهم المؤكّد عليهم»[7]

أقول: وهو جارٍ في أخلافهم لما أدّى إليهم أسلافهم قرناً بعد قرن، و جارٍ في هذه الأمّة أيضاً كما يظهر ممّا يأتي.

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ قال: «لاتشبّهوه بخلقه، ولاتجوّروه في حكمه، ولا تعملوا ما يراد به وجهه تريدون به وجه غيره»[8]. قال: «من شغله عبادة الله عن مسألته، أعطاه الله أفضل ما يعطي السّائلين»[9]

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾. «وأن تحسنوا بهما إحساناً، مكافأة عن إحسانهما إليكم وإنعامهما عليكم»[10]. «و أحقّ محمّد و عليّ اللّذين هما أبوا هذه الأمّة عليهم أعظم من

١ و ٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٠٤.

٣، ٤ و ٦ ـ المصدر: ٣٠٤ ـ ٣٠٥

٥ ـ في المصدر: «و ترميه في سخط الله»، و في بعض نسخ المصدر: «لاتؤمّنه من سخط الله»

٧ و ٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٢٦

٩ ـ المصدر: ٣٢٧، عن أبي محمّد عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله

١٠ ـ المصدر: ٣٢٦

حقّ أبوي ولادتهم، لأنّهما يتقذانهم من النّار إن أطاعوهما». كذا ورد[1]. ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾: «وأن تحسنوا بقراباتكم منهما لكرامتهما. ولحقّ قربى محمّد وعليّ أعظم من حقّ قربى أبوي النّسب، على قدر زيادة فضل محمّد وعليّ». كذا ورد[2] ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾: الّذين فقدوا آباءهم الكافين[3] لهم أمورهم. «وأشدّ منهم يتماً يتيم عن إمامه[4]، ابتلي بجهالة شرائع دينه، فمن علّمه و هداه من علماء الشيعة كان مع أئمّته في الرّفيق الأعلى». كذا ورد[5]. ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾: «مَنْ سَكَّنَ الضرُّ و الفقرُ حَرَكَتَه. وأفضل من مواساتهم، مواساة الّذين سكنت جوارحهم وضعفت قواهم عن مقاتلة أعداء الله، الّذين يعيّرونهم بدينهم ويسفّهون أحلامهم، بتقويتهم بفقهه وعلمه، حتّى أزال مسكنتهم، ثمّ سلّطهم على الأعداء الظّاهرة؛ من الإنس، والأعداء الباطنة؛ من مردة الأبالسة، حتّى يهزموهم عن دين الله». كذا ورد[6].

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ «كلّهم: مؤمنهم ومخالفهم؛ أمّا المؤمن فببسط الوجه والبشر؛ وأمّا المخالف فبالمداراة، ليكفّ بذلك شرّه عن نفسه وإخوانه». كذا ورد[7]. وفي رواية: «قولوا للنّاس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم»[8].

أقول: و أمّا ما ورد: «أنّها نزلت في أهل الذّمّة ثمّ نسخت بآية القتال»[9]، فلا ينافي

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٣٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٢ ـ المصدر: ٣٢٦ و٣٣٤
٣ ـ في المصدر: «الكافلين لهم».
٤ ـ والأوفق بالسّياق: «يتيم انقطع عن إمامه».
٥ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٢٦ و٣٣٩
٦ ـ المصدر: ٣٤٥ و٣٤٦.
٧ ـ المصدر: ٣٥٣ و٣٥٤
٨ ـ الكافي ٢: ١٦٥، الحديث: ١٠، عن أبي جعفر عليه السلام
٩ ـ الخصال ١: ٢٧٥، الحديث: ١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام

م قبله، لجواز كونها إنّما نسخت في حقّ المأمورين بقتالهم، وبقي حكمه في سائر النّاس.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ «أيها اليهود، عن الوفاء بالعهد الّذي أدّاه إليكم أسلافكم». كذا ورد[1]. ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ قال «عن ذلك العهد، تاركين له، غافلين عنه»[2].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾: لا يسفك بعضكم دماء بعض ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ قال: «لا يخرج بعضكم بعضاً»[3]. ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قال: «بذلك الميثاق، كما أقرّبه أسلافكم والتزمتموه كما التزموه»[4]. ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ قال: «بذلك على أسلافكم وأنفسكم»[5].

﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ قال: «معاشر اليهود»[6]. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: النّاقضون. وهذا مثل قول القائل: أنت ذلك الرّجل الّذي فعل كذا. وهو استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والإقرار به والشّهادة عليه. ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: «يقتل بعضكم بعضاً»[7]. ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ غضباً وقهراً عليهم[8]، كما فعل عثمان بأبي ذرّ، حين أخرجه إلى «الرّبذة» وكان قد أخبر به النّبيّ ﷺ أباذرّ، وقال له: «هذه الآية نزلت فيك وفي خصمك». كذا ورد[9]. ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ قال: «يظاهر بعضكم بعضاً على إخراج من تخرجونه وقتل من تقتلونه، بغير حقّ»[10]. ﴿بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ﴾ قال: «يعني هؤلاء الّذين تخرجونهم، أي: ترومون إخراجهم أو قتلهم ظلماً»[11]. ﴿أُسَٰرَىٰ﴾ قال: «قد أسرهم أعداؤكم و أعداؤهم»[12]. ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ قال: «من الأعداء بأموالكم»[13]

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٦٥
٢ المصدر: ٣٢٧
٣ ـ المصدر: ٣٦١
٤ إلى ٨ ـ المصدر: ٣٦٧
٩ ـ راجع: القمّي ١: ٥١ ـ ٥٤.
١٠ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٦٧
١١، ١٢ و ١٣ ـ المصدر: ٣٦٧

أقول: وهذا كما «اعترف به عثمان لأبي ذرّ أنّه يفديه بكلّ ما يملك إن أسره المشركون، ولم يرضوا إلاّ بذلك» كما ورد[١].

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾. «أعاد إخراجهم، لئلاّ يتوهّم أنّ المحرّم إنّما هو مفاداتهم». كذا ورد[٢].

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ قال: «وهو الذي أوجب عليكم المفاداة»[٣] ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ قال: «وهو الذي حرّم عليكم قتلهم وإخراجهم»[٤]. ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ قال: «ذلّ»[٥]. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: «جزية تضرب عليه ويذلّ بها»[٦]. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ قال: «التوراة المشتمل على الأحكام، ونبوّة محمّد، وإمامة عليّ وخلفائه»[٧]. ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ قال: «جعل رسولاً في أثر رسول»[٨]. ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ قال: «أعطيناه الآيات الواضحات: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والإنباء بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم»[٩]. ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ قال: «وهو جبرئيل»[١٠]. ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾ أيّها اليهود ﴿رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ قال: «عن الإيمان والاتّباع»[١١] ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ كموسى وعيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: «قتل أسلافكم زكريّا ويحيى، وأنتم

١ ـ راجع: القمّي ١: ٥١ ـ ٥٤.
٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٦٧.
٣، ٤، ٥ و ٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٦٨.
٧، ٨، ٩ و ١٠ ـ المصدر: ٣٧١.
١١ ـ البيضاوي ١: ١٦٩.

رمتم قتل محمّد ليلة العقبة، وقتل عليّ بالمدينة، فخيّب الله سعيكم و ردّ كيدكم في نحوركم». كذا ورد[1].

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلُفٌ﴾ - بضمّ اللام جمع غلاف - قال: «أي: أوعية للخير والعلوم قد أحاطت بها واشتملت عليها، ثمّ هي مع ذلك لاتعرف لك - يا محمّد - فضلاً مذكوراً في شيء من كتب الله، ولا على لسان أحد من أنبياء الله»[2]. قال: «وإذا قرئ "غُلْف" يعني: بسكون اللام جمع أغلف، فمعناه قلوبنا في غطاء، فلا نفهم كلامك وحديثك، كقوله تعالى: "وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ"[3]. - قال. - وكلا القراءتين حقّ، وقد قالوا بهذا وهذا جميعاً»[4] ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ قال: «أبعدهم من الخير»[5].

﴿فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾: «وإيماناً قليلاً[6]، يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض». كذا ورد[7].

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ قال: «يعني هؤلاء اليهود»[8] ﴿كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ قال: «القرآن»[9] ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: «يعني التوراة المشتمل على نبوّة نبيّنا، و ولاية عليّ». كذا ورد[10]. ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ﴾ قال: «أن ظهر محمّد بالرّسالة»[11]. ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ قال: «يسألون الله الفتح والظفر»[12]. ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: «من أعدائهم»[13].

«ويتوعّدونه به ويقولون: ليخرجنّ نبيّ، فليكسرنّ أصنامكم، وليفعلنّ بكم وليفعلنّ»[14]. «وإذا دهمهم أمر[15]، دعوا الله بمحمّد وآله الطّيبين، واستنصروا بهم، وكان الله يفتح لهم وينصرهم»[16].

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٧٩ - ٣٨٠.
٢، ٤، ٥ و ٧ ـ المصدر: ٣٩٠.
٣ـ فصّلت (٤١)، ٥.
٦ـ في النسخة و «ب»: «إيماناً قليلاً يؤمنون».
٨ إلى ١٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٩٣.
١٤ـ الكافي ٨: ٣١٠، الحديث ٤٨٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٥ـ أدهمه: ساءه، و دهمك - كسمع و منع -: غشيك. القاموس المحيط ٤: ١١٦ (دهم).
١٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٩٤.

أحدهم ليقع في الماء وما به إليه من حاجة، فيتعرّض لذلك الرّماد[1] فيشربه»[2]. وفي أُخرى: «أُمروا بشرب العجل الّذي كان قد ذُرّيت[3] سحالته في الماء الّذي أُمروا بشربه، ليتبيّن من عبده ممّن لم يعبده، باسوداد شفتيه وأنفه إن كان أبيض اللّون، وابيضاضها إن كان أسود؛ وذلك حين أنكروا عبادته لمّا أُمروا بقتل من عبده، فوصل ما شربوه من ذلك إلى قلوبهم»[4].

﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ قال: «بموسى والتّوراة أن تكفروا بي»[5]. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. قال: «كما تزعمون بموسى والتّوراة، ولكن معاذ الله! لا يأمركم إيمانكم بموسى والتّوراة الكفر بمحمّد ﷺ»[6].

﴿قُلْ﴾ قال: «قل يا محمّد لهؤلاء اليهود القائلين بأنّ الجنّة خالصة لنا من دونك ودون أهل بيتك، وإنّا مبتلون بك ونحن أولياء الله المخلصون»[7]. ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ قال: «الجنّة ونعيمها»[8]. ﴿عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ قال: «محمّد وأهل بيته ومؤمني أُمّته»[9]. ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. قيل: لأنّ في التّوراة مكتوباً أنّ أولياء الله يتمنّون الموت ولا يرهبونه[10]. والوجه في ذلك أنّ من أيقن أنّه من أهل الجنّة اشتاقها، وأحبّ التّخلّص إليها من الدّار ذات المحن. وفي رواية: «فتمنّوا الموت للكاذب منكم ومن مخالفيكم، ليستريح الصّادق منكما ويتّضح الحجّة؛ وذلك لأنّهم كانوا يدّعون أنّهم المجاب دعاؤهم»[11].

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من موجبات النّار، كالكفر بمحمّد وآله

١ ـ في المصدر: «بذلك للرّماد»
٢ ـ العيّاشي ١: ٥١، الحديث: ٧٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ ذرّيت: فرّقت
٤، ٥و٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٣٦.
٧، ٨و٩ ـ المصدر: ٤٤٣ ـ ٤٤٢
١٠ ـ القمّي ١: ٥٤.
١١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٤٣

والقرآن و تحريف التوراة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾ قال: «لِيأسهم عن نعيم الآخرة، لانهماكهم في كفرهم الّذي يعلمون أنّه لاحظّ لهم معه في شيء من خيرات الجنّة»[١] ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ قال: «وأحرص من الّذين اشركوا، يعني المجوس الّذين لايرون النّعيم إلّا في الدّنيا، ولايأملون خيراً في الآخرة»[٢]. ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: «يتمنّى»[٣] ﴿وَمَا هُوَ﴾ قال: «التّعمير ألف سنة»[٤] ﴿بِمُزَحْزِحِهِ﴾ قال: «مباعده»[٥] ﴿مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ «إنّما ابدل من الضّمير، و كرّر التّعمير، لئلاّ يتوهّم عوده إلى التّمنّي». كذا ورد[٦]. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ قال: «فعلى حسبه يجاريهم»[٧].

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾. «نزلت في اليهود الّذين قالوا لرسول الله ﷺ: لو كان الملك الّذي يأتيك ميكائيل لآمنّا بك، فإنّه ملك الرّحمة يأتي بالسّرور والرّخاء وهو صديقنا، وجبرئيل ملك العذاب ينزل بالقتل والشّدّة و الحرب و هو عدوّنا». كذا ورد[٨] ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ قال: «يعني نزّل هذا القرآن»[٩]. ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال: «بأمر الله»[١٠]. ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ «من كتب الله». كذا ورد[١١] ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال «شيعة محمّد وعليّ»[١٢].

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾

«وذلك قول من قال من النّصّاب، لمّا قال النّبيّ في عليّ: جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره و إسرافيل من خلفه وملك الموت أمامه و الله تعالى من فوق عرشه ناظر بالرّضوان

١ إلى ٧ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٤٤.
٨ ـ القمّي ١: ٥٤.
٩ و ١٠ و ١١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٤٩.
١٢ ـ المصدر: ٤٥١.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا﴾ قال: «من نعت محمّد وصفته»[1]. ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ قال: «جحدوا نبوّته حسداً له و بغياً عليه»[2]. ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ «باعوها بالهدايا والفضول الّتي كانت تصل إليهم من السّفلة، ورياستهم على الجهّال وبقاء عزّهم في الدّنيا و نيل المحرّمات، و كان الله أمرهم بشرائها من الله بطاعتهم له، ليجعل لهم أنفسهم والانتفاع بها دائماً في نعيم الآخرة». كذا ورد[3]. ﴿أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ قال: «أي على موسى من تصديق محمّد»[4]. وفي رواية: «بما أنزل الله في عليّ»[5]. ﴿بَغْيًا﴾: لبغيهم وحسدهم ﴿أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ «يعني تنزيل القرآن على محمّد الّذي أبان فيه نبوّته وأظهر به آيته ومعجزته [و فضائل أهل بيته عليهم السّلام][6]». كذا ورد[7].

﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ قال: «يعني رجعوا وعليهم الغضب من الله في أثر غضب، فالغضب الأوّل حين كذّبوا بعيسى، فجعلهم قردة خاسئين، ولعنهم على لسان عيسى عليه السلام، والغضب الثّاني حين كذّبوا بمحمّد صلى الله عليه وآله فسلّط عليهم سيوف أصحابه حتّى ذلّلهم بها، فإمّا دخلوا في الإسلام طائعين، وإمّا أعطوا الجزية صاغرين»[8]. ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي لهم. أظهر، ليبين عن السّبب، وله نظائر كثيرة في القرآن.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ قال: «على محمّد من القرآن»[9] ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ قال: «وهو التّوراة»[10]. ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ قال: «ما

١ و٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٣٩٣.
٣ و٤ ـ المصدر: ٤٠١ ـ ٤٠٢.
٥ ـ راجع: الكافي ١: ٤١٧، الحديث ٢٥؛ و العيّاشي ١: ٥٠، الحديث ٧٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ ما بين المعقوفتين ليس في المصدر.
٧ و٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٠٢.
٩ و١٠ ـ المصدر: ٤٠٤.

سواه»[1] ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ قال: «لأنّه هو النّاسخ للمنسوخ الّذي تقدّمه»[2] ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ وهو التّوراة ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ قال: «أي: فلِمَ كنتم تقتلون»[3] ﴿أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ «بالتّوراة، فإنّ فيها تحريم قتل الأنبياء، والأمر بالإيمان بمحمّد والقرآن، فما آمنتم بعد بالتّوراة». كذا ورد[4].

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ قال: «إلهاً»[5] ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ قال: «من بعد انطلاقه إلى الجبل، وخالفتم خليفته هارون»[6]. ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ بما فعلتم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا﴾ قال: «قلنا لهم: خذوا»[7]. ﴿مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ قال: «من هذه الفرائض»[8]. ﴿بِقُوَّةٍ﴾. قال: «قد أعطيناكموها ومكّناكم[9] بها»[10]. ﴿وَاسْمَعُوا﴾ قال: «ما يقال لكم وتؤمرون به»[11].

﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قال: «قولك»[12]. ﴿وَعَصَيْنَا﴾ قال: «أمرك»[13]. «قالوا: سمعنا بآذاننا وعصينا بقلوبنا، فأمّا في الظّاهر فأعطوا كلّهم الطّاعة، داخرين صاغرين». كذا ورد[14]. ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾. قيل: تداخلهم حبّه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به، كما يتداخل الصّبغ الثّوب، والشّراب أعماق البدن[15].

وفي رواية: «عمد موسى عليه السلام فبرد[16] العجل ثمّ أحرقه بالنّار وذرّه في اليمّ، فكان

١إلى ٤ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٠٤.
٥و٦ ـ المصدر: ٤٠٨.
٧، ٨ و١٠ ـ المصدر: ٤٢٤.
٩ ـ في «ب» و«ج»: «و مكّناكم».
١١إلى ١٤ ـ المصدر: ٤٢٥.
١٥ ـ البيضاوي ١: ١٧١.
١٦ ـ برد الحديد: سحله. والبُرادة: السُّحالة. والسُّحالة ـ بالضمّ ـ: ما سقط من الذّهب والفضّة إذا بُرِد. القاموس المحيط ١: ٢٨٦ و٣: ٤٠٥ (برد ـ سحل).

إليه ناصره. قال بعض النصّاب: أنا أبرأ من الله وجبرئيل وميكائيل و الملائكة الّذين حالهم مع عليّ ما قاله محمّد فقال الله: من كان عدوّاً لهؤلاء، تعصّباً على عليّ، فإنّ الله يعمل بهم ما يعمل العدوّ بالعدوّ». كذا ورد[1].

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ قال: «دالآت على صدقك في نبوّتك وإمامة أخيك عليّ»[2]. ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ قال: «الخارجون عن دين الله وطاعته، من اليهود والنّواصب»[3]

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قيل: كعيسى ومحمّد[4]. وفي رواية: «رسول من عندالله اي: كتاب من عند الله القرآن»[5]. ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ قال: «التوراة وساير كتب أنبياء الله»[6]. ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾: «تركوا العمل بما فيها من الامر باتّباعه حسداً». كذا ورد[7]. ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ قال: «ما تقرأه كفرة الشياطين، من السّحر والنّيرنجات[8]»[9]. ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ «على عهده. زعموا انّ سليمان كان كافراً ساحراً ماهراً به، وبذلك نال ما نال، و ملك ما ملك، و قدر على ما قدر. قالوا: ونحن أيضاً بالسّحر نظهر العجائب، حتّى ينقاد لنا النّاس ونستغني عن الانقياد لمحمّد واهل بيته». كذا ورد[10]. ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ قال: «ولا استعمل السّحر كما قال هؤلاء الكافرون»[11]. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ قال. «يعني كفروا

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٥١.
٢ و٣ ـ المصدر: ٤٥٩.
٤ ـ أنظر: البيضاوي ١: ١٧٤.
٥، ٦، ٧ و٩ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧١.
٨ ـ النّيرنج ـ بالكسر ـ: أخذ كالسّحر وليس به. القاموس المحيط ١: ٢١٧ (نرج).
١٠ و١١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧١ ـ ٤٧٢.

بتعليمهم النّاس السّحر الّذي نسبوه إلى سليمان»[1] ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ قال «وبتعليمهم إيّاهم ما أُنزل على الملكين»[2]. ﴿بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾

قال: «كان بعد نوح عليه السّلام قد كثر السّحرة والمموّهون، فبعث الله ملكين إلى نبيّ ذلك الزّمان بذكر ما يسحر به السّحرة وذكر ما يبطل به سحرهم ويردّ به كيدهم، فتلقّاه النّبيّ عن الملكين وأدّاه إلى عباد الله بأمر الله، وأمرهم أن يقفوا به على السّحر وأن يبطلوه، ونهاهم أن يسحروا به النّاس ـ قال: ـ وذلك النّبيّ أمر الملكين أن يظهرا للنّاس بصورة بشرين ويعلّماهم ما علّمهما الله من ذلك ويعظاهم»[3]

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ﴾ قال. «ذلك السّحر وإبطاله»[4] ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ قال. «للمتعلّم»[5]. ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ﴾ قال: «امتحان للعباد ليطيعوا الله فيما يتعلّمون، فيبطلوا به كيد السّحرة[6] ولا يسحروا»[7] ﴿فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ قال: «باستعمال هذا السّحر»[8]

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا﴾ قال: «ممّا تتلوا الشّياطين وممّا أُنزل على الملكين»[9]. ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ قال: «بتخلية الله[10] وعلمه، فإنّه لو شاء لمنعهم بالجبر والقهر»[11] ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ﴾ قال: «في دينهم»[12].

﴿وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ﴾ فيه

﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ﴾ قال: «هؤلاء المتعلّمون»[13] ﴿لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ﴾ قال: «بدينه الّذي ينسلخ عنه بتعلّمه»[14]. ﴿مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ﴾ قال: «من نصيب في ثواب الجنّة.

---

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧١ـ٤٧٢.

٢ و٣. المصدر: ٤٧٢ـ٤٧٣.

٤، ٥، ٨ و٩ ـ المصدر: ٤٧٣.

٦ ـ في «الف»: «كيد السّحر».

٧ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧٣، وفيه وفي «ج»: «ولا يسحروا لهم».

١٠ ـ خلّى الأمر وتخلّى منه وعنه: تركه. القاموس المحيط ٤: ٣٢٧ (خلا).

١١ إلى ١٤ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧٤ـ٤٧٥.

وذلك لأنّهم يعتقدون أن لا آخرة»[1] ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا﴾ قال: «باعوا»[2] ﴿بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ قال: «لو رهنوها بالعذاب»[3]. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ قال: «أي: راعِ أحوالنا وراقبنا وتأنّ بنا فيما تلقّن حتّى نفهمه. وذلك لأنّ اليهود لمّا سمعوا المسلمين يخاطبون رسول الله بقولهم: "راعنا" وكان "راعنا" في لغتهم سبّاً بمعنى: اسمع لا سمعت، قال بعضهم لبعض: لو كنّا نشتم محمّداً إلى الآن سرّاً فتعالوا الآن نشتمه جهراً، فكانوا يقولون له "راعنا" يريدون به شتمه، ففطن بذلك سَعْدُ بن مُعاذ، فلعنهم وأوعدهم بضرب أعناقهم لو سمعها منهم، فنزلت». كذا ورد[4]. ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾: انظر إلينا ﴿وَاسْمَعُوا﴾. قال: «إذا قال لكم أمراً وأطيعوا»[5] ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾: الشاتمين ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: «آية بيّنة وحجّة معجزة لنبوّته وشرفه وشرف أهل بيته». كذا ورد[6] ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ قال: «بنبوّته»[7] وفي رواية: «توفيقه لدين الإسلام وموالاة محمّد وعليّ»[8]. ﴿مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ قال: «بأن نرفع حكمها»[9]. ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ قال: «بأن نرفع

١ إلى ٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧٤-٤٧٥.

٤ـ البرهان ١: ١٣٩، الحديث ١، عن موسى بن جعفر عليهما السلام، مع تفاوت.

٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٧٩، وفيه: «إذا قال لكم رسول الله قولاً وأطيعوه».

٦ـ المصدر: ٤٨٩.

٧ـ مجمع البيان ١-٢: ١٧٩، عن أمير المؤمنين وأبي جعفر عليهما السلام.

٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٨٩.

٩ـ المصدر: ٤٩١.

رسمها ونسي[1] عن القلوب حفظها»[2]. ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾ قال: «بما هو أعظم لثوابكم وأجلّ لصلاحكم»[3]. ﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾ قال: «من الصلاح لكم. يعني إنّا لا ننسخ ولا نبدّل إلّا وغرضنا في ذلك مصالحكم»[4] «وذلك لأنّ المصالح تختلف باختلاف الأعصار والأشخاص، فإنّ النافع في عصر وبالنسبة إلى شخص قد يضرّ في غير ذلك العصر وفي حقّ غير ذلك الشخص». كذا ورد[5]. قيل: نزلت حين قالوا: إنّ محمّداً يأمر أصحابه بأمر، ثمّ ينهى عنه ويأمر بخلافه[6]. ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ قال: «يلي صلاحكم»[7]. ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ قال: «ينصركم من مكروه إن أراد إنزاله بكم»[8].

﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ قال: «بل تريدون يا كفّار قريش واليهود»[9]. ﴿أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ قال: «ما تقترحونه من الآيات الّتي لا تعلمون هل فيه[10] صلاحكم أو فسادكم»[11]. ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ قال[12]: «واقترح عليه لمّا قيل له: "لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ"[13]». ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ قال: «بما يوردونه

١ـ في المصدر: «أزيل».
٢، ٣ و٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٩١.
٥ـ الاحتجاج ١: ٤٤ و٤٥؛ وتفسير الإمام عليه السلام: ٤٩٣ و٤٩٤.
٦ـ البيضاوي ١: ١٧٨.
٧ و٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٤٩١.
٩، ١١ و١٢ـ المصدر: ٤٩٦.
١٠ـ كذا في النسخ، ولعلّ الصواب «فيها» كما في المصدر.
١٣ـ البقرة (٢): ٥٥، والآية «فأخذتكم الصاعقة».

عليكم من الشبه»[1] ﴿حَسَدًا﴾ لكم ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ قيل: يعني من عند تشهيهم، لا من عند تدينهم[2]. ﴿مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ قال: «فيهم بالقتل يوم فتح مكة»[3]. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ كصلاة و إنفاق مال أو جاه ﴿تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ تجدوا ثوابه. قال: «تحطّ به سيّآتكم وتضاعف به حسناتكم وترفع به درجاتكم»[4]. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَقَالُوا﴾ قال: «يعني اليهود و النّصارى. قالت اليهود»[5]: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ قال: «أي: يهوديّاً»[6]. ﴿أَوْ نَصَارَىٰ﴾ قال: «يعني وقالت النّصارى: لن يدخل الجنّة إلّا من كان نصرانيّاً»[7]. ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ قال: «التي يتمنّونها بلا حجّة»[8]. ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ لمّا سمع الحقّ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ قال: «في عمله لله»[9]. ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ قال: «حين يخاف الكافرون»[10]. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قال: «حين الموت لأنّ البشارة بالجنان تأتيهم»[11].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ قال: «من الدّين، بل دينهم باطل وكفر»[12] ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ قال: «من الدّين، بل دينهم باطل و كفر، و ذلك لأنّ كلّاً من الفريقين مقلّد بلاحجّة». كذا ورد[13]. ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ

١ و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥١٥. والشُّبَه جمع: «الشُّبهة»

٢ـ البيضاوي ١: ١٨٠

٤ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٢٠

٥، ٦ و٧ـ المصدر: ٥٢٦

٨ـ المصدر ٥٢٧

٩، ١٠ و١١ـ المصدر: ٥٤٣

١٢ و١٣ـ المصدر ٥٤٤.

﴿الْكِتَابَ﴾ قال: «ولا يتأمّلونه ليعملوا بما يوجبه، فيتخلّصوا من الضّلالة»[١] ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ قال: «يكفّر بعضهم بعضاً»[٢] ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ لئلاّ تعمر بطاعة الله. وهو عامّ وإن نزل خاصّاً. قال: «هي مساجد خيار المؤمنين بمكّة لمّا منعوهم من التّعبّد فيها بأن ألجأوا رسول الله ﷺ إلى الخروج عن مكّة»[٣] وفي رواية: «مساجد الدّنيا كلّها بأن همّوا بقتل النّبيّ والوصيّ»[٤]. ﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ من المؤمنين أن يبطشوهم[٥]. فهو وعد للمؤمنين بالنّصرة واستخلاص المساجد منهم. وقد أنجز وعده بفتح مكّة لمؤمني ذلك الزّمان، وسينجزه لعامّة المؤمنين حين ظهور العدل. قال: «حتّى تعيّن من عدله وحكمه النّافذ عليهم أن يدخلوها كافرين بسيوفه وسياطه»[٦]. وفي رواية مقطوعة: «يعني لا يقبلون الإيمان إلاّ والسّيف على رؤوسهم»[٧].

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ قال: «وهو طردهم عن الحرم»[٨] ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يعني ناحيتي الأرض. أي: له كلّه ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ إذ لا يخلو منه مكان ولا يخفى عليه خافية ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

ورد: «إنّها نزلت في التّطوّع خاصّة. قال: وصلّى رسول الله ﷺ إيماءً على راحلته أينما توجّهت به، حيث خرج إلى خيبر وحين رجع من مكّة وجعل الكعبة خلف

١ و٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٤٤.

٣، ٦ و٨ ـ المصدر: ٥٦٠

٤ ـ المصدر: ٥٦٠، عن عليّ بن الحسين عليه السلام

٥ ـ كذا في النّسخ ولعلّ الصّواب: «أن يبطشوا بهم» وبطش به: أخذه بالعنف والسّطوة. القاموس المحيط ٢: ٢٧٣ (بطش)

٧ ـ العيّاشي ١: ٥٦، الحديث: ٧٩

ظهره»[1] وفي رواية: «نزلت في قبلة المتحيّر»[2].

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قالت اليهود: عزير ابن الله و قالت النصارى: المسيح ابن الله وقالت مشركوا العرب: الملائكة بنات الله. ﴿سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بل كلّه ملك له: "عزير" و "المسيح" و "الملائكة" وغيرهم. ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ منقادون، مقرّون له بالعبوديّة طبعاً وجبلّةً، لا يمتنعون عن مشيّته وتكوينه، فكيف يكونون مجانسين له؟ ومن حقّ الولد أن يجانس والده.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: «ابتدع الأشياء كلّها بعلمه على غير مثال كان قبله»[3]. ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أراد فعله وخلقه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ قال: «لا بصوت يقرع، ولا بنداء يسمع، و إنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه، يقول ولا يلفظ ويريد و لا يضمر»[4]. و «إرادته للفعل: إحداثه»[5].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: جهلة المشركين وغير العاملين بعلمهم من أهل الكتاب: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ فقالوا أرنا الله جهرة ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في العمى والعناد ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ فلا عليك إن أصرّوا أو كابروا ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾. وورد: «إنّه على النّهي»[6] وقد قرئ به.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. مبالغة في إقناطه من

١ ـ العيّاشي ١: ٥٦، الحديث: ٨٠: عن أبي جعفر عليه السلام
٢ ـ من لايحضره الفقيه ١: ١٧٩، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ الكافي ١: ٢٥٦، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ نهج البلاغة (للصبحي الصّالح): ٢٧٤، الخطبة: ١٨٦.
٥ ـ الكافي ١: ١٠٩، الحديث: ٣، عن أبي الحسن عليه السلام
٦ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ١٩٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

بإسلامهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ هذا من قبيل: إيّاك أعني واسمعي يا جارة.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال: «بالوقوف عند ذكر الجنّة والنّار يسأل في الأولى ويستعيذ في الأخرى»[1]. وورد: «هم الأئمّة».[2] ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ قال: «فريضة»[3].

وفي رواية: «فداء»[4] ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾. كرّر ذلك وختم به الكلام معهم، مبالغة في النّصح وإيذاناً بأنّه فذلكة القصّة والمقصود منها.

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ قال: «هي الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه وهي قوله: يا ربّ أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين»[5] ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: «يعني إلى القائم اثني عشر إماماً»[6]. والقمّي: هي ما ابتلاه به ممّا أراه في نومه من ذبح ولده فأتمّها إبراهيم بالعزم والتّسليم[7]. ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. قال: «لا يكون السّفيه إمام التّقيّ»[8]. قال: «فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصّفوة»[9].

١ـ مجمع البيان ١: ١٩٨؛ والعيّاشي ١: ٥٧، الحديث: ٨٤، عن أبي عبدالله (ع).
٢ـ الكافي ١: ٢١٥، الحديث: ٤، عنه (ع).
٣و٤ـ العيّاشي ١: ٥٧، الحديث: ٨٥و٨٦، عن أبي عبدالله (ع).
٥و٦ـ الخصال: ٣٠٤ـ٣٠٥، الحديث: ٨٤، عن أبي عبدالله (ع).
٧ـ القمّي ١: ٥٩.
٨ـ الكافي ١: ١٧٥، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله (ع).
٩ـ عيون أخبار الرّضا (ع) ١: ٢١٧، الباب: ٢٠، ذيل الحديث: ١.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾: مرجعاً ومحلّ عود ﴿وَأَمْنًا﴾ قال: «من دخل الحرم من النّاس مستجيراً به فهو آمن من سخط الله، ومن دخله من الوحش والطّير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتّى يخرج من الحرم»[1] ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ هو الحجر الّذي عليه أثر قدمه. قال: «يعني بذلك ركعتي طواف الفريضة»[2]. ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ قال: «نحّيا عنه المشركين»[3]. ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾. قال: «وينبغي للعبد أن لا يدخله إلّا وهو طاهر قد غسل عنه العرق والأذى وتطهّر»[4].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ قال: «من ثمرات القلوب، أي: حبّبهم إلى النّاس لينتابوا إليهم[5] ويعودوا»[6].

أقول: ويؤيّد هذا قوله عليه السّلام في سورته: "فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ"[7]. وفي رواية: «لمّا دعا بذلك، أمر الله بقطعة من الأردن[8] فسارت بثمرها حتّى طافت بالبيت ثمّ أمرها أن تنصرف إلى هذا الموضع المسمّى بالطّائف، ولذلك سمّي الطّائف»[9]

﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. قال: «إيّانا عنى بذلك وأولياءه وشيعة وصيّه»[10]. ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ﴾ أرزقه أيضاً ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ

١ ـ الكافي ٤: ٢٢٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام
٢ ـ التّهذيب ٥: ١٣٨، الحديث: ١٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام
٣ ـ القمّي ١: ٥٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ علل الشّرايع ٢: ٤١١، الباب: ١٥١، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام
٥ ـ تنابهم انتياباً: أتاهم مرّة بعد أخرى. القاموس المحيط ١: ١٤٠ (النّوب).
٦ ـ القمّي ١: ٦٢، عن أبي عبدالله عليه السلام
٧ ـ إبراهيم (١٤): ٣٧.
٨ ـ الأردن كالأحمر: ضرب من الخزّ. القاموس المحيط ٤: ٢٢٩ (الرّدن).
٩ ـ علل الشّرايع ٢: ٤٤٢ ـ ٤٤٣، الباب: ١٨٩، الحديث: ٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام
١٠ ـ العيّاشي ١: ٥٩، الحديث: ٩٦، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام

﴿النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ عذاب النّار. قال: «عنى بذلك من جحد وصيّه ولم يتبعه من أمّته»[1].

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيّاتنا.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾: منقادين مخلصين ﴿لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾. واجعل بعض ذرّيّتنا ﴿أُمَّةً﴾: جماعة يؤمّون، أي يقصدون ويقتدى بهم ﴿مُسْلِمَةً لَكَ﴾ قال: «هم أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً»[2]. وفي رواية: «بنو هاشم»[3]. ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾: عرّفنا متعبّداتنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾: في الأمّة المسلمة ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ قال: «يعني من تلك الأمّة»[4]. عن النّبيّ ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم»[5]. ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: من استهانها وأذلّها واستخفّ بها. قيل: بكسر الفاء متعدّ وبضمّها لازم[6]. ورد: «ما أحد على ملّة إبراهيم إلّا نحن وشيعتنا، وسائر النّاس منها براء»[7]. ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

١ـ العيّاشي ١: ٥٩، الحديث: ٩٦، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٢ـ الكافي ٥: ١٤، الحديث: ١؛ والتّهذيب ٦: ١٢٨، الحديث: ٢٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣و٤ـ العيّاشي ١: ٦٠ـ٦١، الحديث: ١٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٦٢.
٦ـ راجع: البيضاوي ١: ١٨٩.
٧ـ المحاسن للبرقي ١: ١٤٧، الباب: ١٦، الحديث: ٥٤، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، وفيه وفي «ج»: «بُرآء».

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾ أي: بالملّة، أو بهذه الكلمة أعني كلمة: "أسلمت لربّ العالمين" ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾: ووصّى بها يعقوب أيضاً بنيه ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾: دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ إنكار؛ يعني ما كنتم حاضرين ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ أراد به تقريرهم على التّوحيد والإسلام، وأخذ ميثاقهم على الثّبات عليهما. ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾. عدّ إسماعيل من آبائه؛ لأنّ العرب تسمّي العمّ والجدّ أباً؛ لوجوب تعظيمهما كتعظيمه. وفي الحديث: «عمّ الرّجل صنو أبيه»[1]. ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾. تصريح بالتّوحيد ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾: لكلّ أجر عمله، ولا ينفعكم انتسابكم إليهم ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: لا تؤاخذون بسيّئاتهم، كما لا تثابون بحسناتهم.

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ قالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النّصارى: كونوا نصارى ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: بل نكون أهل ملّة إبراهيم متّبعين له ﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن كلّ دين إلى دين الحقّ. قال: «الحنيفيّة هي الإسلام»[2]. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يعني إبراهيم. تعريض بأهل الكتابيّن، فإنّهم كانوا يدّعون اتّباع ملّة إبراهيم، وهم مع ذلك كانوا على الشّرك.

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾. قال: «عنى بالخطاب عليّاً وفاطمة والحسن والحسين

1- سنن الدّارمي ٢: ١٢٣. والصّنو: الأخ الشّقيق والابن والعمّ. النّخلتان ممّا زاد في الأصل الواحد كلّ واحد منهما صنو. القاموس المحيط ٤: ٣٥٥ (الصّنو)

2- البرهان ١: ١٥٦، الحديث ٤؛ والعيّاشي ١: ٦١، الحديث: ١٠٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

وجرت بعدهم في الأئمة»[1]. ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ يعني القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ يعني الصحف. «و الأسباط»: حفدة يعقوب ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ يعني التوراة والإنجيل ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾ جملة، المذكورون منهم وغير المذكورين ﴿مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ كاليهود، نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ﴾: لله ﴿مُسۡلِمُونَ﴾.

﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ﴾ قال: «أي: سائر الناس»[2]. ﴿بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾ قال: «في كفر»[3].

أقول: وأصله المخالفة والمناواة، فإنّ كلّ واحد من المتخالفين في شقّ غير شقّ الآخر.

﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ تسلية وتسكين للمؤمنين و وعد لهم بالحفظ و النّصر على مناواهم. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بإخلاصكم.

﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾: صبّغنا الله صبغته، وهي فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها. قال: «هي الإسلام»[4]. وفي رواية: «صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق»[5]. ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ﴾: لا صبغة أحسن من صبغته ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ تعريض بهم، أي: لا نشرك به كشرككم.

﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾: أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه نبيّاً من العرب؟ قيل: إنّ أهل الكتاب قالوا: الأنبياء كلّهم منّا، وديننا أقدم، وكتابنا أسبق، فلو كنت نبيّاً لكنت منّا، فنزلت[6] ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ﴾. لا اختصاص له بقوم دون قوم، يصيب برحمته من

١ ـ الكافي ١: ٤١٥ ـ ٤١٦، الحديث: ١٩؛ و العيّاشي ١: ٦٢، الحديث: ١٠٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ العيّاشي ١: ٦٢، الحديث: ١٠٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ الكافي ٢: ١٤، الحديث: ٢؛ و مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ الكافي ١: ٤٢٢ ـ ٤٢٣، الحديث: ٥٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ راجع: البيضاوي ١: ١٩٤.

يشاء ﴿ وَلَنَا أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ موحّدون، نخلصه[1] بالإيمان والطّاعة دونكم.

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ وقد نفى الله عن إبراهيم اليهوديّة والنّصرانيّة، حيث قال: «مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَ لاَ نَصْرَانِيّاً»[2]. ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ إنكار، قيل: يعني لاأحد أظلم من أهل الكتاب، حيث كتموا شهادة الله لإبراهيم بالحنيفيّة، والبراءة من اليهوديّة والنّصرانيّة، أو منّا لو كتمنا هذه الشّهادة؛ وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمّد ﷺ بالنّبوّة في كتبهم وغيرها[3]. ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وعيد لهم.

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

لعلّ المراد بالأمّة هناك الانبياء، وهنا أسلاف اليهود و النّصارى، أو الخطاب هناك لليهود، وها هنا لنا، فلا تكرار.

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ يريد المنكرين لتغيير القبلة، وفائدة تقديم الإخبار به توطين النّفس و إعداد الجواب. ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ ﴾: ما صرفهم ﴿ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ قال: «يعني بيت المقدس»[4]. ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ قال: «يملكهما. وتكليفه التّحوّل إلى جانب، كتحويله لكم إلى جانب آخر»[5]. ﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. «هو مصلحهم و مؤدّيهم بطاعته إلى جنّات النّعيم، أيّة جهة يعرف صلاحكم في استقبالها، في أيّ وقت يأمركم به». كذا ورد[6].

١ ـ كذا في النّسخ، و لعلّ الأصحّ: نتخلّص له.
٢ ـ آل عمران(٣) ٦٧
٣ ـ راجع. البيضاوي ١: ١٩٤.
٤و٥ ـ تفسير الإمام ﷺ ٤٩٣ ـ ٤٩٤؛ و مجمع البيان ١ ـ ٢. ٢٢٢ ـ ٢٢٣
٦ ـ التفسير. ٤٩٣؛ والاحتجاج ١ : ٤٤؛ عن أبي الحسن العسكري ﷺ

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ القمّي: ائمّةً عدلاً وواسطة بين الرّسول والنّاس[1]. ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ يعني يوم القيامة. قال: «نحن الأمّة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه وسمائه»[2]. وفي رواية: «إنّ الله تعالى إيّانا عنى بقوله: " لتكونوا شهداء على النّاس " فرسول الله شاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه، وحجّته في ارضه، ونحن الذين قال الله: " وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً "»[3]. وفي أخرى: «اظننت انّ الله عنى بهذه الآية جميع اهل القبلة من الموحّدين؟ أفترى انّ من لا تجوز شهادته في الدّنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟ كلاّ؛ لم يعن الله مثل هذا من خلقه، يعني الأمّة الّتي وجبت لها دعوة إبراهيم؛ " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ "[4]، هم الائمة[5] الوسطى وهم خير أمّة أخرجت للنّاس»[6].

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾ يعني بيت المقدس ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾: يرتدّ عن دينه إلفاً لقبلة آبائه. قال: «يعني إلاّ لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجد، وذلك انّ هوى اهل مكّة كان في الكعبة، فاراد الله ان يبيّن متّبع[7] محمّد ممّن خالفه باتّباع القبلة الّتي كرهها، ومحمّد يامر بها؛ ولمّا

١ ـ القمّي ١: ٦٣.
٢ ـ العيّاشي ١: ٦٢، الحديث: ١١٠؛ والبرهان ١: ١٥٩، الحديث: ٧، عن ابي جعفر عليه السلام. كلمة «وسمائه» ليست في المصدر.
٣ ـ شواهد التنزيل ١: ٩٢.
٤ ـ آل عمران (٣): ١١٠.
٥ ـ في المصدر: «وهم الأمّة الوسطى»؛ وفي نسخة «الف» و«ج»: «وهم الائمّة الوسطى».
٦ ـ العيّاشي ١: ٦٣، الحديث: ١١٤؛ والبرهان ١: ١٦٠، الحديث: ١٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ في المصدر: «متّبعي محمّد».

كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس، أمرهم بمخالفتها والتوجّه إلى الكعبة، ليتبيّن من يوافق محمّداً فيما يكرهه، فهو مصدّقه و موافقه»[1] ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ يعني الصّلاة إلى بيت المقدس في ذلك الوقت ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ وعرف أنّ الله يتعبّد بخلاف ما يريده المرء، ليبتلي طاعته في مخالفة هواه ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يعني صلاتكم. قال: «نزلت حين قال المسلمون: أرأيت صلاتنا الّتي كنّا نصلّي إلى بيت المقدس ما حالنا فيها وحال من مضى من أمواتنا؟ قال: فسمّى الصّلاة إيماناً»[2] ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾. قال: «إنّ النّبيّ ﷺ صلّى إلى بيت المقدس بعد النّبوّة ثلاث عشرة سنة بمكّة، وتسعة عشر شهراً بالمدينة، ثمّ عيّرته اليهود، فقالوا له: إنّك تابع لقبلتنا، فاغتمّ لذلك غمّاً شديداً، فلمّا كان في بعض اللّيل خرج يقلّب وجهه في آفاق السّماء، فلمّا أصبح صلّى الغداة، فلمّا صلّى من الظّهر ركعتين جاءه جبرئيل بهذه الآية، ثمّ أخذ بيده فحوّل وجهه إلى الكعبة، وحوّل من خلفه وجوههم حتّى قام الرّجال مقام النّساء والنّساء مقام الرّجال»[3]. قيل: إنّما كان يتوقّع من ربّه أن يحوّله إلى الكعبة، لأنّها كانت قبلة أبيه إبراهيم، وأقدم القبلتين، وأدعى للعرب إلى الإيمان، ولمخالفة اليهود[4].

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: نحوه. وإنّما ذكر المسجد اكتفاء بمراعاة الجهة ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾: خصّ الرّسول بالخطاب تعظيماً له

١ ـ الاحتجاج ١: ٤٥ـ٤٦، عن أبي محمّد العسكري ﷺ.
٢ ـ العيّاشي ١: ٦٣، الحديث: ١١٥، عن أبي عبدالله ﷺ.
٣ ـ من لايحضره الفقيه ١: ١٧٨، الحديث: ٨٤٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٤ ـ البيضاوي ١: ١٩٧.

وإيجاباً لرعته، ثمّ عمّ[1] تصريحاً بعموم الحكم جميع الأمكنة وسائر الأمّة، وتأكيداً لأمر القبلة، وتحضيضاً للأمّة على المتابعة. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ قيل: لعلمهم بتخصيص كلّ شريعة بقبلة ولتضمّن كتبهم انّه يصلّي إلى القبلتين[2]. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾. وعد ووعيد للفريقين.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾: برهان وحجة ﴿مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾؛ لانّ المعاند لاتنفعه الدّلالة ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾. قطع لاطماعهم. ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لتصلّب كلّ بما هو فيه. ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾. من قبيل: إيّاكِ أعني واسمعي يا جارة.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: علماءهم ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾: يعرفون محمّداً بنعته وصفته ومبعثه ومهاجره وصفة أصحابه في التّوراة والانجيل ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ قال: «أنّك الرّسول إليهم»[3]. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشاكّين.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾: ولكلّ قوم قبلة وملّة وشرعة ومنهاج يتوجّهون إليها ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾: الله موليها إيّاهم ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: الطّاعات، وفي رواية «الولاية»[4].

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ قيل: أينما متّم في بلاد الله يأت بكم الله إلى المحشر[5]. وورد: «إنّها نزلت في أصحاب القائم، وإنّهم المفتقدون من فرشهم ليلاً

١. في "ج": "عمم".
٢. البيضاوي ١: ١٩٨.
٣. الكافي ٢: ٢٨٣، الحديث: ١٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤. الكافي ٨: ٣١٣، الحديث: ٤٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥. البيضاوي ١: ١٩٩.

فيصبحون بمكّة، وبعضهم يسير في السّحاب نهاراً؛ نعرف اسمه[1] واسم أبيه وحليته ونسبه»[2] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ﴾ للسفر في البلاد ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ إذا صلّيت ﴿وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ﴾: وإنّ التوجّه إلى الكعبة للحقّ الثابت المأمور به من ربّك ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾. التكرير لتأكيد أمر القبلة؛ لأنّ النّسخ من مظانّ الفتنة والشّبهة؛ ولأنّه نيط بكلّ واحد ما لم ينط بالآخر، فاختلفت فوائدها. ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾ كحجّة يهود بأنّ المنعوت في التّوراة قبلته الكعبة، وبأنّه يجحد ديننا ويتّبع قبلتنا، وكحجّة المشركين بأنّه يدّعي ملّة إبراهيم ويخالف قبلته. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾. قيل: إلّا الحجّة الدّاحضة من المعاندين بأنّه ما تحوّل إلى الكعبة إلّا ميلاً إلى دين قومه وحبّاً لبلده، أو بدا له فرجع إلى قبلة آبائه، ويوشك أن يرجع إلى دينهم[3]. ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾ فإنّ مطاعنهم لاتضرّكم ﴿وَٱخۡشَوۡنِي﴾ فلا تخالفوا ما أمرتكم به ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾. قال: «تمام النّعمة دخول الجنّة»[4]. وفي رواية: «الموت على الإسلام»[5].

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾ بالطاعة ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ بالثّواب. ورد: «إنّ الله لم يذكره أحد من عباده

١ـ في المصدر: يعرف باسمه.

٢ـ كمال الدّين ٢: ٦٧٢، الباب ٥٨، الحديث: ٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ البيضاوي ١: ٢٠٠.

٤ـ كنز العمّال ٢: ١٧، الحديث: ٢٩٦٥.

٥ـ راجع: البيضاوي ١: ٢٠١.

المؤمنين إلّا ذكره بخير، فأعطوا الله من أنفسكم الاجتهاد في طاعته»[١] وورد: «ذكر الله لأهل الصّلاة أكبر من ذكرهم إيّاه»[٢] ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ ما أنعمت به عليكم ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بجحد النّعم وعصيان الأمر. قال: «أريد بالكفر كفر النّعم»[٣] وورد: «شكر كلّ نعمة الورع عمّا حرّم الله»[٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ «هذا لمن استقبل البلايا بالرّحب، وصبر على سكينة ووقار؛ وهو صبر الخواصّ». كذا ورد[٥].

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ قال: «المؤمن إذا قبضه الله صيّر روحه في قالب كقالبه في الدّنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم، عرفوه بتلك الصّورة الّتي كانت في الدّنيا»[٦].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ بالجنة. «هذا لمن صبر كرهاً ولم يشكُ إلى الخلق ولم يجزع بهتك ستره وهو صبر العوامّ». كذا ورد[٧].

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾. قال: «كلّ شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة»[٨] ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾. قال: «إقرار على أنفسنا بالملك»[٩]. ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. قال: «إقرار على أنفسنا بالهلك»[١٠]. وورد: «ما من عبد يصاب بمصيبة فيسترجع عند ذكره المصيبة

١ - الكافي ٨: ٧ و ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام في رسالته إلى جماعة الشيعة.
٢ - القمّي ٢: ١٥٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ - الكافي ٢: ٣٩٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ - الخصال ١: ١٤، الحديث: ٥٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ و٧ - مصباح الشريعة: ١٨٦، الباب: ٨٨، في الصّبر، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ - الكافي ٣: ٢٤٥، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ - البيضاوي ١: ٢٠٢، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٩ و١٠ - نهج البلاغة (للصبحي الصّالح): ٤٨٥، الحكمة: ٩٩.

ويصبر حين تفجأه إلاّ غفر الله له ما تقدّم من ذنبه، وكلّما ذكر مصيبة فاسترجع عند ذكرها غفر الله له كلّ ذنب فيما بينهما»[1].

﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾.

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ ﴾. هما علما جبلين بمكّة ﴿ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾: من أعلام مناسكه ﴿ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾. قال: «إنّ رسول الله ﷺ شرط في عمرة القضاء أن يرفعوا الأصنام من الصفا والمروة ثلاثة أيّام حتّى يسعى، فتشاغل رجل عن السّعي حتّى انقضت الأيّام وأعيدت الأصنام، فشكى إلى النّبيّ ﷺ فنزلت. يعني: لا جناح عليه أن يطّوّف بهما وعليهما الأصنام»[2]. وفي رواية: «إنّ المسلمين كانوا يظنّون أنّ السّعي بينهما شيء صنعه المشركون، فنزلت»[3]. ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ﴾

قال: «كأحبار اليهود الكاتمين للآيات الشاهدة على أمر محمّد وعليّ ـ عليهما السّلام ونعتهما وحليتهما، وكالنّواصب الكاتمين لما نزل في عليّ»[4]. ﴿ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾. قال: «كلّ من يتأتّى منه اللّعن حتّى أنفسهم، فإنّهم يقولون: لعن الله الظّالمين»[5].

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ قال: «من كتمانهم»[6]. ﴿ وَأَصْلَحُوا ﴾ قال: «أعمالهم وما كانوا أفسدوه»[7]. ﴿ وَبَيَّنُوا ﴾ ما كتموا ﴿ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ بالقبول والمغفرة ﴿ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾: المبالغ في قبول التّوبة وإفاضة الرّحمة.

١ ـ الكافي ٣: ٢٢٤، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ البرهان ١: ١٦٩، الحديث: ٣؛ والكافي ٤: ٤٣٥، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف يسير.
٣ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٤٠؛ والبرهان ١: ١٦٩، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤، ٥، ٦ و٧ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧١ ـ ٥٧٠.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ قال: «استقرّ عليهم البعد من الرّحمة»[1].

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ قال: «في اللّعنة في نار جهنّم»[2] ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ قال: «يوماً ولا ساعة»[3] ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يمهلون.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: «أي: بلا عمد من تحتها يمنعها من السّقوط، ولا علاقة من فوقها تحبسها من الوقوع عليكم، وأنتم أيّها العباد والإماء أسرائي في قبضتي، الأرض من تحتكم لا منجا لكم منها أين هربتم، والسّماء من فوقكم لا محيص لكم عنها أين ذهبتم، فإن شئتُ أهلكتكم بهذه، وإن شئتُ أهلكتكم بتلك، ثمّ ما في السّماوات من الشّمس المنيرة في نهاركم لتنتشروا في معايشكم، ومن القمر المضيء لكم في ليلكم لتبصروا في ظلماتها، وإلجائكم بالاستراحة في الظّلمة إلى ترك مواصلة الكدّ الّذي ينهك أبدانكم»[4].

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ قال: «المتتابعَين الكارّين[5] عليكم بالعجائب الّتي يحدثها ربّكم في عالمه، من إسعاد وإشقاء، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإفقار، وصيف وشتاء، وخريف وربيع، وخصب وقحط، وخوف وأمن»[6]. ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ قال: «الّتي جعلها الله مطاياكم، لا تهدأ[7] ليلاً ولا نهاراً،

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٢، وفيه: «يوجب الله تعالى لهم البعد من الرّحمة».
٢ و٣ ـ المصدر: ٥٧٢.
٤ ـ المصدر: ٥٧٥. وينهك أبدانكم أي: يتعب ويضني. الصّحاح ٤: ١٦١٣ (نهك).
٥ ـ كرّ عليه اللّيل والنّهار: عادا مرّة بعد أُخرى. وفي المصدر: «الكادّين» ـ بالدّال المهملة ـ من الكدّ بمعنى الشّدة والإلحاح في الطّلب فتكون كناية عن عدم تخلّفهما. وما في المتن أبلغ وأنسب بالمقام.
٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٥.
٧ ـ لا تهدأ: أي: لا تسكن. والمطايا جمع للمطيّة وهي النّاقة الّتي يُركَب مَطاها أي ظهرها. النّهاية ٥: ٢٤٩، و٤: ٣٤٠ (هدأ ـ مطا).

ولا تقتضيكم[1] علفاً ولا ماءً، وكفاكم بالرّياح مؤنة تسييرها بقواكم الّتي لا تقوم لها لو ركدت عنها الرّياح، لتمام مصالحكم و منافعكم و بلوغكم الحوائج لأنفسكم»[2]

﴿ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ ﴾ قال: «وابلاً و هطلاً و رذاذاً، لا ينزل عليكم دفعة واحدة فيغرقكم ويهلك معايشكم، لكنّه ينزل متفرّقاً من علا، حتّى يعمّ الأوهاد والتّلال والتّلاع»[3]. ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ قال: «فيخرج نباتها وحبوبها وثمارها»[4]. ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ قال: «منها ما هي لأكلكم ومعايشكم، ومنها سباع ضارية، حافظة عليكم أنعامكم، لئلاّ تشذّ[5] عليكم خوفاً من افتراسها لها»[6]

﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ﴾ قال: «المربّية لحبوبكم، المبلّغة لثماركم، النّافية لركود الهواء والأقتار[7] عنكم»[8]. ﴿ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ ﴾ قال: «المذلّل الواقف»[9]. ﴿ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال: «يحمل أمطارها ويجري بإذن الله ويصبّها حيث يؤمر»[10]. ﴿ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ قال: «دلائل واضحات لقوم يتفكّرون فيها بعقولهم»[11].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ﴾ من الأصنام والرّؤساء الّذين

١ ـ في المصدر: «تقضيكم» من قضّى الشّيء بمعنى فنى و انصرم و لكن ما في المتن أوفق بالعبارة.
٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٥ ـ ٥٧٦.
٣ ـ المصدر: ٥٧٦. الوَهْد: الأرض المنخفضة. و التّل من التّراب: قطعة منه ارتفع قليلاً عمّا حوله و الجمع: تلال. و التّلعة: ما انهبط من الأرض و مسيل الماء. و في المصدر: القلاع بدل التّلاع. و القُلاع ـ بضمّ القاف ـ الطّين الّذي يتشقّق إذا نضب عنه الماء و قشر الأرض يرتفع عن الكمأة فيدلّ عليها. «راجع: القاموس المحيط».
٤ ـ المصدر: ٥٧٦
٥ ـ في: «الف»: «يشذّه» و في المصدر: «تشدّ» بالدّال المهملة
٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٦.
٧ ـ كأنّه جمع قتره بمعنى الغبرة أي يذهب الأغبرة و الأبخرة المجتمعة في الهواء الموجبة لكثافته و عفنها قاله المجلسي في البحار ٣: ٥٥
٨ إلى ١١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٦.

يطيعونهم. قال: «هم أئمة الظلم وأشياعهم»[١]. ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾. يأتي تفسير محبّة الله في آل عمران إن شاء الله[٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ لأنهم يرون الربوبيّة والقدرة لله، لايشركون به شيئاً، فمحبّتهم خالصة له. قال: «هم آل محمّد»[٣] ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ قال: «باتّخاذ الأصنام أنداداً لله سبحانه، والكفّار والفجّار أمثالاً لمحمّد وعلي»[٤]. ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ جواب "لو" محذوف، أي: لندموا أشدّ الندم.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾ قال: «الرؤساء»[٥]. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ قال: «الرعايا والأتباع»[٦]. ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ قال: «فنيت حيلتهم ولايقدرون على النّجاة من عذاب الله بشيء»[٧].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ قال: «الأتباع»[٨]. ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ قال: «يتمنّون لو كان لهم رجعة إلى دار الدّنيا»[٩]. ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ قال: «منهم»[١٠]. ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ قال: «منا»[١١]. ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾. قال: «وذلك أنّهم عملوا في الدّنيا لغير الله أو على غير الوجه الّذي أمر الله، فيرونها لاثواب لها، ويرون أعمال غيرهم الّتي كانت لله قد عظّم الله ثوابها»[١٢]. وفي رواية: «يدع ما له بخلاً فينفقه غيره في طاعة الله، فيراه حسرة؛ أو في معصية الله فكان قد أعانه عليها، فيراه حسرة»[١٣].

١ ـ العيّاشي ١: ٧٢، الحديث: ١٤٢؛ والكافي ١: ٣٧٤، الحديث: ١١؛ والبرهان ١: ١٧٢، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ ذيل الآية: ٣١.

٣ ـ العيّاشي ١: ٧٢، الحديث: ١٤٣؛ والبرهان ١: ١٧٢، الحديث: ٤، عن الصّادقين عليهم السّلام.

٤ إلى ٨ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٧٨.

٩ إلى ١٢ ـ المصدر: ٥٧٨.

١٣ ـ الكافي ٤: ٤٢، الحديث: ٢؛ والعيّاشي ١: ٧٢، الحديث: ١٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ لكم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ قال: «ما يخطو بكم إليه، ويغريكم به من مخالفة الرّسول»[١] قيل: نزلت في قوم حرّموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس[٢]. ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: ظاهر العداوة.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ قيل: هو ما أنكره العقل[٣]. ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ قيل: هو ما استقبحه الشرع[٤]. ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ كاتّخاذ الأنداد، وتحليل المحرّمات وتحريم الطيّبات. ورد: «إيّاك وخصلتين، ففيهما هلك من هلك: إيّاك أن تفتي النّاس برأيك، أو تدين بما لا تعلم»[٥].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾: وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ قال: «من الدّين والمذهب»[٦]. ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾: جهلة لا يتفكّرون في أمر الدّين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحقّ والصّواب.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾: يصيح، من نعق الرّاعي بغنمه: إذا صاح بها[٧]. ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾. قال: «أي: مثلهم في دعائك إيّاهم إلى الإيمان كمثل النّاعق في دعائه المنعوق به، من البهائم الّتي لا تفهم، وإنّما تسمع الصّوت»[٨].

أقول: أراد - عليه السّلام - أنّ مثل داعيهم إلى الإيمان كمثل داعي البهائم، يعني أنّهم لانهماكهم في التّقليد لا يلقون آذانهم إلى ما يتلى عليهم، و لا يتأمّلون فيما يقرّر

١ - تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨١، وفيه «و يغريكم به».
٢ - راجع: التّبيان ٢: ٧٢؛ و مجمع البيان ١ - ٢: ٢٥٢.
٣ و ٤ - راجع: البيضاوي ١: ٢٠٩.
٥ - الكافي ١: ٤٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ - تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٢.
٧ - راجع: الصّحاح ٤: ١٥٥٩ (نعق).
٨ - مجمع البيان ١ - ٢: ٢٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

معهم، فهم في ذلك كالبهائم الّتي ينعق عليها فتسمع الصّوت ولا تعرف مغزاه وتحسّ النّداء ولا تفهم معناه.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ قال: «عن الهدى»[1] ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ قال: «على ما رزقكم منها»[2].

أقول: بأن تعتقدوا بأنّ النّعمة من الله، وأن تصرفوا النّعمة فيما خلقت لأجله، وتحمدوا الله بألسنتكم.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: إن صحّ أنّكم تختصّونه بالعبادة وتقرّون أنّه مولى النّعم.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ قال: «الّتي ماتت حتف أنفها بلا ذباحة من حيث أذن الله»[3]. ﴿وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ قال: «ما ذكر اسم غير الله عليه من الذّبائح، وهي الّتي يتقرّب بها الكفّار بأسامي أندادهم الّتي اتّخذوها من دون الله»[4].

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ قال: «إلى شيء من هذه المحرّمات»[5]. ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قال: «الباغي: الّذي يخرج على الإمام، والعادي: الّذي يقطع الطّريق»[6]. وفي رواية: «الباغي: الّذي يبغي الصّيد بطراً ولهواً، لا ليعود به على عياله، والعادي: السّارق؛ ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرّا»[7]. ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في تناول هذه الأشياء. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ قال: «ستّار لعيوبكم»[8]. ﴿رَّحِيمٌ﴾ قال: «بكم حين أباح لكم في الضّرورة ما حرّمه في الرّخاء»[9].

١ ـ تفسير الإمام ﷺ: ٥٨٣.
٢ ـ المصدر: ٥٨٤، وفي «الف»: «على ما رزقناكم منها».
٣، ٤ و ٥ ـ المصدر: ٥٨٥.
٦ ـ الكافي ٦: ٢٦٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٢١٧، ذيل الحديث: ١٠٠٧، عن محمّد بن علي الرّضا عليهما السّلام.
٨ و ٩ ـ تفسير الإمام ﷺ: ٥٨٥ ـ ٥٨٦.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ . «عرضاً يسيراً من الدّنيا، كمال أو رياسة عند الجهّال». كذا ورد[1] ﴿أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ . ملأ بطونهم ﴿إِلَّا النَّارَ﴾ قال: «بدلاً من إصابتهم اليسير من الدّنيا لكتمانهم الحقّ»[2] .

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال: «بكلام خير»[3] . ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ قال: «من ذنوبهم»[4] وقيل: و لايثني عليهم[5] . و إنّهما كنايتان عن غضبه تعالى عليهم، وتعريض لحرمانهم عن الزّلفى من الله. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ في الدّنيا ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ في الآخرة ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ . قال: «على فعل ما يعلمون أنّه يصيّرهم إلى النّار»[6] .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ قال: «بأن قال بعضهم: إنّه سحر، و قال آخر: إنّه شعر، و قال آخر: إنّه كهانة»[7] ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ : خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحقّ.

﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾ قال: «الطّاعة الّتي تنالون بها الجنان، وتستحقّون بها الغفران والرّضوان»[8] . ﴿أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ قال: «بصلواتكم»[9] . ﴿قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ «ردّ على الّذين اكثروا الخوض في أمر القبلة من أهل الكتاب حين حوّلت، مدّعياً كلّ طائفة انّ البرّ هو التّوجّه إلى قبلتها، والمشرق قبلة النّصارى، والمغرب قبلة اليهود». كذا ورد[10] .

١ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٥ ـ ٥٨٦.
٢، ٣ و ٤ ـ المصدر: ٥٨٦.
٥ ـ راجع: البيضاوي ١: ٢١١.
٦ ـ البرهان ١: ١٧٥، الحديث: ١ و ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٦ ـ ٥٨٧.
٨ و ٩ ـ المصدر: ٥٩٠، وفيه «بصلاتكم».
١٠ ـ راجع: تفسير الإمام عليه السلام: ٥٨٩.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ ﴾: بِرّ من آمن ﴿ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ قال: «على حبّه للمال وشدّة حاجته إليه، يأمل الحياة ويخشى الفقر لأنّه صحيح شحيح»[1] ﴿ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ قال: «ذوي قرابته[2] الفقراء برّاً وصدقة، وذوي قرابة النّبيّ الفقراء برّاً وهديّة لاصدقة»[3]. وكذا قال في اليتامى ﴿ وَٱلْمَسَٰكِينَ ﴾ قال: «مساكين النّاس»[4] ﴿ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ قال: «المجتاز الذي لانفقة معه»[5]. ﴿ وَٱلسَّآئِلِينَ ﴾ قال: «الّذين يتكفّفون»[6]. ﴿ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ وفي تخليصها: قال: «المكاتبين، يعينهم ليؤدّوا حقوقهم فيعتقوا»[7]. ﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾. عطف على "من آمن". ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ ﴾ نصبه على المدح، ولم يعطف، لفضل الصّبر على ساير الأعمال. قال: «يعني في محاربة الأعداء، ولاعدوّ يحاربه أعدى من إبليس»[8]. وفي رواية: «نفسه»[9]. ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ قال: «الفقر والشّدّة»[10]. ﴿ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾ قال: «عند شدّة القتال»[11].

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ﴾ قال: «صدقوا في إيمانهم، وصدّقوا أقاويلهم بأفاعيلهم»[12] ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ قال: «لما أمروا باتّقائه»[13]. وورد: «من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان»[14].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ قال: «يعني المساواة وأن

١، ٣، ٤، ٥، ٦ و٧ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٢.
٢ ـ الضّمير في "قرابته" يرجع إلى المعطي وفي المصدر: «وأتى قرابة نفسه صدقة وبرّاً وعلى أيّ سبيل أراده».
٨، ١٠، ١١، ١٢ و١٣ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٤.
٩ ـ راجع: الكافي ٢: ٣٣٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والبحار ٦٧: ٦٤، الحديث: ١، عن عدّة الدّاعي، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.
١٤ ـ البيضاوي ١: ٢١٣.

يسفك بالقتل في طريق المقتول الّذي سلكه به لمّا قتله»[1]. وورد: «هي لجماعة المسلمين، ما هي للمؤمنين خاصّة»[2]. ﴿ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰ﴾. قال: «إنّها ناسخة لقوله تعالى: «النّفس بالنّفس» الآية»[3] وإنّه «لا يُقتَلُ حرٌّ بعبد؛ ولكن يضرب ضرباً شديداً ويغرم دية العبد، ولا يقتل الرّجل بالمرأة، إلّا إذا أدّي إلى أهله نصف ديته»[4].

﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ﴾ أي: الجاني الّذي عفي له ﴿مِنۡ أَخِيهِ﴾ الّذي هو وليّ الدّم قيل: ذكر الأُخوّة ليعطف عليه «شَيۡءٞ» من العفو[5]، وهو العفو من القصص دون الدّية ﴿فَٱتِّبَاعُۢ﴾. فليكن اتّباع من العافي، أي مطالبة بالدّية ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ بأن لا يظلم الجاني بأخذ الزّيادة ولا يعنّفه ﴿وَأَدَآءٌ﴾ من الجاني ﴿إِلَيۡهِ﴾ أي إلى العافي ﴿بِإِحۡسَٰنٖ﴾ «بأن لايماطله ولايضارّه، بل يشكره على عفوه». كذا ورد في تفسير هذه الآية[6]. ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ إذ لو لم يكن إلّا القتل أو العفو، لقلّما طابت نفس وليّ المقتول بالعفو بلاعوض، فكان قلّما يسلم القاتل من القتل. ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ بأن يقبل الدّية أو يعفو أو يصالح، ثمّ يجيء بعد، فيمثل أو يقتل ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ قال: «لأنّ من همّ بالقتل فعرف أنّه يقتصّ منه فكفّ لذلك عن القتل، كان حياة للّذي همّ بقتله، وحياة لهذا الجاني الّذي أراد أن يقتل، وحياة لغيرهما من النّاس؛ إذا علموا أنّ القصاص واجب، لايجسرون على القتل مخافة

---

١ و٢ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٤.
٣ ـ المائدة (٥): ٤٥، وتمام الآية: «وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞ» الآية.
٤ ـ راجع: القمّي ١: ٦٥؛ والعيّاشي ١: ٧٥، الحديث: ١٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ البيضاوي ١: ٢١٤.
٦ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٥، ولكن ليست فيه جملة: «بل يشكره على عفوه».

القصاص»[1]. ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾. قيل: ناداهم للتأمّل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح، وحفظ النفوس[2]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾: حضر أسبابه وظهر أماراته ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ «مالاً كثيراً». كذا ورد[3] ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالشيء الذي يعرف العقل أنّه لاجور فيه ولاجنف[4]. ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾. ورد: «إنّها منسوخة بآية المواريث»[5] وحمل على التقيّة لموافقته مذاهب العامّة، ومخالفته لما ورد: «أنّه سئل عن الوصيّة للوارث؟ فقال: تجوز. ثمّ تلا هذه الآية»[6]. وفي معناه أخبار أخر[7].

أقول: نسخ الوجوب لاينافي بقاء الجواز.

وورد: «من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممّن لايرث فقد ختم عمله بمعصية»[8].
وفي رواية: «أنّه شيء جعله الله لصاحب هذا الأمر. سئل: هل لذلك حدّ؟ قال: أدنى ما يكون ثلث الثلث»[9].

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. وعيد للمبدّل بغير حقّ. ورد: «أعطه لمن أوصى به له وإن كان يهودياً أو نصرانياً، وأنّه يغرمها

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٥٩٥، وفيه: «لايجترؤن» بدل «لايبصرون».
٢ـ البيضاوي ١: ٢١٥.
٣ـ الدرّ المنثور ١: ١٧٤؛ ومجمع البيان ١ـ٢: ٢٦٧.
٤ـ في «الف»: «ولا حيف» وكلاهما بمعنى واحد وهو الجور والميل عن الحقّ، ولعلّ ما أثبتناه أنسب لقول بعض اللغويين: إنّ الجنف يختصّ بالوصيّة، ولكونه متخذاً من الآية الآتية.
٥ـ العيّاشي ١: ٧٧، الحديث: ١٦٧؛ ومجمع البيان ١ـ٢: ٢٦٧، عن أحدهما عليهما السلام.
٦ـ الكافي ٧: ١٠، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ الكافي ٧: ٩، باب الوصيّة للوارث، الحديث: ١، ٢، ٣ و٤؛ والعيّاشي ١: ٧٦، الحديث: ١٦٤؛ ومجمع البيان ١ـ٢: ٢٦٧.
٨ـ من لايحضره الفقيه ٤: ١٣٤، الحديث: ٤٦٦؛ والعيّاشي ١: ٧٦، الحديث: ١٦٦؛ ومجمع البيان ١ـ٢: ٢٦٧. وفي «الف» وفيه: «بمعصية».
٩ـ من لايحضره الفقيه ٤: ١٧٥، الحديث: ٦١٥؛ والعيّاشي ١: ٧٧، الحديث: ١٦٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

إذا خالف»[1].

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ قال: «ميلاً عن الحقّ بالخطأ أو التعمّد»[2].

وفي رواية: «إذا اعتدى في الوصيّة وزاد على الثلث»[3]. ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الورثة والموصى لهم ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في التبديل؛ لأنّه تبديلُ باطلٍ إلى الحقّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ورد: «إنّ قوله: "فَمَنْ بَدَّلَهُ" منسوخ بقوله: "فَمَنْ خَافَ". قال: يعني الموصى إليه إن خاف جنفاً من الموصي فيما أوصى به إليه فيما لا يرضى الله به من خلاف الحقّ، فلا إثم على الموصى إليه أن يردّه إلى الحقّ وإلى ما يرضى الله به من سبيل الخير»[4].

وفي رواية: «إنّ الله أطلق للموصى إليه أن يغيّر الوصيّة إذا لم تكن بالمعروف وكان فيها جنف، ويردّها إلى المعروف»[5].

وفي أخرى: «مثل رجل يكون له ورثة، فيجعل المال كلّه لبعض ورثته ويحرم بعضها. قال: فالجنف: الميل إلى بعض ورثتك دون بعض، والإثم: أن تأمر بعمارة بيوت النيران واتّخاذ المسكر، فيحلّ للوصيّ أن لا يعمل بشيء من ذلك»[6].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾. قال: «لذّة النداء أزال تعب العبادة

١ـ الكافي ٧: ١٤، الحديث: ١ و٢؛ والعيّاشي ١: ٧٧، الحديث: ١٦٩، عن أبي عبدالله عليه السلام. والظاهر أنّ جملة: «أو أنّه يعمر بها إذا خالف» ليست ذيل الرّواية المذكورة؛ بل هي مضمون الحديث الآخر المروي في العيّاشي ١: ٧٧، الحديث: ١٧٠.

٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٦٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ العيّاشي ١: ٧٨، الحديث: ١٧٣؛ وعلل الشرائع ٢: ٥٦٧، الباب: ٣٦٩، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ١: ٧٨، الحديث: ١٧٢؛ والكافي ٧: ٢١، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ـ الكافي ٧: ٢٠، الحديث: ١، وفيه: «أو كان فيها حيف».

٦ـ القمّي ١: ٦٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

والعماه»[1]. وقال: «فيه وفي "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ" هذه كلّها تجمع الضُّلّال والمنافقين، وكلّ من أقرّ بالدّعوة الظّاهرة»[2]. ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ قال: «من الأنبياء والأمم، أوّلهم آدم»[3].

أقول: يعني أنّه عبادة قديمة ما أخلى الله أمّة من إيجابها عليهم، لم يوجبها عليكم وحدكم. ففيه ترغيب وتطييب.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي، فإنّ الصّيام يكسر الشّهوة الّتي هي معظم أسبابها. ورد: «من لم يستطع الباه[4] فليصم، فإنّ الصّوم له وجاء»[5].

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾: مرضاً يضرّه الصّوم ويعسر؛ لقوله: "وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ"[6]. قال: «هو مؤتمن عليه مفوّض إليه، فإن وجد ضعفاً فليفطر، وإن وجد قوّة فليصم، كان المريض على ما كان»[7]. وقال: «كلّ ما أضرّ به الصّوم، فالإفطار له واجب»[8]. ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾. حدّ السّفر وشرائطه في وجوب الإفطار يطلب من كتابنا الوافي[9]. ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ هذا نصّ في وجوب الإفطار على المريض والمسافر، كما ورد في أخبار كثيرة، حتّى قالوا: «الصّائم في شهر رمضان في السّفر كالمفطر فيه في الحضر،

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٧١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٧٨، الحديث: ١٧٥، عن أبي عبدالله عليه السلام. والآية في نفس السّورة: ٢١٦.
٣ـ راجع: جوامع الجامع ١: ١٠٣.
٤ـ في «ب» و«ج»: «الباءة».
٥ـ الكافي ٢: ١٨٠، الحديث: ٢، عن أحدهما عليهما السّلام؛ والمقنعة للمفيد: ٤٩٧ باب السنّة في النّكاح، وفيه: «فليُكثر من الصّوم»؛ والوسائل ٧: ٣٠٠. والوجاء: أن ترضّ أنثيا الفحل رضّاً شديداً يذهب شهوة الجماع ويتنزّل في قطعه منزلة الخصي. وقيل: هو أن توجأ العروق، والخصيتان بحالهما. أراد أنّ الصّوم يقطع النّكاح كما يقطعه الوجاء. النّهاية ٥: ١٥٢ (وجأ).
٦ـ البقرة (٢): ١٨٥.
٧ـ الكافي ٤: ١١٨، الحديث: ٣، وفيه: «كان المريض ما كان».
٨ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٨٤، الحديث: ٣٧٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ الوافي ١١: ٣٠٩.

وعليه القضاء[1]. ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ قال: «كانوا يطيقونه، فأصابهم كبر أو عطاش أو شبه ذلك»[2]. وفي رواية. «الّذين يطيقونه: الشّيخ الكبير، والّذي يأخذه العطاش»[3].

أقول: في الرّواية الأولى إشكال، وفي الثّانية إجمال، ولعلّ المراد بهم: الّذين يكون الصّيام بقدر طاقتهم، ويكونون معه على مشقّة وعسر، فإنّ من كان كذلك، لم يكلّفه الله به على الحتم، بل خيّره بينه وبين الفدية توسيعاً منه جلّ و عزّ، و رحمةً؛ وذلك لأنّ الله سبحانه لايكلّف نفساً إلّا وسعها، «والوسع دون الطّاقة» كما ورد به النّص[4]. يدلّ على ما قلت قوله تعالى. ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[5]، فإنّه يدلّ على أنّ المطيق هو الّذي يقدر على الصّيام حدّاً في القدرة دون الحدّ الّذي اوجب عليه، فإنّه إذا اختار المشقّة على السّعة كان أعظم أجراً، فحكم الآية باق ليس بمنسوخ كما زعمته قوم، وهذا بعينه معنى الرّواية الثّانية.

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ يعني إن افطروا، يتصدّقون عن كلّ يوم بما يجتزي به مسكين. وفي رواية: «مدّ»[6]. ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: زاد في مقدار الفدية ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟﴾ أيّها المطيقون فهو ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الفدية وتطوّع الخير ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ صمتم.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ أي: الأيّام المعدودات هي شهر رمضان. ورد: «إنّما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأمم، ففضّل الله به هذه الأمّة، وجعل صيامه فرضاً على رسول الله ﷺ، وعلى أمّته»[7]. ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ يعني أنزل بيانه وتأويله

١ـ الكافي ٤: ١٢٧، الحديث ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام، وليست فيه «وعليه القضاء».
٢ـ الكافي ٤: ١١٦، الحديث ١٥ و من لايحضره الفقيه ٢: ٨٤، الحديث ٣٧٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٧٨و٧٩، الحديث: ١٧٦و١٧٩؛ و الكافي ٤: ١١٦، الحديث ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ معالم التّنزيل (للبغوي) ١: ٢٧٤.
٥ـ البقرة (٢): ١٨٤.
٦ـ العيّاشي ١: ٧٩، الحديث ١٨١؛ والكافي ٤: ١١٦، الحديث ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٦١، الحديث ٢٦٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

في ليلة القدر منه، وأمّا تنزيله، فكان من ابتداء بعثة النبيّ إلى أوان وفاته ﷺ كذا يستفاد ممّا ورد[1]. وفي رواية: «نزل القرآن جملة[2] واحدةً في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمّ نزل في طول عشرين سنة»[3] ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ أي أُنزل في ليلة القدر بيانه، وتأويل متشابهه ليكون هدىً للناس ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾: بتفريق المحكم من المتشابه، وبتقدير الأشياء، وتبيين خصوص الوقايع التي تصيب الخلق في كلّ سنة إلى ليلة القدر الآتية، وذلك يكون في كلّ عصر وزمان لصاحب ذلك العصر والزّمان. والفرقان: هو المحكم الواجب العمل به، وهو بعينه ما قال الله عزّ وجلّ في الدّخان: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ"[4] أي محكم. كذا المستفاد ممّا ورد[5].

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾: فمن حضر في الشّهر، ولم يكن مسافراً ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ قال: «ما أبينها، من شهد فليصمه، ومن سافر فلا يصمه»[6]. وورد: «ليس للرّجل إذا دخل شهر رمضان أن يخرج إلّا في حجّ، أو عمرة، أو مال يخاف تلفه، أو أخ يخاف هلاكه، وليس له أن يخرج في إتلاف مال أخيه؛ فإذا مضت ليلة ثلاث وعشرين فليخرج حيث شاء»[7]. ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾. كرّر ذلك، تأكيداً للأمر بالإفطار، وأنّه عزيمة لايجوز تركه.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ فلذلك أمركم بالإفطار في المرض

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٧٦؛ ومعالم التنزيل (للبغوي) ١: ٢١٨.

٢ـ في «الف»: «جملاً واحدة».

٣ـ العيّاشي ١: ٨٠، الحديث ١٨٤؛ والكافي ٢: ٦٢٨، الحديث ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ الآية ٣ و٤.

٥ـ العيّاشي ١: ٨٠، الحديث ١٨٥؛ ومجمع البيان ١ـ٢: ٢٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ الكافي ٤: ١٢٦، الحديث ١؛ ومن لايحضره الفقيه ٢: ٩١، الحديث ٤٠٤؛ والتّهذيب ٤: ٢١٦، الحديث: ٦٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٧ـ التّهذيب ٤: ٢١٦، الحديث: ٦٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

والسفر ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾: عدّة أيام الشهر بالصيام ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ «ولتعظّموا الله وتمجّدوه على هدايته إيّاكم. أريد به تكبير صلاة العيد». كذا ورد[1]. وفي رواية «التكبير عقيب الصلوات الاربع في العيد»[2]. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ تسهيله الامر لكم.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾: فقل لهم: إنّي قريب. روي. «انّ اعرابيّاً قال لرسول الله ﷺ: أقريب ربّنا فنناجيه ام بعيد فنناديه؟ فنزلت»[3].

أقول: مثلُ قربه تعالى مثلُ معيّته، فكما انّ معيّته ليست بممازجةٍ ومداخلةٍ، ومفارقته ليست بمباينةٍ ومزايلةٍ، فكذلك قربه ليس باجتماع وأين، وبعده ليس بافتراق وبين، وإنّما يجد قربه من عبَدَه كأنّه يراه، وامّا بُعده من بَعُدَ عنه، مع تساوي نسبة قربه إلى جميع عباده فهو كما انّ لك رقيباً وهو حاضر عندك وانت عنه في عمى، لاتراه ولاتشعر بحضوره.

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾. تقرير للقرب، و وعد للداعي بالاجابة. «ومن لم يجد الإجابة فقد اخلّ بشرط الدّعاء». كذا ورد[4]. ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ إذا دعوتهم للإيمان والطاعة، كما اجبتهم إذا دعوني لمهامّهم. ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ قال: «وليتحقّقوا أنّي قادر على إعطائهم ما سألوه»[5]. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ قال: «لعلّهم يصيبون الحقّ ويهتدون إليه»[6].

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾. كناية عن المواقعة؛ لانّه قلّما يخلو

١ـ من لايحضره الفقيه ١: ٣٣١، الحديث ١٤٨٨، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام
٢ـ الكافي ٤: ١٦٦، الحديث ١؛ والعيّاشي ١: ٨٢، الحديث ١٩٣ و ١٩٥، عن أبي عبدالله عليه السلام
٣ـ الدّرّ المنثور ١: ١٩٤؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢٧٨
٤ـ الكافي ٢: ٤٨٦، الحديث ٨؛ ومصباح الشّريعة: ١٣٣، الباب ٦٢، في الدّعاء، عن أبي عبدالله عليه السلام
٥و٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

من رفث[1]، وهو الإفصاح بما يجب أن يكنّى عنه. ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ بيان لسبب الإحلال وهو قلّة الصبر عنهنّ وكثرة مخالطتهنّ. ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ من الخيانة، أي تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظّها من الثواب ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾. ورد: «كان الأكل محرّماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم، والنكاح حراماً بالليل والنهار، فنام رجل قبل أن يفطر، وحضر حفر الخندق، فأغمي عليه، وكان قوم من الشبّان ينكحون بالليل سرّاً، فنزلت»[2]. ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قيل: من الولد أو من الإباحة بعد الحظر[3]، فإنّ الله يحبّ أن يؤخذ برُخَصه كما يحبّ أن يؤخذ بعزائمه.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ قال: «بياض النهار من سواد الليل»[4]. وفي رواية: «هو الفجر الذي لا شكّ فيه»[5]. وفي أخرى: «ليس هو الأبيض صعداء، إنّ الله لم يجعل خلقه في شبهة من هذا، وتلا هذه الآية»[6]. وسئل: آكُلُ في شهر رمضان بالليل حتّى أشكّ؟ قال: «كُلْ حتّى لا تشكّ»[7].

﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾: معتكفون فيها. والاعتكاف أن يحبس نفسه في الجامع للعبادة. ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: حرمات الله

١ـ الرَّفَث ـ محرّكة ـ: كلام متضمّن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وجعل في الآية كناية عن الجماع. «المفردات: رفث». وعن الأزهري: الرّفث كلمة جامعة لكلّ ما يريده الرّجل من المرأة. النّهاية ٢: ٢٤١ (رفث).

٢ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٨٠؛ والعيّاشي ١: ٨٣، الحديث: ١٩٧؛ والقمّي ١: ٦٦، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والدّرّ المنثور ١: ١٩٧.

٣ـ الكشّاف ١: ٣٣٨، وفي «ألف»: «من الولد أو الإباحة بعد الحظر».

٤ـ العيّاشي ١: ٨٤، الحديث: ٢٠٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٨٢، الحديث: ٣٦٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ التّهذيب ٢: ٣٧، ذيل الحديث: ٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٧ـ التّهذيب ٤: ٣١٨، الحديث: ٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

ومناهيه ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾. ورد: «إنّ لكلّ ملك حمى، وإنّ حمى الله محارمه، فمن رتع[1] حول الحمى، يوشك أن يقع فيه»[2]. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾: لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بِالْبَاطِلِ﴾. «بالوجه الّذي لم يشرعه الله كالقمار، وكاليمين الكاذبة، والدّين الّذي ليس له ما يؤدّيه». كذا ورد[3]. ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾: ولا تلقوا أمرها إلى الحكّام ﴿لِتَأْكُلُوا﴾ بالتّحاكم ﴿فَرِيقًا﴾: طائفة ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾: بما يوجب إثماً كشهادة الزّور، واليمين الكاذبة ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطلون. قال: «هو أن يعلم الرّجل أنّه ظالم، فيحكم له القاضي، فهو غير معذور في أخذه ذلك الّذي حكم له»[4]. وقال: «قد علم الله أنّه يكون حكّام يحكمون بغير الحقّ فنهى أن يتحاكم إليهم»[5].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾: عن زيادتها ونقصانها ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾: معالم يوقّت بها النّاس عباداتهم ومزارعهم ومتاجرهم ومحالّ ديونهم وعدد نسائهم. و ورد: «لصومهم و فطرهم و حجّهم»[6] ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾. قال: «كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها، وإنّما يدخلون ويخرجون من نقب ينقبونه[7] في مؤخّرها، ويعدّون ذلك برّاً فنهوا عن التّدين بها»[8].

١ـ رتَعَ: أكل و شرب ما شاء في خِصْبٍ و سعةٍ. «القاموس المحيط ٣: ٢٨ ـ رتع» و رتع حول الحمى أي: يطوف به و يدور حوله.

٢ـ الكشّاف ١: ٢٤٠، عن النّبيّ ﷺ.

٣ـ الكافي ٥: ١٢٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ١: ٨٥، الحديث: ٢٠٦، عن أبي الحسن الثّاني عليه السلام.

٥ـ القمّي ١: ٦٧، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام.

٦ـ التّهذيب ٤: ١٦٦، الحديث: ٤٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٧ـ في «الف»: «ينقبون».

٨ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ قال: «ما حرّم الله»[1]. ﴿وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ قال: «يعني أن يأتي الأمر من وجهه أيّ أمر كان»[2].

أقول: ومنه أخذ أحكام الدّين عن أمير المؤمنين وعترته الطّيّبين؛ لأنّهم أبواب مدينة علم النّبيّ ـ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ـ كما قال: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها ولا يؤتى المدينة إلّا من بابها»[3]. وقال عليّ عليه السلام: «قد جعل الله للعلم أهلاً وفرض على العباد طاعتهم بقوله: "وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِهَا". والبيوت هي بيوت العلم الّذي استودعته الأنبياء، وأبوابها أوصياؤهم»[4].

﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ في تغيير أحكامه ﴿لعلكم تفلحون﴾.

﴿وَقَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾: جاهدوا لإعلاء كلمته. ورد: «إنّها ناسخة لقوله: "كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ"»[5]. ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا﴾ بابتداء القتال والمفاجاة به من غير دعوة، وبالمُثْلة، وقتل من نُهيتم عن قتله من النّساء والصّبيان والمشايخ والمعاهدين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾. ورد: «إنّها ناسخة لقوله تعالى: "وَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَالْمُنافِقِينَ وَدَعْ أَذاهُمْ"»[6]. ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ يعني مكّة؛ وقد فعل ذلك بمن لم يسلم منهم يوم الفتح. ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾. قيل: معناه شركهم في الحرم، وصدّهم إيّاكم عنه أشدّ من قتلكم إيّاهم فيه[7]. ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ

١ـ الصّافي ١: ٢٠٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ـ العيّاشي ١: ٨٦، الحديث: ٢١١؛ ومجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٤؛ والقمّي ١: ٦٨.

٤ـ الاحتجاج ١: ٣٦٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٥. والآية في سورة النّساء(٤): ٧٧.

٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٨٥، المرويّ عن أئمّتنا عليهم السّلام. والآية في سورة الأحزاب(٣٣): ٤٨.

٧ـ راجع: البيضاوي ١: ٢٢٣.

﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾: لا تفاتحوهم بالقتال و هتك حرمة الحرم ﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فلا تبالوا بقتالهم ثمة؛ فإنهم هم الّذين هتكوا حرمته ﴿كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ يفعل بهم ما فعلوا ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن القتال والشّرك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر لهم ما قد سلف.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قال: «شرك»[1]. ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ أي. الطّاعة والعبادة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن الشّرك والقتال ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فلا تعتدوا على المنتهين. سمّى الجزاء باسم الابتداء، للمشاكلة وازدواج الكلام كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[2].

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾. «قاتلهم المشركون في عام الحديبية في ذي القعدة، واتّفق خروجهم لعمرة القضاء فيه، فكرهوا أن يقاتلوهم لحرمته، فنزلت؛ أي. هتكه بهتكه فلا تبالوا به». كذا ورد[3]. وفي رواية «إذا ابتدأ المشركون باستحلال الشّهر، جاز للمسلمين قتالهم فيه»[4]. ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ يعني: كلّ حرمة يجري فيه القصاص؛ فلمّا هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثله. والحرمة: ما يجب أن يحافظ عليه.

﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فذلكة وتأكيد ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الانتصار، فلا تعتدوا إلى ما لم يرخّص لكم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ فيحرسهم ويصلح شأنهم.

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ بالإسراف، وتضييع وجه

١ـ مجمع البيان ١ـ ٢: ٢٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام
٢ـ الشّورى (٤٢): ٤٠.
٣ـ البيضاوي ١: ٢٢٣؛ وتفسير الطّبري ٢: ١١٤
٤ـ العيّاشي ١: ٨٦، الحديث ٢١٥.

المعاش، وبمعصية السّلطان وبكلّ ما يؤدّي إلى الهلاك. ورد: «لو أنّ رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل من سبيل الله، ما كان أحسن ولا وفّق؛ ثمّ تلا هذه الآية»[١] و ورد أيضاً «طاعة السّلطان واجبة، ومن ترك طاعة السّلطان فقد ترك طاعة الله ودخل في نهيه؛ ثمّ تلا هذه الآية»[٢] ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال: «يعني المقتصدين»[٣].

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: ائتـوا بهما تامّين كاملين بشرائطهما وأركانهما ومناسكهما لوجه الله خالصاً. ورد: «هما مفروضان»[٤]. و ورد: «يعني بتمامهما: أداؤهما واتّقاء ما يتّقي المحرم فيهما»[٥]. وفي رواية: «أقيموهما إلى آخر ما فيهما»[٦]. ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ «منعكم خوف أو مرض بعد ما أحرمتم». كذا ورد[٧]. ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾: فعليكم إذا أردتم التّحلّل من الإحرام ما تيسّر من الهدي تبعثون به. ورد: «يعني شاة وضع على أدنى القوم قوّة، ليسع القويّ والضّعيف»[٨]. ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ﴾. لا تحلّوا ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ يعني: مكانه الّذي يجب أن ينحر فيه.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾: مرضاً يحوجه إلى الحلق ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ كجراحة أو قمّل ﴿فَفِدْيَةٌ﴾. فعليه فدية إن حلق ﴿مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ أي: دم. ورد: «إنّ الصّيام ثلاثة أيّام، والصّدقة على ستّة مساكين، والنّسك شاة»[٩]. ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ﴾. استمتع وانتفع بعد التّحلّل من عمرته باستباحة ما كان محرّماً

١ و٣ـ الكافي ٤: ٥٣، الحديث: ٧؛ و العيّاشي ١: ٨٧، الحديث: ٢١٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الأمالي (للصّدوق): ٢٧٧، المجلس الرّابع والخمسون، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٤ـ الكافي ٤: ٢٦٥، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و العيّاشي ١: ٨٨، الحديث: ٢٢٤، عن أبي العبّاس.
٥ـ العيّاشي ١: ٨٧، الحديث: ٢٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٠، عن أمير المؤمنين و عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٧ـ المصدر، المرويّ عن أئمّتنا عليهم السّلام.
٨ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ١٢٠، الباب: ٣٤، ذيل الحديث: ١.
٩ـ العيّاشي ١: ٩٠، الحديث: ٢٣١؛ والكافي ٤: ٣٥٨، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

عليه ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾ إلى أن يحرم بالحجّ ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾: فعليه دم استيسره. قال: «شاة»[1].

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدي ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾: في وقته وأيّام الاشتغال به. ورد: «يعني في ذي الحجّة»[2]. ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهاليكم. «فإن بدا له الإقامة بمكّة نظر مقدم أهل بلاده فإن ظنّ أنّهم قد دخلوا فليصم». كذا ورد[3]. ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾. «لا تنقص عن الأضحيّة الكاملة». كذا ورد[4]. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التمتّع ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: «من كان منزله على أزيد من ثمانية عشر ميلاً منه». كذا ورد[5] [وفي رواية[6]. «حدّه ثمانية وأربعون ميلاً»][7]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ يعني: وقت إحرامه ومناسكه؛ وهي شوّال وذو القعدة وذو الحجّة. ورد: «ليس لأحد أن يحجّ فيما سواهنّ، ومن أحرم بالحجّ في غيرها فلا حجّ له»[8]. ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ «بأن لبّى أو أشعر أو قلّد» كذا ورد[9]. ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾: في أيّامه. قال: «الرّفث: الجماع، والفسوق: الكذب والسّبب، والجدال: قول لا والله و بلى و الله»[10]. و «في الجدال شاة؛ وفي الفسوق

١ـ الكافي ٤: ٤٨٧، الحديث، ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٩٣، الحديث ٢٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٤: ٥٠٩، الحديث ٨.
٤ـ المصدر: ٥١٠، الحديث ١٥.
٥ـ المصدر: ٣٠٠، الحديث ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ٩٣، الحديث ٢٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ ما بين المعقوفتين ليس في «الف».
٨ـ الكافي ٤: ٣٢١، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام؛ و٣٢٢، الحديث ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ العيّاشي ١: ٩٤، الحديث ٢٥٤؛ والكافي ٤: ٢٨٩، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ العيّاشي ١: ٩٥، الحديث ٢٥٦؛ والكافي ٤: ٣٣٨، الحديث ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

بقرة؛ وفي الرّفث فساد الحجّ»[1]. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾. حثّ على البرّ ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾. قيل: كانوا يحجّون من غير زاد، فيكونون كلّاً على النّاس، فأُمروا أن يتزوّدوا ويتّقوا الإبرام والتّثقيل[2] على النّاس[3] ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾: تجارة. ورد: «كانوا يتأثّمون بالتّجارة في الحجّ فرفع عنهم الجناح»[4]. وفي رواية: «فضلاً أي: مغفرة»[5]. ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾: دفعتم أنفسكم بكثرة ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾. قال: «ومضيتم إلى مزدلفة»[6]. ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾. بإزاء هدايته إيّاكم. قال: «لدينه والإيمان برسوله»[7]. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾: وإنّه كنتم. ﴿مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ قال: «الضّالّين عن دينه قبل أن يهديكم لدينه»[8].

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾: ثمّ لتكن إفاضتكم ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ قال: «أي: من عرفات»[9]. ورد: «إنّ قريشاً كانوا لا يقفون بعرفات، ولا يفيضون منه، ويقولون: نحن أهل حرم الله فلا نخرج منه، فيقفون بالمشعر ويفيضون منه، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منه كسائر النّاس»[10].

١ـ الكافي ٤: ٣٣٩، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ في «ألف»: «والثّقل».
٣ـ راجع: الكشّاف ١: ٣٤٧؛ والبيضاوي ١: ٢٢٥.
٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٥ لكنّه نقله بلفظ: «قيل» عن ابن عبّاس و مجاهد و الحسن و عطاء. ثمّ يقول: و هو المرويّ عن أئمّتنا.
٥ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦، ٧ و ٨ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٠٥.
٩ـ البيضاوي ١: ٢٢٧.
١٠ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٦، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والعيّاشي ١: ٩٧، الحديث: ٢٦٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أقول. وعلى هذا فمعنى "ثمّ" الترتيب في الرتبة كما في قولك. أحسن إلى الناس ثمّ لا تحسن إلى غير كريم. وفي رواية. «إنّ قوله: "فإذا أفضتم" متأخّر عن قوله: "ثمّ أفيضوا" »[1]: وعلى هذا يكون "ثمّ" بمعناه الظّاهر. وفي أُخرى: «إنّ المراد بقوله: "ثمّ أفيضوا" الإفاضة من المشعر إلى منى»[2]. وعلى هذا فلا إشكال.

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾ من جاهليّتكم في تغيير المناسك. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. قال. «للتّائبين»[3].

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾. ورد: «كانوا إذا فرغوا من الحجّ، يجتمعون هناك، يعدّون مفاخر آبائهم ومآثرهم، فأمرهم الله أن يذكروه مكان ذكر آبائهم في هذا الموضع»[4]. ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ قال. «بأن يزيدوا فيذكروا نعم الله سبحانه وآلاءه ويشكروا نعماءه؛ لأنّ آباءهم وإن كانت لهم عليهم أياد ونعم، فنعم الله عليهم أعظم وأياديه عندهم أفخم، ولأنّه تعالى هو المنعم بتلك المآثر والمفاخر على آبائهم وعليهم»[5].

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾ منحتنا[6] ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ خاصة ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾: نصيب وحظّ؛ لأنّ همّه مقصور على الدّنيا. قال. «لا يعمل للآخرة عملاً ولا يطلب فيها خيراً»[7].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ كالصّحة والأمن. و ورد: «السّعة في

١ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢ . ٢٩٦
٢ و ٣ ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٠٥.
٤ و ٥ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٢٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ المنح: العطاء. يقال: منحه منحاً أي أعطيه. والاسم: المنحة ـ بالكسر ـ وهي العطيّة مجمع البحرين ٢ . ٤١٥ (منح)
٧ ـ تفسير الإمام عليه السلام ٦٠٦.

المعاش وحسن الخلق»[1]. ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾ كالرّحمة والزّلفة. و ورد: «رضوان الله والجنّة»[2]. وفي رواية: «في الدّنيا المرأة الصّالحة، وفي الآخرة الحوراء»[3]. ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ بالمغفرة والعفو. و ورد: «امرأة السّوء»[4].

أقول: كلّ ذلك أمثلة للمراد بها، فلا تنافي بينها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ﴾ قال: «من ثواب ما كسبوا - قال - في الدّنيا وفي الآخرة»[5]. ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾. قال: «يحاسب الخلائق كلّهم في مقدار لمح البصر»[6]. قال: «لأنّه لا يشغله شأن عن شأن، ولا محاسبة عن محاسبة، فإذا حاسب واحداً فهو في تلك الحال محاسب للكلّ يتمّ حساب الكلّ بتمام حساب الواحد، وهو كقوله تعالى: "ما خلقكم ولا بعثكم إلّا كنفس واحدة"»[7].

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾. «يعني: أيّام التّشريق و ذكر الله فيها: التكبير المعهود عقيب الصّلوات المعهودة». كذا ورد[8]. ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ النّفر من منى ﴿فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ بعد يوم النّحر ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ﴾ حتى رمى في اليوم الثّالث ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ﴾ قال: «يرجع مغفوراً له لا إثم عليه ولا ذنب له»[9]. ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾.

قال: «نفي الإثم إنّما هو لمن اتّقى الله عزّوجلّ»[10]. وفي رواية: «اتّقى الكبائر»[11].

١و٢ـ الكافي ٥: ٧٦، الحديث ١٢؛ والعيّاشي ١: ٩٨، الحديث ٢٧٤و٢٧٥؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣و٤ـ البيضاوي ١: ٢٢٩، عن علي عليه السلام.

٥ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٠٦.

٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٢٩٨.

٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٠٦. والآية في سورة لقمان(٣١): ٢٨.

٨ـ العيّاشي ١: ٩٩، الحديث ٢٧٦ إلى ٢٧٩؛ و جوامع الجامع ١: ١١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٩ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٨٩، الحديث: ١٤٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

١٠ـ المصدر: ٢٨٨، الحديث ١٤١٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

١١ـ القمّي ١: ٧٠؛ والكافي ٤: ٥٢٢، الحديث ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

وفي أُخرى: «اتّقى الكبر وهو أن يجهل الحقّ ويطعن على أهله»[1]. وفي أُخرى: «اتّقى الصيد في إحرامه»[2]. وفي أُخرى: «اتّقى الصيد حتّى ينفر أهل منى النفر الأخير»[3]. وفي أُخرى: «اتّقى ما حرّم الله عليه في إحرامه»[4]. وفي رواية: «يعني من مات قبل أن يمضي فلا إثم عليه، و من تأخّر فلا إثم عليه، لمن اتّقى الكبائر يعني تأخّر موته»[5]. و ورد: «أنتم و الله هم. إنّ رسول الله ﷺ قال: لا يثبت على ولاية عليّ إلّا المتّقون»[6]. وفي رواية: «إنّما هي لكم و النّاس سواد وأنتم الحاجّ»[7]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بما تعملون. والحشر: الجمع وضمّ المتفرّق.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يروقك ويعظم في قلبك ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ قال: «بأن يحلف لك بأنّه مؤمن مخلص مصدّق لقوله بعمله»[8]. ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾: شديد العداوة والجدال للمسلمين.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ قال: «أدبر و انصرف عنك»[9]. وقيل: ملك الأمر وصار والياً[10]. ﴿سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ قال: «بظلمه وسوء سيرته»[11]. ورد: «إنّ الحرث هنا: الدّين، والنّسل: النّاس»[12]. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾.

١ـ الكافي ٤: ٢٥٢، الحديث: ١٢؛ و معاني الأخبار: ٢٤٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ؑ
٢ـ مجمع البيان ١ـ ٢: ٢٩٩؛ والعيّاشي ١: ٩٩، الحديث: ٢٨٠، عن أبي جعفر ؑ.
٣ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٢٨٨، الحديث: ١٤١٥، عن أبي عبدالله ؑ
٤ـ العيّاشي ١: ٩٩، الحديث: ٢٨٠، عن أبي جعفر ؑ
٥ـ الكافي ٤: ٥٢٢، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله ؑ.
٦ـ العيّاشي ١: ١٠٠، الحديث: ٢٨٥، عن أبي جعفر ؑ
٧ـ الكافي ٤: ٥٢٣، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله ؑ. و سواد النّاس: عوامّهم
٨ و ٩ـ تفسير الإمام ؑ: ٦١٧
١٠ـ مجمع البيان ١ـ ٢: ٣٠٠، عن ضحّاك.
١١ـ العيّاشي ١: ١٠١، الحديث: ٢٩٠، عن أمير المؤمنين ؑ
١٢ـ القمّي ١: ٧١؛ و مجمع البيان ١ـ ٢: ٣٠٠، عن أبي عبدالله ؑ

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾: حملته الأنفة وحميّة الجاهلية على الإثم الذي يؤمر باتّقائه لجاجاً، «فيزداد إلى شرّه شرّاً ويضيف إلى ظلمه ظلماً». كذا ورد[1].

﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾: يبيعها يبذلها لله ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾. طلباً لرضاه، قال: «فيعمل بطاعته ويأمر النّاس بها»[2]. وردت في عدّة أخبار عامّيّة وخاصّيّة: «إنّها نزلت في عليّ عليه السلام، حين بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وهرب النّبيّ إلى الغار»[3].

وفي رواية: «إنّ المراد بها الرّجل يقتل على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر»[4]. يعني: هي عامّة وإن نزلت خاصّة. ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. قال: «أمّا الطّالبون لرضا ربّهم فيبلغهم أقصى أمانيّهم ويزيدهم عليها ما لم تبلغه آمالهم، وأمّا الفاجرون فيرفق في دعوتهم إلى طاعته ولا يقطع ممّن علم أنّه سيتوب عن ذنبه عظيم كرامته»[5].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾. قال: «في المسالمة إلى دين الإسلام»[6].

أقول: يعني في الاستسلام والطّاعة. وفي رواية: «في ولايتنا»[7].

﴿كَافَّةً﴾: جميعاً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ بالتفرّق والتّفريق. وفي رواية: «بولاية فلان وفلان»[8].

أقول: لا تنافي بين التّفسيرين في الكلمتين؛ فإنّ الولاية ركن الطّاعة أو المعصية وبها يتمّ الإسلام.

١ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦١٧.
٢ـ المصدر: ٦٢١.
٣ـ راجع من الخاصّة: مجمع البيان ١ـ ٢: ٣٠١؛ والعيّاشي ١: ١٠١، الحديث: ٢٩٢؛ والبرهان ١: ٢٠٦، ومن العامّة: الجامع لأحكام القرآن ٣: ٢١؛ والتّفسير الكبير (للفخر الرّازي) ٥ـ ٦: ٢٢٣.
٤ـ مجمع البيان ١ـ ٢: ٣٠١: مرويّاً عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٢١.
٧ـ الكافي ١: ٤١٧، الحديث: ٢٩؛ والعيّاشي ١: ١٠٢، الحديث: ٢٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ١: ١٠٢، الحديث: ٢٩٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ عن الدّخول في السّلم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب لا يعجزه الانتقام منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ لا ينتقم إلّا بالحقّ.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يعني أمره و بأسه ﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وفي رواية: «هكذا نزلت: إلّا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام»[1]. وفي أُخرى: «يعني يأتيهم الله في ظلل من الغمام ويأتيهم الملائكة كما كانوا اقترحوا عليك اقتراحهم المحال»[2]. ويستفاد من بعضها أنّ المراد به الرّجعة وخروج القائم. ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾. و اتمّ امر إهلاكهم وفرغ منه. وفي الرّواية الأخيرة: «قضاء الأمر: الوسم على خرطوم الكافر»[3]. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ «فمنهم من آمن ومنهم من جحد ومنهم من أقرّ و منهم من بدّل» كذا قراه[4] الصّادق عليه السلام[5]. ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ آياته الّتي هي سبب الهدى والنّجاة الّذين هما أجلّ النّعم، بجعلهما سبب الضّلالة وزيادة الرّجس. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: حسنت في أعينهم وأشربت محبّتها في قلوبهم، حتّى تهالكوا عليها ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من فقراء المؤمنين الّذين لا حظّ لهم منها ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ من المؤمنين ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لأنّهم في علّيّين وفي الكرامة، وهم في سجّين وفي النّدامة ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ في الدّارين ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. بغير تقدير فيوسّع في الدّنيا استدراجاً تارة وابتلاء أُخرى ويعطي أهل الجنّة ما

١ـ التّوحيد، ١٦٣، الباب ٢٠، الحديث ١، عن أبي الحسن الثّاني عليه السلام.
٢ـ تفسير الإمام عليه السلام، ٦٢٩، وفيه: «أو تأتيهم الملائكة».
٣ـ العيّاشي ١: ١٠٣، الحديث ٣٠٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ في «ب» و «ج»: «كذا قراءة»
٥ـ الكافي ٨: ٢٩٠، الحديث ٤٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام

لا يحصى.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ﴾ قال: «قبل نوح»[١]. ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قال: «على الفطرة لا مهتدين ولا كافرين، ولم يكونوا ليهتدوا حتّى يهديهم الله. اما تسمع إبراهيم يقول: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ اي ناسياً للميثاق»[٢]. ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ قال: «ليتّخذ عليهم الحجّة»[٣]. ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ ثمّ اختلفوا بعد البعث على الرّسل، في الإيمان بهم والكفر، ثمّ في الكتاب بعد الإيمان، كما قال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾. جعلوا نزول الكتاب الّذي أنزل لإزالة الخلاف، سبباً في شدّة الاختلاف. ﴿بَغْيًا﴾: حسداً وظلماً ﴿بَيْنَهُمْ﴾ لحرصهم على الدّنيا ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾. بيان لـ«ما». ﴿بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾. استبعاد للحسبان وتشجيع للمؤمنين على الصّبر والثّبات مع الّذين اختلفوا عليهم وعداوتهم لهم. ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾: متوقّع إتيانه منتظر ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ حالهم الّتي هي مثل في الشّدّة ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ من القتل والخروج عن الاهل والمال ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾: وأزعجوا إزعاجاً شديداً بما أصابهم من الشّدائد ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ استبطاء له، لتناهي الشّدّة واستطالة المدّة، بحيث تقطّعت حبال الصّبر. ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾. فقيل لهم ذلك، إسعافاً لهم إلى طلبتهم من عاجل النّصر. ورد: «فما تمدّون أعينكم ألستم آمنين؟ لقد كان من قبلكم ممّن هو على ما انتم عليه، يؤخذ، فيقطع يده

١ـ العيّاشي ١: ١٠٤، الحديث: ٣٠٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر، الحديث: ٣٠٩، عن ابي عبدالله عليه السلام. و الآية في سورة الانعام(٦): ٧٧.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٦٤، الحديث: ٨١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

ورجله ويصلب، ثمّ تلا هذه الآية[1].

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: من مال ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾. سئل عن المنفق، فأجاب ببيان المصرف، لأنّه أهمّ؛ إذ النّفقة لايعتدّ بها إلاّ إذا وقعت موقعها. قيل: وكان السّؤال متضمّناً للمصرف أيضاً[2]، وإن لم يذكر في الآية. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ يعلم كنهه و يوفّي ثوابه.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ في الحال ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في العاقبة. وهكذا اكثر ما أمرنا به؛ فإنّ الطّبع يكرهه وهو مناط صلاحنا وسبب فلاحنا ﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ في الحال ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ في المآل. وهكذا اكثر ما نهينا عنه؛ فإنّ النّفس تحبّه وتهواه وهو يفضي بنا إلى الرّدى. وإنّما ذكر "عسى" لأنّ النّفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو خير لكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾. قيل: قتل المسلمون مشركاً في غرّة رجب، وهم يظنّونه من جمادي الآخرة، فقالت قريش: قد استحلّ محمّد الشّهر الحرام؛ فسئل، فنزلت[3]. ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: عظيم. تمّ الكلام ثمّ ابتدأ و قال: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾. ولكن ما فعلوا بك من الصدّ عن الإسلام والكفر بالله و بالمسجد و إخراجك والمؤمنين منه، اعظم وزراً عند الله من القتل الّذي وقع في الشّهر الحرام. ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ يعني الكفر وساير ما فعلوا

١ ـ الخرايج و الجرايح ٣: ١١٥٥، الحديث ٦١، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٢ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٣٠٩؛ والكشّاف ١: ٣٥٦؛ والبيضاوي ١: ٢٣٣.
٣ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٣١٢؛ والكشّاف ١: ٣٥٦؛ والبيضاوي ١: ٢٣٤.

﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ لما يفوتهم من ثمرات الإسلام ﴿وَ﴾ في ﴿الْآخِرَةِ﴾ لما يفوتهم من الثواب ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾. ورد: «إنّ الخمر رأس كلّ إثم ومفتاح كلّ شرّ»[1]. ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ كالطرب وكسب المال وغيرهما ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ أي: المفاسد التي تنشأ منهما أعظم من المنافع المتوقّعة منهما. «هي أوّل آية نزلت في الخمر من الأربع التي كلّ متأخّرة منها أغلظ وأشدّ في التّحريم من التي قبلها، ليوطّن النّاس أنفسهم عليه[2] ويسكنوا إلى نهي الله فيها، وليكون أصوب لهم إلى الانقياد وأقرب لنفارهم». كذا ورد[3]. ويأتي ألفاظه مع تمام الكلام في الخمر في «المائدة»[4] إن شاء الله.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾: ما قدر الإنفاق؟ ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ قال: «الوسط»[5]. وفي رواية: «ما يفضل عن قوت السّنة»[6].

أقول: العفو نقيض الجهد وهو أن ينفق ما تيسّر له بذله. ورد: «يأتي أحدكم بماله كلّه يتصدّق به ويجلس يتكفّف النّاس؛ إنّما الصّدقة عن ظهر غنى»[7]. أقول: يعني ما

١ـ الكافي٦: ٤٠٢، الحديث ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، و الحديث ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ كذا في النّسخ و لعلّ الصّواب «عليها».
٣ـ الكافي ٦: ٤٠٦ـ٤٠٧، الحديث ٢، عن بعض أصحابنا مرسلاً.
٤ـ ذيل الآية: ٩١.
٥ـ الكافي ٤: ٥٢، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ راجع «الدّرّ المنثور» ١: ٦٠٨ و سنن الدّارمي ١: ٣٩١، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

أبقى عني.

ورد: «إنّها نسخت بآية الزكاة»[1]. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾. ورد: «لمّا نزلت: "إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا"[2] وفي رواية: "وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ"، كرهوا مخالطة اليتامى فشقّ ذلك عليهم، فشكوا، فنزلت»[3]. ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ﴾: مشاركتهم لإصلاحهم ﴿خَيْرٌ﴾ من مجانبتهم ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ في الدّين، ومن حقّ الأخ أن يخالط. ورد: «تخرج من أموالهم قدر ما يكفيهم وتخرج من مالك قدر ما يكفيك، ثمّ تنفقه»[4]. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾: لحملكم على العنت، وهي المشقّة، ولم يجوّز لكم مداخلتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾: لا تزوّجوهنّ ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ﴾ مملوكة ﴿مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾ حرّة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ المشركة بجمالها أو مالها ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾: لا تزوّجوا منهم المؤمنات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ﴾ مملوك ﴿خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾ حرّ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ جماله أو ماله أو حاله ﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾. ورد: «إنّ هذه الآية منسوخة النّصف»[5]. يعني نسخ نصفها الأول بقوله تعالى: "وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ". كما يأتي في المائدة[6].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾: مستقذر يؤذي من يقربه، نفرة منه له

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣١٦، عن أبي جعفر عليه السلام
٢ـ القمّي ١: ٧٢، عن أبي عبدالله عليه السلام. والآية في سورة النساء(٤): ١٠.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤. والآية في سورة النساء(٤): ٢
٤ـ الكافي ٥: ١٣٠، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام
٥ـ القمّي ١: ٧٣
٦ـ ذيل الآية ٥

﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾: فاجتنبوا مجامعتهنّ ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾: ينقطع الدّم عنهنّ. وعلى قراءة التّشديد: يغتسلن. ورد: «يأتيها حيث شاء، ما اتّقى موضع الدّم»[1]. ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾: اغتسلن ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ قال: «فاطلبوا الولد من حيث امركم الله»[2].

اقول: يعني المأتى الّذي امركم به وحلّله لكم. وإنّما استفيد طلب الولد من لفظة «من».

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء والمتنزّهين عن الاقذار. ورد: «كانوا يستنجون بالكراسف[3] والاحجار، ثمّ احدث الوضوء» يعني الاستنجاء بالماء، «وهو خلق كريم، فامر به رسول الله ﷺ وصنعه فنزلت»[4].

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾: مواضع حرث ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ قال: «متى شئتم في الفرج»[5]. وفي رواية: «ايّ ساعة شئتم»[6]. وفي أخرى: «إنّ اليهود كانت تقول: إذا اتى الرّجل المرأة من خلفها خرج ولده أحول، فانزل الله: "نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ": من خلف او قدّام خلافاً لليهود، ولم يعن في ادبارهنّ»[7].

﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ ما يدّخر لكم من العمل الصّالح. و قيل: هو طلب الولد[8]. وقيل: التّسمية على الوطي[9]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من صدّقك و امتثل امرك.

١ـ التّهذيب١: ١٥٤، الحديث: ٤٣٦، و الاستبصار١: ١٢٨، الحديث: ٤٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام
٢ـ التّهذيب٧: ٤١٤، الحديث: ١٦٥٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكراسف جمع كُرْسف و هو القطن. لسان العرب ٩: ٢٩٧ (كرسف).
٤ـ الكافي٣: ١٨، الحديث: ١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام
٥ـ القمّي١: ٧٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي١: ١١١، الحديث: ٣٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام
٧ـ المصدر، الحديث: ٣٣٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام
٨و٩ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٢١، و الكشّاف١: ٣٦٢

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ العرضة: ما يعترض دون الشّيء فيحجز عنه، والمعرض للأمر. والمعنى على الأوّل: لاتجعلوا الله حاجزاً لما حلفتم عليه من أنواع الخير، فيكون المراد بالإيمان الأمور المحلوف عليها. وعليه ورد في تفسيرها: «إذا دُعيت لصلح بين اثنين فلاتقل عليّ يمين ان لا افعل»[1]. وعلى الثّاني: لاتجعلوا الله معرضاً لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف. وعليه ورد: «لا تحلفوا بالله صادقين ولاكاذبين، فإنّ الله يقول: ... وتلا الآية»[2]. ﴿أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾. بيان للايمان، أي الأمور المحلوف عليها من الخيرات على الأوّل، وعلّة للنّهي على الثّاني. أي: انهاكم عنه إرادة بركم و تقواكم و إصلاحكم بين النّاس فإنّ الحلاّف مجترئ على الله تعالى والمجترئ على الله تعالى لايكون براً متقياً ولا موثوقاً به في إصلاح ذات البين، ولذلك ذمّه الله في قوله: "وَلاتُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ"[3]. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لايمانكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتكم.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾ بالعقوبة والكفّارة ﴿بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: «بالسّاقط الّذي لاعقد معه، بل يجري على عادة اللّسان لمجرّد التّأكيد». كذا ورد[4]. ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: بما واطأت فيها قلوبكم ألسنتكم وعزمتموه، كقوله تعالى: "بِمَا عَقَّدْتُمُ الأيْمَانَ"[5] فإنّ كسب القلب هو العقد والنيّة والقصد. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾: يحلفون على ان لايجامعوهنّ مضارّة لهنّ. والإيلاء: الحلف. وتعديته بـ"علىٰ"، ولكن لمّا ضمّن هذا القسم معنى البعد عدّي بـ"من" ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: انتظارها و التّوقّف فيها، فلايطالبوا بشيء. ﴿فَإِن فَاءُوا﴾: رجعوا إليهنّ بالحنث وكفّارة اليمين وجامعوا مع القدرة و وعدوها مع العجز،

١و٢ـ العيّاشي ١: ١١٢، الحديث: ٣٤٠.
٣ـ القلم (٦٨): ١٠.
٤ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٣٢٣، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام؛ والكشّاف ١: ٣٦٣، عن الشّافعي.
٥ـ المائدة (٥): ٨٩.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لايتبعهم بعقوبة.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لطلاقهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضميرهم. قال: «الإيلاء: أن يحلف الرّجل على امرأته أن لايجامعها، وإنْ صبرت عليه فلها أن تصبر، وإن رفعته إلى الإمام انظره أربعة أشهر، ثمّ يقول له بعد ذلك: إمّا أن ترجع إلى المناكحة، وإمّا أن تطلّق وإن أبى حبسه أبداً»[1]. وفي رواية: «فإن مضت الأربعة أشهر قبل أن يمسّها فسكتت و رضيت فهو في حلّ وسعة»[2].

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾ يعني: المدخول بهنّ من ذوات الأقراء، لما دلّت الآيات والأخبار أنّ حكم غيرهنّ خلاف ذلك. ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: ينتظرن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾: بقمعها وحملها على التربّص ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ فلا يتزوّجن فيها. ورد: «القرء جمع الدّم بين الحيضتين[3]، والقروء: الأطهار، فإذا رأت الدّم من الحيضة الثّالثة فقد انقضت عدّتها»[4].

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الولد ودم الحيض استعجالاً في العدّة وإبطالاً لحقّ الرّجعة. كذا ورد[5]. ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ إلى النكاح والرّجعة إليهنّ ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: في زمان التربّص ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ ولم يريدوا مضارّتهنّ ﴿وَلَهُنَّ﴾ حقوق عليهم ﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ في الاستحقاق لا في الجنس ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾. بالوجه الذي لاينكر في الشّرع ولا في عادات النّاس.

١ـ القمّي١: ٧٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي٦: ١٣١، الحديث: ٤، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام، و فيه: فإن مضت الأربعة الأشهر.
٣ـ الكافي٦: ٩٩، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٨٨، الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان١ـ٢: ٣٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و القمّي١: ٧٤، و الظاهر أنّ ما في المتن هو مضمون الحديث و المستفاد منه، كما يظهر بعد التأمّل و المراجعة.

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: زيادة في الحقّ و فضيلة بقيامهم عليهنّ. ورد: «لها عليه أن يشبع بطنها ويكسو جثّتها وإن جهلت غفر لها»[1]. «وله عليها أن تطيعه ولاتعصيه، ولاتتصدّق من بيته إلّا بإذنه، ولاتصوم تطوّعاً إلّا بإذنه، ولاتمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولاتخرج من بيتها إلّا بإذنه»[2]. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يقدر على الانتقام ممّن خالف الأحكام ﴿حَكِيمٌ﴾ يشرعها لحكم ومصالح.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ «أي: التّطليق الرّجعيّ اثنتان؛ فإنّ الثّالثة بائن». كذا ورد[3]. سئل النبيّ ﷺ أين الثّالثة؟ فقال: «فتسريح بإحسان»[4]. ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ بالمراجعة وحسن المعاشرة ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ بأن لايراجعها أو يطلّقها الثّالثة بعد الرّجعة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: فيما يلزمهما من وظائف الزّوجيّة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ نفسها. يعني: لاجناح عليه في الأخذ، ولاعليها في الإعطاء. ورد: «إذا قالت جملة: «لاأطيع لك أمراً» مفسّراً أو غير مفسّر، حلّ له ما أخذ منها وليس له عليها رجعة»[5]. ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ قال: «يعني: التّطليقة الثّالثة»[6]. ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ﴾ يعني: تزويجها ﴿مِنْ بَعْدُ﴾: من بعد هذا الطّلاق ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزّوج الثّاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾: يرجع كلّ منهما إلى الآخر بالزّواج ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا

1ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢٧٩، الحديث ١٣٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
2ـ المصدر: ٢٧٧، الحديث: ١٣١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
3ـ راجع: البرهان ١: ٢٢١، الحديث ٢ و٤؛ والتّبيان ٢: ٢٤٣، عن عروة و قتادة؛ و معالم التّنزيل (للبغوي) ١: ٢٠٦، عن عروة بن الزّبير؛ و جامع البيان (للطّبري) ٢: ٢٧٧، عن السّدي.
4ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٣٢٩، عن النّبيّ ﷺ.
5ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٣٣٩، الحديث ١٦٣٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
6ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٣٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

حُدُودُ ٱللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾: قارَبن آخر عدّتهنّ؛ فإنّ البلوغ قد يطلق على الدنوّ، كما يطلق على الوصول. والأجل يطلق على منتهى المدّة، كما يطلق على المدّة. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: راجعوهنّ بما يجب لها من القيام بموجبها[1] من غير طلب ضرار بالمراجعة ﴿ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾: خلّوهنّ حتّى تنقضي عدّتهنّ، فيكنّ أملك بأنفسهنّ ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا ﴾. ولا تراجعوهنّ إرادة الإضرار بهنّ من غير رغبة فيهنّ ﴿ لِّتَعْتَدُوا۟ ﴾: لتظلموهنّ بتطويل المدّة عليهنّ في حبالكم أو إلجائهنّ إلى الافتداء.

ورد: «كان الرّجل يطلّق حتّى إذا كادت أن يخلو أجلها راجعها ثمّ طلّقها، يفعل ذلك ثلاث مرّات، فنهى الله عن ذلك»[2]. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ بتعريضها للعقاب.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ﴾: لا تستحقروا بأوامره ونواهيه ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ بما أباحه لكم من الأزواج والأموال ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾: انقضت عدّتهنّ ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾: لا تمنعوهنّ ظلماً. والعضل: الحبس والتضييق. كانوا لا يتركونهنّ يتزوّجن من شئن، فنزلت ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾: أنفع ﴿وَأَطْهَرُ﴾ من دنس الآثام ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ

١ـ في «ب» و«ج»: «بمواجبها».
٢ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٢٣، الحديث: ١٥٦٧؛ والعيّاشي ١: ١١٩، الحديث: ٣٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ﴾ زوجها ﴿بِوَلَدِهَا﴾: بسبب ولدها، بأن تترك إرضاعه تعنّتاً أو غيظاً على أبيه وسيّما بعد ما ألفها الولد، أو تطلب منه ما ليس بمعروف، أو تشغل قلبه في شأن الولد، أو تمنع نفسها منه خوف الحمل، لئلاّ يضرّ بالمرتضع ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ﴾ أي. لا يضارّ المولود له أيضاً امرأته ﴿بِوَلَدِهِۦ﴾: بسبب ولده، بأن ينزعه منها ويمنعها من إرضاعه إن أرادته، وسيّما بعد ما ألفها، أو يكرهها عليه، أو يمنعها شيئاً ممّا وجب عليه، أو يترك مواقعتها خوف الحمل إشفاقاً على المرتضع. ورد المعنى الأخير في الموضعين في سبب النّزول[1]، ولا يتفاوت المعنى على المعلوم والمجهول في «لا تضارّ» غير أنّه يتعاكس على اللّفظين. و ورد: «إذا طلّق الرّجل امرأته وهي حبلى، أنفق عليها حتّى تضع حملها، وإذا وضعته أعطاها أجرها ولا يضارّها، إلاّ أن يجد من هو أرخص أجراً منها، فإن هي رضيت بذلك الأجر فهي أحقّ بابنها حتّى تفطمه»[2]

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾: «وارث المولود له بعد موته». كذا ورد[3]. ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ قال: «مثل ما على الوالد»[4]. ورد: «إنّ أجر رضاع الصّبيّ ممّا يرث من أبيه و أمّه»[5]. ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾: فطاماً عن الرّضاع قبل الحولين ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ﴾ المراضع ﴿أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم﴾ إلى المراضع ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾: ما أردتم إيتاءه إيّاهنّ وشرطتم لهنّ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا

١ـ راجع: مجمع البيان ١ ـ ٢: ٣٣٥، عن الصادقين عليهما السلام
٢ـ الكافي ٦: ١٠٣، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٣٣٥؛ والبيضاوي ١: ٢٤٥
٤ـ العيّاشي ١: ١٢١، الحديث: ٣٨٣
٥ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٠٩، الحديث: ١٤٨٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام

بلغن أجلهنّ فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهنّ ﴾ من التعرّض للخطّاب وساير ما حرّم عليهنّ للعدّة ﴿ بالمعروف والله بما تعملون خبير ﴾.

﴿ ولا جناح عليكم فيما عرّضتم به من خطبة النساء ﴾ المعتدّات، بأن يقول لها ما يوهم أنّه يريد نكاحها، حتّى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه، ولا يصرّح بالنكاح ﴿ أو أكننتم في أنفسكم ﴾ أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم، فلم تذكروه بألسنتكم ﴿ علم الله أنّكم ستذكرونهنّ ولكن لا تواعدوهنّ سرّاً ﴾: خلوة، كان يقول لها قبل انقضاء عدّتها: أواعدك بيت آل فلان. يريد أن يرغّبها في نفسه في الخلوة. كانوا يتكلّمون في الخلوة المواعد بها بما يستهجن، كالرّفث أو التعريض به ونحو ذلك، فنهوا عن ذلك. كذا يستفاد ممّا ورد[1]. ﴿ إلّا أن تقولوا قولاً معروفاً ﴾: «بأن يعرّض فيها بالخطبة على وجهها وحلّها ولا يصرّح بها». كذا ورد[2]. ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح حتّى يبلغ الكتاب ﴾: ما كتب وفرض من العدّة ﴿ أجله ﴾: منتهاه ﴿ واعلموا أنّ الله يعلم ما في أنفسكم ﴾ من العزم على ما لا يجوز ﴿ فاحذروه واعلموا أنّ الله غفور ﴾ لمن عزم ولم يعمل ﴿ حليم ﴾ لا يعجلكم بالعقوبة.

﴿ لا جناح عليكم ﴾: لا تبعة عليكم من مهر أو وزر ﴿ إن طلّقتم النساء ما لم تمسّوهنّ ﴾: ما لم تجامعوهنّ ﴿ أو تفرضوا ﴾ إلّا أن تفرضوا ﴿ لهنّ فريضة ﴾ أي: تسمّوا مهراً. و ذلك أنّ المطلّقة غير المدخول بها إن سمّي لها مهر، فلها نصف المسمّى، وإلّا فليس لها إلّا المتعة. كذا ورد[3]. ﴿ ومتّعوهنّ ﴾: أعطوهنّ من مالكم ما يتمتّعن به ﴿ على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ﴾. مقداره الذي يطيقه ﴿ متاعاً بالمعروف ﴾ تمتعاً

١ـ العيّاشي ١: ١٢٣، الحديث: ٣٩٤؛ عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والقمّي ١: ٧٧.

٢ـ الكافي ٥: ٤٣٥، الحديث: ٣، عن أبي الحسن عليه السلام.

٣ـ الكافي ٦: ١٠٦، الحديث: ٣؛ ومن لا يحضره الفقيه ٣: ٣٢٦، الحديث: ١٥٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

بالوجه الّذي يستحسنه الشّرع والمروّة ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ورد: «إنّ الغنيّ يمتّع بدار أو خادم، والوسط يمتّع بثوب، والفقير بدرهم أو خاتم»[1]. وفي رواية: «نحو ما يمتّع مثلها من النّساء»[2] و ورد: «يمتّع قبل أن يطلّق و أنّها فريضة»[3].

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾. قال: «هو وليّ أمرها»[4] وقال: «يعني الأب والّذي توكّله المرأة وتولّيه أمرها، من أخ أو قرابة أو غيرهما»[5]. وقال: «الوليّ يأخذ بعضاً ويدع بعضاً و ليس له أن يدع كلّه»[6]. ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: أن يتفضّل بعضكم على بعض ولا يستقصي. ورد: «سيأتي زمان عضوض يعضّ المؤمن على ما في يده ولم يؤمر بذلك. ثمّ تلا هذه الآية»[7]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾: داوموا عليها في مواقيتها بأداء أركانها. ورد: «لايزال الشّيطان ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصّلوات الخمس، فإذا ضيّعهنّ تجرّأ عليه، فأدخله في العظائم»[8]. ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ بينها خصوصاً. قال: «هي صلاة الظّهر، وهي وسط النّهار و وسط صلاتين بالنّهار»[9] وفي رواية: «هي الجمعة يوم الجمعة

١ـ من لايحضره الفقيه٣: ٣٢٧، الحديث. ١٥٨٢.
٢ـ التهذيب٨: ١٤٢، الحديث: ٤٩٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المصدر: ١٤١، الحديث: ٤٨٩و٤٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ العيّاشي١: ١٢٥، الحديث: ٤٠٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ التهذيب٦: ٢١٥، الحديث: ٥٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي١: ١٢٥، الحديث: ٤٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٤٥، الباب: ٣١، الحديث: ١٦٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «ولم يؤمر بذلك».
٨ـ الكافي٣: ٢٦٩، الحديث: ٨، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. و «ذعراً من المؤمن» أي: خائفاً منه. والذُّعر ـ بالضمّ ـ: الخوف. و ـ بالتّحريك ـ: الدّهش من الحياء. لسان العرب ٤: ٣٠٦ (ذعر).
٩ـ الكافي٣: ٢٧١، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

والظّهر سائر الأيّام»[1]. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «والصّلاة الوسطى وصلاة العصر»[2]. ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾ في الصّلاة ﴿قَانِتِينَ﴾. قال: «هو إقبال الرّجل على صلاته ومحافظته، حتّى لا يلهيه ولا يشغله عنها شيء»[3]. وفي رواية: «مطيعين راغبين»[4]. وفي أخرى: «هو الدّعاء»[5]. و ورد: «نزلت هذه الآية يوم الجمعة و رسول الله ﷺ في سفر فقنت فيها»[6].

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ «من لصّ أو سبع أو غير ذلك». كذا ورد[7]. ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾: فصلّوا راجلين أو راكبين. قال: «يكبّر و يومي إيماء»[8]. ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾: صلّوا صلاة الأمن أو اشكروه على الأمن ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾: مثل ما علّمكم أو شكراً يوازي تعليمكم ﴿مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم﴾: يوصون وصيّة من قبل أن يحتضروا ﴿مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ بأن تمتّع أزواجهم بعدهم حولاً كاملاً، أي: ينفق عليهنّ من تركته ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: ولا يخرجن من مساكنهنّ. ورد: «هي منسوخة، نسختها "يتربّصن بأنفسهنّ أربعة أشهرٍ و عشراً"[9]، و نسختها آية[10] الميراث»[11].

أقول: يعني نسخت المدّة بآية التربّص، والنّفقة بآية الميراث. و آية التّربّص وإن كانت متقدّمة في التّلاوة فهي متأخّرة في النّزول.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ من منزل أزواجهنّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٤٣، عن أمير المؤمنين ؑ.
٢و٣ـ القمّي ١: ٧٩، عن أبي عبدالله ؑ.
٤و٦ـ العيّاشي ١: ١٢٧، الحديث: ٤١٦، عن أبي جعفر ؑ.
٥ـ المصدر: ١٢٨، الحديث: ٤٢٠، عن أبي عبدالله ؑ.
٧و٨ـ الكافي ٣: ٤٥٧، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله ؑ.
٩ـ البقرة (٢): ٢٣٤.
١٠ـ النّساء (٤): ١٢.
١١ـ العيّاشي ١: ١٢٩، الحديث: ٤٢٦.

﴿مَعْرُوفٍ﴾ كالتزيّن والتعرّض للأزواج ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: ينتقم من خالفه ﴿حَكِيمٌ﴾: يراعي مصالحهم.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾. تعميم بعد ذكر بعض الأفراد، وحمل على الاستحباب، لما ورد من اختصاص الوجوب بذلك[1]. و ورد: «إنّ متاعها بعد ما تنقضي عدّتها، على الموسع قدره و على المقتر قدره ـ قال: ـ وكيف يمتّعها في عدّتها؟ وهي ترجوه ويرجوها ويحدث الله بينهما ما يشاء»[2].

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تفهمونها و تستعملون العقل فيها.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾. تعجيب وتقرير. ورد: «هم أهل مدينة من مدائن الشام وكانوا سبعين ألف بيت، هربوا من الطّاعون، فمرّوا بمدينة خربة قد جلا أهلها عنها وأفناهم الطّاعون، فنزلوا بها، فأماتهم الله من ساعتهم جميعاً وصاروا رميماً يلوح[3]، فمرّ بهم نبيّ من أنبياء بني إسرائيل يقال له: «حزقيل» فبكى واستعبر وقال: يا ربّ لو شئت لأحييتهم السّاعة كما أمتّهم، فعمروا بلادك و ولدوا عبادك وعبدوك مع من يعبدك. فأوحى الله إليه أن قل: كذا و كذا فقاله ـ وكان الاسم الأعظم ـ فعادوا أحياءاً، ينظر بعضهم إلى بعض يسبّحون الله ويكبّرونه ويهلّلونه فقال «حزقيل» عند ذلك: أشهد أنّ الله على كلّ شيء قدير»[4]. هذا ملخّص القصّة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ حيث يبصرهم ما يعتبرون به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لايعتبرون.

١ـ راجع: مجمع البيان ١ـ ٢: ٣٤٥ـ ٣٤٦؛ و من لايحضره الفقيه ٣: ٣٢٨، الحديث، ١٥٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٦: ١٠٥، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ أي يظهر للناس عظامهم المفرّقة من غير جلد و لحم «مرآة العقول ٢٦: ١٠٢».
٤ـ الكافي ٨: ١٩٨ـ ١٩٩، الحديث: ٢٣٧، عن الصادقين عليهما السلام.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فإنّ الفرار من الموت غير مخلص عنه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما يقوله المتخلّفون والسّابقون ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرونه.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: مقروناً بالإخلاص من حلال طيّب ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ لا يقدّرها إلاّ الله. ورد: «لمّا نزلت "مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا"[1]، قال رسول الله ﷺ: اللّهمّ زدني، فأنزل الله: "مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا"[2]، فقال رسول الله ﷺ: زدني، فنزلت. فعلم أنّ الكثير من الله لا يحصى وليس له منتهى»[3]. ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قال: «يمنع ويوسّع»[4].

أقول: يعني فلا تبخلوا عليه بما وسّع عليكم. ورد: «إنّها نزلت في صلة الإمام»[5].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ﴾ قال: «هو إشموئيل، وهو بالعربيّة إسماعيل»[6]. ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. قال: «كان الملك في ذلك الزّمان هو الّذي يسير بالجنود، والنّبيّ يقيم له أمره وينبئه بالخبر من عند ربّه»[7]. ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾: أن تجبّنوا ولا تصبروا ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ بالسّبي والقهر على نواحيهم ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾. تهديد لمن تولّى.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا

١ـ النّمل (٢٧): ٨٩.
٢ـ الأنعام (٦): ١٦٠.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٤٩، عن أبي عبدالله ؑ.
٤ـ التّوحيد: ١٦١، الباب: ١٧، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله ؑ.
٥ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٤٢، الحديث: ١٨٩، عن أبي عبدالله ؑ.
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٥٠، عن أبي جعفر ؑ.
٧ـ العيّاشي ١: ١٣٢، الحديث: ٤٣٧، عن أبي عبدالله ؑ.

﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ وراثة ومكنة ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً﴾: فضيلة وسعة ﴿فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ يوسّع على الفقير ويغنيه ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يليق بالملك.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ﴾: أمنة وطمانينة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

ورد: «إنّ بني إسرائيل بعد موسى عملوا بالمعاصي وغيّروا دين الله وعتوا عن أمر ربّهم، وكان فيهم نبيّ ينهاهم فلم يطيعوه، فسلّط الله عليهم جالوت، وهو من القبط، فآذاهم[1] وقتل رجالهم وأخرجهم من ديارهم واستعبد نساءهم، ففزعوا إلى نبيّهم وقالوا: سل الله أن يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله. وكانت النبوّة في بني إسرائيل في بيت، والملك والسلطان في بيت آخر، لم يجمع الله النبوّة والملك في بيت. كانت النبوّة في ولد «لاوي» والملك في ولد «يوسف» وكان طالوت من ولد «بن يامين» أخي يوسف لأمّه، ولم يكن من بيت النبوّة ولا من بيت المملكة، وكان أعظمهم جسماً وكان شجاعاً قويّاً وكان أعلمهم، إلا أنّه كان فقيراً، فعابوه بالفقر.

وكان التّابوت الّذي أنزل الله على موسى، فوضعته فيه أمّه، فألقته في اليمّ وكان في بني إسرائيل يتبركون به[2]. فلمّا حضر موسى الوفاة، وضع فيه الألواح [ودرعه][3] وما كان عنده من آيات النبوّة وأودعه يوشع وصيّه، فلم يزل التّابوت بينهم حتّى استخفّوا به، وكان الصّبيان يلعبون به في الطّرقات، فلم يزل بنو إسرائيل في عزّ وشرف مادام التّابوت

١ـ في المصدر: «فأذلّهم».
٢ـ في المصدر: «فكان في بني إسرائيل معظماً يتبرّكون به».
٣ـ ما بين المعقوفتين ليس في المصدر.

بينهم. فلمّا عملوا بالمعاصي واستخفّوا بالتّابوت رفعه الله عنهم. فلمّا سألوا النّبيّ وبعث الله طالوت إليهم ملكاً يقاتل معهم، ردّ الله عليهم التّابوت»[1]

وقال: «السكينة ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان. وكان إذا وضع التّابوت بين يدي المسلمين والكفّار، فإن تقدّم التّابوتَ رجلٌ لا يرجع حتّى يُقتَل أو يغلب، ومن رجع عن التّابوت كفر وقتله الإمام»[2]. وقال: «والبقيّة رَضراض الألواح فيها العلم والحكمة»[3]. وفي رواية: «وعصا موسى»[4]. وفي أخرى: «والطّست الّذي يغسل فيه قلوب الأنبياء»[5]. وقد مرّ لها معنى أعمّ من ذلك كلّه.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾: انفصل بهم من بلده ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾: مختبركم ﴿بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ قال: «فليس من حزب الله»[6]. ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾: لم يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾. استثناء من قوله: "فمن شرب منه"، ومعناه: الرّخصة في اغتراف الغرفة باليد. قال: «لمّا وردوا النّهر، أطلق الله لهم أن يغترف كلّ واحد منهم غرفة»[7].

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ قال: «إلّا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، منهم من اغترف ومنهم من لم يشرب»[8]. وفي رواية: «القليل الّذين لم يشربوا ولم يغترفوا

١ـ القمّي ١: ٨١ـ ٨٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٨٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ الكافي ٨: ٣١٧، الحديث: ٥٠٠؛ و العيّاشي ١: ١٣٣، الحديث: ٤٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام. والرَّضراض: الفتات، من رضرضه إذا كسره و دقّه، ورضراض الألواح: مكسوراتها. «منه قدّس سرّه» في الصّافي ١: ٢٥٣. و في العيّاشي: «رضاض» و هي بمعناه.
٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ العيّاشي ١: ١٣٣، الحديث: ٤٤٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام، و فيه: «الطّست الّتي تغسل فيها قلوب الأنبياء».
٦و٧ـ القمّي ١: ٨٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ١: ١٣٤، الحديث: ٤٤٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

للثماة وثلاثة عشر»[1]. قال: «وكان الّذين شربوا منه ستّين ألفاً»[2]. و روي: «انّ من اقتصر على الغرفة كفته لشربه و إداوته، ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودّت شفته ولم يقدر أن يمضي وهكذا الدّنيا لقاصد الآخرة»[3]. ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ﴾. تخطّى النّهر طالوت ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ يعني: القليل من أصحابه، ورأوا كثرة عدد جنود جالوت ﴿قَالُواْ﴾: قال الّذين اغترفوا. ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾. يتيقّنون ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ وهم الّذين لم يغترفوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾. ورد: «أوحى الله إلى نبيّهم أنّ جالوت يقتله من يستوي[4] عليه درع موسى، وهو رجل من ولد «لاوي بن يعقوب» اسمه: «داود بن آسي». قال: فلمّا جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى، فاستوت عليه. وقتل داود جالوت واجتمعت بنو إسرائيل على داود، وأنزل الله عليه الزّبور، وعلّمه صنعة الحديد وليّنه له»[5]. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ قال: «يدفع الهلاك بالبرّ عن الفاجر»[6]. ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ورد: «إنّ الله ليدفع بمن يصلّي من شيعتنا عمّن لا يصلّي من

١ ـ القمّي ١: ٨٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ المصدر، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ ـ البيضاوي ١: ٢٥٥. والإداوة ـ بالكسر ـ إناء صغير من جلد يتّخذ للماء. وإداوة الشّيء و أداوته: آلته. لسان العرب ١٤: ٢٥ (أدا)
٤ ـ في المصدر: «من يستوي».
٥ ـ راجع: القمّي ١: ١٨٢ والعيّاشي ١: ١٣٥، الحديث: ٤٤٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٣٥٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

شيعتنا، ولو اجتمعوا على ترك الصّلاة لهلكوا. ثمّ ذكر الزّكاة والحجّ، ثمّ تلا هذه الآية وقال: «والله ما نزلت إلّا فيكم ولا عنى بها غيركم»[1].

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من الخذلان والعصمة عدلاً وفضلاً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ لا تقدرون على تدارك ما فرّطتم. ولعلّ المراد به يوم الموت، كما مرّ في قوله: «وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا»[2]. وذلك لأنّ الشّفاعة ثابتة يوم القيامة. ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فتحصّلون ما تنفقونه أو تفتدون[3] به من العذاب. ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ حتّى تعينكم عليه أخلّاؤكم أو يسامحونكم به ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ حتّى تتّكلوا على شفعاء يشفعون لكم في حطّ ما في ذممكم[4] ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، حيث بلغ ظلمهم بأنفسهم الغاية.

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: هو المستحقّ للعبادة لا غير ﴿الْحَيُّ﴾: العليم القدير ﴿الْقَيُّومُ﴾: الدّائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾: نعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ بالطّريق الأولى. وهو تأكيد للنّوم المنفيّ ضمناً، والجملة نفي للتّشبيه، وتأكيد لكونه حيّاً قيّوماً. ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. يملكهما ويملك تدبيرهما.

١ـ العيّاشي ١: ١٣٥، الحديث: ٤٤٦، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٢ـ في ذيل الآية: ٤٨.

٣ـ في «الف»: «أو تفتدون».

٤ـ في «ج»: «ذمّتكم».

تأكيد لقيّوميّته واحتجاج على تفرّده بالألوهيّة.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾. بيان لكبرياء شأنه وأنّه لا أحد يساويه أو يدانيه، يستقلّ بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة، فضلاً أن يعاوقه عناداً أو مناصبة. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: «ما كان»[1]. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ قال: «و ما لم يكن بعد»[2]. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾: من معلوماته بأن يعلموه كما هو ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ القمّي: «إلّا بما يوحي إليهم»[3]. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال: «علمه»[4]. وفي رواية: «العرش هو العلم الّذي اطلع الله عليه أنبياءه و رسله وحججه، والكرسيّ هو العلم الّذي لم يُطلع عليه أحداً منهم»[5]. وفي أُخرى: «العرش في وجه هو جملة الخلق، والكرسيّ وعاؤه»[6]. ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾: ولا يثقله ﴿حِفْظُهُمَا﴾: حفظه إيّاهما ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ عن الأنداد والأشباه ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: المستحقر بالإضافة إليه كلّ ما سواه.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾: تميّز الإيمان من الكفر، واتّضح أنّ الإيمان رشد يوصل إلى السّعادة الأبديّة، وأنّ الكفر غيّ يؤدّي إلى الشّقاوة السّرمديّة، فلا حاجة إلى الإكراه أو إخبار في معنى النّهي، مختصّ بأهل الكتاب، إذا أدّوا الجزية. وورد: «لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان الله بولاية إمام عادل من الله»[7]. وعلى هذا يكون المعنى: لا إكراه في التّشيّع. فهو إخبار في معنى النّهي من دون تخصيص.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ قال: «الشّيطان»[8]. وفي رواية: «كلّ ما عبد من دون الله

١، ٢ و ٣ـ القمّي ١: ٨٤، عن الرّضا عليه السلام
٤ـ التّوحيد: ٣٢٧، الباب: ٥٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام
٥ و ٦ـ معاني الأخبار: ٢٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام
٧ـ الكافي ١: ٣٧٥، الحديث: ٣؛ والعيّاشي ١: ١٣٨، الحديث: ٤٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام
٨ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٦٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

من صنم أو صادٍّ عن سبيل الله»[1]. ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ وحده ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾. قال: «هي الإيمان بالله وحده لا شريك له»[2]. وفي رواية: «هي مودّتنا أهل البيت»[3]. ﴿لَا انفِصَامَ لَهَا﴾: لا انقطاع لها ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بالأقوال ﴿عَلِيمٌ﴾ بالنّيّات.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: متولّي أمورهم ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ قال: «ظلمات الذّنوب»[4]. ﴿إِلَى النُّورِ﴾ قال: «نور التّوبة والمغفرة، لولايتهم كلّ إمام عادل من الله»[5]. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ﴾ قال: «نور الإسلام الّذي كانوا عليه»[6]. ﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ قال: «ظلمات الكفر، لولايتهم كلّ إمام جائر ليس من الله، فأوجب الله لهم النّار مع الكفّار»[7]. قال: «وذلك لأنّ الكافر لا نور له حتّى يخرج منه»[8]. ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾. تعجيب من محاجّة نمرود وحماقته ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾. لأن آتاه. أي: أبطره[9] إيتاؤه الملك وحمله على المحاجّة، أو المراد وضع المحاجّة موضع الشكر على إيتائه الملك. ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ بالعفو عن القتل والقتل. ورد: «إنّ ابراهيم قال له: أحيي من قتلته إن كنت صادقاً»[10]. وكان ذلك بعد إلقائه إيّاه في النّار.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾. عدل إلى مثال أجلى، دفعاً للمشاغبة[11]. ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾. فصار مبهوتاً، وعلى قراءة المعلوم.

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٦٤، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والبيضاوي ١: ٢٦٠؛ والدرّ المنثور ٢: ٢٢.
٢ـ الكافي ٢: ١٤، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ نور الثّقلين ١: ٢٦٣، الحديث: ١٠٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ إلى ٨ ـ العيّاشي ١: ١٣٨، الحديث: ٤٦٠؛ والكافي ١: ٣٧٥، الحديث: ٣؛ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ أبطره: أدهشه وجعله بطراً والبطر: سوء احتمال الغنى والطّغيان عند النّعمة. القاموس المحيط ١: ٣٨٨؛ ومجمع البحرين ٣: ٢٢٦ (بطر).
١٠ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٦٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١١ـ المشاغبة: المخاصمة. مجمع البحرين ٢: ٩١ (شغب).

مغلوباً. والقمّي: اي انقطع، وذلك انّه علم انّ الشّمس اقدم منه[١] ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي﴾ بمحجّة[٢] المحاجّة وسبيل النّجاة وطريق الجنّة ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الّذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية. وورد: «خالف إبراهيم قومه وعاب آلهتهم حتّى ادخل على نمرود فخاصمهم»[٣].

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ قال: «هو إرميا النّبيّ»[٤]. وفي رواية: «عزير»[٥]. ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾: «ساقطة حيطانها على سقوفها، واهلها موتى، والسّباع تاكل الجيف، ففكّر في نفسه ساعة». كذا ورد[٦]. ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: كيف يحيي؟، او متى يحيي؟ اعترافاً بالعجز عن معرفة طريق الاحياء، واستعظاماً لقدرة المحيي. اراد ان يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة. ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾: أحياه.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ورد: «إنّه اماته غدوة وبعثه عشيّة قبل الغروب، وكان اوّل ما احيا الله منه عينيه في مثل غرقئ البيض، ثمّ اوحى إليه: "كَمْ لَبِثْتَ" قال: "لَبِثْتُ يَوْماً" فلمّا ان نظر إلى الشّمس لم تغب، قال: "أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ"»[٧]. ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم يتغيّر بمرور السّنين. ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ قال: «كيف تفرّقت عظامه ونخرت وتفتّتت»[٨].

﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ اي: وفعلنا ذلك لنجعلك آية، قال: «حجّة»[٩]. ﴿وَانْظُرْ

١- القمّي ١: ٨٦.
٢- في «الف» و «ج»: «محجّة».
٣- العيّاشي ١: ١٣٩، الحديث: ٤٦٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤- مجمع البيان ١-٢: ٣٧٠، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والقمّي ١: ٨٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥- مجمع البيان ١-٢: ٣٧٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦- راجع: القمّي ١: ٩٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧- العيّاشي ١: ١٤١، الحديث: ٤٦٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨- جوامع الجامع ١: ١٤٢. والتفتّت: التكسّر. لسان العرب ٢: ١٦٥ ومجمع البحرين ٢: ٢١٢ (فتت).
٩- كمال الدّين ١: ٣٠.

﴿إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾. قال: «كيف نرفع بعضها إلى بعض»[1]. «فجعل ينظر إلى عظامه كيف يصل بعضها إلى بعض ويرى العروق كيف تجري»[2].

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ما تبيّن ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ قال: «فلمّا استوى قائماً قال: اعلم»[3]. ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. وفي رواية: «فجعل ينظر إلى العظام البالية المتفطّرة تجتمع إليه، وإلى اللّحم الّذي قد أكلته السّباع يتألّف إلى العظام من هاهنا وهاهنا، ويلتزق بها حتّى قام وقام حماره، فقال: "اعلم أنّ الله على كلّ شيءٍ قدير"»[4].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾. ورد: «لمّا رأى إبراهيم ملكوت السّموات والأرض، التفت فرأى جيفة على ساحل البحر نصفها في الماء ونصفها في البرّ، تجيء سباع البحر فتأكل ما في الماء، ثمّ ترجع فيشدّ[5] بعضها على بعض، فيأكل بعضها بعضاً، وتجيء سباع البرّ فتأكل منها، فيشدّ بعضها على بعض، فيأكل بعضها بعضاً. فعند ذلك تعجّب إبراهيم ممّا رأى وقال: "رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ"؟ قال: كيف تخرج ما تناسل الّتي أكل بعضها بعضاً؟»[6]. ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ بأنّي قادر على الإحياء؟ قال له ذلك ليجيب بما أجاب، فيعلم السّامعون غرضه. ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال: «يعني حتّى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلّها»[7]. ورد: «كان على يقين ولكنّه أراد من الله الزّيادة في يقينه»[8]. وفي رواية: «إنّ الله أوحى إليه أنّي متّخذ من

١ـ جوامع الجامع ١: ١٤٣.
٢و٣ـ العيّاشي ١: ١٤١، الحديث: ٤٦٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٩٠ـ ٩١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الشّدّ ـ بالفتح ـ: الحملة في الحرب. القاموس المحيط ١: ٣١٦ (شدّ).
٦و٧ـ الكافي ٨: ٣٠٥، الحديث: ٤٧٣؛ والعيّاشي ١: ١٤٢، الحديث: ٤٦٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ المحاسن (للبرقي): ٢٤٧، الباب: ٢٩، الحديث: ٢٤٩، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

عبادي خليلاً، إن سألني إحياء الموتى اجبته، فوقع في نفسه انّه ذلك الخليل، فقال: «رَبِّ أرني كيف تحيي الموتى؟ قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئنّ قلبي على الخلّة»[1].

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ﴾: املهنّ واضممهنّ ﴿إِلَيْكَ﴾ لتتأمّلها وتعرف شأنها، لئلاً يلتبس عليك بعد الاحياء ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ قال: «فقطّعهنّ واخلطهنّ، كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السّباع الّتي اكل بعضها بعضاً فخلط»[2]، الحديث.

وفي رواية: «فاخذ نسراً وبطّاً وطاووساً وديكاً، فقطّعهنّ وخلطهنّ، ثمّ جعل على كلّ جبل من الجبال ـ الّتي كانت حوله وكانت عشرة ـ منهنّ جزءاً، وجعل مناقيرهنّ بين أصابعه، ثمّ دعاهنّ بأسمائهنّ، ووضع عنده حبّاً وماءاً، فتطايرت تلك الاجزاء بعضها إلى بعض حتّى استوت الأبدان، وجاء كلّ بدن حتّى انظمّ إلى رقبته ورأسه، فخلّى إبراهيم عن مناقيرهنّ فطرن، ثمّ وقعن فشربن من ذلك الماء، والتقطن من ذلك الحبّ وقلن: يا نبيّ الله احييتنا، احياك الله، فقال إبراهيم: بل الله يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير»[3]. وفي تعيين الطيور اخبار أُخر[4]. ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجز عمّا يريده ﴿حَكِيمٌ﴾ في كلّ ما يفعله ويذره.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾: باذر حبّة ﴿أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ قال: «لمن انفق ماله ابتغاء مرضاة الله»[5]. وورد: «إذا أحسن العبد المؤمن عمله، ضاعف الله له عمله بكلّ حسنة

١ـ عيون أخبار الرّضا ﷺ ١: ١٩٨، الباب: ١٥، الحديث: ١.
٢ـ الكافي ٨: ٣٠٥، الحديث: ٤٧٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٣ـ عيون أخبار الرّضا ﷺ ١: ١٩٨، الباب: ١٥، الحديث: ١.
٤ـ راجع: العيّاشي ١: ١٤٢، الحديث: ٤٧٠ و ٤٧١ و مجمع البيان ١ـ ٢: ٣٧٣؛ والقمّي ١: ٩١.
٥ـ القمّي ١: ٩٢، عن أبي عبدالله ﷺ.

سبعمائة ضعف وذلك قول الله: «والله يضاعف لمن يشاء»[1] ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لا يضيق عليه ما يتحصّل به من الزّيادة ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّة المنفق وقدر إنفاقه.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾. المنّ: الاعتداد بالإحسان على من أحسن إليه. والأذى: التّطاول عليه بما أنعم عليه. ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: ردّ جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: تجاوز عن السّائل أو مغفرة من الله ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقة المانّ والمؤذي ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجله بالعقوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾. قال: «نزلت في عثمان وجرت في معاوية وأتباعهما»[2]. ﴿كَٱلَّذِى﴾: كإبطال المنافق الذي ﴿يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: لا يريد به رضا الله ولا ثواب الآخرة ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ في إنفاقه ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾: مطر عظيم القطر ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾: نقيّاً من التّراب ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾: لا ينتفعون بما فعلوه ولا يجدون ثوابه ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إلى الخير والرّشاد.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ القمّي: «عن المنّ والأذى»[3].

أقول: يعني ويوطّنون أنفسهم على حفظه ممّا يفسده من المنّ والأذى والرّياء، بعد ابتغائهم به مرضاة الله. وورد: «إنّها نزلت في عليّ عليه السلام»[4].

١ـ العيّاشي ١: ١٤٦، الحديث: ٤٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر ١: ١٤٧، الحديث: ٤٨٢، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٣ـ القمّي ١: ٩١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ١٤٨، الحديث: ٤٨٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ أي مَثَلُ نفقتهم في الزكاة كمثل بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: في موضع مرتفع ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا﴾: ثمرتها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مثليّ ما كانت تثمر بسبب الوابل. قال: «يتضاعف ثمرها كما يتضاعف أجر من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله»[1] ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها. والطلّ يقال لما يقع بالليل على الشجر والنبات. والمعنى أنّ نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال، وإن كانت تتفاوت باعتبار ما يضمّ إليها من الأحوال. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ من الإخلاص والرّياء.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾: ريح عاصف تنعكس من الأرض إلى السّماء، مستديرة كعمود ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾. قال: «من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله ثمّ امتنّ على من تصدّق عليه، كان كمن قال الله: "أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ" قال: الإعصار: الرّيح، فمن امتنّ على من تصدّق عليه كان كمن كان له جنّة كثيرة الثّمار، وهو شيخ ضعيف له أولاد ضعفاء، فتجيء ريح أو نار فتحرق ماله كلّه»[2]. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فتعتبرون بها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾: من حلاله وجياده ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾: ومن طيّبات ما أخرجنا لكم من الحبوب والثّمار والمعادن. قال: «كان القوم قد كسبوا مكاسب[3] في الجاهليّة، فلمّا أسلموا أرادوا أن يخرجوها من أموالهم ليتصدّقوا بها، فأبى الله إلّا أن يخرجوا من طيّب ما كسبوا»[4]. ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا

١ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٣٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٩٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في المصدر: «مكاسب سوء».
٤ـ الكافي ٤: ٤٨، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «من الطيب ما كسبوا».

﴿الْخَبِيثَ﴾. ولا تقصدوا الرّديّ ﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ وحالكم أنّكم لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته: ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾: إلا أن تتسامحوا فيه. ورد «إنّها نزلت في قوم كانوا يأتون برديّ التّمر، فيدخلونه في تمر الصّدقة»[1] ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن إنفاقكم؛ وإنّما أمركم به لانتفاعكم ﴿حَمِيدٌ﴾ بقبوله وإثابته.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ في الإنفاق في وجوه البرّ، وفي إنفاق الجيّد من المال ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ ويغريكم على البخل، ومنع الزّكوات إغراء الآمر للمأمور. والعرب تسمّي البخيل فاحشاً. ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ﴾ في الإنفاق ﴿مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ لذنوبكم وكفّارة لها ﴿وَفَضْلًا﴾: وخلفاً أفضل ممّا أنفقتم في الدّنيا والآخرة ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾. واسع الفضل لمن أنفق ﴿عَلِيمٌ﴾ بإنفاقه.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. الحكمة تحقيق العلم وإتقان العمل. وفي رواية: «طاعة الله ومعرفة الإمام»[2]. وفي أُخرى. «معرفة الإمام و اجتناب الكبائر الّتي أوجب [الله][3] عليها النّار»[4]. وفي أُخرى: «المعرفة والفقه في الدّين ـ قال: ـ فمن فقه منكم فهو حكيم»[5]. وفي أُخرى. «الحكمة ضياء المعرفة وميراث التّقوى وثمرة الصّدق، ولو قلت: ما أنعم الله على عباده نعمة أنعم وأعظم وأرفع وأجزل وأبهى من الحكمة لقلت، ثمّ تلا هذه الآية»[6].

أقول: والكلّ يرجع إلى ما فسّرناها به أوّلاً.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم. وفي

١ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٣٨٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه «يأتون بالحشف».
٢ـ الكافي ١: ١٨٥، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الزّيادة من المصدر و «ب».
٤ـ العيّاشي ١: ١٥١، الحديث: ٤٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٤٩٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «التّفقّه في الدّين».
٦ـ مصباح الشريعة: ١٩٨، الباب ٩٥، في الحكمة، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه «للقلب».

الرّواية الأخيرة قال: «أي: لا يعلم ما أودعت وهيّأت في الحكمة إلاّ من استخلصته لنفسي وخصّصته بها. والحكمة هي الكتاب[1]، وصفة الحكيم الثّبات عند أوايل الأمور، والوقوف عند عواقبها وهو هادي خلق الله إلى الله»[2]. وفي أُخرى: «ما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلاّ كان خراباً. ألا فتفقّهوا و تعلّموا ولا تموتوا جهلاء»[3].

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ قليلة أو كثيرة، سرّ أو علانية، في حقّ أو باطل ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ في طاعة أو معصية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الّذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها أو يمنعون الصّدقات ولا يوفون بالنّذور ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾: من ينصرهم من الله ويمنع عنهم العقاب.

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ قال: «يعني الزكاة المفروضة»[4]. ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾: فنعم شيئاً إبداؤها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قال: «يعني النّافلة، إنّهم كانوا يستحبّون إظهار الفرائض وكتمان النّوافل»[6]. ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. ترغيب في الإخفاء ومجانبة الرّياء.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾: من مال ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ فلا تمنّوا به على من تنفقونه عليه ولا تؤذوه ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾: إلاّ لطلب ما عنده. فما بالكم تمنّون بها وتنفقون الخبيث الّذي لا يتوجّه بمثله إلى الله؟ ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ثوابه أضعافاً مضاعفة ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: لا تنقصون ثواب نفقتكم.

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: اعمدوا للفقراء ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أحصرهم الجهاد

١ـ في المصدر: «النّجاة» وفي بعض النّسخ: «الكتابة».
٢ـ مصباح الشّريعة: ١٩٨، الباب ٩٥، في الحكمة، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٢، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٤ و٦ـ الكافي ٤: ٦٠، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لاشتغالهم به ﴿ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾: ذهاباً فيها للكسب. ورد: «إنّها نزلت في أصحاب الصُّفّة»[1] قيل: كانوا نحواً من أربع مائة من فقراء المهاجرين، يسكنون صُفّة المسجد، يستغرقون أوقاتهم بالتعلّم والعبادة وكانوا يخرجون في كلّ سريّة يبعثها رسول الله ﷺ[2]. ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾. من أجل تعفّفهم عن السؤال ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ من صفرة الوجه ورثاثة الحال ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾. إلحاحاً، وهو أن يلازم المسؤول حتّى يعطيه ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. قال: «نزلت في علي ؏، كانت معه أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية»[3]. وفي رواية «نزلت في النّفقة على الخيل»[4] ولا منافاة بينهما. وورد «إنّها ليست من الزكاة»[5].

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ﴾ إذا بعثوا من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾: إلاّ كقيام المصروع ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ أي الجنون ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾. قاسوا أحدهما بالآخر ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾. إنكار لتسويتهم وإبطال للقياس. ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ قال: «الموعظة: التّوبة»[6] ﴿فَانْتَهَىٰ﴾:

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٧، عن أبي جعفر ؏.
٢ـ الكشاف ١: ٣٩٨، ومجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٧.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٣٨٨، عن الصادقين عليهما السلام؛ والعيّاشي ١: ١٥١، الحديث: ٥٠٢، عن أبي إسحاق.
٤ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٨٨، الحديث: ٨٥٢، عن النبيّ ﷺ.
٥ـ العيّاشي ١: ١٥١، الحديث: ٥٠١؛ والكافي ٣: ٤٩٩، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله ؏.
٦ـ العيّاشي ١: ١٥٢، الحديث: ٥٠٥، عن أبي عبدالله ؏؛ والكافي ٢: ٤٣٢، الحديث: ٢، عن أحدهما عليهما السلام.

فاتّعظ وامتنع منه ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾: لا يؤاخذ بما مضى منه ولا يستردّ منه. قال: «كلّ ربا أكله النّاس بجهالة ثمّ تابوا، فإنّه يقبل منهم، إذا عرف منهم التّوبة»[1] ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يحكم في شأنه ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعد ما تبيّن له تحريمه مستحقّاً به. سئل: الرّجل يأكل الرّبا وهو يرى أنّه حلال؟ قال: «لا يضرّه حتّى يصيبه متعمّداً»[2]. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾: يذهب بركته ويهلك المال الّذي يدخل فيه ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: يضاعف ثوابها. ورد: «ليس شيء إلّا وقد وكّل به ملك غير الصّدقة؛ فإنّ الله يأخذه بيده ويربّيه[3] كما يربّي أحدكم ولده حتّى تلقاه يوم القيامة وهي مثل أُحد»[4]. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾: مصرّ على تحليل المحرّمات ﴿أَثِيمٍ﴾: منهمك في ارتكابه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾: واتركوا بقايا ما شرطتم على النّاس منه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: فاعلموا بها. ورد: «درهم ربا أشدّ عند الله من سبعين زنية كلّها بذات محرم»[5]. ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ المديونين بأخذ الزّيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالمطل[6] والنّقصان منها.

١ـ الكافي ٥: ١٤٥، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله ﷺ.
٢ـ المصدر: ١٤٤، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله ﷺ وفيه: «أنّه له حلال».
٣ـ كذا في جميع النّسخ والمصدر، ولعلّ الأصحّ: «فيأخذها بيده ويربّيها».
٤ـ العيّاشي ١: ١٥٣، الحديث: ٥١٠؛ والبحار ٩٣: ١٢٧، عن أبي عبدالله ﷺ عن النّبيّ ﷺ.
٥ـ الكافي ٥: ١٤٤، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٦ـ المطل: التّسويف بالعدة والدّين. القاموس المحيط ٤: ٥٢ (مطل).

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾: إن وقع في غرمائكم ذو إعسار ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ فانظار إلى وقت يسار ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾ بالإبراء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أكثر ثواباً من الإنظار ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: «إن كنتم تعلمون أنّه معسر فتصدّقوا عليه بمالكم عليه»[1] ورد: «من انظر معسراً كان له على الله في كلّ يوم صدقة بمثل ماله حتّى يستوفيه»[2].

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾: تأهّبوا لمصيركم إليه ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من خير أو شرّ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب أو تضعيف عقاب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾: إذا تعاملتم نسيئة ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: معلوم ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ لأنّه أوثق وأدفع للنزاع ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ لا يزيد على ما يجب ولا ينقص ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ الكتابة ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ لأنّه المقرّ المشهود عليه. والإملال: الإملاء. ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾: ولا ينقص من الحقّ ﴿شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا﴾.

قال: «السّفيه هو الّذي يشتري الدّرهم بأضعافه، والضّعيف: الأبله»[3]. وفي رواية: «السّفيه: شارب الخمر، والضّعيف: الّذي يأخذ واحداً باثنين»[4]. وفي أُخرى: «ضعيفاً في بدنه لا يقدر أن يملّ، أو ضعيفاً في فهمه وعلمه لا يقدر أن يملّ ويميّز الألفاظ الّتي هي عدل عليه وله من الألفاظ الّتي هي جور عليه أو على حميمه»[5] ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ قال: «بأن يكون مشغولاً في مرمّة لمعاش أو تزوّد لمعاد، أو لذّة في غير محرّم؛ فإنّ تلك الأشغال الّتي لا ينبغي للعاقل أن يشرع في غيرها»[6]. ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾

١ و٢ـ الكافي ٤: ٣٥، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ التهذيب ٩: ١٨٢، الحديث: ٧٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ١٥٥، الحديث: ٥٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ و٦ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٣٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: «يعني النّائب عنه والقيّم بأمره»[1]. ﴿بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ قال: «أن لا يحيف على المكتوب له ولا على المكتوب عليه»[2]

﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ﴾ المسلمين ﴿فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾. قال: «يعني ممّن ترضون دينه وأمانته وصلاحه وعفّته وتيقّظه فيما يشهد به وتحصيله وتمييزه؛ فما كلّ صالح مميّز، ولا محصّل، ولا كلّ محصّل مميّز صالح»[3] ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا﴾ بأن تنساها. من قولهم: «ضلّ الطّريق»: إذا لم يهتد ﴿فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾. قال: «إذا ضلّت إحداهما عن الشّهادة ونسيتها ذكّرتها الأخرى، فاستقامتا في أداء الشّهادة»[4]. ورد: «عدل الله شهادة امرأتين بشهادة رجل، لنقصان عقولهنّ ودينهنّ»[5].

﴿وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ﴾. قال: «إذا دعاك الرّجل تشهد له على دَين أو حقّ لم ينبغ لك أن تقاعس عنه»[6]. وفي رواية: «هي قبل الشّهادة ومن يكتمها بعد الشّهادة»[7] ﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ﴾: ولا تملّوا ﴿أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا﴾ كان الحقّ ﴿أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ﴾: إلى وقت حلوله الّذي أقرّ به المديون ﴿ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أعدل ﴿وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾: وأثبت لها وأعون على إقامتها ﴿وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾: وأقرب في أن لا تشكّوا في جنس الدَّين وقدره وأجله وشهداته ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ﴾: تتبايعون يداً بيد.

﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ﴾.

١ و٢ـ تفسير الإمام ﷺ: ٦٣٤، عن أمير المؤمنين ﷺ.

٣ـ المصدر: ٦٧٢، عن أمير المؤمنين ﷺ.

٤ و٥ـ المصدر: ٦٧٥، عن أمير المؤمنين ﷺ

٦ـ العيّاشي ١: ١٥٦، الحديث: ٥٢٣، عن أبي الحسن موسى ﷺ، مع تفاوت يسير

٧ـ المصدر، الحديث: ٥٢٦ و٥٢٧، عن أبي عبدالله ﷺ

يحتمل البناءين، وهو نهي لهما عن ترك الإجابة والتّحريف والتّغيير في الكتابة والشّهادة، أو نهي عن الضّرار بهما، مثل أن يعجلا عن مهمّ، ويكلّف الخروج عمّا حدّ لهما، أو لا يعطى الكاتب جُعْلَه والشّهيد مؤنة مجيئه حيث كان ﴿وَإِن تَفْعَلُوا﴾ الضّرار وما نهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾: خروج عن الطّاعة لاحق بكم

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفة أمره ونهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ أحكامه المتضمّنة لمصالحكم

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ كرّر لفظة "الله" في الجمل الثّلاث لاستقلالها

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ﴾: فالّذي يستوثق به رهان، وهي جمع رهن ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾. قال: «لا رهن إلّا مقبوضاً»[1]

أقول: لا يختصّ الارتهان بالسّفر، ولكن السّفر لمّا كان مظنّة لإعواز الكتب والإشهاد، أمر المسافر بأن يقيم الارتهان مقام الكتاب والإشهاد على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ﴾ أي: الّذي عليه الحقّ ﴿أَمَانَتَهُ﴾. سمّي الدّين أمانة لائتمانه عليه بترك الارتهان منه. ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في الخيانة وإنكار الحقّ ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ خطاب للشّهود. ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا﴾ مع علمه بالمشهود به وتمكّنه من أدائه ﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ قال: «كافر قلبه»[2] ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ تهديد

﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ من خير أو شرّ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ سوى الوسوسة وحديث النّفس ممّا لا يدخل تحت الاختيار، كما ورد به الأخبار[3]. ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾. قال: «وبما في الصّدور يجازي العباد»[4]. ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن

١- التّهذيب ٧: ١٧٦، الحديث: ٧٧٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢- من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٥، الحديث: ١١٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣- راجع: الكافي ٢: ٤٦٣، الحديث: ١، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ووسائل ٥: ٣٤٥، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٤- نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ١٠٣، الخطبة: ٧٥.

يَشَاءُ﴾ بمغفرته ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ بتعذيبه ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾. شهادة ونصّ من الله على صحّة إيمانه. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾. إمّا استيناف، او عطف على الرّسول وما بعده استيناف. ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ أي يقولون ذلك. والمراد نفي الفرق في التّصديق ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾. اجبنا ﴿وَأَطَعْنَا﴾ امرك ﴿غُفْرَانَكَ﴾. اغفر غفرانك ﴿رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ قال: «يعني المرجع في الآخرة»[1].

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا﴾ قال: «فيما افترض الله عليها»[2]. ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾: إلّا ما دون طاقتها فضلاً و رحمةً. ورد: «ما امر العباد إلّا بدون سعتهم، وكلّ شيء امر النّاس باخذه فهم متّسعون له، وما لا يتّسعون له فهو موضوع عنهم؛ ولكنّ النّاس لاخير فيهم»[3].

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من شرّ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾. حملاً ثقيلاً يأصر صاحبه ،اي يحبسه في مكانه. يعني به التّكاليف الشّاقة. ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ يعني به: «ما كلّف به بني إسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النّجاسة وغير ذلك». كما ورد مفصّلاً[4].

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ من العقوبات النّازلة بمن قبلنا ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾: وامح ذنوبنا ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾: واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة ﴿وَارْحَمْنَا﴾: وتعطّف بنا وتفضّل علينا ﴿أَنتَ مَوْلَانَا﴾: سيّدنا، ونحن عبيدك ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ بالقهر لهم والغلبة عليهم بالحجّة. فإنّ من حقّ المولى ان ينصر مواليه على الاعداء.

١ـ الاحتجاج ١: ٣٢٨، عن امير المؤمنين عليه السلام
٢ـ العيّاشي ١: ١٦٠، الحديث ٥٣٣، عن أحدهما عليهما السّلام
٣ـ التوحيد: ٣٤٧، الباب ٥٦، الحديث ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام
٤ـ الاحتجاج ١: ٣٢٨، عن امير المؤمنين عليه السلام

ورد: «إنّ هذه الآية مشافهة الله لنبيّه في ليلة المعراج. قال ﷺ: فقلت أنا مجيباً عنّي وعن أُمّتي. "والْمُؤْمِنُونَ" إلى قوله: "وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ". فقال الله: "لا يُكَلِّفُ اللهُ ... إلى قوله: "مَا اكْتَسَبَتْ". فقلت. "رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخْطَأنا" فقال الله: لا أؤاخذك. فقلت: "رَبَّنا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا" فقال الله: لا أحملك. فقلت: "رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا" إلى آخر السّورة. فقال الله: قد اعطيتك ذلك لك ولأمّتك. قال الصّادق ﷺ. ما وفد إلى الله تعالى أحد اكرم من رسول الله ﷺ حين سأل لأمّته هذه الخصال»[1].

١ـ راجع القمّي ١: ٩٥، عن أبي عبدالله ﷺ.

سورة آل عمران

[مدنيّة، و هي مائتا آية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓمٓ﴾. قد سبق تأويله [2].

﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: القرآن نجوماً ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالعدل والصّدق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ جملة على موسى و عيسى.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل تنزيل القرآن ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ عامّة، و قومهما خاصّة ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾: ما يفرّق به بين الحقّ والباطل. قال: «القرآن: جملة الكتاب، والفرقان: المحكم الواجب العمل به» [3]. و في رواية: «الفرقان كلّ آية محكمة في الكتاب» [4]. و في أخرى: «سمّي الفرقان فرقاناً لأنّه متفرّق الآيات والسّور،

1ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

2ـ في ابتداء سورة البقرة.

3ـ الكافي 2: 630، الحديث 11؛ و معاني الأخبار: 189، الحديث 1، عن أبي عبدالله عليه السلام.

4ـ جوامع الجامع 1: 159، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أُنزلت في غير الالواح و غير الصّحف[1]، والتّوراة والانجيل والزّبور أُنزلت كلّها جملة في الالواح والورق»[2]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالب ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ شديد.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من صبيح[3] او قبيح، ذكر او انثى ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في جلاله ﴿الْحَكِيمُ﴾ في افعاله.

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾: أحكمت عباراتها، بان حفظت من الاجمال ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: اصله، يردّ إليها غيرها ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾: محتملات لا يتّضح مقصودها إلّا بالفحص والنّظر، ليظهر فيها فضل العلماء الرّبّانيّين في استنباط معانيها و ردّها إلى المحكمات، و ليتوصّلوا بها إلى معرفة الله تعالى و توحيده. قال: «المحكم ما يعمل به، والمتشابه ما اشتبه على جاهله»[4]. و في رواية: «ما يشبه بعضه بعضاً»[5]. و ورد في تاويله: «إنّ المحكمات امير المؤمنين والائمّة عليهم السّلام، والمتشابهات فلان و فلان»[6]. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: ميل عن الحقّ كالمبتدعة ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾: فيتعلّقون بظاهره أو بتاويل باطل ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾: طلب ان يفتنوا النّاس عن دينهم بالتّشكيك والتّلبيس و مناقضة المحكم بالمتشابه. ورد: «إنّ الفتنة هنا الكفر»[7]. ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾: و طلب ان يؤوّلوه على ما يشتهونه.

١ـ كذا في جميع النُّسخ، و لعلّ الصّواب: «و غيره من الصّحف» كما في المصدر.
٢ـ علل الشّرايع ٢: ٤٧٠، الحديث: ٣٣، عن رسول الله ﷺ.
٣ـ الصّباحة: الجمال، فهو صبيح. القاموس المحيط ١: ٢٤١ (صبح).
٤ـ العيّاشي ١: ١٦٢، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله ؑ.
٥ـ المصدر: ١٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ؑ.
٦ـ الكافي ١: ٤١٥، الحديث: ١٤، عن أبي عبدالله ؑ.
٧ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤١٠، عن أبي عبدالله ؑ.

﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾ الّذي يجب أن يحمل عليه. قال: «يعني تأويل القرآن كلّه»[1] ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ الّذين تثبّتوا و تمكّنوا فيه. قال: «نحن الرّاسخون في العلم و نحن نعلم تأويله»[2]. و في رواية: «إنّ الرّاسخون في العلم من لا يختلف في علمه»[3]. و في أخرى: «إنّ الله جلّ ذكره بسعة رحمته و رأفته بخلقه، و علمه بما يحدثه المبدّلون من تغيير كلامه، قسّم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل، و قسماً لا يعرفه الّا من صفى ذهنه و لطف حسّه و صحّ تمييزه، ممّن شرح الله صدره للإسلام، و قسماً لا يعرفه إلّا الله و أنبياؤه والرّاسخون في العلم؛ و إنّما فعل ذلك لئلاّ يدّعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله ﷺ من علم الكتاب ما لم يجعله لهم، و ليقودهم الاضطرار إلى الايتمار[4] بمن ولاّه أمرهم»[5].

﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: هؤلاء الرّاسخون العالمون بالتّأويل يقولون: آمنّا بالمتشابه. ﴿كُلّٞ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾: من عند الله الحكيم الّذي لا يتناقض كلامه ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾. مدح للرّاسخين بجودة الذّهن و حسن التّدبّر، و إشارة إلى ما استعدّوا به للاهتداء إلى تأويله و هو تجرّد العقل عن غواشي الحسّ.

قال: «اعلم أنّ الرّاسخين في العلم هم الّذين أغناهم الله عن الاقتحام[6] في السُّدَد[7] المضروبة دون الغيوب، فلزموا الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب،

١ـ العيّاشي ١: ١٦٤، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ المصدر، الحديث ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه «فنحن نعلم تأويله».
٣ـ الكافي ١: ٢٤٥، الحديث ١، عن أبي جعفر الثّاني، عن أبي عبدالله عليهما السّلام.
٤ـ ائتمر الأمر: امتثله. مجمع البحرين ٣: ٢١١ (أمر).
٥ـ الاحتجاج ١: ٣٧٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت.
٦ـ اقتحم الرجل في الأمر: رمى بنفسه فيه من غير رويّة. لسان العرب ١٢: ٤٦٢ (قحم).
٧ـ السدّة: سقف باب الدار ليقيها من المطر، و قيل: هي الباب نفسه، و قيل: هي الساحة بين يديه. مجمع البحرين ٣: ٦٧ (سدد).

فقالوا: "آمنّا به كلّ من عند ربّنا" فمدح الله عزّوجلّ اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، و سمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عنه منهم رسوخاً؛ فاقتصر على ذلك، ولا تقدّر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين»[1]. و ورد: «من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم. ثمّ قال: إنّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن، و محكماً كمحكم القرآن، فردّوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتّبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا»[2].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ عن نهج الحقّ إلى اتّباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه؛ و إنّما أضيف الزّيغ إلى الله لأنّه مسبّب عن امتحانه و خذلانه. ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ إلى الحقّ ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ بالتّوفيق والمعونة ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ لكلّ سؤل. قال: «إنّهم قالوا ذلك حين علموا انّ القلوب تزيغ و تعود إلى عماها و رداها»[3].

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ ﴾: لحساب يوم و جزائه ﴿ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾: في وقوعه ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾.

﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾: كشأنهم، و أصل الدّأب: الكدح ﴿ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾.

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾. ورد: «إنّها

١ـ التوحيد: ٥٥، الباب: ٢، ذيل الحديث: ١٣؛ والعيّاشي ١: ١٦٣، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله، عن أمير المؤمنين عليهما السّلام.
٢ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٩٠، الباب: ٢٨، الحديث: ٣٩.
٣ـ الكافي ١: ١٨، الحديث: ١٢، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام. والرّدى: الهلاك. لسان العرب ١٤: ٣١٦ (ردى).

نزلت حين حذّرهم النّبيّ ﷺ عن مثل ما أُصيبوا به يوم بدر، فقالوا: يا محمّد لا يغرّنّك أنّك لقيت قوماً أغماراً[1] لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، أما والله لو قاتلتنا[2] لعرفت أنّا نحن النّاس»[3]. و قد صدق الله وعده و غُلب المشركون

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾: دلالة معجزة على صدق محمّد ﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ يوم بدر ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في دينه و طاعته؛ و هم الرّسول و أصحابه ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ و هم مشركوا مكّة ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾: رؤية ظاهرة معاينة ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: في التّقليل والتّكثير و غلبة القليل على الكثير ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾. قال: «القنطار ملاء مسك ثور ذهباً»[4].

أقول: والمقنطرة مأخوذة منه للتّأكيد.

﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾: المعلّمة أو المرعيّة. ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ ممّا يستقذر من النّساء. ورد: «ما تلذّذ النّاس في الدّنيا والآخرة بلذّة أكبر[5] لهم من لذّة النّساء و هو قول الله عزّوجلّ: "زيّن للنّاس" الآية. ثمّ قال. و إنّ أهل الجنّة ما يتلذّذون بشيء من الجنّة أشهى عندهم من النّكاح، لا طعام و

١ـ رجلٌ غُمَر: من لم يجرّب الأمور. القاموس المحيط ٢: ١٠٧؛ ولسان العرب ٥: ٣١ (غمر).
٢ـ في المصدر: «إنا والله لو قاتلناك».
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤١٣.
٤ـ المصدر ١: ٤١٧ المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام.
٥ـ في المصدر: «أكثر».

لاشراب»[1] ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ و هو اجلّ النعم كما قال: «وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ»[2] والجنة اوسعها، و متاع الدنيا ادناها. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾

قال: «المصلّين وقت السّحر»[3] و قال: «من استغفر سبعين مرّة في وقت السّحر فهو من اهل هذه الآية»[4]. و ورد: «من قال في وتره إذا أوتر: "أستغفر الله و أتوب إليه" سبعين مرّة و هو قائم، فواظب على ذلك حتّى تمضي له سنة، كتبه الله عنده من المستغفرين بالأسحار، و وجبت له المغفرة من الله تعالى»[5].

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: بيّن وحدانيّته لقوم بظهوره في كلّ شيء، و تعرّفه ذاته في كلّ نور و فيء، و لقوم بنصب الدلائل الدالّة عليها، و لقوم بإنزال الآيات النّاطقة بها. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ بالإقرار ذاتاً لقوم، و عملاً لقوم، و قولاً لقوم. ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ بالإيمان، والعيان، والبيان شبه الظّهور، والإظهار في الانكشاف، والكشف بشهادة الشّاهد. ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾: مقيماً للعدل. ورد: «إنّ أُولي العلم الأولياء[6] والأوصياء وهم قيام بالقسط، والقسط: العدل»[7]. ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تأكيد و تمهيد لقوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾: لا دين مرضيّ عند الله سوى الإسلام، و هو

١ـ الكافي ٥: ٣٢١، الحديث ١٠؛ والعيّاشي ١: ١٦٤، الحديث ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ التوبة (٩): ٧٢.
٣ و ٤ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٤١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الخصال ٢: ٥٨١، الحديث ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ في المصدر: «الأنبياء».
٧ـ العيّاشي ١: ١٦٦، الحديث ١٨، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «والقسط هو العدل في الظاهر، والعدل في الباطن أمير المؤمنين عليه السلام».

التّوحيد والتّدرّع بالشّرع. ورد «إنّ الإسلام قبل الإيمان، و عليه يوارثون و يتناكحون، والإيمان عليه يثابون»[1]. ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ في الإسلام ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بأنّه حقّ ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾: حسداً و طلباً للرّياسة، لا لشبهة فيه ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ في الدّين و جادلوك فيه بعد ما أقمت لهم الحجج ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾. أخلصت نفسي و جملتي له لا أشرك فيها غيره. عبّر عن النّفس بالوجه؛ لأنّه أشرف الأعضاء الظّاهرة و مظهر القوى والحواسّ. ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾: و أسلم من اتّبعني ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾: الّذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾ كما أسلمت لما وضحت لكم الحجّة أم بعد على كفركم ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

وعد ووعيد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ إذ لم ينالوا بها المدح والثّناء، و لم يحقن دماؤهم و أموالهم، و لم يستحقّوا به الأجر والثّواب[2] ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ يدفعون عنهم العذاب.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾. قيل: يريد به أحبار اليهود[3] ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ﴾ و هو التّوراة ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ في نبوّة نبيّنا أو في رجم الزّاني،

١ـ الكافي ٢: ١٧٣، ذيل الحديث ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام
٢ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الصّحيح: فلم تحقن دماؤهم و أموالهم و لم يستحقّوا بها الأجر والثّواب، كما في الصّافي
٣ـ راجع الكشّاف ١: ٤٢٠

و قد احتجّوا فيه[1] ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ استبعاد لتولّيهم ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ بسبب تسهيلهم العقاب على أنفسهم ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: جزاء ما كسبت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾: ما تشاء من الملك ﴿مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ﴾: تسترد ما تشاء منه ﴿مِمَّن تَشَاءُ﴾ فالملك الاوّل عامّ، والآخران خاصّان. ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: تنقص من اللّيل و تجعل ذلك النّقصان زيادة في النّهار، و تنقص من النّهار و تجعل ذلك النّقصان زيادة في اللّيل. ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ قال: «المؤمن من الكافر»[2]. ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ قال: «الكافر من المؤمن»[3]. ورد: «إنّ المؤمن إذا مات لم يكن ميّتاً و إنّ الميّت هو الكافر». ثمّ فسّر الآية بما ذكر[4]. ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهليّة او نحوهما حتّى لا يكون حبّهم و بغضهم إلّا في الله، و قد كرّر ذلك في القرآن[5]. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾: ليس من ولايته في شيء ﴿إِلَّا أَن

۱ـ راجع: مجمع البيان ۱ـ۲: ٤۲٤؛ والتبيان ۲: ٤۲٥.
۲ و ۳ـ مجمع البيان ۱ـ۲: ٤۲۸، والرّواية مرويّة عن الصّادقين عليهما السّلام.
٤ـ معاني الأخبار: ۲۹۰، الحديث: ۱۰، عن أبي عبدالله عليه السّلام، و فيه: «فإنّ الميّت هو الكافر».
٥ـ راجع: النساء (٤): ۸۹، ۱۳۹ و ۱٤٤؛ والمائدة (٥): ۸۰؛ والتوبة (۹): ۲۳؛ والممتحنة (٦۰): ۱ و ۹.

تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ إلّا أن تخافوا من جهتهم خوفاً أو أمراً يجب أن يخاف منه. قال: «التقيّة ترس الله بينه و بين خلقه»[1]. و قال: «لا إيمان لمن لا تقيّة له، ثمّ تلا هذه الآية»[2].

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فلا تتعرّضوا لسخطه بمخالفة أحكامه و موالاة أعدائه.

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ من ولاية الكفّار و غيرها ﴿أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقوبتكم إن لم تنتهوا عمّا نهيتم عنه.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. كرّر ذلك للتأكيد والتذكير؛ ثمّ أشار إلى أنّه تعالى إنّما نهاهم و حذّرهم، رأفة بهم، و مراعاة لصلاحهم، و أنّه لذو مغفرة و ذو عقاب، ترجى رحمته و يخشى عذابه.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. قيل: نزلت لمّا قالت اليهود: "نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ"[3].

أقول: المحبّة من العبد ميل النّفس إلى الشّيء، لكمال أدركت فيه، بحيث تحملها على ما يقرّبها إليه؛ و من الله رضاه عن العبد، و كشفه الحجاب عن قلبه. والعبد إذا علم أنّ الكمال الحقيقي ليس إلّا لله، و أنّ كلّ ما يراه كمالاً من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله و إلى الله لم يكن حبّه إلّا لله و في الله؛ و ذلك يقتضي إرادة طاعته والرّغبة فيما يقرّبه إليه. فعلامة المحبّة إرادة الطّاعة والعبادة والاجتهاد البليغ في اتّباع من كان وسيلة له إلى

١ـ الكافي ٢: ٢٢٠، الحديث: ١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ١٦٦، الحديث: ٢٤، عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السّلام.
٣ـ البيضاوي ٢: ١٣. والآية في سورة المائدة (٥): ١٨.

معرفة الله و محبّته مَن كان عارفاً بالله محبّاً إيّاه محبوباً له؛ فإنّ مَنْ هذه صفاته، إنّما نال هذه الصّفات بالطّاعة على الوجه المخصوص، و هو رسول الله ﷺ و من يحذو حذوه؛ فمن أحبّ الله فلابدّ له من اتّباع الرّسول في عبادته و سيرته و أخلاقه و أحواله حتّى يحبّه الله؛ إذ بذلك يحصل التّقرّب إلى الله، و بالتّقرّب يحصل محبّة الله تعالى إيّاه، كما قال سبحانه: «و إنّ العبد ليتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه»[1]. و أيضاً لمّا كان الرّسول حبيب الله فكلّ من يدّعي محبّة الله، لزمه محبّة الرّسول؛ لأنّ محبوب المحبوب محبوب، و محبّة الرّسول إنّما تكون بمتابعته و سلوك سبيله، قولاً و عملاً و خلقاً و حالاً و سيرةً و عقيدةً، ولا يتمشّى دعوى محبّة الله إلّا بهذا، فإنّه قطب المحبّة و مظهرها، فمن لم يكن له من متابعته نصيب لم يكن له من المحبّة نصيب؛ و من تابعه حقّ المتابعة ناسب باطنه و سرّه و قلبه و نفسه باطنَ الرّسول و سرّه و قلبه و نفسه، و هو مظهر محبّة الله، فلزم بهذه المناسبة أن يكون لهذا التّابع قسط من محبّة الله بقدر نصيبه من المتابعة، فيلقي الله محبّته عليه، و يسري من باطن روح الرّسول نور تلك المحبّة إليه؛ فيكون محبوباً لله محبّاً له. و من لم يتابعه يخالف باطنه باطن الرّسول، فبعُدَ عن وصف المحبوبيّة، و زال[2] المحبّة عن قلبه أسرع ما يكون، إذ لو لم يحبّه الله لم يكن محبّاً له، و في حكم الرّسول من أمر الله والرّسول بحبّه و اتّباعه، و هم الأئمّة الأوصياء عليهم السّلام.

قال: «من سرّه أن يعلم أنّ الله يحبّه فليعمل بطاعة الله و ليتّبعنا. ألم تسمع قول الله تعالى لنبيّه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ﴾ الآية. والله لا يطيع الله عبد أبداً إلّا أدخل الله عليه في طاعته اتّباعنا، ولا والله لا يتّبعنا عبد أبداً إلّا أحبّه الله، ولا والله لا يدع أحد اتّباعنا أبداً إلّا أبغضنا، ولا والله لا يبغضنا أحدٌ أبداً إلّا عصى الله، و من مات عاصياً لله أخزاه الله و

١ـ الكافي ٢: ٣٥٢، الحديث: ٨، عن أبي جعفر ﷺ، و فيه: «بالنّافلة حتّى أحبّه».
٢ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الصّواب: «و زوال المحبّة» كما في الصّافي ١: ٣٠٤.

أكبّه[1] على وجهه في النّار»[2].

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ بالتّجاوز عمّا فرط منكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تحبّب إليه بطاعته و اتّباع نبيّه و من أمر باتّباعه.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾. يحتمل المضيّ والمضارع ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾: لا يرضى عنهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾. ورد: «إنّه تلا هذه الآية فقال: نحن منهم و نحن بقيّة تلك العترة»[3]. و في رواية: «والله إنّ محمّداً لمن آل إبراهيم و إنّ العترة الهادية لمن آل محمّد»[4]. ﴿وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قيل: موسى و هرون ابنا عمران بن يصهر، أو عيسى و أمّه بنت عمران بن ماثان و بين العمرانين ألف و ثمانمائة سنة[5].

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ قال: «من نسل بعض»[6]. «لا يكون الذّرّيّة من القوم إلّا نسلهم من أصلابهم»[7]. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال النّاس ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل؛

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ هي إمرأة عمران بن ماثان، أُمّ مريم البتول، جدّة عيسى. في رواية: «اسمها حنّة»[8]. و في أُخرى: «مرثا و قال: و هي وهيبة بالعربيّة»[9].

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾: معتقاً لخدمة بيت المقدس، لا أشغله بشيء ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ ما نذرته ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لقولي ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيّتي.

١ـ في «الف» و «ج»: «كبّه».
٢ـ الكافي ٨: ٨، في ذيل رسالة أبي عبدالله عليه السلام إلى جماعة الشيعة.
٣ـ العيّاشي ١: ١٦٨، الحديث: ٢٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الأمالي (للصدوق): ١٣٤، المجلس الثلاثون، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ راجع: البيضاوي ٢: ١٤؛ والكشّاف ١: ٤٢٤.
٦ـ التبيان ٢: ٤٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ راجع: العيّاشي ١: ١٦٩، الحديث: ٣٥ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الكافي ١: ٥٣٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ الكافي ٦: ٤٧٩، الحديث: ٤، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾. اعتراض، وهو قول الله؛ و على قراءة المتكلّم من كلامها، تسلية لنفسها، أي: و لعلّ لله فيه سرّاً أو الأُنثى[١] كان خيراً. ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ من تتمة كلامها. قال: «أوحى الله إلى عمران إنّي واهب لك ذكراً سويّاً مباركاً، يبرىء الأكمه والأبرص، و يحيي الموتى بإذن الله، و جاعله رسولاً إلى بني إسرائيل؛ فحدّث عمران امرأته «حنّة» بذلك و هي أُمّ مريم، فلمّا حملت بها، كان حملها عند نفسها غلاماً، فلمّا وضعتها، قالت: "رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَىٰ": لا تكون البنت رسولاً، يقول الله عزّوجلّ "وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ". فلمّا وهب الله لمريم عيسى، كان هو الّذي بشّر به عمران و وعده إيّاه»[٢].

و في رواية: «إنّ الأُنثى تحيض فتخرج من المسجد والمحرّر لا يخرج من المسجد»[٣]

و في أُخرى: «نذرت ما في بطنها للكنيسة ان تخدم العباد و ليس الذّكر كالأُنثى في الخدمة، قال: فشبّت و كانت تخدمهم و تناولهم حتّى بلغت، فامر زكريّا ان يتّخذ لها حجاباً دون العباد»[٤]. ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ معناه: العابدة ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾: أُجيرها بحفظك ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾: المطرود. روي: «ما من مولود يولد إلّا والشّيطان يمسّه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مسّه إلّا مريم و ابنها»[٥]. قيل: يعني انّ الشّيطان يطمع في إغواء كلّ مولود بحيث يتأثّر من طمعه فيه إلّا مريم و ابنها؛ فإنّ الله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة[٦].

١ـ في «الف»: «والأُنثى».
٢ـ الكافي ١: ٥٣٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ١٧٠، الحديث: ٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر، الحديث: ٣٨، عن أحدهما عليهما السّلام.
٥ـ راجع: مجمع البيان ١ ـ ٢: ٤٣٥، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله؛ ومسند احمد ٢: ٢٧٤.
٦ـ راجع: البيضاوي ٢: ١٦.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ بإقامتها مقام الذَّكر، و تسلّمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر و تصلح للسّدانة [1] ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: ربّاها بما يصلحها في جميع أحوالها ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي الله. و إن خفّف، زكريّا [2] قال: «فسوّهم عليها فأصاب القرعة زكريّا و هو زوج أختها» [3]. و في رواية: «ابن خالتها» [4]. ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. قال: «كفّلها و أدخلها المسجد فلمّا بلغت ما تبلغ النّساء من الطّمث [5] وكانت أجمل النّساء و كانت تصلّي فيضيء المحراب لنورها، فدخل عليها زكريّا، فإذاً عندها فاكهة الشّتاء في الصّيف و فاكهة الصّيف في الشّتاء، فقال: أنّى لك هذا؟! قالت هو من عند الله» [6]. و ورد نظير هذا في فاطمة عليها السّلام من طريقي العامّة والخاصّة جميعاً [7].

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ لمّا رأى كرامة مريم و منزلتها من الله. ورد: «إنّه قال في نفسه: إنّ الّذي يقدر أن يأتي مريم بفاكهة الشّتاء في الصّيف و فاكهة الصّيف في الشّتاء لقادر أن يهب لي ولداً و إن كنت شيخاً و امرأتي عاقراً» [8] ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ

١ ـ سدَنَ سَدْناً و سِدانةً: خدم الكعبة أو بيت الصّنم. القاموس المحيط ٤: ٢٣٥؛ و مجمع البحرين ٦: ٢٦٣ (سدن).
٢ ـ يعني: إن قرئ «كفّلها» بالتّشديد فالفاعل هو الله و «زكريّا» مفعول ثانٍ لكفّلها والمعنى: كفّل الله مريم زكريّا، و إن قرئ بالتّخفيف فالفاعل فيه هو زكريّا.
٣ ـ العيّاشي ١: ١٧٠، الحديث: ٣٦، عن أبي جعفر ﷺ، مع اختلاف يسير في العبارة.
٤ ـ لم نعثر عليه.
٥ ـ الطّمث: المسّ والمسّ، و طمثت المرأة: حاضت. القاموس المحيط ١: ١٧٦؛ و مجمع البحرين ٢: ٢٥٨ (طمث).
٦ ـ العيّاشي ١: ١٧٠، الحديث: ٣٦، عن أبي جعفر ﷺ، مع اختلاف يسير في العبارة.
٧ ـ راجع: العيّاشي ١: ١٧١، الحديث: ٤١، عن أبي جعفر ﷺ؛ والدّرّ المنثور ٢: ١٨٥ ـ ١٨٦.
٨ ـ تفسير الإمام ﷺ: ٦٦٠.

مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني بعيسى، كما يأتي في سورة مريم[١]. ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال: «رئيساً في طاعة الله على أهل طاعته»[٢]. ﴿وَحَصُورًا﴾ قال: «لا يأتي النساء»[٣] ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾. لا تلد ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾: مثل خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾: علامة اعرف بها الحمل لاستقبله بالشكر ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾: لا تقدر على تكليمهم. قال: «لمّا ناداه الملائكة بما نادته، احبّ ان يعلم انّ ذلك الصّوت من الله، فاوحى إليه انّ آية ذلك ان يمسك لسانه[٤] عن الكلام ثلاثة أيّام، فلمّا امسك لسانه و لم يتكلّم، علم أنّه لا يقدر على ذلك إلّا الله»[٥]. ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾: إشارة. قال: «فكان يومي برأسه»[٦]. ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ قيل: أي: في أيّام العجز عن التكلّم[٧]. نبّه بذلك على أنّ الغرض من حبس لسانه أن يخلص المدّة لذكر الله و شكره قضاءاً لحقّ النّعمة، فكأنّه قال: آيتك ان تحبس لسانك إلّا عن الشكر. ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ قال: «من ذرّيّة الانبياء»[٨] ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ قال: «من السّفاح»[٩]. ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: «الولادة

١ـ الآية: ٧.
٢و٣ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٦٦٠.
٤ـ في «الف»: «ان تمسك لسانك».
٥ـ العيّاشي ١: ١٧٢، الحديث: ٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ المصدر، الحديث: ٤٤، عن احدهما عليهما السّلام.
٧ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٤٠؛ والكشّاف ١: ٤٢٩.
٨و٩ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٤٠؛ والعيّاشي ١: ١٧٣، الحديث: ٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

عيسى من غير فحل»[1]

﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾. قال: «يقترعون بها حين أيتمت من أبيها»[2]. ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ تنافساً في كفالتها.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. قال: «"كن" منه صنع، و ما يكون به، المصنوع»[3]. و قد مرّ له مزيد بيان[4].

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في شريعة موسى ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٤٠ عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ١٧٣، الحديث: ٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام، و ليست فيه جملة «يقترعون بها».
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٧٣ـ١٧٤، الباب: ١٢، ذيل الحديث: ١.
٤ـ في سورة البقرة، ذيل الآية ١١٧.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ قال: «فلمّا سمع و رأى أنّهم يكفرون»[1]. ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾. من أعواني إلى سبيله؟ ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾. حواريّ الرّجل خالصته. قال: «سمّوا بذلك لأنّهم كانوا مخلصين في أنفسهم و مخلصين غيرهم من أوساخ الذّنوب بالوعظ والتّذكير»[2]: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿وَمَكَرُوا﴾ أي: الّذين أحسّ عيسى منهم الكفر من اليهود؛ بأن وكّلوا عليه من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ «حين رفع عيسى و ألقى شبهه على من قصد اغتياله حتّى قتل بدلاً منه». كما في رواية[3]. أو «على أحد من خواصّه ليقتل فيكون معه في درجته». كما في أخرى[4]. والمكر من حيث إنّه في الأصل حيلة يجلب بها غيره إلى مضرّة، لا يسند إلى الله تعالى إلّا على سبيل المقابلة والازدواج؛ أو بمعنى المجازاة، كما مرّ. ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾: أقواهم مكراً و أنفذهم كيداً و أقدرهم على العقاب من حيث لا يحتسب المعاقب.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: مستوفي أجلك و مؤخّرك إلى أجلك المسمّى، عاصماً إيّاك من قتلهم، أو قابضك من الأرض، من توفّيت مالي، أو مميتك عن الشّهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت. ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من سوء جوارهم ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يعلونهم بالحجّة والسّيف ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ جميعاً ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

1ـ القمّي ١: ١٠٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
2ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٩، الباب ٣٢، الحديث ١٠؛ و علل الشرائع ١: ٨٠، الباب ٧٢، الحديث ١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
3ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٤٤٨، عن ابن عبّاس؛ و البيضاوي ٢: ٢١؛ والكشّاف ١: ٤٣٢.
4ـ راجع: القمّي ١: ١٠٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾.

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾.

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ في أنّه خلق من غير أب، كما خلق آدم من التراب من غير أب ولا أمّ. شبّه حاله بما هو أغرب، إفحاماً للخصم و قطعاً لموادّ الشبه.

﴿ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ أي: فكان في الحال.

﴿ الْحَقُّ ﴾: هو الحقّ ﴿ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾.

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ ﴾ من النصارى ﴿ فِيهِ ﴾: في عيسى ﴿ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ أي. يدع كلّ منّا و منكم نفسه و أعزّة أهله و ألصقهم بقلبه إلى المباهلة، أي: الملاعنة والمتاركة؛

ورد: «إنّهم دنوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إلى ما تدعو؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله و أنّي رسول الله، و أنّ عيسى عبد مخلوق يأكل و يشرب و يُحْدث. قالوا: فمن أبوه؟ فنزل الوحي: قل لهم: ما تقولون في آدم؟ أكان عبداً مخلوقاً يأكل و يشرب ويُحْدث و ينكح؟ فمن أبوه؟ فنزلت "إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ" الآيات. فقال لهم: فباهلوني، فإن كنت صادقاً أنزلت اللّعنة عليكم، و إن كنت كاذباً أنزلت عليّ، فقالوا: أنصفت فتواعدوا للمباهلة، فلمّا رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم. إن باهلنا بقومه، باهلناه فإنّه ليس بنبيّ، و إن باهلنا بأهل بيته خاصّة، فلا نباهله، فإنّه لا يقدم بأهل بيته إلاّ و هو صادق. فلمّا أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله ﷺ و معه أمير المؤمنين و فاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فقال النّصارى: من هؤلاء؟ فقيل لهم: إنّ هذا ابن عمّه ووصيّه و ختنه، و هذه ابنته فاطمة، و هذان ابناه الحسن والحسين، ففرقوا و قالوا.

نعطيك الرّضى، فاعفنا من المباهلة، فصالحهم رسول الله ﷺ على الجزية وانصرفوا»[١].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾. ردّ على النصارى في تثليثهم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: لا احد سواه يساويه في القدرة التّامّة والحكمة البالغة ليشاركه في الألوهيّة.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾. وعيد لهم. وضع المظهر موضع المضمر ليدلّ على انّ التولّي عن الحجج، والاعراض عن التّوحيد إفساد للدّين و يؤدّي إلى إفساد النّفوس بل و إلى إفساد العالم.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾. ان نوحّده بالعبادة و نخلص فيها ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: ولا نقول عُزَيْرٌ ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التّحريم والتّحليل.

ورد. إنّه قيل: ما كنّا نعبدهم يا رسول الله. قال: «أليس كانوا يحلّون لكم و يحرّمون فتاخذون بقولهم؟ قال: نعم. قال: هو ذاك»[٢]. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن التّوحيد ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: لزمتكم الحجّة، فاعترفوا بانّا مسلمون دونكم. و ما أحسن ما راعى في هذه القصّة من المبالغة في الارشاد و حسن التّدرّج في الحِجاج. بيّن اولاً أحوال عيسى و ما تعاور عليه من الأطوار المنافية للإلهيّة، ثمّ ذكر ما يزيح شبهتهم. فلمّا رأى عنادهم و لجاجهم دعاهم إلى المباهلة بنوع من الإعجاز، ثمّ لمّا اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد، عاد عليهم بالإرشاد و سلك طريقاً اسهل و ألزم، بان دعاهم إلى ما وافق عليه عيسى والإنجيل و ساير الانبياء والكتب. ثمّ لمّا لم يجد ذلك أيضاً عليهم، و علم انّ الآيات والنّذر لا تغني عنهم، أعرض عن ذلك، و قال: «اشهدوا بانّا مسلمون».

١ـ راجع: القمّي ١: ١٠٤، عن ابي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف يسير في بعض الكلمات.
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٥٥؛ والبيضاوي ٢: ٢٣؛ والكشّاف ١: ٤٣٥، فروي عن عديّ بن حاتم انّه قال ما ك ...

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾
تنازعت اليهود والنّصارى فيه، و زعم كلّ فريق أنّه منهم، فنزلت. والمعنى أنّ اليهوديّة والنّصرانيّة حدثت بنزول التّوراة والإنجيل على موسى و عيسى، و كان إبراهيم قبلهما، فكيف يكون عليهما؟ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتدّعون المحال؟

﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾
أي: أنتم هؤلاء الحمقى، و بيان حماقتكم أنّكم جادلتم فيما وجدتموه في أحد الكتابين، أو تدّعون أنّه فيه، فلم تجادلون فيما لا ذكر له فيه من دين إبراهيم؟ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما حاججتم فيه من شأن إبراهيم و دينه ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فلا تتكلّموا فيه.

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾: مائلاً عن العقائد الزّائفة ﴿مُّسْلِمًا﴾: منقاداً لله تعالى. قال: «خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان»[1]
و في رواية: «لا يهوديّاً يصلّي إلى المغرب ولا نصرانيّاً يصلّي إلى المشرق، و لكن كان حنيفاً مسلماً على دين محمّد»[2].

أقول: يعني كان يصلّي إلى الكعبة ما بين المشرق والمغرب و كان دينه موافقاً لدين محمّد صلّى الله عليه وآله.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. تعريض بأنّهم مشركون، و ردّ لادّعائهم أنّهم على ملّته.

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ﴾: أقربهم ﴿بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ من أمّته ﴿وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾. قال: «هم الأئمّة و من اتّبعهم»[3] ورد: «إنّ أولى النّاس بالأنبياء أعملهم[4] بما جاؤوا به ثمّ تلا هذه الآية»[5]. ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: يتولّى نصرتهم.

١ ـ الكافي ١: ١٥، باب الإخلاص، الحديث ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ العيّاشي ١: ١٧٧، الحديث ٦٠، عن أبي عبدالله، عن أمير المؤمنين عليهما السّلام.
٣ ـ الكافي ١: ٤١٦، الحديث ٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ في المصدر: «أعلمهم».
٥ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٤٥٨؛ و نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٤٨٤، الحكمة ٩٦.

﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ بالتحريف ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾. نبوّة محمّد و نعته ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بما تكتمونه.

﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾ قيل: أي أظهروا الإيمان بالقرآن أوّل النّهار[1]. ﴿وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: ظنّاً بأنّكم رجعتم لخلل ظهر لكم. و ورد: «يعنون القبلة حين استقبل رسول الله ﷺ المسجد الحرام صلاة الظّهر بعد ما صلّى الغداة مستقبلاً إلى بيت المقدس، يعني "لعلّهم يرجعون" إلى قبلتنا»[2].

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾. قيل: أي لا تصدّقوا ولا تقرّوا بأن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم من الفضائل إلّا لأهل دينكم، ولا تؤمنوا بأن يحاجّوكم عند ربّكم، لأنّكم أصحّ ديناً منهم، فلا يكون لهم الحجّة عليكم. و قوله: "قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هدى الله"، اعتراض من كلام الله[3]. و قيل فيه أقوال أُخر[4]. و هي من المتشابه الّذي لم يصل إلينا تأويله. ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾: الهداية والتّوفيق منه ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾: تطالبه بالعنف ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ

١. مجمع البيان ١ ـ ٢: ٤٦٠، عن الحسن و جماعة؛ والبيضاوي ٢: ٢٥.
٢. القمّي ١: ١٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣و٤. مجمع البيان ١ ـ ٢: ٤٦١؛ والكشّاف ١: ٤٣٧.

سَبِيلٌ﴾ أي: ليس علينا في شأن من ليس من[1] أهل الكتاب و لم يكن على ديننا عقاب ودم. ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بادّعائهم ذلك ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنّهم كاذبون، وذلك لأنّهم استحلّوا ظلم من خالفهم، و قالوا: لم يجعل لهم في التّوراة حرمة. ورد: «إنّه ﷺ لمّا قرأ هذه الآية قال: كذب أعداء الله، ما من شيء كان في الجاهليّة إلّا و هو تحت قدمي إلّا الامانة، فإنّها مؤدّاة إلى البرّ والفاجر»[2].

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ أيّ عهد كان ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ الله في ترك الخيانة والغدر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. في وضع الظّاهر موضع المضمر إشعار بأنّ التّقوى ملاك الامر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾: يستبدلون ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: بما عاهدوا عليه من الإيمان بالرّسول، والوفاء بالامانات ﴿وَأَيْمَـٰنِهِمْ﴾: و بما حلفوا به ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: متاع الدّنيا من الرّياسة و اخذ الرّشوة والذّهاب بمال اخيهم المسلم و نحو ذلك ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ﴾: لا نصيب لهم ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ قال: «بكلام خير»[3] ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ قال: «لا يصيبهم بخير»[4]. ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ قال: «من ذنوبهم»[5]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ﴾: يفتلونها[6] بقراءته فيميلونها عن المنزل إلى المحرّف. ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. تأكيد و تسجيل عليهم بالكذب على الله.

١ـ في «ج»: «من ليس أهل الكتاب»
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٦٣؛ والدّرّ المنثور ٢: ٢٤٤؛ والبيضاوي ٢: ٢٦.
٣ـ تفسير الإمام ﷺ ٥٨٦
٤ـ التّوحيد: ٢٦٥، الباب: ٣٦، الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٥ـ تفسير الإمام ﷺ: ٥٨٦
٦ـ يفتلونها: يصرفونها. مجمع البحرين ٥: ٤٣٩؛ و لسان العرب ١١: ٥١٤ (فتل)

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾ . والحكمة ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ . روي . «أنه قيل للنبيّ ﷺ . أتريد أن نعبدك ونتّخذك ربّاً؟ فقال . معاذ الله أن يعبد غير الله و أن نأمر بعبادة غير الله[1] ، فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني ، فنزلت»[2] . ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ : و لكن يقول : كونوا ربّانيّين أي : الكاملين في العلم والعمل ؛ منسوب إلى الربّ . ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ بسبب التّعليم والدّراسة . عن النّبيّ ﷺ : «لا ترفعوني فوق حقّي فإنّ الله اتّخذني عبداً قبل أن يتّخذني نبيّاً ، و تلا هذه الآية»[3] .

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ . القمّي : كان قوم يعبدون الملائكة ، و قوم من النّصارى زعموا أنّ عيسى ربّ ، واليهود قالوا : عزير بن الله فقال الله : «ولا يأمركم» الآية[4] .

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ قال : «ميثاق أمم النّبيّين كلّ أمّة بتصديق نبيّها والعمل بما جاءهم به فما وفوا به و تركوه»[5] . و في رواية : «أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبيّنا عليه و عليهم السّلام أن يخبروا أممهم بمبعثه و نعته ، و يبشّروهم به ، ويأمروهم بتصديقه»[6] . و في أخرى : «لم يبعث الله نبيّاً ، آدم و من بعده ، إلّا أخذ عليه العهد : لئن بعث الله محمّداً و هو حيّ ليؤمننّ به و لينصرنّه ، و أمره أن يأخذ العهد بذلك

١ـ في «ب» و «ج» : «و أن نأمر بغير عبادة الله»
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢ : ٤٦٦ ؛ والبيضاوي ٢ : ٢٧ «روي عن أبي رافع القرظي من اليهود ، و رئيس وفد نجران ، أنّهما قالا للنبيّ .. » .
٣ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢ : ٢٠١ ، الباب : ٤٦ ، الحديث . ١ .
٤ـ القمّي ١ : ١٠٦
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢ : ٤٦٨ ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، مع اختلاف يسير في العبارة
٦ـ المصدر ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، و عن ابن عبّاس و قتادة .

على قومه»[1] وفي أُخرى: «ما بعث الله نبيّاً من لدن آدم فهلمّ جرّاً إلّا و يرجع إلى الدّنيا و ينصر أمير المؤمنين و هو قوله: "لتؤمننّ به" يعني رسول الله ﷺ "ولتنصرنّه" يعني أمير المؤمنين عليه السلام»[2]. ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ قال: «ثمّ قال لهم في الذّرّ أقررتم؟»[3] ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ قال: أي: عهدي»[4] ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟﴾ قال «قال الله للملائكة: "فاشهدوا"»[5]. و في رواية: «قال الأنبياء و أممهم: أقررنا بما أمرتنا بالإقرار به. قال الله: فاشهدوا بذلك على أممكم»[6] ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ قال: «عليكم و على أممكم».

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق والتأكيد ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: المتمرّدون.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾. قال: «هو توحيدهم لله عزّوجلّ»[7]. و في رواية: «معناه أكره أقوام على الإسلام و جاء أقوام طائعين»[8]. قال: «وكرهاً أي: فرقاً من السّيف»[9].

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: منقادون، مخلصون في عبادته.

١ ـ الدرّ المنثور ٢: ٢٥٢؛ و مجمع البيان ١ ـ ٢: ٤٦٨، عن عليّ عليه السلام.
٢ ـ القمّي ١: ١٠٦؛ والعيّاشي ١: ١٨١، الحديث: ٧٦، عن أبي عبدالله، مع تفاوت في العبارة
٣ ـ القمّي ١: ١٠٦، و فيه: «في الذرّ» بدل «في الدّنيا»
٤ و ٥ ـ المصدر: ١٠٧
٦ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٤٦٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٧ ـ التوحيد: ٤٦، الباب ٢، الحديث: ٤٧؛ والعيّاشي ١: ١٨٣، ذيل الحديث: ٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام
٨ ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٤٧٠، عن أبي عبدالله عليه السلام. في «الصافي»: لو جاءوا أقوام» و لكنّ الصّحيح ما أثبتناه كما في المصدر
٩ ـ المصدر عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والقمّي ١: ١٠٧.

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ اي: غير التوحيد والانقياد لحكم الله ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ بإبطاله الفطرة السليمة التي فطر عليها

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا﴾. عطف على معنى الفعل في «إيمانهم». ﴿ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يتفضّل عليهم. «نزلت الآيات في انصاري قتل رجلاً غدراً و هرب، و ارتدّ عن الإسلام و لحق بمكّة ثم ندم، فسأل هل لي من توبة؟». كذا ورد[1]

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا ﴾ كاليهود، كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى، ثمّ ازدادوا كفراً بمحمّد ﷺ ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾: ما يملأ الارض من الذهب ﴿وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾: نفسه من العذاب ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾.

﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ ﴾: لن تبلغوا حقيقته ولا تكونوا ابراراً ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: من المال والجاه والمهجة و غيرها في طاعة الله. و في قراءة الصادق عليه السلام: «ما تحبّون» قال: «هكذا فاقرأها»[2]. ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾.

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ ﴾ يعني[3]: يعقوب ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾. قال: هو هو لحم الإبل كان إذا أكل هيّج عليه وجع

١ ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٧١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ الكافي ٨: ١٨٣، الحديث: ٢٠٩ عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ لم ترد في «ب» و «ج» كلمة «يعني».

الخاصرة فحرّمه على نفسه، و ذلك قبل ان تنزل التّوراة، فلمّا نزلت التّوراة لم يحرّمه و لم يأكله»[١].

أقول. يعني موسى عليه السلام. قيل: يعني إنّ المطاعم كلّها لم تزل حلالاً لهم من قبل إنزالها و تحريم ما حرّم فيها بظلم اليهود و بغيهم. و هذا ردّ على اليهود حيث أرادوا براءة ساحتهم ممّا نطق به القرآن من تحريم الطّيّبات عليهم لبغيهم و ظلمهم في قوله: «ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ»[٢] و قوله «فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ»[٣] فقالوا. لسنا بأوّل من حرّمت عليه، و قد كانت محرّمة على نوح و ابراهيم و من بعده من بني إسرائيل إلى ان انتهى التّحريم إلينا فكذّبهم الله[٤].

﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. امر بمحاجّتهم بكتابهم و تبكيتهم بما فيه حتّى يتبيّن أنّه تحريم حادث بسبب ظلمهم و بغيهم لا تحريم قديم كما زعموا، فلم يجسروا على إخراج التّوراة و بهتوا[٥].

﴿فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: من بعد ما الزمهم الحجّة ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لانفسهم، لمكابرتهم الحقّ بعد وضوحه.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾. تعريض بكذبهم، اي: ثبت انّ الله صادق فيما أنزله و أنتم الكاذبون. ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ و هي ملّة الإسلام الّتي عليها محمّد و من آمن معه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. تبرئة له عمّا كان ينسبه اليهود والمشركون إليه من كونه على دينهم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ ليكون متعبّداً لهم ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ يعني الكعبة: قال:

١ـ الكافي ٥: ٣٠٦، الحديث ٩؛ والعيّاشي ١: ١٨٤، الحديث: ٨٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الأنعام (٦): ١٤٦.
٣ـ النّساء (٤): ١٦٠.
٤و٥ـ الكشّاف ١: ٤٤٥ـ٤٤٦؛ والبيضاوي ٢: ٣١.

«إنّ موضع البيت بكّة، والقرية مكّة» [1] و ورد: «لمّا أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرّياح فضربن متن الماء حتّى صار موجاً، ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت، ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحى الأرض من تحته، و هو قول الله عزّوجلّ: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ" الآية» [2]. ﴿مُبَارَكًا﴾: كثير الخير والنّفع لمن حجّه و اعتمره واعتكف عنده، و طاف حوله، و قصد نحوه من مضاعفة الثّواب و تكفير الذّنوب و نفي الفقر و كثرة الرّزق ﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ لأنّه قبلتهم و متعبّدهم.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ كقهره لمن تعرّض له من الجبابرة بسوء كأصحاب الفيل ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: منها مقام إبراهيم. ورد: إنّه سئل ما هذه الآيات البيّنات؟ فقال: «مقام إبراهيم حيث قام على الحجر، فأثّرت فيه قدماه، والحجر الأسود، و منزل إسماعيل» [3].

أقول: أمّا كون المقام آية، فلما ذكر، و لارتفاعه بإبراهيم عليه السلام حتّى كان أطول من الجبال، كما يأتي ذكره في سورة الحجّ إن شاء الله؛ و أمّا كون الحجر الأسود آية، فلنطقه لبعض الأنبياء والأوصياء كآدم والسّجّاد عليهما السّلام على ما ورد [4]، و لعدم إطاعته لغير المعصوم في نصبه في موضعه؛ و أمّا كون منزل إسماعيل آية، فلأنّه أنزل به، و كان بلا ماء، فنبع له الماء؛ و إنّما خصّ المقام بالذّكر في القرآن و طوى ذكر غيره، لأنّه أظهر آياته اليوم للنّاس.

﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ قال: «من دخل الحرم من النّاس مستجيراً به فهو آمن من

١ـ علل الشّرائع ٢: ٣٩٧، الباب ١٣٧، الحديث ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ٢: ١٥٦، الحديث ٦٧٠؛ والكافي ٤: ١٨٩، الحديث ٧؛ والعيّاشي ١: ١٨٦، الحديث: ٩١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ٤: ٢٢٣، الحديث ١؛ والعيّاشي ١: ١٨٧، الحديث ٩٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ راجع الكافي ١: ٣٤٨، الحديث ٥؛ و علل الشّرائع ٢: ٤٢٩، الباب ١٦٤، الحديث ٦؛ الخرائج والجرائح ١: ١٩٤؛ والبحار ٤٦: ٢٢و٢٩، الحديث ٢٠، و ١١١، الحديث: ٢

سخط الله، و من دخله من الوحش أو الطّير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتّى يخرج من الحرم»[1] و في رواية: «من دخله و هو عارف بحقّنا كما هو عارف به، خرج من ذنوبه و كفي[2] همّ الدنيا والآخرة»[3] ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ قال: «يعني به الحجّ والعمرة جميعاً، لأنّهما مفروضان»[4]. ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال: «يعني أن يكون له ما يحجّ»[5]. و في رواية: «من كان صحيحاً في بدنه، مخلّى سربه، له زاد و راحلة فهو ممّن يستطيع الحجّ»[6]. و في أُخرى: «السّعة في المال، يحجّ ببعض و يبقي بعضاً يقوت به عياله»[7]. ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: «يعني من ترك»[8]. و في رواية: «هو كفر النّعم»[9]. و في أُخرى: «تارك الحجّ و هو مستطيع كافر»[10]. و في أُخرى: «من مات و لم يحجّ حجّة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحجّ أو سلطان يمنعه، فليمت يهوديّاً أو نصرانيّاً»[11].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه الحقّ المأمور بسلوكه ﴿مَنْ

١ـ الكافي ٤: ٢٢٦، الحديث: ١؛ والعيّاشي ١: ١٨٩، الحديث: ١٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ في «ج»: «كفي به».
٣ـ العيّاشي ١: ١٩٠، الحديث: ١٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «كما هو عارف له ...».
٤ـ الكافي ٤: ٢٦٤، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر: ٢٦٦، الحديث: ١؛ والتوحيد للصدوق: ٣٥٠، الباب: ٥٦، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ١٩٢، الحديث: ١١١، و فيه: «فهو مستطيع للحجّ»؛ والكافي ٤: ٢٦٧، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ١٩٢، الحديث: ١١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ التهذيب ٥: ١٨، الحديث: ٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٩ـ العيّاشي ١: ١٩٣، الحديث: ١١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ٢٦٦، ذيل الحديث: ٤، عن النّبيّ صلّى الله عليه و آله.
١١ـ الكافي ٤: ٢٦٨، الحديث: ١؛ والتهذيب ٥: ١٧، الحديث: ٤٩، و٤٦٢، الحديث: ١٦١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

ءَامَنَ﴾ قيل: كانوا يفتنون المؤمنين و يحرّشون[١] بينهم حتّى أتوا الأوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهليّة، من التّعادي والتّحارب، ليعودوا لمثله، و يحتالون لصدّهم عنه[٢]. ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: طالبين لها اعوجاجاً ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ أنّها سبيل الله، أو عدول عند أهل ملّتكم يثقون بأقوالكم ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الخيانة والحيل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾. قيل: نزلت في نفر من الأوس والخزرج، أغرى بينهم يهوديّ و ذكّرهم محارباتهم بينهم في الجاهليّة، فتفاخروا و تعاصبوا بعد تألّفهم و اجتماعهم[٣].

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ قال: «بأن يطاع ولا يعصى، و يذكر فلا ينسى، و يشكر فلا يكفر»[٤] و في رواية: «إنّها منسوخة بقوله تعالى: "إتَّقُوا اللّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ"»[٥]. ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. في قراءتهم عليهم السّلام بالتّشديد[٦]. قال: «مسلّمون لرسول الله ﷺ ثمّ الإمام من بعده»[٧]. و في رواية: «مستسلمون لما أتى به النّبيّ منقادون له»[٨].

١ـ التّحريش: الإغراء بين القوم والكلاب و تهييج بعضها على بعض. مجمع البحرين ٤: ١٣٣؛ و لسان العرب ٦: ٢٧٩ (حرش).
٢ـ البيضاوي ٢: ٣٣؛ والكشّاف ١: ٤٤٩.
٣ـ البيضاوي ٢: ٣٣؛ والكشّاف ١: ٤٥٨.
٤ـ العيّاشي ١: ١٩٤، الحديث: ١٢٠؛ و معاني الأخبار: ٢٤٠، باب معنى اتّقوا الله حقّ تقاته، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ـ العيّاشي ١: ١٩٤، الحديث: ١٢١؛ والقمّي ١: ١٠٨، عن أبي عبدالله ﷺ. والآية في سورة التّغابن (٦٤): ١٦.
٦ و٨ ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٨٢، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ـ العيّاشي ١: ١٩٣، الحديث: ١١٩، عن أبي الحسن، موسى بن جعفر عليهما السّلام.

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ القمّي: الحبل: التّوحيد والولاية [1]. و في رواية: «آل محمّد حبل الله المتين الّذي أمر الله بالاعتصام به، فقال: "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا"» [2]. و في أُخرى: «نحن الحبل» [3]. و في أُخرى: «حبل الله هو القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام و ذلك قول الله: "إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ"» [4].

أقول: مآل الكلّ واحد، كما يدلّ عليه حديث: «حبلين ممدودين، و أنّهما لن يفترقا» [5].

﴿ جَمِيعًا ﴾: مجتمعين عليه ﴿ وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾: ولا تتفرّقوا عن الحقّ بإيقاع الاختلاف بينكم. قال: «إنّ الله تبارك و تعالى علم أنّهم سيفترقون بعد نبيّهم و يختلفون، فنهاهم عن التّفرّق كما نهى من كان قبلهم، فأمرهم أن يجتمعوا على ولاية آل محمّد ﷺ» [6].

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً ﴾ في الجاهليّة ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ بالإسلام ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ متحابّين في الله ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾: مشفين [7] على الوقوع في نار جهنّم لكفركم ﴿ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ قال: «بمحمّد، هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمّد» [8]. ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ اهتداءً بعد اهتداء.

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾

١ـ القمّي ١: ١٠٨
٢ـ العيّاشي ١: ١٩٤، الحديث: ١٢٣ عن أبي جعفر عليه السلام
٣ـ الأمالي (للشّيخ الطّوسي) ١: ٢٧٨، الجزء العاشر؛ والبحار ٢٤: ٨٤، الحديث: ٣ و٤؛ و مناقب آل أبي طالب ٣: ٧٥ عن أبي عبدالله عليه السلام
٤ـ معاني الأخبار: ١٣٢، الحديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام. والآية في سورة الإسراء (١٧): ٩
٥ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٨٢، عن النّبيّ ﷺ.
٦ـ القمّي ١: ١٠٨، عن أبي جعفر عليه السلام، مع زيادة: «ولا يتفرّقوا» في آخرها
٧ـ شفا ـ بالقصر ـ: طرف الشّيء و جانبه، يقال: «شفا جرف»، «شفا بئر» و «شفا وادٍ»، و مشفين أي مشرفين. و منه: أشفى المريض على الموت. مجمع البحرين ١: ٢٤٧ (شفا)؛ و لسان العرب ١٤: ٤٣٦ (شفي)
٨ـ الكافي ٨: ١٨٣، الحديث: ٢٠٨، عن أبي عبدالله عليه السلام

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. قال: «فهذه خاصّ غير عامّ، كما قال الله: "وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ"[1] ولم يقل: على أمّة موسى. قال: إنّما هو على القويّ المطاع، العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضَّعَفَة الّذين لا يهتدون سبيلاً إلى أيّ من أيّ. وقال: وليس على من يعلم ذلك في هذه الهدنة من حرج، إذا كان لا قوّة له ولا عُدَد ولا طاعة»[2]. وفي رواية: «فهذه لآل محمّد ومن تابعهم»[3]. وفي أخرى: «إنّما يؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر مؤمن فيتّعظ، أو جاهل فيتعلّم؛ فأمّا صاحب سوط وسيف فلا»[4]. وورد: «لا يزال النّاس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، وسلّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السّماء»[5].

﴿وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَٱخْتَلَفُوا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ كاليهود والنّصارى ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾: فيقال لهم: أكفرتم؟ ﴿فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. قال: «هم أهل البدع والأهواء والآراء الباطلة من هذه الأمّة»[6].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

١ـ الأعراف (٧): ١٥٩
٢ـ الكافي ٥: ٥٩، الحديث: ١٦ عن أبي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف يسير في العبارة
٣ـ القمّي ١: ١٠٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٥: ٦٠، الحديث: ٢ عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه «وأمّا صاحب سوط أو سيف فلا»
٥ـ التهذيب ٦: ١٨١، الحديث: ٣٧٣، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله
٦ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤٨٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وليست فيه «الآراء الباطلة»

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾: الكون فيها يعمّ الأزمنة[1]. ورد: «إنّها نزلت خير أئمّة»[2]. وفي رواية: «أنتم خير أمّة - بالألف - نزل بها جبرئيل، وما عني بها إلّا محمّداً وعليّاً والأوصياء من ولده»[3]. ﴿أُخْرِجَتْ﴾: اظهرت ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إيماناً بالله وتصديقاً به وإظهاراً لدينه ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المتمرّدون في الكفر.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾: ضرراً يسيراً كطعن وتهديد ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾: ينهزموا ولا يضرّوكم بقتل وأسر ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾: لا أحد يدفع بأسكم عنهم وكان الأمر كذلك.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ فهي محيطة بهم إحاطة البيت المضروب على أهله ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾: وجدوا ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾. قال: «الحبل من الله كتاب الله، والحبل من النّاس عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[4]. ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: رجعوا به مستوجبين له ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾. قال: «والله ما قتلوهم بأيديهم، ولا ضربوهم بأسيافهم، ولكنّهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها، فأخذوا عليها، فقتلوا، فصار قتلاً واعتداءاً ومعصية»[5].

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ في دينهم ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ على الحقّ وهم الّذين أسلموا منهم ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يعني يتلونها في تهجّدهم.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ

1 - في «ج»: «جميع الأزمنة».
2 - العيّاشي 1: 195، الحديث 128؛ والقمّي 1: 110، عن أبي عبدالله عليه السلام.
3 - المناقب (لابن شهر آشوب) 4: 2، عن أبي جعفر عليه السلام.
4 - العيّاشي 1: 196، الحديث 131؛ وتفسير فرات الكوفي: 92، الحديث 76، عن أبي عبدالله عليه السلام.
5 - الكافي 2: 371، الحديث 6؛ والعيّاشي 1: 196، الحديث: 132، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي: «وما ضربوهم بأيديهم ولا قتلوهم بأسيافهم».

﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾. وصفهم بصفات ليست في اليهود. ﴿وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾: فلن يضيع ولا ينقص ثوابه. سمّى ذلك كفراً كما سمّى توفية الثّواب شكراً. ورد: «إنّ المؤمن مكفّر، و ذلك أنّ معروفه يصعد إلى الله فلا ينتشر في النّاس، والكافر مشكور [1]، و ذلك أنّ معروفه للنّاس ينتشر في النّاس ولا يصعد إلى السّماء» [2]. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ بشارة لهم و إشعار بأنّ التّقوى مبدأ الخير.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾: برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ عقوبة لهم. شبّه ما أنفقوا في ضياعه بحرث كفّار ضربته برد شديد من سخط الله، فاستأصله و لم يبق [3] لهم فيه منفعة في الدّنيا ولا في الآخرة. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ أي. المنفقين بضياع نفقاتهم ﴿وَلَٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لمّا لم ينفقوها بحيث يعتدّ بها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾: وليجة [4]، و هو الّذي يعرّفه الرّجل أسراره ثقة به. شبّه ببطانة الثّوب، كما يشبّه بالشّعار. ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾: من دون المسلمين ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: لا يقصرون لكم في الفساد ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾: تمنّوا عنتكم، و هو شدّة الضّرر و المشقّة ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: من كلامهم، لأنّهم لا يتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ ممّا بدا ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

١ـ الكافي: «مشهور» بدل: «مشكور».
٢ـ علل الشرايع ٢: ٥٦٠، الباب ٣٥٣، الحديث ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في «الف»: «لم تبق».
٤ـ وليجة الرّجل: بطانته و دخلاؤه و خاصّته و ما يتّخذه معتمداً عليه. مجمع البحرين ٢: ٣٣٥، و لسان العرب ٢: ٤٠٠ (ولج).

﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ ﴾ الخاطئون في موالاة الكفّار ﴿ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ كتابكم و كتابهم، و هم لا يؤمنون بكتابكم. فيه توبيخ بأنّهم في باطلهم أصلب منكم في حقّكم. ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ نفاقاً و تغريراً ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ تأسّفاً و تحسّراً، حيث رأوا إيتلافكم و اجتماع كلمتكم و لم يجدوا إلى التّشفّي سبيلاً. ﴿ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ ﴾: نعمة من ألفة[1] أو ظفر على الأعداء ﴿ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ ﴾: محنة ﴿ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ ﴾ على عداوتهم ﴿ وَتَتَّقُواْ ﴾ موالاتهم و مخالطتهم ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ لما وعد الله الصّابرين والمتّقين من الحفظ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾.

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ ﴾: واذكر إذ غدوت ﴿ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: تهيّىء لهم ﴿ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾: مواقف و أماكن له ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لأقوالكم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بنيّاتكم.

«كان ذلك في غزوة أُحد حين خرجت قريش من مكّة يريدون حربه فخرج يبتغي موضعاً للقتال، و كان عبّأ[2] أصحابه، و كانوا سبعمأة رجل، فوضع «عبدالله بن جبير» في خمسين من الرّماة على باب الشّعب[3]، و أشفق أن يأتيهم كمينهم من ذلك المكان، فقال لهم: لا تبرحوا من هذا المكان و الزموا مراكزكم. فلمّا انهزمت قريش و وقع أصحاب رسول الله ﷺ في سوادهم ينهبون[4]، قال أصحاب «عبدالله بن جبير» لعبد الله:

١ـ في «الف»: «من الله».
٢ـ عبّأ المتاع والأمر: هيّأه، والجيش: جهّزه. القاموس المحيط ١: ٢٣؛ و لسان العرب ١: ١١٨ (عبا).
٣ـ الشّعب ـ بكسر الشّين ـ: الطّريق في الجبل و مسيل الماء في بطن أرض أو ما انفرج بين الجبلين. القاموس المحيط ١: ٩١؛ و مجمع البحرين ٢: ٩٠؛ و لسان العرب ١: ٤٩٩ (شعب).
٤ـ السّواد: الشّخص والمال الكثير. مجمع البحرين ٣: ٧٢؛ و لسان العرب ٣: ٢٢٥، والنّهب: الغنيمة و نهب النّهب: أخذه. مجمع البحرين ٢: ١٧٨؛ و لسان العرب ١: ٧٧٣. والمعنى أنّ أصحاب عبدالله بن جبير لمّا نظروا إلى أصحاب رسول الله يأخذون الأموال الكثيرة المتروكة في ساحة القتال من المشركين قالوا لعبد الله: قد غنم أصحابنا، و نحن نبقى بلا غنيمة.

قد غنم أصحابنا، و نحن نبقى بلا غنيمة. فقال لهم: اتّقوا الله فإنّ رسول الله قد تقدّم إلينا ألاّ نبرح، فلم يقبلوا منه و أقبلوا ينسلّ رجل فرجل حتّى أخلوا مراكزهم، و بقي «عبدالله» في اثني عشر رجلاً، فانحطّ[1] «خالد بن الوليد» و فرّق أصحابه و بقي في نفر قليل، فقتلهم على باب الشّعب، و أتى المسلمين من أدبارهم، فانهزم أصحاب رسول الله ﷺ هزيمة عظيمة، فكشف رسول الله البيضة عن رأسه و قال: إليّ أنا رسول الله، إلى أين تفرّون؟ عن الله و عن رسوله؟ و لم يبق معه إلاّ أبو دُجانة و عليّ عليه السلام، فلم يزل عليّ يقاتلهم حتّى أصابه في وجهه و رأسه و يديه و بطنه و رجليه سبعون جراحة». كذا ورد[2].

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾: أن تجبنا و تضعف ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: ناصرهما ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: فليعتمدوا عليه في الكفاية

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ هو ما بين مكّة والمدينة ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾. قال: «و ما كانوا أذلّة، و فيهم رسول الله و إنّما نزل و أنتم ضعفاء»[3]. و في رواية «ليس هكذا أنزلها الله، إنّما أُنزلت و أنتم قليل»[4].

أقول: لعلّ المراد أنّها نزلت بهذا المعنى. و ورد: «إنّ عدّتهم كانت ثلثماة و ثلاثة عشر»[5].

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الثبات ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ما أنعم به عليكم

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾.

١ـ حطّه: أنزله من علوّ إلى سفل، و منه «فانحطّ الرّجل و هو قائم في صلاته». مجمع البحرين ٤، ٢٤٢؛ و لسان العرب ٧، ٢٧٣ (حطط)

٢ـ القمّي ١: ١١٤ ـ ١١٦؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٤٩٥، عن أبي عبدالله عليه السلام. و في القمّي «السّبعون جراحة»

٣ـ العيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣٥؛ والقمّي ١: ١٢٢؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٤٩٨، عن أبي عبدالله عليه السلام

٤ـ العيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣٣ و ١٣٤، عن أبي عبدالله عليه السلام

٥ـ راجع: الغيبة (للنّعماني): ٣١٥؛ والدّرّ المنثور ٢: ٣٠٧؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٤٩٨؛ والقمّي ١: ٢٥٧

﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم ﴾ أي: المشركون ﴿ مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا ﴾: من ساعتهم هذه ﴿ يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾: معلّمين. من التّسويم بمعنى إظهار سيماء الشّيء. قال: «كانت على الملائكة العمائم البيض المرسلة يوم بدر»[١].

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ أي: الإمداد ﴿ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ ﴾ بالنّصر ﴿ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ لا من العدّة والعدّة ﴿ ٱلۡعَزِيزِ ﴾ الّذي لا يغالب ﴿ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ الّذي ينصر و يخذل على مقتضى الحكمة.

﴿ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾: ليتنقص منهم بقتل بعض و أسر بعض. ورد: «إنّه قتل منهم يوم بدر سبعون من صناديدهم و أسر سبعون»[٢]. ﴿ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ ﴾: أو يخزيهم. والكبت شدّة غيظ أو وهن يقع في القلب. ﴿ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴾: فينهزموا منقطعي الآمال.

﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾ اعتراض[٣] ﴿ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ إن أسلموا ﴿ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ ﴾ إن أصرّوا ﴿ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾: قد استحقّوا التّعذيب بظلمهم. ورد: «إنّه لمّا أخبر الله نبيّه ﷺ أن يظهر ولاية عليّ عليه السلام ففكّر في عداوة قومه له فيما فضّله الله به عليهم في جميع خصاله، و حسدهم له عليها، ضاق من ذلك، فأخبر الله أنّه ليس له من هذا الأمر شيء، إنّما الأمر فيه إلى الله أن يصيّر عليّاً وصيّه و وليّ الأمر بعده، فهذا عنى الله، و كيف لا يكون له من الأمر شيء و قد فوّض الله إليه أن جعل ما أحلّ فهو حلال، و ما حرّم فهو حرام، قوله: "ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما

١ـ العيّاشي ١: ١٩٦، الحديث: ١٣٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ راجع: القمّي ١: ١٢٦؛ والعيّاشي ١: ٢٠٥، الحديث: ١٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ لعلّ المراد أنّه اعتراض بين الكلامين فيكون قوله: «أو يتوب عليهم» متّصل بقوله: «ليقطع طرفاً»، فيكون التّقدير: ليقطع طرفاً منهم، أو يكبتهم، أو يتوب عليهم، أو يعذّبهم؛ فإنّهم قد استحقّوا العذاب، و ليس لك أي ليس لك من هذه الأربعة شيء، و ذلك إلى الله تعالى. «مجمع البيان ١ـ٢: ٥٠٠ـ٥٠١، والبيضاوي ٢: ٤٢».

نهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»[١]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «ليس لك من الأمر شيء إن يتب عليهم او يعذّبهم»[٢]. و في أُخرى: «أن تتوب عليهم أو تعذّبهم»[٣]. بالتاء فيهما.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾. قيل: كان رجل منهم يربي إلى أجل، ثمّ يزيد فيه إلى آخر حتّى يستغرق بقليله مال المديون[٤]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما نهيتم عنه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قال: «إلى أداء الفرائض»[٥]. ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: «إذا وضعتا مسوطتين». كذا ورد[٦]. ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾. قال: «فإنّكم لن تنالوها إلاّ بالتقوى»[٧].

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ في أحوالهم جميعاً ما تيسّر لهم من قليل أو كثير ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾: سيّئة بالغة في القبح كالزنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بارتكاب ذنب أعظم من الزنا ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾: تذكّروا وعيده

١ـ العيّاشي ١: ١٩٧، الحديث: ١٣٩، عن أبي جعفر عليه السلام. والآية في سورة الحشر (٥٩). ٧.
٢ و٣ـ العيّاشي ١: ١٩٨، الحديث: ١٤١ عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ١: ٤٦٣؛ والبيضاوي ٢: ٤٢.
٥ـ مجمع البيان ١ ـ ٢: ٥٠٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ١٩٨، الحديث: ١٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الخصال ٢: ٦٣٣، ذيل الحديث: ١٠ (حديث اربعمائة) عن أبي عبدالله عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام

وحقّه العظيم ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ بالندم والتوبة ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ استفهام بمعنى النفي معترض، لينبّه بسعة رحمته و عموم مغفرته.

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾: و لم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين. قال: «الإصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدّث نفسه بتوبة»[1]. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: عالمين به.

﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾. ورد: «إنّها نزلت في نبّاش زنى بميّتة ثمّ ندم، فأتى بعض جبال المدينة فتعبّد فيها و لبس مِسْحاً[2] و غلّ يديه جميعاً إلى عنقه ينادي ربّه و يبكي و يحثّ التّراب على رأسه، و قد أحاطت به السباع و صفّت فوقه الطّير و هم يبكون لبكائه أربعين يوماً»[3]. هذا ملخّص القصّة.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: وقايع سنّها الله تعالى في الأمم المكذّبة ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قال: «انظروا في القرآن»[4]. ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ قال: «يعني ما أخبركم عنه»[5].

﴿هَٰذَا﴾ أي، القرآن ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ عامّة ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ خاصّة.

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾. و لا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم يوم أُحُد ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على من قتل منكم ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ فإنّكم على الحقّ، و قتالكم لله، و قتلاكم في الجنّة و إنّهم على الباطل، و قتالهم للشّيطان، و قتلاهم في النّار. و إنّكم أصبتم منهم يوم بدر

١ـ العيّاشي ١: ١٩٨، الحديث ١٤٤؛ والكافي ٢: ٢٨٨، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام، مع زيادة «فذلك الإصرار» في آخرها.
٢ـ المِسْح: الكساء من شعر؛ ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشّفاً و قهراً للجسد؛ البلاس يقعد عليه. المنجد في اللغة: ٧٦٠ (مسح).
٣ـ الأمالي (للصدوق) ٤٦، المجلس الحادي عشر، الحديث: ٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٤ و ٥ـ الكافي ٨: ٢٤٩، الحديث: ٣٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أكثر [١] ممّا أصابوا منكم اليوم، و إنّكم منصورون في العاقبة غالبون. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: إن صحّ إيمانكم.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ ـ بالفتح والضمّ ـ لغتان. و قيل: بالفتح الجراح و بالضمّ ألمها [٢]. ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ يعني إن أصابوا منكم، فقد أصبتم منهم ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾: أوقات النصر والغلبة ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: نصرّفها بينهم، نديل لهؤلاء تارة و لهؤلاء أُخرى ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: ليكون كيت و كيت من المصالح، و ليتميّز الثابتون على الإيمان من الّذين على حرف، و يعلم الله ذلك حين يشاهده النّاس كما يعلمه من قبل و من بعد. ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾: و يكرم ناساً منكم بالشّهادة ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. اعتراض، فيه تنبيه على أنّه لا ينصرهم على الحقيقة و إنّما يديل لهم أحياناً استدراجاً لهم و ابتلاءً للمؤمنين.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. ليطهّرهم و يصفّيهم من الذّنوب إن كانت الدّولة عليهم. ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾: و يهلكهم إن كانت عليهم. والمحق: نقص الشّيء قليلاً قليلاً.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾. إنكار، يعني لا تحسبوا ﴿أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾: و لمّا يجاهد من يجاهد و يصبر من يصبر.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ للشّهادة [٣] ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ معاينين له حين قتل دونكم من قتل من إخوانكم. ورد: إنّ المؤمنين لمّا

١ـ في «الف»، «ب»: أكبر.
٢ـ التبيان ٢: ٦٠٠، و مجمع البيان ١ـ٢: ٥٠٨، والكشّاف ١: ٤٦٥.
٣ـ في «الف» و «ج»: بالشّهادة.

أخبرهم الله بما فعل بشهدائهم يوم بدر في منازلهم في الجنّة، رغبوا في ذلك فقالوا: اللّهمّ أرنا قتالاً نستشهد فيه. فأراهم الله إيّاه يوم أُحُد، فلم يثبتوا إلّا من شاء الله منهم، فذلك قوله: «وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ» الآية»[1].

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فيخلو كما خلوا بالموت أو القتل ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾: ارتددتم عن الدّين. قيل: كان سبب ارتدادهم و انهزامهم نداء إبليس فيهم أنّ محمّداً قد قُتل[2]، و كان ﷺ في زحم النّاس، و كانوا لا يرونه. ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ بارتداده بل يضرّ نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ كأمير المؤمنين و من يحذو حذوه عليهم السّلام. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ تلا هذه الآية في خطبة الغدير، ثمّ قال: ألا و إنّ عليّاً هو الموصوف بالصّبر والشّكر، ثمّ من بعده ولدي من صلبه»[3].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾: كتب كتاباً موقّتاً لا يتقدّم ولا يتأخّر ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾. تعريض بمن شغلته الغنائم يوم أُحُد، و كان ذلك سبب انهزام المسلمين. ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾: من ثوابها ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾: و كم من نبيّ ﴿قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾: ربّانيّون علماء أتقياء، و في قراءتهم عليهم السّلام: «قُتِلَ مَعَهُ»[4]. ﴿كَثِيرٌ﴾ قال: «الوف و الوف، ثمّ قال: أي والله يقتلون»[5]. ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾ في الدّين و عن العدوّ ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾: و ما خضعوا للعدوّ، و هو تعريض بما أصابهم عند

١ـ القمّي ١: ١١٩، عن أبي جعفر عليه السّلام.
٢ـ راجع: مجمع البيان ١ـ٢: ٥١٣، والبيضاوي ٢: ٤٦.
٣ـ الاحتجاج ١: ٧٧، عن أبي جعفر عليه السّلام.
٤و٥ـ العيّاشي ١: ٢٠١، الحديث: ١٥٤، عن أبي عبدالله عليه السّلام.

الإرجاف[1] بقتله ﷺ. قال: «بيّن الله سبحانه أنّه لو كان قُتل ﷺ كما أُرجف بذلك يوم أُحُد، لما أوجب ذلك أن يضعفوا أو يهنوا، كما لم يهن من كان مع الأنبياء بقتلهم»[2]
﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فينصرهم في العاقبة و يعظّم قدرهم.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ مع ثباتهم و قوّتهم في الدّين و كونهم ربّانيّين ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. أضافوا الذّنوب والإسراف إلى أنفسهم هضماً لها، و إضافةً لما أصابهم إلى سوء أعمالهم، واستغفروا عنها ثمّ طلبوا التّثبيت في مواطن الحرب والنّصر على العدوّ، ليكون عن خضوع و طهارة فيكون أقرب إلى الإجابة.

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: النّصر والغنيمة و حسن الذّكر في الدّنيا، والجنّة والنّعيم في الآخرة ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في أقوالهم وأعمالهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾. قال: «نزلت في المنافقين إذ قالوا للمؤمنين يوم أُحُد عند الهزيمة. ارجعوا إلى إخوانكم وارجعوا إلى دينهم»[3].

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ فاستغنوا به عن ولاية غيره.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾. قيل: هو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أُحُد حتّى تركوا القتال و رجعوا من غير سبب[4] و ورد:

١ـ رَجَفَ: حرك و تحرك واضطرب شديداً، و رجفت الأرض: زُلْزِلَتْ كـ أرجفت، والقوم: تهيّؤا للحرب. القاموس المحيط ٣: ١٤٧ (رجف).
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥١٧، عن أبي جعفر ﷺ.
٣ـ المصدر: ٥١٨، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٤ـ الكشاف ١: ٤٧٠؛ والبيضاوي ٢: ٤٧.

«نصرت بالرّعب مسيرة شهر»[1] ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أي: آلهة ليس على إشراكها حجّة نازلة من الله عليهم. أريد نفي الحجّة و نزولها جميعاً. ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أي: وعده إيّاهم بالنّصر بشرط التقوى و الصّبر، و كان كذلك حتّى خالفوا الرّماة، فإنّ المشركين لمّا أقبلوا، جعل الرّماة يرشقونهم[2]، والباقون يضربونهم بالسّيف حتّى انهزموا، و المسلمون على آثارهم ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ أي: تقتلونهم بإذن الله ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: جبنتم وضعف رأيكم بالميل إلى الغنيمة ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ يعني اختلاف الرّماة حين انهزام المشركين. فقال بعضهم: فما موقفنا هاهنا؟ و قال آخرون: لا نخالف أمر الرّسول. فثبت مكانه أميرهم في نفر يسير، ونفر الباقون للنّهب. ﴿وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ من الظّفر و الغنيمة و انهزام العدوّ. و جواب «إذا» محذوف، و هو امتحنكم. ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ و هم التّاركون المركز لحيازة الغنيمة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ و هم الثّابتون محافظة على أمر الرّسول ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾: كفّكم عنهم حين غلبوكم ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ على المصائب و يمتحن ثباتكم على الإيمان عندها ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ تفضّلاً، و لما علم من ندمكم على المخالفة ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: يتفضّل عليهم بالعفو و غيره، سواء أُديل[3] لهم أو عليهم، إذ الابتلاء أيضاً رحمة.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ متعلّق بـ«صرفكم». و الإصعاد: الذّهاب و الإبعاد في الأرض. ﴿وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾. لا يقف أحد لأحد ولا ينتظره ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ كان يقول: إليّ عباد الله! أنا رسول الله، إلى أين تفرّون؟ عن الله وعن رسوله؟. و في رواية:

١ـ الخصال ١: ٢٠١، حديث ١٤؛ و مجمع البيان ١ـ٢: ٥١٩، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ الرَّشق ـ بالفتح فالسكون ـ: الرّمي. مجمع البحرين ٥: ١٦٩؛ و لسان العرب ١٠: ١١٦ (رشق).
٣ـ دالت الأيّام: دارت. والله يداولها بين النّاس، أي: يديرها. و أديل لنا على أعدائنا، أي: نصرنا عليهم. مجمع البحرين ٥: ٣٧٤؛ و لسان العرب ١١: ٢٥٢ (دول).

«من يكرّ فله الجنّة»[1]. ﴿فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾: في ساقتكم وجماعتكم الأخرى ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ﴾: فجازاكم الله عن فشلكم و عصيانكم غمّاً متّصلاً بغمّ. ورد: «الغمّ الأوّل، الهزيمة و القتل، و الغمّ الآخر: إشراف «خالدبن الوليد» عليهم»[2]. ﴿لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا﴾ على ﴿مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ﴾ من قتل إخوانكم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا﴾: أمناً حتّى أخذكم النّعاس ﴿يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾ و هم المؤمنون حقّاً. روي: «أنّه غشيهم النّعاس في المصافّ حتّى كان السّيف يسقط من يد أحدهم فيأخذه ثمّ يسقط فيأخذه»[3]. ﴿وَطَآئِفَةٞ﴾ و هم المنافقون ﴿قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾: أوقعتهم أنفسهم في الهموم إذ ما بهم إلّا همّ أنفسهم و طلب خلاصها ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾: يظنّون أنّ أمر محمّد مضمحلّ و أنّه لا ينصر ﴿ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ﴾: ظنّ أهل الملّة الجاهليّة، أي: الكفّار.

﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ﴾: هل لنا في تدبير[4] أنفسنا و تصريفها اختيار؟ ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد ﴿يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ﴾: يظهرون أنّهم مسترشدون طالبون النّصر، و يبطنون الإنكار و التّكذيب ﴿يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾: لو لم نبرح من المدينة بل أقمنا فيها، ما غلبنا و ما قتل من قتل منّا في هذه المعركة. ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾: إلى مصارعهم و لم ينفع الإقامة بالمدينة ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾: و ليمتحن الله و يظهر سرايركم من الإخلاص و النّفاق فعل ما فعل.

١ـ الكشّاف ١: ٤٧١؛ و البيضاوي ٢: ٤٨.
٢ـ القمّي ١: ١٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ البيضاوي ٢: ٤٨؛ والكشّاف ١: ٤٧١، عن أبي طلحة؛ والدّرّ المنثور ٢: ٣٥٣؛ و السّنن للترمذي ٤: ٢٩٧، الحديث ٥٠٩٥.
٤ـ في «ب» و «ج»: «من تدبير».

﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: و ليكشفه و يميّزه. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: عليم بخفيّاتها قبل إظهارها. و فيه وعد و وعيد و تنبيه على أنّه غنيّ عن الابتلاء، و إنّما فعل ذلك لتمرين المؤمنين و إظهار حال المنافقين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾. انهزموا ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: يوم أُحُد ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾: حملهم على الزلّة ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ من معصيتهم النبيّ ﷺ بترك المركز و الحرص على الغنيمة و غير ذلك، فمنعوا التأييد و قوّة القلب. ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لتوبتهم و اعتذارهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمذنوب ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل بالعقوبة لكي يتوب المذنب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني المنافقين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾: لاجلهم و فيهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾: إذا سافروا فيها و ماتوا ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾. غازين فقتلوا. ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ﴾. اللام للعاقبة. ﴿ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، لا الإقامة و السفر، فإنّه تعالى قد يحيي المسافر و الغازي و يميت المقيم و القاعد. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ في سبيله ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من منافع الدنيا لو لم تموتوا او تقتلوا.

﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ على ايّ وجه اتّفق ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ في جميع الاحوال.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾. «ما» المزيدة للتاكيد. بلغ لينه لهم إلى أن اغتمّ لهم بعد ما خالفوه. ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾. سيّئ الخلق جافياً ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾: قاسية ﴿لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾: لتفرّقوا عنك و لم يسكنوا إليك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختصّ بك ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما لله ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: في امر الحرب و غيره ممّا يصحّ أن يشاور فيه استظهاراً برأيهم و تطييباً لنفوسهم و تمهيداً لسنّة المشاورة للأمّة

ورد: «لا وحدة أوحش من العجب و لا مظاهرة أوثق من المشاورة»[١]. «من شاور الرّجال شاركها في عقولها، من استبدّ برأيه هلك»[٢]. ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك، فإنّه لا يعلمه سواه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فيبصرهم و يهديهم إلى الصّلاح.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾. فلا أحد يغلبكم ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾: لا ناصر لكم من بعد الله إذا جاوزتموه، أو من بعد خذلانه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. فليخصّوه بالتّوكّل لمّا آمنوا به و علموا أن لا ناصر سواه.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾: و ما صحّ لنبيّ أن يخون في الغنائم، فإنّ النّبوّة تنافي الخيانة. و الغلول: أخذ الشّيء من المغنم في خفية. ورد: «إنّ قطيفة حمراء فقدت من الغنيمة يوم بدر، فقال رجل من الأصحاب: ما أظنّ إلاّ رسول الله أخذها، فنزلت، فجاء رجل فقال: إنّ فلاناً غلّ قطيفة فاحفرها هنالك، فأمر رسول الله ﷺ بحفر ذلك الموضع، فأخرج القطيفة»[٣]. ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. قال: «إنّه يراه يوم القيامة في النّار ثمّ يكلّف أن يدخل إليه فيخرجه من النّار»[٤]. ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: تعطى جزاء ما كسبت وافياً ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بالطاعة ﴿كَمَن بَاءَ﴾: رجع ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ بالمعصية ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾. قال: «الّذين اتّبعوا رضوان

١ـ التّوحيد (للصّدوق): ٣٧٦، الباب ٦٠، ذيل الحديث ٢٠، عن أبي جعفر، عن آبائه، عن النّبي ﷺ؛ و نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٤٨٨، الحكمة ١١٣.
٢ـ نهج البلاغة (للصبحي صالح): ٥٠٠، الحكمة ١٦١، مع تقدّم و تأخّر.
٣ـ القمّي ١: ١٢٦، و فيه «فاحتفروه» بدل «فاحفرها».
٤ـ المصدر: ١٢٢، عن أبي جعفر ﷺ.

الله هم الائمّة، و هم و الله درجات للمؤمنين، و بولايتهم و معرفتهم إيّانا يضاعف الله لهم أعمالهم، و يرفع الله لهم الدّرجات العلى؛ و الّذين باؤوا بسخط هم الّذين جحدوا حقّ عليّ و الائمّة منّا أهل البيت»[1]. و قال: «الدّرجة ما بين السّماء والارض»[2].

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾: أنعم الله ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: عربياً مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾. يطهّرهم من سوء العقايد و الاخلاق و الاعمال ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾: القرآن و السنّة ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾: و إنّه كانوا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: قبل بعثه ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾. الهمزة للتقريع و التقرير. قال «كان المسلمون قد اصابوا ببدر مائة و اربعين رجلاً: قتلوا سبعين و اسروا سبعين؛ فلمّا كان يوم أحد أُصيب من المسلمين سبعون، فاغتمّوا لذلك فنزلت»[3]. ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَٰذَا﴾: من اين هذا اصابنا و قد وعدنا الله النّصر؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ قال: «باختياركم الفداء يوم بدر»[4]. القمّي: و كان الحكم في الأُسارى يوم بدر، القتل، فقامت الانصار فقالوا: يا رسول الله هبهم لنا، و لا تقتلهم حتّى نفاديهم، فنزل جبرئيل فقال: إنّ الله قد اباح لهم الفداء ان يأخذوا من هؤلاء القوم و يطلقوهم على ان يستشهد منهم في عام قابل بقدر من يأخذون منه الفداء فاخبرهم رسول الله ﷺ بهذا الشّرط، فقالوا: قد رضينا به نأخذ العام الفداء من هؤلاء و نتقوّى به و يقتل منّا في عام قابل بعدد من نأخذ منه الفداء وندخل الجنّة. فاخذوا منهم الفداء و أطلقوهم، فلمّا كان يوم أُحد قتل من أصحاب رسول الله ﷺ سبعون؛ فقالوا: يا رسول الله ما هذا الّذي اصابنا و قد كنت تعدنا النّصر؟

١ـ الكافي ١: ٤٣٠، الحديث ٨٤؛ و العيّاشي ١: ٢٠٥، الحديث ١٤٩، عن أبي عبدالله ؑ.
٢ـ العيّاشي ١: ٢٠٥، الحديث: ١٥٠، عن أبي الحسن الرّضا ؑ.
٣ـ المصدر، الحديث: ١٥١، عن أبي عبدالله ؑ.
٤ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٣٣، عن امير المؤمنين و أبي جعفر عليهما السّلام

فنزلت[1] . ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على النّصر و منعه، و على أن يصيب بكم و يصيب منكم.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ : يوم أُحد ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ : و ليتميّز الفريقان ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ أي : للمنافقين ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ عن الأنفس و الأموال ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ . قالوه دغلاً و استهزاءاً لزعمهم انّ ما يفعلونه ليس بقتال بل إلقاء بالانفس إلى التّهلكة . ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ كما يظهر من كلامهم هذا ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النّفاق و ما يخلو به بعضهم إلى بعض فإنّه يعلمه مفصّلاً بعلم واجب، و انتم تعلمونه مجملاً بامارات.

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ : لاجلهم و فيهم. يريد من قتل يوم أُحد. ﴿وَقَعَدُوا﴾ . حال كونهم قاعدين عن القتال: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ في القعود ﴿مَا قُتِلُوا﴾ كما لم نقتل ﴿قُلْ فَادْرَءُوا﴾ : فادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ انكم تقدرون على دفع القتل و اسبابه عمّن كتب عليه، فإنّه احرى بكم. يعني انّ القعود غير مغن.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ . قال : «نزلت في شهداء بدر و أُحد جميعاً»[2].

أقول: و تشمل كلّ من قتل في سبيل من سبيل الله عزّوجلّ، سواء كان قتله بالجهاد الاصغر و بذل النّفس طلباً لرضا الله، أو بالجهاد الاكبر و كسر النّفس و قمع الهوى بالرّياضة .

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ذوو قرب منه ﴿يُرْزَقُونَ﴾ من الجنّة.

١ـ القمّي ١: ١٢٦.
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٣٥، عن ابي جعفر عليه السلام.

﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ و هو شرف الشّهادة، و الفوز بالحياة الأبديّة، والقرب من الله، و التّمتّع بنعم الجنّة. ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ من إخوانهم المؤمنين الّذين تركوهم و لم ينالوا درجاتهم بعد ﴿ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ قال: «هم و الله شيعتنا حين صارت أرواحهم في الجنّة و استقبلوا الكرامة من الله عزّ وجلّ، علموا و استيقنوا أنّهم كانوا على الحقّ و على دين الله عزّ ذكره، فاستبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم من خلفهم من المؤمنين»[1].

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾: وزيادة ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ «و ذلك انّ النّبيّ ﷺ كان قد واعد ابا سفيان القتال في العام المقبل بعد وقعة أحد ببدر الصّغرى، فخرج ابو سفيان في اهل مكّة حتّى نزل مَجَنَّة[2]، ثمّ ألقى الله عليه الرّعب، فبدا له في الرّجوع، فلقي نُعَيْمَ بن مسعود الاشجعي، فقال له إلحق بالمدينة فثبّط[3] أصحاب محمّد عن القتال، و لك عندي عشرة من الإبل. فأتى نعيم المدينة، فوجد النّاس يتجهّزون لميعاد أبي سفيان، فقال لهم: بئس الرّأي رأيتم[4]. أتوكم في دياركم و قراركم، فلم يفلت منكم الأشريد، فتريدون أن تخرجوا، و قد جمعوا

١ ـ القمّي ١: ١٢٧؛ والكافي ٨: ١٥٦، الحديث: ١٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام. وفيه: «... عزّ وجلّ، واستبشروا...».

٢ ـ مجنّة: اسم سوق للعرب كان في الجاهليّة و كانت بمرّ الظّهران قرب جبل يقال له الاصفر و هو بأسفل مكّة على قدر بريد منها. معجم البلدان ٥: ٥٨ (مجنّة).

٣ ـ ثبّطهم: حبسهم بجبن، و ثبّطه عن الأمر: اثقله واقعده. مجمع البحرين ٢: ٢٤٠؛ و لسان العرب ٧: ٢٦٧ (ثبط).

٤ ـ في المصدر: «رأيكم».

لكم عند الموسم، فوالله لا يفلت[١] منكم أحد. فكره أصحاب رسول الله ﷺ الخروج. فقال رسول الله ﷺ: و الّذي نفسي بيده لأخرجنّ و لو وحدي، فأمّا الجبان فإنّه رجع، وأمّا الشّجاع فإنّه تأهّب للقتال. و قال: حسبنا الله و نعم الوكيل. فخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتّى وافى بدر الصّغرى، فأقام به ينتظر أبا سفيان، و قد انصرف أبو سفيان من مجنّة إلى مكّة، فلم يلق رسول الله ﷺ و أصحابه أحداً من المشركين ببدر، و وافوا السّوق، و كانت لهم تجارات فباعوا و أصابوا الدّرهم درهمين، و انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين، فنزلت». كذا ورد[٢].

﴿ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾: عافية و ثبات على الإيمان وزيادة فيه ﴿ وَفَضْلٍ ﴾: وربح في التّجارة ﴿ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ من جراحة وكيد عدوّ ﴿ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ بجراءتهم وخروجهم ﴿ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ يعني به المثبّط و هو «نعيم». ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ و هم المنافقون المتخلّفون ﴿ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ ﴾: أولياء الله ﴿ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ تأكيد وتعميم.

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ ﴾: نمهلهم و تخليهم و شأنهم ﴿ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.

﴿ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾: مختلطين لا يعرف مخلصهم من منافقهم ﴿ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾: يميز المنافق من المخلص بالتّكاليف الشّاقّة الّتي

١ـ التّفلّت و الإفلات: التّخلّص. مجمع البحرين ٢: ٢١٣ و لسان العرب ٢: ٦٦ (فلت).
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

لا يصبر عليها و لا يذعن بها إلاّ الخلّص المخلصون. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ فتعلموا ما في القلوب من إخلاص و نفاق ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيوحي إليه و يخبره ببعض المغيبات ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ مخلصين ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا﴾ حق الإيمان ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: لا يقادر قدره.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: سيلزمون وباله إلزام الطوق. قال: «ما من أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلاّ جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوّقاً في عنقه، ينهش[1] من لحمه حتّى يفرغ من الحساب و هو قول الله عزّ و جلّ "سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة"، يعني ما بخلوا به من الزكاة»[2]. ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: و له ما فيهما ممّا يتوارث، فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله، و لا ينفقونه في سبيله؟ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من المنع و الإعطاء ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾. قيل: قاله اليهود لمّا سمعوا "مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ"[3]. القمّي: «و الله ما رأوا الله فيعلموا أنّه فقير، و لكنّهم رأوا أولياء الله فقراء، فقالوا: لو كان غنياً لأغنى أولياءه»[4] ففخروا على الله بالغنى. و في رواية: «هم الّذين يزعمون أنّ الإمام يحتاج إلى ما يحملونه إليه»[5].

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: بإذاعة أمرهم كما مرّ[6]. ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا

١ـ النهش: النهس، و هو أخذ اللّحم بمقدّم الأسنان. مجمع البحرين ٤: ١٥٦؛ و لسان العرب ٦: ٣٦٠ (نهش).
٢ـ الكافي ٣: ٥٠٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و العيّاشي ١: ٢٠٧، الحديث: ١٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكشّاف ١: ٤٨٤. و الآية في البقرة: ٢٤٥.
٤ـ القمّي ١: ١٢٧.
٥ـ المناقب ٤: ٤٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ في سورة البقرة، ذيل الآية: ٦١.

﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ بل إنّما يعذّب بمقتضى العدل، إن عذّب و لم يتفضّل.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾: امرنا في التّوراة و أوصانا، و كذبوا ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾: تحرقه. روي: «انّ هذه كانت معجزة لانبياء بني إسرائيل ان يقرّب بقربان، فيقوم النّبيّ فيدعو، فتنزل نار من السّماء فتحرق قربان من قبل منه»[1]. ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾. قال: «كان بين القائلين و القاتلين خمسمائة عام، فالزمهم الله القتل برضاهم بما فعلوا»[2].

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾: الحكم و المواعظ و الزّواجر ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: المشتمل على الشّرايع والاحكام.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾. وعد و وعيد للمصدّق و المكذّب. ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾: تعطون جزاء اعمالكم خيراً كان او شرّاً تامّاً وافياً ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ﴾. بُوعِد ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: ظفر بالمراد ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: زخارفها و فضولها ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ أي: و الله لتختبرنّ ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ قال. «بإخراج الزكاة»[3] ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ قال: «بالتّوطين على الصّبر»[4]. ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

١ ـ الكافي ٤: ٣٣٥، الحديث: ١٦ عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت؛ و مجمع البيان ١ ـ ٢: ٥٤٩، عن ابن عبّاس؛ والقمّي ١: ١٢٧؛ والبيضاوي ٢: ٥٨.
٢ ـ الكافي ٢: ٤٠٩، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ و ٤ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٨٩، الباب: ٣٣، ذيل الحديث: ١؛ و علل الشّرايع ٢: ٣٦٩، الباب ٩٠، الحديث: ٣، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.

مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: مما يجب ثبات الرأي عليه نحو إمضائه.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ قال: «في محمد»[1]. ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ قال: «إذا خرج»[2] ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾ اخذوا بدله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من حطام الدنيا ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾: يعجبون بما فعلوا ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من خير ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ﴾ قال: «ببعيد»[3]. ﴿مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو يملك أمرهم ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على عقابهم.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ﴾: لدلائل واضحة على توحيده سبحانه، و كمال علمه و حكمته، و نفاذ قدرته و مشيّته ﴿لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لذوي العقول الخالصة عن شوائب الوهم و الحسّ.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾: في جميع الأحوال، و على جميع الهيئات. ورد: «من أكثر ذكر الله أحبّه الله»[4]. و في رواية: «قياماً: الصّحيح يصلّي قائماً، و قعوداً: المريض يصلّي جالساً، و على جنوبهم: الّذي يكون أضعف من المريض الّذي يصلّي جالساً»[5]. ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: و يعتبرون بهما. ورد: «أفضل العبادة إدمان التّفكّر في الله و في قدرته»[6]. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ

١ و ٢ـ القمّي ١: ١٢٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ المصدر: ١٢٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٢: ٤٩٩، الحديث ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله.
٥ـ العيّاشي ١: ٢١١، الحديث ١٧٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٢: ٥٥، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿هَٰذَا بَاطِلًا﴾: عبثاً ضائعاً من غير حكمة. يعني يقولون ذلك. ﴿سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً لك من العبث و خلق الباطل ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ للإخلال بالنظر فيه و القيام بما يقتضيه.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ قال: «من ائمة يسمّونهم بأسمائهم»[1].

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ هو الرّسول ﷺ. و قيل: القرآن.[2] ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ كبائرنا، فإنّها ذات تبعات و أذناب ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ صغائرنا، فإنّها مستقبحة، ولكنّها مكفّرة عن مجتنب الكبائر ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾: مخصوصين بصحبتهم، معدودين في زمرتهم.

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾: مرسلاً عليهم. خافوا ألّا يكونوا من الموعودين ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن تعصمنا عمّا يقتضي الخزي ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ بإثابة المؤمن وإجابة الدّاعي. و تكرير «ربّنا» للمبالغة في الابتهال، والدّلالة على استقلال المطالب و علوّ شأنها. ورد في هذه الآيات: «ويل لمن لاكها بين فكّيه و لم يتأمّل ما فيها»[3].

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾: الذكر من الأنثى و الأنثى من الذكر ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ الاوطان و العشاير للدّين ﴿وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ بسبب إيمانهم بالله و من أجله ﴿وَقَاتَلُوا﴾ الكفّار ﴿وَقُتِلُوا﴾ في الجهاد ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾. ورد: «إنّها نزلت في

١ـ العيّاشي ١: ٢١١، الحديث: ١٧٥، عن أبي جعفر ﷺ.
٢ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٥٧؛ والبيضاوي ٢: ٦١.
٣ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٥٤، عن النّبيّ ﷺ. و اللّوك: إدارة الشّيء في الفم مجمع البحرين ٥: ٢٨٧؛ «و فيه الحديث أيضاً»؛ و لسان العرب ١٠: ٤٨٥ (لاك).

عليّ و أصحابه»[1].

أقول: و تشمل كلّ من اتّصف بهذه الصّفات

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾: تبسّطهم في مكاسبهم و متاجرهم و مزارعهم و سعتهم في عيشهم.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾: قصير مدّته، يسير في جنب ما أعدّ الله للمؤمنين. ورد: «ما الدّنيا في الآخرة إلّا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمّ فلينظر بم يرجع»[2]. ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾. النّزل: ما يعدّ للنّازل من طعام و شراب وصلة. ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ ممّا يتقلّب فيه الفجّار، لكثرته و دوامه و خلوصه من الآلام.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كما فعله المحرّفون من أحبارهم ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ و يؤتون أجرهم مرّتين كما وعدوه ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. سبق معناه[3].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ قال: «على الفرائض»[4]. ﴿وَصَابِرُوا﴾ قال: «على المصائب»[5]. ﴿وَرَابِطُوا﴾ قال: «على الائمة»[6]. و في رواية: «اصبروا عن المعاصي و صابروا على الفرائض»[7]. و في أخرى: «صابروا على التّقيّة»[8]. و في أخرى:

١ـ القمّي ١: ١٢٩.
٢ـ البيضاوي ٢: ٦٢، و الكشّاف ١: ٤٩١.
٣ـ في سورة البقرة، ذيل الآية: ٢٠٢.
٤، ٥ و ٦ـ الكافي ٢: ٨١، الحديث ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ٢١٢، الحديث: ١٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ المصدر: ٢١٣، الحديث: ١٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

«ورابطوا الصّلوات، أي: انتظروها واحدة بعد واحدة»[١] وورد: «من الرّباط انتظار الصّلاة بعد الصّلاة»[٢]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قال: «يعني فيما أمركم به وافترض عليكم»[٣].

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٥٦٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ المصدر، عن أمير المؤمنين عليه السلام، والبيضاوي ٢: ٦٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ العيّاشي ١: ٢١٣، ذيل الحديث: ١٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

سورة النّساء

[مدنيّة، و هي مائة و ستّ و سبعون آية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾. هي آدم. ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾. هي حوّاء. قال: «إنّ الله تبارك و تعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه- وكلتا يديه يمين- فخلق منها آدم، و فضل فضلة من الطّين، فخلق منها حوّاء» [2]. و في رواية: «إنّها خلقت من باطنه، و من شماله، و من الطّينة الّتي فضلت من ضلعه الأيسر» [3].

أقول: لعلّ تأويل الضّلع الأيسر الجهة الّتي تلي الدّنيا، فإنّها أضعف من الجهة الّتي تلي العقبى، ولذلك تكون جهة الدّنيا في الرّجال أنقص من جهة العقبى، و بالعكس منهما في النّساء.

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾: نشر ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾. قال: «إنّ الله عزّ و جلّ أنزل على آدم حوراء من الجنّة، فزوّجها أحد ابنيه، و تزوّج الآخر ابنة الجانّ، فما كان في النّاس من جمال كثير، أو حسن خلق، فهو من الحوراء، و ما كان فيهم من سوء خلق، فهو من ابنة

1ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
2ـ العيّاشي 1: 216، الحديث 7، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «فضلت فضلة».
3ـ علل الشرايع 2: 471، الباب: 222، الحديث: 33، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

الجان»[1] ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ﴾ قيل: يعني يسأل بعضكم بعضاً، فيقول: أسألك بالله[2]. ﴿ وَالْأَرْحَامَ ﴾ قال: «و اتّقوا الأرحام أن تقطعوها»[3]. و قال: «هي أرحام النّاس، إنّ الله عزّ و جلّ أمر بصلتها و عظّمها، ألا ترى أنّه جعلها معه»[4]. يعني قرنها باسمه في الأمر بالتّقوى. ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ قال: «حفيظاً»[5]

﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ﴾ يعني إذا بلغوا، و آنستم منهم رشداً، كما في الآية الأخرى[6]. ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾: و لا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم، بأن تعجّلوا الحرام من أموالهم قبل أن يأتيكم الرّزق الحلال الّذي قدّر لكم. و قيل: كانوا يأخذون الرّفيع من أموالهم و يجعلون مكانه الخسيس[7]، فنهوا عنه. ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ﴾: مضمومة إليها يعني فيما زاد على قدر أجره، لقوله «فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ»[8] ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾: ذنباً عظيماً.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾. ما ذكره المفسّرون في سبب نزوله و نظم محصوله لا يخلو من تعسّف. و ورد: «إنّه من إسقاط المنافقين من القرآن، و بين القول في اليتامى و بين نكاح النّساء من الخطاب و القصص أكثر من ثلث القرآن»[9].

١ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٤٠، الحديث: ١١٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام
٢ـ الكشّاف ١: ٤٩٣.
٣ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ و الدّرّ المنثور ٢: ٤٢٤.
٤ـ العيّاشي ١: ٢١٧، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام
٥ـ القمّي ١: ١٣٠، عن أبي الجارود؛ و تفسير فرات الكوفي: ١٠١؛ و الدّرّ المنثور ٢: ٤٢٤، عن ابن عبّاس.
٦ـ الآية ٦
٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣
٨ـ النّساء(٤): ٦
٩ـ الاحتجاج ١: ٣٧٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام. و جدير بالذكر أنّ من المسلّم عند الشّيعة الإماميّة عدم تحريف القرآن لا بالزيادة و لا بالنقصان، أنظر: البيان في تفسير القرآن ـ لآية الله العظمى السيد الخوئي ره ـ: ٢١٥

﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾: ثنتين ثنتين، و ثلاث ثلاث، و أربع أربع، تخيير في العدد لكلّ أحد إلى أربع. ورد: «إذا جمع الرّجل أربعاً فطلّق إحداهنّ فلا يتزوّج الخامسة حتّى تنقضي عدّة المرأة الّتي طلّق. و قال: لا يجمع الرّجل ماءه في خمس»[١].

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ بين هذه الأعداد، قال: «يعني في النّفقة»[٢]. ﴿ فَوَاحِدَةً ﴾: فانكحوا واحدة وذروا الجمع ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ وإن تعدّدن، لخفّة مؤنهنّ وعدم وجوب القسم بينهنّ، و في حكمهنّ المتعة. فورد: «إنّها ليست من الأربع و لا من السّبعين و إنّهن بمنزلة الإماء، لأنّهنّ مستأجرات لا تطلّق ولا ترث ولا تورّث»[٣]. ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ ﴾: أقرب ﴿ أَلَّا تَعُولُوا ﴾: تميلوا أو تعيلوا.

﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ ﴾: مهورهنّ ﴿ نِحْلَةً ﴾: عطيّة عن طيب نفس، بلا توقّع عوض. ورد: «من تزوّج امرأة و لم ينو أن يوفّيها صداقها فهو عند الله زان»[٤] ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ ﴾: وهبن لكم عن طيب نفس ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾: سائغاً من غير غصص[٥].

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾: تقومون بها و تنتعشون ﴿ وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾: عدة جميلة تطيب بها نفوسهم. قال: «السّفيه من لا تثق به»[٦]. و في رواية: «شرّاب الخمر و النّساء»[٧]. و في أخرى: «النّساء و الولد، قال إذا علم الرّجل أنّ امرأته سفيهة مفسدة و ولده سفيه مفسد،

١ـ الكافي ٥: ٤٢٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٣٦٣، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ راجع: الكافي ٥: ٤٥١، الأحاديث: ١، ٤، ٥ و٧، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام.
٤ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٥٢، الحديث: ١٢٠٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ يقال: غصصت بالماء أغصّ غَصَصاً إذا شرقت به، أو وقف في حلقك فلم تكد تسيغه. النّهاية ٣: ٣٧٠؛ و مجمع البحرين ٤: ١٧٦؛ و لسان العرب ٧: ٦٠ (غصص).
٦ـ العيّاشي ١: ٢٢٠، الحديث: ٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ١٦٨، الحديث: ٥٨٦، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «شارب الخمر».

لا ينبغي له ان يسلّط واحداً منهما على ماله الّذي جعله الله له قياماً، يقول معاشاً. قال: و المعروف العدة»[١].

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾: اختبروهم قبل البلوغ بتتبّع احوالهم في الدّين و حسن التّصرف في المال ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾: حدّاً يتأتى منهم النّكاح ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾. قال: «ايناس الرّشد: حفظ المال»[٢] و في رواية: «الرّشد: العقل و إصلاح المال»[٣]. و في أخرى: «من كان في يده مال بعض اليتامى، فلا يجوز له ان يعطيه حتّى يبلغ النّكاح و يحتلم، فإذا احتلم و وجب[٤] عليه الحدود، و إقامة الفرائض، و لا يكون مضيّعاً، و لا شارب خمر، و لا زانياً، فإذا آنس منه الرّشد دفع إليه المال، و اشهد عليه. و إن كانوا لا يعلمون أنّه قد بلغ فإنّه يمتحن بريح إبطه او نبت عانته، فإذا كان ذلك فقد بلغ، فيدفع إليه ماله إذا كان رشيداً، و لا يجوز له ان يحبس عنه ماله و يعتلّ عليه انّه لم يكبر بعد»[٥].

﴿وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ﴾: مسرفين و مبادرين كبرهم.

﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ﴾ من اكلها ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾: بقدر حاجته و أجرة سعيه. قال: «من كان يلي شيئاً لليتامى، و هو محتاج ليس له ما يقيمه، و هو يتقاضى اموالهم و يقوم في ضيعتهم، فليأكل بقدر، و لا يسرف، فإن كانت ضيعتهم لا تشغله عمّا يعالج لنفسه، فلا يرزأنّ[٦] من اموالهم شيئاً»[٧]. و في

١ـ القمّي ١: ١٣١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ١٦٤، الحديث: ٥٧٥، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ في المصدر: «فاذا احتلم وجب عليه الحدود».
٥ـ القمّي ١: ١٣١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ـ في الحديث: «إنّي لا أرزأ من فيئكم درهماً» اي: لا انقص شيئاً ولا درهماً. مجمع البحرين ١: ١٨٣ (رزا).
٧ـ الكافي ٥: ١٢٩، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

رواية: «المعروف هو القوت، و إنّما عنى الوصيّ أو القيّم في أموالهم و ما يصلحهم»[1].

و في أخرى: «ذلك رجل يحبس نفسه عن المعيشة، فلا بأس أن يأكل بالمعروف إذا كان يصلح لهم أموالهم، فإن كان المال قليلاً فلا يأكل منه شيئاً»[2]. و في أخرى: «هذا رجل يحبس نفسه لليتيم على حرث أو ماشية، و يشغل فيها نفسه، فليأكل بالمعروف، و ليس له ذلك في الدّنانير والدّراهم الّتي عنده موضوعة»[3]. و في أخرى: «من كان فقيراً فليأخذ من مال اليتيم قدر الحاجة و الكفاية على جهة القرض، ثمّ يردّ عليه ما أخذ إذا وجد»[4]. و في أخرى: «كان أبي يقول: إنّها منسوخة»[5]. ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ بأنّهم قبضوها، فإنّه أنفى للتّهمة، و أبعد من الخصومة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾. يعني بهم المتوارثين بالقرابة. ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: واجباً. قيل: كانت العرب في الجاهليّة يورثون الذكور دون الإناث، فردّ الله سبحانه عليهم[6].

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾: قسمة التركة ﴿أُولُوا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ممّن لا يرث ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ بأن تلطفوا لهم في القول و تعتذروا إليهم. قال: «نسختها آية الفرائض»[7]. و في رواية: سئل أمنسوخة هي؟ قال: «لا، إذا حضروك فأعطهم»[8].

أقول: نسخ الوجوب لا ينافي بقاء الجواز والاستحباب.

١ ـ الكافي ٥: ١٣٠، الحديث: ٣؛ والعيّاشي ١: ٢٢١، الحديث: ٣٠، عن أبي عبدالله عليه السلام
٢ ـ المصدر، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام
٣ ـ العيّاشي ١: ٢٢٢، الحديث: ٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ العيّاشي ١: ٢٢٢، الحديث: ٣٣، عن أبي عبدالله عليه السلام
٦ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٠، عن قتادة و ابن جريج و ابن زيد.
٧ ـ العيّاشي ١: ٢٢٢، الحديث: ٣٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ المصدر: ٢٢٣، الحديث: ٣٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ ﴾: أمر بأن يخشوا الله، و يتّقوه في أمر اليتامى، فيفعلوا بهم ما يحبّون أن يفعل بذراريّهم الضّعاف بعد وفاتهم. ورد: «من ظلم يتيماً سلّط الله عليه من يظلمه أو على عقبه أو على عقب عقبه، ثمّ تلا هذه الآية»[1] ﴿فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في أمر اليتامى ﴿وَلْيَقُولُواْ﴾ لهم ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ مثل ما يقولون لأولادهم بالشّفقة و حسن الأدب.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ ﴾: ملء بطونهم ﴿نَارًا﴾: ما يجرّ إلى النّار ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾. صَلْيُ النّار: مقاساة حرّها، و صَلَيْتُهُ: شَوَيْتُهُ. و الإصلاء: الإلقاء فيها. وسَعْرُ النّار: إلهابها. ورد: «لمّا أسري بي إلى السّماء رأيت قوماً تقذف في أجوافهم النّار و تخرج من أدبارهم. فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء الّذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً»[2].

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾: يأمركم و يعهد إليكم و يفرض عليكم ﴿فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ﴾: في شأن ميراثهم ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ إذا اجتمع الصّنفان. قال: «لأنّهنّ يرجعن عيالاً عليهم»[3]. «و لما جعل الله لها من الصّداق»[4] «و لأنّه ليس عليها جهاد ولا نفقة، ولا معقلة، وعدّ غيرها»[5].

أقول: استفاد أصحابنا من قوله سبحانه: «مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ» أنّ للبنتين الثّلثين، كما ذكره في الكافي[6].

﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءً ﴾: ليس معهنّ ذكر ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ المتوفّى منكم ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾. و لأبوي المتوفّى ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ

١ـ العيّاشي ١: ٢٢٣، الحديث: ٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ١٣٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٧: ٨٤، الحديث: ١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ٢٥٣، الحديث: ٨١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٨١٦، والكافي ٧: ٨٥، الحديث: ٢ و٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٧: ٩٦، ذيل الحديث: ٣.

﴿مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ ذكراً كان او أُنثى، واحداً كان او اكثر ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ مما ترك ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾. الاخوة تقع على الإثنين فصاعداً. والأُختان بمنزلة أخ واحد؛ و لهذا ورد: «لا تحجب الأمّ عن الثّلث، و إنّ الإخوة و الاخوات لا يرثون مع الابوين، و إنّ الوجه فيه أنّ الأب يمعق عليهم فوفّر نصيبه»[1].

﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾. «أو» لا يوجب التّرتيب. قال: «إنّكم تقرؤون في هذه الآية الوصيّة قبل الدّين، و إنّ رسول الله ﷺ قضى بالدّين قبل الوصيّة»[2].

﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾. مصدر مؤكّد. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح و الرّتب ﴿حَكِيمًا﴾ فيما قضى و قدّر. يعني لا تعلمون مَن انفع لكم من أُصولكم و فروعكم، في عاجلكم و آجلكم، مّن يورثكم و يرثكم، امَنْ اوصى منهم فعرّضكم للثّواب بامضاء وصيّته؟ ام من لم يوص فوفّر عليكم مالاً؟ او من اوصيتم له فوفّرتم عليه؟ ام لم توصوا له فحرمتموه؟ فتحرّوا[3] فيهم ما وصّاكم الله به، ولا تعمدوا إلى تبديل الوصيّة، أو تفضيل بعض و حرمان بعض، فهو اعتراض مؤكّد لامر القسمة وتنفيذ الوصيّة.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ من بطونهنّ او من أصلاب بنيهنّ أو بطون بناتهنّ و إن سفل، ذكراً كان أو أُنثى، منكم او من غيركم. ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾

١ـ راجع: الكافي ٧: ٩١ـ٩٢، الأحاديث ١ و٤؛ و التّهذيب ٩: ٢٨٢، الحديث ١٠١٩، عن ابي جعفر و ابي عبدالله عليهما السّلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ التّحرّي: القصد و الاجتهاد في الطّلب والعزم على تخصيص الشّيء بالفعل والقول. النّهاية ١: ٣٧٥؛ ومجمع البحرين ١: ٩٨ (حرا).

وتستوي الواحدة والعدد منهنّ في الرّبع و الثّمن ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ لهذا الكلام وجوه من الإعراب لا يتفاوت بها الحكم. قال: «الكلالة من ليس بولد و لا والد»[1]. و أريد بها هنا: «من يكون أخاً أو أختاً من الأمّ خاصّة»[2]. كذا ورد ﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾ تورث كلالة ﴿وَلَهُ﴾: و لكلّ واحد منهما ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ يعني من الأمّ ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ لورثته بالوصيّة بالزّيادة على الثّلث أو بقصد الإضرار دون القربة أو بإقرار دين لا يلزمه.

﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالمضارّ وغيره ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل بعقوبته.

إن قيل: إذا نقصت التّركة عن السّهام أو زادت، فما الحكم فيه؟ قلنا: النّقص إنّما يقع على البنات و الأخوات؛ لأنّ كلّ واحد من الأبوين و الزّوجين له سهمان أعلى وأدنى، و ليس للبنت و البنتين و الأخوات لولا ذلك إلّا سهم واحد، فإذا دخل النّقص عليهما استوى ذووا السّهام في ذلك، والزّائد يزاد على من كان يقع عليه النّقص إذا نقصت. كذا ورد[3] عن أئمّتنا عليهم السّلام، و أجمع أصحابنا عليه[4].

﴿تِلْكَ﴾ إشارة الى ما تقدّم من الأحكام في أمر اليتامى و الوصايا و المواريث.

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: شرايعه المحدودة التي لا يجوز تجاوزها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

١ـ الكافي ٧: ٩٩، الحديث ٢ و٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ١: ٢٢٧، الحديث ٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الوسائل ١٧: ٤٢٥، باب «كيفيّة إلقاء العول و من يدخل عليه النّقص».
٤ـ المبسوط ٤: ٧٤.

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾

﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا﴾ قال: «هي منسوخة و السّبيل الحدود»[1]. و في رواية: «جعل السّبيل الجلد و الرّجم»[2].

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي، قبول التّوبة الّذي اوجبه الله على نفسه بمقتضى وعده.

﴿لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾: متلبّسين بها سفهاً. فإنّ ارتكاب الذّنب و المعصية سفه و جهل. قال: «كلّ ذنب عمله العبد و إن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربّه، فقد حكى الله سبحانه قول يوسف لإخوته: ' هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ '[3]. فنسبهم إلى الجهل؛ لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله»[4].

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ قيل: أي: قبل حضور الموت؛ لقوله تعالى: ' حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ' سمّاه قريباً؛ لأنّ أمد الحياة قريب، أو قبل أن يشرب في قلوبهم حبّه، فيطبع عليها، فيتعذّر عليهم الرّجوع[5]. [و ورد: «من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته»[6]][7]. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: يعلم إخلاصهم في التّوبة ﴿حَكِيمٗا﴾: لا يعاقب التّائب[8].

﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ

١ـ العيّاشي ١: ٢٢٧، الحديث: ٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ المصدر، الحديث: ٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ يوسف (١٢): ٨٩.
٤ـ العيّاشي ١: ٢٢٨، الحديث: ٦٢؛ و مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ البيضاوي ٢: ٧٤.
٦ـ الكافي ٢: ٤٤٠، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ ما بين المعقوفتين ليس في «ب» و «ج».
٨ـ في «ب» و «ج»: وأما ما ورد: «أنّه من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته» محمول على التّفضّل، فإنّ وجوب القبول غير التّفضّل به.

﴿ٱلۡـَٔـٰنَ﴾. قال: «ذلك إذا عاين أمر الآخرة»[١]. ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا﴾: هيّأنا ﴿لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾. قال: «كان في الجاهليّة في أوّل ما أسلموا إذا مات حميم[٢] الرّجل و له امرأة، ألقى الرّجل ثوبه عليها، فورث نكاحها بصداق حميمه كما يرث ماله، فنزلت»[٣]. و في رواية: «نزلت في الرّجل يحبس المرأة عنده لا حاجة له إليها و ينتظر موتها حتّى يرثها»[٤]. ﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾: لا تحبسوهنّ إضراراً بهنّ ﴿لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾. قال: «الرّجل يكون له المرأة فيضربها حتّى تفتدي منه فنهى الله عن ذلك»[٥]. و في رواية: «أمر الله بتخلية سبيلها إذا لم يكن له فيها حاجة و أن لا يمسكها إضراراً بها حتّى تفتدي ببعض مالها»[٦].

﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ كالنّشوز و سوء العشرة و عدم التّعفّف، قال: «كلّ معصية»[٧]. و ورد: «إذا قالت له: لا أغتسل لك في جنابة و لا أبرّ لك قسماً و لأوطئنّ فراشك من تكرهه، حلّ له أن يخلعها و حلّ له ما أخذ منها»[٨]. ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ بالإنصاف في الفعل و الإجمال في القول ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾. يعني فاصبروا عليهنّ ولا تفارقوهنّ لكراهة الأنفس، فربّما كرهت النّفس ما هو أصلح في الدّين و أحمد، و أحبّت ما هو بخلافه.

﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ﴾: تطليق امرأة و تزويج أخرى ﴿وَءَاتَيۡتُمۡ

١ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٧٩، الحديث: ٣٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الحميم: القريب في النّسب، مجمع البحرين ٦: ٥٠ (حمم).
٣ـ القمّي ١: ١٣٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام. و في «الف»: «لاحاجة إليها».
٥ـ العيّاشي ١: ٢٢٩، ذيل الحديث: ٦٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦و٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الكافي ٦: ١٣٩، باب الخلع، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت؛ وفي معناه أخبار أخر في هذا الباب.

إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ قال: «ملأ مسك ثور ذهباً»[١]. ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ﴾: من القنطار ﴿شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ إنكار و توبيخ. قيل: كان الرّجل إذا أراد حديدة بهت التي تحته بفاحشة حتّى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها، ليصرفه إلى تزوّج الجديدة؛ فنهوا عن ذلك[٢].

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: و قد باشر تموهن ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: عهداً وثيقاً. قال: «هو العهد المأخوذ على الزوّج حالة العقد من إمساك بمعروف او تسريح بإحسان»[٣]. و في رواية: «اخذ تموهنّ بأمانة الله و استحللتم فروجهنّ بكلمة الله»[٤]. و في أخرى: «الميثاق: الكلمة التّي عقد بها النّكاح، و الغليظ هو ماء الرّجل يفضيه إليها»[٥].

﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾. «الآباء يشمل[٦] الأجداد». كذا ورد[٧].

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهليّة فإنّكم معذورون فيه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ ورد: «إنّ رجلاً مات فالقى ابنه ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها على ما كان في الجاهليّة، ثمّ تركها لا يدخل بها و لا ينفق عليها، فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت»[٨].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ يعني نكاحهنّ. والأمّهات يشمل من علت، و كذا العمّات والخالات. و البنات يشمل من سفلت، و كذا بنات الاخ و بنات الأُخت. و الأخوات

١ـ مجمع البيان ١ـ٢: ٤١٧، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٢ـ البيضاوي ٢: ٧٥.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٦، عن أبي جعفر ؑ.
٤ـ معاني الأخبار: ٢١٢، الحديث ١، عن النّبيّ ﷺ.
٥ـ الكافي ٥: ٥٦٠، الحديث: ١٩؛ و العيّاشي ١: ٢٢٩، الحديث: ٦٨، عن أبي جعفر ؑ.
٦ـ في «الف»: «يشتمل».
٧ـ العيّاشي ١: ٢٣٠، الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر ؑ، مع اختلاف في المضمون.
٨ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٤، عن أبي جعفر ؑ.

يشمل الوجوه الثلاثة. ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾. سمّاها أمّاً و أختاً. و ورد: «يحرم من الرّضاع ما يحرم من النّسب»[1]. و في رواية: «الرّضاع لحمة كلحمة النّسب»[2] فعمّ التّحريم. ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾ و إن علون ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ و إن سفلن ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ اي: دخلتم معهنّ في السّتر[3]، و هو كناية عن الجماع.

﴿فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾. ورد: «إذا تزوّج الرّجل المرأة حرّمت عليه ابنتها إذا دخل بالأمّ، فإذا لم يدخل بالأمّ فلا بأس ان يتزوّج بالابنة، و إذا يتزوّج الابنة فدخل بها اولم يدخل بها فقد حرّمت عليه الأمّ. و قال: الرّبائب حرام، كنّ في الحجر او لم يكنّ»[4]. و سئل: عن الرّجل يتزوّج المرأة متعة، أيحلّ له ان يتزوّج ابنتها؟ قال: «لا»[5]. و عن الرّجل يكون له الجارية يصيب منها، اله ان ينكح ابنتها؟ قال: «لا، هي مثل قول الله عزّ وجلّ: وربائبكم اللاتي في حجوركم»[6]. ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ احتراز عن المتبنّى لا عن ابناء الولد[7]، فيشملونهم و إن سفلوا، فقد ورد: «حرمة حليلتي الحسنين عليهما السّلام على رسول الله ﷺ و أنّهما ابناه لصلبه»[8]. و ورد: «الرّجل إذا نظر إلى الجارية بشهوة و نظر إلى ما يحرم لغيره لم تحلّ لابنه و لا لأبيه»[9]. ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ فإنّه مغفور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

١ـ الكافي ٥: ٤٤٢، الحديث ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ كلمات المحققين «رسالة الرّضاعيّة للقطيفي»: ١٩٣، عن النّبيّ ﷺ.

٣ـ في «الف»: «في السّرّ».

٤ـ التّهذيب ٧: ٢٧٣، الحديث: ١١٦٦، عن أبي جعفر عن أبيه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام، وفيه «الرّبائب عليكم حرام».

٥ـ الكافي ٥: ٤٢٢، الحديث ٢، عن أبي الحسن عليه السلام.

٦ـ المصدر: ٤٣٣، الحديث ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٧ـ في «ب» و «ج»: «لا ابناء الولد».

٨ـ الكافي ٨: ٣١٨، الحديث ٥٠١، عن أبي جعفر عليه السلام.

٩ـ من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٦٠، الحديث ١٢٣٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت في العبارة.

كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ :اللاتي احصنهنّ التزويج او الازواج. و بكسر الصّاد: احصنّ فروجهنّ. قال: «هنّ ذوات الازواج»[1]. ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قال: «اللاتي سُبين و لهنّ ازواج كفّار»[2]. فإنّهنّ حلال للسّابين. «و اللاتي اُشترين و لهنّ ازواج فإنّ بيعهنّ طلاقهنّ»[3]. «و اللاتي تحت العبيد، فيامرهم مواليهم بالاعتزال ويستبرؤونهنّ ثمّ يمسّونهنّ بغير نكاح»[4]. ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتاباً ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾ : ما سوى المذكورات و خرج عنه بالسّنّة ساير محرّمات الرّضاع. وو الجمع بين المرأة و عمّتها او خالتها بغير إذنها». كما ورد[5]. ﴿أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم﴾: ان تصرفوا اموالكم في مهورهنّ، او اثمانهنّ ﴿مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾. الاحصان: العفّة، و السّفاح: الزّنا. ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾. سمّي أجراً، لأنّه في مقابلة الاستمتاع. ﴿فَرِيضَةً﴾ مصدر مؤكّد. قال: «إنّما نزلت "فما استمتعتم به منهنّ إلى اجل مسمّى فآتوهنّ"»[6] و ورد: «إنّه قراه الباقر عليه السّلام»[7]. و روته العامّة أيضاً عن جماعة من الصّحابة[8].

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ من زيادة في المهر او الأجل، اونقصان فيهما، اوغير ذلك ممّا لا يخالف الشّرع. قال: «لاباس بان تزيدها او تزيدك إذا انقطع الاجل فيما بينكما؛ تقول: استحللتك بأجل آخر برضا منها، و لا تحلّ لغيرك حتّى

١ـ العيّاشي ١: ٢٣٣، ذيل الحديث: ٨١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣١، عن امير المؤمنين عليه السلام
٣ـ الكافي ٥: ٤٨٣، الاحاديث: ١، ٢، ٣و٤، عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السّلام
٤ـ العيّاشي ١: ٢٣٣، حديث: ٨٠؛ والكافي ٥: ٤٨١، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام
٥ـ الكافي ٥: ٤٢٤، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر: ٤٤٩، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام
٧ـ العيّاشي ١: ٢٣٤، الحديث: ٨٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٨ـ الدّر المنثور ٢: ٤٨٤

تنقضي عدّتها، و عدّتها حيضتان»[1]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح ﴿حَكِيمًا﴾ فيما شرع من الاحكام. قال: «المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنّة من رسول الله»[2]. و كان عليّ يقول: «لولا ماسبقني به بنو[3] الخطّاب ما زنى إلّا شفي»[4] بالفاء يعني إلّا قليل. اراد به نهيَ عمر عن المتعة و تمكّنَ نهيه من قلوب النّاس.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ قال: «غنى»[5]. ﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يعني الحرائر ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ قال: «لا ينبغي ان يتزوّج الحرّ المملوكة اليوم، إنّما كان ذلك حيث قال الله: ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً﴾. و الطّول: المهر. و مهر الحرّة اليوم مهر الامة او اقلّ»[6]. ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ﴾ فاكتفوا بظاهر الإيمان، فإنّه العالم بالسّرائر و بتفاضل ما بينكم في الإيمان، فربّ أمة تفضل الحرّة فيه. ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾: انتم و مماليككم متناسبون. نسبكم من آدم ودينكم الإسلام. ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بغير مطل وضرار و نقصان ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾: عفايف ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾: غير مجاهرات بالزّنا ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾: اخلاء في السرّ ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ بالتزويج ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ يعني الحرائر ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ يعني الحدّ، كما قال: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ﴾[7] ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني نكاح الإماء ﴿لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾:

١ـ العيّاشي ١: ٢٣٣، الحديث: ٨٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٥: ٤٤٩، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في «الف» و «ج» و المصدر: «بني الخطّاب» و في بعض النّسخ: «ابن الخطّاب». راجع: المستدرك ١٤: ٤٤٧، الحديث: ٢.
٤ـ الكافي ٥: ٤٤٨، الحديث: ٢. وفي بعض النّسخ: «إلّا شقيّ» ـ بالقاف و الياء المشدّدة ـ يقول ابن إدريس في السّرائر ٢: ٦١٢: إلّا شفى ـ بالشّين المعجمة و الفاء ـ و معناه: إلّا قليل. والدّليل عليه حديث ابن عباس ذكره الهرويّ في الغريبين: ما كانت المتعة إلّا رحمة رحم الله بها أمّة محمّد صلى الله عليه وآله و لولا نهيه عنها ما احتاج إلى الزّنا إلّا شفى. لانّ الشّفى عند اهل اللّغة: القليل بلا خلاف بينهم.
٥ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٣٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٥: ٣٦٠، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ النّور (٢٤): ٢.

لمن خاف الإثم الّذي يؤدّي إليه غلبة الشّهوة. و «العَنَت» يقال لكلّ مشقّة وضرر ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من نكاح الإماء ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ ما خفي عنكم من مصالحكم و محاسن أعمالكم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء و أهل الحقّ لتقتدوا بهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: ويرشدكم إلى ما يمنعكم عن المعاصي ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بها ﴿حَكِيمٌ﴾ في وضعها

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾. كرّره للتأكيد و المقابلة. ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: أهل الباطل ﴿أَن تَمِيلُوا۟﴾ عن الحقّ بموافقتهم في استحلال المحرّمات ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ فلذلك شرع لكم الشّريعة الحنيفيّة السّمحة السّهلة، و رخّص لكم في المضائق ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾: لا يصبر عن الشّهوات و لا يحتمل مشاقّ الطّاعات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قال: «الرّبا والقمار والبخس و الظّلم»[1]. ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ يعني ما حلّ من الشّراء والبيع. قال في كلام له: «و لا يأكل من أموال النّاس إلّا و عنده ما يؤدّي إليهم حقوقهم. ثمّ تلا هذه الآية. ثمّ قال: و لا يستقرض على ظهره إلّا و عنده وفاء»[2].

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: «لا تخاطروا بنفوسكم بالقتال فتقاتلوا من لا تطيقونه»[3]. و في رواية: «كان المسلمون يدخلون على عدوّهم في المغارات فيتمكّن منهم عدوّهم فيقتلهم كيف يشاء فنهاهم الله»[4]. وورد: «في الجبائر تكون على الكسير في برد يخاف على نفسه إذا أفرغ الماء على جسده في الجنابة و الوضوء، فقرأ

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٥: ٩٥، الحديث ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «في القتال».
٤ـ العيّاشي ١: ٢٣٧، ذيل الحديث: ١٠٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

رسول الله ﷺ «ولا تقتلوا أنفسكم» الآية[1].

أقول: ويشمل ارتكاب كلّ ما يؤدّي إلى الهلاك.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ وإنّما نهاكم عن قتل أنفسكم لفرط رحمته بكم.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: ما سبق من المنهيّات ﴿عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾: إفراطاً في التّجاوز وإتياناً بما لا يستحقّه ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾: ندخله فيها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: لا عسر فيه ولا صارف عنه.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ قال: «لا تُسألون عنها»[2]. ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ يحتمل المكان والمصدر، فتحتَ الميم أو ضممتَه.

قال: «الكبائر ما أوعد الله عليه النّار»[3]. وفي رواية: «والكبائر السّبع الموجبات: قتل النّفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الرّبوا، والتّعرّب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزّحف»[4] وفي أخرى: بدّل الثّلاث الوسطى بغيرها[5].

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. قال: «لا يقل أحدكم: ليت ما أعطي فلان من المال والنّعمة، والمرأة الحسناء كان لي؛ فإنّ ذلك يكون حسداً، ولكن يجوز أن يقول: اللّهمّ أعطني مثله»[6]. وورد: «من تمنّى شيئاً وهو لله رضىً لم يخرج من الدّنيا حتّى يعطاه»[7]. ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ فاطلبوا الفضل بالعمل، لا بالحسد والتّمنّي ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ أي: لا تتمنّوا ما

١ـ العيّاشي ١: ٢٣٦، الحديث: ١٠٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ التوحيد: ٤٠٧، الباب ٦٣، الحديث ٦، عن الكاظم عليه السلام، مع تفاوت في العبارة، وإليك نصّه: «من اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يُسأل عن الصّغائر».
٣ـ العيّاشي ١: ٢٣٩، الحديث ١١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ٢: ٢٧٦، الحديث ٢، عن أبي الحسن عليه السلام، وفيه: «وقذف المحصنات».
٥ـ راجع: المصدر: ٢٧٨ و٢٨٥، الأحاديث ٨ و٢١، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٧ـ الخصال ١: ٤، الحديث ٧، عن النبيّ ﷺ.

للنّاس و اسألوا الله مثله من خزائنه الّتي لا تنفد. و ورد: «من لم يسأل الله من فضله افتقر»[١]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ فهو يعلم ما يستحقّه كلّ احد

﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ﴾ قيل :اي: لكلّ واحد من الرّجال و النّساء جعلنا ممّا ترك، ورثة؛ هم اولى بميراثه، يرثون ممّا ترك الوالدان و الاقربون الموروثون، او لكلّ جعلنا ممّا ترك، ورثة؛ هم الوالدان و الاقربون[٢]. و قال: «إنّما عنى بذلك أولي الارحام في المواريث، و لم يعن اولياء النّعمة فاولاهم بالميّت اقربهم إليه من الرّحم الّتي تجرّه إليها»[٣]. ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ﴾ قيل. كان الرّجل يعاقد الرّجل، فيقول: دمي دمك و هدمي هدمك وحربي حربك و سلمي سلمك و ترثني و ارثك و تعقل عنّي و اعقل عنك، فيكون للحليف السّدس من ميراث الحليف، فنسخ بقوله ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾[٤]. و القمّي: ما في معناه[٥]. و ورد: «إذا والى الرّجل الرّجل فله ميراثه و عليه معقلته»[٦]. يعني دية جناية خطاه. و في رواية: «عنى بذلك الائمّة عليهم السّلام، بهم عقد الله عزّ و جلّ ايمانكم»[٧]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾. تهديد على منع نصيبهم.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾. يقومون عليهنّ قيام الولاة على الرّعيّة، بسبب تفضيله ـ عزّ و جلّ ـ الرّجال على النّساء بكمال العقل، و حسن التّدبير، و مزيد القوّة في الاعمال و الطّاعات. ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ في

١ـ الكافي ٢: ٤٦٧، الحديث: ٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤١؛ و تفسير البغوي ١: ٤٢١.
٣ـ الكافي ٧: ٧٦، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٢. و الآية في الأنفال (٨): ٧٥.
٥ـ القمّي ١: ١٣٧.
٦ـ الكافي ٧: ١٧١، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ٢٤٠، الحديث: ١٢٠، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.

نكاحهنّ كالمهر و النّفقة. قال: «فضلهم عليهنّ كفضل الماء على الارض، فبالماء يحيي الارض و بالرّجال تحيى النّساء، و لولا الرّجال ما خلقت النّساء، ثمّ تلا هذه الآية»[1].

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ قال: «مطيعات»[2]. ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾ في أنفسهنّ و أموال أزواجهنّ. ورد: «ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة، تسرّه إذا نظر إليها و تطيعه إذا أمرها، و تحفظه إذا غاب عنها في نفسها و ماله»[3] ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾: بحفظ الله إيّاهنّ ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: ترفّعهنّ عن طاعتكم و عصيانهنّ لكم ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بالقول ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ إن لم تنجع العظة. قال: «يحوّل ظهره إليها»[4]. ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ إن لم تنفع الهجرة، ضرباً غير شديد، لا يقطع لحماً و لا يكسر عظماً. قال: «الضّرب بالسّواك»[5]. ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ بالتّوبيخ و الإيذاء ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فاحذروه فإنّه أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ أي: الاختلاف، كأنّ كلّ واحد في شقّ، أي: جانب. ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾. قال: «الحكمان يشترطان إن شاءا فرّقا، و إن شاءا جمعا، و ليس لهما أن يفرّقا حتّى يستأمراهما»[6]. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ فيعلم كيف يرفع الشّقاق و يوقع الوفاق.

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: و أحسنوا بهما إحساناً ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾: و بصاحب القرابة ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾: الّذي قرب جواره ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾: البعيد. ورد: «حدّ الجوار أربعون داراً من كلّ

١ـ علل الشّرايع ٢: ٥١٢، الباب: ٢٨٦، الحديث: ٦، عن حسن بن عليّ عليهما السّلام عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ القمّي ١: ١٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ٥: ٣٢٧، الحديث: ١، عن أبي عبدالله، عن آبائه، عن النّبيّ عليهم السّلام.
٤و٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٦: ١٤٦، الأحاديث: ١، ٢و٣، عن الصّادق و الكاظم عليهما السّلام.

جانب»[1] «و إنّ حسن الجوار يزيد في الرّزق و العمر»[2]. «و إنّه ليس كفّ الأذى، بل الصّبر على الأذى»[3]. ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾. قيل: من صحبكم و حصل بجنبكم لرفاقة في أمر حسن، كتزوّج و تعلّم و صناعة و سفر[4]. ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر و الضّيف ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾: العبيد و الإماء. و القمّي: يعني الأهل و الخادم[5]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾: متكبّراً يأنف عن أقاربه و جيرانه و أصحابه و لا يلتفت إليهم ﴿فَخُورًا﴾ يتفاخر عليهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بما منحوا به ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾. ورد: «ليس البخيل من أدّى الزّكاة المفروضة من ماله، و أعطى البائنة في قومه؛ إنّما البخيل حقّ البخيل من لم يؤدّ الزّكاة المفروضة من ماله، و لم يعط البائنة في قومه، و هو يبذّر فيما سوى ذلك»[6].

أقول: البائنة: العطيّة. سمّيت بها لأنّها أبينت من المال.

﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ من الغنى و العلم حيث ينبغي الإظهار ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ﴾: لهم ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾. وَضَعَ الظّاهرَ موضع المضمر إشعاراً بأنّ مَنْ هذا شأنه فهو كافر لنعمة اللّه، فله عذاب يهينه كما أهان النّعمة بالبخل و الإخفاء.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾. شاركهم مع البخلاء في الذّمّ و الوعيد، لاشتراكهما في عدم الإنفاق على ما ينبغي. ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ ليتحرّوا بالإنفاق مراضيه وثوابه ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾. نبّه به على أنّ

١ـ الكافي ٢: ٦٦٩، الحديث: ٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ راجع: المصدر: ٦٦٦، الحديث: ٣، ٤ و ٦٦٧، الحديث: ٧ و ٨، عن أبي عبداللّه عليه السلام.
٣ـ المصدر: ٦٦٧، الحديث: ٩، عن موسى بن جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.
٤ـ البيضاوي ٢: ٨٦؛ و الكشّاف ١: ٥٢٦.
٥ـ القمّي ١: ١٣٨.
٦ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٣٤، الحديث: ١٤١، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، و فيه: «النّائبة» بدل «البائنة».

الشّيطان قرينهم يحملهم على ذلك و يزيّنه لهم، كقوله: "إنّ المُبَذِّرِينَ كانُوا إِخوانَ الشّياطِينِ"[1].

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ﴾ يعني في طاعة الله. توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة. ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾. وعيد لهم

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ ﴾ يا محمّد ﴿ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾.

قال: «نزلت في أمّة محمّد ﷺ خاصّة؛ في كلّ قرن منهم إمام شاهد عليهم و محمّد ﷺ شاهد علينا»[2].

﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾. قال: «ختم على الأفواه فلا تكلّم، و تكلّمت الأيدي و شهدت الأرجل، وأنطقت الجلود بما عملوا، فلا يكتمون الله حديثاً»[3].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ ﴾: لا تقوموا إليها ﴿ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ ﴾ من نحو نوم أو خمر ﴿ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾: حتّى تنتبهوا و تفيقوا. ورد: «لا تقم إلى الصّلاة متكاسلاً، و لا متناعساً، و لا متثاقلاً، فإنّها من خلال النّفاق، و قد نهى الله عزّوجلّ أن تقوموا إلى الصّلاة و أنتم سكارى. قال: سكر النّوم»[4]. و في رواية: «منه سكر النّوم»[5]. و هي تفيد التّعميم لغير النّوم. و في أخرى: «يعني سكر النّوم يقول: بكم نعاس يمنعكم أن تعلموا ما تقولون في ركوعكم و سجودكم و تكبيركم، و ليس كما يصف كثير من النّاس، يزعمون أنّ المؤمنين يسكرون من الشّراب، والمؤمن

ـــــــــــــــ
١ـ الإسراء (١٧): ٢٧.
٢ـ الكافي ١: ١٩٠، الحديث ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «إمام منّا شاهد عليهم».
٣ـ العيّاشي ١: ٢٤٢، الحديث ١٣٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ الكافي ٣: ٢٩٩، الحديث ١، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.
٥ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٣٠٣، الحديث: ١٣٨٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

لايشرب مسكراً ولا يسكر»[1] و في أخرى: «انّ المراد به سكر الشّراب ثمّ نسختها تحريم الخمر»[2].

أقول: لمّا كانت الحكمة تقتضي تحريم الخمر متدرّجاً، كما سبق بيانه في سورة البقرة[3]، و كان قوم من المسلمين يصلّون سكارى منها، قبل استقرار تحريمها، نزلت هذه الآية و خوطبوا بمثل هذا الخطاب، ثمّ لمّا ثبت تحريمها و استقرّ و صاروا ممّن لا ينبغي أن يخاطبوا بمثله؛ لانّ المؤمنين لا يسكرون من الخمر بعد ان حرّمت عليهم، جاز ان يقال: الآية منسوخة بتحريم الخمر. بمعنى عدم حسن خطابهم بمثله بعد ذلك، لا بمعنى جواز الصّلاة مع السكر، ثمّ لمّا عمّ الحكم ساير ما يمنع من حضور القلب، جاز ان يفسّر بسكر النّوم و نحوه تارة، و ان يعمّ الحكم أخرى، فلا تنافي بين هذه الرّوايات.

﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾. قال: «الحائض و الجنب لا يدخلان المسجد إلاّ مجتازين، فإنّ الله يقول: "و لا جنباً إلاّ عابري سبيل حتّى تغتسلوا"»[4].

أقول: المستفاد من مجموع هذه الرّوايات انّ الله سبحانه اطلق ملفوظ الصّلاة ومقدّرها على معنيين: احدهما إقامة الصّلاة، بقرينة قوله "حتّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُون"، و الآخر موضع الصّلاة، بقرينة قوله: "إلاّ عابري سبيلٍ". و مثل هذا يسمّى في صناعة البلاغة بالاستخدام. و المفسّرون لمّا لم يتفطّنوا لهذه الدّقيقة وراموا حملهما على معنى واحد تكلّفوا في معنى الآية بما لا ينبغي.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾. كناية عن الحدث؛

1ـ العيّاشي ١: ٢٤٢، الحديث: ١٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
2ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥١، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام.
3ـ ذيل الآية: ٢١٩.
4ـ علل الشّرايع ١: ٢٨٨، الباب: ٢١٠، الحديث: ١؛ و العيّاشي ١: ٢٤٣، الحديث: ١٣٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

إذ الغائط: المكان المنخفض من الأرض، كانوا يقصدون للحدث مكاناً منخفضاً يغيب فيه أشخاصهم عن الرائي. ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾. قال: «هو الجماع، و لكنّ الله ستير يحبّ الستر، و لم يسمّ كما تسمّون»[1] ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾ متعلّق بكلّ من الجمل الأربع، و يشمل عدم التمكّن من استعماله؛ فإنّ الممنوع منه كالمفقود ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: فتعمّدوا تراباً طاهراً. قال: «الصّعيد: الموضع المرتفع و الطّيّب: الموضع الّذي ينحدر عنه الماء»[2]. ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ «يعني بعض وجوهكم و بعض أيديكم، فإنّ الباء فيه للتبعيض» كذا ورد[3].

و ورد في صفة التيمّم: «فضرب بيديه على الأرض فنفضهما[4]، ثمّ مسح على جبينه، ثمّ مسح كفّيه إحداهما على ظهر الأخرى»[5]. و في رواية: «التيمّم ضربة للوجه و ضربة للكفّين»[6]. و ينبغي حملها على الأولويّة. و ورد: «إنّه سواء من الوضوء و الجنابة و الحيض»[7].

أقول: ورد في المائدة «منه»[8] أي من ذلك الصّعيد، فاستفيد منه اشتراط علوق التّراب بالكفّ، و عدم جواز التّيمّم بالحجر غير المغبّر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ فلذلك يسّر الأمر عليكم و رخّص لكم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: حظّاً يسيراً من علم

١ـ الكافي ٥: ٥٥٥، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «فلم يسمّ ...».
٢ـ معاني الأخبار: ٢٨٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٣: ٣٠، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ نَفَضتُ الثوبَ و الشجرَ أنفضهُ نفضاً: إذا حرّكته لينتفض. الصّحاح ٣: ١١٠٩ (نفض).
٥ـ العيّاشي ١: ٢٤٤، الحديث: ١٤٤؛ و الكافي ٣: ٦١، الحديث: ١ و ٦٢، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت في العبارة.
٦ـ التهذيب ١: ٢١٠، الحديث: ٦٠٩، عن الرّضا عليه السلام.
٧ـ المصدر: ٢١٢، الحديث: ٦١٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الآية: ٦.

التوراة ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ : يستبدلونها بالهدى، بعد حصوله لهم بالمعجزات الدالّة على صدق محمّد ﷺ المبشّر[1] به في التوراة. ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ يلي أمركم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ يعينكم فثقوا به و اكتفوا به عن غيره.

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قوم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ : يميلونها عنها بتبديل كلمة مكان أخرى، كما حرّفوا في وصف محمّد ﷺ "اسمَرَ رَبْعَة"[2] عن موضعه في التوراة و وضعوا مكانه[3] "آدَمَ طوال"[4]. ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ يعني[5]: واسمع منّا ندعو عليك بلا سَمِعْتَ، أو اسمع، غير مجاب إلى ما تدعو إليه، كذا قيل[6]. ﴿وَرَاعِنَا﴾: أنظرنا نكلّمك أو نفهم كلامك، يعنون به السّبّ. فإنّ "راعنا" سبٌّ في لغتهم. ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ فتلاً بها و صرفاً للكلام إلى مايشبه السّبّ حيث وضعوا "راعنا" المشابه لما يتسابّون به موضع "أُنظرنا" و "غير مسمع" موضع "لا أُسْمِعْتَ مكروهاً".

﴿وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ : استهزاء به وسخرية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ : و أعدل و أسدّ ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ

١ـ في «ب» و «ج»: «وإنّه المبشّر».
٢ـ الأسمر: من شبه لونه لون الحنطة و الأدم: من اشتدّ سُمْرَتُه. و الرَّبْعَة: من ليس بطويل و لاقصير. أمه في الصّافي ١: ٤٥٦».
٣ـ في «ب»: «في مكانه»
٤ـ آدَم، جَمْعه: الأدم كأحمر و حُمر، وهي في النّاس السُّمْرَةُ الشديدة. النّهاية ١: ٣٢ (ادم) والطُّوال ـبالضمّـ: الطويل. عنه في الصّافي ١: ٤٥٧».
٥ـ في «ب» و «ج»: «يعنون»
٦ـ البيضاوي ٢: ٩٠؛ و الكشّاف ١: ٥٣٠

وُجُوهًا ﴾ قال «نطمسها عن الهدى»[١]. ﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ﴾ قال: «في ضلالتها بحيث لا تفلح[٢] ابداً»[٣]. و الطّمس: إزالة الصّورة و محو التّخطيط. ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ ﴾. نخزيهم بالمسخ ﴿ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾. الكبائر فما سواها ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ تفضّلاً عليه و إحساناً. قال: «لو أنّ المؤمن خرج من الدّنيا و عليه مثل ذنوب أهل الأرض لكان الموت كفّارة لتلك الذّنوب. ثمّ قال: من قال لا إله إلاّ الله بإخلاص فهو بريء من الشّرك، و من خرج من الدّنيا لايشرك بالله شيئاً دخل الجنّة، ثمّ تلا هذه الآية "إنّ الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" من شيعتك و محبّيك يا عليّ»[٤]. و ورد: «إنّ أدنى ما يكون الإنسان به مشركاً أن ابتدع رأياً فاحبّ عليه أو ابغض»[٥]. ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾: ارتكب ما يستحقر دونه الآثام. و الافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴾. قال: «نزلت في اليهود و النّصارى، حيث قالوا: نحن أبناء الله و أحبّاؤه، و قالوا: لن يدخل الجنّة إلاّ من كان هوداً أو نصارى»[٦].

﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ لانّه العالم بما ينطوي عليه الإنسان دون غيره ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: ادنى ظلم و هو الخيط الّذي في شقّ النّواة[٧]، يضرب به المثل في الحقارة.

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ في زعمهم انّهم ابناء الله و أحبّاؤه و أزكياء عنده ﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾.

١ و٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٥، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ في جميع النّسخ "يفلح"، ما اثبتناه من المصدر
٤ـ من لايحضره الفقيه ٤: ٢٩٥، الحديث ٨٩٢، عن عليّ بن الحسين، عن ابيه، عن امير المؤمنين عليهم السلام
٥ـ العيّاشي ١: ٢٤٦، الحديث ١٥٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٨، عن ابي جعفر عليه السلام
٧ـ النّواة: إسم لخمسة دراهم و هو في الاصل: عَجَمَةُ التّمرة. «النّهاية ٥: ١٣١ (نوا)؛ ولسان العرب ١٥: ٣٥٠ (نوى)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾. الجبت في الأصل اسم صنم، فاستعمل في كلّ ما عبد من دون الله. و الطّاغوت يطلق على الشيطان و على كلّ باطل من معبود أوغيره. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: لاجلهم وفيهم ﴿هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾. قال: «يقولون لائمّة الضّلال و الدّعاة إلى النّار: هؤلاء أهدى من آل محمّد ﷺ»[1]. و القمّي: نزلت في اليهود حين سألهم مشركوا العرب: أديننا افضل أم دين محمّد؟ قالوا: بل دينكم افضل[2].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾ قال: «يعني الإمامة و الخلافة»[3]. ﴿فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾. قال: «نحن النّاس الّذين عنى الله»[4].

أقول: لعلّ التّخصيص لاجل انّ الدّنيا خلقت لهم، و الخلافة حقّهم، فلو كانت الاموال في أيديهم لانتفع بها سائر النّاس، و لو منعوا عن حقوقهم لمنع ساير النّاس؛ فكانّهم كلّ النّاس. و قد ورد: «نحن النّاس و شيعتنا أشباه النّاس و ساير النّاس نسناس»[5] و النّقير: النّقطة الّتي في وسط النّواة.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. قال: «نحن النّاس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة»[6]. و في رواية: «النّاس: النّبيّ و آله»[7].

﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ قال: «يعني جعل منهم الرّسل و الأنبياء و الائمّة، فكيف يقرّون في آل إبراهيم و ينكرونه في آل محمّد؟»[8]. وقال: «الكتاب: النّبوّة. و الحكمة: الفهم و القضاء. و الملك العظيم.

١ـ الكافي ١: ٢٠٥، الحديث: ١؛ و العيّاشي ١: ٢٤٦، الحديث ١٥٣، عن ابي جعفر عليه السلام
٢ـ القمّي ١: ١٤٠.
٣، ٤و٦ـ الكافي ١: ٢٠٥، الحديث ١٠؛ والعيّاشي ١: ٢٦٤، الحديث ١٥٣، عن ابي جعفر عليه السلام
٥ـ الكافي ٨: ٢٤٤، الحديث ٣٣٩، عن عليّ بن الحسين، عن حسن بن علي عليهم السّلام
٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٦١، عن أبي جعفر عليه السلام
٨ـ الكافي ١: ٢٠٦، الحديث ٥، عن ابي جعفر عليه السلام

الطّاعة المفروضة»[1].

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾: أعرض و لم يؤمن ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾. يعني إن لم يعجّلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما أعدّ لهم من سعير جهنّم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾. القمّي: الآيات: امير المؤمنين و الائمة عليهم السّلام[2].

﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾.

سئل: ما ذنب الغير؟ فقال: «هي هي، و هي غيرها ثمّ مثّل بلَبِنَة كسرت ثمّ ردّت[3] في ملبنها»[4] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾: لا يمتنع عليه ما يريده ﴿حَكِيمًا﴾: يعاقب على وفق حكمته.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾: دائماً لا تنسخه[5] الشّمس.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾. قال: «الخطاب للائمة؛ أمر كلّ منهم ان يؤدّي إلى الامام الّذي بعده و يوصي إليه»[6]. ثمّ هي جارية في ساير الامانات.

وفي رواية: «إنّها في كلّ من ائتمن امانة من الامانات، امانات الله: اوامره و نواهيه، وامانات عباده: فيما يأتمن بعضهم بعضاً من المال و غيره»[7]. و ورد: «لا تنظروا إلى طول

١ـ الكافي ١: ٢٠٦، الحديث: ٣؛ و القمّي ١: ١٤٠، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ و العيّاشي ١: ٢٤٨، الحديث ١٥٩ و١٦٠، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ١٤١.
٣ـ في جميع النّسخ: «ردّ» وما اثبتناه من المصدر.
٤ـ الاحتجاج ٢: ١٠٤، عن ابي عبدالله عليه السلام. و اللَّبِنَة ـ بفتح اللام و كسر الباء ـ الّتي يبنى بها، وهو المضروب من الطين مربّعاً. و المِلْبَن ـ بكسر الميم و فتح الباء ـ قالب اللّبن. لسان العرب ١٣: ٣٧٥ (لبن).
٥ـ في «الف»: «لا ينسخه».
٦ـ الكافي ١: ٢٧٦، الاحاديث ٢، ٣، ٤، ٥ و ٦، عن ابي الحسن الرّضا و أبي عبدالله عليهما السّلام؛ و مجمع البيان ٣ـ٤: ٦٣؛ ومعاني الأخبار: ١٠٧، باب: معنى الامانات الّتي... ، الحديث: ١، عن موسى بن جعفر عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٦٣، عن ابي جعفر عليه السلام.

ركوع الرّجل و سجوده، فإنّ ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك؛ و لكن أنظروا إلى صدق حديثه وأداء امانته»[1]. ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾.

قال. «إيّانا عنى»[2]. يعني العدل الّذي في ايديكم. و في رواية «إذا ظهرتم»[3]. ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾. قال. «إيّانا عنى خاصّة، أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا»[4]. و في حديث جابر: «لمّا نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله عرفنا الله و رسوله، فمن أُولوا الامر الّذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال: هم خلفائي يا جابر و ائمّة المسلمين من بعدي، اوّلهم عليّ بن ابي طالب ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ عليّ بن الحسين ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التّوراة بالباقر، و ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه منّي السّلام، ثمّ الصّادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سَمِيّي محمّد وكنيّي[5]، حجّة الله في أرضه و بقيّته في عباده إبن الحسن بن عليّ، ذاك الّذي يفتح الله على يديه مشارق الارض و مغاربها، ذاك الّذي يغيب عن شيعته و أوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان. قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال: إي والّذي بعثني بالنّبوّة، إنّهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته، كانتفاع النّاس بالشّمس، وإن تجلّاها[6] سحاب، يا جابر هذا من مكنون سرّ الله و مخزون علم الله، فاكتمه إلّا عن

١ـ الكافي ٢: ١٠٥، الحديث: ١٢ عن أبي عبدالله ﷺ.
٢ـ الكافي ١: ٢٧٦، الحديث: ١، عن أبي جعفر ﷺ.
٣ـ العيّاشي ١: ٢٤٧، الحديث. ١٥٤، عن أبي جعفر ﷺ
٤ـ الكافي ١: ٢٧٦، الحديث ١، عن أبي جعفر ﷺ.
٥ـ في «الف» و «ب». «كنيتي»
٦ـ في المصدر «تجلّلها» أي: تعلوها و تعمّها و لعلّه الأنسب.

أهله»[1] ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ أيّها المأمورون ﴿فِي شَيۡءٖ﴾ من أمور الدين ﴿فَرُدُّوهُ﴾: فراجعوا فيه ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلى محكم كتابه ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ «بالسؤال عنه في زمانه، و بالأخذ بسنّته، و المراجعة إلى من أمر بالمراجعة إليه بعده، فإنّه[2] ردّ إليه»[3]. كذا ورد في تفسير الآية. و في رواية: «نزلت: فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله و إلى الرّسول و إلى أولي الأمر منكم»[4] و في أخرى: «تلا هذه الآية هكذا. فإن خفتم تنازعاً في أمر فردّوه إلى الله و إلى الرّسول و إلى أولي الأمر منكم»[5]. قال: «هكذا نزلت و كيف يأمرهم الله بطاعة ولاة الأمر و يرخّص في منازعتهم، إنّما قيل ذلك للمأمورين الّذين قيل لهم: أطيعوا الله»[6]. ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ فإنّ الإيمان يوجب ذلك. ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ من تأويلكم بلا ردّ.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾. القمّي: نزلت في الزّبير بن العوّام، نازع رجلاً من اليهود في حديقة، فقال الزّبير: نرضى بابن شيبة اليهوديّ، و قال اليهوديّ: نرضى بمحمّد. فأنزل الله[7]. و ورد: «أيّما رجل كان بينه و بين أخ مماراة في حقّ، فدعاه إلى رجل من إخوانه ليحكم بينه و بينه فأبى إلّا أن يرافعه إلى هؤلاء، كان بمنزلة الّذين قال الله "ألم تر" الآية»[8].

وفي رواية «من تحاكم إلى الطّاغوت فحكم له فإنّما يأخذ سحتاً وإن كان حقّه

١ـ كمال الدّين ١: ٢٥٣، الباب ٢٣، الحديث ٣.
٢ـ في «ب» و «ج»: «فإنّها».
٣ـ نهج البلاغة (للصبحي الصّالح): ١٨٢ من خطبة: ١٢٥.
٤ـ القمّي ١: ١٤١، عن أبي عبدالله ﷺ، وفيه: «فرجعوه إلى الله».
٥و٦ـ الكافي ٨: ١٨٤، الحديث، ٢١٢، عن أبي جعفر ﷺ، مع تفاوت يسير.
٧ـ القمّي ١: ١٤١، وفيه «نرضى» بدل «نرضى» في موضعين.
٨ـ الكافي ٧: ٤١١، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله ﷺ.

ثابتاً؛ لأنّه أخذ بحكم الطّاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به. قيل: كيف يصنعان؟ قال: أُنظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا، و نظر في حلالنا و حرامنا، و عرف أحكامنا، فارضوا به حكماً، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنّما بحكم الله استخفّ، و علينا ردّ، والرّادّ علينا الرّادّ على الله، و هو على حدّ الشّرك بالله»[1].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾. القمّي: هم أعداء آل محمّد، جرت فيهم هذه الآية[2].

﴿فَكَيْفَ﴾ يكون حالهم؟ ﴿إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: نالتهم من الله عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من التّحاكم إلى غيرك و إظهار السّخط لحكمك ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا﴾ بالتّحاكم إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾: تخفيفاً عنك ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ بين الخصمين بالتّوسّط و لم نرد مخالفتك.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الشّرك و النّفاق ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: لا تعاقبهم. قال: «فقد سبقت عليهم كلمة الشّقاء، و سبق لهم العذاب»[3]. ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ﴾: خالياً بهم، فإنّ النّصيحة في السّرّ أنجع[4]. ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ يؤثّر فيهم، كتخويفهم بالقتل و الاستيصال إن ظهر نفاقهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. نبّه به على أنّ الّذي لم يرض بحكمه كافر، و إن أظهر الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالنّفاق ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ مخلصين ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ بأن اعتذروا إليه حتّى انتصب لهم شفيعاً ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

١ـ الكافي ١: ٦٧، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.
٢ـ القمّي ١: ١٤٢.
٣ـ الكافي ٨: ١٨٤، الحديث: ٢١١، عن موسى بن جعفر عليه السلام.
٤ـ قد نجع فيه الخطاب والوعظ والدّواء، أي: دخل وأثّر. الصّحاح ٣: ١٢٨٨ (نجع).

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: فيما اختلف بينهم و اختلط ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾: ضيقاً مما حكمت به ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾: و ينقادوا لك انقياداً بظاهرهم و باطنهم. ورد: «لقد خاطب الله أمير المؤمنين في كتابه في قوله: "وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا" إلى قوله: "فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ". قال: فيما تعاقدوا عليه، لئن أمات الله محمّداً لا يردّوا[1] هذا الامر في بني هاشم، ثمّ لا يجدوا في انفسهم حرجاً ممّا قضيت عليهم من القتل او العفو و يسلّموا تسليماً»[2]. و القمّي: «جاؤوك يا عليّ. قال: هكذا نزلت»[3].

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا﴾ قال «يعني اهل الخلاف»[4]. ﴿مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾: «في عليّ. قال: هكذا نزلت»[5]. ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ لايمانهم ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ يصلون بسلوكه جناب القدس و يفتح عليهم أبواب الغيب. فإنّ: «من عمل بما علم، ورّثه الله علم مالم يعلم»[6].

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾: الّذين صدقوا في أقوالهم و افعالهم ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾: المقتول انفسهم وابدانهم بالجهاد الاكبر و الاصغر ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾: الّذين صلحت حالهم و استقامت طريقتهم ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾.

١ـ في المصدر: «الأ يردّوا».
٢ـ الكافي ١: ٣٩١، الحديث ٧، عن أبي جعفر ﷺ.
٣ـ القمّي ١: ١٤٢، عن أبي جعفر ﷺ.
٤ـ الكافي ٨: ١٨٤، الحديث ٢١٠، عن أبي عبدالله ﷺ
٥ـ الكافي ١: ٤٢٤، الحديث ٦٠، عن أبي جعفر ﷺ، و العيّاشي ١: ٢٥٦، الحديث ١٨٨، عن أبي عبد الله ﷺ.
٦ـ البحار ٤٠: ١٢٨، عن النّبيّ ﷺ

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾. قال: «أعينونا بالورع، فإنّه من لقي الله ـ عزّ وجلّ ـ منكم بالورع كان له عند الله فرجاً، إنّ الله يقول: "وَمَنْ يُطِعِ اللهَ" و تلا الآية، ثمّ قال: فمنّا النّبيّ و منّا الصدّيق و الشّهداء و الصّالحون»[١] و في رواية: «لقد ذكركم الله في كتابه فقال: "أولئك مع الّذين أنعم الله" الآية، فرسول الله في الآية: النّبيّون، و نحن في هذا الموضع: الصّدّيقون و الشّهداء، و أنتم: الصّالحون، فتسمّوا بالصّلاح كما سمّاكم الله»[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾: تيقّظوا و استعدّوا للأعداء. والحِذْرُ: الحَذَر. قال: «خذوا أسلحتكم؛ سمّى الأسلحة حذراً لأنّ بها يتّقى المحذور»[٣].

﴿فَٱنفِرُوا۟﴾: فاخرجوا إلى الجهاد، و تأويله إلى الخيرات كلّها. ﴿ثُبَاتٍ﴾: جماعات متفرّقة؛ جمع ثُبَة. ﴿أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾: مجتمعين كوكبة[٤] واحدة و لا تتخاذلوا.

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾. يحتمل اللّازم و المتعدّي، و هم المنافقون. ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ كقتل و هزيمة ﴿قَالَ﴾ المبطىء: ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾: حاضراً. قال: «لو قال هذه الكلمة أهل الشّرق و الغرب لكانوا بها خارجين من الإيمان، ولكنّ الله قد سمّاهم مؤمنين بإقرارهم»[٥].

﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كفتح و غنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ تحسّراً ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى﴾: يا قوم ليتني ﴿كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾. نبّه بالاعتراض على ضعف عقيدتهم، و أنّهم إنّما تمنّوا مجرّد المال.

﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ﴾. يبيعون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعني:

١ـ الكافي ٢: ٧٨، الحديث: ١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٨: ٣٥، ذيل الحديث: ٦، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٧٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكوكبة: الجماعة. القاموس المحيط ١: ١٢٩ (الكوكب).
٥ـ القمّي ١: ١٤٣، عن أبي عبد الله عليه السلام.

المخلصين الباذلين أنفسهم في طلب الآخرة. ﴿ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾. قال: «فوق كلّ برّ برّ حتّى يقتل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برّ»[1].

﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ ﴾: و في سبيل المستضعفين وخلاصهم ﴿ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾. قيل: هم الّذين أسلموا بمكّة و صدّهم المشركون عن الهجرة، فبقوا بين أظهرهم يلقون منهم الأذى، فكانوا يدعون الله بالخلاص و يستنصرونه[2]. و في رواية: «نحن أولئك»[3].

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾.

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ ﴾ عن القتال ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ و اشتغلوا بما امرتم به. قيل: ذلك حين كانوا بمكّة، و كانوا يتمنّون أن يؤذن لهم فيه[4]. و ورد: «يعني كفّوا ألسنتكم»[5]. و قال: «أما ترضون أن تقيموا الصّلاة وتؤتوا الزّكاة و تكفّوا و تدخلوا الجنّة»[6]. و في أخرى: «أنتم و الله أهل هذه الآية»[7].

﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ ﴾: يخشون الكفّار أن يقتلوهم، كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسه ﴿ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ ﴾. قال: «"كفّوا أيديكم" مع الحسن، "

١ـ الخصال ١: ٩، الحديث: ٣١، عن رسول الله ﷺ.
٢ـ الكشّاف ١: ٥٤٣.
٣ـ العيّاشي ١: ٢٥٧، الحديث: ١٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ١: ٥٤٣.
٥ـ الكافي ٢: ١١٤، الحديث: ٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٦ و ٧ـ الكافي ٨: ٢٧٩، ذيل الحديث: ٤٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ» مع الحسين، «إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ» : إلى خروج القائم، فإنّ معه الظفر[1]. ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ سريع التقضّي ﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: و لا تنقصون أدنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾: في قصور مجصّصة أو مرتفعة ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾: نعمة كخصب ﴿يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: بليّة كقحط ﴿يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ يطّيّروا بك ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يبسط و يقبض حسب إرادته ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ فيعلموا أنّ الله هو الباسط القابض، و أفعاله كلّها صادرة عن حكمة و صواب.

﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ يا إنسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾. من نعمة ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ تفضّلاً و امتناناً، فإنّ كلّ ما يأتي به العبد من عبادة فلا يكافي صغرى نعمة من أياديه. ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ . من بليّة ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾، لأنّها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي، و هو لا ينافي قوله: «قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله»، فإنّ الكلّ من عنده إيجاداً و إيصالاً، غير أنّ الحسنة إحسان و امتحان، و السيّئة مجازاة و انتقام. قال الله تعالى: «ما أصابَكُمْ مِنْ مُصيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْديكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثيرٍ»[2] قال: «كما أنّ بادي النّعم من الله ـ عزّ و جلّ ـ نَحَلَكُمُوه[3]، فكذلك الشرّ من أنفسكم و إن جرى به قدره»[4]. و ورد: «إنّ «الحسنات» في كتاب الله على وجهين: أحدهما. الصحّة و السّلامة و السّعة في الرّزق، و الآخر: الأفعال، كما قال: «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها»[5] و كذلك السيّئات؛ فمنها الخوف و المرض و الشدّة، و منها الأفعال الّتي يعاقبون عليها»[6]. ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ

١ـ العيّاشي ١: ٢٥٨، ذيل الحديث ١٩٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «فإنّ معه النّصر والظفر».
٢ـ الشّورى (٤٢): ٣٠.
٣ـ نَحَلَهُ: أعطاه و وهبه من طيب نفس بلا توقّع عوض. مجمع البحرين ٥: ٤٧٨ (نحل).
٤ـ التّوحيد: ٣٦٨، الباب: ٦٠، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الأنعام (٦): ١٦٠.
٦ـ القمّي ١: ١٤٤، عن الصادقين عليهما السّلام.

رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ على ذلك، فما ينبغي لاحد ان يخرج من طاعتك.

﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ لانّه في الحقيقة مبلّغ، و الآمر و النّاهي هو الله

روي، انّه ﷺ قال: «من احبّني فقد احبّ الله و من اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون: لقد قارف الشرك و هو ينهى عنه، ما يريد إلاّ ان نتّخذه ربّاً، كما اتّخذت النّصارى عيسى، فنزلت»[1]. ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾، اعرض عن طاعته ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾: تحفظ عليهم اعمالهم و تحاسبهم عليها، إنّما عليك البلاغ و علينا الحساب.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا امرتهم بامرٍ ﴿طَاعَةٌ﴾: امرُنا طاعةٌ ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: دبّروا ليلاً ﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾: خلاف ما قلت او خلاف ما قالت من القبول و ضمان الطاعة. ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾: يكفيك شرّهم.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: يتاملون معانيه و يتبصّرون ما فيه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ﴾: من كلام البشر، كما زعموه ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾ من تناقض المعنى، و تفاوت النّظم، و خروج بعضه عن الفصاحة و عن مطابقته الواقع إلى غير ذلك.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾: ممّا يوجب الامن او الخوف ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾: افشوه قيل: كان قوم من ضَعَفَةِ المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله ﷺ او اخبرهم الرّسول بما أُوحي إليه من وعد بالظّفر او تخويف من الكفرة اذاعوه، وكانت إذاعتهم مفسدة[2].

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾: ردّوا ذلك الامر ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ

۱ـ البيضاوي ۲: ۱۰۳؛ و الكشّاف ۱: ٥٤٦

۲ـ البيضاوي ۲: ۱۰٤؛ و الكشّاف ۱: ٥٤٧

مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ قيل: أي يستخرجون تدبيره بتجاربهم وأنظارهم[١] قال: «يعني آل محمّد و هم الّذين يستنبطون من القرآن و يعرفون الحلال والحرام و هم حجّة الله»[٢]. ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾. قال: «الرّحمة: رسول الله، و الفضل: عليّ بن أبي طالب»[٣]. و في رواية: «فضل الله: رسوله، و رحمته: الأئمة عليهم السّلام»[٤]. ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ بالكفر و الضّلال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ و هم أهل البصائر النّافذة.

﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ إن تركوك وحدك ﴿ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ فتقدّم إلى الجهاد و إن لم يساعدك أحد، فإنّ الله ينصرك، لا الجنود. قال: «إنّ الله كلّف رسول الله ﷺ ما لم يكلّف أحداً من خلقه، كلّفه أن يخرج على النّاس كلّهم وحده بنفسه إن لم يجد فئة تقاتل معه، و لم يكلّف هذا أحداً من خلقه قبله ولا بعده، ثمّ تلا هذه الآية»[٥]. قيل: نزلت في بدر الصّغرى حين تثاقلت النّاس عن الخروج[٦]؛ كما سبق[٧].

﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إذ ما عليك في شأنهم إلاّ التّحريض. ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ و قد كفّ، بأن بدا لأبي سفيان و قال: هذا عام مُجْدِبٌ كما مرّ ذكره[٨]. ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾: أشدّ عقوبة من كفّار قريش. تهديد و تقريع لمن لم يتّبعه.

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً ﴾: راعى بها حقّ مسلم، إمّا بدفع شرّ عنه أو جلب

١ـ البيضاوي ٢: ١٠٤؛ والكشّاف ١: ٥٤٧.
٢ـ العيّاشي ١: ٢٦٠، الحديث: ٢٠٦، عن أبي الحسن الرّضا ﷺ، وفيه: «وهم الحجّة لله على خلقه».
٣ـ المصدر: ٢٦١، الحديث: ٢٠٩، عن موسى بن جعفر ﷺ.
٤ـ المصدر: ٢٦٠، الحديث: ٢٠٧، عن الصّادقين عليهما السّلام، وفيه: «ورحمته ولاية الأئمة عليهم السّلام».
٥ـ الكافي ٨: ٢٧٤، الحديث: ٤١٤، عن أبي عبدالله ﷺ.
٦ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٨٣؛ والكشّاف ١: ٥٤٨.
٧و٨ـ في ذيل الآية: ١٧٣ من سورة آل عمران

خير إليه، ابتغاء لوجه الله، و منها الدّعاء للمؤمن. ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾: ثواباً لها ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾ و هي ما كان خلاف ذلك، و منها الدّعاء على المؤمن. ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾. نصيب من وزرها، مساوٍ لها في القدر، فإنّ الكِفْلَ: النّصيب و المثل. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾: مقتدراً أو حفيظاً يعطي على قدر الحاجة. قال: «من أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، او دلّ على خير، او اشار به، فهو شريك؛ و من أمر بسوء، أو دلّ عليه، أو أشار به فهو شريك»[1]. و في رواية: «من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب أُستجيب له و قال له المَلَكُ: و لك مثلاه، فذلك النّصيب»[2].

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾. القمّي: السّلام و غيره من البر[3]. و ورد: «إذا عطس أحدكم قولوا: يرحمكم الله، و يقول هو: يغفر الله لكم و يرحمكم. قال الله "وَ إذا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ" الآية»[4] و قال «السّلام تطوّع و الرّدّ فريضة»[5]. «و من تمام التّحيّة للمقيم: المصافحة، و تمام التّسليم على المسافر: المعانقة»[6]. و «الرّدّ بالاحسن في السّلام ان يضيف. «وَ رَحمةُ الله»، فإن قالها المسلّم أضاف: «وبَرَكاتُهُ»، وهي النّهاية فيردّ بالمثل، و الأول عشر حسنات و الثّاني عشرون و الثّالث ثلاثون»[7] كذا ورد. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾.

﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾: تفرّقتم فيهم فرقتين، و لم تتّفقوا على كفرهم،

١ـ الخصال ١: ١٣٨، الحديث: ١٥٦، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ جوامع الجامع ١: ٢٧٥.
٣ـ القمّي ١: ١٤٥.
٤ـ الخصال ٢: ٦٣٣، ذيل الحديث الطّويل اربعمائة، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ٢: ٦٤٤، باب التّسليم، الحديث ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن رسول الله ﷺ.
٦ـ المصدر: ٦٤٦، الحديث: ١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر: ٦٤٥، الحديث ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت.

قال: «نزلت في قوم قدموا من مكّة و اظهروا الإسلام، ثمّ رجعوا إلى مكّة فأظهروا الشّرك، ثمّ سافروا إلى اليمامة، فاختلف المسلمون في غزوهم، لاختلافهم في إسلامهم و شركهم»[1]. ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾: ردّهم في الكفر بأن خذلهم فارتكسوا ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ إلى الهدى.

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾. قال: «إنّ لشياطين الإنس حيلة ومكراً و خدايع و وسوسة بعضهم إلى بعض، يريدون إن استطاعوا أن يردّوا أهل الحقّ عمّا اكرمهم الله به من النّصرة[2] في دين الله الّذي لم يجعل الله شياطين الإنس من أهله، إرادة أن يستوي أعداء الله و أهل الحقّ في الشّكّ و الإنكار و التّكذيب، فيكونون سواءً كما وصف الله تعالى في كتابه: "ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء"»[3].

﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ و إن آمنوا ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هجرة صحيحة هي لله لا لعرض من أعراض الدّنيا ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الهجرة المستقيمة مع الإيمان ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾. استثناء من قوله "فخذوهم واقتلوهم" أي: إلّا الّذين ينتهون إلى قوم عاهدوكم، و يفارقون محاربتكم قال: «هو هِلالُ بن عُوَيْمِ الأَسْلَمي»[4]، واثق عن قومه رسول الله ﷺ وقال في موادعته: على أن لا نحيف يا محمّد من أتانا، ولا نحيف من أتاك[5]. فنهى الله سبحانه أن يعرض لأحد عهد

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٨٦، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٢ـ في المصدر: «من النّظر».
٣ـ الكافي ٨: ١١، ذيل الحديث ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، في رسالته إلى جماعة الشّيعة.
٤ـ في المصدر: «هلال بن عويمر السّلمي».
٥ـ في «الف» و «ج»: «لا نحيف يا محمّد من أتانا ولا نحيف من أتاك». و الحَيْفُ: الظلم و الجور. مجمع البيان ٥: ٤٢ (حيف).

إليهم»[١] ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾: ضاقت. قال: «هو الضيق»[٢] ﴿أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾. قال: «نزلت في بني مُدلج، جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنّا قد حَصِرَتْ صدورنا أن نشهد أنّك رسول الله فلسنا معك ولا مع قومنا عليك، فواعدهم إلى أن يفرغ من العرب، ثمّ يدعوهم، فإن أجابوا وإلّا قاتلهم»[٣]

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن قوّى قلوبهم، و بسط صدورهم وأزال الرّعب عنهم. ﴿فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ و لم يكفّوا عنكم ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾: فإن لم يتعرّضوا لكم ﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾: الاستسلام و الانقياد ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾: فما أذن لكم في أخذهم و قتلهم.

قال: «كانت السّيرة من رسول الله ﷺ ألّا يقاتل إلّا من قاتله، و لا يحارب إلّا من حاربه و أراده، و قد كان نزل في ذلك من الله "فإن اعتزلوكم" الآية. حتّى نزلت عليه سورة براءة و أمر بقتل المشركين من اعتزله، و من لم يعتزله، إلّا الّذين قد كان عاهدهم يوم فتح مكّة إلى مدّة»[٤] الحديث، ويأتي تمامه[٥].

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾. قال: «نزلت في عُيَيْنَة بن حِصن الفزاري، أجدبت بلادهم، فجاء إلى رسول الله ﷺ و وادعه على أن يقيم ببطن نخل ولا يتعرّض له، و كان منافقاً ملعوناً، و هو الّذي سمّاه رسول الله ﷺ الأحمق المطاع»[٦]. ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾: دعوا إلى الكفر، و إلى قتال المسلمين ﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾: عادوا إليها، و قلبوا فيها أقبح قلب ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾: لم يعتزلوا قتالكم ﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾: و لم يستسلموا لكم ﴿وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾

١ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٨٨، عن أبي جعفر ﷺ.
٢ ـ العيّاشي ١: ٢٦٣، الحديث: ٢١٦، عن أبي عبدالله ﷺ.
٣ ـ الكافي ٨: ٣٢٧، الحديث: ٥٠٤، عن أبي عبدالله ﷺ.
٤ ـ القمّي ١: ٢٨١ ـ ٢٨٢، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ ـ في ذيل الآية: ٢ من سورة التوبة.
٦ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٨٩، عن أبي عبدالله ﷺ و القمّي ١: ١٤٧.

ولم يكفّوا أيديهم عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ﴾: فأسروهم ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: حيث تمكّنتم منهم ﴿وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾: حجّة واضحة في التّعرّض لهم بالقتل و السّبي، لظهور عداوتهم و كفرهم وغدرهم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾: و ما صحّ لمؤمن، و ليس من شأنه ﴿أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ بغير حقّ ﴿إِلَّا خَطَأً﴾ لأنّه في عرضة الخطاء. قال: «هو الرّجل يضرب و لا يتعمّد القتل، أو رمى فأصاب رجلاً»[1]. و قال: «نزلت في عيّاش بن أبي ربيعة، أخي أبي جهل لأمّه، كان أسلم و قتل بعد إسلامه مسلماً و هو لم يعلم بإسلامه»[2] ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ قال: «مقرّة قد بلغت الحنث»[3] وسئل: كيف تعرف المؤمنة؟ قال: «على الفطرة»[4]. ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾: مؤدّاة إلى أولياء المقتول. ﴿إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا﴾: يتصدّقوا عليه بالدّية. سمّي العفو عن الدّية صدقة، حثّاً عليه و تنبيهاً على فضله. و ورد: «كلّ معروف صدقة»[5].

﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾. قال: «يلزم قاتله كفّارة لقتله»[6]. و ورد: «في رجل مسلم في أرض الشّرك، فقتله المسلمون، ثمّ علم به الإمام بعد. فقال: يعتق مكانه رقبة مؤمنة، و ذلك قول الله ـ عزّ و جلّ ـ "فإن كان من قوم عدوّ لكم" الآية»[7] قال: «و ليس عليه دية»[8]. ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ﴾ كفرة ﴿بَيْنَكُمْ

١ـ العيّاشي ١: ٢٦٦، الحديث: ٢٢٩، عن أبي عبد الله عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «وهو لا يعلم إسلامه».
٣ـ الكافي ٧: ٤٦٢، الحديث: ١٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٢٦٣، الحديث: ٢٢٠، عن أبي الحسن عليه السلام.
٥ـ الخصال ١: ١٣٤، الحديث: ١٤٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩١، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٧ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ١١٠، الحديث: ٣٧٣؛ والعيّاشي ١: ٢٦٦، الحديث: ٢٣٠، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ١: ٢٦٢، الحديث: ٢١٧ و ٢٦٣، الحديث: ٢١٨، عن أبي عبد الله عليه السلام.

وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾: عهد ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

قال: «إن كان على رجل صيام شهرين متتابعين فافطر أو مرض في الشهر الأول، فإنّ عليه ان يعيد الصيام، و إن صام الشهر الأول وصام من الشهر الثاني شيئاً، ثمّ عرض له ما له فيه عذر، فعليه ان يقضي»[1]. أقول: يعني يقضي ما بقي عليه.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾. قال: «فجزاؤه جهنّم إن جازاه»[2] سئل: عن المؤمن، يقتل المؤمن متعمّداً، اله توبة؟ فقال: «إن كان قتله لإيمانه فلا توبة له، وإن كان قتله لغضب او لسبب شيء من اشياء الدّنيا[3] فإنّ توبته ان يقاد منه، و إن لم يكن علم به انطلق إلى أولياء المقتول فاقرّ عندهم بقتل صاحبهم، فإن عفوا عنه فلم يقتلوه، أعطاهم الدّية، وأعتق نسمة، وصام شهرين متتابعين، و اطعم ستّين مسكيناً، توبة إلى الله عزّوجلّ»[4].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: سافرتم للغزو ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾: فاطلبوا بيان الأمر و ميّزوا بين الكافر و المؤمن. و على قراءة: «فتثبّتوا»[5]: توقّفوا و تأنّوا حتّى تعلموا من يستحقّ القتل. و المعنيان متقاربان، يعني: لا تعجلوا في القتل لمن أظهر إسلامه ظنّاً منكم بأنّه لا حقيقة لذلك.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾: الانقياد. و في قراءة الصّادق عليه السلام، يعني: لمن حيّاكم بتحيّة السّلام. ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ و إنّما فعلت ذلك خوفاً من القتل ﴿تَبْتَغُونَ

١ـ الكافي ٤: ١٣٩، الحديث: ٧، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٢ـ معاني الأخبار: ٣٨٠، الحديث: ٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٣ـ في المصدر: «من أمر الدنيا».
٤ـ الكافي ٧: ٢٧٦، الحديث: ٢، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩٤.

﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. تطلبون ماله الّذي هو حطام سريع الزّوال، و هو الّذي يحثكم على العجلة و ترك التّثبّت. ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل أمثاله لماله ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أوّل ما دخلتم في الإسلام و تفوّهتم بالشّهادتين فحقنت[1] بها دماؤكم و أموالكم من غير أن تعلم مواطاة قلوبكم ألسنتكم. ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان و الاستقامة في الدّين ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ تأكيد لتعظيم الأمر و ترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

القمّي: نزلت في أسامة بن زيد حين بعثه رسول الله صلّى الله عليه و آله في خيل إلى بعض اليهود ليدعوهم إلى الإسلام، و كان رجل من اليهود يقال له «مرْداس» في بعض القرى، فلمّا أحسّ بالخيل، جمع أهله و ماله و صار في ناحية الجبل، فأقبل يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، و أشهد أنّ محمّداً رسول الله، فمرّ به أسامة، فطعنه فقتله، فلمّا رجع إلى رسول الله أخبره بذلك، فقال: أفلا شققت[2] الغطاء عن قلبه؟ لا ما قال بلسانه قبلت، و لا ما كان في نفسه علمت، فحلف أسامة أن لا يقاتل أحداً شهد الشّهادتين، فتخلّف عن أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه»[3].

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ عن الحرب ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾: الأصحّاء ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾. روي: نزلت من دون استثناء في جماعة تخلّفوا يوم تبوك، فجاء عبدالله بن أمّ مكتوم و كان أعمى، و هو يبكي، فقال: يا رسول الله كيف بمن لا يستطيع الجهاد؟ فنزل «غير أولي الضّرر»[4]، و ورد: «لقد خلّفتم في المدينة أقواماً ما سرتم مسيراً و لا قطعتم وادياً إلاّ كانوا معكم، و هم الّذين صحّت نيّاتهم،

١ـ في «ب» و «ج»: «فعصمت».
٢ـ في المصدر: «أفلا شققت».
٣ـ القمّي ١: ١٤٨.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٩٦ـ٩٧.

و نَصَحَتْ جُيُوبهم [١]، و هوت افئدتهم إلى الجهاد، و قد منعهم من المسير ضررٌ أو غيره» [٢]. ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

﴿ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾. روي: «أنّ الله فضّل المجاهدين على القاعدين سبعين درجة، بين كلّ درجتين مسيرة سبعين خريفاً للفرس الجواد المضمر» [٣].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾. يحتمل الماضي و المضارع. ﴿ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ﴾: في أيّ شيء من أمر دينكم؟ ﴿ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾: يستضعفنا أهل الشّرك بالله، في أرضنا و بلادنا، بكثرة عددهم و قوّتهم، و يمنعوننا من الإيمان بالله و اتّباع رسوله. ﴿ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾: فتفارقوا من يمنعكم من الإيمان إلى قطر آخر، كما فعل المهاجرون إلى المدينة و الحبشة. ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾. قيل: نزلت في ناس من مكّة أسلموا و لم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة [٤]. و القمّي: نزلت فيمن اعتزل أمير المؤمنين عليه السلام، و لم يقاتل معه. "مستضعفين" أي: لم نعلم مع مَنِ الحقّ، "أرض الله واسعة" أي: دين الله و كتاب الله واسع، فتنظروا فيه [٥].

أقول: هذا تأويل و ذاك تفسير. وورد: «لا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة فسمعتها أذنه و وعاها قلبه» [٦].

﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ يدفعون بها

١ـ رجل ناصح الجَيْب: لا غشّ فيه، نقيّ القلب. القاموس المحيط ١: ٢٦١، و الصّحاح ١: ٤١١ (نصح)
٢ـ جوامع الجامع ١: ٢٨١، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله
٣ـ مجمع البيان ٤ ـ ٣: ٩٧
٤ـ البيضاوي ٢: ١١١
٥ـ القمّي ١: ١٤٩
٦ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٢٨٠، من خطبة: ١٨٩.

الكفر» كذا ورد[1] ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ قال: «إلى الإيمان، لايستطيع ان يؤمن ولا يكفر؛ الصّبيان و من كان من الرّجال و النّساء على مثل عقول الصّبيان»[2] و قال: «البُلهاء في خِدْرِها[3]، و الخادم، تقول لها: صلّي فتصلّي لا تدري إلاّ ما قلت لها، و الجليب[4] الّذي لا يدري إلاّ ما قلت له، و الكبير الفاني، و الصّغير»[5]. و في رواية «لا يستطيعون حيلة إلى النّصب فينصبون، و لا يهتدون سبيلاً إلى الحقّ، فيدخلون فيه؛ هؤلاء يدخلون الجنّة بأعمال حسنة و باجتناب المحارم الّتي نهى الله عنها، و لا ينالون[6] منازل الأبرار»[7].

﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

﴿وَمَن يُهَاجِرْ﴾: يفارق أهل الشّرك ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في منهاج دينه ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا﴾. متحولاً من الرّغام، و هو التّراب و مخلصاً من الضّلال. ﴿وَسَعَةً﴾ في الرزق و إظهار الدّين. ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. روي: «لمّا نزلت آية الهجرة سمعها رجل من المسلمين و هو «جُنْدَب بن ضَمْرة» و كان بمكّة، فقال: و الله ما أنا ممّن استثنى الله، إنّي لأجد قوّة، و إنّي لعالم بالطّريق، و كان مريضاً شديد المرض، فقال لبنيه: و الله لا أبيت بمكّة حتّى أخرج منها، فإنّي أخاف أن أموت فيها، فخرجوا يحملونه على سرير حتّى إذا بلغ التّنعيم مات، فنزلت»[8].

١ و ٢ ـ الكافي ٢: ٤٠٤، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ الخدر ـ بالكسر ـ ستر أعدّ للجارية البكر في ناحية البيت، و الجمع: خُدُور. و جارية مُخدّرة: إذا الزمت الخدر «مجمع البحرين ٣: ٢٨٣ ـ خدر» و في الحديث «عليك بالبُلْهاء! قلت: و ما البلهاء؟ قال: ذوات الخدور العفائف». مجمع البحرين ٦: ٣٤٣ (بله).
٤ ـ الجليب: الّذي يجلب من بلد إلى آخر «منه قدّه في الصافي ١: ٤٥٥».
٥ ـ معاني الأخبار: ٢٠٣، الحديث: ١٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ في «الف»: «لا يدركون منازل الأبرار».
٧ ـ معاني الأخبار: ٢٠١، الحديث: ٥، عن أبي عبد الله عليه السلام.
٨ ـ الجمع ٣ ـ ٤: ١٠٠.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: سافرتم ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ بتنصيف الرباعيات. قيل: كأنّهم ألفوا الإتمام و كان مظنّة لأن يخطر ببالهم أنّ عليهم نقصاناً في التقصير، فرفع عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر ويطمئنّوا إليه[1]. قال: «التقصير في السفر واجب كوجوب التمام في الحضر»[2].

وفي رواية: «فرض المسافر ركعتان غير قصر»[3] ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في أنفسكم أو دينكم، و هذا الشرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت، فإنّ القصر ثابت في حال الأمن أيضاً ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾: ظاهر العداوة.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾: في أصحابك الضاربين في الأرض، الخائفين عدوّهم أن يغتروهم ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ بأن تؤمّهم ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾: من أصحابك ﴿مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ يحرسونكم ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ﴾: تحرّزهم و تيقّظهم ﴿وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾.

ورد في بيان صلاة الخوف: «أنّ طائفة تقوم بإزاء العدوّ، و أُخرى خلف الإمام، يصلّي بهم ركعة، ثمّ يقومون فيمثُلُ[4] الإمام قائماً حتّى يتمّ من خلفه صلاتهم وينصرفوا إلى العدوّ، فيجيء الطائفة الأُولى، فيصلّي بهم الإمام ركعة[5] الثانية و يسلّم، ثمّ يقوم

١ـ البيضاوي ٢: ١١٣.
٢ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٧٨، الحديث: ١٢٦٦؛ و العيّاشي ١: ٢٧١، الحديث: ٢٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الدرّ المنثور ٢: ٦٥٧؛ والعيّاشي ١: ٢٧١، الحديث: ٢٥٤و٢٥٥، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام.
٤ـ مثل الرّجلُ يمثُلُ مثُولاً: إذا انتصب قائماً. مجمع البحرين ٥: ٤٧١ (مثل).
٥ـ في «ج» و «ب»: «ركعته الثانية».

من خلفه فيتمّون صلاتهم»[1]. ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ رخصة لهم في وضعها إذا ثقل عليهم أخذها. ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ كيلا يهجم عليكم العدوّ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فرغتم منها و انتم محاربوا عدوكم ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾: ادعوا الله في هذه الأحوال، لعلّ الله ينصركم على عدوكم ويظفركم بهم. ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾: فإذا استقررتم في أوطانكم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فأتمّوا الصّلاة التي اذن لكم في قصرها و تخفيفها حال السّفر و الخوف، و اتمّوا حدودها. ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ قال: «مفروضاً»[2].

﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾: لا تضعفوا في طلبهم ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾ مما ينالكم من الجراح منهم ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾ ايضاً مما ينالهم من ذلك ﴿كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ من إظهار الدّين و استحقاق الثّواب، فانتم اولى و احرى على حربهم و قتالهم، منهم على قتالكم. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمصالح خلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيره إيّاهم.

القمّي: إنّ النّبيّ ﷺ لمّا رجع من وقعة أُحُد و دخل المدينة، نزل عليه جبرئيل، فقال: يا محمّد إنّ الله يأمرك أن تخرج في اثر القوم، ولا يخرج معك إلّا من به جراحة، فاقبلوا يضمدون[3] جراحاتهم ويداوونها، فنزلت "ولا تهنوا" الآية؛ و قوله[4] "إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله" إلى قوله "شهداء"؛ فخرجوا على ما بهم من

1ـ الكافي ٣: ٤٥٥، الحديث ١، عن أبي عبد الله ﵇، مع تفاوت في العبارة.
2ـ من لايحضره الفقيه ١: ١٢٥، الحديث ٦٠١، عن أبي عبدالله ﵇؛ و العيّاشي ١: ٢٧٣، الحديث ٢٥٩، عن أبي جعفر ﵇.
3ـ ضمد الجُرح يضمِدُه و يضمُدُه و ضمّده: شدّه بالضّمادة و هي العصابة. القاموس المحيط ١: ٣٢١ (ضمد)
4ـ عطفٌ على "ولا تهنوا" أي: و نزلت "و لا تهنوا" الآية و نزلت: "إن يمسسكم" الآية.

الالم و الجراح [١].

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾. بما عرّفك و أوحى به إليك. قال: «ما فوّض الله إلى أحد من خلقه إلاّ إلى رسول الله و إلى الأئمة عليهم السّلام، ثمّ تلا هذه الآية. قال. و هي جارية في الأوصياء» [٢]. ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ﴾: لأجلهم و الذّبّ عنهم ﴿خَصِيمًا﴾ للبراء

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. القمّي ما ملخّصه. إنّ بني أُبَيرِق: بشيراً و مبشّراً و بشراً ـ و كانوا منافقين ـ نقبوا على عمّ قَتادَة بن النّعمان، فاخرجوا طعاماً و سيفاً و درعاً، فشكى قَتادَة ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال بنو أُبَيرِق: هذا عمل لبيد بن سهْل، و كان لَبيد مؤمناً، فخرج عليهم بالسّيف و قال: اترمونني بالسَّرِق و انتم اولى به منّي؟ و انتم المنافقون تهجون رسول الله و تنسبون الهجاء إلى قريش، فداروه؛ ثمّ جاء رجل من رهط بني أُبيرق ـ و كان منطيقاً بليغاً ـ إلى رسول الله ﷺ فقال: إنّ قَتادَة عمد إلى أهل بيت منّا، أهل شرف و حسب و نسب، فرماهم بالسَّرِق؛ فاغتمّ رسول الله وعاتب قتادة عتاباً شديداً، فاغتمّ قتادة، و كان بدريّاً، فنزلت الآيات [٣].

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾: يدبّرون و يزوّرون بالليل ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾: من رمي البريء. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾.

﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾: محامياً عنهم يحميهم عن [٤] عذاب الله.

١ـ القمّي ١: ١٢٤ـ١٢٥.
٢ـ الكافي ١: ٢٦٧، الحديث ٨، عن ابي عبدالله ؏.
٣ـ القمّي ١: ١٥٠ـ١٥١.
٤ـ في «ب» و «ج»: «من عذاب الله».

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا ﴾: قبيحاً يسوء به غيره ﴿ أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ﴾ بما يختصّ به، و لا يتعدّاه ﴿ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾. قال: «من أُعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة»[1]. ثمّ تلا الآية.

﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً ﴾: ذنباً على غير عمد ﴿ أَوْ إِثْمًا ﴾: ذنباً تعمّده ﴿ ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ بإعلام ما هم عليه بالوحي ﴿ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ عن القضاء بالحقّ، مع علمهم بالحال. و ليس القصد فيه إلى نفي همّهم بل إلى نفي تأثيره فيه. ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ لأنّ وباله عليهم ﴿ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ﴾ فإنّ الله عاصمك و ناصرك ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾.

ورد: «إنّ أُناساً من رهط بشير الأدنين قالوا: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ نكلّمه في صاحبنا و نعذره، فإنّ صاحبنا بريء، فلمّا أنزل الله: "يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ"[2] الآية، أقبلت رهط بشير، فقالت: يا بشير استغفر الله وتب من الذّنب. فقال: والّذي أحلف به ما سرقها إلّا لبيد، فنزلت "وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً"[3] الآية. ثمّ إنّ بشيراً كفر و لحق بمكّة. وأنزل الله في النّفر الّذين أعذروا بشيراً و أتوا النّبيّ ليعذروه: "وَلَوْلَا فَضْلُ الله عَلَيْكَ" الآية. و نزل في بشير و هو بمكّة: "وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِمَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى"[4] الآية»[5].

١ـ نهج البلاغة (للصبحي الصالح): ٤٩٤، الحكمة: ١٣٥؛ والخصال ١: ٢٠٢، الحديث: ١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ النساء (٤): ١٠٨.
٣ـ النساء (٤): ١١٢.
٤ـ النساء (٤): ١١٥.
٥ـ القمّي ١: ١٥٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

و ورد في تأويل "إذ يبيّتون": «فلان وفلان والجرّاح»[١]. و في رواية: «المغيّرون الكلم عن مواضعه بعد فقد رسول الله ﷺ لإقامة أوَد[٢] باطلهم، كما فعلته اليهود والنّصارى من تغيير التّوراة والإنجيل»[٣].

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ قال: «القرض»[٤]. ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ بأن يستمع[٥] من الرّجل كلاماً يبلغه، فتخبث نفسه[٦]، فتلقاه، فتقول: سمعت من فلان فيك من الخير كذا و كذا خلاف ما سمعت منه. ورد: «ثلاث يحسن فيهنّ الكذب: المكيدة في الحرب، و عدتك زوجتك، والإصلاح بين النّاس»[٧]. و ورد: «إنّ الله فرض عليكم زكاة جاهكم، كما فرض عليكم زكاة ما ملكت أيديكم»[٨]. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾: يخالفه ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾: ظهر له الحقّ ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ما هم عليه من الدّين الحنيفيّ ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾: نجعله والياً لما تولّى من الضّلال بأن نخذله و نخلّي بينه و بين ما اختاره ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. القمّي: نزلت في بشير[٩] كما مرّ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾. كرّره لقصّة بشير أو

١ـ الكافي ٨: ٣٣٤، الحديث: ٥٢٥، عن أبي الحسن ﷺ. والجرّاح: هو أبو عبيدة الجرّاح، كما في المصدر.
٢ـ الأوَد: العوج. أقام أوَده: أي عوجه. مجمع البحرين ٣: ٩ (أود).
٣ـ الاحتجاج ١: ٣٧١، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٤ـ الكافي ٤: ٣٤، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ـ في «الف» و «ج»: عبارة تسمع.
٦ـ الخبث: ضدّ الطيّب، يقال: خبث الشيء خبثاً ـ من باب قرب ـ و خباثة: ضدّ طاب. مجمع البحرين ٢: ٢٥١ (خبث).
٧ـ الخصال ١: ٨٧، الحديث: ٢٠، عن أمير المؤمنين ﷺ عن النبيّ ﷺ.
٨ـ القمي ١: ١٥٢، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٩ـ القمّي ١: ١٥٢، عن أبي جعفر ﷺ.

للتأكيد. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾: ما يعبدون من دون الله ﴿إِلَّا إِنَاثًا﴾ قيل: يعني اللات والعزّى و مناة الثالثة الأخرى و إساف و نائلة، كان لكلّ حيّ صنم يعبدونه و يسمّونه أنثى بني فلان [1]. روي [2]. «كان في كلّ واحدة منهنّ شيطانة أنثى تتراءى للسدنة [3]، وتكلّمهم، و ذلك من صنيع إبليس، وهو الشيطان الّذي ذكره الله و لعنه» [4]. ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ لأنّه الّذي امرهم بعبادتها و اغراهم عليها. والمَرِيدُ: الخارج عن الطاعة.

﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾: ابعده عن الخير ﴿وَقَالَ﴾ اي: الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾. قدّر لي و فرض؛ قاله عداوة و بغضاً. روي: «في هذه الآية من بني آدم تسعة و تسعون في النّار و واحد في الجنّة» [5]. و في رواية: «من كلّ ألف واحد لله وسايرهم للنّار و لإبليس» [6].

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحقّ ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ الامانيّ الباطلة، كطول العمر، و ان لا بعث ولا عقاب ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ قيل: كانوا يشقّون آذانها إذا ولدت خمسة أبطن والخامس ذكر، و حرّموا على انفسهم الانتفاع بها [7]. و في رواية: «ليقطعنّ الأذن من أصلها» [8]. ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾. قال: «يريد دين الله و امره، و يؤيّده قوله سبحانه: "فِطْرَةَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْديلَ لِخَلْقِ الله ذلِكَ الدّينُ القَيِّم"» [9]. و لعلّه يندرج فيه كلّ تغيير لخلق الله من دون إذن من الله،

١ـ البيضاوي ٢: ١١٧
٢ في «ب»: «ورد مقطوعاً»؛ وفي «ج»: «ورد».
٣ـ السدنة جمع سادن ـ بكسر الدال ـ: خادم الكعبة او بيت الصنم. القاموس المحيط ٤: ٢٣٥ (سدن)
٤ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ١١٢، عن أبي حمزة الثمالي في تفسيره.
٥ و ٦ـ المصدر: ١١٣، عن النبيّ ﷺ
٧ـ الكشاف ١: ٥٦٤
٨ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ١١٣، عن أبي عبدالله ﷺ
٩ـ المصدر، عن أبي عبدالله ﷺ والآية في سورة الروم (٣٠): ٣٠.

كفقئهم[1] عين الفحل الّذي طال مكثه عندهم و إعفائه عن الرّكوب، و خصاء العبيد و كلّ مثلة؛ ولا ينافيه التّفسير بالدّين والأمر، لأنّ ذلك كلّه داخل فيهما ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بأن يؤثر طاعته على طاعة الله ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ إذ ضيّع رأس ماله و بدّل مكانه من الجنّة بمكانه من النّار.

﴿يَعِدُهُمْ﴾ مالا ينجز ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ ما لا ينالون ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ وهو إظهار النّفع فيما فيه الضّرر. و هذا الوعد إمّا بالخواطر الفاسدة أو بلسان أوليائه.

ورد: لمّا نزلت هذه الآية: «وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ»[2]، صعد إبليس جبلاً بمكّة يقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته، فاجتمعوا إليه فقالوا: يا سيّدنا لِمَ دعوتنا؟ قال: نزلت هذه فمَنْ لها؟ قام عفريت من الشّياطين فقال: أنا لها بكذا و كذا. قال: لستَ لها. فقام آخر، فقال مثل ذلك، فقال: لست لها. فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها. قال: بماذا؟ قال: أعِدُهُم و أُمنّيهم حتّى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار. فقال: أنت لها. فوكّله بها إلى يوم القيامة»[3].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾: معدلاً و مهرباً.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾. تأكيد بليغ.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾. القمّي: ليس ما تتمنّون أنتم ولا أهل الكتاب، يعني أن لا تعذّبوا بأعمالكم[4]. ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ عاجلاً أو آجلاً.

ورد: «إنّ الله تعالى إذا كان من أمره أن يكرم عبداً و له ذنب ابتلاه بالسّقم، فإن لم يفعل

١ـ الفقء ـ بالهمزة ـ: الشقّ، يقال: فقأت عينه أي: شققتها. مجمع البحرين ١: ٣٣٢ (ص).
٢ـ آل عمران (٣): ١٣٥.
٣ـ الأمالي (للصدوق): ٣٧٦، الحديث ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ١٥٣، و فيه: «بأفعالكم».

ذلك به ابتلاه بالحاجة. فإن لم يفعل ذلك به شدّد عليه الموت، ليكافيه بذلك الذنب»[١].

﴿ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ ﴾ لنفسه ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾: من يواليه ﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ يدفع عنه العذاب.

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾: بعضها ﴿مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾ بنقص شيء من الثواب.

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾: أخلص نفسه له ﴿ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾: آت بالحسنات. و ورد: «الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»[٢].

﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ التي هي دين الإسلام والمتّفق على صحّتها. يعني اقتدى بدينه وبسيرته و طريقته ﴿حَنِيفٗا﴾: مايلاً عن سائر الأديان ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾.

قال: «لأنّه لم يُرد أحداً و لم يسأل أحداً قطّ غيرالله»[٣]. و في رواية: «لكثرة سجوده على الأرض»[٤]. و في أُخرى: «لكثرة صلاته على محمّد و أهل بيته»[٥]. و في أُخرى: «لإطعامه الطّعام و صلاته بالليل والنّاس نيام»[٦].

و في أُخرى: «إنّ الخليل مشتقّ من الخَلّة والخُلّة إنّما معناها الفقر والفاقة، فقد كان خليلاً إلى ربّه فقيراً، و إليه منقطعاً، و عن غيره متعفّفاً معرضاً مستغنياً؛ و ذلك انّه لمّا أُريد قذفه في النّار فرمي به في المنجنيق، فبعث الله إلى جبرئيل، فقال له: أدرك عبدي، فجاءه فلقيه في الهواء، فقال: كلّفني ما بدا لك، فقد بعثني الله لنصرتك. فقال: بل حسبي الله و نعم الوكيل، إنّي لا أسأل غيره ولا حاجة لي إلّا إليه، فسمّاه خليله أي: فقيره و محتاجه والمنقطع إليه عمّا سواه. قال: وإذا جُعل معنى ذلك من الخلّة، وهو أنّه

١ـ الكافي ٢: ٤٤٤، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ١١٦، عن النّبي صلى الله عليه وآله.
٣ـ علل الشّرايع ١: ٣٤، الباب ٣٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عن أبيه عليهما السّلام.
٤ـ المصدر، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٣، عن علي بن محمّد العسكري عليهما السّلام.
٦ـ المصدر، الحديث: ٤، عن النّبي صلى الله عليه وآله.

قد تخلّل معانيه، و وقف على أسرار لم يقف عليها غيره، كان معناه العالم به وبأموره، ولا يوجب ذلك تشبيه الله بخلقه، ألا ترون أنّه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله، وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله»[1].

أقول: لاتنافي بين هذه الأخبار لاشتراكها في معنى انقطاعه إلى الله واستغنائه عمّا سواه، وإنّه الموجب لخلّته إيّاه.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وأمراً، مُلكاً ومِلكاً[2]، فهو مستغن عن جميع خلقه، وجميع خلقه محتاجون إليه. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ علماً وقدرة.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾: ويسألونك الفتوى، أي: تبيين الحكم ﴿فِي النِّسَاءِ﴾: في ميراثهنّ. قال: «سُئل النبيّ ﷺ عن النساء، مالهنّ من الميراث؟ فأنزل الله الرّبع والثّمن»[3].

﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾: يبيّن لكم ماسألتم في شأنهنّ ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾: ويفتيكم أيضاً مايقرأ عليكم من القرآن ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ﴾: لاتعطونهنّ ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ من الميراث. قال: «كان أهل الجاهلية لايورّثون الصّغير ولا المرأة، وكانوا يقولون: لانورّث إلاّ مَن قاتل ودفع عن الحريم. فأنزل الله آيات الفرايض الّتي في أوّل السّورة، وهو معنى قوله: "لاتؤتونهنّ ماكُتب لهنّ"»[4] ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ عن نكاحهنّ. القمّي: إنّ الرّجل كان في حجره اليتيمة، فتكون دميمة[5] ساقطة، يعني حمقاء، فيرغب الرّجل أن يتزوّجها ولا يعطيها مالها، فينكحها غيره من أجل مالها ويمنعها النّكاح ويتربّص بها الموت ليرثها؛ فنهى الله عن ذلك[6].

١ـ الاحتجاج ١: ١٩، عن حسن بن عليّ العسكري، عن أبي عبدالله، عن النّبيّ عليهم السّلام.
٢ـ في «ب»: «ومُلكاً ومِلكاً».
٣ـ القمّي ١: ١٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١١٨، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت.
٥ـ الدّميمة: القبيحة المنظر، يقال: دمّ الرجل دَمامة: قبح منظره وصغُر جسمه. مجمع البحرين ٦: ٦٤ (دمم).
٦ القمّي ١: ١٥٤.

﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾: ويفتيكم في المستضعفين ﴿مِنَ الْوِلْدَانِ﴾: من الصّبيان الصّغار أن تعطوا حقوقهم، فإنّ فيما يتلى عليكم "وآتوا اليتامى أموالهم"[1] كما سبق[2]. ﴿وَأَنْ تَقُومُوا﴾: ويفتيكم في أن تقوموا ﴿لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾ في أنفسهم وفي أموالهم ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ في أمر النّساء واليتامى وغير ذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ وعد لمن آثر الخير في ذلك.

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا﴾: توقّعت لما ظهر لها من المخايل[3] ﴿نُشُوزًا﴾: تجافياً عنها، وترفّعاً عن صحبتها، وكراهة لها، ومنعاً لحقوقها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ بأن يقلّ مجالستها ومحادثتها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾. قال: «هي المرأة تكون عند الرّجل فيكرهها، فيقول لها: أريد أن أطلّقك، فتقول له: لا تفعل، إنّي أكره أن يشمت بي، ولكن أنظر في ليلتي فاصنع بها ما شئت، وما كان سوى ذلك من شيء فهو لك، ودعني على حالتي، قال: هذا هو الصّلح»[4]. ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة وسوء العشرة. ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾[5] لكونها مطبوعة عليه، فلا تكاد المرأة تسمح بإعراض الزّوج عنها وتقصيره في حقّها، ولا الرّجل يسمح بأن يمسكها ويقوم بحقّها على ما ينبغي إذا كرهها أو أحبّ غيرها. القمّي: وأحضرت الشّحّ، فمنها من اختاره، ومنها من لم تختره[6]. ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ في العشرة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النّشوز والإعراض ونقص الحقّ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ قال: «أن تسوّوا بينهنّ في المحبّة والمودّة

١ـ النّساء (٤): ٢.
٢ـ في تفسير الآية: ٢ من هذه السّورة.
٣ـ المخايل، جمع المخيلة، وهي ما يوقع في الخيال، يعني به الأمارات. وخلت الشيء خيلاً ومخيلة: ظننته. مجمع البحرين ٥: ٣٦٨ (خيل).
٤ـ الكافي ٦: ١٤٥، الحديث ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الشّحّ: البخل مع حرص، فهو أشدّ من البخل، لأنّ البخل في المال، وهو في مال ومعروف. مجمع البحرين ٢: ٣٧٩ (شحح).
٦ـ القمّي ١: ١٥٥، وفيه: «فمنها من اختاره ومنها من لم تختره» في الموضعين.

بالقلب»[١]. وفي رواية «التسوية في كلّ الأمور من جميع الوجوه»[٢]. ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ كلّ الحرص فإنّ ذلك ليس إليكم، ولا تملكونه ولا تكلّفونه ولا تؤاخذون به. روي: «إنّ النبيّ ﷺ كان يقسّم بين نسائه ويقول: اللّهمّ هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»[٣] ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي ليست ذات بعل ولا أيّما[٤]. ورد: «إنّ النبيّ ﷺ كان يقسّم بين نسائه في مرضه، فيطاف به بينهنّ، وإنّ عليّاً عليه السلام كان له امرأتان، فكان إذا كان يوم واحدة لا يتوضّأ في بيت الأخرى»[٥]. ﴿وَإِن تُصْلِحُوا﴾ ما تفسدون من أمورهنّ ﴿وَتَتَّقُوا﴾ فيما يستقبل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يغفر لكم ما مضى.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ﴾ ببدل أو سلو[٦]، ويرزقه من فضله ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لا يتعذّر عليه الإغناء بعد الفرقة والإيناس بعد الوحشة. ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾. قال: «في هذه الآية قد جمع الله ما يتواصى به المتواصون، من الأوّلين والآخرين، في خصلة واحدة، وهي التقوى، وفيه جماع كلّ عبادة صالحة، وبه وصل من وصل إلى الدرجات العلى»[٧]. ﴿وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لا يتضرّر

١ـ الكافي ٥: ٣٦٣، ذيل الحديث ١؛ والعياشي ١: ٢٧٩، الحديث ٢٨٥؛ والقمّي ١: ١٥٥؛ ومجمع البيان ٣ـ٤: ١٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام مع تفاوت.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٢١، عن الصادقين عليهما السلام.
٣ـ المصدر؛ والدرّ المنثور ٢: ٧١٢.
٤ـ الأيّم، فيما يتعارفه أهل اللسان: الذي لا زوج له، من الرجال والنساء. يقال: رجل أيّم، سواء كان تزوّج من قبل أو لم يتزوّج؛ وامرأة أيّم، أيضاً، بكراً كانت أو ثيّباً. وإنّما قيل للمرأة «أيّم» ولم يقل «أيمة»؛ لأنّ أكثر ذلك للنساء، فهو كالمستعار. مجمع البحرين ٦: ١٦ (أيم).
٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٢١، عن أبي جعفر، عن آبائه عليهم السلام.
٦ـ السلوة والسُّلوة: رخاء العيش. يقال: هو في سلوة من العيش، أي: في نعمة ورفاهية ورغد. مجمع البحرين ١: ٢٢٣؛ ولسان العرب ١٤: ٣٩٦ (سلا).
٧ـ مصباح الشريعة: ١٦٣، الباب: ٧٧، في الوصيّة، عن أبي عبدالله عليه السلام.

بكفرانكم وعصيانكم، كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم، وإنّما وصّاكم لرحمته لا لحاجته. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن الخلق وعبادتهم ﴿حَمِيدًا﴾ في ذاته، حُمِدَ أو لم يُحْمَدْ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ كلّ يدلّ بحاجته على غناه، وبما فيه من الوجود والكمال على كونه حميداً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: حافظاً للجميع، لا يعزب عنه مثقال ذرّة فيهما.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: يفنكم ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ مكانكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾. روي: «لمّا نزلت هذه الآية ضرب النبي ﷺ يده على ظهر سلمان ـ رضي الله عنه ـ وقال: هم قوم هذا، يعني عجم الفرس»[1].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ كمن يجاهد للغنيمة ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ فليطلب الثوابين جميعاً من عند الله تعالى، وما باله يكتفي بأخسّهما ويدع أشرفهما، على أنّه لو طلب الأشرف لم يخطئه الأخسّ. ورد: «من كانت الآخرة همّته، كفاه الله همّته[2] من الدنيا»[3]. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ عالماً بالأغراض، فيجازي كلاً بنيّته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾: مواظبين على العدل، مجتهدين في إقامته ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ بالحقّ، تقيمون شهاداتكم لوجه الله ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾. ولو كانت الشّهادة على أنفسكم بأن تقرّوا عليها ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ﴾ المشهود عليه أو المشهود له[4] ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ فلا تمتنعوا عن إقامة الشّهادة للغنيّ على الفقير، لاستغناء المشهود له وفقر المشهود عليه، ولا عن إقامة الشّهادة للفقير على

1. مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٢٢؛ والبيضاوي ٢: ١٢٢.
2. في «ب»: «همّه».
3. الخصال ١: ١٢٩، الباب ٣، الحديث ١٣٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «همّه» في الموضعين.
4. في «الف»: «المشهود أو المشهود عليه».

الغنيّ، تهاوناً بالفقير وتوقيراً للغنيّ، أو خشية منه، أو حشمة له ﴿فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾: بالغنيّ والفقير وانظر لهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ لأن تعدلوا عن الحقّ، من العدول؛ أو لأجل أن تعدلوا في الشهادة، من العدل نهى عن متابعة الهوى في إقامتها؛ كمراعاة صداقة، أو عداوة، أو وحشة، أو عصبيّة، أو غير ذلك. ﴿وَإِنْ تَلْوُوا﴾ قال: «تبدّلوا الشهادة»[١]. ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ قال: «تكتموها»[٢] وفي رواية: «إن تلووا الأمر، أو تعرضوا عمّا أُمرتم به»[٣]. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بألسنتهم وظاهرهم ﴿آمِنُوا﴾ بقلوبكم وباطنكم ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [يعني محمّد ﷺ][٤] ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ [أي: القرآن][٥] ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [أي: التوراة والإنجيل، أو الجنس][٦] ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يعني بشيء من ذلك ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ حتّى لم يبق فيهم من الإيمان شيء. قال: «نزلت في فلان وفلان وفلان آمنوا برسول الله ﷺ في أوّل الأمر، ثمّ كفروا حين عرضت عليهم الولاية، حيث قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، ثمّ آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام حيث قالوا له بأمر الله وأمر رسوله فبايعوه، ثمّ كفروا حيث مضى رسول الله ﷺ فلم يقرّوا بالبيعة، ثمّ ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعوه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء»[٧]. والقمّي: آمنوا إقراراً لا تصديقاً[٨].

١ و٢ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ٤٢١، الحديث: ٤٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤و٥و٦ ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٧ـ العيّاشي ١: ٢٨١، الحديث: ٢٨٩؛ والكافي ١: ٤٢٠، الحديث: ٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ القمّي ١: ١٥٦.

في الموضعين. وفي رواية: «نزلت في ابن أبي سرح[1]، الذي بعثه عثمان إلى مصر»[2].

﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ إلى الجنة لأنّ بصائرهم عميت عن الحقّ، فلا يتأتّى منهم الرّجوع إليه.

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وقد كتبها لأوليائه. القمّي: نزلت في بني أُميّة حيث حالفوا على أن لا يردّوا الأمر في بني هاشم[3].

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾: القرآن ﴿أَنْ﴾: أنّه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾. ورد في تفسيرها: «إذا سَمِعْتَ الرّجل يجحد الحقّ ويكذّب به ويقع[4] في أهله، فقم من عنده ولا تقاعده»[5]. ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ في الكفر، إن رضيتم به وإلاّ ففي الإثم، لقدرتكم على الإنكار أو الإعراض ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ﴾ القاعدين والمقعود معهم ﴿فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾: ينتظرون وقوع أمرٍ بكم ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾: مظاهرين لكم، فاسهموا لنا فيما غنمتم ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾

١ـ هو عبدالله بن سعد بن أبي سرح، أسلم قبل الفتح وهاجر إلى رسول الله ﷺ، وكان يكتب له، ثمّ ارتدّ مشركاً وصار إلى قريش بمكّة، فلمّا كان يوم فتح مكّة، أمر رسول الله ﷺ بقتله أينما وجد، حتّى لحق بأستار الكعبة، ففرّ إلى عثمان بن عفّان فغيّبه حتّى أتى به إلى رسول الله وأسلم ثانياً. وولاّه عثمان في زمانه مصر، سنة خمس وعشرين. وفتح إفريقيّة، فأعطاه عثمان جميع ما أفاء الله على المسلمين من فتح إفريقيّة بالمغرب. وهو أخو عثمان من الرّضاع. وأسوأ أحواله خاتمته، حيث شهد صفّين مع معاوية، على ما قيل. «راجع: تنقيح المقال ١: ٢٨١».

٢ـ العيّاشي ١: ٢٨٠، الحديث ٢٨٧، عن الصادقين عليهما السلام، وفيه: «عبدالله بن أبي سرح».

٣ـ القمّي ١: ١٥٦، وفيه: «حالفوا بينهم على أن ...».

٤ـ وقع في النّاس وقيعةً: اغتابهم. مجمع البحرين ٤: ٤٠٨ (وقع).

٥ـ الكافي ٢: ٣٧٧، الحديث ٨، عن أبي عبدالله ﷺ؛ والعيّاشي ١: ٢٨١، الحديث ٢٩٠، عن أبي الحسن الرّضا ﷺ.

من الحرب ﴿قَالُوٓاْ﴾ للكافرين ﴿أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ﴾: ألم نغلبكم ونتمكّن من قتلكم فأبقينا عليكم. والاستحواذ: الاستيلاء. ﴿وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾ بأن أخذلناهم عنكم، بتخييل ما ضعفت به قلوبهم، وتوانينا[1] في مظاهرتهم، وكنّا عيوناً لكم حتّى انصرفوا عنكم وغلبتموهم، فاشركونا فيما أصبتم. سُمّي ظفر المسلمين فتحاً وظفر الكافرين نصيباً، لخسّة حظّهم ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ بالحقّ ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾. قال: «يعني لن يجعل الله لكافر على مؤمن حجّة»[2].

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾. سبق تفسيره[3]. ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾: متثاقلين كالمكره على الفعل ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ ليخالوهم مؤمنين ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إذ المرائي لا يفعل إلّا بحضرة من يرائيه. ورد: «من ذكر الله في السرّ، فقد ذكر الله كثيراً، إنّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السرّ، فقال الله عزّ وجلّ: "يُراؤُنَ النّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إلاّ قَليلاً"»[4].

﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾: مردّدين بين الإيمان والكفر؛ من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطرباً، وأصله: الذبّ بمعنى الطرد. ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾: يظهرون الإيمان كما يظهره المؤمنون، ولكن لا يضمرونه كما يضمرون، ويضمرون الكفر كما يضمرونه[5] الكافرون، ولكن لا يظهرونه كما يظهرون. ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾: حجّة واضحة، فإنّ موالاة الكافرين دليل النفاق.

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾: في قعر جهنّم، فإنّ للنّار دركات

١ـ توانى في الأمر: ترفّق. مجمع البحرين ١: ٤٦٥ (ونا).
٢ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٠٤، الباب: ٤٦، ذيل الحديث: ٥.
٣ـ ذيل الآية ٩، من سورة البقرة.
٤ـ الكافي ٢: ٥٠١، الحديث: ٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ في «ب» و «ج»: «كما يضمره».

متداركة، بعضها تحت بعض، كما أنّ للجنّة درجات متدرّجة، بعضها فوق بعض ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ يخرجهم منه.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا ﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾: وثقوا به وتمسكوا بدينه ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾: لا يريدون بطاعتهم إلّا وجهه ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾.

﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قال: «لا يحبّ الله الشتم في الانتصار»[1] ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ قال: «فلا بأس له أن ينتصر ممّن[2] ظلمه، بما يجوز الانتصار به في الدّين»[3] ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾.

﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ﴾ مع قدرتكم على الانتقام، من دون جهر بالسّوء من القول؛ وهو المقصود ذكره، وما قبله تمهيد له، ولذا رتّب عليه قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ وهو حثّ للمظلوم على العفو، بعد ما رخّص له في الانتصار، حملاً على مكارم الأخلاق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾: ببعض الأنبياء ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ كاليهود والنّصارى ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: بين الإيمان والكفر ﴿سَبِيلًا﴾ إلى الضّلالة. القمّي: هم الذين أقرّوا برسول الله ﷺ وأنكروا بأمير المؤمنين عليه السلام[4].

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بل آمنوا بجميعهم

١ و٣. مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ في «الف»: أمر.
٤ ـ القمّي ١: ١٥٧.

﴿أُوْلَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾. روي: «إنّ كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود قالوا: يامحمّد! إن كنت نبيّاً، فائتنا بكتاب من السّماء جملة، كما أتىٰ موسى بالتّوراة جملة، فنزلت»[1]. ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ وهو تعنّتهم وسؤالهم المستحيل ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾: عبدوه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: المعجزات الباهرات ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ لسعة رحمتنا ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: حجة بيّنة تبين عن صدقه.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾: الجبل ﴿بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ ليقبلوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾ على لسان موسى ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾: باب حطّة ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾: لاتتجاوزوا في يوم السّبت ماأُبيح لكم إلى ماحرّم عليكم ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ يعني: فخالفوا ونقضوا، ففعلنا بهم مافعلنا بسبب نقضهم؛ و «ما» مزيدة للتأكيد ﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾: اوعية للعلوم اوفي اكنّة، كماسبق تفسيره[2]. ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ بعيسى ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ يعني: نسبتها إلى الزّنا. ورد: «إنّ رضا النّاس لايملك، وألسنتهم لاتضبط، ألم ينسبوا مريم ابنة عمران عليهما السّلام إلى أنّها حملت بعيسى من رجل نجّار اسمه يوسف»[3].

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ يعنون رسول الله بزعمه

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٣٣.
٢ـ ذيل الآية: ٨٨ من سورة البقرة.
٣ـ الأمالي (للصّدوق): ٩١، المجلس الثاني والعشرون، الحديث ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾. قيل: إنّما ذمّهم بما دلّ عليه الكلام من جرأتهم على الله، وقصدهم قتل نبيّه المؤيّد بالمعجزات القاهرة وبجحجحتهم[1] به، لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم[2]. وقد سبق ذكر هذه القصّة في آل عمران[3]. ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾. قيل: قال بعضهم: كان كاذباً فقتلناه حقّاً، وتردّد آخرون، فقال بعضهم: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا، وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا، وقال من سمع منه إنّ الله يرفعني إلى السّماء: رُفع إلى السّماء، وقال قوم: صُلب الناسوت وصعد اللاهوت[4]. ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾.

﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾. ردّ وإنكار لقتله. ورد: «إنّ لله بقاعاً في سمواته، فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به إليه، ألا تسمع الله يقول في قصّة عيسى بن مريم: ﴿بَلْ رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾»[5]. ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾.

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾. قال: «إنّه ينزل قبل يوم القيامة إلى الدّنيا، فلا يبقى أهل ملّة يهوديّ ولا غيره، إلّا آمن به قبل موته، ويصلّي خلف المهديّ عليه السلام»[6]. وفي رواية: «ليؤمننّ بمحمّد ﷺ قبل موت الكتابي»[7]. ورد: «ليس من أحد من جميع الأديان يموت إلّا رأى رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السّلام حقّاً، من الأوّلين والآخرين»[8]. ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾.

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ قال: «يعني لحوم الإبل

1 ـ جحجح: افتخر. المعجم الوسيط ١: ١٠٧ (جحجح). وفي «ب»: «بتبجحهم» وهي بمعناه.
2 ـ البيضاوي ٢: ١٢٧ ـ ١٢٨.
3 ـ ذيل الآيات ٣٥ إلى ٥٥.
4 ـ البيضاوي ٢: ١٢٨.
5 ـ من لا يحضره الفقيه ١: ١٢٧، ذيل الحديث: ٤؛ وعلل الشرايع ١: ١٣٣، الباب ١١٣، ذيل الحديث ١، عن علي بن الحسين عليهما السّلام.
6 ـ القمّي ١: ١٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
7 ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٣٧ ـ ١٣٨.
8 ـ العيّاشي ١: ٢٨٤، الحديث: ٣٠٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

والبقر والغنم[1] ﴿وبصدهم عن سبيل الله كثيرا﴾.

﴿وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما﴾.

﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلوة﴾. قيل: يعني ويؤمنون بالمقيمين، يعني الأنبياء[2]. وقيل: بل نصب بالمدح[3]. ﴿والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما﴾.

﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ قال: «إني أوحيت إليك، كما أوحيت إلى نوح والنبيين من بعده، مجمع له كل وحي»[4]. ورد: «أعطيت السور الطول مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمفصل ثمان وستون سورة»[5][6]. ﴿وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمن وآتينا داود زبورا﴾.

﴿ورسلا﴾: وأرسلنا رسلاً ﴿قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك﴾

١- الكافي ٥: ٣٠٦، الحديث: ٩؛ والعياشي ١: ٢٨٤، الحديث: ٣٠٤؛ والقمي ١: ١٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢و٣- مجمع البيان ٣-٤: ١٤٠؛ والتفسير الكبير ١١: ١٠٦؛ والبيضاوي ٢: ١٢٩.
٤- العياشي ١: ٢٨٥، الحديث: ٣٠٥، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام.
٥- الكافي ٢: ٦٠١، الحديث: ١٠، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيه: «الطوال» مكان «الطول».
٦- السبع الطول: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع التوبة؛ لأنهما تدعى القرينتين، ولذلك لم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم. وإنما سميت هذه السور الطول؛ لأنها أطول سور القرآن. وأما المثاني، فهي السورة التالية للسبع الطول، وأولها سورة يونس، وآخرها النحل. وإنما سميت مثاني؛ لأنها تثنى الطول، أي: تتلوها، فكان الطول هي المبادئ، والمثاني لها ثواني. وأما المئون، فهي كل سورة تكون نحواً من مائة آية، أو فويق ذلك، أو دوينه. وهي سبع أولها سورة بني إسرائيل وآخرها المؤمنون. وقيل: إن المثاني ما ولي السبع الطول، ثم المئون بعده، وهي التي تقصر عن المئين وتزيد على المفصل. وسميت مثاني؛ لأن المئين مبادٍ لها. وأما المفصل، فما بعد الحواميم من قصار السور إلى آخر القرآن، طوالها من سورة محمد إلى النبأ، ومتوسطاته منه إلى الضحى، وقصاره منه إلى آخر القرآن. وسميت مفصلاً؛ لكثرة الفصول بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم. راجع: مجمع البيان ١-٢: ١٤؛ ومرآة العقول ١٢: ٤٨١-٤٨٢.

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾. قال: «كان بين آدم ونوح من الأنبياء مستخفين ومستعلنين، ولذلك خفي ذكرهم في القرآن، فلم يسمّوا كما سمّي من استعلن من الأنبياء، وهو قول الله عزّوجلّ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ يعني: لم يسمّ المستخفين، كما سمّى المستعلنين من الأنبياء»[١].

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فيقولوا: لولا ارسلت إلينا رسولاً، فينبّهنا ويعلّمنا مالم نكن نعلم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾. قيل: لمّا نزلت ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ قالوا: مانشهد لك بهذا، فنزلت[٢]. ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ بانّك مستاهل له ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ أيضاً ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ وإن لم يشهد غيره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ لأنّهم قد جمعوا[٣] بين الضّلال والإضلال، ولأنّ المضلّ يكون أعرق في الضّلال وأبعد من الانقلاع عنه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ جمعوا بينهما ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾. ورد: «نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا: إنّ الذين كفروا وظلموا آل محمّد حقّهم»[٤]. والقمّي: إنّ الصّادق عليه السلام قرأها هكذا[٥].

١ـ كمال الدّين ١: ٢١٥، الباب: ٢٢، ذيل الحديث: ٢؛ والعيّاشي ١: ٢٨٥، الحديث: ٣٠٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ البيضاوي ٢: ١٣٠.
٣ـ في «ج»: «لأنّهم جمعوا».
٤ـ العيّاشي ١: ٢٨٥، الحديث: ٣٠٧؛ والكافي ١: ٤٢٤، الحديث: ٥٩، عن أبي جعفر عليه السلام. وفي الكافي «إنّ الّذين ظلموا آل محمّد حقّهم».
٥ـ القمّي ١: ١٥٩.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾. يكن الإيمان خيراً لكم ﴿وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾. غلت اليهود في حطّ عيسى، حتّى رموه بأنّه ولد لغير رِشْدَة[1]؛ والنّصارى في رفعه، حتّى اتّخذوه إلهاً. ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ يعني تنزيهه عن الشّريك والصّاحبة والولد ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ قال: «روح مخلوقة خلقها الله في آدم وعيسى»[2]. وفي رواية: «مخلوقان اختارهما[3] واصطفاهما»[4]. ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ الآلهة ثلاثة: الله، والمسيح، ومريم؛ كما يدلّ عليه قوله تعالى: «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ»[5]. ﴿انتَهُوا﴾ عن التّثليث ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾. يكن الانتهاء خيراً ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ وحدة حقيقيّة، لايتطرّق إليها نحو من أنحاء الكثرة والتّعدّد أصلاً ﴿سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾. تنبيه على غناه عن الولد، فإنّ الحاجة إليه ليكون وكيلاً لأبيه، والله سبحانه قائم بحفظ الأشياء، كافٍ في ذلك، مستغنٍ عمّن يخلفه أو يعينه.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ﴾: لن يأنف ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ لأنّ عبوديّة الله شرف يباهى به، وإنّما المذلّة في عبوديّة غيره. روي: «إنّ وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ: لِمَ تعيب صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى، قال: وأيّ شيء أقول؟ قالوا: تقول: إنّه عبدالله. قال: إنّه ليس بعارٍ أن يكون عبداً لله. قالوا: بلى. فنزلت»[6] ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ

1ـ يقال: هذا ولد رِشْدة إذا كان لنكاح صحيح، كما يقال في ضدّه: ولد زِنْيَة. النّهاية ٢: ٢٢٥ (رشد).
2ـ الكافي ١: ١٣٣، الحديث ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «هي روح الله مخلوقة...».
3ـ في «ب»: «خلقهما».
4ـ التّوحيد: ١٧٢، الباب ٢٧، الحديث ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
5ـ المائدة (٥): ١١٦.
6ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٤٦؛ والبيضاوي ٢: ١٣١.

﴿الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ وترفع[1] عنها. والاستكبار دون الاستنكاف؛ وإنّما يستعمل حيث لا استحقاق، بخلاف التكبّر، فإنّه قد يكون باستحقاق، كما هو في الله سبحانه. ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ قال: «البرهان: محمّد ﷺ، والنّور: عليّ عليه السلام، والصّراط المستقيم: عليّ عليه السلام»[2]. والقمّي: النّور: إمامة عليّ، والاعتصام: التّمسّك بولايته، وولاية الأئمّة عليهم السّلام بعده[3].

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: في الكلالة، كما يدلّ عليه الجواب، وقد سبق تفسيرها[4]. روي «إنّ جابر بن عبد الله كان مريضاً، فعاده رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ لي كلالة فكيف أصنع في مالي؟ فنزلت»[5]. ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ﴾ قال: «أخت لأمّ وأب أو أخت لأب»[6]. ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا﴾ أي والمرء يرث أخته جميع مالها إن كانت الأخت هي الميتة. ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ ولا والد، لأنّ الكلام في ميراث الكلالة، ولما ثبت أنّ الإخوة لا يرثون مع الأب ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ﴾ الضّمير لمن يرث بالأخوة. ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا﴾

---

١ - في «ح»: «يترفّع».
٢ - العيّاشي ١: ٢٨٥، الحديث ٣٠٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ - القمّي ١: ١٥٩.
٤ - ذيل الآية ١٢ من هذه السّورة.
٥ - البيضاوي ٢: ١٣٢؛ والدّرّ المنثور ٢: ٧٥٣.
٦ - الكافي ٧: ١٠١، الحديث ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾. قال: «إذا مات الرّجل وله أُخت، تأخذ نصف الميراث بالآية، كما تأخذ البنت لو كانت، والنّصف الباقي يردّ عليها بالرّحم، إذا لم يكن للميّت وارث أقرب منها؛ فإن كان موضع الأُخت أخ، أخذ الميراث كلّه بالآية، لقول الله تعالى "وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ" فإن كانتا[1] أُختين أخذتا الثّلثين بالآية، والثّلث الباقي بالرّحم؛ وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً "فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ" وذلك كلّه إذا لم يكن للميّت ولد وأبوان أو زوجة»[2]. ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾: كراهة أن تضلّوا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ قيل: هي آخر آية نزلت في الأحكام[3].

١ـ الكافي: «كانتا».
٢ـ القمّي ١: ١٥٩، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «إذا لم يكن للميّت ولد أو أبوان أو زوجة» وفي «الف»: «... ولد وأبوان وزوجة».
٣ـ البيضاوي ٢: ١٣٢؛ والكشّاف ١: ٥٨٩.

سورة المائدة

[مدنيّة، و هي مائة و عشرون آية] [1]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ قال: «أي: بالعهود» [2].

أقول. الإيفاء والوفاء بمعنًى. والعقد: العهد الموثّق، ويشمل هنا كلّ ما عقد الله على عباده وألزمه إيّاهم من الإيمان به، وبملائكته وكتبه و رسله وأوصياء رسله، وتحليل حلاله وتحريم حرامه، والإتيان بفرائضه و سننه، و رعاية حدوده و أوامره و نواهيه، وكلّ ما يعقده المؤمنون على أنفسهم لله وفيما بينهم من الأمانات والمعاملات الغير المحظورة.

وورد: «إنّ رسول الله ﷺ عقد عليهم لعليّ صلوات الله عليه بالخلافة في عشرة [3] مواطن، ثمّ أنزل الله "يا أيّها الّذين آمنوا أوفوا بالعقود" الّتي عقدت عليكم لأمير المؤمنين عليه السلام» [4].

١ـ الزّيادة من «ب».
٢ـ القمّي ١: ١٦٠؛ والعيّاشي ١: ٢٨٩، الحديث ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في «الف» و «ب»: «عشر مواطن».
٤ـ القمّي ١: ١٦٠، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام.

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾. قيل: أريد به الأزواج الثمانية[١]. و ورد في تفسيرها: «الجنين في بطن أمّه إذا أشعر و أوبر، فذكاته ذكاة أمّه. قال: فذلك الّذي عنى الله به»[٢]. وفي رواية: «وإن لم يكن تاماً فلاتأكله»[٣].

أقول: لعلّ هذا أحد معانيها، فلاينافي عمومها، مع أنّه نصّ في حلّ الأمّ.

سئل: عن أكل لحم الفيل والدّبّ والقرد فقال: «ليس هذا من "بهيمة الأنعام" الّتي تؤكل»[٤].

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه. ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾. قيل: يعني أحلّت لكم في حال امتناعكم من الصّيد وأنتم محرمون، لئلاّ يتحرّج عليكم[٥].

أقول: و هو لا ينافي عموم حلّها سائر الأحوال. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: لاتتهاونوا بحرمات الله ممّا جعله شعار الدّين وعلامته ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه. «نزلت حين أراد المسلمون قتل كافر باغ في أشهر الحرم». كذا ورد[٦]. ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾: ما أهدي إلى الكعبة ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾. ما قلّد به الهدي من نعل وغيره، ليعلم أنّه هدي فلايتعرّض له. ﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾: قاصدين لزيارته ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾: أن يثيبهم ويرضى عنهم. يعني لاتتعرّضوا لهم.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من إحرامكم ﴿فَاصْطَادُوا﴾ إن شئتم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: ولايحملنّكم ﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾: شدّة بغضهم وعداوتهم ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ

١ـ البيضاوي ٢: ١٣٣. والمراد بها: المعز والضّأن والبقر والإبل، ذكرها و أنثاها.

٢ـ الكافي ٦: ٢٣٤، الحديث: ١، عن أحدهما عليهما السّلام.

٣ـ المصدر، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ١: ٢٩٠، الحديث: ١٢، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن عليّ عليهم السّلام.

٥ـ جوامع الجامع ١: ٣٠٩؛ والكشّاف ١: ٥٩١.

٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٥٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والدّرّ المنثور ٣: ١٠.

﴿الْحَرَامِ﴾. لأن صدّوكم. يعني عام الحديبيّة. ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ بالانتقام ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾: على العفو والإغضاء ومتابعة الأمر ومجانبة الهوى ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ للتشفّي والانتقام ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾. بيان لما يتلى عليكم ﴿وَالدَّمُ﴾ أي: المسفوح منه، لقوله «أو دماً مسفوحاً»[١]. قيل: كانوا في الجاهليّة يصبّونه في الأمعاء ويشوونها[٢]. ﴿وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ وإن ذكّي. خصّه بالذكر دون الكلب و غيره، لاعتيادهم أكله دون غيره.

﴿وَمَا أُهِلَّ﴾: رفع الصوت ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ كقولهم: باسم اللّات والعزّى عند ذبحه. قال: «ما ذبح لصنم أو وثن أو شجر»[٣]. ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ قال. «الّتي انخنقت بأخناقها حتّى تموت»[٤]. ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ قال: «الّتي مرضت و وقذها[٥] المرض، لم يكن بها حركة»[٦]. وفي رواية: «كانوا يشدّون أرجلها و يضربونها حتّى تموت»[٧]. ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ قال: «الّتي تتردّى من مكان مرتفع إلى أسفل فتموت»[٨]. ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ قال: «الّتي تنطحها بهيمة أُخرى فتموت»[٩]. ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ منه فمات.

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾. قال: «يرجع إلى جميع ماتقدّم ذكره من المحرّمات سوى مالا يقبل الذكاة من الخنزير والدّم»[١٠] قال: «إنّ أدنى ما يُدْرَكُ به الذكاةُ أن يدركه و هو يحرّك أُذنه أو ذَنَبَه أو يطرف عينه»[١١]. وفي رواية: «إذا طرفت العين أو ركضت الرّجل أو تحرّكت

١ـ الأنعام (٦): ١٤٥

٢ـ البيضاوي ٢: ١٣٤. شَوَى الماء: أسخنه. «القاموس المحيط ٤: ٣٥٢»؛ وتاج العروس ١٠: ٢٠٤». شوى شيأ اللّحمَ: عرّضه لنار فنضج. المنجد في اللغة: ٤١٠ (شوى).

٣، ٤، ٦، ٨ و ٩ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢١٧، الحديث: ١٠٠٧، عن أبي جعفر الثاني ﷺ.

٥ـ الوَقْذُ في الأصل: الضرّب المُثْخِنُ والكسر. وَوَقَذها المرض أي: كسرها وضعّفها. النهاية ٥: ٢١٢ (وقذ).

٧ـ القمّي ١: ١٦١.

١٠ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ١٥٨، عن أمير المؤمنين ﷺ.

١١ـ المصدر: ١٥٧، عن الصادقين عليهما السّلام، و فيه: «أن تُدْرِكَه يتحرّكُ أُذُنُه أو ذَنَبُه أو تطرفُ عينه»

الذِّئبُ، فكُلْ منه فقد ادركت ذكاته»[1]. ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾. قال: «على حجر او صنم، إلاّ ما أُدرك ذكاته فيذكّى»[2]. ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾

قال: «كانوا في الجاهليّة يشترون بعيراً فيما بين عشرة أنفس ويستقسمون عليه بالقداح، وكانت عشرة؛ سبعة لها أنصباءُ وثلاثة لا أنصباءَ لها، ثمّ ذكر اسماء القداح ثمّ قال: فكانوا يُجيلون السّهام بين عشرة، فمن خرج باسمه سهم من الّتي لا انصباءَ لها ألزم ثلث ثمن البعير، فلايزالون كذلك حتّى تقع السّهام الثّلاثة الّتي لاانصباء لها إلى ثلاثة منهم، فيلزمونهم ثمن البعير، ثمّ ينحرونه ويأكله السبعة الّذين لم ينقدوا في ثمنه شيئاً، ولم يطعموا منه الثّلاثة الّذين انقدوا[3] ثمنه شيئاً. فلمّا جاء الإسلام حرّم الله ذلك فيما حرّم، فقال ـ عزّوجلّ ـ: "وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق" يعني حرام»[4].

﴿ٱلْيَوْمَ﴾: الآن ﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾: انقطع طمعهم من دينكم أن تتركوه، وترجعوا منه إلى الشّرك. القمّي: ذلك لمّا نزلت ولاية اميرالمؤمنين عليه السلام[5].

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ ان يظهروا على دين الإسلام ويردّوكم عن دينكم ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ إن خالفتم امري ان تحلّ بكم عقوبتي ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾. قال: «الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض، فانزل الله: "اليوم اكملت لكم دينكم" قال: [6] لا أُنزلُ بعد هذه فريضةً، قد اكملت لكم الفرائض»[7].

١ـ الكافي ٦: ٢٣٢، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢١٧، الحديث: ١٠٠٧، عن ابي جعفر الثاني عليه السلام.
٣ـ في «ب» و «ج»: «نقدوا».
٤ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢١٧ـ٢١٨، الحديث: ١٠٠٧، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ١٦٢.
٦ـ في المصدر: «قال ابو جعفر عليه السلام: يقول الله عزّوجلّ: لا أُنزل عليكم».
٧ـ الكافي ١: ٢٨٩، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

أقول: وإنّما أُكملت الفرائض بالولاية، لأنّ النّبيّ ﷺ أنهى[1] جميع ما استودعه الله من العلم إلى أمير المؤمنين ثمّ إلى ذرّيّته الأوصياء عليهم السّلام، واحداً بعد واحد، فلمّا أقامهم مقامه وتمكّن النّاس من الرّجوع إليهم في حلالهم وحرامهم، واستمرّ ذلك بقيام واحد مقام آخر إلى يوم القيامة، كمل الدّين وتمّت النّعمة. وقد ورد هذا المعنى بعينه عنهم عليهم السّلام[2]، والحمد لله على ذلك، وصلّى الله على محمّد وأهل بيته الأوصياء وسلّم.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾: متّصل بالمحرّمات، وما بينهما اعتراض، والمعنى: فمن اضطرّ إلى تناول شيء من هذه المحرّمات. ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾: مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾ قال: «غير متعمّد»[3]. ﴿لِإِثْمٍ﴾.

أقول: وذلك بأن يأكلها تلذّذاً أو مجاوزاً حدّ الرّخصة. وهذا كقوله سبحانه: «غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ» وقد سبق تفسيرهما في سورة البقرة[4].

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لا يؤاخذه بأكله.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾: ما لم تستخبثه الطّباع السّليمة ولم تتنفّر عنه ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ أي: صيدهنّ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: مؤدّبين لها، والمكلّب: مؤدّب الجوارح ومُغريها بالصّيد. قال: «هي الكلاب»[5]. قال: «فما خلا الكلاب فليس صيده بالّذي يؤكل إلّا أن يدرك ذكاته»[6]. ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾: ممّا ألهمكم من طرق التأديب ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

١ـ الإنهاء: الإبلاغ والإعلام. يقال: أنهيتُ الأمر إلى الحاكم: أعلمتُه به. مجمع البحرين ١: ٤٢٦ (نها).

٢ـ راجع: الكافي ١: ٢٩٠، الحديث: ٤؛ و٢٨٩، الحديث: ٤؛ و٢٢٢، الحديث: ٦؛ و٢٢٣، باب أنّ الأئمّة ورثوا علم النّبيّ وجميع الأنبياء والأوصياء الّذين من قبلهم.

٣ـ القمّي ١: ١٦٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤ـ في ذيل الآية: ١٧٣.

٥ـ الكافي ٦: ٢٠٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ المصدر: ٢٠٥، الحديث: ١٤؛ ومن لا يحضره الفقيه ٣: ٢٠١، الحديث: ٩١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

قال: «إن أرسله صاحبه وسمّى، فليأكل كلّ ما أمسك عليه وإن قتل، وإن أكل فكُلْ ما بقي»[١] وقال: «إذا أرسلت الكلب المعلّم فاذكر اسم الله عليه فهو ذكاته»[٢] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ قال: «إنّ المراد به الحبوب والبقول والفاكهة، غير الذبائح الّتي يذبحونها، فإنّهم لايذكرون اسم الله خالصاً على ذبايحهم»[٣]. وفي رواية: «الذّبيحة بالاسم ولايؤمن عليها إلّا أهل التّوحيد»[٤]. وفي أُخرى: «إذا شهدتموهم وقد سمّوا اسم الله فكلوا ذبايحهم، وإن لم تشهدوهم فلاتأكلوا، وإن أتاك رجل مسلم فاخبرك أنّهم سمّوا فكل»[٥].

وفي أُخرى: «لاتأكله ولا تتركه، تقول: إنّه حرام، ولكن تتركه تنزّهاً عنه، إنّ في آنيتهم الخمر ولحم الخنزير»[٦]. ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ فلاعليكم أن تطعموهم وتبيعوه منهم.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ يعني: وأحلّ لكم نكاح المحصنات، يعني: العفائف ﴿مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ قال: «هنّ المسلمات»[٧]. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قال: «هنّ العفائف»[٨] وورد: «إنّها منسوخة بقوله تعالى: "وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ"»[٩]. وفي رواية: «وبقوله: "وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ"»[١٠]. وفي أُخرى:

١ـ الكافي ٦: ٢٠٥، الحديث: ١٤؛ ومن لايحضره الفقيه ٣: ٢٠١، الحديث: ٣٩١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢و٣ـ القمّي ١: ١٦٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ٦: ٢٣٩، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام
٥ـ التهذيب ٩: ٦٩، الحديث: ٢٩٤، عن أبي جعفر عليه السلام
٦ـ الكافي ٦: ٢٦٤، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ٢٣٥، الحديث: ١٢؛ والبرهان ١: ٤٤٩، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام
٨ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٢٧٦، الحديث: ١٣١٣؛ والعيّاشي ١: ٢٩٦، الحديث: ٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام
٩ـ الكافي ٥: ٣٥٨، الحديث: ٨، عن أبي جعفر عليه السلام والآية في سورة الممتحنة (٦٠): ١٠.
١٠ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ١٦٢، عن أبي جعفر عليه السلام والآية في سورة البقرة (٢): ٢٢١.

«إنّها ناسخة لقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾»[1]. ويؤيّده ما ورد: «إنّ سورة المائدة آخر القرآن نزولاً، فاحلّوا حلالها وحرّموا حرامها»[2].

وورد: إنّه سئل عن الرّجل المؤمن يتزوّج النّصرانيّة واليهوديّة. قال: «إذا أصاب المسلمة فما يصنع باليهوديّة والنّصرانيّة. فقيل له: يكون له فيها الهوى، قال: فإن فعل فليمنعها من شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، واعلم أنّ عليه في دينه غضاضة»[3]. وفي رواية: «لا يتزوّج الرّجل اليهوديّة والنّصرانيّة على المسلمة، ويتزوّج المسلمة على اليهوديّة والنّصرانيّة»[4]. وفي أُخرى: «لا بأس أن يتمتّع الرّجل باليهوديّة والنّصرانيّة وعنده حرّة»[5] ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهنّ ﴿مُحْصِنِينَ﴾: أعفّاء بالنّكاح ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾: غير مجاهرين بالزّنا ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾: ولا مسرّين به. والخدن: الصّديق، يقع على الذّكر والأُنثى.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾. قال: «ترك العمل الّذي أقرّ به، من ذلك أن يترك الصّلاة من غير سقم ولا شغل»[6]. وفي رواية: «ترك العمل حتّى يدعه أجمع»[7]. وفي أُخرى: «الّذي لا يعمل بما أمر الله ولا يرضى به»[8]. ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

١ـ الكافي ٥: ٣٥٧، الحديث: ٦، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٢ـ الدّرّ المنثور ٣: ٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ الكافي ٥: ٣٥٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام. والغضاضة: الذّلّة والمنقصة. مجمع البحرين ٤: ٢١٨ (غضض).
٤ـ المصدر: ٣٥٧، الحديث: ٤ و٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ التّهذيب ٧: ٢٥٦، الحديث: ١١٠٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٢: ٣٨٤، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ١: ٢٩٧، الحديث: ٤٣، عن أحدهما عليهما السّلام.
٨ـ المصدر، الحديث: ٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال: «من النّوم»[١].

أقول: فوجوب الوضوء بغير حدث النّوم مستفاد من الأخبار، كوجوب الغسل بغير الجنابة.

﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ الوجه ما يواجه به. قال: «كلّ ما أحاط به الشّعر فليس على العباد أن يطلبوا ولا أن يبحثوا عنه ولكن يجري عليه الماء»[٢].

أقول: ولمّا كانت اليد تطلق على ما تحت الزّند وعلى ما تحت المرفق وعلى ما تحت المنكب؛ بيّن الله سبحانه غاية المغسول منها، فلا دلالة في الآية على ابتداء الغسل بالأصابع وانتهائه إلى المرافق؛ وكذلك القول في الأرجل، فإنّها تطلق على القدم وعلى ماتحت الرّكبة وعلى ما يشمل الفخذين، والمرفق مجمع عظمي الذّراع والعضد، والكعب عظم مائل إلى الاستدارة واقع في ملتقى السّاق والقدم، ويعبّر عنه بالمفصل لمجاورته له.

ورد: إنّه سئل: أين الكعبان؟ قال: «ههنا، يعني المفصل دون عظم السّاق»[٣] وسئل: بم علم أنّ المسح ببعض الرّأس وبعض الرّجلين؟ فأجاب: «لمكان الباء»[٤] يعني أنّها للتّبعيض. وسئل: "وأرجلكم" على الخفض هي أم على النّصب؟ فقال: «بل هي على الخفض»[٥]. وقال: «فإذا مسح بشيء من رأسه أو بشيء من قدميه ما بين الكعبين إلى أطراف الأصابع فقد أجزأه»[٦].

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾: فاغتسلوا. عطف على فاغسلوا، كقوله: "وَإِنْ

١ـ التّهذيب ١: ٧، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٨، الحديث: ٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ٣: ٢٦، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٣٠، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ التّهذيب ١: ٧٠ ـ ٧١، الحديث: ١٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الكافي ٣: ٢٦، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

كُنتُم مَّرْضَىٰ». قال: «تبدأ فتغسل كفّيك، ثمّ تفرغ بيمينك على شمالك فتغسل فرجك ومرافقك، ثمّ تمضمض واستنشق، ثمّ تغسل جسدك من لدن قرنك[1] إلى قدميك، ليس قبله ولا بعده وضوء، وكلّ شيء أمسسته الماء فقد أنقيته، ولو أنّ رجلاً ارتمس في الماء ارتماسة واحدة أجزأه ذلك وإن لم يدلك جسده»[2]. ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾. قد سبق تفسير هذه الآية في سورة النّساء[3].

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ بفرض الطّهارات ﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾: من ضيق ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الأحداث والذّنوب، فإنّ الطّهارة كفّارة للذّنوب، كما هي رافعة للأحداث ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ بهذا التّطهير ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾. قيل: يعني عند إسلامكم بأن تطيعوا الله فيما يفرضه عليكم.[4] و ورد: «إنّ المراد به ما بيّن لهم في حجّة الوداع، من تحريم المحرّمات وكيفيّة الطّهارة وفرض الولاية وغير ذلك»[5]. أقول: وهذا داخل في ذاك.

﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في إنساء نعمته ونقض ميثاقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بخفيّاتها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾. سبق تفسيره[6].

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: ولا يحملنّكم ﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾: شدّة عداوتهم و بغضهم ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا

١ ـ القرن: جانب الرّأس. مجمع البحرين ٦: ٣٠٠ (قرن)
٢ ـ التّهذيب ١: ١٤٨، الحديث: ٤٢٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ ذيل الآية: ٤٣.
٤ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٦٨.
٥ ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ في سورة النّساء ذيل الآية: ١٣٥.

تَعْدِلُواْ﴾ فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحلّ، كمثلة وقذف و قتل نساء وصبية ونقض عهد، تشفياً مما في قلوبكم ﴿ٱعْدِلُواْ﴾ في أوليائكم وأعدائكم ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ﴾: يبطشوا ﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والإهلاك ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾. القمّي: يعني أهل مكّة من قبل فتحها، فكفّ أيديهم بالصلح يوم الحديبية [1]. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾: كفيلاً أميناً شاهداً من كلّ سبط ينقّب عن أحوال قومه ويفتّش عنها ويعرف مناقبهم. ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: ونصرتموهم وقوّيتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

قيل: أُمروا بعد هلاك فرعون بأن يخرجوا إلى «أريحا» من أرض الشام ويجاهدوا مع ساكنيها من الجبابرة ويستقرّوا فيها، وأمر موسى بأن يأخذ من كلّ سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أُمروا به، فاختار النّقباء وأخذ الميثاق عليهم، فلمّا دنوا من أرضهم بعث النّقباء يتجسّسون فرأوا أجراماً عظاماً وقوّة، فرجعوا فأخبروا موسى بذلك فأمرهم أن يكتموا ذلك، فحدّثوا بذلك قومهم، إلاّ كالب بن يوفنّا من سبط يهودا ويوشع

1ـ القمّي ١: ١٦٣.

بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النقباء [١]

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾: طردناهم من رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾: لاتنفعل عن الآيات والنذر ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا﴾: تركوا نصيباً وافراً ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾: خيانة او فرقة خائنة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ لم يخونوا ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. القمّي: منسوخة بقوله: "اُقْتُلُوا الْمُشْرِكِين" [٢]

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كنعت محمّد ﷺ وآية الرّجم في التّوراة وبشارة عيسى بأحمد في الانجيل ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ مّا تخفونه لايخبر به ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾: طرق السّلامة من العذاب ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: انواع الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الإسلام ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته وتوفيقه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: فمن يمنع من قدرته وإرادته شيئاً ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾: اشباع [٣] ابنيه. عزيز ومسيح

١ـ الكشّاف ١: ٥٩٩؛ ومجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٧١
٢ـ القمّي ١: ١٦٤ والآية في سورة التّوبة (٩): ٥.
٣ـ في «ب»: «أتباع»

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ في الدّنيا بالقتل والأسر والمسخ، وفي الآخرة بالنّار أيّاماً معدودة كما زعمتم ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ يعاملكم معاملة ساير النّاس ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ ما يحتاج إلى البيان ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾: على فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي ﴿أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾: كراهة أن تقولوا ذلك وتعتذروا به ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ فلاتعتذروا.

قال: «إنّ الأمم تجحد تادية رسالات رسلهم وتقول: "ما جاءنا من بشير ولا نذير"، والرّسل يستشهدون نبيّنا صلوات الله عليهم، فيقول نبيّنا لكلّ أمّة: "بلى قد جاءكم بشير ونذير"»[1]. ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال: «أي مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرّسل إليكم رسالاتهم»[2].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ من فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المنّ والسّلوى وغير ذلك.

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ قال: «يعني الشّام»[3]. ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أن تكون مسكناً لكم. ورد: «إنّهم لم يدخلوها حتّى حرّمها عليهم وعلى أبنائهم، وإنّما دخلها أبناء الأبناء»[4]. وفي رواية: «كتبها لهم ثمّ محاها»[5]. ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾: ولا ترجعوا مدبرين ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ثواب الدّارين.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾: شديدي البطش والبأس والخلق، لايتأتّى

١ و٢ ـ الاحتجاج ١: ٣٦٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ ـ العيّاشي ١: ٣٠٦، ذيل الحديث ٧٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ المصدر: ٣٠٤، الحديث ٧٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ المصدر: ٣٠٤، الحديث ٦٩، عن الصادقين عليهما السلام.

لنا مقاومتهم ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾.

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ قال: «هما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهما ابنا عمّه»[1]. ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾. يخافون الله ويتقونه ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالإيمان والتثبيت ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾: باب قريتهم، أي: باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الإصحار ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ لتعسّر الكرّ عليهم في المضائق من عظم أجسامهم، ولأنّهم أجسام لاقلوب فيها. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ في نصرته على الجبّارين ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ به وبوعده.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾. قالوها استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ لايدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: يسيرون فيها متحيّرين لايرون طريقاً ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ لأنّهم أحقّاء بذلك لفسقهم. قال: «فإذا كان العشاء وأخذوا في الرّحيل نادوا: الرّحيل الرّحيل، الوحا الوحا[2]، فلم يزالوا كذلك حتّى تغيب الشّمس، حتّى إذا ارتحلوا واستوت بهم الأرض قال الله تعالى للأرض: ديري بهم فلا يزالون[3] كذلك، حتّى إذا أسحروا وقارب الصّبح قالوا: إنّ هذا الماء قد أتيتموه فانزلوا، فإذا أصبحوا إذا أبيتهم[4] ومنازلهم الّتي كانوا فيها بالأمس، فيقول بعضهم لبعض: يا قوم لقد ضللتم

١ ـ العيّاشي ١: ٣٠٣، الحديث ٦٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ ـ الوَحا الوحا ـ بالمدّ والقصر ـ أي: السّرعة السّرعة، وهو منصوب بفعل مضمر. مجمع البحرين ١: ٤٣٢ (وحا).

٣ ـ في «ب»: «فلم يزالوا»، وفي «ج» والعيّاشي: «فلا يزالوا».

٤ ـ في جميع النُّسخ: «أبنيتهم»، ولعلّ الأصحّ ما أثبتناه كما في المصدر. تاه يتيه تيهاً: إذا تحيّر وضلّ. النّهاية ١: ٢٠٣ (تيه).

واخطاتم الطّريق، فلم يزالوا كذلك حتّى اذن اللّه لهم فدخلوها، وقد كان كتبها لهم»[١]

وورد. «مات هرون قبل موسى وماتا جميعاً في التّيه»[٢].

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾: قابيل وهابيل ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بالصّدق ﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾ القربان: ما يتقرّب به إلى الله من ذبيحة أو غيرها ﴿فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا﴾ لأنّه رضي بحكم اللّه واخلص النّيّة لله وعمد إلى أحسن ما عنده، وهو هابيل ﴿وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ﴾ لأنّه سخط حكم اللّه ولم يخلص النّيّة في قربانه وقصد إلى اخسّ ما عنده، وهو قابيل ﴿قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ﴾. توعّده بالقتل، لفرط حسده له على تقبّل قربانه. ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ يعني إنّما اتيت من قبل نفسك بترك التّقوى لا من قبلي. فيه إشارة إلى انّ الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره، ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظاً لا في إزالة حظّه، فإنّ ذلك ممّا يضرّه ولا ينفعه، وانّ الطّاعة لاتقبل إلاّ من مؤمن تقيّ.

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾. ان ترجع ﴿بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. لعلّ غرضه بالذّات ان لايكون ذلك له، لا ان يكون لاخيه. ورد: «من قتل مؤمناً اثبت اللّه على قاتله جميع الذّنوب، وبرىء المقتول منها، وذلك قول الله عزّ وجلّ: "إنّي أريد ان تبوأ" الآية»[٣].

﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ﴾: اتّسعت ﴿نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ ديناً ودنيا، إذ بقي مدّة عمره مطروداً محزوناً نادماً. قال: «إنّ الله اوحى إلى آدم ان يدفع الوصيّة واسم الله الأعظم إلى هابيل وكان قابيل أكبر، فبلغ ذلك قابيل فغضب فقال. انا أولى

١ ـ العيّاشي ١: ٣٠٥، الحديث: ٧٤؛ والبحار ١٣: ١٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام

٢ ـ القمّي ٢: ١٣٧، عن أبي جعفر عليه السلام، ذيل الآية: ١٣ من سورة القصص

٣ ـ ثواب الأعمال: ٥٥٥، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه «من قتل مؤمناً متعمّداً»

بالكرامة والوصيّة، فأمرهما أن يقرّبا قرباناً بوحي من الله إليه، ففعلا، فتقبّل الله قربان هابيل فحسده قابيل فقتله»[1]. وفي رواية: «إنّ عدوّ الله إبليس قال لقابيل: إنّه قد تقبّل قربان هابيل ولم يتقبّل قربانك، فإن تركته يكون له عقب يفتخرون على عقبك، فقتله قابيل»[2] وورد: «فلم يدر كيف يقتله حتّى جاء إبليس فعلّمه فقال: ضع رأسه بين حجرين ثمّ اشدخه»[3].

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ على قتله.
قال: «فلمّا قتله لم يدر ما يصنع به. فجاء غرابان فاقتتلا حتّى قتل أحدهما صاحبه ثمّ حفر الذي بقي الأرض بمخالبه ودفن فيها[4] صاحبه. قال قابيل: "ياويلتى" الآية، فحفر له حفيرة فدفنه فيها، فصارت سنّة يدفنون الموتى»[5].

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾. القمّي: لفظ الآية خاصّ في بني إسرائيل ومعناها جار في النّاس كلّهم.[6] ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يوجب الاقتصاص ﴿أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أو بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ لهتكه حرمة الدّماء وتسنينه سنّة القتل وتجرئته النّاس عليه. قال: «واد في جهنّم لو قتل النّاس جميعاً كان فيه ولو قتل نفساً واحدة كان فيه»[7].

١ـ العيّاشي ١: ٣١٢، الحديث ٨٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٢ـ كمال الدين ١: ٢١٣، الباب ٢٢، الحديث ٢، عن أبي جعفر ﷺ.
٣ـ القمّي ١: ١٦٥، عن السّجاد ﷺ. والشّدخ: الكسر في الشيء الأجوف، يقال: شدخت رأسه: كسرته. مجمع البحرين ٢: ٤٣٥ (شدخ).
٤ـ في جميع النسخ: «فيه».
٥ـ القمّي ١: ١٦٥، عن السّجاد ﷺ. والمخالب جمع مخلب بمنزلة الظفر للإنسان. مجمع البحرين ٢: ٥٣ (خلب).
٦ـ القمّي ١: ١٦٧.
٧ـ العيّاشي ١: ٣١٣، الحديث: ٨٦، عن أبي عبدالله ﷺ.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾: ومن تسبّب لبقاء حياتها بعفو أو منع من القتل أو استنقاذ من بعض أسباب الهلاك، فكأنّما فعل ذلك بالنّاس جميعاً. قال: «من أنقذها من حرق أو غرق. قيل: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى قال: ذاك تأويلها الأعظم»[١]. وفي رواية: «من أخرجها من ضلال إلى هدىً فكأنّما أحياها، ومن أخرجها من هدىً إلى ضلالٍ فقد قتلها»[٢]. ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بعد ما كتبنا عليهم هذا التّشديد الوكيد كي يتحاموا عن أمثال هذه الجنايات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: مجاوزون عن الحقّ. قال: «المسرفون هم الذين يستحلّون المحارم ويسفكون الدّماء»[٣].

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾: ذلّ وفضيحة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لعظم ذنوبهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

«قدم قوم من بني ضبّة على رسول الله ﷺ مرضى، فبعثهم إلى إبل الصّدقة يشربون من أبوالها ويأكلون من ألبانها، فلمّا برأوا واشتدّوا قتلوا ثلاثة ممّن كان في الإبل وساقوا الإبل. فبعث إليهم عليّاً ؑ فأسرهم، فنزلت. فاختار رسول الله ﷺ القطع، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف». كذا ورد.[٤] سئل: عن هذه الآية. فقال: «ذلك إلى الامام يفعل به ما شاء. قيل: فمفوّض ذلك إليه؟ قال: لا ولكن نحو

١ ـ الكافي ٢: ٢١١، الحديث: ٢، عن أبي جعفر ؑ.
٢ ـ الكافي ٢: ٢١٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ؑ.
٣ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ١٨٧، عن أبي جعفر ؑ.
٤ ـ الكافي ٧: ٢٤٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ؑ.

الجناية»[١]

وفي رواية: «من قطع الطّريق فقتل وأخذ المال، قطّعت يده و رجله وصلب، ومن قطع الطّريق فقتل ولم يأخذ المال، قتل. ومن قطع الطّريق وأخذ المال ولم يقتل، قطّعت يده و رجله. ومن قطع الطّريق و لم يأخذ مالاً و لم يقتل، نفي من الأرض»[٢]. وسئل: كيف ينفى؟ فقال: «ينفى من المصر الّذي فعل فيه ما فعل إلى مصر آخر غيره، ويكتب إلى أهل ذلك المصر بأنّه منفيّ، فلا تجالسوه ولا تبايعوه ولا تناكحوه ولا تؤاكلوه ولاتشاربوه، فيفعل ذلك به سنة، فإن خرج من ذلك المصر إلى غيره كتب إليهم بمثل ذلك حتّى تتمّ السّنة»[٣]. وفي رواية: «إنّ معنى نفي المحارب إيداعه الحبس»[٤]. وفي أخرى: «أن يقذف في البحر ليكون عدلاً للقتل والصّلب»[٥]. و ورد: «من حمل السّلاح باللّيل فهو محارب إلاّ أن يكون رجلاً ليس من أهل الرّيبة»[٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾: ما تتوسّلون به إلى ثوابه والزّلفى منه. القمّي: تقرّبوا إليه بالإمام[٧]. و ورد: «الأئمّة هم الوسيلة إلى اللّه»[٨] وفي رواية: «إنّها أعلى درجة في الجنّة»[٩] ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ بمحاربة أعدائه الظّاهرة والباطنة ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بالوصول إلى اللّه والفوز بكرامته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من صنوف الأموال ﴿جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ

١ـ الكافي ٧: ٢٤٦، الحديث ٥، عن أبي عبداللّه عليه السلام.
٢ـ المصدر: ٢٤٧، الحديث: ١١، عن أبي عبداللّه عليه السلام.
٣ـ المصدر: الحديث: ٨، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٣١٥، الحديث: ٩١، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام.
٥ـ الكافي ٧: ٢٤٧، حديث ١٠، عن أبي عبداللّه عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٦ـ المصدر: ٢٤٦، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ القمّي ١: ١٦٨.
٨ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٥٨، الباب ٣١، الحديث ٢١٧، عن النّبي صلّى اللّه عليه وآله.
٩ـ الكافي ٨: ٢٤، ذيل خطبة الوسيلة، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ﴾ انفسهم ﴿مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ قال «إنّهم أعداء علي عليه السلام»[1].

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾. سئل. في كم يقطع السّارق؟ قال: «في ربع دينار»[2]. قال: «وتقطع الاربع أصابع ويترك الإبهام، يعتمد عليها في الصّلاة، ويمسح بها وجهه للصّلاة»[3]. و «إذا قطعت الرّجل ترك العقب، لم يقطع»[4]. وفي رواية: «إذا سرق قطعت يمينه، فإذا سرق مرّة أُخرى قطعت رجله اليسرى، ثمّ إذا سرق مرّة أُخرى سجن وترك رجله اليمنى، يمشي عليها إلى الحائط؛ ويده اليسرى، يأكل بها ويستنجي بها»[5]. ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾. عقوبة منه ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾.

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾: بعد سرقته ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ امره بردّ المال والتفصّي عن التّبعات ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾. قال: «في رجل سرق او شرب الخمر او زنى، فلم يعلم ذلك منه، ولم يؤخذ، حتّى تاب و صلح وعرف منه امر جميل، لم يقم عليه الحدّ»[6]. وفي رواية. «من أخذ سارقاً فعفا عنه، فذاك له؛ فإذا رفع إلى الإمام قطعه. فإن قال الّذي سرق منه: أنا أهب له، لم يدعه الإمام حتّى يقطعه. قال: وذلك قول اللّه تعالى "والحافظون لحدود الله"[7] فإذا انتهى الحدّ إلى الإمام، فليس لاحد أن

١ـ العيّاشي ١: ٣١٧، الحديث: ١٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام و ١٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام
٢ـ الكافي ٧: ٢٢٢، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام
٣ـ المصدر: ٢٢٥، الحديث: ١٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر: ٢٢٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام
٥ـ المصدر: ٢٢٣، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام
٦ـ المصدر: ٢٥٠، الحديث: ١، عن أحدهما عليهما السّلام، وفيه «ولم يؤخذ حتى تاب وصلح؟ فقال: إذا صلح وعرف منه امر جميل، لم يقم عليه الحدّ».
٧ـ التّوبة (٩): ١١٢.

بتركه»[1]

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: في إظهاره إذا وجدوا منه فرصة ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني المنافقين

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي، قائلون له، أو سمّاعون كلامك ليكذبوا عليك ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾: لجمع آخر من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾: لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبّراً أو إفراطاً في البغضاء، يعني: مصغون لهم، قائلون كلامهم؛ أو سمّاعون منك لأجلهم وللإنهاء إليهم. ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها، بتغييره وحمله على غير المراد وإجرائه في غير مورده أو إهماله. ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾: إن أوتيتم هذا المحرّف، فاقبلوه واعملوا به ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم محمّد بخلافه ﴿فَاحْذَرُوا﴾ قبول ما أفتاكم به.

القمّي: نزلت في عبد الله بن أُبيّ، حيث مشت إليه بنو النّضير فقالوا: سل محمّداً أن لاينقض شرطنا في هذا الحكم الّذي بيننا وبين بني قُرَيْظَة في القتل؛ وكان شرطهم مخالفاً للتّوراة. فقال ابن أُبيّ: ابعثوا رجلاً يسمع كلامي وكلامه، فإن حكم لكم بما تريدون، وإلّا فلاترضوا به.[2] هذا ملخّص القصّة. ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾: اختباره ليفصح ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يعني في دفعها ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: هوان بإلزام الجزية على اليهود، وإجلاء بني النّضير منهم، وإظهار كذبهم في كتمان الحقّ، وظهور كفر

١ ـ الكافي ٧: ٢٥١، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ القمّي ١: ١٦٨ ـ ١٦٩.

المنافقين، وخوفهم جميعاً عن المؤمنين. ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهو الخلود في النّار.

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾. كرّره تاكيداً. ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ اي الحرام؛ من سَحَتَهُ إذا استأصله لانّه مسحوت البركة. قال: «هو الرّشا في الحكم»[1]. وفي رواية: «ثمن الميتة، وثمن الكلب، وثمن الخمر، ومهر البغي، والرّشوة، وأجر الكاهن»[2]. وفي أخرى: «و للسّحت انواع كثيرة»[3] ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ تخيير[4] له ﷺ. قال: «إنّ الحاكم إذا اتاه اهل التّوراة و اهل الإنجيل يتحاكمون إليه، إن شاء حكم بينهم وإن شاء تركهم»[5]. ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾. تعجيب من تحكيمهم من لايؤمنون به، والحال انّ الحكم منصوص عليه في الكتاب الّذي عندهم، وفيه تنبيه على انّهم ماقصدوا بالتّحكيم معرفة الحقّ و إقامة الشّرع، و إنّما طلبوا به ما يكون اهون عليهم و إن لم يكن حكم الله في زعمهم. ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بكتابهم، لإعراضهم عنه اولاً، و عمّا يوافقه ثانياً.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى﴾: بيان للحقّ ﴿وَنُورٌ﴾ يكشف ما اشتبه من الاحكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾. انقادوا لله. قيل: وصفهم بالإسلام لانّه دين الله[6]

١ـ الكافي ٧: ٤٠٩، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله ﷺ.
٢ـ الكافي ٥: ١٢٧، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله ﷺ، وفيه: «والرشوة في الحكم».
٣ـ المصدر: ١٢٦، الحديث: ١، عن ابي جعفر ﷺ.
٤ـ في «الف» و «ج»: «تخيّر».
٥ـ التّهذيب ٦: ٣٠٠، الحديث: ٨٣٩، عن ابي جعفر ﷺ.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ١٩٨.

﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ يحكمون لهم ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾: ويحكم بها الربّانيّون والأحبار قال: «الربّانيّون هم الأئمّة دون الأنبياء، الّذين يربّون النّاس بعلمهم، والأحبار هم العلماء دون الربّانيّين»[1]

﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ قال: «ولم يقل بما حمّلوا منه»[2] وفي رواية: «فينا نزلت»[3].

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾. نهي للحكّام أن يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾: ولا تستبدلوا بأحكامي الّتي أنزلتها ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من رشوة أو جاه ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. قال: «من حكم بدرهمين بحكم جور، ثمّ جبر عليه كان من أهل هذه الآية»[4].

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾: وفرضنا على اليهود ﴿فِيهَا﴾: في التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ يعني: تقتل بها ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾. تفقأ بها ﴿وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾. تجدع بها ﴿وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾: تصلم بها ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾: تقلع بها ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾. ذات قصاص ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾: بالقصاص، أي. عفي عنه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ قال: «يكفّر عنه من ذنوبه بقدر ما عفا من جراح و غيره»[5]. وفي رواية: «ما عفا عن العمد»[6]. ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾: واتبعنا على آثار النبيّين الّذين أسلموا ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ

١ و ٢ ـ العيّاشي ١: ٣٢٣، ذيل الحديث ١١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت يسير
٣ ـ المصدر: ٣٢٢، الحديث ١١٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ الكافي ٧: ٤٠٨، الحديث: ٣، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وفيه: «في درهمين».
٥ ـ المصدر: ٣٥٨، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ من لا يحضره الفقيه ٤: ٨٠، الحديث ٢٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام

وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ اي: القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: ورقيباً على سائر الكتب، يحفظه عن التغيير ويشهد له بالصحّة والثبات ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ اي: إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً﴾: شريعة. وهي الطريقة إلى الماء، شبّه بها الدّين، لأنّه طريق إلى ما هو سبب الحياة الابديّة. ﴿وَمِنْهَاجًا﴾: وطريقاً واضحاً. قال: «الشّرعة والمنهج: سبيل وسنّة؛ وأمر كلّ نبيّ بالأخذ بالسّبيل والسّنّة. وكان من السّبيل والسّنّة الّتي أمر الله بهما موسى، ان جعل عليهم السّبت»[1].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: جماعة متّفقة، على دين واحد ﴿وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من الشّرائع المختلفة المناسبة لكلّ عصر، هل تعملون بها، مصدّقين بوجود الحكمة في اختلافها ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: فابتدروها انتهازاً للفرصة، وحيازةً لقصب السّبق والتّقدّم ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾. وعد ووعيد للمبادرين والمقصّرين. ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بالجزاء الفاصل بين المحقّ، والمبطل، والمبادر، والمقصّر.

﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾. قال: «إنّما كرّر الامر بالحكم بينهم، لأنّهما حكمان امر بهما جميعاً؛ لانّهم احتكموا إليه في زنا المحصن، ثمّ احتكموا إليه في قتل كان بينهم»[2]. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾. يصرفوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾. فيه تنبيه على انّ

١ـ الكافي ٢: ٢٩، الحديث ١، عن ابي جعفر عليه السلام.

٢ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٠٤، عن ابي جعفر عليه السلام، وفيه: «في قتيل كان بينهم».

لهم ذنوباً كثيرة، والتولّي عن حكم الله مع عظمته واحد منها ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾. تسلية للنّبيّ ﷺ عن امتناع القوم من الإقرار بنبوّته؛ بأنّ أهل الإيمان قليل.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾. إنكار على تولّيهم عن حكم الله. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي، هذا الاستفهام لقوم يوقنون، وأنّهم يعلمون ذلك. قال: «الحكم حكمان، حكم الله، وحكم الجاهليّة؛ فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهليّة»[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾: لا تعتمدوا على الاستنصار بهم، متودّدين إليهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في العون والنّصرة، ويدهم واحدة عليكم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: من استنصر بهم فهو كافر مثلهم.

ورد: «من تولّى آل محمّد، وقدّمهم على جميع النّاس بما قدّمهم من قرابة رسول الله ﷺ، فهو من آل محمّد بمنزلة آل محمّد، لأنّه من القوم بأعيانهم وإنّما هو منهم بتولّيه إليهم واتّباعه إيّاهم وكذلك حكم الله في كتابه: "ومن يتولّهم منكم فإنّه منهم"»[2]. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: الّذين ظلموا أنفسهم، والمؤمنين بموالاة الكفّار.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كابن أُبيّ وأصرابه ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾: في موالاتهم ومعاونتهم ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾: يعتذرون بأنّهم يخافون أن تصيبهم دائرة من الدّوائر، بأن ينقلب الأمر ويكون الدّولة للكفّار. روي، «أنّ عبادة بن الصّامت قال لرسول الله ﷺ: إنّ لي موالي من اليهود كثيراً عددهم، وإنّي أبرء إلى الله

١ـ الكافي ٧: ٤٠٧، الحديث ١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٢ـ العيّاشي ٢: ٢٣١، الحديث ٣٤، عن أبي عبدالله ﷺ، وفيه: «بتولّيه» بدل: «بمنزلة»

ورسوله من ولايتهم وأُوالي الله ورسوله. فقال ابن أُبَيّ إنّي رجل أخاف الدّوائر، لا أبرء من ولاية مواليّ، فنزلت[1] ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ لرسوله ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ فيه إعزاز المؤمنين، وإذلال المشركين، وظهور الإسلام. ﴿فَيُصْبِحُوا﴾ أي: هؤلاء المنافقون ﴿عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ من النّفاق والشّكّ في أمر الرّسول ﴿نَادِمِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أغلظ أيمانهم ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ تعجّباً من حال المنافقين وتبجّحاً بما منّ الله عليهم من الإخلاص ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ إمّا من جملة[2] المقول أو من قول الله، وفيه معنى التّعجّب كأنّه قيل: ما أحبط أعمالهم! ما أخسرهم!

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ جوابه محذوف، يعني: فلن يضرّ دين الله شيئاً، فإنّ الله لا يخلّي دينه من أنصار يحمونه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾: يحبّهم الله ويحبّونه. قد سبق معنى المحبّة من الله ومن العباد[3] ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: رحماء عليهم، من الذّلّ الّذي هو اللّين، لا من الذّلّ الّذي هو الهوان. ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: غلاظ شداد عليهم، من عزّه إذا غلبه. ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بالقتال لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه.

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ فيما يأتون من الجهاد والطّاعة. قال: «هم أمير المؤمنين وأصحابه، حين قاتل من قاتله من النّاكثين والقاسطين والمارقين»[4] وقال عليه السلام يوم البصرة: «والله ما قوتل أهل هذه الآية حتّى اليوم وتلاها»[5] والقمّي: نزلت في مهديّ الأمّة

١ـ البيضاوي ٢: ١٥٤.
٢ـ في «ب»: «من جهة».
٣ـ في سورة آل عمران، ذيل الآية: ٣١.
٤ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٠٨، عن الصّادقين عليهما السلام.
٥ـ المصدر، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وأصحابه.[1] ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: جواد ﴿عَلِيمٌ﴾ بموضع جوده وعطائه.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. قال في تفسيرها: «يعني أولى بكم أي: أحقّ بكم وبأموركم من أنفسكم وأموالكم، "الله ورسوله والّذين آمنوا" يعني عليّاً وأولاده الأئمّة عليهم السّلام إلى يوم القيامة ثمّ وصفهم الله عزّ وجلّ، فقال: "الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون". وكان أمير المؤمنين عليه السلام في صلاة الظّهر، وقد صلّى ركعتين، وهو راكع، وعليه حلّة قيمتها ألف دينار، وكان النّبيّ صلّى الله عليه وآله أعطاه، وكان النّجاشيّ أهداها له. فجاء سائل فقال: السّلام عليك يا وليّ الله وأولى بالمؤمنين من أنفسهم، تصدّق على مسكين. فطرح الحلّة إليه، وأومى بيده إليه أن احملها. فأنزل الله عزّ وجلّ فيه هذه الآية، وصيّر نعمة أولاده بنعمته. فكلّ من بلغ من أولاده مبلغ الإمامة يكون بهذه النّعمة مثله، فيتصدّقون وهم راكعون. والسّائل الّذي سأل أمير المؤمنين من الملائكة، والّذين يسألون الأئمّة من أولاده يكونون من الملائكة».[2]

وفي رواية: «إنّه عليه السلام ناول السّائل الخاتم من إصبعه».[3] كما يأتي؛ وهي أشهر، وقد روته العامّة أيضاً.[4] ولعلّه عليه السلام تصدّق في ركوعه مرّة بالحلّة، وأُخرى بالخاتم، والآية نزلت بعد الثّانية، فإنّ "يؤتون" يشعر بالتّكرار والتّجدّد، كما أنّه يشعر بفعل أولاده أيضاً.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾: فإنّهم

١ ـ القمّي ١: ١٧٠.
٢ ـ الكافي ١: ٢٨٨، الحديث ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ الخصال ٢: ٥٨٠، ذيل الحديث ١، عن أمير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٤ ـ راجع الدرّ المنثور ٣: ١٠٦؛ والكشّاف ١: ٦٢٤؛ والبيضاوي ٢: ١٥٦؛ وإحقاق الحقّ ٢: ٣٩٩ و ٣: ٥٠٢؛ والغدير ١: ٢٦٤.

الغالبون. وضع الظّاهر موضع المضمر، تنبيهاً على البرهان عليه، وكأنّه قيل: فإنّهم حزب الله وإنّ حزب الله هم الغالبون، وتنويهاً بذكرهم، وتعظيماً لشأنهم، وتشريفاً لهم بهذا الاسم، وتعريضاً بمن يوالي غير هؤلاء بأنّه حزب الشّيطان. وأصل الحزب: القوم، يجتمعون لأمر حزبهم.

ورد: «إنّ رهطاً من اليهود أسلموا، فقالوا: يا نبيّ الله إنّ موسى أوصى إلى يوشع ابن نون، فمن وصيّك يا رسول الله، ومن وليّنا بعدك؟ فنزلت هذه الآية: "إنّما وليّكم الله" قال رسول الله ﷺ: قوموا. فقاموا فأتوا المسجد، فإذاً سائل خارج. فقال: يا سائل أما أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم، هذا الخاتم. قال: من أعطاكه؟ قال: أعطانيه ذلك الرّجل الّذي يصلّي. قال: على أيّ حال أعطاك؟ قال: كان راكعاً. فكبّر النّبيّ ﷺ وكبّر أهل المسجد. فقال النّبيّ ﷺ: عليّ بن أبي طالب وليّكم بعدي. قالوا: رضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد نبيّاً، وبعليّ بن أبي طالب وليّاً. فأنزل الله تعالى: "ومن يتولّ الله" الآية»[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا﴾: تنكرون منّا وتعيبون ﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن أمر الله، طلباً للرّياسة وحسداً على منزلة النّبوّة.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾ المنقوم؟ يعني: إن كان ذلك شرّاً عندكم فأنا أخبركم بشرّ منه. ﴿مَثُوبَةً﴾: جزاءً ثابتاً ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾. والمثوبة مختصّة بالخير، كالعقوبة

1. الأمالي (للصدوق): ١٠٨، المجلس السّادس والعشرون، الحديث: ٤، عن أبي جعفر ﷺ.

بالشرّ؛ وضعت موضعها، كما في: "بَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"[1]. ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾: مسخهم ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ ومن عبد الطّاغوت وهو الشّيطان. قيل: هم أصحاب العجل، كما أنّ القردة والخنازير أصحاب السّبت والمائدة[2]. ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾. أُريد بالتّفضيل مطلق الزّيادة.

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾: يخرجون من عندك كما دخلوا، لا يؤثّر فيهم ما سمعوا منك. القمّي: نزلت في ابن أُبي[3]. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ من الكفر.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾: المعصية ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: تعدّي حدود الله ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾: الحرام، كالرّشوة ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَوْلَا﴾: هلّا ﴿يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾: علماؤهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾ كالكذب وكلمة الشّرك، مثل قولهم: "عزير ابن الله"[4] ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. قال: «إنّما هلك من كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي، ولم ينهاهم الرّبّانيّون والأحبار عن ذلك»[5].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾. قال: «قالوا: قد فرغ من الأمر، فلا يزيد ولا ينقص»[6] وفي رواية: «فليس يُحدث شيئاً. قال: ألم تسمع الله

١ـ آل عمران (٣): ٢١.
٢ـ الكشّاف ١: ٦٢٦.
٣ـ القمّي ١: ١٧٠.
٤ـ التّوبة (٩): ٣٠.
٥ـ الكافي ٥: ٥٧، الحديث ٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «لم ينههم».
٦ـ معاني الأخبار: ١٨، الحديث: ١٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

يقول. «يمحو الله ما يشاء ويثبت»[١]. وقيل: غلّ اليد كناية عن البخل، وبسطها عن الجود.[٢] ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾. دعاء عليهم ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾. القمّي: اي: يقدّم ويؤخّر ويزيد وينقص وله البداء والمشيّة[٣].

اقول: لعلّ تثنية اليد إشارة إلى تقابل اسمائه سبحانه، وكناية عن غاية الجود؛ فإنّ الجواد في الغاية إنّما يعطي بيديه جميعاً.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾: على طغيانهم وكفرهم، كما يزداد المريض مرضاً من تناول غذاء الاصحّاء.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فكلماتهم مختلفة، وقلوبهم شتّى، فلا تقع بينهم موافقة. ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾: كلمّا ارادوا محاربةً غُلبوا. ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾: للفساد بمخالفة امر الله، والاجتهاد في محو ذكر الرّسول من كتبهم ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾. قال: «فإنّ الإسلام يجبّ ما قبله»[٤] وإن جلّ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ بإقامة احكامهما وإذاعة ما فيهما ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ قال: «يعني: الولاية»[٥]. ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾: لوسّع عليهم ارزاقهم، وأُفيض عليهم بركات من السّماء والارض. القمّي: من فوقهم

١ـ عيون اخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٨٢، الباب ١٣، الحديث ١٠. والآية في سورة الرّعد (١٣): ٣٩.

٢ـ راجع: البيضاوي ٢: ١٥٩.

٣ـ القمّي ١: ١٧١.

٤ـ راجع: عوالي اللئالي ٢: ٥٤ و ٢٢٤؛ و الجامع الصّغير (للسّيوطي) ١: ١٢٣؛ و كنز العمّال ١: ٦٦ و ٧٥؛ و مسند احمد بن حنبل ٤: ١٩٩، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.

٥ـ العيّاشي ١: ٣٣٠، الحديث: ١٤٩؛ والكافي ١: ٤١٣، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

المطر ومن تحت أرجلهم النبات.[١] ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ قد دخلوا في الإسلام ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ حيث أقاموا على الجحود والكفر. فيه معنى التعجّب، أي: ما أسوء عملهم!

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال: «في عليّ»[٢]. كذا نزلت. ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾: إن تركت تبليغ ما أُنزل إليك في ولاية عليّ وكتمته، كنت كأنّك لم تبلّغ شيئاً من رسالات ربّك. ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾: يمنعك من أن ينالوك بسوء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

وقال في حديث: «ثمّ نزلت الولاية وإنّما أتاه ذلك يوم الجمعة بعرفة، أنزل الله تعالى: "اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي"[٣]. وكان كمال الدّين بولاية عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ. فقال عند ذلك رسول الله ﷺ: أُمّتي حديثوا عهد بالجاهليّة، ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمّي، يقول قائل، ويقول قائل. فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني. فأتتني عزيمة من الله بَتْلَةً[٤] أوعدني إن لم أُبلّغ أن يعذّبني. فنزلت: "يا أيّها الرّسول" الآية. فأخذ رسول الله ﷺ بيد عليّ عليه السلام فقال: يا أيها النّاس إنّه لم يكن نبيّ من الأنبياء ممّن كان قبلي إلّا وقد عمّره الله ثمّ دعاه فأجابه، فأوشك أن أُدعى فأُجيب، وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ فقالوا: نشهد إنّك قد بلّغت، ونصحت، وأدّيت ما عليك، فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين فقال: اللّهمّ اشهد ـ ثلاث مرّات ـ ثمّ قال: يا معشر المسلمين هذا وليّكم من بعدي فليبلّغ

١ ـ القمّي ١: ١٧١.
٢ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٢٣؛ والعيّاشي ١: ٣٣٢؛ والقمّي ١: ١٧١؛ وشواهد التنزيل ١: ١٨٨؛ والدّرّ المنثور ٣: ١١٧؛ والتنزيل ١: ٢١٦.
٣ ـ المائدة (٥): ٣.
٤ ـ بتلة: مقطوعة، من البتل وهو القطع. ومنه قوله: طلّقها بتّة بتلة. مجمع البحرين ٥: ٣١٦ (بتل).

الشّاهد منكم الغائب»[1] الحديث.

وفي رواية «فخرج رسول الله ﷺ من مكّة، يريد المدينة حتّى نزل منزلاً يقال له «غدير خمّ»، وقد علّم النّاس مناسكهم وأوعز إليهم وصيّته إذا نزل عليه هذه الآية: «يا أيّها الرّسول». فقام رسول الله فقال: تهديد ووعيد. فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: يا أيّها النّاس، هل تعلمون من وليّكم؟ قالوا: نعم، الله ورسوله. قال: ألستم تعلمون أنّي أولى بكم منكم بأنفسكم؟ قالوا: بلى. قال: اللّهمّ اشهد، فأعاد ذلك عليهم ثلاثاً، كلّ ذلك يقول مثل قوله الأوّل، ويقول النّاس كذلك، ويقول: اللّهمّ اشهد؛ ثمّ أخذ بيد أمير المؤمنين عليه السلام فرفعها حتّى بدا للنّاس بياض إبطيهما، ثمّ قال: ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحبّ من أحبّه، ثمّ قال: اللّهمّ اشهد عليهم وأنا من الشّاهدين»[2]. وروت العامّة عن ابن عبّاس وجابر بن عبدالله: «إنّ الله أمر نبيّه أن ينصب عليّاً للنّاس، ويخبرهم بولايته، فتخوّف عليه السلام[3] أن يقولوا: حابى[4] ابن عمّه، وأن يشقّ ذلك على جماعة من أصحابه، فنزلت هذه الآية، فأخذ بيده يوم غدير خمّ وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه»[5]. وقرئ.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: على دين يعتدّ به ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ بالتّصديق لما فيهما من البشارة بمحمّد ﷺ والإذعان لحكمه ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم

١ـ الكافي ١: ٢٩٠ ـ ٢٩١، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ١٧٣ ـ ١٧٤.
٣ـ في «ب»: «فتخوّف عليهم».
٤ـ حابى الرّجل حباءً: نصره واختصّه ومال إليه. «لسان العرب ١٤: ١٦٣ ـ حبا». وفي «ب»: «حامى» ـ بالميم ـ والأنسب ما أثبتناه كما في المصدر.
٥ـ جوامع الجامع ١: ٣٤٢ عن جابر بن عبدالله. والظّاهر أنّ قوله «وقرئ» زائد هنا لا معنى له، أو حذفت الجملة الّتي كانت بعده فإنّها في المصدر هكذا: «وقرئ: فما بلّغت رسالاته».

﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ قال: «هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام»[1] ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: فلاتتأسّف عليهم، فإنّ ضرر ذلك يرجع إليهم، لايتخطّاهم؛ وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ﴾ [منهم][2] ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. سبق تفسيرها في سورة البقرة[3].

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بالتّوحيد والنّبوّة والولاية ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ ليذكّروهم، وليبيّنوا لهم أمر دينهم، ويقفوهم على الاوامر والنّواهي ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ﴾ من التكاليف ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾. حكى الحال الماضية استحضاراً لها، واستفظاعاً للقتل، وتنبيهاً على أنّ ذلك ديدنهم ماضياً ومستقبلاً، ومحافظةً على رؤوس الآي.

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: أن لايصيبهم من الله بلاء وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم ﴿فَعَمُوا﴾ عن الدّين ﴿وَصَمُّوا﴾ عن استماع الحقّ ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ كرّة أُخرى ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾. قال: «"وحسبوا ألّا تكون فتنة"، حيث كان النّبيّ بين أظهرهم، "فعموا وصمّوا" حيث قبض رسول الله ﷺ "ثمّ تاب الله عليهم"، حيث قام أمير المؤمنين عليه السلام "ثمّ عموا وصمّوا" إلى السّاعة»[4].

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ

١ـ العيّاشي ١: ٣٣٤، الحديث: ١٥٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الزّيادة من: «ب» و «ج».
٣ـ في ذيل الآية ٦٢.
٤ـ الكافي ٨: ٢٠٠، الحديث: ٢٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾. وضع الظاهر موضع المضمر، تسجيلاً على أن الشرك ظلم.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾. قيل: القائلون بذلك جمهور النصارى، يقولون: ثلاثة أقانيم جوهر واحد؛ أب وابن و روح القدس إله واحد، ولا يقولون ثلاثة آلهة ويمنعون من هذه العبارة، وإن كان يلزمهم ذلك، لأنهم يقولون. الابن إله والأب إله و روح القدس إله؛ والابن ليس هو الأب[1] و ورد: «أمّا المسيح فعصوه عظموه في أنفسهم حتّى زعموا أنّه إله وأنّه ابن الله؛ وطائفة منهم قالوا: ثالث ثلاثة؛ وطائفة منهم قالوا: هو الله»[2] ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ و هو الله وحده لاشريك له ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾: من دام على كفره ولم يقلع عنه ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾. فيه تعجيب من إصرارهم. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فإن أحيا الله الموتى على يده فقد أحيا العصا على يد موسى وجعلها حيّة تسعى، وهو أعجب؛ وإن خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأمّ، وهو أغرب. ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾: صدّقت بكلمات ربّها وكتبه ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ قال: «معناه أنّهما كانا يتغوّطان»[3]. وفي رواية: «يعني أنّ من أكل الطّعام كان له ثقل، ومن كان له ثقل فهو بعيد ممّا ادّعته النصارى لابن مريم»[4]. ﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يصرفون عن استماع الحقّ وتأمّله و "ثمّ" لتفاوت ما بين العجبين؛ يعني أنّ بياننا

١ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٢٨.
٢ـ القمّي ١: ٢٨٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٢٠١، الباب: ٤٦، ذيل الحديث: ١.
٤ـ الاحتجاج ١: ٣٧٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

للآيات عجيب، وإعراضهم عنها أعجب.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقولون ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يعتقدون.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ غلوّاً باطلاً ولاترفعوا عيسى من حدّ النّبوّة إلى حدّ الألوهية ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾ هم أئمّتهم في النّصرانيّة الّذين كانوا في الضّلال قبل مبعث النّبيّ ﷺ ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ ممّن تابعهم على التّثليث ﴿وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ لمّا بعث رسول الله ﷺ حين كذّبوه وبغوا عليه.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ قال: «أمّا داود فإنّه لعن أهل أيلة[1] لمّا اعتدوا في سبتهم، وكان اعتداؤهم في زمانه، فقال: اللّهمّ ألبسهم اللّعنة مثل الرّداء ومثل المنطقة[2] على الحقوين فمسخهم الله قردة. وأمّا عيسى فإنّه لعن الّذين أنزلت عليهم المائدة ثمّ كفروا بعد ذلك[3]. فقال عيسى ﷺ: اللّهمّ عذّب من كفر بعدما أكل من المائدة عذاباً لاتعذّبه أحداً من العالمين، والعنهم كما لعنت أصحاب السّبت. فصاروا خنازير، وكانوا خمسة آلاف رجل»[4]. وفي رواية: «الخنازير على لسان داود، والقردة على لسان عيسى»[5]. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾: لا ينهى بعضهم بعضاً عن المنكر أو لا ينتهون عنه ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. القمّي: كانوا يأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمور

١ـ أيلة ـ بالفتح ـ مدينة على ساحل بحر القلزم ممّا يلي الشّام. معجم البلدان ١: ٢٩٢.
٢ـ المنطقة: ما يشدّ به الوسط، وشقّة تلبسها المرأة وتشدّ وسطها ثمّ ترسل أعلاها على أسفلها إلى الرّكبة والأسفل إلى الأرض. «مجمع البحرين ٥: ٢٣٩. نطق» والحقو: موضع شدّ الإزار، وهو الخاصرة، ثمّ توسّعوا حتّى سمّوا الإزار الّذي يشدّ على العورة. مجمع البحرين ١: ١٠٥ (حقا).
٣ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٣١، عن أبي جعفر ﷺ.
٤ـ جوامع الجامع ١: ٣٤٦.
٥ـ الكافي ٨: ٢٠٠، الخبيث: ٢٤٠، عن أبي عبدالله ﷺ.

ويأتون النّساء أيّام حيضهنّ[١]. و ورد: «لمّا وقع التّقصير في بني إسرائيل، جعل الرّجل منهم يرى أخاه في الذّنب فينهاه فلا ينتهي، فلايمنعه ذلك من أن يكون أكيله وجليسه وشريبه، حتّى ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ونزل فيهم القرآن حيث يقول: "لعن الّذين كفروا" الآية»[٢].

وفي رواية: «أما إنّهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم ولايجلسون مجالسهم ولكن كانوا إذا لقوهم أنِسُوا بهم»[٣]. وفي أُخرى: «سئل عن قوم من الشّيعة، يدخلون في أعمال السّلطان، ويعملون لهم ويَجْبُون لهم[٤]، ويوالونهم. قال: ليس هم من الشّيعة ولكنّهم من أُولئك ثمّ قرأ: "لعن الّذين كفروا" الآية»[٥].

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يوالونهم ويصادقونهم ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: لبئس زادهم إلى الآخرة ﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾. قال: «يتولّون الملوك الجبّارين، ويزيّنون لهم أهواءهم ليصيبوا من دنياهم»[٦].

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ فإنّ الإيمان يمنع ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن دينهم.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ لشدّة

١ـ القمّي ١: ١٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ ثواب الأعمال: ٣١١، عن أبي عبدالله، عن أمير المؤمنين عليهما السّلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٣٣٥، الحديث: ١٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «إذا لقوهم ضحكوا في وجوههم وأنسوا بهم».
٤ـ في المصدر: «ويجبونهم». يقال: جَبَيْتُ الخراج جِبَايَةً وجَبَوْتُهُ جِبَاوَةً: جمعته. مجمع البحرين ١: ٨٠ (جبا).
٥ـ القمّي ١: ١٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

شكيمتهم[1]، وتضاعف كفرهم، وانهماكهم في اتّباع الهوى، وركونهم إلى التّقليد، وبعدهم عن التّحقيق، وتمرّنهم على تكذيب الأنبياء، ومعاداتهم إيّاهم. ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ للين جانبهم، ورقّة قلوبهم، وقلّة حرصهم على الدّنيا، وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾: رؤساء في الدّين والعلم ﴿وَرُهْبَانًا﴾: عبّاداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن قبول الحقّ إذا فهموه ويتواضعون.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّٰهِدِينَ﴾: من الّذين شهدوا بأنّه حقّ. قال: «أولئك كانوا بين عيسى ومحمّد، ينتظرون مجيء محمّد»[2].

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّٰلِحِينَ﴾. استفهام إنكار واستبعاد.

﴿فَأَثَٰبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ عن اعتقاد وإخلاص، كما دلّ عليه قوله: "ممّا عرفوا من الحقّ" والقول إذا اقترن بالمعرفة، كمل الإيمان. ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

القمّي: إنّ النّجاشي ملكَ الحبشة بعث إلى رسول الله ﷺ ثلاثين رجلاً من القسّيسين، فقال لهم: أنظروا إلى كلامه، وإلى مقعده، ومشربه، ومصلّاه. فلمّا وافوا المدينة، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، وقرأ عليهم القرآن. "إذْ قالَ اللّهُ يٰا عيسَى بْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتي عَلَيْكَ وَعَلىٰ وٰالِدَتِكَ" إلى قوله "سِحْرٌ مُبينٌ"[3]

١ـ يقال: فلان شديد الشّكيمة: إذا كان لا ينقاد لأحد، لما فيه من الصّلابة والصّعوبة على العدوّ وغيره. مجمع البحرين ٦: ٩٩ (شكم).

٢ـ العيّاشي ١: ٣٣٦، ذيل الحديث: ١٦٢، عن أبي عبدالله ؏.

٣ـ المائدة (٥): ١١٠. في كلّ النّسخ وكذا المصدر: «وإذْ قالَ اللّهُ» بزيادة «و» وهو زائد ليس في القرآن.

فلمّا سمعوا ذلك من رسول الله، بكوا و آمنوا و رجعوا إلى النّجاشي، و أخبروا خبر رسول الله، و قرأوا عليه ما قرأ عليهم، فبكى النّجاشي، وبكى القسّيسون وأسلم النّجاشي، ولم يظهر للحبشة إسلامه، وخافهم على نفسه، وخرج من بلاد الحبشة، يريد النّبيّ ﷺ، فلمّا عبر البحر توفّي. فأنزل الله على رسوله "لتجدنّ أشدّ النّاس" إلى قوله "وذلك جزاء المحسنين"[١].

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا ﴾: لا تمنعوا أنفسكم ﴿ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾: ما طاب منه و لذّ ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ عمّا حدّ الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾.

﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾: مباحاً لذيذاً ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾. قال: «نزلت في أمير المؤمنين ﷺ وبلال و عثمان بن مظعون؛ فأمّا أمير المؤمنين فحلف أن لاينام باللّيل أبداً، وأمّا بلال فإنّه حلف أن لا يفطر بالنّهار أبداً، وأمّا عثمان بن مظعون فإنّه حلف أن لاينكح أبداً. فدخلت امرأة عثمان على عايشة، وكانت امرأة جميلة. فقالت عايشة: مالي أراك متعطّلة؟ فقالت: و لمن أتزيّن؟ فوالله ما قربني زوجي منذ كذا و كذا، فإنّه قد ترهّب، ولبس المسوح[٢]، وزهد في الدّنيا. فلمّا دخل رسول الله ﷺ أخبرته عايشة بذلك. فخرج فنادى: الصّلاة جامعة، فاجتمع النّاس، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: ما بال أقوام يحرّمون على أنفسهم الطّيّبات؟ إنّي أنام باللّيل، وأنكح، وأفطر بالنّهار؛ فمن رغب عن سنّتي فليس منّي. فقام هؤلاء فقالوا: يا رسول الله، فقد حلفنا على ذلك، فأنزل الله: "لايؤاخذكم الله" الآية»[٣].

أقول: ليس في مثل هذا الخطاب والعتاب بأس على صاحبه، نظيره قوله سبحانه.

١ـ القمّي ١: ١٧٩.

٢ـ المسوح جمع المِسح: البلاس، وهو كساء معروف. مجمع البحرين ٢: ٤١٤ (مسح).

٣ـ القمّي ١: ١٧٩، عن أبي عبدالله ﷺ.

«يا أيها النّبي لم تحرّم ما أحلّ الله لك»[1] الآيتين. وقد ورد: «القرآن كلّه تقريع، وباطنه تقريب»[2].

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: بما يبدو من غير قصد. قال: «هو قول الرّجل: لا والله وبلى والله ولا يعقد على شيء»[3]. ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾: بما وثّقتم الايمان عليه، بالقصد والنيّة؛ يعني: إذا حنثتم ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾. قال: «الأوسط: الخلّ والزّيت، والتّمر، والخبز، تشبعهم به مرّة واحدة؛ والكسوة: ثوب واحد»[4] وفي رواية: «الثوب يواري به عورته»[5]. وفي أُخرى: «مُدّ من حنطة لكلّ مسكين، والكسوة: ثوبان»[6].

أقول: ينبغي حمله على ما إذا أشبعه المُدّ وعلى ما إذا لم يواره الواحد.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ قال: «إذا لم يكن عنده فضل عن قوت عياله، فهو ممّن لا يجد»[7].

﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ قال: «متتابعات لا يفصل بينهنّ»[8]. ﴿ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ أي: حلفتم وحنثتم ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ عن بذلها لكلّ أمر، وعن الحنث بعد الوقوع، وعن ترك التّكفير مع الحنث ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

ورد: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فأتى ذلك، فهو كفّارة يمينه»[9]. وقال:

١ـ التّحريم (٦٦): ١.
٢ـ معاني الأخبار: ٢٣٢، باب معنى قول الأنبياء، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٣ـ الكافي ٧: ٤٤٣، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٤ـ المصدر: ٤٥٤، الحديث: ١٤، عن أبي جعفر ﷺ.
٥ـ المصدر: ٤٥٣، الحديث: ٤و٦، عن أبي جعفر ﷺ.
٦ـ المصدر: ٤٥٢، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ـ المصدر: ٤٥٢، الحديث: ٢، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام.
٨ـ الكافي ٤: ١٤٠، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله ﷺ.
٩ـ الكافي ٧: ٤٤٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله ﷺ.

«لا يمين لولد مع والده ولا للمرأة مع زوجها»[1].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾. قال: «لمّا نزلت، قيل: يا رسول الله ما الميسر؟ فقال. كلّ ما تقومر عليه، حتّى الكعاب والجوز. قيل: فما الانصاب؟ قال: ما ذبحوا لآلهتم. قيل: فما الازلام؟ قال: قداحهم التي يستقسمون بها»[2].

وورد: «إنّ أوّل ما نزل في تحريم الخمر قوله تعالى: "يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا"[3]. فلمّا نزلت هذه الآية، احسّ القوم بتحريمها، علموا انّ الإثم ممّا ينبغي اجتنابه، ولا يحمل الله عليهم من كلّ طريق، لأنّه قال: "ومنافع للنّاس". ثمّ انزل الله آية أُخرى: "إنّما الخمر والميسر" الآية فكانت هذه الآية اشدّ من الأولى واغلظ في التّحريم، ثمّ ثلّث بآية أُخرى، فكانت اغلظ من الآية الأولى والثّانية و اشدّ، فقال: "إنّما يريد الشّيطان ان يوقع بينكم العدواة والبغضاء" الآية؛ فامر باجتنابها وفسّر عللها التي لها ومن أجلها حرّمها؛ ثمّ بيّن الله تعالى تحريمها، وكشفه في الآية الرّابعة مع ما دلّ عليه في هذه الآي المذكورة المتقدّمة بقوله تعالى: "إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ"[4]. وقال في الأولى: "فيهما إثم" وقال في الرّابعة: "والإثم"؛ فخبّر انّ الإثم في الخمر و غيرها و انّه حرام. و ذلك انّ الله تعالى إذا اراد ان يفترض فريضة، انزلها

١ـ الخصال ٢: ٦٢١، ذيل الحديث اربعمائة، عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ الكافي ٥: ١٢٢-١٢٣، الحديث: ٢، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ البقرة (٢): ٢١٩.
٤ـ الأعراف (٧): ٣٣.

شيئاً بعد شيء، حتّى يوطّن النّاس أنفسهم عليها، ويسكنوا إلى أمر الله تعالى ونهيه فيها؛ وكان ذلك على وجه التّدبير فيهم أصوب وأقرب لهم إلى الأخذ بها وأقلّ لنفارهم منها»[1].

وفي رواية: «ولو حمل عليهم جملة[2] واحدة، لقطع بهم دون الدّين. قال: ليس أحد أرفق من الله، ومن رفقه أنّه ينقلهم من خصلة إلى خصلة»[3] وورد: «كلّ مسكر حرام، وما أسكر كثيره فقليله حرام»[4]. وقال: «ما عصي الله بشيء أشدّ من شرب المسكر؛ إنّ أحدهم ليدع الصّلاة الفريضة، ويثب على أمّه، وأخته، وابنته، وهو لا يعقل»[5]. وقال: «إنّه شرّ من ترك الصّلاة لأنّه يصير في حال لا يعرف معها ربّه»[6]. وقال: «شارب الخمر كعابد الوثن»[7]. وقال: «من شرب الخمر فاجلدوه؛ فإن عاد فاجلدوه، فإن عاد فاجلدوه؛ فإن عاد في الرّابعة فاقتلوه»[8]. إلى غير ذلك من الأخبار في ذمّها.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ عمّا نهيا عنه، أو من مخالفتهما ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ قال: «من الحلال»[9]. ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا﴾

١ـ الكافي ٦: ٤٠٦ـ٤٠٧، الحديث: ٢، عن بعض أصحابنا، مرسلاً.
٢ـ في جميع النّسخ: «حملة» وما أثبتناه من المصدر.
٣ـ الكافي ٦: ٣٩٥، الحديث: ٣، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السّلام.
٤ـ المصدر: ٤٠٩، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ـ المصدر: ٤٠٣، الحديث: ٧، عن أحدهما عليهما السّلام.
٦ـ المصدر: ٤٠٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ـ عوالي اللآلي ٢: ١٤٨؛ والكشّاف ١: ٦٤٢؛ والجامع الصّغير ٢: ٣٩؛ والدّرّ المنثور ٣: ١٧٧، عن النّبي ﷺ.
٨ـ الكافي ٧: ٢١٨، الحديث: ٢، ٣ و ٤، عن أبي عبدالله ﷺ.
٩ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٤٠، في تفسير أهل البيت عليهم السّلام.

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾. القمّي: لمّا نزل تحريم الخمر والميسر والتّشديد في أمرهما، قالوا: يا رسول الله، قتل أصحابنا، وهم يشربون الخمر، أفيضرّهم ذلك بعد ما ماتوا؟ فأنزل الله هذه الآية. فهذا لمن مات أو قتل قبل تحريم الخمر. والجناح هو الإثم، وهو على من شربها بعد التّحريم[1].

أقول: فمعنى الآية: أنّ الّذين كانوا يشربون الخمر قبل نزول تحريمها، إذا كانوا بهذه المثابة من الإيمان والتّقوى والعمل الصّالح، فلا جناح عليهم في شربها. ولمّا كان لكلّ من الإيمان والتّقوى درجات ومنازل كما ورد[2]، جاز أن يكون تكريرهما في الآية إشارة إلى تلك الدّرجات والمنازل. وقد بسطنا الكلام فيه في الصّافي والوافي[3].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ يعني في حال إحرامكم. قال: «حشر لرسول الله ﷺ في عمرة الحديبيّة الوحوش، حتّى نالتها أيديهم ورماحهم»[4] وقال: «الّذي تناله الأيدي: فراخ الطّير، وصغار الوحش والبيض؛ والّذي تناله الرّماح: الكبار من الصّيد»[5]. ﴿ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾: ليتميّز الخائف لقوّة إيمانه بالغيب، من غير الخائف لضعف إيمانه به. ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾: محرمون. قال: «إذا أحرمت فاتّق قتل الدّوابّ كلّها إلّا الأفعي والعقرب والفأرة»[6]. قال: «والكلب العقور والسّبع

١ـ القمّي ١: ١٨١.
٢ـ الكافي ٢: ٤٢، الحديث: ١ و٢؛ ومصباح الشّريعة: ٣٨، الباب: ١٧، في التّقوى، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ راجع: الصّافي ٢: ٨٤ـ ٨٥؛ والوافي ٤: ١٢٩.
٤ـ الكافي ٤: ٣٩٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «حُشِرَتْ لرسول الله».
٥ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٤: ٣٦٣، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

إذا أرادك فاقتلهم، وإن لم يريداك فلا تردهما، و كذا الحيّة والأسود الغَدِر [1] فاقتله على كلّ حال، وارم الغرابَ رمياً، والحِدَأةَ [2] على ظهر بعيرك» [3]. وفي رواية. «يقتل المحرم الزّنبور، والنَّسْر، والأسود الغدر، والذّئب، وما خاف أن يعدو عليه» [4].

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾. قال في تفسيرها: «هي الظّبي شاة، وفي حمار وحش بقرة، وفي النّعامة جزور، وفي البقرة بقرة» [5].

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال: «ذو عدل» [6] وقال: «العدل رسول الله ﷺ، والإمام من بعده. ثمّ قال: هذا مّا أخطأت به الكتّاب» [7]. وفي رواية: «يعني رجلاً واحداً» [8].

أقول: يعني أنّ رسم الألف في "ذوا عدل" من تصرّف نسّاخ القرآن، والصّواب عدم نسخها، و ذلك لأنّه يفيد أنّ الحاكم إثنان، والحال أنّه واحد، وهو الرّسول ﷺ في زمانه، ثمّ كلّ إمام في زمانه على سبيل البدل. و قرئ: ذو عدل أيضاً، [9] كما هو الصّواب. وفي رواية: «العدل رسول الله ﷺ والإمام من بعده، وهو ذو عدل فإذا علمت ما حكم به رسول الله ﷺ والإمام عليه السلام، فحسبك ولا تسأل عنه» [10].

١ـ الأسود: العظيم من الحيّات. «لسان العرب ٣: ٢٢٦ـ سود». الغَدْر: ضدّ الوفاء بالعهد. لسان العرب ٥: ٨ (غدر).

٢ـ الحدأة: كعنبة ـ طائر خبيث. مجمع البحرين ١: ٩٦ (حدا).

٣ـ الكافي ٤: ٣٦٣، الحديث ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ الكافي ٤: ٣٦٤، الحديث ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ـ التّهذيب ٥: ٣٤١، الحديث: ١١٨٠ و١١٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ الكافي ٨: ٢٠٥، الحديث ٢٤٧، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ ومجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٤٢، عن الصّادقين عليهما السّلام.

٧ـ الكافي ٤: ٣٩٦، الحديث ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و٣٩٧، الحديث ٥ عن أبي جعفر عليه السلام؛ والعيّاشي ١: ٣٤٤، ذيل الحديث ١٩٧، عنه عليه السلام.

٨ـ العيّاشي ١: ٣٤٤، الحديث: ١٩٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٩ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٤٣، عن الصّادقين عليهما السّلام.

١٠ـ التّهذيب ٦: ٣١٤، الحديث: ٨٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ قال: «من وجب عليه فداء صيد أصابه وهو محرم، فإن كان حاجاً، نحر هديه الّذي يجب عليه بمنى؛ و إن كان معتمراً، نحر بمكّة قبالة الكعبة»[١]. ﴿ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾ قال: «في النّعامة وحمار الوحش بدنة، ثمّ إطعام ستّين مسكيناً، لكلّ مدٌّ، ثمّ صيام ثمانية عشر يوماً، وفي البقرة بقرة، ثمّ إطعام ثلاثين [مسكيناً][٢]، ثمّ صيام تسعة أيّام. وفي الظّبي شاة، ثمّ إطعام عشرة مساكين، ثمّ صيام ثلاثة أيّام». كذا ورد.[٣] وفي رواية: «يقوّم الصّيد قيمة، ثمّ تفضّ تلك القيمة على البرّ، ثمّ يكال ذلك البرّ أصواعاً؛ فيصوم لكلّ نصف صاع يوماً»[٤]. ﴿ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾: هذا الجزاء ليذوق ثقل فعله، و سوء عاقبة هتكه حرمة الإحرام.

﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ يعني: النّعمة الأولى ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ قال: «إذا أصاب المحرم الصّيد خطأً، فعليه الكفّارة؛ فإن أصابه ثانية خطأً، فعليه الكفّارة أبداً إذا كان خطأً؛ فإن أصابه متعمّداً كان عليه الكفّارة؛ فإن أصابه ثانية متعمّداً، فهو ممّن ينتقم الله منه، ولم يكن عليه الكفّارة»[٥].

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾: ولسيّارتكم يتزوّدونه قديداً ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾. قال: «لا بأس أن يصيد المحرم السّمك و يأكل مالحه و طريّه و يتزوّد، ثمّ تلا الآية. قال: و فصل ما بينهما: كلّ طير يكون في الآجام يبيض في البرّ و يفرخ في البرّ فهو من صيد البرّ؛ و ما كان من صيد

١ـ الكافي ٤: ٣٨٤، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الزّيادة من المصدر.
٣ـ الكافي ٤: ٣٨٥، الحديث: ١ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٤٧، الحديث: ٢٠٨، عن زين العابدين عليه السلام.
٥ـ التّهذيب ٥: ٣٧٢، الحديث: ١٢٩٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

البرّ يكون في البرّ و يبيض في البحر، فهو من صيد البحر»[1]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ لمعايشهم ومكاسبهم، يستقيم به أمور دينهم و دنياهم، يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضّعيف، و يربح عنده التّجار باجتماعهم عنده من سائر الأطراف، و يغفر بقصده للمذنب، و يفوز حاجة بالمثوبات. قال: «من أتى هذا البيت يريد شيئاً في الدّنيا والآخرة، أصابه»[2]. وفي رواية: «ما دامت الكعبة قائمة و يحجّ النّاس إليها لم يهلكوا، فإذا هدمت وتركوا الحجّ هلكوا»[3] ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾. سبق تفسيرها[4]. ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعني: إذا اطّلعتم على ما في الحجّ و مناسكه من الحكَم، علمتم أنّ الله يعلم الأشياء جميعاً.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وعيد و وعد لمن هتك محارمه و لمن حافظ عليها. ورد: «قال الله تعالى: من أذنب ذنباً، صغيراً أو كبيراً، وهو يعلم أنّ لي أن أعذّبه وأن أعفو عنه، عفوت عنه»[5].

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾. تشديد في إيجاب القيام بما أمر به. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ إنساناً كان، أو عملاً، أو مالاً، أو غير ذلك ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ فإنّ العبرة بالجودة والرّداءة، لا الكثرة والقلّة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ

1ـ الكافي ٤: ٣٩٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
2ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٤٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «يريد شيئاً للدّنيا والآخرة».
3ـ القمّي ١: ١٨٧؛ ومجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٤٧.
4ـ في ذيل الآية: ٢ من سورة المائدة.
5ـ التّوحيد: ٤١٠، الباب: ٦٣، الحديث: ١٠، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ في تحرّي[1] الخبيث وإن كثر، وآثروا الطيّب وإن قلّ ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ﴾ قال: «عن أشياء لم تبد لكم»[2] ﴿إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ﴾. قال: «لمّا نزل فرض الحجّ، قيل: أفي كلّ عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه، حتّى عاد مرّتين أو ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: ويحك وما يؤمّنك أن أقول نعم! والله لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، ولو تركتم كفرتم، فاتركوني ما تركتكم، وإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»[3]

وفي رواية: «إنّ عمر آذى وأبكى إحدى قرابة رسول الله ﷺ وقال لها: إنّ قرابتك من رسول الله ﷺ لاتنفعك شيئاً، فخرج رسول الله ﷺ فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع النّاس، فقال: ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لاتنفع، لو قد قمت المقام المحمود لشفعت في خارجكم[4] لايسألني اليوم أحد من أبوه[5] إلّا أخبرته. فقام إليه رجل فقال: من أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك غير الّذي تدعى له، أبوك فلان بن فلان. فقام آخر فقال: من أبي؟ فقال: أبوك الّذي تدعى له. ثمّ قال رسول الله ﷺ: ما بال الّذي يزعم أنّ قرابتي لا تنفع لا يسألني عن أبيه، فقام إليه عمر فقال له: أعوذ بالله يا رسول الله من غضب الله وغضب رسول الله، اعف عنّي عفى الله عنك. فأنزل الله: "يا أيّها الّذين آمنوا

١ـ التحرّي: القصد والاجتهاد في الطلب والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول. مجمع البحرين ١: ٩٨ (حرا).

٢ـ الكافي ٨: ٢٠٥، المحاسن: ٢٤٨، عن أبي جعفر ﷺ.

٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٥٠، عن أمير المؤمنين ﷺ.

٤ـ في المصدر: «في أحوجكم».

٥ـ في المصدر: «من أبوه».

لاتسألوا» الآية»[1].

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ﴾ : عن مسائلكم الّتي سلفت، فلا تعودوا إلى مثلها، أو لا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلّف بها وكفّ عن ذكرها. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ حيث لم يأتمروا و جحدوا.

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ : ماشرع الله ﴿مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ . قال: «إنّ أهل الجاهليّة إذا ولدت النّاقة خمسة أبطن خامسها أنثى، بحروا أذنها أي: شقّوه وحرّموها على النّساء، فإذا ماتت حلّت؛ و إذا ولدت عشراً جعلوها سائبة، لايستحلّون ظهرها ولا أكلها و ربّما تسيّب[2] بنذر، و إذا ولدت ولدين في بطن واحد، أو الشّاة ولدت في السّابع ذكراً و أنثى في بطن واحد، قالوا: وصلت أخاها، فلم تذبح ولم تؤكل، وحرّموا ولدي الشّاة على النّساء حتّى يموت أحدهما، فيحلّ. والحام: الفحل إذا ركب ولد ولده، أو نتج من صلبه عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره، فلا يركب ولا يمنع من كلاء ولا ماء، فأنزل الله عزّوجلّ: إنّه لم يحرّم شيئاً من ذلك»[3]. ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بتحريم ذلك ونسبته إليه ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أنّ ذلك افتراء و كذب. يعني: الأتباع الّذين يقلّدون في تحريمها رؤساءهم، الّذين يمنعهم حبّ الرّياسة من الاعتراف به.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ . بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التّقليد وأن لاسند لهم سواه.

١ـ القمّي ١: ١٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ سيّبُ الدّابة: تركتُها تسيبُ حيث تشاء. كان الرّجل يقول: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة. مجمع البحرين ٢: ٨٤ (سيب).

٣ـ معاني الأخبار: ١٤٨، الحديث ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: أو حسبهم ولو كانوا جهلة ضالين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: احفظوها والزموا صلاحها. ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾. قيل: نزلت لمّا كان المؤمنون يتحسّرون على الكفرة ويتمنّون إيمانهم[1]. والقمّي: اصلحوا انفسكم ولا تتّبعوا عورات النّاس ولا تذكروهم، فإنّه لايضرّكم ضلالتهم إذا كنتم أنتم صالحين[2]، وفي رواية: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية، فقال: «ائتمروا بالمعروف و تناهوا عن المنكر، فإذا رأيت دنياً مؤثرةً وشحّاً مطاعاً وهوىً متّبعاً و إعجاب كلّ ذي رأي برأيه، فعليك بخُوَيْصة[3] نفسك و ذر عوامّهم»[4].

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. وعد و وعيد للفريقين: على أنّ أحداً لايؤاخذ بذنب غيره.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾: الاشهاد الذي شرع بينكم فيما أُمرتم به ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾: إذا شارفه و حضرت اماراته ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾. فيه تنبيه على أنّ الوصيّة ممّا لا يتهاون فيه ﴿اثْنَانِ﴾: شهادة اثنين ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال: «مسلمان»[5]. ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قال: «من أهل الكتاب فإن لم تجدوا فمن المجوس، لأنّ رسول الله ﷺ سنّ في المجوس سنّة أهل الكتاب في الجزية؛ و ذلك إذا مات الرّجل في أرض غربة فلم يجد مسلمين»[6].

﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: سافرتم ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾. قربكم

١ـ البيضاوي ٢: ١٧٢.
٢ـ القمّي ١: ١٨٨ـ١٨٩.
٣ـ الخُوَيصَّة: تصغير الخاصّة.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٢٥٤، عن رسول الله ﷺ، و فيه: «و ذر النّاس و عوامهم».
٥ـ العيّاشي ١: ٣٤٨، الحديث: ٢١٦، عن أبي عبدالله ؑ.
٦ـ الكافي ٧: ٤، الحديث: ٦؛ والعيّاشي ١: ٣٤٨، الحديث: ٢١٨، عن أبي عبدالله ؑ.

الأجل ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾. تقفونهما ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَوٰةِ﴾ لتغليظ اليمين بشرف الوقت، ولأنّه وقت اجتماع النّاس ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ أي: الآخران ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ قال: «إن ارتاب وليّ الميّت في شهادتهما»[1]. ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾: عوضاً من الدّنيا ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقْسَمُ له ﴿ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ التي أمر بإقامتها ﴿إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ﴾ أي: إن كتمنا.

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾: فإن اطّلع وحصل العلم ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا﴾ أي: الآخرين ﴿اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ قال: «شهدا بالباطل»[2]. وفي رواية: «حلفا على كذب»[3]. ﴿فَآخَرَانِ﴾: شاهدان آخران ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾. قال: «فليس له أن ينقض شهادتهما حتّى يجيء بشاهدين فيقومان مقام الشّاهدين الأولين»[4]. ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي: الّذين جُنِيَ عليهم؛ أراد بهم الورثة. قال: «يعني من أولياء المدّعي»[5]. ﴿الْأَوْلَيَانِ﴾: الأحقّان بالشّهادة لقرابتهما ومعرفتهما ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ قال: «يحلفان بالله أنّهما أحقّ بهذه الدّعوى منهما، وأنّهما قد كذبا فيما حلفا بالله»[6].

﴿لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا﴾ أي: يميننا أصدق. سمّيت شهادة، لوقوعها موقعها، كما في اللّعان. ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾: وما تجاوزنا فيها الحقّ ﴿إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال: «فإذا فعل ذلك، نقض شهادة الأوّلين وجازت شهادة الآخرين»[7].

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ﴾: أقرب ﴿أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾: على نحو ما تحمّلوها من غير تحريف ولا خيانة فيها ﴿أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ﴾ أي: تردّ اليمين على المدّعين ﴿بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة؛ جمع اليمين ليعمّ الشّهود

١، ٢و ٤ـ الكافي ٧: ٤، الحديث ١٦؛ والعيّاشي ١: ٣٤٨، الحديث ٢١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣، ٥و ٦ـ الكافي ٧: ٥، ذيل الحديث ٧، مرفوعة عليّ بن إبراهيم.
٧ـ المصدر: ٥، الحديث ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

كلّهم.

ورد: «إنّ تميم الدّاري كان في سفر، وكان معه نصرانيّان، فاعتلّ علّة شديدة، فلمّا حضره الموت دفع ما كان معه إليهما ليوصلاه إلى ورثته، فأخذا منه آنية وقلادة وأوصلا سائره إلى الورثة، فقالوا: افتقدنا أفضل شيء كان معه، آنية منقوشة مكلّلة بالجوهر وقلادة. فقالا: ما دفع إلينا فقد أدّينا إليكم. فقدّموهما إلى رسول الله ﷺ، فأوجب عليهما اليمين فحلفا، فخلّى عنهما؛ ثمّ ظهرت الآنية والقلادة عليهما، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فانتظر الحكم من الله، فنزلت، فأمر رسول الله ﷺ أولياء تميم الدّاري أن يحلفوا بالله على ما أمرهم به، فحلفوا فأخذ رسول الله ﷺ القلادة والآنية من النّصرانيّين وردّهما على أولياء تميم»[1]. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾ سمع إجابة وقبول ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ قيل: السّؤال توبيخ، ولذلك وكلوا الأمر إلى علمه بسوء إجابتهم، ولجأوا إليه في الانتقام منهم[2]. ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾. قال: «يقولون: لا علم لنا بسواك، وقال: القرآن كلّه تقريع وباطنه تقريب»[3]. وفي رواية: «إنّ لهذا تأويلاً، يقول: "ماذا أجبتم" في أوصيائكم الّذين خلّفتموهم على أممكم؟ فيقولون: "لا علم لنا" بما فعلوا من بعدنا»[4].

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾: في جميع أحوالك على سواء ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا

١ـ الكافي ٧: ٥ ـ ٦، الحديث: ٧، مرفوعة.
٢ـ راجع: الكشّاف ١: ٦٥٢.
٣ـ معاني الأخبار: ٢٣٢، ذيل الحديث ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ٣٣٨، الحديث ٥٣٥، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ قد سبق تفسيره في آل عمران[1]. ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ يعني، اليهود حين همّوا بقتله ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ قال: «ألهموا»[2] و قد مرّ وجه تسميتهم بذلك[3] ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾. قيل: اي بحسب الحكمة والإرادة، لابحسب القدرة[4]. و وردت مقطوعاً[5] قراءتها: «هل تستطيع ربّك» بالخطاب، يعني: هل تستطيع ان تدعو ربك[6] ﴿أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾. المائدة: الخِوانُ إذا كان عليه الطعام. ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ من هذا السؤال ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بكمال قدرته.

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾. تمهيد عذر و بيان لما دعاهم إلى السؤال ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ بالمشاهدة ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادّعاء النبوة ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عند الذين لم يحضروها.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ورد: «إنّ عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل: صوموا ثلاثين يوماً، ثمّ

١ـ ذيل الآية ٤٩.

٢ـ العيّاشي ١: ٣٥٠، الحديث: ٢٢١، عن ابي جعفر عليه السلام.

٣ـ في سورة آل عمران، ذيل الآية: ٥٢

٤ـ البيضاوي ٢: ١٧٥

٥ـ الحديث المقطوع هو ما جاء عن التابعين و من في حكمهم كالتابع للصاحب للإمام. الدّراية ٤٦

٦ـ العيّاشي ١: ٣٥٠، الحديث: ٢٢٢، عن يحيى الحلبي.

سلوا الله ما شئتم يعطكموه[1]، فصاموا ثلاثين، فلمّا فرغوا قالوا: إنّا لو عملنا لأحد من النّاس فقضينا عمله لأطعمنا طعاماً، وإنّا صمنا وجعنا فادع الله أن ينزل علينا مائدة من السّماء. فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها؛ عليها سبعة أرغفة[2] وسبعة أحوات[3]، حتّى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر النّاس كما أكل أوّلهم»[4].

وفي رواية: «نزلت المائدة خبزاً ولحماً، وذلك أنّهم سألوا عيسى طعاماً لا ينفد يأكلون [منه][5]. فقيل لهم: فإنّها مقيمة لكم ما لم تخونوا وتخبأوا وترفعوا، فإن فعلتم ذلك عذّبتكم[6]. فقال: فما مضى يومهم حتّى خبأوا[7] ورفعوا وخانوا»[8] وفي رواية: «كانت المائدة تنزل عليهم، فيجتمعون عليها ويأكلون منها ثمّ ترفع[9]. فقال كبراؤهم ومترفوهم: لا ندع سفلتنا يأكلون منها، فرفع الله المائدة ببغيهم، ومسخوا قردة وخنازير»[10].

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾. قال: «إنّه لم يقله وسيقوله. إنّ الله إذا علم شيئاً هو كائن أخبر عنه خبر ما قد كان»[11]. ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن

١ـ في المصدر: «ثمّ اسألوا الله ما شئتم يعطكم».
٢ـ الأرغفة جمع الرّغيف: الخبزة. مجمع البحرين ٥: ٦٤ (رغف).
٣ـ في نسخة «ألف» و«ب»: «وسبعة حوات» وفي «ج»: «وسبعة أحوات». ولعلّ الأصحّ ما أثبتناه كما في المصدر. والحوات: ما يؤكل عليه، معرّب. المصباح المنير ١: ٢٢٤ (خون).
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ الزّيادة من «ب» و«ج». وفي المصدر: «يأكلون منها».
٦ـ في المصدر: «عذّبتم».
٧ـ الخبء: التّقيّة والاستتار. يقال: خبأتُ الشّيء خبأً: سترته. مجمع البحرين ١: ١١٩ (خبا).
٨ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٦٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٩ـ في المصدر: «ترتفع».
١٠ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٦٧.
١١ـ العيّاشي ١: ٣٥١، الحديث ٢٢٨، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.

﴿دُونِ ٱللَّهِ﴾؟! توبيخ للكفرة وتبكيت لهم. والقمّي: إنّ النّصارى زعموا أنّ عيسى قال لهم: إنّي و أُمّي إلـهين من دون الله فإذا كان يوم القيامة يجمع الله بين النّصارى وبين عيسى فيقول له: «ءأنت قلت للناس» الآية»[١]. ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾: أنزّهك تنزيهاً من أن يكون لك شريك.

﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾: ما لا يحقّ لي أن أقوله ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾. تعلم ما أُخفيه ولا أعلم ما تخفيه ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾: رقيباً مطّلعاً، أمنعهم من أن يقولوا ذلك و يعتقدوه ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بالرفع إليك ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: المراقب لأحوالهم ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: مطّلع مراقب له.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ تملكهم و تطّلع على جرائمهم ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: القادر القويّ على الثّواب والعقاب، الّذي لا يثيب ولا يعاقب إلّا عن حكمة و صواب.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾. فيه دلالة على أنّ عيسى عليه السلام لم يقل ذلك. قال: «إنّه يدعى يوم القيامة الملائكة والنّبيّين[٢] والأئمّة عليهم السّلام، فيسأل واحد واحد عمّا انتهى إليه من ربّه، و ما بلّغ إلى من أمر بتبليغه إليه، فيحتجّون بحججهم، فيقبل الله عذرهم و يجيز حججهم، ثمّ يقول الله عزّوجلّ: «هذا يوم ينفع الصّادقين صدقهم»». كذا ورد.[٣] ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾

١ـ القمّي ١: ١٩٠ ـ ١٩١.
٢ـ كذا في النّسخ و الصّواب «النّبيّون» بالرفع.
٣ـ القمّي ١: ١٩١ ـ ١٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام والحديث مفصّل لخّصه قدّس سرّه.

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ﴾. قال «كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً، وإنّما[1] يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ بآخره، وكان من آخر ما نزل إليه سورة المائدة، نسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء»[2].

١ـ في المصدر: «وإنّما كان يؤخذ».

٢ـ العيّاشي ١: ٢٨٨، الحديث: ٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

سورة الأنعام

[مكّيّة، وهي مائة وخمس وستّون آية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾. وصف نفسه بما نبّه به على أنّه المستحقّ للحمد، حُمِدَ أو لم يُحْمَد ليكون حجّة على العادلين [به] [2]. ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾. أنشأهما. والفرق بين الخلق والجعل، أنّ الخلق فيه معنى التّقدير، والجَعْلَ فيه معنى التّصيير كإنشاء شيء من شيء. ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يعني: أنّه خَلَقَ ما لا يقدر عليه أحد سواه، ثمّ هُم يسوّون به ما لا يقدر على شيء منه. ومعنى "ثُمَّ": استبعاد عدولهم بعد هذا الوضوح.

«والآية ردّ على ثلاثة أصناف: فـ "خلق السّماوات والأرض" ردّ على الدّهريّة، الّذين قالوا: إنّ الأشياء لابدْوَ لها وهي قائمة؛ و "جعل الظّلمات والنّور" ردّ على الثّنويّة، الّذين قالوا: إنّ النّور والظّلمة هما المدبّران؛ و "ثمّ الّذين كفروا بربّهم يعدلون" ردّ على مشركي العرب، الّذين قالوا: «إنّ أوثاننا آلهة». كذا ورد [3].

1 و 2 ـ ما بين المعقوفات من نسخة «ب».

3 ـ الاحتجاج 1، 25، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ اي: ابتدأ خلقكم منه ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ﴾: كتب وقدّر اجلاً لموتكم محتوماً ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ لموتكم أيضاً، يؤخر بالدّعاء والصّدقة وصلة الرّحم وغيرها، و يقدّم باضدادها، وفيه سرّ البداء. قال: «الأجل المقضيّ هو المحتوم الّذي قضاه الله و حتَمهُ، والمسمّى هو الّذي فيه البداء يقدّم ما يشاء و يؤخّر مايشاء، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تاخير»[١]. ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾: تشكّون. استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انّه خالقهم و خالق أُصولهم، و محييهم إلى آجالهم، و مُوقفهم في الاجل، بين الخوف والرّجاء[٢] بعد قضائه المحتوم و قدَره النّافذ.

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ قال: «كذلك هو في كلّ مكان»[٣].

﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾.

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾.

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾: بما جاء به محمد ﷺ ﴿ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾: عند نزول العذاب بهم.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾: من اهل زمان ﴿ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: اعطيناهم من البسطة في الاجسام، والسّعة في الاموال ﴿ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾: ما لم نعطكم. و في الكلام التفات. ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ ﴾: المطر ﴿ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ ﴾ فعاشوا في الخِصب ﴿ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ بدلاً منهم، فتقدر ان تفعل ذلك بكم.

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾. و لم يقتصر[٤] بهم على

١ ـ القمّي ١: ١٩٤، عن ابي عبدالله ﷺ.
٢ ـ في جميع النّسخ. «و بين الخوف والرّجاء» بزيادة «و» والظاهر انّها زائدة؛ إلّا ان يكون عطفاً على قوله موقفهم اي: بعد ما ثبت انّه موقفهم في الأجل و موقفهم بين الخوف والرّجاء.
٣ ـ التوحيد: ١٣٣، الباب: ٩، ذيل الحديث: ١٥، عن أبي عبدالله ﷺ.
٤ ـ في نسخة «ب»: «و لم نقتصر بهم».

الرؤية، لئلاّ يقولوا: سُكِّرَتْ أبصارُنا. ﴿ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ لِعظم عنادهم و قسوة قلوبهم.

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ قال: «يعني: يصدّقه[1] و نشاهده، بل يكون نبيّاً دونه»[2]. ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾: لحقّ إهلاكهم، فإنّ سنّة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾: لا يُمْهَلون بعد نزوله، طرفةَ عين.

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ لمثّلناه رجلاً، كما مثّل جبرئيل في صورة دحية[3]؛ فإنّ القوّة البشريّة لا تقوى على رؤية المَلَك في صورته. ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾. و لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم، فيقولون: ما هذا إلّا بشر مثلك، وكذّبوه كما كذّبوك.

ورد: «إنّه قيل لرسول الله ﷺ: لو كنت نبيّاً لكان معك ملَكٌ يصدّقك و نشاهده؛ بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبيّاً لكان إنّما يبعث إلينا ملَكاً لا بشراً مثلنا، فنزلت هذه الآية، فقال ﷺ للقائل: المَلَكُ لم يشاهده حواسّكم، لأنّه من جنس هذا الهواء لا عيانَ منه، ولو شاهدتموه، بأن يزاد في قوى أبصاركم لقلتم: ليس هذا ملَكاً بل هذا بشر، لأنّه إنّما كان يظهر لكم بصورة البشر الّذي ألفتموه، لتفهموا عنه مقالته وتعرفوا خطابه ومراده، فكيف كنتم تعلمون صدق المَلَك، و أنّ ما يقوله حقّ؟ بل إنّما بعث الله بشراً وأظهر على يده المعجزات الّتي ليست في طبائع البشر الّذين قد علمتم ضمائر قلوبهم، فتعلمون بعجزكم عمّا جاء به أنّه معجزة، و أنّ ذلك شهادة من الله بالصدق له، ولو ظهر لكم ملَكٌ وظهر على يده ما يعجز عنه البشر، لم يكن في ذلك ما يدلّكم أنّ ذلك ليس في طبائع سائر أجناسه من الملائكة حتّى يصير ذلك

١ـ أي: يُصدِّقُ المَلَكُ النبيَّ و نُشاهدُ المَلَك. و في «ب»: «تُصدِّقه»
٢ـ الاحتجاج ١: ٢٧، عن أبي محمّد العسكري ﷺ، مع تفاوت
٣ـ أي: دحيةَ الكلبي.

معجزاً، ألا ترون أنّ الطّيور الّتي تطير ليس ذلك منها بمعجز، لأنّ لها أجناساً يقع منها مثل طيرانها، ولو أنّ آدمياً طار كطيرانها كان ذلك معجزاً، فالله تعالى سهّل عليكم الأمر وجعله مثلكم بحيث يقوم عليكم حجّته[1]، وأنتم تقترحون عمل الصّعب الّذي لا حجّة فيه»[2].

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾. تسلية للرّسول ﷺ على ما يرى من قومه ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: فأحاط بهم الّذي يستهزؤون به من العذاب.

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ قال: «أنظروا في القرآن وأخبار الأنبياء»[3].

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾. سؤال تبكيت[4]. ﴿قُل لِّلَّهِ﴾. تقرير لهم، أي: هو لله لا خلاف بيني وبينكم في ذلك، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئاً منه إلى غيره.

﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾: أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته والعلم بتوحيده، بنصب الحجج وإنزال الكتب والإمهال على الكفر والذّنوب، لتدارك ما فُرِّط. ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ قرناً بعد قرن ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بتضييع رأس مالهم الّذي هو الفطرة ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأنّ إبطال الفطرة أدّاهم إلى الإصرار على الكفر.

﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾. ولله ما تمكّن وحلّ فيهما، ولا يخفى عليه شيء. ذكر في الأوّل السّماوات والأرض، المشتملتين على الأمكنة

١ـ في المصدر: «وجعله بحيث تقوم عليكم حجّته».
٢ـ الاحتجاج ١: ٢٧ و ٣٠، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام، عن رسول الله ﷺ.
٣ـ القمّي ١: ١٩٤؛ والكافي ٨: ٢٤٩، ذيل الحديث ٣٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع تفاوت.
٤ـ التّبكيت: التّقريع والتّوبيخ. يقال: يا فاسق أما استحييت أما خفت الله. ويقال: بكّته بالحجّة إذا غلبه. مجمع البحرين ٢: ١٩٢ (بكت).

جميعاً، و ثانياً اللّيل والنّهار، المشتملين على الأزمنة جميعاً، ليعمّ الموجودات التّي تندرج تحت الظّرفين.

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: مبدعهما بقدرته من غير احتذاء مثال[1] ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾: يرزق ولا يرزق. يعني: أنّ المنافع كلّها من عنده، ولايجوز عليه الانتفاع. ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ اي: وقيل لي: ولا تكونَنّ، او عطف على "قل".

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾. قطع لاطماعهم بالكلّيّة، وتعريض لهم بأنّهم عُصاة مستوجبون للعذاب. قال: «ما ترك رسول الله ﷺ هذه الكلمة حتّى نزلت سورة الفتح، فلم يَعُدْ إلى ذلك الكلام»[2].

﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ ﴾ يعني: العذاب ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ وتفضّل عليه. ورد: «والّذي نفسي بيده ما من النّاس احد يدخل الجنّة بعمله، قالوا: ولا انت يا رسول الله؟! قال: ولا انا، إلّا ان يتغمّدني الله برحمة منه و فضل»[3]. ﴿ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: ببليّة، كمرض و فقر ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾: فلا قادر على كشفه ﴿إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾: بنعمة، كصحّة و غنى ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يقدر على إدامته و إزالته.

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾.

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ﴾. اعظم شهادة و أصدق ﴿ قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: قل: الله الّذي غير خاف أنّه أكبر شيء شهادة، هوالّذي يشهد لي بالنّبوّة.

١ـ احتذى مثاله: اقتدى به. الصّحاح ٦: ٢٣١١ (حذا).
٢ـ العيّاشي ٢: ١٢٠، الحديث: ١٢، عن ابي عبدالله ﷺ، مع تفاوت يسير.
٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٨٠، عن النّبيّ ﷺ.

«وإنّما جاز إطلاق الشّيء على الله تعالى لإخراجه عن حدّ التّعطيل، ولكنّه شيء بخلاف الأشياء». كذا ورد[1]. ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾.

قيل: يعني: وأنذر سائر من بلغه إلى يوم القيامة[2] وورد: «ومن بلغ أن يكون إماماً من آل محمّد ﷺ فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله ﷺ»[3]. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ﴾ تقرير مع إنكار واستبعاد. ﴿ قُل لَّا أَشْهَدُ ﴾ بما تشهدون ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به.

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾: يعرفون رسول الله ﷺ بحليته[4] ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾ بحلاهم، وقد سبق تفسيره[5]. ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ كقولهم: الملائكة بنات الله، وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ كأن كذّبوا القرآن والمعجزات وسمّوها سحراً، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ قال: «هم المقرّون في دار الدّنيا بالتّوحيد، فلم ينفعهم إيمانهم بالله مع مخالفتهم رسله، وشكّهم فيما أتوا به عن ربّهم، ونقضهم عهودهم في أوصيائهم، واستبدالهم الّذي هو أدنى بالّذي هو خير؛ فكذّبهم الله فيما انتحلوه من الإيمان بقوله: "أنظر كيف كذبوا على أنفسهم"»[6].

١ـ الكافي ١: ٨٣، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله ؏؛ و٨٥، الحديث: ٧، عن أبي جعفر ؏.
٢ـ راجع: الكشّاف ٢: ١٠.
٣ـ الكافي ١: ٤١٦، الحديث: ٢١، عن أبي عبدالله ؏.
٤ـ الحِلْيَة بالكسر: الخلقة والصّورة والصّفة، أو حلية الإنسان: ما يُرى من لونه وظاهره وهيئته؛ القاموس المحيط ٤: ٣٢١ (الحلي).
٥ـ في سورة البقرة، ذيل الآية: ١٤٦.
٦ـ الاحتجاج ١: ٣٦٠، عن أمير المؤمنين ؏.

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ ﴾ قال: «يعني معذرتهم»[1]. ﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ قال: «يعنون بولاية عليّ عليه السلام»[2]. والقمّي: إنّ الآية في قدريّة هذه الأمّة ومجوسهم الّذين يقولون: لا قدر، ويزعمون أنّ المشيّة والقدرة إليهم ولهم[3].

﴿ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ من الشّركاء.

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ حين تتلو القرآن ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾: أغطية ﴿ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ يمنع عن استماعه. كناية عن نبوّ قلوبهم وأسماعهم عن قبوله. ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ لفرط عنادهم واستحكام التّقليد فيهم ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ ﴾: يخاصمونك ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾. الأساطير: الأباطيل، وأصل السّطر بمعنى الخطّ.

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾. القمّي: بنو هاشم كانوا ينصرون رسول الله صلّى الله عليه وآله ويمنعون قريشاً عنه[4]. ﴿ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾: ويباعدونه ولا يؤمنون به ﴿ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾: إنّ ضررهم لا يتعدّاهم إلى غيرهم.

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾. جوابه محذوف، يعني: لرأيت أمراً فظيعاً. القمّي: نزلت في بني أميّة[5]. ﴿ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾. تمنّوا أن يرجعوا إلى الدّنيا. ﴿ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ قال: «إنّهم ملعونون في الأصل»[6].

﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ ﴾ أي. الحياة ﴿ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾.

١ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٨٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ٨: ٢٨٧، الحديث: ٤٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ١٩٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ و ٥ـ القمّي ١: ١٩٦.
٦ـ العيّاشي ١: ٣٥٩، الحديث ١٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ للتوبيخ والسؤال، كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه، أو الوقوف بمعنى الاطلاع. ﴿ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ﴾ تعيير من الله لهم على تكذيبهم بالبعث. ﴿ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾.

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾.

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾: وما أعمالها إلّا لعب ولهو، يلهي النّاس ويشغلهم عمّا يعقب منفعة دائمة ولذّة حقيقيّة، وهي جواب قولهم: "إن هي إلّا حياتنا الدنيا". ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ لخلوصها ودوام لذّاتها ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾. ضمن الجحود معنى التّكذيب فعدّاه بالباء. قال: «بلى والله لقد كذّبوه أشدّ التّكذيب، ولكنّها مخفّفة؛ "لا يكذبونك": لا يأتون بباطل يكذبون به حقّك»[١].

وفي رواية: «لا يأتون بحقّ يبطلون حقّك»[٢]. وفي أخرى: «لا يستطيعون إبطال قولك»[٣]. يعني: أنه من أكذبه: إذا وجده كاذباً؛ وعلى التّشديد يكون المعنى لا يكذّبونك اعتقاداً بقلوبهم. وروي: «أنّ رسول الله ﷺ لقي أبا جهل فصافحه[٤]، فقيل له في ذلك، فقال. والله إنّي لأعلم أنّه صادق، ولكنّا متى كنّا تبعاً لعبد مناف؛ فنزلت»[٥].

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا

١ـ الكافي ٨: ٢٠٠، الحديث: ٢٤١، عن أبي عبدالله ؑ.
٢ـ القمّي ١: ١٩٦، عن أبي عبدالله ؑ.
٣ـ العيّاشي ١: ٣٥٩، الحديث: ٢١، عن أبي عبدالله ؑ.
٤ـ في المصدر: فصافحه أبو جهل.
٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٢٩٤.

﴿مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قيل: أي لمواعيده من قوله. «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ»[1]. ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. من قصصهم وما كابَدُوا[2] من قومهم.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾: عظم و شقّ ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ عنك و عن الإيمان بما جئت به.

قال: «كان رسول الله ﷺ يحبّ إسلام الحارث بن نوفل بن عبد مناف، دعاه وجهد به أن يُسلم، فغلب عليه الشقاء، فشقّ ذلك على رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية»[3].

﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: منفذاً تنفذ فيه إلى جوف الأرض ﴿أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ مصعداً تصعد به إلى السّماء ﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾: فتطلع لهم آية من الأرض أو تنزل آية من السّماء يؤمنون بها، و جوابه محذوف، أي: فافعل. والجملة جواب الشّرط الأوّل، والغرض بيان حرصه البالغ على إيمان قومه، و إنّه لو قدر على ذلك لفعل، ولكنّه لايقدر، نظيره «فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ»[4]. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ بأن تأتيهم آية يخضعوا لها. ورد: «إنّ الله قد قضى الفُرقة والاختلاف على هذه الأمّة، فلو شاء الله لجمعهم على الهدى حتّى لايختلف إثنان من هذه الأمّة، ولا ينازع[5] في شيء من أمره، ولا يجحد المفضولُ لذي الفضل فضلَه»[6]. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾. القمّي: مخاطبة للنّبيّ والمعنيُّ النّاس[7].

١ـ الكشّاف ٢: ١٥ والآية في سورة الصّافّات (٣٧): ١٧١ و ١٧٢.

٢ـ الكَبَدُ ـ بالتّحريك ـ الشّدّة والمشقّة، من المكابدة للشّيء، و هي تحمّل المشاقّ في شيء. مجمع البحرين ٣: ١٣٥ (كبد).

٣ـ القمّي ١: ١٩٨، عن أبي جعفر ﷺ، و فيه: «... الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، دعاه رسول الله ﷺ أن يسلم، فغلب عليه الشّقاء ...».

٤ـ الكهف (١٨): ٦.

٥ـ في «العيّاشي» و «ج»: «ولا تنازع».

٦ـ كمال الدّين ١: ٢٦٤، الباب: ٢٤، ذيل الحديث: ١٠، عن النّبيّ ﷺ.

٧ـ القمّي ١: ١٩٨ و فيه: «والمعنى للنّاس».

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾: يتفهّمون ويتدبّرون ﴿ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ فيحكم فيهم ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ فحينئذ يسمعون[١]؛ يعني، انّ الّذين تحرص على إيمانهم بمنزلة الموتى؛ لايسمعون حتّى يرجعوا إلى الله بعد البعث.

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾؟ يعني: ممّا اقترحوه. ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً ﴾ يخضعوا لها ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ انّه قادر و انّ حكمته لاتقتضي ذلك. والقمّي: لايعلمون انّ الآية إذا جاءت ولم يؤمنوا بها لهلكوا[٢]. ورد: «سيريكم في آخر الزمان آيات؛ منها دابّة الأرض والدّجّال و نزول عيسى و طلوع الشّمس من مغربها»[٣].

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾: خلق مثلكم محفوظة احوالها، مقدّرة ارزاقها، مكتوبة آجالها. ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ ﴾: «القرآن». كذا ورد[٤]. ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾: شيئاً من التّفريط، لانّ «فرط» لايتعدّى بنفسه وقد عدّي بـ«في». ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾. ورد: «أيُّ بعير حجّ عليه ثلاث سنين، جعل من نَعَم الجنّة»[٥]. و ورد: «سبع سنين»[٦]. وفي معناه ـ ممّا يدلّ على حشر الحيوانات ـ اخبار كثيرة[٧].

١ـ في نسخة «الف» و «ب»: «يستمعون».
٢ـ القمّي ١: ١٩٨، وفيه: «ليهلكوا».
٣ـ المصدر، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ نهج البلاغة (للصّبحي الصّالح): ٦١، الخطبة ١٨؛ وعيون اخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢١٦، الباب ٢٠، حديث ١.
٥ـ من لايحضره الفقيه ٢: ١٩١، الحديث ٨٧٢، عن ابي عبدالله عليه السلام، وفيه: «ايُّ بعير حجّ عليه ثلاث حجج يجعل من نعم الجنّة».
٦ـ المصدر، الحديث ٨٧٣.
٧ـ الخصال ١: ٢٠٤، الحديث ١٩ و ٢٠؛ وثواب الأعمال: ٧٥، الحديث ١؛ والقمّي ١: ٢٤٨، ذيل الآية ١٧٦ من سورة الأعراف.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ ﴾ قال: «عن الهدى»[1] ﴿ وَبُكْمٌ ﴾ قال: «لايتكلمون بخير»[2]. ﴿ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ ﴾ قال: «ظلمات الكفر»[3]. ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ ﴾: يخذله فيضلّ، لأنّه ليس من أهل الهدى. قال: «نزلت في الّذين كذّبوا الأوصياء»[4] ﴿ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾: أرأيت أنفسكم، بمعنى: أخبروني ﴿ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾ في الدنيا ﴿ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ يعني: القيامة مَنْ تدعون؟ ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ﴾؟ تبكيت لهم ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ بأنّ الأصنام آلهة.

﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ﴾: بل تخصّون الله بالدّعاء دون الآلهة. ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ ﴾: ما تدعون إلى كشفه ﴿ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾: و تتركون آلهتكم لما ركز في العقول أنّه القادر على كشف الضرّ دون غيره، أولا تذكرونها من شدّة الامر و هَوْله.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ يعني: الرّسل، فكذّبوهم. ﴿ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ ﴾: بالشدّة والفقر ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾: والمرض و نقصان الأنفس والأموال ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾: لكي يتضرّعوا و يتذلّلوا و يتوبوا عن ذنوبهم.

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ يعني: لم يتضرّعوا و لم يكن لهم عذر في ذلك إلّا قساوة قلوبهم و إعجابهم بأعمالهم.

قال: «لو أنّ النّاس حين تنزل بهم النِّقَم و تزول عنهم النِّعَمْ، فزعوا إلى ربّهم بصدق من نيّاتهم و وَلَه من قلوبهم، لرَدَّ عليهم كلَّ شارد و أصلح لهم كُلَّ فاسد»[5].

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ من البأساء والضرّاء: تركوا الاتّعاظ به ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ

١، ٢و٣ـ القمّي ١: ١٩٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ المصدر: ١٩٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ نهج البلاغة (للصبحي الصالح): ٢٥٧، الخطبة: ١٧٨.

أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الصّحّة والتّوسعة في الرّزق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾ من الخير والنّعم، واشتغلوا بالنّعم [1] عن المنعم. ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾: مفاجأة من حيث لايشعرون ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾: آيسون من النّجاة والرّحمة، متحسّرون.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ اي. آخرهم لم يترك منهم أحد من دبره إذا تبعه.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على إهلاك أعدائه و إعلاء كلمته، فإنّ تخليص اهل الأرض من سوء عقائد الكفّار وقبيح أعمال الفجّار نعمة جليلة يحقّ أن يحمد عليها. قال: «إذا رأيت الله تعالى يعطي على المعاصي فإنّ ذلك استدراج منه، ثمّ تلا هذه الآية» [2]. وفي رواية: «فلمّا نسوا ما ذكّروا به من ولاية عليّ عليه السلام وقد أمروا بها "فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء": دولتهم في الدّنيا و ما بسط لهم فيها؛ "أخذناهم بغتة" يعني بذلك: قيام القائم، حتّى كأنّهم لم يكن لهم سلطان قطّ» [3]. وقال: «نزلت في ولد العبّاس» [4].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ بأن يصمّكم و يعميكم ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ بأن يغطّي عليها ما يذهب عقلكم و يسلب تمييزكم. قال: «إن أخذ الله منكم الهدى» [5]. ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ قال: «يعرضون» [6].

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾: من غير مقدّمة و ظهور امارة ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ تتقدّمه [7] امارة. قابل البغتة بالجهرة لما في البغتة من معنى الخفية. ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾

١ـ في «الف» و «ج»: «بالنّعمة».
٢ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٣٠٢، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ القمّي ١: ٢٠٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٣٦٠، الحديث ٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٢٠١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «يعترضون».
٧ـ في «الف»: «يتقدّمه».

هلاك تعذيب و سخط ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. القمّي: نزلت لمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، و أصاب أصحابه الجهد والعلل والمرض، فشكوا ذلك إليه يعني: لايصيبكم إلّا الجهد والضرّ في الدّنيا، فأمّا العذاب الأليم الّذي فيه الهلاك فلا يصيب إلّا القوم الظّالمين[1]. و في رواية: «يؤاخذ بني أميّة بغتة و بني العبّاس جهرة»[2].

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾. ورد في القدسيّ: «إنّما خزائني[3] إذا أردت شيئاً أن أقول له: كن، فيكون»[4]. ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ الّذي اختصّ الله بعلمه، وإنّما أعلم منه ما يعلّمني الله ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾: من جنس الملائكة، أقدر على ما يقدرون عليه ﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ فيما أنبّئكم به ﴿إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾. تبرّأ من دعوى الألوهيّة والملكيّة، و ادّعى النّبوّة الّتي هي من كمالات البشر، ردّاً لاستبعادهم دعواه. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ قال: «من لايعلم و من يعلم»[5] ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ قال: «و أنذر بالقرآن الّذين يرجون الوصول إلى ربّهم، ترغّبهم فيما عنده، فإنّ القرآن شافع مشفّع»[6].

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾: يعبدونه على الدّوام ﴿يُرِيدُونَ

١ـ القمّي ١: ٢٠١.
٢ـ العيّاشي ١: ٣٦٠، الحديث: ٢٤، عن أبي عبدالله ﷺ.
٣ـ في «الف» و «ج»: «خزانتي».
٤ـ التّوحيد: ١٣٣، الباب ٩، الحديث ١٧، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٠٤، عن أهل البيت عليهم السّلام؛ والقمّي ١: ٢٠١.
٦ـ المصدر، عن أبي عبدالله ﷺ.

﴿وَجْهَهُ﴾: يبتغون مرضاته مخلصين له. ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾. جواب النفي. ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. جواب النهي. القمّي: كان سبب نزولها: أنّه كان بالمدينة قومٌ فقراء مؤمنون يُسمَّون أصحاب الصُّفّة، وكان رسول الله ﷺ أمرهم أن يكونوا في صُفّة يأوُون إليها، وكان يتعاهدهم بنفسه، و ربّما يحمل إليهم ما يأكلون. وكانوا يختلفون إليه فيقرّبهم و يقعد معهم ويؤنسهم، و كان إذا جاء الأغنياء والمُترَفون من أصحابه، ينكرون عليه ذلك ويقولون له: اطردهم عنك، فنزلت[1].

﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثلُ ذلك الفتن، و هو اختلاف أحوال النّاس في أُمور الدّنيا. ﴿فَتَنَّا﴾. ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ في أمر الدّين، فقدّمنا هؤلاء الفقراء على أشراف قريش بالسّبق إلى الإيمان ﴿لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾؟! أي: هؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتّوفيق لما يسعدهم دوننا و نحن الأكابر والرّؤساء وهم المساكين والضّعفاء. و هو إنكار لأن يخصّ هؤلاء من بينهم بإصابة الحقّ والسّبق إلى الخير، كقولهم: «لو كان خيراً ما سبقونا إليه»[2]. واللاّم للعاقبة. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾. قال: «إنّها نزلت في التّائبين»[3]. قيل: جاءه قوم فقالوا: إنّا أصبنا ذنوباً عظاماً فلم يردّ عليهم شيئاً، فانصرفوا، فنزلت».[4] و يؤيّده تمام الآية. و روي: «أنّهما نزلت في الّذين نهى الله عن طردهم، و كان النّبيّ ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسّلام و قال: الحمد لله

١ـ القمّي ١: ٢٠٢.
٢ـ الأحقاف (٤٦): ١١.
٣ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٣٠٧، عن أبي عبدالله ﷺ.
٤ـ المصدر، عن أنس بن مالك.

الّذي جعل في اُمّتي من امرني ان ابدأهم بالسّلام»[1]. ﴿أَنَّهُ﴾ بدل من الرّحمة، وعلى الكسر استيناف، يفسّرها ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ﴾ بالتّدارك ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ المصرّين منهم والاوّابين.

﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ صُرِفتُ و زُجرتُ عنه بما نصب لي من الادلّة و انزل عليّ من الآيات في امر التّوحيد. ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ﴾ تاكيد لقطع اطماعهم، و إشارة إلى الموجب للنّهي و علّة الامتناع من متابعتهم بانّ ما هم عليه هوىً و ليس بهدىً، و تنبيه لمن تحرّى الحقّ على ان يتّبع الحجّة ولا يقلّد. ﴿قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾.

﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾: على حجّة واضحة من معرفته و إنّه لا معبود سواه ﴿وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ﴾ حيث اشركتم به غيرهُ ﴿مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ﴾. قيل: يعني العذاب الّذي استعجلوه بقولهم: ائتنا بالّذي تعدنا[2] ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ في التّعجيل والتّاخير ﴿يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ﴾ في كلّ ما يقضي ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾: الفاصلين.

﴿قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ﴾: لاهلكتكم عاجلاً، غضباً لربّي، و انقطع ما بيني و بينكم. ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾. في معنى استدراك كانّه قال: ولكنّ الامر إلى الله، و هو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ او يمهل.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾: خزائنه، إن كان جمع المَفتح ـ بفتح الميم ـ بمعنى المخزن، او مفاتيحه إن كان جمع المِفتح ـ بكسر الميم ـ بمعنى المفتاح، اي: ما يتوصّل به إلى

١ـ مجمع البيان ج ٤: ٣٠٧، عن عكرمة.

٢ـ البيضاوي ٢: ١٩١.

٣ـ و قرئ: «يقضِ الحقّ» اي يتبعهُ فيما يحكم به و يقدّره من قولهم: قصّ اثره. راجع: الصّافي ٢: ١٢٥. جوامع الجامع ١: ٣٨٣.

الغيبات. ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ فيظهرها على ما اقتضته حكمته ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ قال: «من ورقة من شجرة»[1]. و في رواية. «الورقة: السقط، والحبّة: الولد، و ظلمات الارض: الارحام، والرّطب: ما يحيى من النّاس، واليابس: ما يغيض[2]، و كلّ ذلك في إمام مبين»[3]. و في أخرى: «الورقة: السّقط يسقط من بطن أمّه من قبل ان يهلّ الولد، والحبّة: الولد في بطن أمّه إذا أهلّ و سقط من قبل الولادة، والرّطب: المضغة إذا استكنّت في الرّحم قبل أن يتمّ خلقها و قبل ان تنتقل، واليابس: الولد التّامّ، والكتاب المبين: الامام المبين»[4].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾. يقبض ارواحكم عن التّصرف بالنّوم كما يقبضها بالموت ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾: ما كسبتم من الاعمال ﴿بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾: يبنهكم من نومكم في النّهار ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾. لتستوفوا آجالكم. قال: «هو الموت»[5] يعني بلوغه. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾. المقتدر المستعلي عليهم ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ يحفظونكم ويحفظون اعمالكم، يذبّون عنكم مردة الشّياطين وهوامّ[6] الارض وساير الآفات، ويكتبون ما تعملون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾

١ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٣٢٦، ذيل الحديث ١٤٨٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ في الكافي «ما يقبض» والصّحيح ما اثبتناه كما في جميع النّسخ والصّافي والعيّاشي والغيض السّقط الّذي لم يتمّ خلقه. القاموس المحيط ٢: ٣٥٢ (غيض).
٣ـ الكافي ٨: ٢٤٩، ذيل الحديث ٣٤٩؛ والعيّاشي ١: ٣٦١، الحديث ٢٨؛ ومعاني الأخبار: ٢١٥، باب معنى الورقة و ...، الحديث ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ١: ٣٦١ ـ ٣٦٢، الحديث ٢٩، عن أبي الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٢٠٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ الهوامّ جمع الهامّة كدوابّ و دابّة: المخوف من الأحناش كالحيّة و نحوها. مجمع البحرين ٦: ١٨٩ (همم).

ملك الموت وأعوانه، وقد سبق بيانه في سورة النّساء [1]. ﴿ وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾: لايقصّرون بالتّواني والتّأخير.

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾: إلى حكمه و جزائه ﴿ مَوْلَىٰهُمُ ﴾ الّذي يتولّى أمرهم ﴿ ٱلْحَقِّ ﴾: العدل الّذي لايحكم إلاّ بالحقّ ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾: يومئذٍ لاحكم لغيره ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ قال: «يحاسب الخلائق في مقدار لمح البصر» [2]. الحديث. وقد مرّ في سورة البقرة [3]

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾: من شدائدهما، استعيرت الظّلمة للشّدّة لمشاركتهما في الهول و إبطال الإبصار، فقيل لليوم الشّديد: يوم مُظلِمٌ. ﴿ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا ﴾ بألسنتكم ﴿ وَخُفْيَةً ﴾ في أنفسكم ﴿ لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾.

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ ولا توفون بالعهد بعد قيام الحجّة.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ قال: «هو الدّخان والصّيحة» [4]. ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال: «هو الخسف» [5]. ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾: يخلطكم فرقاً مختلفي الأهواء. قال: «هو الاختلاف في الدّين، وطعن بعضكم على بعض» [6] ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال: «هو أن يقتل بعضكم بعضاً. قال: ـ وكلّ هذا في أهل القبلة» [7]. ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾.

وفي رواية: «"من فوقكم": من السّلاطين الظّلمة؛ و "من تحت أرجلكم": العبيد

1ـ لم يسبق منه في سورة النّساء بيان لذلك إلاّ قوله: «يحتمل للماضي والمضارع» عند قوله تعالى (توفّيهم الملائكة) (الآية: ٩٧). لعلّه ـ قدّس سرّه ـ أراد ما بيّنه في ذيل تلك الآية من سورة النّساء في الصّافي ١: ٤٥١ـ ٤٥٣.

2ـ مجمع البيان ١ـ ٢: ٢٩٨؛ وبحار الأنوار ٧: ٢٥٤.

3ـ ذيل الآية: ٢٠٢.

4، 5، 6 و 7ـ القمّي ١: ٢٠٤، عن أبي عبدالله ﷺ.

السّوء ومن لا خير فيه؛ «أو يلبسكم شيعاً»: يضرب بعضكم ببعض بما يلقيه بينكم من العداوة والعصبيّة؛ «ويذيق بعضكم بأس بعض»: هو سوء الجوار»[1]. وورد: «سألت ربّي ان لايُظهِر على أُمّتي اهل دين غيرهم فأعطاني، وسألته ان لايهلكهم جوعاً فأعطاني، وسألته ان لايجمعهم على ضلال فأعطاني، وسألته ان لا يلبسهم شيعاً فمنعني»[2].

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ ﴾ قيل: بالقرآن[3]، وقيل: بالعذاب[4]. ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الصّدق، اوالواقع لابدّ ان ينزلَ ﴿ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾: بحفيظ.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾: وقت استقرار و وقوع ﴿ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ عند وقوعه.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ بالتكذيب والاستهزاء بها والطّعن فيها ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾: فلا تجالسهم وقم من عندهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾.

قال: «هو الكلام في الله والجدال في القرآن، قال: ومنه القصّاص»[5].

و ورد: «ليس لك ان تقعد مع من شئت، لانّ الله يقول «وإذا رأيت»»[6]. الآية.

وفي رواية: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس في مجلس يسبّ فيه إمام او يغتاب فيه مسلم، ثمّ تلا هذه الآية»[7].

﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ النّهي ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ اي: معهم؛ نبّه بالإظهار على ظلمهم.

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣١٥، عن أبي عبدالله ﷺ.
٢ـ المصدر، عن النّبيّ ﷺ، وفيه «على ضلالة» بدل: على ضلال.
٣ـ المصدر: ٣١٦ والبيضاوي ٢: ١٩٢
٤ـ البيضاوي ٢: ١٩٢
٥ـ العيّاشي ١: ٣٦٢، الحديث ٣١، عن ابي جعفر ﷺ.
٦ـ علل الشّرايع ٢: ٦٠٥، الباب ٣٨٥، الحديث ٨٠، عن عليّ بن الحسين ﷺ.
٧ـ القمّي ١: ٢٠٤، عن النّبيّ ﷺ.

﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾: و ما يلزم المتّقين الّذين يجالسونهم ﴿مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾: ممّا يحاسبون عليه من قبايح أعمالهم و أقوالهم ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾. ولكن عليهم أن يذكّروهم ذكرى، و يمنعوهم عن الخوض ويظهروا كراهته ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: يجتنبون ذلك حياءاً أو كراهة لمساءتهم.

قال: «لمّا نزل " فلا تقعد بعد الذكرى " قال المسلمون: كيف نصنع إن كان كلّما استهزأ المشركون قمنا وتركناهم؟ فلا ندخل إذاً المسجد الحرام، ولا نطوف بالبيت الحرام. فأنزل الله هذه الآية، أمر بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعوا»[1]

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾: سخروا به، أو بنوا أمره على التشهّي، أو جعلوا عيدهم الّذي جعل ميقات عبادتهم زمان لعب و لهو؛ والمعنى: أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم و أقوالهم. ﴿ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾: فألهتهم عن العقبىٰ ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ مخافة أن تُسلَم إلى الهلاك و ترهن بسوء عملها؛ و أصل البسل: المنع. ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ يدفع عنها العذاب ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾: و إن تفد كلّ فداء؛ والعدل: الفدية، لأنّها تعادل المفديّ. ﴿ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ﴾ أي: سلّموا إلى العذاب بسبب أعمالهم القبيحة و عقايدهم الزائفة ﴿ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بين ماء مغليّ يتجرجر في بطونهم، و نار تشتعل بأبدانهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿ قُلْ أَنَدْعُوا ﴾: أنعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾: لا يقدر على نفعنا وضرّنا ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا ﴾: و نرجع عن دين الإسلام إلى الشرك ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ له ﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ ﴾ كالّذي ذهب به مردة الجنّ في المهامه[2]؛ من

١ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٣١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ المهامه جمع المَهْمَه والمَهْمَهة: للمفازة البعيدة والبلد المقفر. القاموس المحيط ٤: ٢٩٤ (مه)

هوى: إذا ذهب. ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾: متحيّراً ضالاً عن الطريق ﴿ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ ﴾: لهذا المستهوى رفقة ﴿ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ﴾: إلى الطريق المستوي، أو إلى أن يهدوه الطريقَ المستوي ﴿ٱئْتِنَا﴾. يقولون له: ائتنا و قد اعتسف التّيه تابعاً للجنّ لا يُجيبهم ولا يأتيهم؛ و هذا مبنيّ على ما تزعمه العرب: أنّ الجنّ تستهوي الإنسان كذلك. ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وحده و ما سواه ضلال ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ﴾ اي. اُمِرْنا للإسلام و لإقامة الصّلاة والتّقوى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾.

قيل: اي: قوله الحقّ يوم يقول؛ واليوم: بمعنى الحين. يعني: انّه الخالق للسّماوات والارض، و قوله الحقّ نافذ في الكائنات؛ او "يوم" معطوف على السّماوات، و "قوله الحق" مبتدأ و خبر، او فاعل "يكون"، اي: حين يكوّن الاشياء و يُحْدثها ويقول لقضائه: كن فيكون قوله الحقّ، اي: قضاؤه[1]. وله وجوه اُخر من التّفسير. ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ كقوله: "وَالْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ"[2]. روي: «انّ الصّورَ قرن التقمه إسرافيل فينفخ فيه، و انّ فيه بعدد كلّ إنسان ثقبة فيها روحه»[3]. و وصف بالسّعة والضّيق؛ يعني انّ احد طرفيه واسع والآخر ضيق. ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ و هذا كالفذلكة للآية.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَ قَوْمَكَ فِى

١ـ البيضاوي ٢: ١٩٤.
٢ـ الحجّ (٢٢): ٥٦.
٣ـ راجع: الدّرّ المنثور ٣: ٢٩٨؛ وسنن الترمذي ٤: ٤٢؛ و روح البيان ٣: ٥٣؛ ومسند أحمد بن حنبل ٢: ١٦٢، ١٩٢؛ و تفسير القرآن العظيم، (لابن كثير) ٢: ١٥١.

ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ : ربوبيّتها. قال: «كُشِطَ[1] الله له عن الأرضين حتّى رآهنّ و ما تحتهنّ، و عن السّماوات حتّى رآهنّ و ما فيهنّ من الملائكة و حملة العرش»[2]. ورد: «إنّه فعل ذلك بالنّبيّ والأئمّة عليهم السّلام أيضاً»[3]. ﴿ وَلِيَكُونَ ﴾ : ليراه و ليكون ﴿ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾ : اظلم عليه و ستره بظلامه ﴿ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾ على سبيل الإنكار والاستدلال؛ لأنّه كان طالبه[4] في حداثة سنّه ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ ﴾ : غاب ﴿ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا ﴾ : مبتدءاً في الطلوع ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾. استعجز نفسه و استعان بربّه.

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾.

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

ورد: «إنّ إبراهيم عليه السلام وقع إلى ثلاثة أصناف: صنف يعبد الزّهرة و صنف يعبد القمر وصنف يعبد الشّمس، و ذلك حين خرج من السّرَب[5] الّذي أُخفي فيه، "فلمّا جنّ عليه اللّيل" رأى الزّهرة "قال هذا ربّي" على الإنكار والاستخبار، "فلمّا افل" الكوكب "قال

١ ـ كَشَطَ، اي: كشف. القاموس المحيط ٢: ٣٩٦ (كشط).

٢ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٣٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ القمّي ١: ٢٠٥، عن أبي عبدالله عليه السلام و فيه: «و فعل ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله و أمير المؤمنين عليه السلام».

٤ ـ في «ب» و «ج»: «لأنّه كان طالباً».

٥ ـ السَّرَبُ ـ بالتّحريك ـ جُحْرُ الوحشيّ والحفير تحت الأرض والقناة الّتي يدخل منها الماء الحائط. القاموس المحيط ١: ٨٤ (سرب). و لعلّ المراد الغار الّذي وضعته أمّه فيه و اخفته فيه من النّمرودية ثلاث عشرة سنة. راجع: القمّي ١: ٢٠٧.

لا أحبّ الآفلين" ، لأنّ الأفول من صفات المُحدَث لا من صفات القديم؛ "فلمّا رأى القمر بازغاً قال هذا ربّي" على الإنكار والاستخبار؛ "فلمّا أفل قال لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ" يقول: لكنت من القوم الضّالّين[١]. وفي رواية «أي: ناسياً للميثاق»[٢]. قال: «فلمّا أصبح "ورأى الشّمس بازغة قال هذا ربّي هذا أكبر" من الزّهرة والقمر، على الإنكار والاستخبار لا على الإخبار والإقرار. "فلمّا أفلت" قال للأصناف الثّلاثة من عبدة الزّهرة والقمر والشّمس: "يا قوم إنّي بريء ممّا تشركون إنّي وجّهت وجهي" الآية. وإنّما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال أن يبيّن لهم بطلان دينهم، ويثبت عندهم أنّ العبادة لخالقها وخالق السّماوات والأرض، وكان ما احتجّ به على قومه ما ألهمه الله وآتاه؛ كما قال الله: "وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ"»[٣].

وفي رواية: «فلمّا أصبح وطلعت الشّمس ورأى ضوءها وقد أضاءت الدّنيا لطلوعها، "قال: هذا ربّي هذا أكبر" وأحسن، فلمّا تحرّكت وزالت، كَشَطَ الله له عن السّماوات حتّى رأى العرش ومن عليه، وأراه الله ملكوت السّماوات والأرض، فعند ذلك "قال: يا قوم إنّي بريء"»[٤]. وفي أخرى: «ولم يكن ذلك من إبراهيم شركاً وإنّما كان في طلب ربّه؛ وهو من غيره شرك»[٥].

﴿ وَحَاجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ ﴾: وخاصموه في التّوحيد ﴿ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ ﴾: في وحدانيّته ﴿ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾ إلى توحيده ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ ﴾ أي: لا أخاف

١ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٧، الباب ١٥، الحديث ١، وفيه: «لأكوننّ من القوم الضّالّين، يقول لو لم يهدني ربّي لكنت من القوم الضّالّين».
٢ـ لاحظ: العيّاشي ١: ٣٦٤، الحديث ٣٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٧، الباب ١٥، الحديث ١، والآية في الأنعام (٦): ٨٣.
٤ـ القمّي ١: ٢٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «كَشَفَهُ» بدل «كشط».
٥ـ العيّاشي ١: ٣٦٥، الحديث ٤١؛ والقمّي ١: ٢٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

معبوداتكم قطّ؛ لأنّها لا قدرة لها على ضرّ أو نفع ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ أن يصيبني بمكروه، وكأنّه جواب لتخويفهم إيّاه من جهة آلهتهم.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فلا يستبعد أن يكون في علمه إنزال مخوف بي ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتميّزوا بين القادر والعاجز.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ ولا يضرّ شيئاً ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾: حجّة؛ يعني وما لكم تنكرون عليّ الأمن في موضع الأمن ولاتنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف. ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ الموحّدون أو المشركون ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ قال: «ولم يخلطوا»[1]. ﴿إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾. ورد: «إنّه من تمام قول إبراهيم عليه السلام»[2]. وروي: «لمّا نزلت هذه الآية شقّ على النّاس وقالوا: يا رسول الله وأيّنا لم يظلم نفسه؟ فقال ﷺ: إنّه ليس الّذي تعنون، ألم تسمعوا إلى ما قال العبد الصّالح "يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ"»[3]. وفي رواية: «إنّ الظّلم: الضّلال فما فوقه»[4]. وفي أُخرى: «الشّكّ»[5]. وفي أُخرى: «آمنوا بما جاء به محمّد ﷺ من الولاية ولم يخلطوها بولاية فلان وفلان»[6].

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾: أرشدناه إليها وعلّمناه إيّاها ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ في العلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في رفعه وخفضه ﴿عَلِيمٌ﴾ بحال من يرفعه ويخفضه.

١ـ العيّاشي ١: ٣٦٦، الحديث: ٤٩؛ والكافي ١: ٤١٣، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٢٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ المصدر، عن ابن مسعود. والآية في لقمان (٣١): ١٣.
٤ـ العيّاشي ١: ٣٦٦، الحديث: ٤٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٤٨؛ والكافي ٢: ٣٩٩، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ١: ٣٦٦، الحديث: ٤٩؛ والكافي ١: ٤١٣، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ يعني هديناهم لنجعل الوصيّة في أهل بيتهم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾. ورد: «والله لقد نسب الله عيسى بن مريم في القرآن إلى إبراهيم عليه السلام من قبل النّساء، ثمّ تلا هذه الآية»[1]. و في رواية: «وكذلك ألحقنا بذراري النبيّ صلى الله عليه وآله من قبل أمّنا فاطمة عليها السلام»[2] ﴿وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ مع علوّ شأنهم ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد به الجنس ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ أي: الحكمة، أو الحكم بين النّاس ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي: بالنبوّة، أو الثلاثة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني قريشاً ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ قال: «قوماً يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة ويذكرون الله كثيراً»[3].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ﴾ يريد الأنبياء المقدّم ذكرهم ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ الهاء للوقف. ورد: «لا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء؛ لأنّه المنهج الأوضح والمقصد الأصحّ. قال الله لأعزّ خلقه محمّد صلى الله عليه وآله: "أولئك الّذين هدى الله فبهديهم اقتده"؛ فلو كان لدين الله مسلك أقوم من الاقتداء لندب أنبياءه و أولياءه إليه»[4]. وفي

١ـ العيّاشي ١: ٣٦٧، الحديث: ٥٢؛ والمحاسن ١: ١٥٦، الباب: ٢٣، الحديث: ٨٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٨٤، الباب: ٧، ذيل الحديث الطويل: ٩، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام.

٣ـ المحاسن ٢: ٥٨٨، الباب: ١٧، الحديث: ٨٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ مصباح الشّريعة: ١٥٧، الباب: ٧٤، في الاقتداء، عن أبي عبدالله عليه السلام.

رواية. «أحسن الهدى هدى الأنبياء»[1] ﴿قُل لَّا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: على التبليغ؛ و هذا من جملة ما امر بالاقتداء بالأنبياء ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ تذكيراً[2] و عظة.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: و ما عرفوه حقّ معرفته، و ما عظّموه حقّ عظمته، وما وصفوه بما هو أهل أن يوصف به من الرّحمة والإنعام على عباده واللّطف بهم. ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ حين أنكروا الوحي و بعثة الرّسل، و ذلك من جلائل نعمته و عظائم رحمته و لطفه. القمّي: و هم قريش واليهود[3]. ورد: «إنّ الله لا يوصف، و كيف يوصف و قد قال الله في كتابه: "و ما قدروا الله حقّ قدره" فلا يوصف بقدر إلّا كان أعظم من ذلك»[4]. و يأتي فيه حديث آخر في الزّمر إن شاء الله[5]. ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾. ألزموا بما لابدّ لهم من الإقرار به مع توبيخهم بتحريفهم بإبداء بعض وإخفاء بعض، وجعلها ورقات متفرّقة ليتمكّنوا ممّا حاولوه. قال: «كانوا يكتبونه في القراطيس، ثمّ يبدون ما شاؤوا ويخفون ما شاؤوا»[6]. والقمّي: يخفون يعني من أخبار رسول الله ﷺ[7]. ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ﴾ أي: أنزله الله. قيل: أمره بأن يجيب عنهم إشعاراً بأنّ الجواب متعيّن لايمكن غيره، وتنبيهاً على أنّهم بهتوا بحيث لايقدرون على الجواب[8]. ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾. القمّي: يعني ما خاضوا فيه من التكذيب[9].

١ـ القمّي ١: ٢٩١، عن النبيّ ﷺ، ذيل الآية ٤٢ من سورة التوبة.
٢ـ في «الف»: «تذكرة».
٣، ٧و٩ـ القمّي ١: ٢١٠.
٤ـ الكافي ١: ١٠٣، الحديث: ١١، عن أبي عبدالله ؑ.
٥ـ ذيل الآية ٦٧.
٦ـ العيّاشي ١: ٣٦٩، الحديث ٥٩، عن أبي عبدالله ؑ.
٨ـ البيضاوي ٢: ١٩٨.

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾: كثير النفع والعائدة ﴿ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾: الكتب التي قبله ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ يعني مكة؛ سميت بها لانه دُحيت الارض من تحتها، فكانها تولدت منها. ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾: اهل الشرق والغرب ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ فإنّ من صدّق بالآخرة خاف العاقبة، ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتّى يؤمن به ويحافظ على الطّاعة؛ وتخصيص الصّلاة لأنّها عماد الدّين.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾. قال: «نزلت في ابن ابي سرح الّذي كان عثمان استعمله على مصر، وهو ممّن كان رسول الله ﷺ هدر دمه وكان يكتب لرسول الله ﷺ، فإذا أنزل 'إنّ الله عزيز حكيم'[1] كتب: إنّ الله عليم حكيم، فيقول له رسول الله ﷺ: دعها فإنّ الله عليم حكيم، وكان يقول للمنافقين: إنّي أقول من نفسي مثل ما يجيء به فما يغيّر عليّ»[2]. وفي رواية: «كان اخا عثمان من الرّضاعة، وكان له خطّ حسن. قال: فارتدّ كافراً وكان من الطّلقاء»[3]. ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾: شدائده، من غَمَرَهُ الماءُ: إذا غشيه ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾ لقبض أرواحهم كالمتقاضي المسلّط ﴿ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ قال: «العطش يوم القيامة»[4]. ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾: لا تؤمنون بها.

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ عن اموالكم و اولادكم و أوثانكم و لباسكم. وفي رواية.

١ـ البقرة (٢) ٢٠٩، ٢٢٠، و٢٦٠؛ الانفال (٨): ١٠؛ التّوبة (٩): ٧١؛ لقمان (٣١) ٢٧.

٢ـ الكافي ٨: ٢٠١، الحديث ٢٤٢، عن أحدهما عليهما السّلام. و قوله ﷺ «دعها» أي أتركها كما نزلت ولا تغيّرها فإنّه و إن كان قولك: إنّ الله عليم حكيم، حقّاً ولكن لايجوز تغيير ما نزل من القرآن.

٣ـ القمّي ١: ٢١٠، عن أبي عبدالله ﷺ.

٤ـ العيّاشي ١: ٣٧٠، الحديث: ٦٢، عن أبي جعفر ﷺ.

«عُراة»[1] ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ على الهيئة التي ولدتم عليها ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾: ما ملّكناكم في الدّنيا فشغلتم به عن الآخرة ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾: شركاء الله في ربوبيّتكم واستحقاق عبادتكم ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾: ما بينكم؛ وعلى الرّفع: تقطّع وصلكم وتشتّت جمعكم والبين من الأضداد يستعمل للوصل والفصل ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾: ضاع وبطل ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾. ورد: «نزلت هذه الآية في معاوية وبني أميّة، وشركاؤهم أئمّتهم "لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ" يعني المودّة»[2].

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ بالنّبات والشّجر ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: ما ينمو من الحيوان والنّبات ممّا لا ينمو، كالنّطفة والحبّ ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾: ومخرج ذلك من الحيوان والنّبات. ورد: «الحبّ: طينة المؤمنين، ألقى الله عليه محبّته، والنّوى: طينة الكافرين الّذين نأوا عن كلّ خير، والحيّ الّذي يخرج من الميّت: هو المؤمن الّذي يخرج طينته من طينة الكافر، والميّت الّذي يخرج من الحيّ هو الكافر الّذي يخرج من طينة المؤمن»[3]. ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ﴾ الّذي يحقّ له العبادة ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: تصرفون عنه إلى غيره.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾: شاقّ عمود الصّبح عن ظلمة اللّيل ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ يسكن فيه الخلق، كما قال "لِتَسْكُنُوا فِيهِ"[4]. ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ على أدوار مختلفة يحسب بها الأوقات ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ الّذي قهرهما وسيّرهما على الوجه الخاصّ ﴿الْعَلِيمِ﴾ بتدبيرهما.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: في ظلمات

١ـ الخرائج والجرائح ١: ٩١، الحديث ١٥٠، عن النبيّ ﷺ.
٢ـ القمّي ١: ٢١١، عن أبي عبدالله عليه السلام وفيه: «وشركاؤهم وأئمّتهم».
٣ـ الكافي ٢: ٥، الحديث ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ يونس (١٠): ٦٧؛ القصص (٢٨): ٧٣؛ غافر (٤٠): ٦١.

اللّيل في البرّ والبحر، أو في مشتبهات الطّرق أو الأمور. القمّي: النّجوم آل محمّد ﷺ[1]. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ﴾: بيّناها فصلاً، فصلاً ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإنّهم منتفعون به.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وهو آدم ﷺ ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾. ورد: «المستقرّ: من استقرّ الإيمان في قلبه فلا ينزع منه أبداً، والمستودع: الّذي يستودع الإيمان زماناً ثمّ يسلبه، وقد كان الزّبير منهم»[2]. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾. ذكر هنا "يفقهون" لأنّه غامض، و هناك "يعلمون" لأنّه ظاهر.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾: نبتاً غضّاً أخضر ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ قد ركب بعضه على بعض، و هو السّنبل.

﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾: أعذاق، جمع قنو. ﴿دَانِيَةٌ﴾: قريبة من المتناول ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾: بعضها متشابه في الهيئة والمقدار واللّون والطّعم، و بعضها غير متشابه ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾: ثمر كلّ واحد ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾: إذا أخرج ثمرة، كيف يكون صغيراً حقيراً لا يكاد ينتفع به ﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾. وإلى حال نضجه، أو إلى نضيجه، كيف يعود ضخماً ذا نفع و لذّة، مصدر يَنَعَت الثّمرة: إذا أدركت، أو جمع يانع. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾: الملائكة، جعلوهم أنداداً لله فعبدوهم، وقالوا: إنّهم بنات الله، سمّاهم جنّاً لاختفائهم. و نحوه: "وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً"[3]، أو أُريد بالجنّ: الشّياطين، لأنّهم أطاعوهم كما يطاع الله، أو عبدوا الأوثان بتسويلهم، أو قالوا: إنّ الله خالق الخير و إبليس خالق الشّرّ. ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾: و قد خلقهم، أي. و قد

١ـ القمّي ١: ٢١١
٢ـ العيّاشي ١: ٣٧١، الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر ﷺ
٣ـ الصّافّات (٣٧): ١٥٨

علموا أنّ الله خالقهم دون الجنّ، و ليس من يخلق كمن لايخلق. ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ ﴾: واختلقوا لله ﴿ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾ فإنّ المشركين قالوا: الملائكة بنات الله، و أهل الكتابين: عزير ابن الله والمسيح ابن الله. ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾: من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه، ولكن جهلاً منهم بعظمة الله ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾: [يقولون][1].

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال: «أي: هو مبدعهما و منشؤهما بعلمه ابتداءاً لا من شيء ولا على مثال سبق»[2]. ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ﴾ يكون منها الولد ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فهو غنيّ عن كلّ شيء.

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. ورد: «أفعال العباد مخلوقة خلقَ تقدير لا خلقَ تكوين والله خالق كلّ شيء ولا نقول بالجبر والتّفويض»[3]. ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ فإنّ من استجمع هذه الصّفات استحقّ العبادة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حفيظ مدبّر.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ قال: «لا تحيط به الأوهام»[4]. ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾. قال: «يحيط بها»[5]. و في رواية: «إنّما عنى إحاطةَ الوَهْمِ، كما يقال: فلان بصير بالشِّعْر وفلان بصير بالفقه؛ الله أعظم من أن يُرىٰ بالعين»[6]. و في أُخرى: «أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون، و أوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون»[7]. ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾: «النّافذ في الأشياء». كذا ورد[8]. ﴿الْخَبِيرُ﴾ قال: «الّذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته»[9].

﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾. البصيرة للقلب كالبصر للبدن. ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ الحقّ

١ـ الزّيادة من «ب».
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٤٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الخصال: ٦٠٨، ذيل الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام. و فيه: «ولا يقوله
٤و٥ـ التّوحيد: ٢٦٢، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ المصدر: ١١٢، الباب: ٨، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ المصدر: ١١٣، الحديث: ١٢، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام.
٨و٩ـ الكافي ١: ١٢٢، ذيل الحديث: ٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

وآمن به ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ أبصر؛ لأنّ نفعه لها ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عن الحقّ وضلّ ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وباله ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ وإنّما أنا منذر، والله هو الحفيظ عليكم، يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: ننقلها من حال إلى حال، بإجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة. ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ صرفنا؛ واللّام للعاقبة؛ والدّرس: القراءة والتّعلّم. القمّي: كانت قريش تقول لرسول الله ﷺ: إنّ الّذي تخبرنا به تتعلّمه من علماء اليهود وتدرسه[1]. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. اللام هنا على أصله، لأنّ التّبيين مقصود التّصريف؛ والضّمير للآيات باعتبار المعنى.

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ بالتّدين به ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. اعتراض ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾: ولا تحتفل بأقوالهم ولا تلتفت إلى آرائهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ قال: «ولو شاء الله أن يجعلهم كلّهم مؤمنين معصومين حتّى كان لا يعصيه أحد، لما كان يحتاج إلى جنّة ولا إلى نار، ولكنّه أمرهم ونهاهم وامتحنهم وأعطاهم ماله عليهم به الحجّة من الآلة والاستطاعة ليستحقّوا الثّواب والعقاب»[2] ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: رقيباً ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ تقوم بأمورهم.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: ولا تذكروا آلهتهم الّتي يعبدون، بما فيها من القبيح ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾: تجاوزاً عن الحقّ إلى الباطل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به.

قال: «كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله، فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون، فنهى الله المؤمنين عن سبّ آلهتهم لكيلا يسبّ الكفّار إله

١ـ القمّي ١: ٢١٢.
٢ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٣٤٦، في تفسير أهل البيت عليهم السلام.

المؤمنين، فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون»[1]. وفي رواية: «أرأيت أحداً يسبّ الله؟ فقيل: لا، وكيف؟ قال: من سبّ وليّ الله فقد سبّ الله»[2]. وفي أُخرى: «وإيّاكم وسبّ أعداء الله حيث يسمعونكم فيسبّوا الله عدواً بغير علم»[3].

﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ في الخير والشرّ[4] ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ ﴾ من مقترحاتهم ﴿ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ﴾ هو قادر عليها، يُظهر منها ما يشاء على مقتضى الحكمة، ليس شيء منها بقدرتي وإرادتي ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ بكسر الهمزة[5] وبفتحها[6]. قيل: «لا» مزيدة[7]، وقيل: إنّها بمعنى لعلّها، كما في قراءة أُبيّ[8].

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ ﴾ عن الحقّ فلا يفقهونه. قال: «نكس قلوبهم فجعل أعلاها أسفلها فلم تقبل خيراً أبداً»[9]. ﴿ وَأَبْصَارَهُمْ ﴾ قال: «فلا يبصرون الهدى»[10]. ﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ بما أُنزل من الآيات. والقمّي: «يعني في الذرّ والميثاق»[11].

﴿ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي: يضلّون.

١ـ القمّي ١: ٢١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي جميع النسخ: «سبّوا الكفّار» وما أثبتناه من المصدر.
٢ـ العيّاشي ١: ٣٧٤، الحديث: ٨٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٨: ٧، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ في «ج»: «في الخير والشرّ بعد اختيارهم ودخولهم فيه».
٥ـ في «ج»: «بكسر الهمزة والضمّ، وبفتحها».
٦ـ أي: بكسر همزة «أنّها» وفتحها، فالمعنى على الفتح: أنا أعلم أنّها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لاتدرون بذلك؛ وعلى الكسر يكون الكلام قد تمّ قبله، والمعنى: وما يشعركم ما يكون منهم، ثمّ أخبرهم بعلمه فيهم، فقال: إنّها إذا جاءت لايؤمنون بها ألبتّة. راجع: الصافي ٢: ١٤٨؛ وجوامع الجامع ١: ٤٠٣.
٧ و٨ـ البيضاوي ٢: ٢٠٣؛ ومجمع البيان ٣ـ٤: ٣٤٨ـ٣٤٩.
٩ و١٠ـ القمّي ١: ٢١٣، عن أبي جعفر عليه السلام، مع اختلاف في بعض العبارات.
١١ـ القمّي ١: ٢١٣.

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ﴾: عياناً، كما اقترحوا فقالوا: «لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ»[١] «فَأْتُوا بِآبَائِنَا»[٢] «أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا»[٣]. ﴿ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾.

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾: و كما جعلنا لك عدواً ﴿ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ ﴾ سبقك ﴿ عَدُوًّا ﴾. قال: «ما بعث الله نبيّاً إلّا و في أُمّته شيطانان يؤذيانه و يضلّان النّاس بعده»[٤]. ثمّ ذكر أسماء أعداء أُولي العزم الثنين الثنين. ﴿ شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾: مردتهما ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾: الاباطيل المموّهة من زخرفه إذا زيّنه. قال: «من لم يجعله الله من أهل صفة الحقّ، فأُولئك شياطين الإنس والجنّ»[٥]. و في رواية: «الإنس على ثلاثة اجزاء فجزء تحت ظلّ العرش يوم لا ظلّ إلّا ظلّه، و جزء عليهم الحساب والعذاب، و جزء وجوههم وجوه الآدميّين و قلوبهم قلوب الشّياطين»[٦]. ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾.

﴿ وَلِتَصْغَىٰ ﴾: تميل ﴿ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ ﴾ لانفسهم ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا ﴾: و ليكتسبوا ﴿ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ من الآثام.

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾؟! يعني قل لهم: أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم، ويفصل المحقّ منّا من المبطل؟ ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ ﴾. القرآن ﴿ مُفَصَّلًا ﴾: مبيّناً فيه الحقّ والباطل، بحيث ينفي التّخليط والالتباس ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾:

١ـ الفرقان (٢٥). ٢١.
٢ـ الدّخان (٤٤): ٣٦
٣ـ الإسراء (١٧): ٩٢
٤ـ القمّي: ٢١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام
٥ـ الكافي ٨: ١١، ذيل الحديث الطّويل: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام
٦ـ الخصال ١: ١٥٤، الحديث: ١٩٢، عن أبي عبدالله عليه السلام

التوراة والإنجيل ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ لتصديق ما عندهم إيّاه، و لتصديقه ما عندهم، مع انّه ﷺ لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: ما تكلّم به من الحجّة بلغت الغاية اخباره و احكامه ومواعيده ﴿صِدْقًا﴾ في الاخبار والمواعيد ﴿وَعَدْلًا﴾ في الاقضية والاحكام ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ بما هو اصدق و اعدل ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقولون ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يضمرون.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لانّ الاكثر في الغالب يتّبعون الاهواء ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يقولون عن تخمين وتقليد.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ اي: أعلم بالفريقين.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. مسبّب عن إنكار اتّباع المضلّين الّذين يحرّمون الحلال و يحلّون الحرام؛ و ذلك انّهم قالوا للمسلمين: أتأكلون ممّا قتلتم انتم ولا تأكلون ممّا قتل ربكم؟! فقيل: كلوا ممّا ذكر اسم الله على ذبحه خاصّة دون ما ذكر عليه اسم غيره، او مات حتف انفه. ﴿إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ فإنّ الإيمان بها يقتضي استباحة ما احلّه الله واجتناب ما حرّمه.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ بقوله: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ"[1] الآية. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾: المتجاوزين الحقّ إلى الباطل والحلال إلى الحرام.

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾: ما يعلن و ما يسرّ. القمّي: الظّاهر من الإثم:

١ـ المائدة (٥) ٣

المعاصي، والباطن: الشّرك والشّك في القلب[١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾: يعملون.

﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾. ورد: «إنّه سئل عن مجوسيّ قال: بسم الله وذبح. قال: كُلْ. فقيل: مسلم ذبح ولم يسمّ. فقال: لا تأكل. ثمّ تلا هذه الآية»[٢]. وفي رواية: «في ذبيحة النّاصب واليهوديّ والنّصرانيّ قال: لا تأكل ذبيحته حتّى تسمعه يذكر اسم الله عليه، ثمّ تلا هذه الآية»[٣]. ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾: ليوسوسون ﴿إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ من الكفّار ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾ بقولهم: تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله. ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا﴾ يعني مثلُ من هداه الله وأنقذه من الضّلال، وجعل له حجّةً يهتدي بنورها، كمن صفته البقاء في الضّلالة لا يفارقها بحال. قال: «"ميتاً": لا يعرف شيئاً، و"نوراً يمشي به في النّاس": إماماً يؤتمّ به "كمن مثله في الظّلمات": الّذي لا يعرف الإمام»[٤]. وفي رواية: «كان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، وحياته حين فرّق الله بينهما بكلمته»[٥]. وورد: «إنّ الآية نزلت في عمّار بن ياسر وأبي جهل»[٦]. ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَا﴾ أي: كما جعلنا في مكّة. ﴿وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ لأنّ وباله يحيق بهم. ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ ذلك

١ـ القمّي ١: ٢١٥.
٢ـ التّهذيب ٩: ٦٩، الحديث: ٢٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ المصدر: ٦٨، الحديث: ٢٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي ١: ١٨٥، الحديث: ١٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ المصدر ٢: ٥، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٣٥٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا﴾ يعني الأكابر: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾. روي: «انّ أباجهل قال: زاحمنا بني عبد مناف في الشّرف حتّى إذا صرنا كفرسي رهان، قالوا: منّا نبيّ يوحى إليه؛ والله لا نرضى به ولا نتّبعه أبداً إلّا أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزلت»[1]. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ﴾: ذلّ و حقارة بعد كبرهم ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ فيتّسع له و يفسح فيه مجاله[2]. ورد: «لمّا نزلت هذه الآية، سئل رسول الله ﷺ عن شرح الصّدر ما هو؟ فقال: نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن، فينشرح صدره و ينفسح. قالوا: فهل لذلك امارة يعرف بها؟ فقال: نعم الإنابة إلى دار الخلود، والتّجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت»[3]. ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾. قال: «قد يكون ضيقاً وله منفذ يسمع منه و يبصر، والحَرَجُ هو المُلتَامُ الّذي لا منفذ له يسمع به ولا يبصر منه»[4]. ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾. مبالغة في ضيق صدره، بتشبيه بمن يُزاول مالا يقدر عليه؛ و هو مَثَلٌ فيما لا يستطاع. ورد: «إنّ القلب ليتجلجل[5] في الجوف يطلب الحقّ فإذا أصابه اطمأنّ وقرّ، ثمّ تلا هذه الآية»[6].

أقول: يتخلخل بالخائين المعجمتين أوالجيمين أي: يتحرك.

و ورد: إنّه سئل عن هذه الآية فقال: «من يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدّنيا و إلى جنّته و دار كرامته في الآخرة؛ يشرح صدره للتّسليم لله والثّقة به والسكون إلى ما وعده

١ـ راجع: البيضاوي ٢: ٢٠٧.
٢ـ في «الف»: «ويفسح فيه لامحالة».
٣ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٣٦٣، في رواية صحيحة.
٤ـ معاني الأخبار: ١٤٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ﵇.
٥ـ في «الف»: «ليتخلخل».
٦ـ الكافي ٢: ٤٢١، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله ﵇.

من ثوابه، حتّى يطمئنّ إليه؛ و من يرد أن يضلّه عن جنّته و دار كرامته في الآخرة لكفره به وعصيانه له في الدّنيا، يجعل صدره ضيّقاً حرجاً، حتّى يشكّ في كفره و يضطرب من اعتقاده قلبُه، حتّى يصير كأنّما يصّعّد في السّماء»[1].

﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: «الرّجس الشّكّ»[2]

﴿وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ﴾. قيل: يعني طريقه و عادته في التّوفيق والخذلان[3] ﴿مُسْتَقِيمًا﴾: عادلاً مطّرداً ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾: للّذين تذكّروا و عرفوا الحقّ، دارُالله، أو دارالسّلامة من كلّ آفة وبليّة. القمّي: يعني في الجنّة؛ والسّلام: الأمان والعافية والسّرور[4]. و يأتي فيه حديث في يونس إن شاءالله[5] ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: في ضمانه؛ يوصلهم إليها لا محالة ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾. مولاهم و محبّهم[6] القمّي: أي: أولى بهم[7]. ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾. نقول يا معشر الشّياطين ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾: أضللتم منهم كثيراً. القمّي: كلّ من والى قوماً فهو منهم، وإن لم يكن من جنسهم[8]. ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾. الّذين اتّبعوهم و أطاعوهم: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: انتفع الإنسُ بالشّياطين، حيث دلّوهم على الشّهوات وما يوصل إليها، وانتفع الشّياطينُ بالإنس، حيث أطاعوهم و حصّلوا مرادهم. ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ يعني القيامة ﴿قَالَ﴾: قال الله لهم: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾: مقامكم

١ـ التّوحيد، ٢٤٢، الباب، ٣٥، الحديث ٤؛ ومعاني الأخبار ١٤٥، الحديث، ٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام. و فيهما: «بإيمانه في الدّنيا إلى جنّته من دون «و».

٢ـ العيّاشي ١: ٣٧٧، الحديث: ٩٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٣ـ البيضاوي ٢: ٢٠٧

٤ـ القمّي ١: ٢١٦.

٥ـ ذيل الآية: ٢٥

٦ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الأنسب بالسّياق: «مُواليهم و محبّهم»

٧و٨ـ القمي ١: ٢١٦

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا﴾: نكل بعضهم إلى بعض ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ قال: «ما انتصر الله من ظالم إلاّ بظالم، و ذلك قوله عزّوجلّ: "وكذلك نولّي" الآية»[1].

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾؟ ورد: «سئل: هل بعث الله نبيّاً إلى الجن؟ فقال: نعم، بعث إليهم نبيّاً يقال له: يوسف، فدعاهم إلى الله عزّوجلّ، فقتلوه»[2]. و ورد: «إنّ الله عزّوجلّ ارسل محمّداً ﷺ إلى الجنّ والانس»[3]. ﴿قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ بالجرم والعصيان ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ اي: إرسال الرّسل ﴿أَن لَّمۡ يَكُن﴾: لان لم يكن ﴿رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ﴾: لم ينبهوا برسول.

﴿وَلِكُلّٖ﴾ من المكلّفين ﴿دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن عباده و عن عبادتهم ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾ يترحّم عليهم بالتكليف، ليُعَرِّضهُم للمنافع العظيمة الّتي لايحسن إيصالهم إليها إلاّ بالاستحقاق ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: بخارجين من ملكه.

﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ قيل: على غاية تمكّنكم واستطاعتكم، او على حالكم الّتي انتم عليها[4] ﴿إِنِّي عَامِلٞۖ﴾ على مكانتي ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ﴾

١ـ الكافي ٢: ٣٣٤، الحديث ١٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ـ عيون اخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٤٢، الباب ٢٤، ذيل الحديث: ١.
٣ـ المصدر ١: ٥٦، الباب: ٦، الحديث: ٢١، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ـ البيضاوي ٢: ٢٠٩.

عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾. أيّنا يكون له العاقبة الحسنى الّتي خلق الله لها هذه الدّار. والتّهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد، و تسجيل للمامور بانّه لا ياتي منه إلاّ الشرّ. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ﴾ يعني مشركي العرب ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾: ممّا خلق الله ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ من غير ان يؤمروا به ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾: اصنامهم الّتي اشركوها في اموالهم ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾. روي: «انّهم كانوا يعيّنون شيئاً من حرث و نتاج لله ويصرفونه إلى الضّيفان والمساكين، و شيئاً منهما لآلهتهم و ينفقون على سدنتها ويذبحون عندها، ثمّ إن رأوا ما عيّنوا لله ازكى بدّلوه بما لآلهتهم، وإن رأوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبّاً لآلهتهم، واعتلّوا لذلك بانّ الله غنيّ»[1]. و ورد: «كان إذا اختلط ما جعل للاصنام بما جعل لله ردّوه، و إذا اختلط ما جعل لله بما جعلوه للاصنام تركوه، وقالوا: الله غنيّ، و إذا انخرق الماء من الّذي لله في الّذي للاصنام لم يسدّوه، وإذا انخرق من الّذي للاصنام في الّذي لله سدّوه، و قالوا: الله غنيّ»[2].

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ بالوأد[3]، خيفة العيلة او العار، او بالنّحر لآلهتهم ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ من الشّياطين او السّدنة ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: ليهلكوهم بالإغواء ﴿وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: و ليخلطوا عليهم ما كانوا عليه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ﴾. إشارة إلى ما جعل لآلهتهم. ﴿أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾. حرام

١ـ البيضاوي ٢: ٢٠٩
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٧٠، عن ائمّتنا عليهم السّلام
٣ـ وأد بنته يئدها: دفنها حيّة. القاموس المحيط ١: ٣٥٥ (وأد).

﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ من غير حجة ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ القمّي: يعني البَحيرة والسائبة والوَصيلة والحام[1] ﴿وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ في الذَّبح والنَّحر. وقيل: لا يَحجُّون عليها ولا يلبّون على ظهورها[2]. ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾: فعلوا ذلك كلّه على جهة الافتراء على الله ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾. القمّي: كانوا يحرّمون الجنين الّذي يخرجونه من بطون الأنعام، على النّساء، فإذا كان ميّتاً يأكله الرّجال والنّساء[3]. ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾: جزاءَ وَصفهم الكَذِبَ على الله في التّحريم والتّحليل، من قوله: "تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ"[4]. ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ كانوا يقتلون بناتهم مخافة السّبي والفقر ﴿سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لخفّة عقلهم وجهلهم بانّ الله رازق اولادهم لاهُم. ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ من البحائر ونحوها ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾: مرفوعات على ما يحملها ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾: مُلقيات على وجه الأرض ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾: اكل ذلك، اي: ثمره الّذي يؤكل، في اللّون والطّعم والحجم والرّائحة ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾ بعض افرادهما في الطّعم واللّون والحجم ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾: ولا يتشابه بعضه ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾. قال: «اقْبَح الفمَ بالحساء»[5].

١ـ القمّي ١: ٢١٧.

٢ـ البيضاوي ٢: ٢١٠؛ والكشّاف ٢: ٥٥ واشار إليه في مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٧٢.

٣ـ القمّي ١: ٢١٨.

٤ـ النّحل (١٦): ١١٦.

٥ـ قرب الإسناد: ٣٦٨، الحديث: ١٣١٦، عن الرّضا عليه السلام.

ورد: «إنّه غير الزّكاة، الضِّغْثُ[1] من السّنبل بعد الضِّغْث، والكفّ من التّمر بعد الكفّ»[2]. وفي رواية: «في الزّرع حقّان: حقّ تؤخذ به و حقّ تعطيه؛ امّا الّذي تؤخذ به فالعُشْر و نصف العُشْر، و امّا الّذي تعطيه فقول الله عزّوجلّ: "وآتوا حقّه يوم حصاده" يعني من حَصْدِكَ الشّيء بعد الشّيء»[3]. ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ في التّصدق. ورد: «من الإسراف في الحَصاد والجِداد[4] ان يتصدّق الرّجل بكفّيه جميعاً»[5]. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: لا يرضى فعلهم.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾: و انشأ من الانعام ما تحمل الاثقال، وما ينسج من وبره و صوفه و شعره الفرش. ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ منها ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ في تحريم شيء منها من عند انفسكم. ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾. الزّوج: ما معه آخر من جنسه، و قد يقال لمجموعهما ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: «الاهليّ والوحشيّ الجبليّ». كذا ورد في الجميع[6] ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾: الاهليّ والجبليّ ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾: ذكر الضّأن و ذكر المعز ﴿حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: ام أنثيهما ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: أو ما حملته إناث الجنسين؛ ذكراً كان أو أنثى ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾: بامر معلوم يدلّ على انّ الله حرّم شيئاً من ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعوى التّحريم عليه.

١. الضِّغْثُ ـ بالكسر ـ: قبضة حشيش مختلطة الرّطب باليابس. القاموس المحيط ١: ١٧٥ (ضغث).

٢ـ القمّي ١: ٢١٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٣. الكافي ٣: ٥٦٤، الحديث ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ الجِداد ـ بالفتح والكسر ـ صرام النّخل و هو قطع ثمرتها. مجمع البحرين ٣: ٢٢ (جدد).

٥ـ الكافي ٣: ٥٦٦، الحديث ٦، عن ابي الحسن الرّضا عليه السلام.

٦ـ القمّي ١: ٢١٩.

﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ ﴾ : «البخاتيّ والعراب»[١]. كذا ورد[٢]. ﴿ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ﴾ : الاهليّ والجبليّ. ﴿ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ كما مرّ. قيل: كانوا يحرّمون ذكور الانعام تارةً، و إناثها تارةً و أولادها كيف كانت تارةً، زاعمين أنّ الله تعالى حرّمها[٣]، فردّ الله عليهم ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ﴾ : حاضرين شاهدين ﴿ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ﴾ : حين وصّاكم بهذا التّحريم ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا ﴾ : طعاماً محرّماً ﴿ عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ ﴾. فيه إيذان بانّ التّحريم إنّما يثبت بالوحي لا بالهوى. ﴿ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ : مصبوباً، كالدّم في العروق، لا كالكبد والطّحال، اوالمختلط باللّحم لايمكن تخليصه منه. ﴿ أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾ : قذر ﴿ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾. سمّى ما ذبح على اسم الصّنم فسقاً لتوغّله[٤] في الفسق. ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لا يؤاخذه بأكله. قد سبق تفسير الباغي والعادي في سورة البقرة[٥].

فإن قيل: لِمَ خصّ هذه الاربعة هنا بذكر التّحريم مع أنّ غيرها محرّم أيضاً، فإنّه سبحانه ذكر في المائدة[٦] تحريمَ الْمُنْخَنِقَةِ والمَوْقُوذَةِ والمُتَرَدِّيَةِ و غيرها، وقد ورد الاخبار

١ـ البُخْتُ ـ بالضمّ ـ الإبل الخراسانيّة، الواحد بُخْتِيّ مثل روم و روميّ، والجمع بَخاتيّ. و لإبل العِراب خلاف البَخاتيّ. القاموس المحيط ١: ١٤٨، ومجمع البحرين ٢: ١٩١ (بخت)؛ ومجمع البحرين ٢: ١١٩ (عرب).

٢ـ القمّي ١: ٢١٩.

٣ـ البيضاوي ٢: ٢١١.

٤ـ وَغَلَ في الشّيء: دخل و توارى، أو بَعُدَ و ذهب. و أوغَلَ في البلاد والعلم: ذهب و بالغ و أبعد. القاموس المحيط ٤: ٦٧ (وغل).

٥ـ ذيل الآية: ١٧٣.

٦ـ الآية: ٣.

الصّحيحة بتحريم كلّ ذي مخلب من الطّير و كلّ ذي ناب من الوحش [١]، وما لا قشر له من السّمك [٢] إلى غير ذلك. قلنا. أمّا المذكورات في المائدة فكلّها يقع عليه اسم الميتة، فتكون في حكمها، فاحمل هاهنا وفصّل هناك؛ و أمّا غيرها فليس بهذه المثابة في الحرمة، فخصّ هذه الأربعة بالتّحريم تعظيماً لحرمتها، و بيّن تحريم ما عداها رسول الله ﷺ و ورد. «إنّه ممّا يعاف عنه تقزّراً» [٣]، يعني تنزّهاً. والقمّي: إنّما هذه الآية ردّ على ما أحلّت العرب و حرّمت على أنفسها، فلا دلالة فيها على عدم تحريم غير ما فيها [٤].

أقول: هذا لا يساعده الأخبار المعصوميّة؛ كما يظهر لمن تتبّع لها؛ و كذا ما قيل: إنّ هذه السّورة مكّيّة، والمائدة مدنيّة، فيجوز أن يكون غير ما في هذه الآية إنّما حرّم فيما بعد [٥].

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ من دابّة أو طير ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾: الثّروب [٦] و شحوم الكلى [٧] ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾: ما علقت بظهورهما ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾: ما اشتمل على الأمعاء ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ وهو شحم الألية ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في الأخبار والوعد والوعيد.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما تقول ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ لا يعجّل بالعقوبة ﴿وَلَا

١ـ الكافي ٦: ٢٤٥، الحديث: ٢و٣، عن أبي عبدالله ﷺ.

٢ـ المصدر: ٢١٩، الأحاديث: ١و٥ إلى ٩.

٣ـ أشير إليه في العيّاشي ١: ٣٨٢، الحديث: ١١٩، عن أبي جعفر ﷺ.

٤ـ القمّي ١: ٢١٩.

٥ـ راجع: مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٧٨.

٦ـ الثَّرْبُ: شحمٌ رقيق يغشّي الكَرِشَ والأمعاء، والجمع: ثُرُوب و أثْرُب. القاموس المحيط ١: ٤٢ (ثرب).

٧ـ الكُلى ـ بضمّ الكاف والقصر ـ جمع الكُلْيَة والكُلْوَة وهي من الأحشاء معروفة. مجمع البحرين ١: ٣٦٢ (كلا).

يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ فلا تغترّوا بإمهاله، فإنّه لا يُرَدّ إذا جاء وقته.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾: من أمر معلوم يصحّ الاحتجاج به على ما زعمتم ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾: فتظهروه لنا ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾. [قال: «الحجّة البالغة الّتي تبلغ الجاهل من أهل الكتاب فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه»][1]. ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾: احضروهم ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ يعني: قدوتهم فيه، استحضرهم ليلزمهم الحجّة ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ فلا تصدّقهم فيه ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يجعلون له عديلاً.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ لمّا أوجب ترك الشّرك والإحسان إلى الوالدين، فقد حرّم الشّرك والإساءة إليهما؛ لأنّ إيجاب الشّيء نهي عن ضدّه، فيصحّ أن يقع تفصيلاً لما حرّم. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾. وضعه موضع النّهي عن الإساءة للدّلالة على أنّ ترك الإساءة في شأنهما غير كاف. القمّي: الوالدين[2]: رسول الله و أمير المؤمنين عليهما السّلام[3]. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾: من أجل فقر، أو من خشية فقر؛ لقوله: "خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ"[4]. ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾. كبائر الذّنوب، أو الزّنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قال: «ما ظهر: نكاح

1ـ ما بين المعقوفتين من «ح» و «ب». والحديث في البرهان ١: ٥٦٠، الحديث ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، نقلاً عن العلاّمة الحلّي في الكشكول.

2ـ في «ب» و «ج»: «الوالدان».

3ـ القمّي ١: ٢٢٠.

4ـ الإسراء (١٧): ٣١.

امرأة الأب، و ما بطن، الزّنا»[1]. و في رواية: «ما ظهر هو الزّنا، و ما بطن: المخالّة»[2]. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كالقَوَد[3] و قتل المرتدّ و رجم المحصن ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: إلّا بالخصلة الّتي هي أحسن ما يفعل بماله، كحفظه و تثميره ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: قوّته. قال: «انقطاع يُتم اليتيم: الاحتلام وهو أشدّه، و إن احتلم ولم يؤنس منه رشد و كان سفيهاً أو ضعيفاً فليمسك عنه وليّه ماله»[4] و في رواية: «إذا بلغ أشدّه ثلاث عشرة سنة و دخل في الأربع عشرة، وجب عليه ما وجب على المحتلمين، احتلم أو لم يحتلم؛ كتبت عليه السيّئات و كتبت له الحسنات، وجاز له كلّ شيء إلّا أن يكون ضعيفاً أو سفيهاً»[5]. ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل والتّسوية ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: إلّا ما يسعها ولا يعسر عليها؛ اعتراض فيه تنبيه على تعسّر الإيفاء، وأنّ ماوراء الوسع فيه معفوّ. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكومة ونحوها ﴿فَاعْدِلُوا﴾ فيه ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾: ولو كان المقول له أو عليه من ذوي قرابتكم. ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ يعني ما عهد إليكم من ملازمة العدل و تأدية أحكام الشّرع. ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتّعظون به. ورد. «هذه الآيات المحكمات الّتي لم ينسخهن شيء شيّعها سبعون ألف ملك: "قل تعالوا أتل" الآيات»[6].

١ـ العيّاشي ١: ٣٨٣، الحديث: ١٢٤، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٨٢، عن أبي جعفر ﷺ. و فيه: «و ما بطن هو المخالّة» والمخالّة ـ من خالَّه مُخالّةً و خِلالاً ـ: المصادقة «القاموس المحيط ٣: ٣١٨ ـ خلّ» و لعلّ المراد بها المصادقة بين الأجنبيّين.
٣ـ القوَدُ ـ بالتّحريك ـ: القصاص. مجمع البحرين ٣: ١٣٢ (قود).
٤ـ التّهذيب ٩: ١٨٣، الحديث: ٧٣٧، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ـ المصدر، الحديث: ٧٣٩، عن أبي عبدالله ﷺ، و فيه: «سفيهاً أو ضعيفاً».
٦ـ العيّاشي ١: ٣٨٣، الحديث: ١٢٣، عن أبي جعفر ﷺ.

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا ﴾. قيل: الإشارة فيه إلى ما ذكر في السّورة، فإنّه التّوحيد والنّبوّة والشّريعة [1]. ﴿ فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾.

عن النّبيّ ﷺ: «أنا الصّراط المستقيم الّذي أمركم باتّباعه، ثمّ عليّ من بعدي، ثمّ ولْدي من صلبه أئمّة يهدون إلى الحقّ[2] و به يعدلون» [3]. و في رواية: «يعني ولاية عليّ والأوصياء "فاتّبعوه"، يعني عليّاً "ولا تتّبعوا السّبل" ولاية فلان و فلان، "فتفرّق بكم عن سبيله"، يعني سبيل عليّ عليه السلام» [4]. ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ الضّلال والتّفرّق عن الحقّ.

﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ "ثمّ" للتّراخي في الإخبار. ﴿تَمَامًا﴾ للكرامة والنّعمة ﴿عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ ﴾: أحسن القيام به ﴿ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴾.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ﴾: كثير النّفع ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾.

﴿ أَن تَقُولُوٓاْ ﴾. أنزلناه كراهة أن تقولوا: ﴿ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا﴾: اليهود والنّصارى ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ﴾.

﴿ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ ﴾: أعرض، أو صدّ ﴿ عَنۡهَاۗ ﴾ فضلّ وأضلّ. ﴿ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ﴾.

﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ ﴾ قال: «هل ينتظر المنافقون والمشركون» [5]. ﴿ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال: «فيما ينوهم» [6]. ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ ﴾ قال: «أمر ربّك» [7]. ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ

١ـ البيضاوي ٢: ٢١٤

٢ـ في «الف» و «ج»: «يهدون بالحقّ»، وفي «ب»: «يدعون بالحقّ» وما أثبتناه من المصدر

٣ـ الاحتجاج ١: ٧٨ـ٧٩. وفيه: «أنا صراط الله المستقيم».

٤ـ العيّاشي ١: ٣٨٤، الحديث ١٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام

٥و٦و٧ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام

ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ قال: «هي العذاب في دار الدّنيا، كما عذّب الأمم السّالفة والقرون الخالية»[1]. ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ كان المعنى: أنّه لاينفع الايمان حينئذ نفساً غيرَ مقدِّمةٍ إيمانها، غيرَ كاسبة في إيمانها خيراً. قال: «"من قبل" يعني من قبل أن تجيء هذه الآية، وهذه الآية: طلوع الشّمس من مغربها»[2]. وفي رواية: «طلوع الشّمس من المغرب، وخروج الدّجّال والدّخان، والرّجل يكون مصراً ولم يعمل عمل الايمان، ثمّ تجيء الآيات فلا ينفعه إيمانه»[3]. "أو كسبت في إيمانها خيراً". قال: «المؤمن العاصي حالت بينه وبين إيمانه كثرة ذنوبه وقلّة حسناته، فلم يكسب في إيمانه خيراً»[4]. وفي رواية: «"من قبل" يعني في الميثاق، "أو كسبت في إيمانها خيراً" قال: الإقرار بالانبياء والاوصياء وأمير المؤمنين عليه السلام خاصّة، لاينفع إيمانها لأنّها سلبت»[5] وفي أُخرى: «الآيات هم الأئمة عليهم السّلام، والآية المنتظرة: القائم عليه السلام، فيومئذ لاينفع نفساً إيمانها»[6].

﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾. وعيد لهم وتهديد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾: بدّدوه، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه؛ وعلى قراءة: "فارقوا"، كما نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام[7] أي: باينوا. ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾: فِرقاً يُشيِّعُ كلُّ فرقة إماماً ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا

١ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ التوحيد: ٢٦٦، الباب: ٣٦، ذيل الحديث ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ١: ٣٨٤، الحديث ١٢٨، عن الصّادقين عليهما السّلام وفيه: «هو خروج الدّابّة والدّجّال والرّجل يكون مُصِرّاً».
٤ـ المصدر: ٣٨٥، الحديث ١٣٠، عن أحدهما عليهما السّلام، مع اختلاف يسير.
٥ـ الكافي ١: ٤٢٨، الحديث ٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ كمال الدّين: ٣٣٦، الباب: ٣٣، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٣٨٨.

كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾. قال: «هم أهل الضّلال وأصحاب الشّبهات والبدع من هذه الأمّة»[1].

والقمّي: فرقوا أمير المؤمنين عليه السلام وصاروا أحزاباً[2].

وفي الحديث المشهور: «ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلّها في النّار إلّا واحدة، وهي الّتي تتبع وصيّي عليّاً»[3].

﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ فضلاً من الله تعالى. قال: فلمّا نزلت «من جاء بالحسنة فله خير منها»[4] قال رسول الله ﷺ: ربّ زدني فأنزل الله: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها»[5].

أقول: هذا أقلّ ما وُعِدَ من الأضعاف، وقد جاء الوعد بسبعين، وبسبعمائة، وبغير حساب. وورد في هذه الآية: «هي للمسلمين عامّة»[6] قال: «قد قال الله: "يُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً"[7]، فالمؤمنون هم الّذين يضاعف الله لهم حسناتهم، لكلّ حسنة، سبعون ضعفاً، فهذا فضل المؤمن، ويزيد الله في حسناته على قدر صحّة إيمانه أضعافاً كثيرة، ويفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير»[8].

﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ عدلاً من الله؛ وقد ذكرنا سرّ ذلك في الصّافي والوافي[9]. ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ بنقص الثّواب وزيادة العقاب.

١ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٣٨٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٢٢٢.
٣ـ الخصال ٢: ٥٨٥، من غير تعرّض بالذّيل: «وهي الّتي ...».
٤ـ القصص (٢٨): ٨٤.
٥ـ مجمع البيان ١ـ ٢: ٣٤٩ ذيل الآية: ٢٤٥ من سورة البقرة؛ ومعاني الأخبار: ٣٩٨، الحديث: ٥٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي ٢: ١٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ البقرة (٢): ٢٤٥.
٨ـ الكافي ٢: ٢٧، الحديث: ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ـ راجع: الصّافي ٢: ٧١٦؛ والوافي ٥: ١٠٢١، باب الهمّ بالسّيّئة أو الحسنة.

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا ﴾: هداني ديناً ﴿قِيَمًا﴾. قيماً، وصف بالمصدر مبالغة. ﴿ مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾. سبق تفسيره[1] ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾: عبادتي و قرباني[2] ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾. وما أنا عليه في حياتي و اموت عليه من الإيمان والطاعة ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾. خالصة له.

﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾: لا اشرك فيها غيره. ورد في حديث ذكر فيه: «إبراهيم عليه السلام دينه ديني و ديني دينه، و سنّته سنّتي و سنّتي سنّته، و فضلي فضله وأنا أفضل منه»[3].

﴿ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾: «لأنه اول من أجاب في الذرّ». كما ورد[4].

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ فأشركه في عبادتي؟! و هو جواب عن دعائهم إلى عبادة آلهتهم. ﴿ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾: والحال أنّ كلّ ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للرّبوبيّة.

﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾: لا تحمل نفس آثمة إثم نفسٍ أُخرىٰ. جواب عن قولهم: «اتَّبِعُوا سبيلنا ولْنَحْمِلْ خطاياكُم»[5]. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾. قيل: يخلف بعضكم بعضاً، كلّما مضى قَرْنٌ خَلَفَهم قَرْنٌ، أو خلفاء الله في أرضه تتصرّفون فيها[6]. ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

١- لاحظ: البقرة ذيل الآية: ١٣٥، و آل عمران ذيل الآية: ٩٥، والنساء ذيل الآية: ١٢٥.

٢- القُرْبان - على وزن فُعْلان - من القُرْب كالفرقان من الفرق. ما يقصد به القرب من رحمة الله من أعمال البرّ. «مجمع البحرين ٢: ١٤١ - قرب» و في نسخة «ب» و «ج»: «قُرُباتي» جمع القُرْبَة: ما يتقرّب به إلى الله تعالى.

٣- العيّاشي ١: ١٦٩، الحديث: ٣٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٤- الكافي ٢: ١٠، الحديث: ١ و ١٢، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥- العنكبوت (٢٩): ١٢.

٦- البيضاوي ٢: ٢١٧؛ وروح المعاني ٨: ٧١.

﴿ دَرَجَٰتٍ ﴾ في الشَرف والغنى والعقل و غير ذلك ﴿ لِّيَبْلُوَكُمْ ﴾: ليختبركم ﴿ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ من الجاه والمال، كيف تشكرون نعمه ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ﴾ لمن كفر نعمه ﴿ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لمن قام بشكرها. وورد: «إنّ سورة الأنعام نزلت جملةً واحدةً، شيّعها سبعون ألف ملكٍ، فعظّموها و بجّلوها، فإنّ اسم الله فيها في سبعين موضعاً»[1].

١ـ ثواب الأعمال: ١٣٢، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله ﷺ. و بجّلوها اي: وقّروها وعظّموها. مجمع البحرين ٢: ٣١٧ (بجل).



سورة الأعراف

[مكيّة، وهي مائتان وستّ آيات] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓمٓصٓ﴾. مضى الكلام في تأويله في أول سورة البقرة.

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾: ضيق من تبليغه. قيل: كان النبيّ ﷺ يخاف تكذيب قومه، فكان يضيق صدره في الأداء ولا ينبسط له، فأمّنه الله سبحانه بهذه الآية. [2] ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾: شياطين الجنّ والإنس، فيحملوكم على الأهواء والبدع ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا﴾: بائتين، كقوم لوط ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ أو قائلين نصف النّهار؛ من القيلولة كقوم شعيب، يعني أخذهم في غفلة منهم وأمن وفي وقتَي دعة واستراحة.

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب»
٢ـ الكشّاف ٢: ٨٦.

﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾: ما كانوا يدّعونه من دينهم، أو دعائهم و استغاثتهم ﴿إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾: إلاّ اعترافهم ببطلانه و بظلمهم فيما كانوا عليه، و تحسّرهم على ما كان منهم.

﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ يعني الأمم عن قبول الرّسالة و إجابتهم الرّسل ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني الأنبياء عن تأدية ما حُمّلوا من الرّسالة. ورد في حديث: «فيقام الرّسل فيُسألون عن تأدية الرّسالات الّتي حمّلوها إلى أُممهم، فيخبرون أنّهم قد أدّوا ذلك إلى أُممهم، و يُسأل الأمم فيجحدون، كما قال الله: "فلنسألنّ" الآية، فيقولون: ما جاءنا من بشير ولا نذير. فيستشهد الرّسول ﷺ، فيشهد بصدق الرّسل ويكذب من جحدها من الأمم، فيقول لكلّ أمّة منهم: "قد جاءكم بشير ونذير، والله على كلّ شيء قدير"[١] أي: مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم، بتبليغ الرّسل إليكم رسالاتهم، و لذلك قال الله لنبيّه: "فكيف إذا جئنا من كلّ أمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً"[٢]، فلا يستطيعون ردّ شهادته؛ خوفاً من أن يختم الله على أفواههم، وأن يشهد عليهم جوارحهم بما عملوا»[٣].

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم ﴾: على الرّسل والمرسل إليهم ما كان منهم ﴿ بِعِلْمٍ ﴾: عالمين بأحوالهم الظّاهرة والباطنة ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ عنهم و عن أفعالهم و عن أحوالهم؛ والغرض من السّؤال: التّوبيخ والتّقرير عليهم، و ازدياد سرور المثابين بالثّناء عليهم، وغمّ المعاقبين بإظهار قبائحهم.

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾ أي: وزن الأعمال والتّميز[٤] بين راجحها و خفيفها ﴿فَمَن

١ـ المائدة (٥): ١٩.

٢ـ النّساء (٤): ٤١.

٣ـ راجع: الاحتجاج ١: ٣٦٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت يسير.

٤ـ في «ب» و «ج»: التّمييز.

﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: حسناته؛ جمع موزون، أو ما يوزن به حسناته، جمع ميزان. ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾. ورد: إنّه سُئل عن قول الله عزّوجلّ: "و نضع الموازين القسط ليوم القيامة" قال: «هم الأنبياء والأوصياء».[1] و في رواية: «نحن الموازين القسط»[2].

أقول: و ذلك لأنّ ميزان كلّ شيء هو المعيار الّذي به يعرف قدر ذلك الشّيء؛ فميزان النّاس ليوم القيامة: ما يوزن به قدر كلّ إنسان وقيمته على حسب عقيدته وخلقه وعمله، لتجزى كلّ نفس بما كسبت؛ و ليس ذلك إلّا الأنبياء والأوصياء، إذ بهم وباتّباع شرائعهم و اقتفاء آثارهم و ترك ذلك، وبالقرب من سيرتهم والبعد عنها يعرف مقدار النّاس و قدر حسناتهم و سيّئاتهم؛ فميزان كلّ أمّة هو نبيّ تلك الأمّة و وصيّ نبيّها والشّريعة الّتي أتى بها؛ فمن ثقلت حسناته و كثرت، فأولئك هم المفلحون، ومن خفّت و قلّت حسناته، فأولئك الّذين خسروا أنفسهم، أي: ضيّعوا فطرتهم بسبب ظلمهم عليها، بتكذيبهم الأنبياء والأوصياء. و تمام تحقيق هذا المقام يطلب من رسالتنا الموسومة بميزان القيامة.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: مكّناكم من سكناها وزرعها والتّصرّف فيها ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ﴾ تعيشون بها ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ﴾. قال: «أمّا "خلقناكم"، فنطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظماً ثمّ لحماً، و أمّا "صوّرناكم"، فالعين والأنف والأذنين والفم واليدين

١ـ معاني الأخبار: ٣١، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكلمات المكنونة: ١٥٨، عنهم عليهم السّلام.

والرِّخْلَين؛ صوّر هذا و نحوه، ثمّ جعل الدّميم والوسيم [١] والجسيم والطّويل والقصير وأشباه هذا» [٢].

أقول. الاقتصار على بيان الخلق والتّصوير لبني آدم في الحديث، لا ينفي شمول الآية لآدم، فإنّه خلقه طيناً غير مصوّر ثمّ صوّره، فلاينافي الحديث تمام الآية

﴿ ثُمَّ قُلْنَا ﴾ أي: بعد خلق آدم و تصويره ﴿ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾.

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ أي: أن تسجد. تزاد «لا» في مثله لتأكيد معنى الفعل الّذي دخلت عليه، نظيره: «لِئَلَّا يَعْلَمَ» [٣]، و فيه تنبيه على أنّ الموبّخ عليه، ترك السّجود؛ على أنّ الممنوع عن الشّيء مضطرّ إلى خلافه، فكأنّه قيل: ما اضطرّك أن لا تسجد. ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾. قال: «إنّ إبليس قاس نفسه بآدم فقال: خلقتني من نار و خلقته من طين، فلو قاس الجوهر الّذي خلق منه آدم، بالنّار، كان ذلك أكثر نوراً و ضياءً من النّار» [٤]. و في رواية: «ولو قاس نوريّة آدم بنوريّة النّار، عرف فضل ما بين النّورين و صفاء احدهما على الآخر» [٥]. و في أُخرى: «كذب إبليس؛ ما خلقه الله تعالى إلّا من طين؛ قال الله عزّوجلّ: «الّذي جعل لكم من الشّجر الأخضر ناراً» [٦] قد خلقه الله من تلك النّار ومن تلك الشّجرة، والشّجرة أصلها من طين» [٧].

﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا ﴾: من المنزلة الّتي أنت عليها في السّماء و زمرة الملائكة ﴿ فَمَا

١- الدّميم: القبيح المنظر، والوسيم: الحسن الوجه. مجمع البحرين ٦: ٦٤ (دمم). الصّحاح ٥: ٢٠٥١ (وسم).

٢- القمّي ١: ٢٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام، وليس فيه: «الجسيم».

٣- الحديد (٥٧): ٢٩.

٤- الكافي ١: ٥٨، الحديث: ١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥- المصدر، الحديث: ٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦- يس (٣٦): ٨٠.

٧- القمّي ١: ٢٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿يَكُونُ لَكَ﴾: فما يصحّ لك ﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ وتعصي، فإنّها مكان الخاشع المطيع؛ وفيه تنبيه على أنّ التكبّر لايليق بأهل الجنّة. ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ فإنّ من تكبّر وضعه الله.

﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: أمهلني إلى يوم القيامة، فلا تُمِتْني ولا تُعجّل عقوبتي.

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾. أجابه الله إلى ما سأله من الإمهال، ولم يجبه إلى ما سأله من غايته، لأنّ الله تعالى يقول في موضع آخر: «فإنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم»[1] وهو النفخة الأولى ويوم البعث، والقيامة هو النفخة الثانية. و ورد: «يموت إبليس ما بين النفخة الأولى والثانية»[2]. و في رواية: «أنظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا»[3]. وفي إسعافه[4] إليه، ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته.

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾: فبسبب إغوائك إيّاي، وهو تكليفه إيّاه ما وقع به في الغيّ، ولم يثبت كما ثبتت الملائكة، فإنّه لمّا أمره الله بالسّجود حملته الأنَفَةُ على معصيته.

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: لأجتهدنّ في إغوائهم حتّى يَفْسُدوا بسببي كما فسدت بسببهم، بأن أترصّد لهم على طريق الإسلام كما يترصّد القطّاع على الطّريق ليَقْطَعَهُ على المارّة. ورد: «الصّراط هنا: عليّ عليه السلام»[5]. وفي رواية: «يا زرارة[6] إنّما عمد لك ولأصحابك، فأمّا الآخرون فقد فرغ منهم»[7].

١ـ الحجر (١٥): ٣٧و٣٨؛ و ص (٣٨): ٨٠و٨١.
٢ـ علل الشرائع ٢: ٤٠٢، الباب ١٤٢، الحديث ٢ عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٤٢، الحديث: ١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الإسعاف: الإعانة و قضاء الحاجة. مجمع البحرين ٥: ٧٠ (سعف).
٥ـ العيّاشي ٢: ٩، الحديث ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ لم ترد في «ب» و «ج» كلمة «يا زرارة».
٧ـ الكافي ٨: ١٤٥، الحديث ١١٨ عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه «إنّما صمد لك».

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم ﴾ من الجهات الاربع جُمَع ﴿ مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ قال: «معناه أُهَوِّن عليهم أمر الآخرة»[1]. ﴿ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ قال: «آمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم»[2]. ﴿ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾ قال: «أُفسدُ عليهم أمرَ دينهم، بتزيين الضَّلالة وتحسين الشُّبهة»[3]. ﴿ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ ﴾ قال: «بتحبيب اللَّذّات إليهم وتغليب الشَّهوات على قلوبهم»[4]. ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾: مطيعين قاله تظنّاً، لقوله سبحانه: «وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ»[5]. ورد: «إنّه استوجب من الله أن أعطاه ما أعطاه بركعتين ركعهما في السَّماء في أربعة آلاف سنة»[6].

﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا ﴾: مذموماً، من ذأمه: إذا ذمّه. ﴿ مَّدۡحُورٗاۖ ﴾: مطروداً ﴿ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ ﴾. اللاّم فيه لتوطية القسم، وجوابه: ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ أي: منك ومنهم.

ورد ما معناه إنّه قال: «فكيف وأنت العدل الّذي لا تجور، فثواب عملي بطل؟ قال: لا ولكن سلني من أمر الدّنيا ما شئت، أُعطك. فأوّل ما سأل البقاء، ثمّ تسلّطه على ولد آدم، ثمّ أن يجريه فيهم مجرى الدّم، ثمّ أن لا يُولَدَ لهم ولد إلاّ ولد له إثنان، ثمّ أن يراهم ولا يرونه ويتصوّر لهم في كلّ صورة شاء، ثمّ أن يجعل صدورهم أوطاناً له ولذرّيّته؛ فأعطاه الله ذلك كلّه، فعند ذلك قال: "فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ"[7] "ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ" الآية»[8]. [9]

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٠٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢، ٣و٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٠٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ سبأ (٣٤): ٢٠.
٦ـ القمّي ١: ٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ ص (٣٨): ٨٢ و٨٣.
٨ـ الأعراف (٧): ١٧.
٩ـ القمّي ١: ٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

سبق تفسيرها في سورة البقرة[1].

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾: أوهمهما النّصيحة لهما، وهي في الأصل: الصّوت الخفيّ. ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾: ليظهر لهما ﴿مَا وُورِيَ﴾: غطّي ﴿عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾: عوراتهما. قيل: وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر[2]. ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾.

﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾: أقسم لهما ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾. قال: «قال: إنكم إن أكلتما من هذه الشّجرة الّتي نهاكما الله عنها، صرتما ملكين وبقيتما في الجنّة أبداً، وإن لم تأكلا منها، أخرجكما من الجنّة؛ وحلف لهما أنّه لهما ناصح، فقبل آدم قوله»[3].

﴿فَدَلَّاهُمَا﴾: فنزلهما إلى الأكل منها. نبّه به على أنّه أهبطهما بذلك من درجة عالية إلى رتبة سافلة؛ فإنّ التّدلية: إرسال الشّيء من أعلى إلى أسفل. ﴿بِغُرُورٍ﴾: بما غرّهما به من القسم؛ فإنّهما ظنّا أنّ أحداً لا يحلف بالله كاذباً.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ قال: «سقط عنهما ما ألبسهما الله من لباس الجنّة، وأقبلا يستتران من ورق الجنّة»[4]. ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾. وأخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

١ ـ ذيل الآية ٣٥.

٢ ـ البيضاوي ٣: ٦.

٣و٤ ـ القمّي ١: ٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ سبق تفسيرها مع تمام القصة [١].

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾

﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ ﴾ و يغنيكم عن خصف الورق ﴿ وَرِيشًا ﴾ تتجملون به. والريش ما يتجمّل به، مأخوذ من ريش الطائر، فإنّه لباسه وزينته. ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾: خشية الله. قال: «فأمّا اللّباس: فالثياب الّتي تلبسون؛ وأمّا الرّياش: فالمال والمتاع [٢]؛ وأمّا لباس التّقوى: فالعفاف؛ إنّ العفيف لا تبدوله عورة وإن كان عارياً من الثّياب، والفاجر بادي العورة وإن كان كاسياً من الثّياب» [٣] ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ قال: «يقول: والعفاف خير» [٤]. ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ اي: إنزال اللّباس ﴿ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الدالّة على فضله و رحمته ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ فيعرفون نعمته، أو يتّعظون فيتورّعون عن القبائح.

﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ﴾: لا يمتحننكم، بأن يمنعكم دخول الجنّة بإغوائكم ﴿ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾. أسند النّزع إليه للتّسبّب. ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ تعليل للنّهي، وتأكيد للتّحذير من فتنته، و «قبيله»: جنوده. ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لما بينهم من التّناسب.

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً ﴾: فعلة متناهية في القبح، كعبادة الأصنام، والائتمام بأئمّة الجور ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾. قال: «هل رأيت أحداً زعم أنّ الله أمر بالزّنا، و شرب الخمر،

١ـ في سورة البقرة، ذيل الآية: ٣٦.

٢ـ في «ب» و «ج»: فالمتاع و المال.

٣ و ٤ـ القمّي ١: ٢٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

أو شيء[1] من هذه المحارم؟ فقيل: لا؛ ثمّ قال: إنّ هذا في أئمّة الجور، ادّعوا أنّ الله أمرهم بالائتمام بقوم لم يأمرهم الله بالائتمام بهم؛ فردّ الله ذلك عليهم، فأخبر أنّهم قد قالوا عليه الكذب، وسمّى ذلك منهم فاحشة»[2].

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾. بالعدل والاستقامة ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي: نحو القبلة، أو توجّهوا إلى عبادته مستقيمين، غير عادلين إلى غيرها ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. في كلّ وقت سجود، أو في كلّ مكان سجود، و هو الصّلاة. قال: «هذه في القبلة»[3]. و في رواية: «مساجد محدثة، فأُمروا أن يقيموا وجوههم شطر المسجد الحرام»[4]. و في أخرى: «عند كلّ مسجد، يعني: الائمّة عليهم السّلام»[5].

﴿وَادْعُوهُ﴾: واعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الطّاعة، فإنّ إليه مصيركم. ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾. كما أنشأكم ابتداءً ﴿تَعُودُونَ﴾ بإعادته. قال: «يعني: خلقهم حين خلقهم مؤمناً و كافراً، و شقيّاً و سعيداً؛ و كذلك يعودون يوم القيامة مهتد وضالّ»[6].

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ بأن وفّقهم للإيمان ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ إذ لم يقبلوا الهدى.

قال: «هم القَدَرِيَّة الذين يقولون: لا قدر، و يزعمون أنّهم قادرون على الهُدىٰ والضّلال، و ذلك إليهم، إن شاؤوا اهتدوا و إن شاؤوا ضلّوا؛ و هم مجوس هذه الأمّة، و كذب أعداء الله المشيّة والقدرة لله، كما بدأهم يعودون؛ مَنْ خَلَقَهُ شقيّاً يوم خلقه،

١ ـ في «الف» و «ج» و العيّاشي: «و شيء»
٢ ـ الكافي ١: ٣٧٣، الحديث. ٩مصمراً؛ والعيّاشي ٢: ١٢، الحديث: ١٥ ،عن العبد الصّالح عليه السلام.
٣ ـ التّهذيب ٢: ٤٣، الحديث: ١٣٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «هذه القبلة»
٤ ـ المصدر، الحديث: ١٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام
٥ ـ العيّاشي ٢: ١٢، الحديث: ١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ القمّي ١: ٢٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام

كذلك يعود إليه شقيّاً، ومن خلقه سعيداً يوم خلقه، كذلك يعود إليه سعيداً»[1]. قال رسول الله ﷺ: «الشقيّ من شقي في بطن أُمّه، والسّعيد من سعد في بطن أُمّه»[2].

﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ قال: «يعني أئمّةً دون أئمة الحقّ»[3] و﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال: «خذوا ثيابكم الّتي تتزيّنون بها للصّلاة في الجمعات والأعياد»[4]. وفي رواية: «من ذلك، التّمشّط عند كلّ صلاة»[5]. وفي أُخرى: «الغسل عند لقاء كلّ إمام»[6]. ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ما طاب لكم ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بالإفراط والإتلاف، وبالتّعدّي إلى الحرام، وبتحريم الحلال وغير ذلك. قيل: لقد جمع الله الطّبّ في نصف آية[7].

أقول: وهو ناظر إلى الإفراط في الأكل.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ قال: «من سأل النّاس شيئاً، وعنده ما يقوته يومه فهو من المسرفين»[8].

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ من الثّياب وسائر ما يتجمّل به ﴿الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من الأرض، كالقطن والكتّان والابريسم والصّوف والجواهر ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾

١ـ القمّي ١: ٢٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٢٢٧.
٣ـ علل الشرايع ٢: ٦١٠، الباب: ٣٨٥، ذيل الحديث: ٨١، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «يعني أئمّة جور».
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٧٥، الحديث: ٣١٩، عن الرّضا عليه السلام؛ ومجمع البيان ٣ـ٤: ٤١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ التّهذيب ٦: ١١٠، الحديث: ١٩٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ البيضاوي ٣: ٨.
٨ـ العيّاشي ٢: ١٤، الحديث: ٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

المستلذّات من المآكل والمشارب؛ وهو إنكار لتحريم هذه الأشياء. ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: «المغصوبين عليها»[1]. ﴿خَالِصَةً﴾ لهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال: «بلا غصب»[2]. ورد: «إنّ المتّقين حازوا عاجل الخير وآجله؛ شاركوا أهل الدّنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدّنيا في آخرتهم، أباحهم الله في الدّنيا ما كفاهم به وأغناهم؛ ثمّ تلا هذه الآية»[3] ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ قال: «يعني: الزّنا المعلن، ونصب الرّايات الّتي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهليّة»[4]. ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ قال: «يعني: ما نكح من أزواج الآباء، لأنّ النّاس كانوا قبل أن يبعث النّبيّ ﷺ إذا كان الرّجل له زوجة ومات عنها، تزوّجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمّه، فحرّم الله ذلك»[5].

﴿وَالْإِثْمَ﴾ قال: «هي الخمر بعينها، وقد قال الله في موضع آخر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[6] فأمّا الإثم في كتاب الله فهي الخمر والميسر، وإثمهما كبير»[7]. ﴿وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ قال: «هي الزّنا سرّاً»[8].

﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: ما لم يدلّ عليه برهان ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: تتقوّلوا وتفتروا. ورد: «لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كلّ ما تعلم»[9]. وفي رواية: «من أفتى النّاس بغير علم لعنته ملائكة السّماوات والأرض»[10].

١ و٢ ـ الكافي ١: ٤٠٩، الحديث ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ الأمالي (للمفيد): ٢٦٣، المجلس الحادي والثلاثون، ذيل الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه «أباحهم الله من الدّنيا ما كفاهم وبه أغناهم».
٤ و٥ و٧ ـ الكافي ٦: ٤٠٦، الحديث ١٠؛ والعيّاشي ٢: ١٧، الحديث ٣٨، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.
٦ ـ البقرة (٢): ٢١٩.
٨ ـ العيّاشي ٢: ١٧، الحديث ٣٨، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.
٩ ـ من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٨١، الحديث ١٦٢٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
١٠ ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٤٦، الباب ٣١، الحديث ١٧٣، عن النّبيّ ﷺ.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ قال: «هو الذي سُمّيَ لملك الموت في ليلة القدر»[١]. ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾. قال: «تعدّ السنين، ثمّ تعدّ الشهور، ثمّ تعدّ الأيام، ثمّ تعدّ النفس، "فإذا جاء أجلهم" الآية»[٢].

﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ ضمّت «ما» إلى «إن» الشرطيّة تأكيداً لمعنى الشرط ﴿ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾: من جنسكم ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ التكذيب منكم ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ عمله ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾: تقوّل عليه ما لم يقله ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾: او كذّب ما قاله ﴿ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ﴾: ممّا كتب لهم من الارزاق والآجال ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾. "حتّى" غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم إيّاه، اي: إلى وقت وفاتهم، وهي التي يُبْتَدَأُ بعدها الكلام. والمراد بالرّسل هنا: ملك الموت واعوانه. ﴿ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ الآلهة التي تعبدونها ﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ﴾: غابوا عنّا ﴿ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾.

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ ﴾ اي: قال الله تعالى لهم يوم القيامة ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ التي ضلّت بالاقتداء بها ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا ﴾: تداركوا و تلاحقوا في النّار. قال: «يبرئ بعضهم من بعض، و يلعن بعضهم بعضاً، يريد بعضهم ان يحجّ - اي: يغلب[٣] بعضاً رجاء الفلج[٤]،

١ـ العيّاشي ١: ٣٥٤، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ الكافي ٣: ٢٦٢، الحديث: ٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «تعدّ الساعات، ثمّ تعدّ النفس».
٣ـ لم ترد في «ب» و «ج» كلمة: «أي يغلب».
٤ـ الفلج: الظفر و الفوز. مجمع البحرين ٢: ٣٢٣ (فلج).

فيَفْلِتُوا[1] من عظيم ما نزل بهم، و ليس بأوان بلوى ولا اختيار ولا قبول معذرة ولات حين نجاة»[2] ﴿ قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ ﴾ منزلة، و هي الاتباع والسفلة ﴿ لِأُولَىٰهُمْ ﴾ منزلة أي: لأجلهم، إذ الخطاب مع الله لا معهم، و هم القادة والرؤساء. قال: «يعني أئمّة الجور»[3]. ﴿ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾ مضاعفاً؛ لأنهم ضلّوا وأضلّوا ﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ﴾ أمّا القادة فبكفرهم و تضليلهم؛ و أمّا الأتباع فبكفرهم وتقليدهم ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ ﴾ مخاطبين لهم: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾. عطفوا كلامهم على قول الله سبحانه للأتباع: "لكلٍّ ضعف" أي: فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا، و إنّا و إيّاكم متساوون في الضلال و استحقاق الضعف ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ شماتة بهم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ لأدعيتهم و أعمالهم و لنزول البركة عليهم و لصعود أرواحهم، إذا ماتوا. ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾: لا يدخلونها حتّى يكونَ ما لا يكونُ أبداً. من وُلوج الجمل ـ الّذي لا يلج إلّا في باب واسع ـ في ثقب الإبرة. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾: فراش ﴿ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾: أغطية ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم؛ والجملة اعتراض للترغيب. ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

١ ـ الإفلات: التخلّص من الشيء. مجمع البحرين ٢: ٢١٣ (فلت).

٢ ـ الكافي ٢: ٣١، الحديث: ١، عن أبي جعفر ﷺ.

٣ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤١٧، عن أبي عبدالله ﷺ.

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ على إخوانهم في الدّنيا فسلمت قلوبهم وطهرت من الحقد و الحسد و الشّحناء[1]؛ و لم يكن منهم إلاّ التّراحم والتّعاطف والتّوادد. ورد: «العداوة تنزع منهم، يعني، من المؤمنين في الجنّة»[2]

﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾. قال: «إذا كان يوم القيامة، دُعِيَ بالنّبي ﷺ و بأمير المؤمنين والائمّة عليهم السّلام فينصبون للنّاس؛ فإذا رأتهم شيعتهم، قالوا: "الحمد لله الّذي هدانا لهذا". يعني: هدانا الله في ولاية أمير المؤمنين و الائمة من ولده عليهم السّلام»[3].

﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ فاهتدينا بإرشادهم. يقولون ذلك؛ اغتباطاً وتبجّحاً[4]، إذ صار علمُ يقينهم في الدّنيا عينَ يقينهم في الآخرة. ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ ﴾ إذا رأوها ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

روي: «ما من أحد إلاّ و له منزل في الجنّة و منزل في النّار؛ فأمّا الكافر فيرث المؤمنَ منزله من النّار، و المؤمن يرث الكافرَ منزله من الجنّة؛ فذلك قوله تعالى "أُورثتموها بما كنتم تعملون"»[5].

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾؟ قالوه تبجّحاً بحالهم و شماتةً بأصحاب النّار و تحسّراً لهم، وإنّما لم يقل: «ما وَعَدَكُمْ» كما قال: «ما وَعَدنا»، لأنّ ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصاً وَعْدُهُ بهم، كالبعث و الحساب و نعيم الجنّة لأهلها. ﴿قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ

١ـ الشّحناء: العداوة والبغضاء. مجمع البحرين ٦: ٢٧١ (شحن)

٢ـ القمّي ١: ٢٣١، عن أبي جعفر ﷺ.

٣ـ الكافي ١: ٤١٨، الحديث ٣٠، عن أبي عبدالله ﷺ.

٤ـ البَجَح ـ بالتّحريك ـ: الفرح. مجمع البحرين ٢: ٣٤١ (بجح).

٥ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٢٠، عن النّبيّ ﷺ.

بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ زيغاً و ميلاً عمّا هو عليه ﴿ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ قال: «المؤذّن أمير المؤمنين عليه السلام يؤذّن أذاناً يسمع الخلائق»[1].

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ أي: بين الفريقين، أو بين الجنّة و النّار ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾، أعراف الحجاب أي: أعاليه: رجال من الموحّدين العارفين المعروفين.
﴿ يَعْرِفُونَ كُلًّا ﴾ من أهل الجنّة و النّار ﴿ بِسِيمَٰهُمْ ﴾. بعلامتهم الّتي أعلمهم الله بها، لأنّهم من المتوسّمين أهل الفراسة. قال: «الأعراف كُثْبانٌ[2] بين الجنّة و النّار، يوقف عليها كلّ نبيّ و كلّ خليفة نبيّ مع المذنبين من أهل زمانه، كما يقف صاحب الجيش مع الضّعفاء من جنده، و قد سبق المحسنون إلى الجنّة»[3] الحديث.

و في رواية: «نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، و نحن الأعراف الّذين لا يُعْرَفُ الله عزّ وجلّ إلّا بسبيل معرفتنا، و نحن الأعراف يوقفنا الله عزّ وجلّ يوم القيامة على الصّراط»[4]. و في لفظ آخر: «نوقف بين الجنّة و النّار، فلا يدخل الجنّة إلّا من عرَفَنا و عرَفْناه، و لا يدخل النّار إلّا من أنكَرَنا و أنكَرْناه»[5]. و في رواية: «إنّهم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فقصرت بهم الأعمال، وإنّهم لكما قال الله»[6]. و زيد في أُخرى: «فإن أدخلهم النّار فبذنوبهم، وإن أدخلهم الجنّة فبرحمته»[7].

١ـ القمّي ١: ٢٣١؛ و الكافي ١: ٤٣٦، عن أبي الحسن عليه السلام.
٢ـ الكُثْبان جمع كثيب: التلُّ من الرّمل. القاموس المحيط ١: ١٢٦ (كثب).
٣ـ مجمع البيان ٣ - ٤: ٤٢٣؛ و جوامع الجامع ١: ٤٣٨-٤٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والقمّي ١: ٢٣١ ما يقرب منه.
٤ـ الكافي ١: ١٨٤، الحديث ٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام، و فيه: «يُعَرِّفُنا الله» بدل: «يوقفنا الله».
٥ـ بصائر الدّرجات: ٤٩٧، الباب: ١٦، الحديث ٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ الكافي ٢: ٤٠٨، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ المصدر: ٣٨١، الحديث ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أقول: لاتنافي بين الرّوايتين: لأنّ هؤلاء القوم يكونون مع الرّجال الّذين على الأعراف، و كلاهما أصحاب الأعراف كما دلّ عليه الحديث الأوّل.

﴿وَنَادَوْا﴾ قال:[1] يعني: و نادى أصحاب الأعراف الّذين كانوا عنده مع الأئمّة عليهم السّلام، من مذنبي شيعتهم الّذين استوت حسناتهم وسيّئاتهم ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ أي: الّذين سبقوا إليها، وذلك حين يقول لهم الأئمّة عليهم السّلام: أنظروا إلى إخوانكم في الجنّة، قد سبقوا إليها بلاحساب. ﴿أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: إذا نظروا إليهم سلّموا عليهم ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ ان يدخلهم الله إيّاها بشفاعة النّبيّ ﷺ والإمام عليه السلام.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: في النّار. وفي قراءة الصّادق عليه السلام: «قالوا: ربّنا عائذاً بك ان لاتجعلنا»[2].

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾ يعني: الأئمّة عليهم السّلام ﴿رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ من رؤساء الكفّار ﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ في الدّنيا ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الحقّ.

﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ من تتمّة قول الأئمّة عليهم السّلام للرّجال، و الإشارة إلى شيعتهم الّذين كانوا معهم على الأعراف، الّذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدّنيا، و يحلفون انّ الله لايدخلهم الجنّة. ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ اي: فالتفتوا إلى أصحابهم و قالوا لهم: "ادخلوا الجنّة" الآية. كذا ورد في تفسير هذه الآيات[3].

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ اي: صبّوه،

١ ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ قوله «قال» زائد؛ او كان قائله المصنّف لا الإمام المعصوم عليه السلام كما يظهر من الصّافي فراجع.

٢ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه «ان تجعلنا».

٣ ـ جوامع الجامع ١: ٤٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

وذلك لأنّ الجنّة فوق النار ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الأطعمة و الفواكه ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ فحرّموا ما شاؤوا و استحلّوا ما شاؤوا ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ قال: «نتركهم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا. و قال: إنّما يجازي من نسيه و نسي لقاء يومه بأن ينسيهم أنفسهم، كما قال الله تعالى: "ولا تكونوا كالّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم"»[1] و في رواية: «يعني بالنّسيان أنّه لم يُثِبْهُمْ كما يثيب أولياءه، الّذين كانوا في دار الدّنيا مطيعين ذاكرين، حين آمنوا به و برسوله[2] ﷺ و خافوه في الغيب. قال: و قد يقول العرب في باب النّسيان: قد نَسِيَنا فُلانٌ فلا يَذْكُرُنا. أي: انّه لا يأمر لهم بخير ولا يَذْكُرُهُم به»[3]. ﴿وَمَا كَانُوا﴾: وكما كانوا ﴿بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾: ما يؤل إليه أمره؛ من تبيّن صدقه بظهور ما نطق به من الوعد و الوعيد. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾. القمّي: ذلك في قيام القائم عليه السلام ويوم القيامة.[4] ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ تركوه ترك النّاسي ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾: قد تبيّن أنّهم جاؤوا بالحقّ.

﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ اليوم ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدّنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بصرف أعمارهم في الكفر ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

١ـ التّوحيد: ١٦٠، الباب ١٦، الحديث ١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام والآية في الحشر (٥٩): ١٩.
٢ـ في «ب» و «ج» و المصدر: «برسله».
٣ـ التّوحيد: ٢٥٩، الباب ٣٦، ذيل الحديث ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٢٣٥.

يطل علم ينفعهم.

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ قال: «ولو شاء أن يخلقها في أقلّ من لمح البصر لخلق، و لكنّه جعل الأناة[1] و المداراة مثالاً لأمنائه، وإيجاباً للحجّة على خلقه»[2]. و في رواية: «كان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين، ولكنّه عزّوجلّ خلقها في ستّة أيّام، ليظهر على الملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء، فيستدلّ بحدوث ما يحدث على الله تعالى مرّة بعد مرّة»[3].

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ قال: «يعني استوى تدبيره و علا أمره»[4]. و في رواية: «استولى على ما دقّ و جلّ»[5]. وفي أخرى: «استوى على كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه»[6]. و في أخرى: «استوى من كلّ شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء»[7] وفي أخرى: «استوى في كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب»[8].

أقول: المستفاد من هذه الرّوايات، أنّ المراد بالعرش، مجموع الأشياء، كما ورد في أخبار أُخر أيضاً، و من الثّلاث الأخيرة بألفاظها، أنّ المراد بالاستواء، استواء النّسبة، وضمّن الاستواء ما يتعدّى بـ«على» تارةً، كالاستيلاء و الاشراف و نحوهما، لموافقة لفظ القرآن. فيصير المعنى: استوى نسبته إلى كلّ شيء حال كونه مستولياً على الكلّ، وأتى بلفظة «من» تارةً، تحقيقاً لمعنى الاستواء في القرب و البعد، وبلفظة «في» تارةً،

١ـ الأناة ـ كقناة ـ الرّفق. مجمع البحرين ١: ٣٦٠ (أنا).
٢ـ الاحتجاج ١: ٣٧٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ التّوحيد: ٣٢٠، الباب ٤٩، الحديث: ٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ الاحتجاج ١: ٣٧٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ المصدر ٢: ١٥٧، عن أبي الحسن عليه السلام.
٦ـ الكافي ١: ١٢٧، الحديث ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ التّوحيد: ٣١٥، الباب ٤٨، الحديث ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الكافي ١: ١٢٨، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

تحقيقاً لمعنى ما يستوي فيه.

ففي الآية دلالة على نفي المكان عنه سبحانه، خلاف ما يفهمه الجمهور منها. وفيها إشارة إلى معيّته القيّوميّة، و اتّصاله المعنويّ بكلّ شيء على السّواء، على الوجه الّذي لاينافي أحديّته و قدس جلاله؛ و إلى إفاضة رحمته العامّة على الجميع على نسبة واحدة، و إحاطة علمه بالكلّ بنحو واحد، وقربه من كلّ شيء على نهج سواء. وأمّا اختلاف المقرّبين كالانبياء و الاولياء مع المبعدين كالشّياطين و الكفّار في القرب والبعد، فليس ذلك من قبله سبحانه؛ بل من جهة تفاوت أرواحهم في ذواتها.

﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾: يغطيه به ﴿ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾: يعقبه سريعاً كالطّالب له، لاينفصل بينهما شيء. ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ ﴾: عالم الاجسام ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾: عالم الارواح ﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾: تعالى بالوحدانيّة في الألوهيّة و تعظّم بالفردانيّة في الرّبوبيّة.

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ فإنّ الاخفاء أقرب إلى الاخلاص ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: المجاوزين ما أُمروا به في الدّعا و غيره. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ كان في غزاة، فاشرف على واد فجعل النّاس يهلّلون و يكبّرون و يرفعون أصواتهم، فقال ﷺ: يا أيّها النّاس اربَعُوا[1] على أنفسكم اما إنّكم لاتدعون أصمّ و لاغائباً، إنّكم تدعون سميعاً قريباً، إنّه معكم»[2] و عن الصّادق ﷺ في هذه الآية: «الاعتداء من صفة قرّاء زماننا هذا وعلامتهم»[3].

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالكفر و المعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ ببعث الانبياء وشرع الاحكام. قال: «إنّ الارض كانت فاسدة فاصلحها الله عزّوجلّ بنبيّه، فقال: "ولا

١ ـ إربَعْ على نفسك. أرفق بنفسك و كفّ و تمكث. مجمع البحرين ٤: ٣٣١ (ربع)
٢ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٢٩.
٣ ـ مصباح الشّريعة: ٥٨، الباب ٢٥، في آفة القرّاء، عن النّبيّ ﷺ

تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها"»[١] والقمّي: أصلحها برسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام، فأفسدوها حين تركوا أمير المؤمنين عليه السلام[٢]. ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ من الردّ لقصور أعمالكم و عدم استحقاقكم ﴿وَطَمَعًا﴾ في إجابته؛ تفضّلاً و إحساناً لفرط رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. ترجيح للطمع و تنبيه على ما يتوصّل به إلى الإجابة.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾. جمع بَشير. ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: قدّام رحمته؛ يعني: المطر، فإنّ الصبا تثير السّحاب، و الشمال تجمعه، و الجنوب تحلبه، و الدّبور تفرّقه. ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ﴾: حملت ﴿سَحَابًا﴾: سحائب ﴿ثِقَالًا﴾ بالماء ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾: لإحيائه ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ من الأجداث[٣] أحياءً. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أنّ من قدر على ذلك قدر على هذا

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ ذ الأرض الكريمة التّربة ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ بأمره و تيسيره. عبّر به من كثرة النّبات و حسنه و غزارة نفعه، بقرينة المقابلة. ﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾ كالحَرّة[٤] والسَّبِخة[٥] ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾: قليلاً عديم النّفع ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: نردّدها و نكرّرها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله، فيتفكّرون فيها ويعتبرون بها.

قيل: الآية مثل لمن تدبّر الآيات و انتفع بها، و لمن لم يرفع إليها رأساً و لم يتأثّر بها.[٦] و القمّي. مثل للأئمّة عليهم السّلام يخرج علمهم بإذن ربّهم، و لأعدائهم لا يخرج

١ـ الكافي ٨: ٥٨، الحديث: ٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٢٣٦.
٣ـ الأجداث جمع جَدَث ـ بالتّحريك ـ القبر. القاموس المحيط ١: ١٦٩ (جدث).
٤ـ الحَرّة: أرض ذات حجارة نَخرة سُود. القاموس المحيط ٢: ٧ (حر).
٥ـ السَّبِخة ـ محركة ومسكّنة ـ: أرض ذات نزّ وملح. القاموس المحيط ١: ٢٧٠ (سبخ).
٦ـ البيضاوي ٣: ١٣ ـ ١٤

علمهم إلّا كدراً فاسداً[1].

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إن لم تؤمنوا.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: الأشراف ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ إنكار، و ذلك انّهم تعجّبوا من إرسال البشر ﴿أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: موعظة منه ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾: على لسانه ﴿لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ و هم من آمن به ﴿فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ﴾: عمي القلوب غير متبصّرين، و أصله عميين، و يأتي تمام القصّة في سورة هود إن شاء الله[2].

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾. هم قبيلة من العرب سمّوا باسم أبيهم الأكبر[3]، و يعني بالأخ: الواحد منهم، كقولهم: «يا أخا العرب» للواحد منهم. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذاب الله.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ إذ فارقت دين قومك ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ﴾ فيما أدعوكم إليه ﴿أَمِينٌ﴾: مأمون في

١ـ القمّي ١: ٢٣٦، و فيه: «إلّا كلباً فاسداً».
٢ـ الآيات ٢٥ إلى ٤٩.
٣ـ و هو «هودُ بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح». راجع: جوامع الجامع ١: ٤٤٥.

تأدية الرّسالة لا أكْذِبُ و لا أُغَيِّر.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ في إجابة الأنبياء عليهم السّلام الكفَرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا، و الإعراض عن مقابلتهم بمثله، مع علمهم بأنّهم أضلّ الخلق و أسفههم أدب حسن؛ وحكاية الله ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السّفهاء و يدارونهم.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي: خلفتموهم في الأرض بعد هلاكهم بالعصيان ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾: قامةً وقوّةً. ورد: «كانوا كالنّخل الطّوال، و كان الرّجل منهم ينحو الجبل[1] بيده فيهدم منه قطعة»[2]. ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ بالشّكر. ورد: «اعظم آلاء الله على خلقه ولايتنا»[3]. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب المدلول عليه بقوله: "أفلا تتّقون"[4] ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾: عذاب؛ من الارتجاس، و هو الاضطراب ﴿وَغَضَبٌ﴾: إرادة انتقام.

﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾: في أشياء ما هي إلّا أسماء ليس تحتها مسمّيات لأنّكم سمّيتموها آلهة، و معنى الإلهيّة فيها معدوم؛ نظيره. "ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ".[5] ﴿مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾: من حجّة و لو استحقّت للعبادة لكان استحقاقها بإنزال آية من الله و نصب حجّة منه ﴿فَانتَظِرُوا﴾ نزول

١- ينحو الجبل: يقصده. القاموس المحيط ٤: ٣٩٦ (نحو).
٢- مجمع البيان ٣-٤: ٤٣٧ عن أبي جعفر (ع)، و فيه: «بيديه».
٣- الكافي ١: ٢١٧، الحديث ٣، عن أبي عبدالله (ع).
٤- الآية: ٦٥ من نفس السّورة.
٥- العنكبوت (٢٩): ٤٢.

العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ في الدين ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾. استأصلناهم، و كان ذلك بأن أنشأ الله سبحانه سحابة سوداء زعموا أنّها مطرهم، فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم، كما يأتي في مواضع أُخر.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾. هم قبيلة أُخرى من العرب سمّوا باسم جدّهم[1] ورد: «هي قرية واحدة لا تكمل اربعين بيتاً على ساحل البحر، صغيرة»[2]. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾. معجزة ظاهرة الدّلالة على صحّة نبوّتي ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾. أضافها إلى الله، لأنّها خلقت بلا واسطة، ولذلك كانت آية. ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾. روي: «أنّهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون إلى أن ينحتوا في الجبال بيوتاً، لأنّ السّقوف و الأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم»[3] ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي: و لا تبالغوا في الفساد.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾: أنفوا من اتباعه ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾: للذين استذلّوهم ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾. قالوه استهزاءً ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾. أسند العقر إلى جميعهم و إن لم يعقرها إلّا بعضهم، لأنّه كان

١ـ و هو «ثمود بن عابر بن إرَم بن سام بن نوح». أنظر: جوامع الجامع ١: ٤٤٧.

٢ـ كمال الدّين: ٢٢٠، الباب ٢٢، ذيل الحديث: ٢، عن أبي جعفر ﷺ.

٣ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٤٠.

برضاهم. ﴿وَعَتَوْا﴾. تولّوا عاتين ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ على لسان صالح: "فذروها تأكل في أرض الله". ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الزلزلة؛ و في سورة هود: "و أخذ الّذين ظلموا الصّيحة"[1] و في الحجر: "فأخذتهم الصّيحة"[2] ولعلّها كانت من مباديها. القمّي: فبعث الله عليهم صيحة و زلزلة مهلكوا[3]. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾: خامدين ميّتين لا يتحركون؛ يقال: النّاس جثّمٌ، أي: قعودٌ لا حراك بهم، واصل الجثوم: اللّزوم في المكان.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾. قاله متحسّراً على ما فاته من إيمانهم، متحزّناً لهم بعد ما أبصرهم موتى صرعى.

ورد: «إنّه بعث إلى قومه و هو ابن ستّ عشرة سنة، فلبث فيهم حتّى بلغ عشرين ومائة سنة لايجيبونه إلى خير، و كان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله. فقال لهم: إن شئتم فاسألوني حتّى أسألَ إلهي فيجيبكم فيما سألتموني السّاعة، وإن شئتم سألت آلهتكم، فإن اجابتني بالّذي أسألها خرجت عنكم؛ فقد سئمتكم وسئمتموني[4].

فقالوا: قد أنصفت. فدعا[5] كلّها بأسمائها فلم يجبه منها شيء؛ فنحّوا بسطهم وفرشهم و ثيابهم، و تمرّغوا على التّراب[6]، و طرحوا التّراب على رؤوسهم، وقالوا لأصنامهم: لئن لم تجيبي صالحاً اليوم لنفتضحنّ[7]، ثمّ دعوه فقالوا: يا صالح أدعها، فدعاها، فلم

١ـ الآية ٦٧.
٢ـ الآية ٧٣ و ٨٤.
٣ـ القمّي ١: ٢٣٢.
٤ـ أي: مللتكم ومللتموني.
٥ـ في «ب» و «ج»: «فدعاها».
٦ـ تمرّغ في التراب: تقلّب. القاموس المحيط ٣: ١١٦ (مرغ).
٧ـ في المصدر: «لنفتضحنّ».

نجيه. قال: فاسألوني حتّى أدعو إلهي يُجبكم الساعة، فقالوا: أُدع لنا ربّك يخرج لنا من هذا الجبل الساعة ناقةً حمراء شقراء وبْراء عُشَراء بين جنبيها ميل[1]. فقال لهم: لقد سألتموني شيئاً يعظم عليّ و يهون على ربّي تعالى، فسأل الله ذلك، فانصدع الجبل صدعاً[2] كادت تطير منه عقولهم لمّا سمعوا ذلك، ثمّ اضطرب ذلك الجبل اضطراباً شديداً كالمرأة إذا أخذها المخاض، ثمّ لم يفجأهم[3] إلّا رأسها قد طلع عليهم من ذلك الصدع، فما استتمّت رقبتها حتّى اجترّت[4]، ثمّ خرج سائر جسدها ثمّ استوت قائمةً على الأرض فلمّا رأوا ذلك قالوا: يا صالح ما أسرع ما أجابك ربّك، أُدع بنا يخرج لنا فصيلها[5]، فسأل الله ذلك، فرمت به، فدبّ[6] حولها. فقال لهم: يا قوم أبقيَ شيء؟ قالوا: لا، انطلق بنا إلى قومنا نخبرهم بما رأينا و يؤمنون بك. قال: فرجعوا، فلم يبلغ السبعون إليهم حتّى ارتدّ منهم أربعة و ستّون رجلاً، وقالوا: سحرٌ و كذبٌ. قالوا: فانتهوا إلى الجميع، فقال الستّة: حقٌّ، وقال الجميع: كذبٌ و سحرٌ، فانصرفوا على ذلك، ثمّ ارتاب من الستّة واحد، فكان فيمن عقرها»[7].

و ورد: «إنّ الله أوحى إلى صالح: قل لهم: إنّ الله قد جعل لهذه الناقة من الماء شِربَ[8] يوم و لكم شِربَ يوم، فكانت الناقة إذا كان يوم شِربها شربتْ ذلك اليوم الماء

١ ـ شقراء أي: شديد الحمرة، وبْراء أي: كثير الوبر، عُشَراء أي: أتى على حملها عشرة أشهر. و قوله: «بين جنبيها ميل» أي: يكون عرضها قدر ميل. «انظر: مرآة العقول ٢٦: ٧٨».

٢ ـ أي: انشقّ الجبل شقّاً.

٣ ـ أي: لم يظهر لهم بغتة شيء إلّا رأسها.

٤ ـ الاجترار هو ما يفعله بعض الدوابّ من إخراجها ما في بطنها مضغةً و ابتلاعه ثانياً.

٥ ـ فصيلُ الناقة: ولدها إذا فُصِلَ عن أمّه. القاموس المحيط ٤: ٣٠ (فصل).

٦ ـ دَبَّ يَدِبُّ دبّاً: مشى على هيئته. القاموس المحيط ١: ٦٧ (دب).

٧ ـ الكافي ٨: ١٨٥ ـ ١٨٦، الحديث ٢١٣، عن أبي جعفر ﷺ، عن رسول الله ﷺ، مع الاختصار.

٨ ـ الشِّربُ ـ بالكسر ـ حظّ و النصيب من الماء. مجمع البحرين ٢: ٨٧ (شرب).

فيحلبونها، فلا يبقى صغير و لا كبير إلاّ شرب من لبنها يومهم ذلك، فإذا كان اللّيل واصبحوا، غدوا إلى مائهم فشربوا منه ذلك اليوم و لم تشرب النّاقة ذلك اليوم، فمكثوا بذلك ما شاء الله، ثمّ إنّهم عتوا على الله و مشى بعضهم إلى بعض و قالوا: اعقروا هذه النّاقة و استريحوا منها، لا نرضى أن يكون لها شرب يوم و لنا شرب يوم، فجعلوا جُعْلاً لرجل أحمر، أشقر، أزرق، ولد زناً لايعرف له أب، يقال له قدار، شقيّ من الأشقياء مشؤم عليهم، فقتلها و هرب فصيلُها، و اقتسموا لحمها فيما بينهم، فأوحى الله إلى صالح قل لهم: إنّي مرسل إليكم عذابي إلى ثلاثة أيّام، فإن هم تابوا و رجعوا قبلت توبتهم و صددت عنهم، و إن هم لم يتوبوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثّالث، فقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصّادقين، فقال: يا قوم إنّكم تصبحون و وجوهكم مصفرّة و اليوم الثّاني محمرّة و الثّالث مسودّة، فجاءهم ما قاله لهم فلم يتوبوا و لم يرجعوا، فلمّا كان نصف اللّيل أتاهم جبرئيل فصرخ بهم صرخة خرقت أسْماعَهم وفلقت قلوبَهم و صدعت أكبادَهم»[١]. هذا ملخّص القصّة.

﴿وَلُوطًا﴾: و أرسلنا لوطاً. ورد: «أنّه كان ابن خالة إبراهيم، و كانت سارة امرأة إبراهيم أُخته، خرجوا من بلاد نمرود إلى أن نزل إبراهيم بأعلى الشّامات وخلّف لوطاً بأدناها»[٢]. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾. من أتى المرأة: إذا غشيها. ﴿شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: متجاوزون الحدّ في الفساد حتّى تجاوزتم المعتاد إلى غير المعتاد. ورد: «إنّ إبليس أتى شبّانهم في صورة حسنة فيها تأنيث، عليه ثياب حسنة، فأمرهم أن يقعوا

١. الكافي ٨: ١٨٧ ـ ١٨٩، الحديث: ٢١٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢. علل الشّرائع ٢: ٥٤٩، الباب: ٣٤٠، الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والكافي ٨: ٣٧١ ـ ٣٧٣، الحديث: ٥٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

به فلمّا وقعوا به التدوه، ثمّ ذهب عنهم و أحال بعضهم على بعض»[1].

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من الخبائث.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ المختصّين به من الهلاك ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ فإنّها كانت تسرّ[2] الكفر وتُوالي أهل القرية ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: من الّذين غبَرُوا في ديارهم، أي: بقوا فيها فهلكوا.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ﴾: نوعاً من المطر عجيباً، و هي أمطار حجارة من سجّيل؛ كما يأتي في موضع آخر[3]. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾. ورد: «إنّ لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة، و كان نازلاً فيهم و لم يكن منهم، يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الفواحش و يحثّهم على الطّاعة، فلم يجيبوه و لم يطيعوه، و كانوا لا يتطهّرون من الجنابة، بُخلاء أشحّاء على الطّعام؛ فأعقبهم البخل الدّاء الّذي لا دواء له في فروجهم، و ذلك أنّهم كانوا على طريق السيّارة إلى الشّام و مصر، و كان ينزل بهم الضّيفان فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضّيف فضحوه، وإنّما فعلوا ذلك لتنكل النّازلة عليهم من غير شهوة بهم إلى ذلك، فأوردهم البخل هذا الدّاء، حتّى صاروا يطلبونه من الرّجال ويعطون عليه الجُعْلَ، و كان لوط سخيّاً كريماً يقرى الضّيف إذا نزل بهم[4]، فنهوه عن ذلك فقالوا: لا تقري ضيفاناً تنزّلُ بك[5]، فإنّك إن فعلت فضحنا ضيفك، وكان لوط إذا نزل به الضّيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه، و ذلك

١ـ علل الشرايع ٢: ٥٤٨، الباب ٣٤٠، الحديث ٣؛ والكافي ٥: ٥٤٤، الحديث ٤، عن أحدهما عليهما السّلام.

٢ـ في «ب»: «تستر».

٣ـ أنظر سورة هود (١١): ٨٢، و الحجر (١٥): ٧٤.

٤ـ كذا في جميع النُّسخ و الصّافي و لعلّ الصّواب: «إذا نزل به» كما في المصدر.

٥ـ في المصدر: «لا تقرين ضيفاً جاء ينزل بك».

أنّه لم يكن له عشيرة فيهم[1].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: و ارسلنا إليهم. قيل: هم أولاد "مدين بن إبراهيم" و شعيب منهم؛ سمّوا باسم جدّهم و سمّيت به قريتهم[2]. القمّي: هي على طريق الشّام[3]. و ورد: "إنّها لاتكمل اربعين بيتاً"[4]. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: معجزة شاهدة بصحّة نبوّتي، و هي غير مذكورة في القرآن، و لم نجدها في شيء من الاخبار. ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: و لاتنقصوهم حقوقهم؛ جيء بالاشياء للتّعميم ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر و الحيف ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بعد ما اصلح فيها الانبياء واتباعهم، بإقامة الشّرايع والسّنن ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في الإنسانيّة و حسن الأحدوثة وما تطلبونه من الرّبح، لانّ النّاس إذا عرفوا منكم النَّصَفَة و الامانة رغبوا في مُتاجرَتكم. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: مصدّقين لي في قولي.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾: بكلّ منهج من مناهج الدّين مقتدين بالشّيطان في قوله: "لأقعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقيمَ"[5]. ﴿تُوعِدُونَ﴾: تتوعّدون ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾. قيل: كانوا يجلسون على الطّرق فيقولون لمن يمرّ بها: إنّ شعيباً كذّاب فلا يفتنكم عن دينكم؛ كما كان يفعل قريش بمكّة[6]. ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: تطلبون لسبيل الله عوجاً؛ يعني: تصفونها للنّاس بانّها سبيل مُعْوَجّة غير مستقيمة بإلقاء

١ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٤٥، عن ابي جعفر عليه السلام. و الظّاهر انّ قوله في ذيل الحديث: «و ذلك إنّه...» كلام المصنّف و ليس في المصدر.
٢ـ في «الف»: «وسمّيتهم به».
٣ـ القمّي ١: ٢٣٧.
٤ـ كمال الدّين: ٢٢٠، الباب ٢٢، ذيل الحديث. ٢، عن ابي جعفر عليه السلام.
٥ـ الاعراف (٧): ١٦.
٦ـ البيضاوي ٣: ١٨؛ والكشاف ٢: ٩٤.

الشبه، لتصدّوهم عن سلوكها و الدّخول فيها. ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح و هود و صالح ولوط، و كانوا قريبي العهد بهم.

﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ أي: بين الفريقين بأن ينصر المحقّ على المبطل، و هذا وعد للمؤمنين و وعيد للكافرين. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ إذ لا معقّب لحكمه و لا حيف فيه.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ على تغليب الجماعة على الواحد، و ذلك لأنّ شعيباً لم يكن على ملّتهم قطّ. ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ أي: كيف نعود فيها و نحن كارهون لها.

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: فيما دعوناكم إليه ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ بالبيان و البرهان ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ خذلاننا ومنْعنا الألطاف، بأن يعلم أنّه لاينفع فينا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: أحاط علمه بعواقب الأمور و مكنوناتها ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في أن يثبّتنا على الإيمان، ويوفّقنا لازدياد الإيقان.

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾: أحكم بيننا، فإنّ الفتّاح: القاضي، والفُتاحة: الحكومة. أو أظهر أمرنا حتّى ينكشف ما بيننا و بينهم، و يتميّز المحقّ من المبطل؛ من فتح المشكل: إذا بيّنه. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ أي: أشرافهم قالوه لمن دونهم يثبّطونهم من الإيمان ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ و تركتم دينكم ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الزلزلة. و في سورة هود "وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا

الصّيحة[١]. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾: خامدين

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أي: استؤصلوا[٢] كأن لم يقيموا بها؛ والمغنى: المنزل[٣] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ دون أتباع شعيب، فإنّهم الرّابحون. و في هذا الابتداء و التّكرير تسفيه لرأي الملأ وردّ لمقالتهم و مبالغة في ذلك

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ﴾: أحزن ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾: قوم ليسوا بأهلٍ للحزن عليهم، لكفرهم واستحقاقهم العذاب النّازل بهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾: بالبؤس و الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: الضرّ و المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾: لكي يتضرّعوا و يتوبوا ويتذلّلوا.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أي: رفعنا ما كانوا فيه من البلاء و المحنة، و وضعنا مكانه الرّخاء و العافية ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ أي: كثّروا و نَمَوْا في أنفسهم و أموالهم، من قولهم: عفا النّبات أي: كثُر و منه: إعفاء اللّحى[٤].

﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ أبطرتهمُ النّعمة، فتركوا شكر الله و نسوا ذكر الله، و قالوا: هذه عادة الدّهر، يُعاقِبُ في النّاس بين الضّرّاء و السّرّاء، و قد مسّ آباءَنا نحوُ ذلك، فلم ينتقلوا عمّا كانوا عليه؛ فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم كذلك. ﴿فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾: فجأة، عبرةً لمن كان بعدهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنّ العذاب نازل بهم إلّا بعد حلوله.

١ـ الآية ٩٤.

٢ـ استأصل الشّيء: قطعه من أصله. مجمع البحرين ٥: ٣٠٦ (أصل).

٣ـ أي: المنزل الّذي غنيَ به أهله، أي: أقاموا ثمّ ظعنوا.

٤ـ اللّحى جمع اللّحية. و في الحديث عن رسول الله ﷺ: «وأعفوا اللّحى» (معاني الأخبار: ٢٩١) أي: وفّروها و كثّروها. مجمع البحرين ١: ٣٠٠ (عفا).

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾: ولو انّهم ﴿ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾ الشرك والمعاصي ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: لوسّعنا عليهم الخيرات و يسّرناها لهم من كلّ جانب، بإنزال المطر و إخراج النبات و غير ذلك. ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾.

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ المكذّبون لنبيّنا ﴿ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ﴾: عذابنا ﴿ بَيَٰتًا ﴾: وقت بيات ﴿ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾.

﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى ﴾: ضحوة النهار، و هو في الاصل اسم لضوء الشمس إذا أشرقت و ارتفعت. ﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾: يشتغلون بما لاينفعهم.

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾. مكر الله استعارة لاستدراجه العبدَ و اخذه من حيث لايحتسب. قال: «المكر من الله. العذاب»[1]. ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾. فيه تنبيه على ما يجب أن يكون العبد عليه من الخوف لعقاب الله و اجتناب المعصية.

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ ﴾ اي: أولم يبيّن، و لذا عدّي باللام. ﴿ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ ﴾ يخلفون مَنْ خلا قبلهم في ديارهم ﴿ أَن لَّوْ نَشَآءُ ﴾: انّه لو نشاء ﴿ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾: بجزاء ذنوبهم، كما اصبنا مَنْ قبلهم ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾. مستأنف، يعني: و نحن نطبع ﴿ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ سماعَ تفهّمٍ و اعتبار.

﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ﴾. بعض انبائها ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ يعني: «في الذرّ، حين كانوا في أصلاب الرّجال و أرحام النّساء». كما ورد[2]، و يأتي في سورة يونس[3]. قال: «إنّ الله خلق من احبّ من طينة الجنّة، و خلق من أبغضَ من طينة النار، ثمّ بعثهم في الظّلال. قيل: و أيّ

١ ـ القمّي ١: ٢٣٦ و ٣٦٧.
٢ ـ راجع: العيّاشي ٢: ١٢٦، الحديث: ٣٦؛ و القمّي ١: ٢٤٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ في ذيل الآية: ٧٤.

شيء الظلال؟ قال: ألم تر إلى ظلّك في الشّمس شيء وليس بشيء، ثمّ بعث منهم النّبيّين فدعوهم إلى الإقرار بالله، وهو قوله: "ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله"[١]. ثمّ دعوهم إلى الإقرار بالنّبيّين، فأقرّ بعضهم وأنكر بعض[٢]، ثمّ دعوهم إلى ولايتنا، فأقرّ بها والله من أحبّ وأنكرها من أبغض؛ وهو قوله: "فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل"[٣] ثمّ قال: كان التّكذيب ثمّ»[٤]. وفي رواية: «فمنهم من أقرّ بلسانه ولم يؤمن بقلبه»[٥]. ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾: وفاء عهد ﴿وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾: وإنّه علمنا أكثرهم خارجين عن الطّاعة. قال: «إنّها نزلت في الشّاكّ»[٦]. وفي رواية: «إنّكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا، وإنّكم لم تبدلوا بنا غيرنا، ولو لم تفعلوا لعيّركم الله كما عيّرهم، حيث يقول: "وما وجدنا لأكثرهم من عهد" الآية»[٧]. وعن أبي ذرّ: «والله ما صدق أحد ممّن أخذ ميثاقه فوفى بعهد الله غير أهل بيت نبيّهم وعصابة قليلة من شيعتهم، وذلك قول الله: "وما وجدنا" الآية»[٨].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾: بالمعجزات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾، وهو لقب لمن ملك مصر. ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾: بأن كفروا بها مكان الإيمان الّذي هو من حقّها لوضوحها ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

١ـ الزّخرف (٤٣): ٨٧.
٢ـ في «الف»: «أو أنكر بعضهم».
٣ـ يونس (١٠): ٧٤.
٤ـ الكافي ٢: ١٠، الحديث: ٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والعيّاشي ٢: ١٢٦ ـ ١٢٧، الحديث: ٣٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٢٤٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ٢: ٣٩٩، الحديث: ١؛ والعيّاشي ٢: ٢٣، الحديث: ٦٠، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام.
٧ـ الكافي ٨: ٣٥، ذيل الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ٢٣، الحديث: ٥٩.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾: بأن لا أقول كما قرئ به، فوضع «على» مكان الباء، كقولهم: «رميت على القوس». ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾: فخلّهم حتّى يرجعوا معي إلى الأرض المقدّسة التي هي وطن آبائهم، و كان قد استعبدهم و استخدمهم في الأعمال الشاقّة.

﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾: ظاهرٌ أمرُه لا يُشكُّ في أنّه ثعبان، و هو الحيّة العظيمة. قال: «و كان له شعبتان قد وقع إحداهما في الأرض و الأخرى في أعلى قبّة فرعون، و كان ارتفاعها ثمانين ذراعاً، فنظر فرعون إلى جوفه و هو يلتهب نيراناً، فاهوى إليه فاحدث [1] وصاح: يا موسى خذها» [2].

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾ من جيبه ﴿ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾: بياضاً نورانياً غلب شعاعه شعاع الشّمس. «و كان موسى آدَمَ شديدَ الأُدْمَة» فيما يُروى [3].

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾.

﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾: أخّرهما و أصدرهما عنك، حتّى ترى رأيك فيهما وتُدبّر أمرهما. ورد: «ألم يكن في جلسائه يومئذ ولدُ سِفاح، [4] و لو كان لأمر بقتلهما، قال: وكذلك نحن لا يسرع إلينا [5] إلّا كلّ خبيث الولادة». [6] ﴿ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾.

١ـ أحدث فلان: تغوّط. أقرب الموارد ١: ١٦٩ (حدث).
٢ـ العيّاشي ٢: ٢٤ ذيل الحديث: ٦١، مرفوعة.
٣ـ تفسير أبي السّعود ٣: ٢٥٨، و الكشّاف ٢: ١٠٢، والبيضاوي ٣: ٢١.
٤ـ السِّفاح ـ بالكسر ـ الزّنا و الفجور. مجمع البحرين ٢: ٣٧٢ (سفح).
٥ـ في المصدر: «لا ينزع إلينا».
٦ـ العيّاشي ٢: ٢٤، الحديث: ٦٢، عن يونس بن ظبيان.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾. خيّروه مراعاةً للادب، ولكن كانت رغبتهم في ان يُلقُوا قبله، فنبّهوا عليه بتغيير النّظم إلى ما هو ابلغ.

﴿قَالَ أَلْقُوا﴾ كرماً و تسامحاً و قلّة مبالاة بهم، و ثقةً بما كان بصدده من التأييد الإلهيّ. ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ بان خيّلوا إليها ما الحقيقة بخلافه بالحِيَل والشّعْوَذة[1]. ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: و ارهبوهم إرهاباً شديداً، كانّهم طلبوا رهبتهم ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ في فنّه. روي: «انّهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخُشُباً طِوالاً كانّها حيّاتٌ، مَلَأت الوادي و ركب بعضها بعضاً»[2].

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فالقاها فصارت حيّةً عظيمةً ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾: ما يزوّرونه؛ من الإفك، و هو الصّرف و قلب الشّيء عن وجهه.

روي. «انّها لمّا تلقّفت حبالَهُم و عِصِيَّهُم و ابتلعتها بأسرها، اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتّى هلك جمع عظيم، ثمّ اخذها موسى فصارت عصا كما كانت، فقالت السّحرة: لو كان هذا سحراً لبقيت حبالُنا و عصيُّنا»[3].

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾: فحصل و ثبت لظهور امره ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من السّحر و المعارضة.

١ ـ الشّعْوَذَة: خفّةٌ في اليد و أخذٌ كالسّحر يُرَى الشّيء بغير ما عليه اصله في رأي العين. القاموس المحيط ١: ٣٦٨.

٢و٣ ـ البيضاوي ٣: ٢٢.

﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾: صاروا اذلاء منهزمين.

﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾: و خرّوا سجداً، كأنّما ألقاهم ملق لشدة خرورهم، و لعلّ الحق بهرهم [1] و اضطرهم إلى السّجود، بحيث لم يبق لهم تمالك؛ ليكسر فرعون بالّذين اراد بهم كسر موسى، و ينقلب الامر عليه.

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ أبدلوا من الاول، لئلاّ يتوهّم أنّهم ارادوا به فرعون.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾: إنّ هذا الصّنيع لحيلة احتلتموها انتم و موسى في مصر قبل أن تخرجوا منها إلى هذه الصّحراء، و تواطأتم على ذلك ﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ يعني: القبط، و تخلص لكم ولبني إسرائيل؛ و كان هذا الكلام من فرعون تمويهاً على النّاس لئلاّ يتّبعوا السّحرة في الايمان. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. وعيد مجمل يفصّله ما بعده:

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ اي: من كلّ شقٍّ طرفاً ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ تفضيحاً لكم و تنكيلاً لامثالكم.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ اي: لانبالي بالموت و القتل، لانقلابنا إلى لقاء ربّنا و رحمته.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾: و ما تنكر منّا و تعيب إلاّ الايمان بآيات الله، و هو اصل كلّ خير.

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾: افض ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ واسعاً كثيراً يغمرنا كما يُفرَغُ الماءُ ﴿وَتَوَفَّنَا

١ - البهرُ: الغلبة. القاموس المحيط ١: ٣٩٢ (بهر).

﴿مُسْلِمِينَ﴾: ثابتين على الإسلام.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بتغيير الناس عليك و دعوتهم إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾: معبوداتك. القمّي: كان فرعون يعبد الأصنام، ثمّ ادّعى بعد ذلك الرّبوبيّة.[1] و عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنّه قرأ: "وَيَذَرَكَ وَإِلَهَتَكَ"»[2] يعني: عبادتك. و قيل: إنّ فرعون صنع لقومه أصناماً، و أمرهم أن يعبدوها تقرّباً إليه؛ و لذلك قال: "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ"[3] ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ كما كنّا نفعل من قبل، ليعلم أنّا على ما كنّا عليه من القهر و الغلبة، و انّ غلبة موسى لا أثر لها في مُلكنا ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾: غالبون، و إنّهم مقهورون [مغلوبون][4] تحت أيدينا.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿قَالُوا﴾ أي: بني إسرائيل ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ بالرّسالة بقتل الأبناء ﴿وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بإعادته. و القمّي: قبل المجيء بقتل الأولاد، و بعده لما حبسهم فرعون لإيمانهم بموسى.[5] ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ من شكرٍ و كفرانٍ و طاعةٍ و عصيانٍ.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾: بالجدوب، لقلّة الأمطار و المياه؛ و السَّنَة غلبت على عام القحط، لكثرة ما يُذكَرُ عنه و يُؤرّخ به، ثمّ اشتقّ منها، فقيل: أسْنَتَ

١ـ القمّي ١: ٢٣٦ـ٢٣٧.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٦٤.
٣ـ البيضاوي ٣: ٢٣؛ و الكشّاف ٢: ١٠٥؛ و الآية في النّازعات (٧٩): ٢٤.
٤ـ الزّيادة من «ب».
٥ـ القمّي ١: ٢٣٧.

القومُ: إذا أقحطوا. ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بكثرة العاهات ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: لكي يتنبّهوا على أنّ ذلك بشؤم كفرهم و معاصيهم فيتّعظوا، و ليرقّ قلوبهم بالشّدايد، فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده.

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ من الخصب و السّعة ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾: لاجلنا ونحن مستحقّوها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: جدب و بلاء ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾: يتشأّموا بهم و يقولوا: ما أصابنا إلّا بشؤمهم. القمّي: الحسنة هنا: الصّحّة والسّلامة والأمن والسّعة؛ و السيّئة هنا: الجوع و الخوف و المرض[1]. ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: سبب خيرهم و شرّهم عنده، و هو حكمه و مشيّته، كما قال: "قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ"[2] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾: لتموّه علينا ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾. أرادوا أنّهم مصرّون على تكذيبه وإن أتى بجميع الآيات.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ ما طاف بهم و غشيهم. قال: «هو طوفان الماء والطاعون»[3]. ﴿وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ﴾. قيل: هي كبار القِردان[4] و قيل: صغار الجراد[5]. ﴿وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾: مبيّنات. لا يشكل أنّها آيات الله و نقمته، أو منفصلات، بين كلّ آيتين منها مدّة لامتحان أحوالهم ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾: العذاب ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

١ـ القمّي ١: ٢٣٧.
٢ـ النّساء (٤): ٧٨.
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٥، الحديث: ٦٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ و ٥ـ الكشّاف ١: ١٥٠٣ و البيضاوي ٣: ٢٤.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾.

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾.

قال: فلمّا سجد السّحرة وآمن به النّاس، قال هامان لفرعون: إنّ النّاس قد آمنوا بموسى، فانظر من دخل في دينه فاحبسه، فحبس كلّ من آمن به من بني إسرائيل، فجاء إليه موسى فقال له: خلّ عن بني إسرائيل، فلم يفعل، فأنزل الله عليهم في تلك السّنة الطّوفان، فخرّب دورهم ومساكنهم حتّى خرجوا إلى البرّيّة وضربوا الخيام، فقال فرعون لموسى: أُدع ربّك حتّى يكفّ عنّا الطّوفان حتّى أُخلّي عن[1] بني إسرائيل وأصحابك، فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الطّوفان، وهمّ فرعون أن يخلّي عن بني إسرائيل، فقال له هامان: إن خلّيت عن بني إسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك، فقبل منه ولم يخلّ عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السّنة الثّانية الجراد، فجرّدت كلّ شيء كان لهم من النّبت والشّجر، حتّى كادت[2] تجرّد شعرهم ولحيتهم، فجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً وقال: يا موسى أُدع ربّك أن يكفّ عنّا الجراد حتّى أُخلّي عن بني إسرائيل وأصحابك، فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الجراد، فلم يدعه هامان أن يخلّي عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السّنة الثّالثة القُمّل، فذهبت زروعهم وأصابتهم المجاعة، فقال فرعون لموسى: إن رفعت عنّا القمّل كففت عن بني إسرائيل، فدعا موسى ربّه حتّى ذهب القُمّل وقال: أوّل ما خلق الله القمّل في ذلك الزّمان، فلم يخلّ عن بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم بعد ذلك الضّفادع، فكانت تكون في طعامهم وشرابهم، ويقال: إنّها تخرج من أدبارهم وآذانهم وآنافهم، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فجاؤوا إلى موسى فقالوا: أُدع الله يذهب عنّا الضّفادع فإنّا نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا موسى ربّه فرفع الله عنهم ذلك، فلمّا أبوا أن يخلّوا عن

[1] ـ في «الف»: «من بني إسرائيل».
[2] ـ في «الف» و«ج»: «كانت».

بني إسرائيل حول الله ماء النّيل دماً، فكان القبْطي يراه دماً و الإسرائيلي يراه ماءً، فإذا شربه الإسرائيلي كان ماءً و إذا شربه القبْطي يشربه [1] دماً، فكان القبطي يقول للإسرائيلي: خذ الماء في فمك وصبّه في فمي، فكان إذا صبّه في فم القبطي يحول دماً، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فقالوا لموسى: لئن رفع عنّا الدّم لنرسلنّ معك بني إسرائيل، فلمّا رفع الله عنهم الدّم غدروا و لم يخلّوا عن بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم الرّجز، و هو الثّلج، و لم يروه قبل ذلك، فماتوا فيه و جزعوا و أصابهم ما لم يعهدوه قبله، فـ "قالوا يا موسى ادع لنا ربّك بما عهد عندك، لئن كشفت عنّا" الرّجز لنؤمننّ لك و لنرسلنّ معك بني إسرائيل" فدعا ربّه فكشف عنهم الثّلج فخلّى عن بني إسرائيل، فلمّا خلّى عنهم اجتمعوا إلى موسى عليه السلام و خرج موسى من مصر، واجتمع إليه مَنْ كان هرب من فرعون، وبلغ فرعون ذلك، فقال له هامان: قد نهيتك أن تخلّي عن بني إسرائيل، فقد استجمعوا إليه؛ فجزع فرعون و بعث في المدائن حاشرين، و خرج في طلب موسى» [2].

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ يعني: بني إسرائيل، كان يستضعفهم فرعون و قومه بالاستعباد و ذبح الأبناء. ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ يعني: أرض مصر و الشّام، ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة و العمالقة و تمكّنوا في نواحيها. ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالخصب و العيش ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: ومضت عليهم، و اتّصلت بالإنجاز عدتَه إيّاهم بالنّصر و التّمكين، و هي قوله عزّوجلّ: "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا" إلى قوله: "مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ" [3]. ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾: بسبب صبرهم على الشّدائد ﴿وَدَمَّرْنَا﴾: و خرّبنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ﴾

١ـ في المصدر: «كان دماً».

٢ـ القمّي ١: ٢٣٧ـ٢٣٨؛ و في مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٦٨ـ٤٦٩، ما يقرب منه عن الصّادقين عليهم السّلام.

٣ـ القصص (٢٨): ٥ و ٦.

﴿وَقَوْمُهُ﴾ من القصور و العمارات ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ من الجنّات، أو ما كانوا يرفعون من البنيان.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ بعد مهلك فرعون ﴿فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: فمرّوا عليهم ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ يقيمون على عبادتها ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا﴾. صنماً نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ يعبدونها ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ﴾: مدمّر مكسّر ﴿مَّا هُمْ فِيهِ﴾ يعني، إنّ الله يهدم دينهم الّذي هم عليه، و يحطّم أصنامهم هذه و يجعلها رُضاضاً ﴿وَبَاطِلٌ﴾: مضمحلّ ﴿مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من عبادتها لا ينتفعون بها، و إن قصدوا بها التقرّب إلى الله عزّوجلّ.

﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾: أطلب لكم معبوداً؟ ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: و الحال أنّه خصّكم بنعم لم يعطها غيركم.

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: و اذكروا صنيعه بكم في هذا الوقت ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: يكلّفونكم شدّة العذاب ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾. قد سبق تفسيرها في سورة البقرة.[1] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ كن خليفتي فيهم ﴿وَأَصْلِحْ﴾ ما يجب أن يُصلح من أمورهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾. و لا تطع من دعاك إلى الإفساد و لا تسلك طريقه.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾. لوقتنا الّذي وقّتنا له وحدّدناه ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ من غير واسطة، كما يكلّم الملائكة ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى

١ـ في ذيل الآية: ٥١.

﴿ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ لمّا تجلّيت عليه ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾. ظهر له عظمتُه و تعرّض له اقتدارُه و أمرُه ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾: مدكوكاً مفتّتاً[1] ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾: مغشيّاً عليه من هول ما رأىٰ ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ﴾ تعظيماً لما رأىٰ ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال: «لمّا كلّمه الله و قرّبه نجيّاً[2] رجع إلى قومه فأخبرهم بذلك، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعتَه، فاختار منهم سبعين، فخرج بهم إلى طور سيناء، فأقامهم في سفح[3] الجبل و صعد إلى الطّور، و سأل الله أن يكلّمه و يُسمعَهم كلامَه. فكلّمه الله وسمعوا كلامه من فوق و أسفل و يمين و شمال و وراء و أمام، لأنّ الله أحدثه في الشّجرة، ثمّ جعله منبعثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن بأنّ هذا الّذي سمعناه كلامُ الله، حتّى نرى الله جهرةً، فلمّا قالوا هذا القول العظيم، واستكبروا و عتوا، بعث الله عليهم صاعقةً، فأخذتهم الصّاعقة بظلمهم فماتوا؛ فقال موسى: يا ربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم و قالوا: إنّك ذهبت بهم فقتلتهم، لأنّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة الله إيّاك، فأحياهم وبعثهم معه؛ فقالوا: إنّك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك؛ فتخبرنا كيف هو؟! ونعرفه حقّ معرفته؛ فقال: يا قوم، إنّ الله لا يُرى بالأبصار و لا كيفيّة له، و إنّما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه؛ فقالوا: لن نؤمن لك حتّى تسأله؛ فقال موسى: يا ربّ إنّك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله إليه: يا موسى سَلْني ما سألوك فلن أؤاخذك

١ـ الدَّكُّ: الدقّ و الهدمُ. «القاموس المحيط ٣: ٣١١ـ دكّ» و الفتّ: الدقّ و الكسر بالأصابع و الشّقّ في الصّخر. «القاموس المحيط ١: ١٥٩ـ فتّ». و «دكّاً» في الآية مصدرٌ بمعنى مفعول.

٢ـ قرّبهُ نجيّاً أي: مناجياً و هو مصدر كالصّهيل و النّهيق يقع على الواحد و الجماعة. مجمع البحرين ١: ٤٠٨ (نجا)

٣ـ سَفْحُ الجبلِ: أسفله حيث يسفح فيه الماء. مجمع البحرين ٢: ٣٧٣ (سفح)

بجهلهم، فعند ذلك قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ وهو يهوي ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ بآية من آياته، ﴿جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ منهم بأنّك لا تُرى»[1].

و في رواية: «فقال الله تبارك و تعالى: لن تراني في الدّنيا حتّى تموت فتراني في الآخرة، و لكن إن أردتَ أن تراني في الدّنيا ﴿فَانظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الآية»[2]. و ورد: «لمّا صعد إلى الجبل فتحت أبواب السّماء و أقبلت الملائكة أفواجاً في أيديهم العُمُد[3] وفي رأسها النّور، يمرّون به فوجاً بعد فوج، يقولون: يابن عمران أثبت فقد سألت أمراً عظيماً، قال: فلم يزل موسى واقفاً حتّى تجلّى ربّنا جلّ جلاله»[4]. وفي رواية: «إنّ الملائكة أُمرت أن تمرّ عليه موكباً موكباً بالبرق و الرّعد و الرّيح و الصّواعق، فكلّما مرّ به موكب من المواكب ارتعدت فرائصه فيرفع[5] رأسه فيسأل أفيكم ربّي؟ فيجاب هو آتٍ وقد سألت عظيماً يابن عمران»[6]. و في رواية: «إنّه لمّا سأل ربّه ما سأل، أمرَ واحداً من الكروبيّين[7] فتجلّى للجبل و جعله دكّاً»[8].

﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾: إخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أي: الّذين في زمانك ﴿بِرِسَالَاتِي﴾ يعني: أسفار التّوراة ﴿وَبِكَلَامِي﴾: وبتكليمي إيّاك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ من

١ـ عيون أخبار الرّضا ﷺ ١: ٢٠٠ـ ٢٠١، الباب: ١٥، الحديث: ١.

٢ـ التّوحيد: ٢٦٢، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين ﷺ.

٣ـ العُمُد ـ بضمّ العين و الميم و فتحهما ـ جمع العَمُود.

٤ـ العيّاشي ٢: ٢٦، الحديث: ٧٢، عن الصّادقين عليهما السّلام، و فيه: «فلمّا صعد موسىٰ على الجبل».

٥ـ في «الف» و «ج»: «فرفع».

٦ـ العيّاشي ٢: ٢٧، الحديث: ٧٤، عن أبي عبدالله ﷺ.

٧ـ الكروبيّون ـ مخفّفة الرّاء ـ سادة الملائكة و المقرّبون منهم. مجمع البحرين ٢: ١٥٩ (كرب).

٨ـ البصائر: ٤٧٦، عن أبي عبدالله ﷺ، وفيه: «رجلاً» بدل «واحداً».

الرّسالة ﴿وَكُن مِّنَ الشَّٰكِرِينَ﴾. روي: «أنّ سؤال الرّؤية كان يوم عرفة و إعطاء التّوراة يوم النّحر»[1].

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ ورد: «انزلها عليه و فيها تبيان كلّ شيء كان أو هو كائن إلى أن تقوم السّاعة. قال: و هي عندنا»[2]. و ورد: «إنّ الألواح كانت من زبرجدة من الجنّة»[3]. و في رواية: «كانت من زمرّد أخضر»[4]. ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾: بجدّ و عزيمة ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾: بأحسن ما فيها، كالصّبر و العفو بالإضافة إلى الانتقام و الاقتصاص، و هو مثل قوله تعالى «وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم»[5] و قوله: «فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ»[6] ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَٰسِقِينَ﴾: منازل القرون الماضية المخالفة لأمر الله، الخارجة عن طاعة الله لتعتبروا.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بالطّبع على قلوبهم، فلا يتفكّرون فيها ولا يعتبرون بها. ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لانهماكهم في الهوى. ورد: «إذا عظّمت أُمّتي الدّنيا نُزعت عنها هيبة الإسلام و إذا تركوا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر حُرمت بركة الوحي»[7]. ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ القمّي: إذا رأوا الإيمان و الصّدق والوفاء والعمل الصّالح لا يتّخذوه سبيلاً، و إن يروا الشّرك و الزّنا و المعاصي يأخذوا بها و يعملوا بها[8]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾.

١ـ البيضاوي ٣: ٢٧

٢ و ٣ـ العيّاشي ٢: ٢٨، الحديث: ٧٧؛ وبصائر الدّرجات: ١٤٠، الباب ١١، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام

٤ـ بصائر الدّرجات: ١٤١، الباب ١١، الحديث: ٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام

٥ و ٦ـ الزّمر (٣٩): ٥٥ و ١٨

٧ـ فيض القدير ١: ٤٠٤.

٨ـ القمّي ١: ٢٤٠

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: لاينتفعون بها ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد ذهابه للميقات ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾: خالياً من الرّوح ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾: صوت البقر. قد سبق قصّة العجل في سورة البقرة[1]. و ورد: «إنّ فيما ناجى موسى ربّه[2] أن قال: يا ربّ هذا السامريّ صنع العجل، فالخوار من صنعه؟! فأوحى الله إليه: يا موسى إنّ تلك فتنتي فلا تفحص عنها»[3]. وفي رواية: «قال: يا ربّ، و مَنْ أخارَ الصّنم؟ فقال الله يا موسى أنا أخرته، فقال موسى: إن هي إلّا فتنتك»[4]. ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ﴾ إلها ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾: واضعين الأشياء غيرَ مواضعها، فلم يكن اتّخاذ العجل بدعاً منهم.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾. كناية عن اشتداد ندمهم، فإنّ النّادم المتحسّر يعضّ يده غمّاً، فتصير يده مسقوطاً فيها. ﴿وَرَأَوْا﴾: و علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ باتّخاذ العجل ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾: شديد الغضب، أو حزيناً ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾؟ يقال: عَجِلَ عن الامر. إذا تركه غيرَ تامّ، و أعْجَلَه عنه غيره، و يُضَمَّن معنى سبَقَ فيقال: عَجِلَ الامر. و المعنى. أتركتم امر ربكم غير تام؟ والامر: انتظار موسى حافظين لعهده ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾: طرحها من شدّة الغضب لله، و فرط الضّجر حميّة للدّين. ورد:

1 ـ في ذيل الآية. ۵۱
2 ـ في «ب»: «ناجىٰ ربّه موسى» و في المصدر: «ناجىٰ الله موسى»
3 ـ العيّاشي ۲: ۲۹، الحديث: ۸۰، عن ابي جعفر عليه السلام
4 ـ المصدر الحديث: ۷۹، عن أبي عبدالله عليه السلام.

«إنّ منها ما تكسّرَ و منها ما بقي و منها ما ارتفع»[1].

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾. قال: «و ذلك لأنّه لم يفارقهم لمّا فعلوا ذلك ولم يلحق بموسى، و كان إذا فارقهم ينزل بهم العذاب»[2]. ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾. قال: «ولم يقل: يابن أبي، لأنّ بني الأب إذا كانت أمّهاتهم شتّى لم تستبعد العداوة بينهم إلّا من عصمه الله منهم، و إنّما تستبعد العداوة بين بني أمٍّ واحدة»[3]. و ورد: «إنّه كان أخاه لأبيه وأمّه»[4]. قيل. و كان أكبر من موسى بثلاث سنين و كان حَمُولاً[5] ليّناً، و لذلك كان أحبّ إلى بني إسرائيل.[6] ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾: قهروني و اتّخذوني ضعيفاً، ولم آلُ جُهداً في كفّهم بالإنذار و الوعظ. ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾: و قاربوا قتلي لشدّة إنكاري عليهم ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾: فلا تفعل بي ما يشمتون بي لأجله ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: معدوداً في عدادهم بالمَوْجِدَة عليّ[7] و نسبة التقصير إليّ.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. قيل: هو ما أُمروا به من قتل أنفسهم و خروجهم من ديارهم و الجزية[8] ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾. افتراؤهم قولهم: «هذا إلهكم وإله موسى».[9] و ورد: «إنّه تلا هذه الآية، فقال: فلا ترى صاحبَ بدعة إلّا ذليلاً، و لا مفترياً على الله و على رسوله و أهل بيته

١ـ بصائر الدّرجات: ١٤١، الباب ١١، الحديث: ٦، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٢ و ٣ـ علل الشّرايع ١: ٦٨، الباب ٥٨، الحديث ١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٤ـ الكافي ٨: ٢٧، ذيل الحديث: ٤، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٥ـ حَمَلَ عنه: حَلُمَ فهو حَمُولٌ: ذو حِلْمٍ. القاموس المحيط ٣: ٣٧٢ (حمل).
٦ـ البيضاوي ٣: ٢٨.
٧ـ وَجَدَ عليه ـ يَجِدُ وَجْداً وجِدَةً و مَوْجِدَةً ـ غضب. «القاموس المحيط ١: ٣٥٦ ـ وجد». و في «ب» «بالمؤاخذة عليّ».
٨ـ البيضاوي ٣: ٢٨؛ و الكشّاف ٢: ١١٩.
٩ـ طه (٢٠): ٨٨.

صلّى الله عليهم إلاّ قليلاً»[1].

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾. و عملوا بمقتضى الإيمان ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾: من بعد التوبة ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾. عبّر عن سكون الغضب بالسكوت تنبيهاً على انّ الغضب كان هو الحامل له على ما فعل، والآمر له به، و المُغري عليه، و هذا من البلاغة في الكلام. ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ التي ألقاها ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى﴾: بيان و دلالة لما يحتاج إليه من أمر الدّين ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: نعمة و منفعة ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ المعاصي.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾: من قومه؛ من باب الحذف و الإيصال. ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾. سبقت قصّتهم[2]. ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾. تمنّى هلاكهم و هلاكه قبل ان يرى ما رأى ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾؟ من التّجاسر على طلب الرّؤية.

ورد: «إنّ السّبعين لمّا صاروا معه إلى الجبل قالوا له: إنّك قد رأيت الله سبحانه فارناه كما رأيته؛ فقال: إنّي لم أره؛ فقالوا: "لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً"[3]، فأخذتهم الصّاعقة و احترقوا عن آخرهم و بقي موسى وحيداً؛ فقال: يا ربّ اخترتُ سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئتُ بهم و أرجع وحدي، فكيف يصدّقني قومي بما أخبرتهم به؟ فـ"لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا"؟ فأحياهم الله بعد موتهم»[4]. ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾: ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتّى طمعوا في الرّؤية ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا﴾: القائم بأمرنا

١ ـ الكافي ٢: ١٦، الحديث ـ ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ في ذيل الآية ١٤٣ من نفس السّورة
٣ ـ البقرة (٢): ٥٥.
٤ ـ التّوحيد: ٤٢٤، الباب ٦٥، ذيل الحديث ١، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ تغفر السيّئة و تبدلها بالحسنة

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: حُسْنَ معيشة و توفيقَ طاعة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾:
الجنّة ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾: تبنا إليك؛ من هاد يهود: إذا رَجَعَ. ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدّنيا؛ فما من مسلم و لا كافر و لا مطيع و لا عاص إلّا و هو متقلّب في نعمتي، أو في الدّنيا و الآخرة، إلّا أنّ قوماً لم يدخلوها لضلالهم. ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾: فسأثبتها و أوجبها في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشّرك و المعاصي ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾. قال. «الرّسول: الّذي يظهر له الملَكُ فيكلّمه، والنّبيّ: هو الّذي يرى في منامه، و ربّما اجتمعت النّبوّة و الرّسالة لواحد»[1]. ﴿الْأُمِّيَّ﴾ قال: «المنسوب إلى أُمّ القرى و هي مكّة»[2] ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ﴾ قال: «يعني: اليهودَ و النّصارى»[3]. ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ قال: «صفة محمّد واسمه»[4]. ﴿فِي التَّوْرَاةِ﴾.

قال: «لمّا أُنزلت التّوراة على موسى بشّر بمحمّد ﷺ فلم تزل الأنبياء تبشّر به حتّى بعث الله المسيح فبشّر به»[5]. و ورد: «إنّ يهوديّاً قال له: إنّي قرأت نعتك في التّوراة محمّد بن عبدالله، مولده بمكّة و مهاجره بطيبة، ليس بفظّ و لا غليظ و لا سخّاب،[6] ولا مترنّن[7] بالفحش و لا قول الخنا، و أنا أشهد أن لا إله إلّا الله و أنّك رسول الله؛ هذا

١ـ الكافي ١: ١٧٧، الحديث: ٤، عن الصّادقين عليهما السّلام
٢ـ مجمع البيان ٣ـ ٤: ٤٨٧، عن أبي جعفر ؑ.
٣ و ٤ـ العيّاشي ٢: ٣١، الحديث: ٨٧، عن أبي جعفر ؑ.
٥ـ الكافي ٨: ١١٧، ذيل الحديث: ٩٢، عن أبي جعفر ؑ.
٦ـ السّخّاب صيغة مبالغة من السَّخَب و هو شدّة الصّوت، من تساخب القوم. إذا تصايحوا و تضاربوا مجمع البحرين ٢: ٨١ (سخب)
٧ـ المترنّن ـ بنونين ـ من الرّنّة ـ بالفتح و التّشديد ـ الصّوت. و الخنا ـ مقصور ـ: الفحش من القول مجمع البحرين ٦: ٢٥٨ (رنن).

مالي فاحكم فيه بما أنزل الله»[1]. ﴿وَالْإِنجِيلِ﴾. قال: «هو قول الله عزّوجلّ يخبر عن عيسى، ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾»[2]. ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾: و يخفّف عنهم ما كلّفوا به من التكاليف الشاقّة. واصل الاصر: الثقل.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾: و عظّموه بالتقوية و الذّبّ عنه. واصل التعزير: المنع. ﴿وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ قيل: هو القرآن[3]. وورد: «النّور في هذا الموضع عليّ و الائمّة عليهم السّلام»[4]. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾. ما أنزل عليه و على مَنْ تقدّمه من الرّسل ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى العلم اللّدنّي الموصل إلى محبّة الله و ولايته، فإنّه لايحصل إلّا بالإيمان و اتّباع النّبيّ ﷺ و مَنْ أمر النّبيّ باتّباعه.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ بينهم. قال: «هم أهل الإسلام»[5]. و في رواية: «إنّ هذه الأمّة قوم من وراء الصّين لم يغيّروا و لم يبدّلوا ليس لأحدهم مال دون صاحبه، يُمطَرون باللّيل و يُضْحَوْن بالنّهار و يزرعون، لا يصل إليهم منّا أحدٌ و لا منهم إلينا، و هم على الحقّ»[6]. و في أُخرى: «إنّهم يخرجون مع قائم آل

١ـ امالي (الصدوق)، ٣٧٦، المجلس الحادي والسبعون، الحديث: ٦، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٢ـ الكافي ٨: ١١٧، ذيل الحديث ٩٢، عن أبي جعفر ﷺ. و الآية في الصفّ (٦١): ٦.
٣ـ البيضاوي ٣: ٣٠ و الكشّاف ٢: ١٢٢.
٤ـ الكافي ١: ١٩٤، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله ﷺ، وفيه، «عليّ أمير المؤمنين».
٥ـ العيّاشي ٢: ٣٢، الحديث: ٨٩، عن أبي عبدالله ﷺ.
٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٨٩، عن أبي جعفر ﷺ.

محمّد عليهم السّلام»[1].

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾: و صيّرناهم قطعاً متميّزاً بعضهم عن بعض؛ والأسباط. ولدُ الأولاد، وهم في ولد يعقوب بمنزلة القبائل في أولاد إسماعيل ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ في التّيه ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ أي: فضرب فانبجست؛ و في حذفه إشارة إلى أنّه لم يتوقّف في الامتثال ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: كلّ سبط ﴿مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ ليقيهم حرّ الشّمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: بيت المقدس ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾. سبق تفسير هذه الآيات في سورة البقرة[2].

﴿وَاسْأَلْهُمْ﴾: و اسأل اليهود؛ سؤال تقريع بقديم كفرهم و تجاوزهم حدود الله ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾: عن خبرها و ما وقع بأهلها ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾: قريبة منه ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾: يتجاوزون حدود الله تعالى بالصّيد يوم السّبت و قد نُهوا عنه ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾: يوم تعظيمهم أمر السّبت، مصدر سبتت اليهودُ إذا عظّمت سبتها، بالتّجرّد للعبادة ﴿شُرَّعًا﴾: ظاهرة على وجه الماء؛ من شرع عليه. إذا دنا منه و أشرف. ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٤٨٩، مرويّاً عن أصحابنا.

٢ـ في ذيل الآية: ٥٩.

ورد: «إنّهم توصّلوا إلى حيلة ليُحِلّوا بها ما حرّم الله، فحفروا أخاديد[1] تؤدّي إلى حِياض يتهيّأ للحيتان الدّخول فيها من تلك الأخاديد ولا يتهيّأ لها الخروج، فجاءت يوم السّبت جاريةً على أمان لها فدخلت الأخاديدَ وحَصَلَت[2] في الحياض والغُدْران[3]، فلمّا كانت عشيّة اليوم همّت بالرّجوع منها إلى اللُّجَج[4] لتأمن من صائدها[5] فلم تقدر، وبقيت ليلها[6] في مكان يتهيّأ أخذها بلا اصطياد، وكانوا يأخذونها يوم الأحَد ويقولون: ما اصطدنا في السّبت إنّما اصطدنا في الأحد؛ وكذب أعداء الله، بل كانوا آخذين لها بأخاديدهم التي عملوها يوم السّبت»[7].

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾: جماعة من أهل القرية ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ بذنوبهم هلاك استيصال ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ لتماديهم في العصيان ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ يعني: موعظتنا لإنهاءِ[8] عذرٍ إلى الله، حتّى لاينسب إلى تفريط في النّهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ إذ اليأس لايحصل إلاّ بالهلاك.

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾: تركوا تركَ النّاسي ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: ما ذكّرهم به الواعظون ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾: شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

١ـ أخاديد جمع أُخْدود: شقّ في الأرض مستطيل. وخدّ الأرض: شقّها. مجمع البحرين ٣: ٤٢ (خدد)

٢ـ حَصَلَ الشّيء: ثبت وبقي. والحاصل من كلّ شيء: ما بقي وثبت. القاموس المحيط ٣: ٣٦٨ (حصل)

٣ـ الغُدْران جمع الغَدير: القطعة من الماء يغادرها السّيل أي: يتركها. القاموس المحيط ٢: ١٠٣ (غدر)

٤ـ اللُّجَج: جمع اللُّجّ: معظم الماء. القاموس المحيط ١: ٢١٢ (لجج)

٥ـ في المصدر ونسخة «الف»: «لتأمن صائدها».

٦ـ في المصدر: «وأبقيت ليلتها»

٧ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٨ـ٢٦٩.

٨ـ أنهى الرّجلُ الشّيءَ إنهاءً: أبلغه. القاموس المحيط ٤: ٤٠٠ (نها).

﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾: تكبّروا ﴿عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾. قال: «عن قبول الزّجر عمّا نُهُوا عنه»[1] ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: «مُبْعَدين من الخير»[2].

ورد: «إنّ الواعظين خرجوا من المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء، فنزلوا قريباً منها، فلمّا أصبحوا غدَوا لينظروا ما حال أهل المعصية، فأتوا باب المدينة فإذا هو مُصْمَتٌ، فدقّوه فلم يُجابوا ولم يَسْمَعُوا منها حِسَّ أحدٍ، فوضعوا سُلّماً على سُورِ المدينة، ثمّ أصعدوا رجلاً منهم، فأشرف على المدينة، فنظر فإذا هو بالقوم قردةً يَتَعاوَوْنَ[3]، لها أذناب، فكسروا الباب ودخلوا المدينة، قال: فعَرَفَت القردةُ أنسابَها من الإنس، ولم يَعْرِفِ الإنسُ أنسابَها من القردة، فقال القوم للقردة: ألم ننهاكم؟»[4].

وورد: «كانوا ثلاثة أصناف: صنف ائتمروا وأمَرُوا فنجَوا، وصنف ائتمروا ولم يأمُروا فمسخوا ذرّاً، وصنف لم يأتمروا ولم يأمروا فهلكوا»[5].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾: أعْلَمَ[6]، تَفَعّل من الإيذان، معناه عَزَمَ، فإنّ العازم على الأمر يُؤْذِنُ نفسَه به ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾: ليُسَلِّطنّ على اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ﴾: يكلّفهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بالقتل والإذلال وضربِ الجزية. قيل: بعث الله عليهم بعد سليمان بختَ النّصر، فخرّب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبي نسائهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم، وكانوا يؤدّونها إلى المجوس، حتّى بعث الله محمّداً ﷺ ففعل ما فعل، وضرب عليهم الجزية، فلا تزال مضروبةً إلى آخر الدّهر. وفي

١و٢ـ تفسير الإمام عليه السلام: ٢٦٩، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

٣ـ العُواء: صوت السِّباع وكأنّه بالذئب والكلب أخصّ. يقال: عَوى يَعْوي عُواءً. النهاية ٤: ٣٢٤ (عوا).

٤ـ العيّاشي ٢: ٣٣ ـ ٣٤، الحديث ٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والقمّي ١: ٢٤٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ـ الكافي ٨: ١٥٨، الحديث ١٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ـ في «ب»: «تأذّن: تفعّل».

رواية: «إنّ المَعنيّ بهم أمّة محمّد ﷺ»[1]. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ عاقبهم في الدّنيا ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب و آمن.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾: و فرّقناهم فيها بحيث لايكاد يخلو بلد من فرقة منهم. ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ اي: منحطّون عن الصّلاح ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: بالنّعم و النّقم و المنح و المحن ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يتنبهون[2] فينيبون.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: بدل سوء؛ و هو بالتّسكين شايع في الشرّ، وبالتّحريك في الخير، والمراد به: الّذين كانوا في عصر النّبيّ ﷺ ﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التّوراة من اسلافهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾: حُطامَ هذا الشّيء الادنى، يعني: الدّنيا. قيل: هو ما كانوا ياخذون من الرّشا في الحكم، و على تحريف الكلم للتّسهيل على العامّة.[3] ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: لا يؤاخذنا اللهُ بذلك و يتجاوز عنه. ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ اي: يرجون المغفرة، و هم مصرّون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين عنه. ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾؟ يعني: الميثاق في التّوراة بان لايكذبوا على الله و لايُضيفوا إليه إلاّ ما انزله. ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾: و قرؤوا ما فيه، فهم ذاكرون لذلك.

ورد: «إنّ الله خصّ عباده بآيتين من كتابه: أن لا يقولوا حتّى يعلموا، و لا يردّوا مالم يعلموا، قال عزّوجلّ: "ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلاّ الحقّ" و قال: "بَلْ كَذَّبوا بِما لَمْ يُحيطوا بعلمه"»[4]. ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ

١ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٤٩٤، عن أبي جعفر ﷺ.

٢ ـ في «ب»: «ينتبهون».

٣ ـ الكشاف ٢: ١٢٨.

٤ ـ الكافي ١: ٤٣، الحديث ٨، عن أبي عبدالله ﷺ. و الآية الثانية في يونس (١٠): ٣٩.

﴿يَتَّقُونَ﴾ محارمَ الله ممّا[1] يأخذ هؤلاء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فيعلمون ذلك.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾. قال: «نزلت في آل محمّد عليهم السّلام و أشياعهم»[2].

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾: قلعناه و رفعناه؛ و أصله: الجذبُ. ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾: سقيفة، و هي كلّ ما أظلّ. ﴿وَظَنُّوا﴾: و تيقّنوا ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾: ساقط عليهم، لأنّ الجبل لا يثبتُ في الجوّ، و لأنّهم كانوا يوعدون به. ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: «بعزم من قلوبكم و أبدانكم». كذا ورد[3] ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. قال: «لمّا نزل التّوراة لم يقبلوه، فرفع الله عليهم طور سيناء، فقال لهم موسى: إن لم تقبلوا وقع عليكم الجبل، فقبلوه و طأطؤا رؤوسهم»[4].

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: أخرج من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن، يعني: نثر حقائقهم بين يدي علمه فاستنطق الحقائقَ بألسنة قابليّات جواهرها و ألسُن استعدادت ذواتها. ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ أي: و نصب لهم دلائل ربوبيّته، و ركّب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتّى صاروا بمنزلة الإشهاد؛ على طريقة التّمثيل، نظير ذلك قوله عزّوجلّ: «إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»[5] و قوله جلّ و علا: «فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ»[6].

١ـ في «ب»: «بما يأخذه».
٢ـ القمّي ١: ٢٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ٣٧، الحديث: ١٠١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٢٤٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ النّحل (١٦): ٤٠.
٦ـ فصّلت (٤١): ١١.

ورد: «اخرج من ظهر آدم ذرّيّته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذّرّ، فعرّفهم نفسه وأراهم صنعه، ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ ربّه»[1]. وفي رواية: سُئِلَ: كيف أجابوا وهم ذرّ؟ فقال: «جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه»[2]. وفي أخرى: سُئِلَ: مُعايَنَةً كان هذا؟ قال: «نعم، فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدرِ أحدٌ مَنْ خالقُهُ ورازقُه، فمنهم من أقرّ بلسانه في الذّرّ ولم يؤمن بقلبه، فقال الله: "فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ"»[3].

وورد: «لمّا أراد الله أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه، فقال لهم: من ربّكم؟ فأوّل من نطق رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السّلام، فقالوا: أنت ربّنا، فحمّلهم العلمَ والدّينَ، ثمّ قال للملائكة[4]: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأُمنائي في خلقي، وهم المسؤولون؛ ثمّ قال لبني آدم: أقِرّوا لله بالرّبوبيّة، ولهؤلاء النّفر بالولاية والطّاعة؛ فقالوا: نعم ربّنا أقررنا. فقال الله للملائكة: أشهدوا، فقال الملائكة: شهدنا»[5].

﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ قال: «على أن لا تقولوا غداً»[6]. ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ يعني: آباءهم المؤسّسين أساس الشّرك.

﴿وَكَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن التّقليد واتّباع الباطل.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا﴾ هو بَلْعَمُ بنُ باعُورا من بني إسرائيل أُوتي علمَ بعضِ كتب الله. قال: «الأصل فيه بَلْعَمُ، ثمّ ضربه الله مثلاً لكلّ مُؤْثِرٍ هواه على

١ـ التّوحيد: ٣٣٠، الباب: ٥٣، الحديث: ٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٢: ١٢، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٢٤٨، عن أبي عبدالله عليه السلام والآية في يونس (١٠): ٧٤.
٤ـ في «الف»: «للملائكة».
٥ و٦ـ الكافي ١: ١٣٣، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

هدى الله من أهل القبلة»[1] ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ بأن كفر بها و نبذها وراء ظهره ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾: فلحقه الشيطان و أدركه و صار قريناً له ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾: من الضالّين.

قال: «أُعطِيَ بَلعَمُ بنُ باعورا الاسمَ الأعظمَ و كان يدعو به فيستجيب له[2]، فمال إلى فرعون، فلمّا مرّ فرعون في طلب[3] موسى و أصحابه، قال فرعون لبَلعَم: أُدع الله على موسى و أصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمرّ في طلب موسى، فامتنعت عليه حمارتُه فأقبل يضربها، فأنطقها الله عزّوجلّ فقالت: ويلك على ماذا تضربني، أتريد أن أجيء معك لتدعو على نبيّ الله و قوم مؤمنين؟ فلم يزل يضربها حتّى قتلها، وانسلخ الاسم من لسانه، و هو قوله: "فَانسَلَخَ مِنْهَا"»[4].

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ بتلك الآيات و ملازمتها إلى منازل الأبرار من العلماء ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾: مال إلى الدّنيا ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في إيثار الدّنيا و استرضاء قومه، و أعرض عن مقتضى الآيات فحطّطناه. ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ في أخسّ أحواله ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطّرد و الزّجر: من الحَمْلة ﴿يَلْهَثْ﴾: يخرج لسانه بالتّنفّس الشّديد ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾: دائم اللّهث، بخلاف ساير الحيوان، فإنّه إذا هُيّج و حُرّك لَهَثَ و إلّا لم يلهث. والمعنى. إنْ وعظته فهو ضالّ، و إن لم تعظْه فهو ضالّ. ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ المذكورة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيتّعظون و يحذرون[5] مثل عاقبته.

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾: مثلُ القوم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾

١ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٠٠، عن أبي جعفر ﷺ.
٢ـ في المصدر: «فيستجاب له»
٣ـ في «الف»: «إلى طلب موسى»
٤ـ القمّي ١: ٢٤٨، عن أبي الحسن الرّضا ﷺ.
٥ ـ في «الف» و«ج»: «فيحذرون»

لاغيرهم.

﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ الإفراد فيه لاعتبار اللّفظ، والجمع في نظيره [١] لاعتبار المعنى؛ تنبيه على انّ المهتدين كواحدٍ لاتّحاد طريقهم بخلاف الضالّين. ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾: خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ قال: «طبع الله عليها فلا تعقل» [٢]. ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ قال: «عليها غطاء من الهدى» [٣]. ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ قال: «جعل في آذانهم وقراً فلم يسمعوا الهدى» [٤] ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه و الابصار للاعتبار، و الاستماع للتدبّر، وفي انّ مشاعرهم و قواهم متوجّهةٌ إلى أسباب التّعيّش، مقصورةٌ عليها ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ فإنّها تُدْرِكُ ما يمكن لها أن تُدْرِكَ من المنافع و المضارّ، و تجتهد في جذبها و دفعها غاية جهدها، و هم ليسوا كذلك، بل أكثرهم يعلم أنّه معاند فيقدم على النّار ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾: الكاملون في الغفلة. ورد: «إنّ الله ركّبَ في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوةً بلا عقل، و ركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غَلَبَ عقلُه شهوتَه فهو خير من الملائكة، و من غلب شهوتُه عقلَه فهو شرّ من البهائم» [٥].

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ الّتي هي أحسن الأسماء، لتضمّنها معانيَ هي أحسن المعاني ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾: فسمّوهُ بتلك الأسماء. سُئِلَ: عن الاسم، فقال: «صفة لموصوف» [٦]. و في رواية: «إذا نزلت بكم شدّةٌ فاستعينوا بنا على الله؛ و هو قول الله: "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها"» [٧].

١ـ المراد بنظيره هو قوله تعالى: «وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

٢، ٣و٤ـ القمّي ١: ٢٤٩، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «فلن يسمعوا الهدى»

٥ـ علل الشرائع ١: ٤، الباب: ٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله، عن امير المؤمنين عليهما السلام

٦ـ الكافي ١: ١١٣، الحديث: ٣، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام.

٧ـ العيّاشي ٢: ٤٢، الحديث: ١١٩، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: يعدلون بها عمّا هي عليه، فيُسَمُّون بها أصنامَهم أو يصفون اللهَ بما لايليق به، ويُسَمُّونَه بما لايجوز تسميتُه به. قال: «وله الأسماء الحسنى الّتي لايسمّى بها غيره، وهي الّتي وصفها في الكتاب، فقال: "فادعوه بها وذروا الّذين يلحدون في أسمائه" جهلاً بغير علم، فالّذي يلحد في أسمائه بغير علم يشرك وهو لا يعلم، ويكفر به وهو يظنّ أنّه يحسن، ولذلك قال: "وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ"[1] فهم الّذين يلحدون في أسمائه بغير علم فيضعونها غيرَ مواضعها»[2]. ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ قال: «هم الأئمّة»[3]. وفي رواية علويّة: «والّذي نفسي بيده لتفترقنّ هذه الأمّةُ على ثلاثٍ وسبعينَ فِرْقَةً، كلّها في النّار إلاّ فِرقةً "وَمِمَّنْ خَلَقْنَا" الآية؛ فهذه الّتي تنجو من هذه الأُمّة»[4]. وفي أُخرى نبويّة: «هذه لكم وقد أُعطِيَ قومُ موسى مثلها»[5]. وورد: «إنَّ من أُمّتي قوماً على الحقّ حتّى ينزلَ عيسى بن مريم»[6].

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾: سَنَسْتَدْنِيهِمْ[7] قليلاً قليلاً إلى الهلاك حتّى يقعوا فيه بغتةً؛ وأصل الاستدراج: الاستصعاد، أو الاستنزال درجةً بعد درجةٍ.

﴿مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ما يُراد بهم، وذلك أن يتواتر عليهم النِّعَمُ فيظنّوا أنّه لطف من الله بهم، فيزدادوا بَطَراً وانهماكاً في الغيّ حتّى يحقّ عليهم كلمةُ العذاب. قال: «هو العبد يذنب الذنب فتُجَدَّدُ له النعمةُ، تُلهيه تلك النّعمة عن الاستغفار عن ذلك

١ـ يوسف (١٢): ١٠٦.
٢ـ التّوحيد: ٣٢٤، الباب: ٥٠، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ٤١٤، الحديث: ١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ٢: ٤٣، الحديث: ١٢٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «لتفترقنّ».
٥و٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٠٣.
٧ـ في «الف» وهامش «ب»: «سَنَستَدنيهم».

الذنب»[1]. و في رواية: «إذا أراد الله بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة و يذكّره الاستغفار، و إذا أراد الله بعبد شرّاً فأذنب ذنباً، أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار و يتمادى بها، و هو قول الله عزّوجلّ: "سنستدرجهم من حيث لايعلمون" بالنعم عند المعاصي»[2].

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾: و أمهلهم ﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ لايدفع بشيء؛ إنّما سمّاه كيداً لأنّ ظاهره إحسانٌ و باطنه خذلانٌ.

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ ﴾ يعني: محمّداً ﷺ ﴿ مِنْ جِنَّةٍ ﴾ أي: جنون. روي: «انّها نزلت حين حذّرهم بأس الله، فنسبوه إلى الجنون»[3]. ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا ﴾ نظر اعتبار ﴿ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾: في باطنهما وأرواحهما ﴿ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ممّا يقع عليه اسم الشيء من أجناس خلقه التي لايمكن حصرها، لتدلّهم على كمال قدرة صانعها و وحدة مبدعها و عظم شأن مالكها ومتولّي أمرها، ليظهر لهم صحّة ما يدعوهم إليه. ﴿ وَأَنْ عَسَى ﴾: و أنّه عسى ﴿ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾ يعني: و اقتراب آجالهم و توقّع حلولها، فيسارعوا إلى طلب الحقّ والتوجّه إلى ما ينجيهم، قبل مغافصة[4] الموت و نزول العذاب. ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ ﴾: بعد القرآن ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ إذا لم يؤمنوا به. و المعنى: و لعلّ أجلهم قد اقترب فما بالهم لايبادرون الإيمان بالقرآن، و ماذا ينتظرون بعد وضوحه؟! فإن لم يؤمنوا به فبأيّ حديث أحقّ منه يريدون أن يؤمنوا؟

﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ القمّي: يكله إلى

١ـ الكافي ٢: ٤٥٢، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله ؏.
٢ـ المصدر، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ؏.
٣ـ الدرّ المنثور ٣: ٦١٨؛ و البيضاوي ٣: ٣٦، عن النبيّ ﷺ.
٤ـ غافصه: فاجأه و أخذه على غرّة. القاموس المحيط ٢: ٣٢٢ (غفص).

نفسه [1]

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: القيامة وهي من الأسماء الغالبة. ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾؟ متى إرساؤها؟ أي: إثباتها واستقرارها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ استأثر به، لم يُطلِع عليه ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ﴾: لا يظهرها في وقتها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ يعني. أنّ الخفاء بها مستمرّ على غيره إلى وقت وقوعها؛ واللّام للتّوقيت.

﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: عظمت على أهلها من الملائكة والثّقلين لهولها وشدّتها. ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: فجأة على غفلة. روي: «انّ السّاعة تهيج بالنّاس والرّجلُ يُصلح حوضَه، والرّجلُ يَسقي ماشيته، والرّجل يقوّم سِلعتَه في سوقه، والرّجل يَخفِضُ ميزانه ويرفعُه» [2].

﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ قيل: أي: عالم بها، وأصله: كأنّك أحفيت بالسّؤال حتى علمتها، أي: استقصيتَ والحفتَ. [3] ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ لأنّه من علم الغيب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّه المختصّ بالعلم بها. القمّي: إنّ قريشاً بعثت قوماً إلى نَجْران ليتعلّموا من علماء اليهود مسائل يسألونها رسولَ الله ﷺ، وكان فيها: سَلُوا محمّداً ـ ﷺ ـ متى تقوم السّاعة؟ فإن ادّعى علمَ ذلك فهو كاذب، فإنّ قيام السّاعة لم يُطلِعِ اللهُ عليه ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً. فلمّا سألوه نزلت [4].

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: جلْبَ نفعٍ ولا دفْعَ ضررٍ، وهو إظهار للعبوديّة، والتّبرّي عن ادّعاء العلم بالغيوب. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من ذلك، فيلهمُني إيّاه ويوفّقني له ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ قال

١ـ القمّي ١: ٢٤٩.
٢و٣ـ جوامع الجامع ١: ٤٨٧.
٤ـ القمّي ١: ٢٤٩

«يعني الفقر»[1] القمّي: كنت أختار لنفسي الصحّة و السّلامة.[2] ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هي نفس آدم ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾: من فضل طينها ﴿زَوْجَهَا﴾: حوّاء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليأنس بها و يطمئنّ إليها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾: جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾: خفّ عليها ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ أي: استمرّت بالحمل ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَت﴾: صارت ذات ثقلٍ بكبر الولد في بطنها ﴿دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾: ولداً سويّاً بريئاً من الآفة ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قال: «هما آدم وحوّاء، و إنّما كان شركهما شرك طاعةٍ و ليس شرك عبادة»[3]. وفي رواية: «جعل صنفا الذكر و الأُنثى من أولادهما لله سبحانه شركاء فيما آتاهما ولم يشكراه كشكر أبويهما له عزّوجلّ قال الله تعالى: "فتعالى الله عمّا يشركون"»[4].

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يعني الأصنام.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾.

الخطاب إمّا للمسلمين و«هم» ضمير المشركين، و إمّا للمشركين و«هم» ضمير الشّركاء[5].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: تعبدونهم و تسمّونهم آلهة من دونه سبحانه

١ـ معاني الأخبار: ١٧٢، باب معنى السّوء، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٢٥٠.
٣ـ العيّاشي ٢: ٤٣، الحديث: ١٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٩٧، الباب: ١٥، ذيل الحديث: ١.
٥ـ المعنى على الأوّل: إن تدعوا المشركين إلى الإسلام لا يجيبوكم، و على الثّاني: إن تدعوا الأصنام إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم و لا يجيبوكم كما يجيبكم الله «منه» في الصّافي ٢: ٢٦٠.

﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ . مملوكون مسخّرون ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ في مهمّاتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنّهم آلهة.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ واستعينوا بهم في عداوتي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي أنتم و شركاؤكم ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾: فلا تُمهِلوني، فإنّي لاأبالي بكم لوثوقي على ولاية الله و حفظه.

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ﴾: ناصري و حافظي ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾: ينصرهم و يحفظهم.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾: يُشبِهون النّاظرين إليك، لأنّهم صوّروا[1] بصورة مَنْ ينظر إلى مَنْ يواجهه. ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾: خذ ما عفا لك من أفعال النّاس و أخلاقهم و ما يأتي منهم من غير كُلفة و تسهُّل، و لاتطلب ما يشقّ عليهم و لاتُداقّهم، واقبلِ الميسورَ منهم؛ و نحوُه: «يسِّروا و لاتُعسِّروا»[2]؛ من العفو الّذي هو ضدّ الجَهْد.

قال: «إنّ الله أدّب رسوله ﷺ بذلك، أي. خُذْ منهم ما ظهر و ما تيسّر، قال: والعفوُ. الوسَطُ»[3].

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: بالمعروف الجميل من الأفعال و الحميد من الأخلاق ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾: و لا تُمارِ السّفهاء و لاتكافِهمْ بمثل سَفَهِهِم.

روي: «لمّا نزلت هذه الآية سأل رسول الله ﷺ جبرئيلَ عن ذلك. فقال: لاأدري

1- أي: صوّروا أصنامهم.

2- جوامع الجامع ١: ٤٩١، مرويّاً عن المعصوم ﷺ.

3- العيّاشي ٢: ٤٣، الحديث: ١٢٦، عن أبي عبدالله ﷺ.

حتّى أسأل العالم؛ ثمّ أتاه فقال: «يا محمّد إنّ الله يأمرك ان تعفو عمّن ظلمك، وتعطي من حرمك، و تصل من قطعك»[1]. و في رواية: «أمر الله نبيّه بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها»[2] و في أخرى: «إنّ الله أمره بمداراة الناس»[3].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾: ينخسنّك منه نخس في القلب يوسوسك على خلاف ما أمرت به، كاعتراء غضب؛ شبّه وسوسته للناس إغراء لهم على المعاصي وإزعاجاً بغرز السائق ما يسوقه ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. روي: لمّا نزلت الآية السابقة قال النبيّ ﷺ: «كيف يا ربّ و الغضب»[4]. فنزلت.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾: لمّة منه، كأنّها طافت بهم ودارت حولهم و لم تقدر ان تؤثّر فيهم ﴿تَذَكَّرُوا﴾ ما أمر الله به و نهى عنه ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ مواقع الخطأ و مكائد الشيطان، فيتحرّزون عنها. قال: «هو العبد يهمّ بالذنب ثمّ يتذكّر فيمسك»[5].

﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾: و إخوان الشياطين، يعني: الذين لم يتّقوا ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ بالتزيين و الحمل عليه ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: لايمسكون عن إغوائهم حتّى يصرّوا ولا يرجعوا فيهلكوا.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾: هلّا جمعتها تقوّلاً من عند نفسك كسائر ما تقرأ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ﴾ للقلوب، بها تبصر الحقّ ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥١٢
٢ـ جوامع الجامع ١: ٤٩١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٥٦، الباب: ٢٦، الحديث ٩.
٤ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥١٢.
٥ـ الكافي ٢: ٤٣٥، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. قيل: نزلت في الصّلاة، كانوا يتكلّمون فيها فأُمِروا باستماع قراءة الإمام و الإنصات له[1]. و ورد: «إن كنتَ خلف إمام فلا تقرأنّ شيئاً في الأولتين و أنصت لقراءته و لاتقرأنّ شيئاً في الأخيرتين، فإنّ الله عزّوجلّ يقول للمؤمنين: "وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ" يعني في الفريضة خلف الإمام "فَاسْتَمِعُوا لَهُ" الآية و الأخيرتان تبعٌ للأولتين»[2]. و في رواية: «يجب الإنصات للقرآن في الصّلاة و في غيرها، و إذا قُرِئَ عندك القرآنُ وجب عليك الإنصات و الاستماع»[3].

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾. عامّ في كلّ ذكر ﴿تَضَرُّعًا﴾ قال: «يعني مستكيناً»[4]. ﴿وَخِيفَةً﴾ قال: «يعني خوفاً من عذابه»[5]. ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قال: «يعني من القراءة»[6]. ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ قال: «يعني بالغداة و العشيّ»[7].

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكر الله اللّاهين عنه. قيل: لأنّ الذكر في النّفس ودون الجهر، الّذين يعبّر عنهما بالسرّ، أدخَلُ في الإخلاص و أبعدُ من الرّياء وأقربُ إلى القبول.[8] و ورد: «لايكتبُ الملكُ إلّا ما يَسْمَعُ، و قال الله عزّوجلّ: و "اذكر ربّك في نفسك تضرّعاً و خيفةً" فلا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس الرّجل غيرُ الله لعظمته»[9]. و في رواية: «قال الله من ذكرني سرّاً ذكرته علانيةً»[10]. و في رواية علويّة[11]: «من ذكر الله في السرّ فقد ذكر الله كثيراً إنّ المنافقين كانوا يذكرون

١ـ البيضاوي ٣: ٤٠.

٢ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٥٦، الحديث: ١١٦٠، عن ابي جعفر عليه السلام.

٣ـ العيّاشي ٢: ٤٤، الحديث: ١٣٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٤ إلى ٧ـ المصدر، الحديث: ١٣٥، عن النّبيّ صلى الله عليه و آله.

٨ـ راجع: جوامع الجامع ١: ٤٩٣.

٩ـ الكافي ٢: ٥٠٢، الحديث: ٤، عن أحدهما عليهما السلام.

١٠ـ المصدر، ٥٠١، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

١١ـ في «ب» و «ج»: «و في أخرى».

الله علانيةً و لايذكرونه في السرّ، فقال الله تعالى: "يُراؤُنَ النّاسَ وَلايَذْكُرُونَ اللهَ إلاّ قَليلاً" [١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ القمّي: يعني الانبياء و الرّسل و الائمّة عليهم السّلام [٢].

وقيل: الملائكة [٣] ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾: و ينزّهونه ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾: و يخصّونه بالعبادة و التّذلّل، لايشركون به غيره. هنا اوّل سجدات القرآن ورد: «إذا قرأ ابن آدم السّجدة، فسجد اعتزل الشّيطان يبكي و يقول: يا ويله أُمِرَ هذا بالسّجود فَسَجَدَ فله الجنّة، و أُمِرْتُ بالسّجود فعصيتُ فلي النّار» [٤].

١ـ الكافي ٢: ٥٠١، الحديث ٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام، و الآية في النّساء ١٤٢
٢ـ القمّي ١: ٢٥٤
٣ـ الكشّاف ٢: ١٤٠، و البيضاوي ٣: ٤٠
٤ـ البيضاوي ٣: ٤٠، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله

سورة الأنفال

[مدنيّة إلّا من آية ۳۰ إلى غاية آية ۳٦ فمكيّة. و آياتها ۷٥، نزلت بعد البقرة][۱]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾ : عن حكمها، و هي غنائم خاصّة، و النَّفْلُ: الزّيادة على الشّيء، سمّيت به الغنيمة لأنّها عطيّة من الله و فضل، و في قراءتهم عليهم السّلام: «يسألونك الأنفال»[۲] يعني أن تعطيهم. ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ : مختصّة بهما، يضعانها حيث شاءا. قال: «الأنفال كلّ ما أُخِذَ من دار الحرب بغير قتال، و كلّ أرض انجلى أهلها عنها بغير قتال أيضاً، و الأرضون الموات و الآجام و بطون الأودية و قطائعُ الملوك و ميراث من لا وارث له؛ و هي لِلّه و لرسوله و لمن قام مقامَه بعدَه»[۳]. و في رواية: «و كلّ أرض لا ربّ لها و المعادن»[٤].

القمّي. نزلت ببدر حيث قاتل بعضهم، و أقام عند خيمة النّبيّ ﷺ آخرون،

۱ـ ما بين المعقوفين من «ب».

۲ـ مجمع البيان ۳ ـ ٤: ٥۱۷، عن السجّاد و الباقر و الصّادق عليهم السّلام.

۳ـ جوامع الجامع ۲: ۱، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ العيّاشي ۲: ٤۸، الحديث ۱۱، عن أبي جعفر عليه السلام؛ و القمّي ۱: ۲٥٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

لئلاّ يعرى موضعهُ فيميل عليه حيلٌ للشركين، فخاف المقيمون ان لا يُعْطَوا من الغنائم شيئاً، لأنّها كانت قليلة، فاختلفوا فيما بينهم حتّى سألوا عنها [١]. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الاختلاف والمشاجرة ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾. الحال الّتي بينكم، بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله، و تسليم أمره إلى الله و الرّسول ﷺ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون في الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: فزعت لذكره استعظاماً له و هيبةً من جلاله ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾: ازدادوا بها يقيناً وطمأنينة نفسٍ ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: و إليه يفوّضون أمورهم فيما يخافون و يرجون.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ لأنهم حقّقوا الإيمان بضمّ مكارم الاخلاق ومحاسن افعال الجوارح إليه ﴿لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: كرامةٌ و علوُّ منزلةٍ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لما فرطَ منهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ اعدّ لهم في الجنّة. القمّي. نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأبي ذرّ وسلمان والمقداد [٢].

و ورد «إنّ الله فرض الإيمان على جوارح ابن آدم و قسّمه عليها و فرّقه فيها، ثمّ بيّن عليه السلام ذلك، ثمّ قال: و لو كان كلّه واحداً لا زيادة فيه و لا نقصان لم يكن لأحدٍ منهم فضل على الآخر، ولاستوت النِّعَمُ فيه و لاستوى النّاسُ و بطل التّفضيل، و لكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنّة، و بالزّيادة في الإيمان تفاضلَ المؤمنون بالدّرجات عند الله، وبالنّقصان دخل المفرّطون النّار» [٣].

١ـ القمّي ١: ٢٥٤ ـ ٢٥٥
٢ـ القمّي ١: ٢٥٥.
٣ـ الكافي ٢: ٣٤ و ٣٧، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ قال: «والله ناصرك كما أخرجك»[1]. و قيل: يعني حالهم هذه في كراهة ما حكم الله في الأنفال مثلُ حالهم في كراهة خروجك من بيتك للحرب[2].

﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ ﴾: في إيثارك الجهادَ إظهاراً للحقّ على تلقّي العير و أخذ المال الكثير ﴿ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾ انّهم ينصرُون اين ما توجّهوا، بإعلام الرّسول ﷺ ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ يعني يكرهون القتال كراهةَ مَنْ يُساق إلى الموت و هو يشاهد أسبابَه، و كان ذلك لقلّة عددهم و عدم تأهّبهم للقتال.

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾. القمّي ما ملخّصه: انّ عيرَ قريش خرجت إلى الشّام فيها خزائنهم، فامر النّبيّ ﷺ اصحابه بالخروج ليأخذوها، فأخبرهم انّ الله قد وعده إحدى الطّائفتين: إمّا العيرَ او قريش[3] ان يظفرَ بهم، فخرج في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فلمّا قارب بدراً بلغ اباسفيان ذلك و كان في العير، فخاف خوفاً شديداً، و بعث إلى قريش فاخبرهم بذلك، و طلب منهم الخروج والمنع عن العير، وامر بالعير فاخذ بها نحو ساحل البحر وتركوا الطّريق و مرّوا مسرعين، و نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فاخبره انّ العير قد افلتت، و انّ قريشاً قد اقبلت لتمنع عن عيرها، وامره بالقتال و وعده النّصر، فاخبر به رسول الله ﷺ اصحابه، فجزعوا من ذلك و خافوا خوفاً شديداً، إذ لم يتهيّؤوا للحرب؛ فقال رسول الله ﷺ اشيروا عليّ! فقام ابوبكر فقال: يا رسول الله إنّها قريش و خُيَلاؤها[4] ما آمنت منذ كفرت، و لا ذلّتْ منذ عزّتْ، ولم نخرج على هيئة الحرب، فقال رسول الله ﷺ: اجلس، فجلس. فقال: اشيروا عليّ! فقام

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٢١ في حديث أبي حمزة
٢ـ البيضاوي ٣: ١٤١ و الكشّاف ٢: ١٤٣
٣ـ كذا في جميع النُّسَخ، و لعلّ الصّواب: «قريشاً»
٤ـ الخُيَلاء ـ بضمّ الخاء و فتح الياء ـ: الكبر. القاموس المحيط ٣: ٣٨٣ (خال).

عمر، فقال مثل مقالة أبي بكر، فقال: اجلس. ثمّ قام المقداد فقال: يا رسول الله إنّها قريش و خيلاؤها، و قد آمنّا بك و صدّقناك و شهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عندالله، ولو امرتنا ان نخوض جمرَ الغضا و شوكَ الهراس[1] لخضنا معك، و لا نقول لك ما قالت بنو اسرائيل لموسى: "إذهَبْ أنتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إنّا هاهُنا قاعِدُونَ"[2] و لكنّا نقول: اذهب انت و ربّك إنّا معكما مقاتلون، فجزاه النّبيّ خيراً، ثمّ جلس. ثمّ قال: أشيروا عليّ! فقام سعدبن مُعاذ فقال: بأبي انت و أمّي يا رسول الله! كأنّك أردتنا؟ قال: نعم، قال: فلعلّك خرجت على امر قد أُمِرْتَ بغيره. قال: نعم. قال: بأبي انت و أمّي يا رسول الله! قد آمنّا بك و صدّقناك، و شهدنا انّ ما جئت به حقّ من عندالله، فمُرْنا بما شئتَ، و خذ من اموالنا ما شئت. ثمّ قال: والله لو امرتنا ان نخوض هذا البحر لخضنا معك، إلى ان قال: و لكن نعدّ لك الرّواحل و تلقى عدوّنا، فإنّا صُبُرٌ عند اللّقاء، انجادٌ[3] في الحرب، و إنّا لنرجو ان يُقِرَّ الله عينيك بنا. فقال رسول الله ﷺ: كأنّي بمَصرَع فلان هاهنا و بمَصرَع فلان هاهنا و بمَصرَع أبي جهل و عُتْبَة و شَيْبَة، فإنّ الله وعدني إحدى الطّائفتين و لن يُخلف الله الميعاد. فنزلت الآية "كَما أخرَجَكَ" إلى قوله: "وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ" فامر بالرّحيل حتّى نزل ماء بدر و أقبلت قريش[4].

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾. ذات الحدّة ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ يعني العير، فإنّه لم يكن فيها إلّا اربعون فارساً، و لذلك يتمنّونها و يكرهون ملاقاة قريش لكثرة عددهم

١ـ الجمر: النّار، القطعة الملتهبة. و الغضا: شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب و جمره يبقى زماناً طويلاً لاينطفئ. و الهراس: شجر كبير الشّوك. والشوك: مايخرج من النّبات شبيهاً بالإبر. «راجع: مصباح المنير ١٠٨؛ والمنجد في اللّغة: ٥٥٤، ٨٦٢، ٤٠٩».

٢ـ المائدة (٥) ٢٤

٣ـ النّجدة: الشّدّة و الشّجاعة و رجل نَجِدٌ و نَجُدٌ: شديد البأس و منه حديث علي ﷺ: «امّا بنو هاشم فانجادٌ امجادٌ» أي: أشدّاء شجعان. النّهاية ٥: ١٨ (نجد)

٤ـ القمّي ١: ٢٥٦ـ٢٦٠

وعدّتهم. قال: «ذات الشّوكة: الّتي فيها القتال»[١]. ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بآياته ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ويستأصلهم. والمعنى: أنكم تريدون مالاً، وأن لاتلقوا مكروهاً، والله يريد إعلاء الدّين وإظهار الحقّ، وما يحصل لكم به فوز الدّارين.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ فعل ما فعل، وليس بتكرير، لأنّ الأوّل لبيان مراد الله وتفاوت ما بينه وبين مرادهم، والثّاني لبيان الدّاعي إلى حمل الرّسول ﷺ على اختيار ذات الشّوكة ونصره عليها. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ لمّا علمتم أن لا محيص عن القتال مع قلّتكم وكثرة عدوّكم قال: «إنّ النّبيّ ﷺ لمّا نظر إلى كثرة عدد المشركين وقلّة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال: اللّهمّ أنجز لي ما وعدتني، اللّهمّ إن تُهلك هذه العصابة لاتُعبد في الأرض، فما زال يهتف ربّه مادّاً يديه حتّى سقط رداؤه عن منكبيه فنزلت»[٢]. ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: متّبعين.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ يعني الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾: بشارة لكم بالنّصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: ولا تأثير للإمداد والإعداد وإنّما هي وسائط وروابط ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾: أمناً من الله بإزالة الرّعب عن قلوبكم ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ من الحدث والخبث ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يعني: الجنابة، وذلك لأنّه احتلم بعضهم وغلب المشركون على الماء.

القمّي: «فلمّا أمسى رسول الله ﷺ وجنّه اللّيل ألقى على أصحابه النّعاس حتّى ناموا، وأنزل الله عليهم السّماء، وكانوا في موضع لايثبت فيه القدم فلبّد الأرض حتّى ثبتت

١ـ العيّاشي ٢: ٤٩، الحديث: ٢٢، عن أبي عبدالله ؑ.
٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٢٥، عن أبي جعفر ؑ.

أقدامُهم، و كان المطر على قريش مثلَ العَزالي[1]، و كان على أصحاب رسول الله ﷺ رَذاذاً[2] بقدر ما يُلَبِّدُ الأرضَ[3]، و خافت قريش خوفاً شديداً، فاقبلوا يتحارسون يخافون البيات[4]. ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ بالوثوق على لطف الله تعالى بكم ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾: بالمطر ﴿الْأَقْدَامَ﴾ حتّى لاتسوخ[5] في الرّمل، او بالرّبط على القلوب حتّى يثبت في المعركة.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ في إعانتهم و تثبيتهم ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالبشارة لهم و بتكثير سوادهم و محاربة اعدائهم ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾: اعاليها الّتي هي المَذابحُ، او الرؤوس. ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ قال: «اطراف الاصابع»[6]. اي: جُزّوا رقابهم واقطعوا اطرافهم

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: كانوا في شِقٍّ خلاف شِقّهما ﴿وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾. الخطاب فيه مع الكفّار على طريقة الالتفات، يعني: ذوقوا ما عجّل لكم من القتل و الاسر مع ما اجّل لكم في الآخرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾: كثيراً بحيث يُرىٰ لكثرتهم كأنّهم يزْحَفون، اي: يدبّون. ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ بالانهزام.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ لان يكرّ بعد الفرّ، يُخيّلُ عدوَّه انّه

١ـ العزالي جمع العزلاء: مصبّ الماء من الراوية و نحوها. «القاموس المحيط ٤: ١٥ ـ عزل» و هنا إشارة إلى شدّة وقع المطر.

٢ـ الرَّذاذ: المطر الضعيف. القاموس المحيط ١: ٣٦٧ (رذذ).

٣ لَبَّدَ المطرُ الأرضَ: رشّها. المنجد في اللّغة: ٧١٠ (لبد).

٤ـ القمي ١: ٢٦١.

٥ـ ساخت قوائمه في الأرض: دخلت فيها و غابت. مجمع البحرين ٢: ٤٣٥ (سوخ).

٦ـ القمّي ١: ٢٦٧، عن أبي عبدالله ﷺ.

مُنْهَزِم؛ و هو من مكائد الحرب ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: أو مُنْحازاً إلى فئة أُخرى من المسلمين ليستعين بهم من غير هزيمة ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾. «فمن انهزم حتّى يجوز صفّ أصحابه فقد باء». كذا ورد [١].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بقوّتكم؛ يعني: إن افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بأن أنزل الملائكة و ألقى الرّعبَ في قلوبهم و قوّى قلوبكم. ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ انت يا محمّد ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ حيث أثّرت الرّميةُ ذلك الأثرَ العظيمَ.

روي: «انّ قريشاً لمّا جاءت بخيلائها أتاه جبرئيل فقال: خذ قبضة من تراب فارْمِهم بها. فقال لعليّ ﷺ: اعطني قبضة من حَصْبَاء [٢] الوادي، فاعطاه فرمى بها في وجوههم و قال: شاهَتِ الوُجُوهُ، فلم يبق مشرك إلّا شُغِلَ بعينيه فانهزموا، و رَدَفَهُمُ المؤمنون يَقْتُلونهم و يأسِرُونَهم، ثمّ لمّا انصرفوا اقبلوا على التّفاخر، فيقول الرّجل: قتلْتُ وأسَرْتُ، فنزلت» [٣].

اثبت الرّمي لرسول الله ﷺ لانّه وُجِدَ منه صورةً، و نفاه عنه معنىً، لانّ أثرَهُ الّذي لا يدخل في قدرة البشر فِعْلُ الله سبحانه، فكأنّه فاعِلُ الرّميةِ على الحقيقة، وكأنّها لم تُوجَدْ من الرّسول.

﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾: وليُنْعِمَ عليهم نعمةً عظيمةً بالنّصر و الغنيمة ومشاهدةِ الآيات فَعَلَ ما فَعَلَ. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لاستغاثتهم و دعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتهم وأحوالهم.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الغرض ذلكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ يعني انّ المقصود إبلاء المؤمنين و توهين كيد الكافرين.

١ـ العيّاشي ٢: ٥١، الحديث: ٣١، عن ابي الحسن الرّضا ﷺ.
٢ـ الحَصْبَاء: الحصى. القاموس المحيط ١: ٥٧ (حصب).
٣ـ تفسير ابي السّعود ٤: ١٣؛ وروح المعاني ٩: ١٨٤؛ و التّفسير الكبير (للفخر الرازي) ١٥: ١٣٩.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾. قيل: خطاب لاهل مكّة على سبيل التهكّم[1].

ورد: «إنّ أبا جهل قال: اللّهمّ ربّنا ديننا القديم و دين محمّد الحديث، فأيّ الدينين كان أحبّ إليك و أرضى عندك فانصر أهله اليوم»[2] ﴿وَإِن تَنتَهُوا﴾ عن الكفر و معاداة الرسول ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لتضمّنه سلامة الدارين ﴿وَإِن تَعُودُوا﴾ لمحاربته ﴿نَعُدْ﴾ لنصره ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ عن الرسول ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن و المواعظ سماع فهم و تصديق.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماعاً ينتفعون به.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ﴾ عن الحقّ ﴿الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهّم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ وقد علم ان لاخير فيهم ﴿لَتَوَلَّوا﴾ ولم ينتفعوا به ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ لعنادهم. قال: «نزلت في بني عبدالدار، لم يكن أسلم منهم غير مُصعَب بن عُمَير و حليف لهم يقال له: سُوَيط»[3].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ الرسول ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. قال: «نزلت في ولاية عليّ عليه السلام»[4]. والقمّي: الحياة: الجنّة[5].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ القمّي: يحول بينه و بين ما يريد[6]. و في رواية: «يحول بين المؤمن و معصيته ان تقوده إلى النّار، و بين الكافر و بين طاعته أن يستكمل بها الإيمان. قال: واعلموا أنّ الأعمال بخواتيمها»[7]. و في أُخرى: «يحول بينه و بين

١ـ البيضاوي ٣: ٤٥؛ و الكشّاف ٢: ١٥٠. والتَّهَكُّمُ: الاستهزاء. القاموس المحيط ٤: ١٩٣ (هكم).

٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٣١.

٣ـ المصدر: ٥٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «سُوَيبِط»، وفي جوامع الجامع ٢: ١٢: «سُوَيد بن حَرْملة».

٤ـ الكافي ٨: ٢٤٨، الحديث: ٣٩٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥و٦ـ القمّي ١: ٢٧١.

٧ـ المصدر، عن أبي جعفر عليه السلام.

ان يعلم انّ الباطل حق»[1]. ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ بل يعمّهم و غيرهم، كالمداهنة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر و افتراق الكلمة و ظهور البدع. قال: «أصابت النّاسَ فتنة بعد ما قبض الله نبيّه ﷺ حتّى تركوا عليّاً ﷺ و بايعوا غيره، و هي الفتنة الّتي فُتِنُوا بها، و قد امرهم رسول الله ﷺ باتّباع عليّ والاوصياء من آل محمّد عليهم السّلام»[2]. و ورد: لمّا نزلت قال النّبيّ ﷺ: «من ظلم عليّاً ﷺ مقعدي هذا بعد وفاتي، فكانّما جحد نبوّتي و نبوّة الانبياء قبلي»[3]. والقمّي: نزلت في طلحة والزّبير، لمّا حاربوا امير المؤمنين ﷺ و ظلموه[4]. و في قراءتهم عليهم السّلام. «لَتُصِيبَنَّ»[5]. باللام دون لا ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: من الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. قال: «نزلت في قريش خاصّة»[6].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ انّكم تخونون. قال: «خيانةُ الله و الرّسول معصيتُهما، و امّا خيانة الامانة فكلّ إنسان مامون على ما افترض الله عليه»[7].

وقال: «نزلت في ابي لُبابة بن عبد المنذر»[8]. فلفظ الآية عامّ و معناها خاصّ.

١ـ التوحيد: ٣٥٨، الباب: ٥٨، الحديث: ٦، عن ابي عبدالله ﷺ.
٢ـ العيّاشي ٢: ٥٣، الحديث: ٤٠، عن ابي عبدالله ﷺ.
٣ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٤، عن ابن عبّاس.
٤ـ القمّي ١: ٢٧١، و فيه: لمّا حاربا.
٥ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٢، عن ابي جعفر ﷺ.
٦ـ القمّي ١: ٢٧١.
٧ـ القمّي ١: ٢٧٢، عن ابي جعفر ﷺ.
٨ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٥، عن الصّادقين عليهما السّلام.

«وذلك أنّ رسول الله ﷺ حاصرَ يهودَ بني قُرَيْظَةَ إحدى وعشرين ليلةً فسألوه الصّلح على ما صالح عليه بني النّضير أن يسيروا إلى أذرُعات و أريحا من أرض الشّام، فأبى إلاّ أن ينزلوا على حكم سَعْدِ بن مُعاذ، فقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة و كان مناصحاً لهم، لأنّ عياله و ماله و ولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله ﷺ فقالوا: ما ترى يا أبا لبابة! أننزل على حكم سعد؟ فأشار بيده إلى حلقه أنّه الذّبح فلا تفعلوا، فأتاه جبرئيل فأخبره بذلك. قال أبولبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتّى عرفت أنّي خنتُ الله و رسوله ﷺ فنزلت، فشدّ رأسه على سارية[1] من سواري المسجد و قال: والله لاأذوق طعاماً و لاشراباً حتّى أموت أو يتوبَ اللهُ عليّ. فمكث سبعة أيّام لايذوق فيها طعاماً و لاشراباً حتّى خرّ مغشياً عليه، ثمّ تاب اللهُ عليه فقال: لا والله لاأحُلُّ نفسي حتّى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يَحُلُّني، فجاءه فحلّه بيده، فقال: إنّ من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذّنب، و أن أنخلع من مالي، فقال النّبيّ ﷺ: يجزيك الثّلث أن تصدّقَ به»[2].

القمّي: و نزلت مع الآية الّتي في سورة التّوبة: «وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ»[3] الّتي نزلت في أبي لبابة[4].

﴿وَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لإلهائهم إيّاكم عن ذكر الله ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لمَنْ آثر رضا الله عليهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾: هداية في قلوبكم تفرّقون بها بين الحقّ و الباطل ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

١ـ السّارية: الأسْطُوانة. القاموس المحيط ٤: ٣٤٣ (سرى).
٢ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٥ ـ ٥٣٦، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٣ـ الآية: ١٠٢.
٤ـ القمّي ١: ٢٧٢.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: قريشاً، ذكّره ذلك ليشكر نعمة الله عليه في خلاصه ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ بالحبس ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ بسيوفهم ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكّة ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ يردّ مكرهم و مجازاتهم عليه ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

قال: «إنّ قريشاً اجتمعت فخرج من كلّ بطن أناس إلى دار النّدوة[1] ليتشاوروا فيما يصنعون برسول الله ﷺ، فإذا شيخ قائم بالباب، و إذا ذهبوا إليه ليدخلوا، قال: أدخلوني معكم. قالوا: و من أنت يا شيخ؟ قال: أنا شيخ من مُضَرَ[2] ولي رأي أُشير به عليكم. فدخلوا و جلسوا و تشاوروا و هو جالس، و أجمعوا أمرهم على أن يُخرِجُوه. فقال: هذا ليس[3] لكم برأي إن أخرجتموه أجْلَبَ عليكم النّاسَ فقتلوكم. قالوا: صدقت ما هذا برأي، ثمّ تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يوثقوه. قال: هذا ليس بالرّأي إن فعلتم هذا و محمّدٌ رجل حلو اللّسان أفسد عليكم أبناءكم و خدمكم، و ما ينفع أحدهم إذا فارقه أخوه و ابنه أو امرأته، ثمّ تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يقتلوه، يخرجون من كلّ بطن منهم بشاهرٍ فيضربونه بأسيافهم جميعاً عند الكعبة، ثمّ قرأ هذه الآية»[4].

والقمّي ذكر ما يقرب منه مع زيادات، ثمّ قال: فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ و أخبره أنّ قريشاً قد اجتمعت في دار النّدوة يدبّرون عليك، و أنزل عليه في ذلك: «و إذْ يَمْكُرُ بِكَ» الآية. فلمّا أمسى جاءت قريش ليدخلوا عليه، فقال أبولهب: لا أدعكم أن تدخلوا عليه باللّيل، فإنّ في الدّار صبياناً و نساءً و لا نأمن أن تقع بهم يدٌ خاطئة فنحرسه اللّيلة فإذا أصبحنا دخلنا عليه. فناموا حول حجرة رسول الله ﷺ و أمر رسول الله

1 ـ هي بمكّة أحدثها «قُصَيُّ بن كلاب» لمّا تملّك مكّة، و هي دار كانوا يجتمعون فيها للمشاورة. معجم البلدان ٥: ١٨٦ و ٢٧٩.

٢ ـ في المصدر: «من مُضَرَ» و هي من القبائل العربيّة العدنانيّة منسوبة إلى مُضَر بن نزار.

٣ ـ في «ج»: «ليس هذا».

٤ ـ العيّاشي ٢: ٥٣، الحديث: ٤٢، عن أحدهما عليهما السّلام.

ان يفرش له، و قال لعليّ عليه السلام: افدني بنفسك! قال: نعم يا رسول الله. قال: نم على فراشي و التحف ببُردتي. و جاء جبرئيل فأخذ بيد رسول الله فأخرجه على قريش و هم نيام و هو يقرأ عليهم: «وَ جَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ»[1] وقال له جبرئيل: خذ على طريق ثَوْر؛ و هو جبل على طريق منى له سَنام كسَنام الثور، فدخل الغار و كان من امره ما كان. فلمّا اصبحت قريش وثبوا إلى الحجرة و قصدوا الفراش، فوثب عليّ عليه السلام في وجوههم، فقال: ما شانكم؟ قالوا له: اين محمّد؟ قال: جعلتموني عليه رقيباً؟! السنم قلتم: نخرجه من بلادنا، فقد خرج عنكم. فاقبلوا يضربونه[2] و يقولون: انت تخدعنا منذ اللّيلة، فتفرّقوا في الجبال. و كان فيهم رجل من خزاعة يقال له: ابوكُرْز، يقفو الآثار، فقالوا: يا اباكرز! اليوم اليوم، فوقف بهم على باب حجرة رسول الله صلى الله عليه و آله فقال. هذه قدم محمّد والله إنّها لاُخت القدم التي في المقام، وكان ابوبكر استقبل رسولَ الله صلى الله عليه و آله فردّه معه، فقال ابوكرز: و هذه قدم ابن ابي قحافة او ابيه، ثمّ قال: و هاهنا عَبَرَ ابنُ ابي قحافة، فما زال بهم حتّى اوقفهم على باب الغار، ثمّ قال: ما جاوزوا[3] هذا المكان، إمّا ان يكونوا صعدوا السّماء او دخلوا تحت الارض. و بعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار، و جاء فارس من الملائكة حتّى وقف على باب الغار ثمّ قال: ما في الغار احد فتفرّقوا في الشّعاب و صرفهم الله عن رسوله صلى الله عليه و آله ثمّ اذن له في الهجرة[4].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾. قيل: قائله

١ـ يس (٣٦): ٩.
٢ـ في المصدر: «يضربون ابالهب».
٣ـ في «الف» و «ج»: «ماجاوزوا» و في المصدر: «ماجاوزا هذا المكان إمّا ان يكونا صعدا إلى السّماء او دخلا تحت الارض».
٤ القمّي ١: ٢٧٥ـ٢٧٦.

النَّضْرُ بنُ الحارث بن كَلَدَة، و أُسِرَ يوم بدر، فقتله النّبيّ ﷺ صبراً[1] بيد عليّ عليه السلام. و إنّما قاله صلفاً[2]، و هذا غاية مكابرتهم و فرط عنادهم، إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤوا و قد تحدّاهم و قرّعهم[3] بالعجز عشر سنين، ثمّ قارعهم بالسّيف فلم يعارضوا سواه؛ مع فرط حرصهم على قهره و غلبته[4].

﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: ما سطّره الاولون من القصص. قيل. قاله النّضر ايضاً، و ذلك انّه جاء بحديث رُسْتَم و إسفنديار من بلاد فارس و زعم انّ هذا هو مثل ذلك[5].

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ «قاله الحارث بن عَمْرو الفهريّ حيث سمع النّبيّ ﷺ ذكر كلاماً في فضل عليّ عليه السلام فنزلت: "و ما كان الله ليعذّبهم و انت فيهم" الآية؛ فقال له النّبيّ ﷺ: يابن عمرو إمّا تبتَ و إمّا رحلت؟ فدعا براحلته فركبها، فلمّا صار بظهر المدينة اتته جَنْدَلة[6] فرضّت هامته[7]، فقال رسول الله ﷺ لمن حوله من المنافقين: انطلقوا إلى صاحبكم فقد أتاه ما استفتح به[8]». كذا ورد[9]. و في رواية: «قاله النّعمان بن الحارث الفهريّ

١ـ قتل فلانٌ صبراً: حُبِسَ على القتل حتى يُقتَلَ. الصّحاح ٢: ٧٠٦ (صبر)
٢ـ الصَّلَفُ ـ بالتّحريك ـ: التكلّم بما يكرهه صاحبك و التّمدّح بما ليس عندك او مجاوزة قدر الظّرف والادعاء فوق ذلك تكبّراً. القاموس المحيط ٣: ١٦٨ (صلف).
٣ـ قرّع القومَ: اقلقهم و التّقريع: التّعنيف و التّثريب. القاموس المحيط ٣: ٧٠ (قرع)
٤ـ البيضاوي ١: ٤٤٨.٣ وجوامع الجامع ٢: ١٧
٥ـ جوامع الجامع ٢: ١٧.
٦ـ الجَنْدَل ـ كجعفر ـ ما يُقِلُّه الرّجلُ من الحجارة. القاموس المحيط ٣: ٣٦٣ (جندل)
٧ـ الرَّضُّ: الدّقّ و الجَرْش و هي للمصدر. فرضخت، اي كسرت. و الهامَةُ: الرّأس. القاموس المحيط ٢: ٣٤٣ و ٤: ١٩٥ (رضض ـ هام).
٨ـ إشارة إلى قوله تعالى: "واستفتحوا و خاب كلُّ جبّارٍ عنيدٍ" إبراهيم (١٤): ١٥
٩ـ الكافي ٨: ٥٧، الحديث ١٨، عن أبي بصير.

لمّا نصب رسول الله ﷺ عليّاً يوم غدير»[1]. و القمّي: قاله أبوجهل لمّا سمع النبيّ ﷺ يقول: إنّ الله بعثني أن أقتل جميع ملوك الدّنيا، و أجرّ المُلكَ إليكم، فاجيبوني إلى ما أدعوكم إليه؛ تَملِكُوا بها العربَ و تدِنْ[2] لكم بها العجمُ، و تكونوا ملوكاً في الجنّة، فحسده أبوجهل و قال: «اللّهمّ إن كان هذا» ... الآية، ثمّ قال: غفرانك اللّهمّ[3].

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

القمّي: نزلت حين قال أبوجهل: غفرانك اللّهمّ[4].

أقول: و هو بيان لموجب إمهالهم و التّوقّف في إجابة دعائهم.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فإنّهم ألجاوا رسولَ الله ﷺ والمؤمنين إلى الهجرة، لمّا همّوا بقتله و أحصَرُوا عام الحديبيّة ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ قال: «أولياء المسجد الحرام»[5]. و في رواية: «يعني أولياء البيت، يعني المشركين»[6] ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ قال: «حيثما كانوا أولى به من المشركين»[7]. قيل: و هو ردّ لقولهم: نحن ولاة البيت و الحرم[8] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن لا ولاية لهم عليه.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال: «التّصفير و التّصفيق»[9].

أقول: يعني: وَضَعُوا الصَّفير و الصَّفْقَ باليدين موضعَ الصّلاة.

روي: «أنّ النّبيّ ﷺ كان إذا صلّى في المسجد الحرام قام رجلان من بني عبد الدّار

١ـ مجمع البيان ٩ ـ ١٠: ٣٥٢، عن أبي عبدالله ﷺ.

٢ـ تَدِنْ: تَذِلّ. و في «ب» «ج» و المصدر: «تدين».

٣ـ القمّي ١: ٢٧٦.

٤ـ المصدر: ٢٧٧.

٥ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٣٩، عن أبي جعفر ﷺ.

٦و٧ـ العيّاشي ٢: ٥٥، الحديث: ٤٦، عن أبي عبدالله ﷺ.

٨ـ البيضاوي ٣: ٤٩.

٩ـ معاني الأخبار: ٢٩٧، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ﷺ. التّصفير: التّصويت بالشّفتين. والتّصفيق: التّصويت باليدين بضرب باطن الرّاحة على باطن الاخرى. مجمع البحرين ٥: ٢٠٢ (صفق).

عن يمينه فيُصَفِّران، و رجلان عن يساره فيُصَفِّقان بايديهما، فيُخلِّطان عليه صلاته، فقتلهم الله جميعاً ببدر»[1]. والقمّي: هذه الآية معطوفة على قوله: "و إذ يمكر بك الّذين كفروا" فإنّ قريشاً لمّا همّوا بقتله خرجوا إلى المسجد يصفّرون و يصفّقون و يطوفون بالبيت، فنزلت[2]. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾. القمّي: نزلت في قريش، فإنّهم لمّا أُخبِرُوا بخبر رسول الله ﷺ في طلب العير، أخرجوا أموالهم و حملوا و انفقوا و خرجوا إلى محاربته ببدر فَقُتِلُوا و صاروا إلى النّار، و كان ما انفقوا حسرةً عليهم[3]. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: الكافر من المؤمن و الصّالح من الفاسد ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾: فيجمعه و يضمّ بعضه إلى بعض ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ كلّه ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: الكاملون في الخسران.

ورد: «إنّ الله سبحانه مزج طينة المؤمن حين اراد خلقه بطينة الكافر، فما يفعل المؤمن من سيّئة فإنّما هو من أجل ذلك المزاج، وكذلك مزج طينة الكافر حين اراد خلقه بطينة المؤمن، فما يفعل الكافر من حسنة فإنّما هو من اجل ذلك المزاج ـ أو لفظ هذا معناه ـ قال: فإذا كان يوم القيامة ينزع الله تعالى من العدوّ النّاصب سنخ المؤمن ومزاجه وطينته وجوهره و عنصره مع جميع أعماله الصّالحة و يردّه إلى المؤمن، و ينزع الله من المؤمن سنخ النّاصب و مزاجه و طينته و جوهره و عنصره مع جميع أعماله السيّئة الرّديّة

١ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٤٠.
٢ـ القمّي ١: ٢٧٥.
٣ـ المصدر. ٢٧٧

و يردّه إلى النّاصب؛ عدلاً منه جلّ جلاله و تقدّست أسماؤه و يقول للنّاصب: لاظلم عليك؛ هذه الأعمال الخبيثة من طينك و مزاجك و أنت أولى بها، و هذه الأعمال الصّالحة من طين المؤمن و مزاجه و هو اولى بها، «لاظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ»[1]، ثمّ تلا: «الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ»[2] الآية. و قرأ: «والّذين كفروا إلى جهنّم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطّيّب» الآية»[3].

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا﴾ عن الكفر و معاداة الرّسول ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ من ذنوبهم ﴿وَإِن يَعُودُوا﴾ إلى قتاله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ الّذين تحزّبوا على الأنبياء بالتّدمير، كما جرى على أهل بدر، فليتوقّعوا مثل ذلك

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: لا يوجد فيهم شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ ويضمحلّ عنهم الأديان الباطلة. قال: «لم يجيء تأويلُ هذه الآية [بعدُ][4] ولو قد قام قائمنا بعدُ سيرى مَنْ يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية، وليبلغنّ دين محمّد ﷺ ما بلغ اللّيل حتّى لايكون مشركٌ[5] على ظهر الأرض، كما قال الله: «يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً»[6]». ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ ولم ينتهوا ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾: ناصركم فثقوا به و لاتبالوا بمعاداتهم ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ قال: «هي والله الإفادة يوماً بيوم»[7].

١ـ غافر (٤٠): ١٧.

٢ـ نور (٢٤): ٢٦.

٣ـ علل الشّرائع ٢: ٦٠٨ـ٦٠٩، الباب ٣٨٥، الحديث: ٨١، عن أبي جعفر عليه السلام بالمضمون.

٤ـ الظّاهر أنّ ما بين المعقوفتين زائد وليس في المصدر و لا في الصّافي.

٥ـ في «المصدر» و «ح»: «شرك».

٦ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٤٣، و العيّاشي ٢: ٥٦، الحديث: ٤٨، عن أبي عبدالله عليه السلام والآية في النّور (٢٤): ٥٥.

٧ـ الكافي ١: ٥٤٤، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أقول: يعني استفادة المال من أيّ جهة كانت.

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾

قال: «نحن والله عنى بذي القربى الّذين قرنهم الله برسوله ﷺ قال: ولم يجعل لنا في سهم الصّدقة نصيباً، أكرم الله نبيّه و أكرمنا أن يطعمنا أوساخ أيدي النّاس»[١] و قال: «خمس الله للإمام و خمس الرّسول للإمام وخمس ذوي القربى لقرابة الرّسول و الإمام، واليتامى يتامى آل الرّسول، و المساكين منهم و أبناء السّبيل منهم، فلا يخرج منهم إلى غيرهم»[٢].

﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ﴾ يعني إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنّ الخُمس من الغنيمة يجب التّقرّب به، فاقطعوا عنه أطماعكم، واقتنعوا بالأخماس الأربعة ﴿وَمَا أَنزَلْنَا﴾: و بما أنزلنا ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: على محمّد ﷺ من الآيات و الملائكة و النّصر ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾: يوم بدر، فإنّه فرّق فيه بين الحقّ و الباطل. ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: المسلمون و الكفّار ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على نصر القليل على الكثير و الإمداد بالملائكة.

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ من المدينة؛ بدل من "يوم الفرقان"، العدوة ـ مثلثةً ـ: شطّ الوادي. ﴿وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ البُعدى من المدينة؛ تأنيث الأقصى. القمّي: يعني قريشاً حيث نزلوا بالعدوة اليمانيّة، و رسول الله ﷺ نزل بالعدوة الشّاميّة[٣].

﴿وَالرَّكْبُ﴾ قال: «يعني أباسفيان و أصحابه»[٤]. والقمّي: يعني العير الّتي أفلتت[٥]. والتّفسيران متّحدان. ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: في مكان أسفل من مكانكم يقودون العيرَ بالسّاحل. والفائدة في ذكر هذه المواطن؛ الإخبار عن الحالة الدّالّة على قوّة المشركين وضعف المسلمين، و أنّ غلبتهم على مثل هذه الحال أمر إلهيّ لايتيسّر إلّا بحوله و قوّته؛

١ـ التّهذيب ٤: ١٢٦، الحديث ٣٦٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ المصدر: ١٢٥، الحديث: ٣٦١، عن أحدهما عليهما السّلام.
٣و٥ ـ القمّي ١: ٢٧٨. وأفلتت: تخلّصت. مجمع البحرين ٢: ٢١٣ (فلت)
٤ـ العيّاشي ٢: ٦٥، الحديث: ٦٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

و ذلك انّ العدوة القصوى كان فيها الماء و لاماء بالعدوة الدّنيا، و كانت رَخْواً تسوخ[١] فيها الارجلُ، و كانت العيرُ وراء ظهورهم مع كثرة عددهم، فكانت الحمايةُ دونَها تُضاعفُ حَميّتَهُم، و تحملُهُم على ان لا يَبْرَحُوا[٢] مواطنهم، و يَبْذُلوا نهايةَ نَجْدَتِهم[٣]، و فيه تصوير ما دَبَّرَ الله من امر وقعة بدر

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ يعني لو تواعدتم انتم و هم على موعد للقتال، ثمّ علمتم حالكم و حالهم لخالف بعضكم بعضاً، ثَبَّطكم[٤] قلّتكم عن الوفاء بالموعد، وثبّطهم ما في قلوبهم من الرّعب، فلم يتّفق لكم من الوفاء ما وفّقه الله. ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾. كان واجباً ان يفعل من إعزاز دينه و إعلاء كلمته و نصرِ اوليائه وقهرِ اعدائه.

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾: لِيَصْدُرَ كفرُ مَنْ كَفَرَ وإيمانُ من آمن عن وضوحِ بيّنةٍ عاينها و قيامِ حجّةٍ شاهدها. قال: «يعلم من بَقِيَ انّ الله نَصَرَه»[٥].

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعلم كيف يدبّر أموركم.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ لتخبر به اصحابك، فيكون تثبيتاً لهم و تشجيعاً على عدوّهم ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾: لجبنتم ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: امر القتال، و تفرّقت آراؤكم بين الثّبات والفرار ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾: انعم بالسّلامة من الفشلِ والتّنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

قال: «كان إبليس يوم بدر يُقلّل المسلمين في اعين الكفّار، و يكثّر الكفّار في اعين النّاس، فشدّ عليه جبرئيل بالسّيف فهرب منه و هو يقول: يا جبرئيل إنّي

١ـ في جميع النّسخ «يسوخ».
٢ـ برح من مكانه براحاً: زال عنه و صار في البَراح. مجمع البحرين ٢: ٣٤٢ (برح).
٣ـ النّجدة ـ بفتح النّون فالسكون ـ: الشّجاعة. مجمع البحرين ٣: ١٤٩ (نجد).
٤ـ ثَبَّطهُ عن الامر: عوّقه و بطّأ به عنه، و على الامر: وقّفه عليه. القاموس المحيط ٢: ٣٦٥ (ثبط).
٥ـ القمّي ١: ٢٧٨.

مُؤَجّل، حتّى وقع في النحر يخاف أن يُقْطَعَ بعضُ أطرافه»[1].

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ تصديقاً لرؤيا رسول الله ﷺ و تثبيتاً لكم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ حتّى قال قائلهم: ما هم إلاّ أكلَةُ رأسٍ، لو بعثنا عليهم عبيدنا لأخذوهم باليد. و إنّما قلّلهم في أعينهم ليجترؤوا عليهم قبل اللّقاء، ثمّ كثّرهم فيها بعد اللّقاء لتَفْجَأَهُمُ الكثرةُ، فيهابوا و تُفَلَّ[2] شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حُسْبانهم، و هذا من عظائم آيات تلك الواقعة و عجائب قدرة الله فيها، فإنّ البصر و إن كان قد يرى الكثيرَ قليلاً و القليلَ كثيراً لكن لا على هذا الوجه و لا إلى هذا الحدّ. ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾: إذا حاربتم جماعة كافرةً أو باغيةً واللّقاءُ ممّا غلب في القتال. ﴿فَاثْبُتُوا﴾ لقتالهم و لاتفرّوا ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في مواطن الحرب؛ داعين له مستظهرين بذكره مترقّبين لنصره ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تظفرون بالنُّصرة والمثوبة فيه. تنبيه على أنّ العبد ينبغي أن لايَشْغَلَه شيء عن ذكر الله[3] تعالى، و أن يلتجيء إليه عند الشّدائد، و يُقْبِلَ عليه بشراشره فارغَ البال، واثقاً بأنّ لطفه لاينفكّ عنه في شيء من الأحوال.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾ باختلاف الآراء، كما فعلتم ببدر و أُحد. ﴿فَتَفْشَلُوا﴾: فتضعفوا عن قتال عدوكم ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: دولتكم. شُبِّهت الدّولة بالرّيح في نفوذ أمرها و هبوبها. يقال: هبّت ريحُ فلانٍ: إذا نفذ أمرُه. ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ

١ـ الكافي ٨: ٢٧٧، الحديث ٤١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

٢ـ في «الف» و «ب»: «تقلّ» و الفلّ: الكسر و الضّرب، يُقال: فَلَّهُ فانفلّ، أي كسره فانكسر، وفَلَلْتُ الجيشَ: هزمتُه. الصّحاح ٥: ١٧٩٣، والنّهاية ٣: ٤٧٢ (فلل).

٣ـ في «الف»: «من ذكر الله».

مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم﴾ يعني أهل مكّة حين خرجوا منها لحماية العير ﴿بَطَرًا﴾: فخراً و أشراً ﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة، و ذلك أنهم لمّا بلغوا جُحْفَة[1] وافاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم، فأبى أبوجهل و قال: حتّى نَقدَمَ بدراً. نشرَبُ بها الخمورَ و تعزِفُ[2] علينا القِيانُ[3] و نُطعِمُ بها من حضرَنا من العرب. فذلك بطَرُهُم ورئاؤهم، فوافوها فسُقُوا كأسَ الحِمامِ[4] مكانَ الخمرِ و ناحت النوائحُ مكانَ القيان، فنهى الله المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطِرينَ مُرائينَ. ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾: مجيركم ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ﴾: تلاقتا ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: رجع القهقرى وبطل كيدُه، و عاد ما خيّلَ إليهم أنّه مجيرُهم سببَ هلاكهم ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ يعني جنودَ الملائكة ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ أن يصيبني مكروهاً ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

القمّي: جاء إبليس عليه اللّعنة إلى قريش في صورة سُراقة بن مالك فقال لهم: أنا جارٌ لكم إدفعوا إليّ رايتكم، فدفعوها إليه، و جاء بشياطينه يُهَوِّلُ[5] بهم على أصحاب رسول الله ﷺ و يخيّل إليهم و يفزعهم، و أقبلت قريش يقدُمُها إبليس معه الراية، فنظر

١ـ الجحفة ميقات أهل الشام، كانت قريةً جامعةً على اثنين و ثمانين ميلاً من مكّة و كانت تُسمّى مَهْيَعَة القاموس المحيط ٣: ١٢٥ (جحف).

٢ـ العزف: اللّعب بالمعازف و هي الدفوف و غيرها ممّا يُضرَبُ بها. مجمع البحرين ٥: ٩٩ (عزف).

٣ـ القيانُ جمع القَيْنة: الإماء المغنّيات. مجمع البحرين ٦: ٣٠١ (قين).

٤ـ الحِمام ـ ككتاب ـ: قضاءُ الموت و قَدَرُه. القاموس المحيط ٤: ١٠١ (حمم).

٥ـ هوّل على الرّجل: حمل عليه. أقرب الموارد ٢: ١٤١ (هول).

إليه رسول الله ﷺ فقال: غُضّوا أبصاركم و عَضّوا على النَّواجذ[1] و لاتسلّوا[2] سيفاً حتّى آذن لكم، ثمّ رفع يده إلى السّماء فقال: يا ربّ إن تهلك هذه العصابة لم تعبد وإن شئت لاتُعبد لاتُعبد، ثمّ أصابه الغَشْي فَسُرِّيَ عنه[3] و هو يَسْلُتُ[4] العَرَقَ عن وجهه و هو يقول: هذا جبرئيل قد أتاكم في ألفٍ من الملائكة مردفين، فنظروا فإذاً بسحابة سوداء فيها برق لائح قد وقعت على عسكر رسول الله ﷺ و قائلٌ يقول: أَقْدِمْ حَيْزُومُ! أَقْدِمْ حَيْزُومُ[5]! و سمعوا قعقعةَ السّلاح من الجوّ، و نظر إبليس إلى جبرئيل فراجع و رمى باللِّواء، فأخذ مُنَبِّهُ بنُ الحَجّاج[6] بمَجامعِ ثوبه، ثمّ قال: ويلك يا سراقة تَفُتّ[7] في أعضاد النّاس، فَرَكَلَهُ إبليسُ رَكْلَةً[8] في صدره و «قال إنّي بريء منكم» الآية و هو قوله تعالى: «وإذ زيّن لهم الشّيطان أعمالهم و قال لاغالب لكم اليوم من النّاس» الآية[9].

١ـ النّواجذ جمع ناجذ: أقصى الأضراس و هي أربعة. والنَّجْذُ: شدّةُ العضّ بها. و عَضَّ على ناجذه: بَلَغَ أَشُدَّهُ «القاموس المحيط ١: ٣٧٣» و في جميع النُّسخ «النّواجد» بالدّال المهملة؛ والصّواب ما أثبتناه.

٢ـ السَّلُّ: انتزاعك الشّيءَ و إخراجُهُ برفق و سَلُّ السّيف: إخراجُهُ من الغمد. مجمع البحرين ٥ ـ ٣٩٨ (سلل).

٣ـ سُرِّيَ عنه: زال عنه و انكشف. المنجد في اللّغة: ٣٣٢ (سرى).

٤ـ أصل السَّلْت: القَطْعُ. يقال: سَلَتَت الخضابَ عن يدها: إذا مسحَتْهُ و ألقَتْهُ. النهاية ٢. ٣٨٧ (سلت).

٥ـ في «القاموس المحيط ٤: ٠٩٧» الحَيْزُومُ: فرس جبرئيل. و في «النّهاية ١: ٤٦٧ و ٤: ٤٢٦» «أقْدِمْ حَيْزُومُ» هو أمرٌ بالإقدام و هو التّقدّم في الحرب. و الإقدامُ: الشّجاعة. و في «البحار ١٩: ٢٦٤»: أراد أقْدِمْ يا حيزومُ فحذف حرف النّداء.

٦ـ نُبَيْه و مُنَبِّه ابنا الحجّاج كانا من المستهزئين لرسول الله ﷺ و الطّاعنين عليه، و كانا يلقيانه فيقولا له: أما وجد الله من يبعثه غيرك؟ إنّ هاهنا من هو أسنّ منك و أيسر. فقُتِلَ مُنَبِّه في غزوة البدر، قتله عليّ بن أبي طالب (راجع: الكامل في التّاريخ ٢: ٧١).

٧ـ فتّ الشّيء: دقّه و كسره، و فَتَّ في عَضُدِه: كسر قوّته و فرّق عنه أعوانَهُ. أقرب الموارد ٢: ٨٩٩ (فت).

٨ـ الرَّكْلُ: الضّرب برِجْلٍ واحدةٍ. القاموس المحيط ٣. ٣٩٧ (ركل).

٩ـ القمّي ١: ٢٦٦

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: الشاكّون في الإسلام ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ يعنون المسلمين؛ أي: اغترّوا بدينهم حتّى تعرّضوا بقلّتهم[1] لقتال جمّ غفير ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. جواب لهم.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾: ولو رأيت، فإنّ «لو» تجعل المضارع ماضياً عكس «إن». ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ ببدر ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾: ما أقبل منهم ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾: وما أدبر. ورد. «إنّما أراد: وأستاههم، إنّ الله كريم يكنّي»[2]. ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: ويقولون: "ذوقوا". قيل: كانت معهم مقامعُ من حديد كلّما ضربوا التهبت النّارُ منها[3].

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون؛ ودأبهم: عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه، أي: داوموا عليه. ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾. إشارة إلى ما حلّ بهم. ﴿بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: يبدّلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوء؛ كتغيير[4] قريش حالهم في صلة الرّحم، والكفّ عن تعرّض الآيات والرّسل بمعاداة رسول الله ﷺ ومن تبعه منهم، والسّعي في إراقة دمائهم، والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها إلى غير ذلك ممّا أحدثوه بعد المبعث. ورد: «إنّ الله قضى قضاءً حتماً: لا ينعم[5] على العبد بنعمة فيسلبها إيّاه حتّى يُحدث العبدُ ذنباً يستحقّ بذلك النّقمة»[6] ﴿وَأَنَّ اللَّهَ

١ـ في «ب» و «ج»: «مع قلّتهم».
٢ـ العيّاشي ٢: ٦٥، الحديث: ٧١، مرفوعاً.
٣ـ البيضاوي ٣: ٥٣ و التفسير الكبير (للفخر الرازي) ١٥: ١٧٨.
٤ـ في «الف»: «كتغيّر».
٥ـ في المصدر: «ألا ينعم».
٦ـ الكافي ٢: ٢٧٣، الحديث: ٢٢، عن أبي عبدالله ﷺ.

سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾. كرّره للتأكيد و زيادة بيان لكفران النِّعَم، و بيان للاخذ بالذنوب ﴿وَكُلٌّ﴾ من غرقى آلِ فرعون و قتلى قريش ﴿كَانُوا ظَٰلِمِينَ﴾ انفسهم بكفرهم ومعاصيهم.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. اصرّوا على الكفر و رسخوا فيه، فلا يُتَوقَّعُ منهم إيمان. قال: «نزلت: في بني أُميّة، فهم أشرّ خلق الله، هم الّذين كفروا في بطن القرآن»[1].

﴿الَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾: تُصادِفَنَّهم و تَظفَرَنَّ بهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم﴾: فَرِّقْ عن محاربَتِك، ونَكِّلْ عنها بقتلهم و النِّكاية[2] فيهم ﴿مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾: مَنْ وَراءهم من الكفرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ مُعاهِدين ﴿خِيَانَةً﴾: نَقْضَ عهدٍ بامارات تلوح لك ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾: فاطْرَحْ إليهم عهدهم ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾: على طريقٍ مقتصدٍ مُستَوٍ في العداوة، بان تُخبِرَهم بنقض العهد إخباراً ظاهراً مكشوفاً، يَتبيَّنُ لهم أنّك قطعت ما بينك و ما بينهم، و لاتبدأْهُم بالقتال و هم على توهّم بقاء العهد؛ فيكون ذلك خيانةً. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾: فاتُوا من ان يُظفَرَ بهم ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: لايَفوتُون و لايجدون طالبَهم عاجزاً من إدراكهم.

﴿وَأَعِدُّوا﴾ أيها المؤمنون ﴿لَهُم﴾: للكفّار ﴿مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾: من كلّ ما

١ـ القمّي ١: ٢٧٩، و العيّاشي ٢: ٦٥، الحديث: ٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام و فيهما: «هُمْ شرُّ خلق الله».
٢ـ نكيت في العدوّ نكاية: إذا اكثرت فيهم الجراح القتل. مجمع البحرين ١: ٤٢١ (نكا).

يتقوّىٰ به في الحرب. قال: «القوّة: الرّمي»[1]. و في رواية: «سيف و تُرس»[2]. و في أُخرى: «منه الخضاب بالسّواد»[3]. ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾. الرّباطُ اسم للخيل الّتي تُربطُ في سبيل الله. ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: كفّار مكّة ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾: من غيرهم من الكفرة ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾: لاتعرفونهم بأعيانهم، لأنّهم يصلّون و يصومون ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾: يعرفهم، لأنّه المطّلع على الأسرار ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ بتضييع العمل أو نقص الثواب.

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ﴾: مالوا إلى الصّلح و الاستسلام ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ و عاهد معهم؛ و تأنيث الضّمير لحملها على نقيضها الّذي هي الحرب. سئل: ما السّلم؟ قال: «الدّخول في أمرنا»[4]. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ و لاتخف من خديعتهم و مكرهم، فإنّ الله عاصمك و كافيك منهم. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ﴾ في الصّلح بأن يقصدوا به دفع أصحابك عن[5] القتال؛ حتّى يقوىٰ أمرُهُم، فيبدؤكم به من غير استعداد منكم. قال: «إنّ هؤلاء قوم كانوا معه من قريش»[6] ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ قال: «هم الأنصار و هم الأوسُ و الخزرجُ، كان بينهما حرب شديد و عداوة في الجاهليّة، فألّف الله بين قلوبهم و نصر بهم نبيّه»[7]. ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ لتناهي عداوتهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾

١ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٥٥٥؛ و الكافي ٥: ٥٠، الحديث: ١٢، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ العيّاشي ٢: ٦٦، الحديث: ٧٣، عن أبي عبدالله ؑ.
٣ـ من لايحضره الفقيه ٥: ٧٠، الحديث: ٢٨٢، عن أبي عبدالله ؑ.
٤ـ الكافي ١: ٤١٥، الحديث: ١٦، عن أبي عبدالله ؑ.
٥ـ في «الف»: «من القتال».
٦ و ٧ـ القمّي ١: ٢٩٧، عن أبي جعفر ؑ.

بالاسلام بقدرته البالغة، فإنّه مالك القلوب يقلّبها كيف يشاء ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالغ في حثّهم ﴿عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾. وعدهم بأنّهم إن صبروا غلبوا عشرة امثالهم بتأييد الله، بسبب انّ الكفّار جهلة بالله واليوم الآخر، يقاتلون على غير احتساب ثواب، و لايثبتون ثبات المؤمنين الرّاجين لعوالي الدّرجات.

﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. هذه الآية ناسخة لما قبلها. قال: «نسخ الرّجلان العشرة»[1]. و ورد: «من فرّ من رجلين في القتال من الزّحف فقد فرّ من الزّحف، و من فرّ من ثلاثة رجال في القتال من الزّحف فلم يفرّ»[2].

قيل: كان فيهم قلّة اولاً، فأمروا بذلك، ثمّ لمّا كثروا خفّف عنهم[3].

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾: يكثر القتل و يبالغ فيه، حتّى يذلّ الكفر و يقلّ حزبه و يعزّ الاسلام و يستولي اهله؛ من أثخنه المرض: إذا أثقله. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾: حطامها باخذ الفداء ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾. يريد لكم ثواب الآخرة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يغلب اولياءه على اعدائه ﴿حَكِيمٌ﴾ يعلم ما يليق بحال كلّ منهما

القمّي: إنّ النّبيّ ﷺ لمّا قتل جماعة من أسرى رؤساء قريش ببدر خافت الأنصار أن يقتل الأسارى كلّهم، فقاموا إليه و قالوا: يا رسول الله قد قتلنا سبعين و أسرنا سبعين، وهم قومك و أساراك هبّهم لنا يا رسول الله، وخذ منهم الفداء واطلقهم، فأنزل الله

١ـ الكافي ٥: ٦٩، ذيل الحديث الطويل: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العيّاشي ٢: ٦٨، الحديث ٧٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ البيضاوي ٣: ٥٦.

عليهم: «ما كان لنبيّ أن يكون له أسرى حتّى يثخن في الأرض» الآية[1].

﴿لَوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ أي: حكم منه سبق إثباته في اللّوح المحفوظ بإباحة الغنائم لكم ﴿لَمَسَّكُمْ﴾. لنالكم ﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾: فيما استحللتم قبل الإباحة من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ من الفدية ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في مخالفته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ غفر لكم ذنبكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ أباح لكم ما أخذتم. ورد: «إنّه لمّا نزلت هذه الآية أطلق لهم رسول الله ﷺ أن يأخذوا الفداء و يطلقوهم، و شرط أن يقتل منهم في عام قابلٍ بعدد من أخذوا منهم الفداء، فرضوا منه بذلك»[2]. و قد مضت القصّة في آل عمران[3].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾: خلوص عقيدةٍ و صحّة نيّةٍ في الايمان ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. قال: «نزلت في العبّاس و عقيل و نوفل»[4]. و ورد: «إنّ النبيّ ﷺ أُتي بمال دراهم، فقال: يا عبّاس ابسط رداءك و خذ من هذا المال طرفاً، فبسط رداءه فأخذ منه طائفةً، ثمّ قال رسول الله ﷺ: هذا من الّذي قال الله: "إن يعلم الله" الآية»[5].

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾: نقض ما عاهدوك ﴿فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ﴾ بالكفر ﴿مِن قَبْلُ﴾ القمّي: و إن يريدوا خيانتك في عليّ فقد خانوا الله فيك من قبل[6]. ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾: فأمكنك منهم يوم بدر، فإن أعادوا الخيانة فسيمكّن منهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾: فارقوا أوطانهم و قومهم حبّاً لله و لرسوله، و هم

١ـ القمّي ١: ٢٧٠.
٢ـ المصدر: ٢٧٠ و ١٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في ذيل الآية: ١٦٥.
٤ـ الكافي ٨: ٢٠٢، الحديث: ٢٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ قرب الإسناد: ٢١، الحديث: ٧٣، عن أبي جعفر عليه السلام؛ والعيّاشي ٢: ٦٩، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٢٦٩.

المهاجرون من مكّة إلى المدينة ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾ فصرفوها ﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾ فبذلوها ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ آووهُم إلى ديارهم، و نصروهم على أعدائهم، و هم الانصار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٖ﴾: يتولّى بعضهم بعضاً في الميراث ورد: «كان المهاجرون و الانصار يتوارثون بالمؤاخاة الأُولى دون الاقارب، حتّى نُسِخَ ذلك بقوله تعالى: "وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ [في كِتابِ الله][1]"»[2].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ اي: من تولّيهم في الميراث. ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ . قيل: يعني الّذين لم يهاجروا منكم[3] ﴿فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ لهم ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: عهد فلا يجوز لكم نصركُم عليهم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ .

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾: لاتوالُوهم وإن كانوا اقارب ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ﴾ اي: ما أُمرتم به من التّواصل بينكم حتّى في الإرث، والتّقاطع بينكم و بين الكفّار ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾؛ لانّ المسلمين ما لم يكونوا يداً واحدةً على اهل الشّرك كان الشّرك ظاهراً و تجرّأ اهله على اهل الإسلام و دعَوْهُم إلى الكفر.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ .

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ﴾ اي: اللاحقين بعدَ السّابقين. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡ﴾ . من جملتكم أيّها المهاجرون و الانصار، و حكمُهُم حكمكم في وجوب موالاتهم و نصرتهم وإن تاخّر إيمانهم و هجرتهم. ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾: و أُولوا القرابات ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ بميراث بعضٍ؛ يعني من كان أقربَ إلى الميّت في

١ـ ما بين المعقوفتين من: «ب».

٢ـ مجمع البيان ٣ـ٤: ٥٦١، عن ابي جعفر عليه السلام. والآية في نص السّورة: ٧٥.

٣ـ المصدر؛ و التّفسير الكبير (للفخر الرّازي) ١٥: ٢١٠.

النّسب كان أولى بالميراث. و هو نسخٌ للتّوارث بالهجرة و النّصرة كما مرّ[١]. ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾: في حكمه المكتوب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌۢ﴾. ورد: «كان عليّ صلوات الله عليه إذا مات مولىً له و ترك قرابته، لم يأخذ من ميراثه شيئاً، و يتلو هذه الآية»[٢].

١ـ ذيل الآية: ٧٢ من نفس السّورة.

٢ـ الكافي ٧:١٣٥، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «ترك ذا قرابة».

سورة التّوبة

[مدنيّة، و هي مائة و تسع و عشرون آية][1]

ورد: «لم يَنزِلْ بسم الله الرّحمن الرّحيم على رأس سورة براءة، لأنّ "بسم الله" للأمان و الرّحمة، و نزلت براءة لدفع الأمان و السّيف»[2]. و في رواية: «الأنفال و براءة سورة واحدة»[3].

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾: هذه براءة من العهد الّذي عاهدتم به المشركين. «إن قيل: كيف يجوز أن ينقُضَ النّبيّ ﷺ العهد؟ أُجيب بوجهين: أحدهما: أنّه كان مشروطاً بأن لا يرفعه الله بالوحي. و الثّاني: أنّهم قد نقضُوا، أو همّوا بذلك». كذا ورد[4].

﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾. خطاب للمشركين و أمان لهم إلى هذه المدّة. قال: «أجّل الله المشركين الّذين حجّوا تلك السّنة أربعة أشهر حتّى يرجعوا إلى مأمنهم ثمّ يُقتَلُون حيث وُجِدُوا»[5]. و في رواية: «من كانت لعهده مدّة فهو إلى مدّته، و من

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢، عن أمير المؤمنين ﷺ، و فيه: «و نزلت براءة لرفع الأمان بالسيف».

٣ـ العيّاشي ٢: ٧٣، الحديث ٣، عن أحدهما عليهما السّلام، و فيه: «الأنفال و سورة براءة واحدة».

٤ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣ـ٢٠٦.

٥ـ القمّي ١: ٢٨٢، عن أبي الحسن الرّضا، عن عليّ عليهما السّلام.

لم تكن له مدّة فمدّته اربعة اشهر»[١]. وورد: «إنّ رسول الله ﷺ بعث ابابكر مع براءة إلى الموسم ليقرأها على النّاس، فنزل جبرئيل فقال: لا يبلغ عنك إلّا عليّ، فدعا عليّاً عليه السلام فامره أن يركب ناقته العضباء[٢] وان يلحق ابابكر فياخذ منه البراءة ويقرأها على النّاس بمكّة، قال: فقرأها عليهم وقال: لايطوف بالبيت عريانٌ ولاعريانةٌ ولامشرك إلّا من كان له عهد عند رسول الله ﷺ، فمدّته إلى هذه الاربعة اشهر»[٣]. وفي رواية أُخرى: «ومن لا عهد له فله بقيّة الاشهر الحرم»[٤]. ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ﴾: لاتفوتونه وإن امهلكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: مذلّهم بالقتل والأسر في الدّنيا، والعذاب في الآخرة.

﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ إيذان وإعلام، كالعطاء بمعنى الإعطاء. ورد: «الاذان: امير المؤمنين عليه السلام»[٥]. ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ قال: «هو يوم النّحر، والاصغر: العُمْرَة»[٦]. وفي رواية: «الحجّ الاكبر: الوقوف بعرفة وجَمْعٍ ورمي الجمار، والحجّ الاصغر: العمرة»[٧]. وفي أُخرى: «سمّي الاكبر لأنها كانت سنة حجّ فيها المسلمون والمشركون، ولم يحجّ المشركون بعد تلك السّنة»[٨].

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: بانّ الله ﴿بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾. عطف على الضّمير في

١ـ العيّاشي ٢: ٧٤، الحديث ٧، عن ابي جعفر عليه السلام، وفيه «من كانت له مدّة»
٢ـ العضباء: النّاقة المشقوقة الأُذن ولقب ناقة رسول الله ﷺ. القاموس المحيط ١: ١٠٩ (عضب)
٣ـ العيّاشي ٢: ٧٣، الحديث ٤، عن ابي عبدالله عليه السلام
٤ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٤، عن امير المؤمنين عليه السلام
٥ـ القمّي ١: ٢٨٢، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٦ـ الكافي ٤: ٢٩٠، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٧٦، الحديث ١٧؛ والكافي ٤: ٢٦٤، ذيل الحديث ١، عن ابي عبدالله عليه السلام. وليس في الكافي كلمة «جمع» وهو ـ بالفتح فالسكون ـ المشعر الحرام، وهو اقرب الموقفين إلى مكّة المشرّفة وفي حديث آدم عليه السلام «ثمّ انتهى إلى جمع فجمع فيها بين المغرب والعشاء» قيل: سمّي به لأنّ النّاس يجتمعون فيه ويزدلفون إلى الله تعالى، أي: يتقرّبون إليه بالعبادة والخير والطّاعة، وقيل: لأنّ آدم اجتمع فيها مع حوّاء فازدلف ودنا منها، وقيل: لانه يُجمع فيه المغرب والعشاء. مجمع البحرين ٤: ٣١٥ (جمع)
٨ـ علل الشّرائع ٢: ٤٤٢، الباب ١٨٨، ذيل الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام

"بريء" و لاتكرير فيه، لأنّ الأوّل كان إخباراً بثبوت البراءة، و هذا إخبار بإعلامها الناسَ. ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من الكفر والغدر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن التوبة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾: غيرُ سابقين الله، و لافائتين بأسه و عذابه ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم﴾. استثناء ﴿مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ واستدراك ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ من شروط العهد، و لم ينكثوا و لم يقتلوا منكم، و لم يضرّوكم قطّ ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾: ولم يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من اعدائكم ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿فَإِذَا انسَلَخَ﴾: انقضى ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ التي أبيح للناكثين ان يسيحوا فيها. ورد: «هي يوم النّحر إلى عشرٍ مضين من ربيع الآخر»[1]. ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ الناكثين ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ من حِلٍّ و حرَمٍ ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ وأسروهم، والأخيذ: الأسير. ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾: واحبسوهم و حيلوا بينهم و بين المسجد الحرام ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: كلَّ ممرٍّ و طريقٍ ترصدونهم به، لئلاّ يبسطوا في البلاد ﴿فَإِن تَابُوا﴾ عن الشرك ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾: استأمنك و طلب منك جوارك ﴿فَأَجِرْهُ﴾: فأمّنه ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ و يتدبّره و يطّلعَ على حقيقة الامر، فإنّ معظمَ الادلّة فيه ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ إن لم يُسْلِمْ. القمّي: اقرأ عليه و عرّفه، ثمّ لاتتعرّضْ له حتى يرجعَ إلى مأمنه[2]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ما الإيمانُ و ما حقيقةُ ما تدعوهم إليه، فلابدَّ من أمانهم حتّى يسمعوا و يتدبّروا.

١ـ العيّاشي ٢: ٧٧، الحديث ٢٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٢٨٣

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾ مع إضمار هم الغدر والنكث ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ﴾ منهم ﴿عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ولم يظهر منهم نكث فتربصوا أمرهم ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ﴾ على العهد ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ على الوفاء ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: يظفروا بكم ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ﴾: لا يُراعوا فيكم ﴿إِلًّا﴾: قرابة أو حلفاً ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: عهداً أو حقاً ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بوعد الإيمان و الطاعة و الوفاء بالعهد ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾: متمرّدون، لا عقيدة تزعهم[1] و لا مروة تردعهم؛ وإنّما خصّ الأكثر لما يوجد في بعضهم من التعفّف عمّا يثلم العرض، والتفادي[2] عن الغدر.

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ و هو اتّباع الأهواء و الشهوات ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾: فعدلوا عنه و صرفوا غيرهم ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾.

﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾. وضع الظاهر موضع المضمر، إشعاراً بأنّهم صاروا بذلك ذوي الرياسة و التقدّم في الكفر أحقّاء بالقتل. ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ على الحقيقة، وإلّا لما طعنوا ولم ينكثوا. و ورد: بكسر الهمزة[3] يعني لا عبرة بما أظهروه من الإيمان. ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ أي: ليكن غرضكم[4] في المقاتلة أن ينتهوا عمّا هم عليه، لا إيصال الأذيّة بهم؛ كما هو طريقة المؤذين، و هذا

١ـ الوزع: الكفّ، و وزعته عن الأمر: منعته عنه و حبسته. القاموس المحيط ٣: ٩٦، والمصباح منير ٢: ٣٧٧ (ورع).

٢ـ تفادى فلان من كذا، إذا تحاماه و انزوى عنه. الصّحاح ٦: ٢٤٥٣ (فدى).

٣ـ راجع: مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ في «ألف»: «غرضهم» و هو تصحيف.

من غاية كرم الله وفضله. ورد: «نزلت في أصحاب الجَمَلِ في أخبار كثيرة»[1]. و ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «عذرني الله من طلحة والزبير، بايعاني طائعين غير مكرهين ثمّ نكثا بيعتي من غير حَدَثٍ أحدثته، والله ما قوتل أهل هذه الآية منذ نزلت حتّى قاتلتهم: "وإن نكثوا" الآية»[2].

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ التي حلفوها مع الرّسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين، على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا ﴿وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ حين تشاوروا في أمره بدار النَّدْوَة كما سبق ذكره[3]. ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بالمعاداة والمقاتلة ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ لما لقوا منهم من المكروه، و قد أنجز الله هذه المواعيد كلّها، و الآية من دلائل النبوّة. ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾. إخبار بأنّ بعضهم يتوب عن كفره، وقد كان ذلك أيضاً. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾: بطانة[4] يوالونهم و يفشون إليهم أسرارهم. يعني: لا تُتركون على ما أنتم عليه ولم يتبيّن المُخلصون منكم. أراد بنفي العلم نفيَ المعلوم، و «لمّا» دلّت على أنّه متوقّع. قال: «يعني بالمؤمنين آل محمّد عليهم السّلام، والوليجة: البطانة»[5]. و في رواية: «الوليجة: الّذي يقام دونَ وليّ الأمر، والمؤمنون في هذا

١ ـ أنظر: القمّي ١: ٢٨٣؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ١١؛ و العيّاشي ٢: ٧٨، الحديث: ٢٣ و٢٥.
٢ ـ العيّاشي ٢: ٧٩، الحديث: ٢٨.
٣ ـ في ذيل الآية: ٣٠ من سورة الأنفال.
٤ ـ بطانة الرّجل: دُخلاؤه و أهل سرّه ممّن يسكن إليهم و يثق بمودّتهم. مجمع البحرين ٦: ٢١٤ (بطن).
٥ ـ القمّي ١: ٢٨٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

الموضع هم الائمة الّذين يؤمنون على الله فيُجيرُ أمانهم»[1]. ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ شيئاً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام ﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾: بإظهار الشّرك و نصب الأصنام حول البيت.

رُوي: «انّ المسلمين عيّروا أسارى بَدْر، و وبّخ علي عليه السلام العبّاس بقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وقطيعة الرّحم، فقال العبّاس: تذكرون مساوينا و تكتمون محاسننا، فقالوا: أوَ لكم محاسن؟ قالوا: نعم، إنّما نعمر المسجد الحرام، و نحجُبُ الكعبةَ، و نسقي الحجيج، ونَفُكُّ العاني[2]، فنزلت»[3]. ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ التي هي العمارة و السّقاية والحجابة و فكُّ العُناة، التي يفتخرون بها بما قارنها من الشّرك ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾. إنّما يستقيم عمارتُها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلميّة و العمليّة، والعمارةُ يتناول بناءَها، ورمَّ ما استرَمَّ منها، و كَنْسَها و تنظيفَها و تنويرَها بالسُّرُج[4]، وزيارتها للعبادة و الذّكر و درس العلم، و صيانتها عمّا[5] لم تُبْنَ له كحديث الدّنيا. ورد: «إنّ بيوتي في الارض المساجدُ، و إنّ زوّاري فيها عُمّارها، فطوبى لعبد تطهّرَ في بيته ثمّ زارني في بيتي، فحقٌّ على المزور ان يُكرِمَ زائره»[6]. ﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ في قراءتهم عليهم

١ـ الكافي ١: ٥٠٨، الحديث: ٩، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام
٢ـ العاني: الأسير. القاموس المحيط ٤: ٣٦٩ (عنا).
٣ـ جوامع الجامع ٢: ٤٤؛ و البيضاوي ٣: ٦٣؛ و الكشّاف ٢: ١٧٩، مع تفاوت يسير.
٤ـ في «الف»: «بالسّراج».
٥ـ في «ب» و «ج»: «ممّا».
٦ـ من لايحضره الفقيه ١: ١٥٤، الحديث: ٧٢١، مع اختلاف؛ والبيضاوي ٣: ٦٣؛ والكشّاف ٢: ١٧٩.

السّلام. «سقاية الحاجّ و عمارة المسجد الحرام»[١]. قال: «نزلت في عليّ و العبّاس وشيبة، قال العبّاس: أنا أفضل لأنّ سقاية الحاجّ بيدي. وقال شيبة: أنا أفضل لأنّ حجابة البيت بيدي. و قال عليّ: أنا أفضل فإنّي آمنت قبلكما، ثمّ هاجرت و جاهدت. فرضوا برسول الله ﷺ، فأنزل الله»[٢]. و في رواية: «صمّ بعليّ: حمزة و جعفر»[٣].

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾: اختاروه عليه. قال: «نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، حيث كتب إلى قريش بخبر النّبيّ ﷺ لمّا اراد فتح مكّة»[٤]. و في رواية: «الكفر في الباطن في هذه الآية ولاية الأوّل والثّاني، والإيمان ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[٥]. ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾: أقرباؤكم ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: اكتسبتموها ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾: بعقوبته ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. القمّي: لمّا أذّن أمير المؤمنين عليه السلام بمكّة: أن لا يدخل المسجد الحرام مشرك بعد ذلك العام، جزعت قريش جزعاً شديداً و قالوا: ذهبت تجارتنا وضاع

١ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ ـ القمّي ١: ٢٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام، مع زيادة «حمزة».
٣ ـ الكافي ٨: ٢٠٣، الحديث: ٢٤٥، عن أحدهما عليهما السّلام.
٤ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٦، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٥ ـ العيّاشي ٢: ٨٤، الحديث: ٣٦، عن أبي جعفر عليه السلام

عيالنا و خربت دورنا، فنزلت[١].

أقول: في الآية تشديدٌ عظيمٌ، و قلَّ من يتخلّص منه. و ورد: «لايجد أحدكم طعمَ الإيمان حتّى يُحبَّ في الله و يبغض في الله»[٢].

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ يعني: مواطن الحرب و هي مواقعها ومواقفها. ورد: «إنّها كانت ثمانين»[٣]. ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ و هو وادٍ بين مكّة و الطائف ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾. قيل: لمّا التقوا قال رجل من المسلمين: لن نُغلَبَ اليومَ من قلّة، فساءت مقالتُه رسولَ الله ﷺ[٤]. و ورد: «إنّه كان أبابكر»[٥]. ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ﴾ الكثرةُ ﴿شَيْئًا﴾ من الغنى لما أدركتكم كلمة الإعجاب. ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: بسعتها، لاتجدون فيها مفرّاً تطمئنّ إليه نفوسكم من شدّة الرّعب ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. سئل: ما السكينة؟ فقال: «ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان، أطيب ريحاً من المِسْك، و هي الّتي أنزلها الله على رسول الله ﷺ بحُنين فهزم المشركين»[٦]. و في رواية: «تكون مع الأنبياء»[٧].

﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: «هو القتل»[٨]. يعني العذاب. ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

١ـ القمّي ١: ٢٨٤.
٢ـ الكشّاف ٢: ١٨٠، عن النبيّ ﷺ و رواه أيضاً في جوامع الجامع ٢: ٤٥.
٣ـ معاني الأخبار: ٢١٨، باب معنى الكثير من المال، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و العيّاشي ٢: ٨٤، الحديث: ٣٧؛ و القمّي ١: ٢٨٥، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام.
٤ـ جوامع الجامع ٢: ٤٦.
٥ـ راجع: جوامع الجامع ٢: ٤٦؛ و العيّاشي ٢: ٨٤، الحديث: ٣٨، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ و التفسير الكبير ١٦: ٢١.
٦ـ الكافي ٥: ٢٥٧، ذيل الحديث: ٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٨٤، الحديث: ٣٩، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٨ـ القمّي ١: ٢٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

القمّي: كان سبب غزوة حُنين: أنّه لمّا خرج رسول الله ﷺ إلى فتح مكّة أظهر أنّه يُريد هوازن[١]، و بلغ الخبرُ هوازنَ، فتهيّئوا و جمعوا الجُموعَ والسِّلاحَ، و ساقوا معهم أموالَهم و نساءَهم و ذراريهم، و مرّوا حتّى نزلوا بأوطاس[٢]، فبلغ رسول الله ﷺ اجتماعهم بأوطاس، فجمع القبائل و رغّبهم في الجهاد و وعدهم النّصر، و أنّ الله قد وعده أن يُغنمَه أموالَهم و نساءَهم و ذراريهم، فرغب النّاس و خرجوا على راياتهم، وعقد اللّواءَ الأكبر و دفعه إلى أمير المؤمنين ﷺ و خرج في اثني عشر ألف رجل[٣].

ورد: «فلمّا صلّى الغداة انحدر في وادي حُنين، و هو وادٍ له انحدار بعيد، و كانت بنو سُلَيم[٤] على مُقدّمته، فخرج عليهم كتائب هوازن من كلّ ناحيةٍ، فانهزمت بنو سُلَيم وانهزم مَنْ وراءَهُمْ و لم يبق أحد إلّا انهزم، و بقي أمير المؤمنين ﷺ يقاتلهم في نفر قليل، فأقبل رسول الله ﷺ ينادي: يا معشرَ الأنصار! أين؟[٥] إليَّ و أنا رسول الله[٦]، فلم يَلْوِ[٧] أحدٌ عليه فركض نحو عليّ[٨] ﷺ بغلتَه، فقد شهر[٩] سيفه، فقال: يا عبّاس اصعد هذا الظَّرِب[١٠] و ناد: يا أصحاب البقرة و يا أصحاب الشّجرة، إلى أين تفرّون؟! هذا رسول الله ﷺ، ثمّ رفع يده فقال: «اللّـهُمَّ لكَ الحَمْدُ وَ إليكَ المُشتكى وَ أنتَ المُستعانُ».

١ـ هوازن قبيلةٌ من قيس بن عيلان، من العدنانيّة وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان. كانوا يقطنون في نجدٍ ممّا يلي اليمن؛ و من أوديتهم: حُنين. راجع: معجم قبائل العرب ٣: ١٢٣١.

٢ـ أوطاس: وادٍ في ديار هوازن. معجم البلدان ١: ٢٨١.

٣ـ القمّي ١: ٢٨٥ و ٢٨٦.

٤ـ بنو سُلَيم: قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان من العدنانيّة تنتسب إلى سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان. معجم قبائل العرب ٢: ٥٤٣.

٥ـ في المصدر: «إلى أين المفرّ؟ ألا أنا رسول الله».

٦ـ في «الف» و «ج»: «إليّ أنا رسول الله».

٧ـ في «المصباح المنير ٢: ٢٥٦ ـ لوى»: لايلوي على أحد أي: لايقف و لاينتظر، و في «المفردات: ٤٧٧ـ لوى»: فلان لايلوي على أحد: إذا أمعن في الهزيمة.

٨ـ في «ج»: «نحو العبّاس».

٩ـ في «الف»: «و قد شهر»؛ وفي «ج»: «و هو شهر».

١٠ـ الظَّرِب: ما نتأ من الحجارة و حدّ طرفه، أو الجبل المنبسط أو الصّغير. القاموس المحيط ١: ١٠٣ (ظرب).

فنزل جبرئيل عليه السلام، فقال: دعوتَ بما دعا به موسىٰ، حيث فلق الله له البحر و نجّاه من فرعون، ثمّ أخذ كفّاً من حصىً فرماه في وجوه المشركين ثمّ قال: «شاهت الوجوه» ثمّ رفع رأسه إلى السّماء و قال: اَللّهمّ إن تهلك هذه العصابة لم تُعبَد، و إن شئت أن لاتُعبَد لاتُعبَد. فلمّا سمعت الأنصارُ نداء العبّاس عطفوا و كسروا جفون سيوفهم، وهم يقولون: «لبّيك». و مرّوا برسول الله صلى الله عليه وآله و استحيوا أن يرجعوا إليه، و لحقوا بالرّاية، و نزل النّصر من السّماء و انهزمت هوازنُ، و كانوا يسمعون قعقعةَ السّلاح في الجوّ، وانهزموا في كلّ وجه، و غنّم اللهُ رسولَه صلى الله عليه وآله أموالهم و نساءهم و ذراريهم[1].
هذا ملخّص القصّة.

و ورد: «إنّه قال رجل من المشركين للمؤمنين و هو أسير في أيديهم: أين الخيل البُلْق[2] و الرّجال عليهم الثّياب البيض؟ فإنّما كان قتلنا بأيديهم، و ما كنّا نراكم فيه إلّا كهيئة الشّامة[3]. قالوا: تلك الملائكة»[4].

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ منهم بالتّوفيق للإسلام ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يتجاوز عنهم و يتفضّل عليهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ لخبث باطنهم ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: فقراً بسبب منعهم من الحرم، و انقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب و المنافع ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾. قيّده بالمشيّة، لينقطع الآمال إلى الله تعالى، و ليتنبّه على أنّه متفضّل في ذلك و أنّ الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض، و في عام دون عام، و قد أنجز وعده بأن أرسل السّماء

١ـ القمّي ١: ٢٨٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ البُلْق جمع الأبلق: الّذي فيه سواد و بياض. أقرب الموارد ١: ٦٠ (بلق).
٣ـ الشّامة: أثرٌ أسود في البدن، يقال لها: الخال؛ وأثر أسود في الأرض (أقرب الموارد ١: ٦٢٧ ـ شيم)؛ كأنّه أراد بذلك قلّتهم و كثرة الملائكة.
٤ـ القمّي ١: ٢٨٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

عليهم مدراراً، و وفّق طائفةً من أهل يمن للإسلام، فحملوا الطّعام إلى مكّة ثمّ فتح عليهم البلاد و الغنائم، و توجّه إليهم النّاسُ من أقطار الأرض. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾: ما يقرّرُ عليهم أن يُعطُوه، من جزَى دَينَه: إذا قضاه. ﴿عَن يَدٍ﴾ مُواتِيَة[1] غير مُمتنِعة ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: أذلّاء، يعني: تُؤخَذُ منهم على الصَّغار و الذُّلّ. قال: «حتّى يجد ذُلّاً لما أُخِذَ منه، فيألَمَ لذلك، فيُسلِمَ»[2].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ إنّما قال ذلك بعضهم و لم يقله كلّهم. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ طالبهم فيه بالحجّة، فقالوا: لأنّه أحيا لبني إسرائيل التّوراة بعد ما ذهبت ولم يفعل بها هذا إلّا لأنّه ابنه، فقال ﷺ: كيف صار عزير ابن الله دون موسى و هو الّذي جاءهم بالتّوراة و رأوا منه من المعجزات ما قد علمتم؟ فإن كان عزير ابن الله لما ظهر من إكرامه من إحياء التّوراة، فلقد كان موسى بالنّبوة أحقّ و أولى»[3].

﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ و هو أيضاً قول بعضهم. ورد: «إنّه ﷺ طالبهم فيه[4] بالحجّة، فقالوا: إنّ الله لمّا أظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة ما أظهر، فقد اتّخذه ولداً على وجه الكرامة، فقال لهم رسول الله ﷺ: فقد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى الّذي ذكرتموه، ثمّ أعاد ذلك كلّه فسكتوا»[5]. ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾:

١ـ المواتاة: حسن المطاوعة والموافقة. وأصله الهمزة: «الموأتاة» وخفّف وكثر حتّى صار يقال بالواو الخالصة. مجمع البحرين ٢: ٢١ (أتا)
٢ـ القمّي ١: ٢٨٨، والكافي ٣: ٥٦٦، الحديث ١، عن أبي عبدالله ؑ.
٣ـ الاحتجاج ١: ١٧، عن أبي عبدالله ؑ.
٤ـ لم ترد كلمة «فيه» في «العـ» و «ج»
٥ـ الاحتجاج ١: ١٨، عن أبي عبدالله ؑ.

لم يأتهم به كتاب و ما لهم به حجة ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾: يضاهي[1] قولهم ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ كالقائلين بأنّ الملائكة بنات الله ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ قال: «لعنهم الله، سمّي اللعنة قتلاً»[2]. ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يُصرفون عن الحقّ.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ﴾: علماءهم ﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾: عبّادهم ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بأن أطاعوهم في تحريم ما أحلّ الله و تحليل ما حرّم الله. قال: «أما والله ما دَعَوهم إلى عبادة أنفسهم، و لو دَعَوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً و حرّموا عليهم حلالاً، فعبدوهم من حيث لايشعرون»[3]. ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ بأن أهّلوه للعبادة.

قال: «أمّا المسيح فعصَوه و عظّموه في أنفسهم حتّى زعموا أنّه إلهٌ، و أنّه ابن الله، و طائفة منهم قالوا: ثالثُ ثلاثةٍ، و طائفة منهم قالوا: هو الله. و أمّا أحبارُهم و رهبانُهم فإنّهم أطاعوا[4] و أخذوا بقولهم، واتّبعوا ما أمَرُوهم به و دانوا بما دَعَوهُم إليه، فاتّخذوهم أرباباً بطاعتهم لهم، و تركهم أمر الله و كتبه و رسله، فنبذوه وراء ظهورهم. قال: وإنّما ذُكِرَ هذا في كتابنا لكي نتّعظ بهم»[5]. ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟﴾: ليطيعوا ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ و هو الله تعالى، و أمّا طاعة الرّسل و أوصيائهم فهي في الحقيقة طاعة الله لأنّهم عن الله يأمرون و ينهون. ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بشركهم و تكذيبهم ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ بإعلاء التّوحيد و إعزاز الإسلام ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: ليظهر دين

١ـ ضاهاهُ: شاكلَهُ. القاموس المحيط ٤: ٣٥٨ (ضهي).

٢ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ـ العيّاشي ٢: ٨٧، الحديث ٤٨ و الكافي ٢: ٣٩٨، الحديث ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام. و في العيّاشي «فكانوا يعبدونهم من حيث لايشعرون».

٤ـ في المصدر: «فأطاعوهم».

٥ـ القمّي ١: ٢٨٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

الحقّ على ساير الاديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾. قال: «ذلك يكون عند خروج المهديّ من آل محمّد ـ عليهم السّلام ـ، فلا يبقى أحد إلّا أقرّ بمحمّد ﷺ»[1]. و قال: «والله ما نزل تاويلها بعد، و لا ينزل تاويلها حتّى يخرج القائم ﷺ، فإذا خرج القائم ﷺ لم يبق كافر بالله العظيم و لا مشرك بالإمام إلّا كره خروجه، حتّى لو كان كافر أو مشرك في بطن صخرة لقالت: يا مؤمن! في بطني كافر، فاكسرني واقتله»[2]. و في رواية: «هو الّذي أمر رسوله بالولاية لوصيّه؛ والولاية هي دين الحقّ، ليظهره على جميع الأديان عند قيام القائم ﷺ والله متمّ ولاية القائم ﷺ ولو كره الكافرون بولاية عليّ ﷺ. قيل: هذا تنزيل؟. قال: نعم، هذا الحرف تنزيل، و أمّا غيره فتاويل»[3]. وفي رواية: «ليظهره الله في الرّجعة»[4].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: يأخذونها من الحرام بالرّشى في الأحكام و تخفيف الشّرايع للعوامّ ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن دينه ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ باخراج الحقوق ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هو الكيّ[5] بهما، المستوعب للبدن كلّه.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾: على الكنوز ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ يعني يقال لهم: هذا ما كنزتم لانتفاع أنفسكم، و كان سبب تعذيبها، فذوقوا وباله. ورد: «لمّا نزلت، قال النّبيّ ﷺ: تبّاً للذّهب، تبّاً للفضّة؛ يكرّرها ثلاثاً، فشقّ ذلك على أصحابه، فسأله عمر: أيّ المال نتّخذ؟ فقال: لساناً ذاكراً و قلباً شاكراً و زوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه»[6]. و قال:

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٥، عن أبي جعفر ﷺ.
٢ـ كمال الدّين ٢: ٦٧٠، الباب ٥٨، الحديث ١٦، عن أبي عبدالله ﷺ.
٣ـ الكافي ١: ٤٣٢، الحديث ٩١، عن أبي الحسن الماضي ﷺ.
٤ـ العيّاشي ٢: ٨٧، الحديث ٥١، عن أبي جعفر ﷺ.
٥ـ كواه يكويه كيّاً: أحرق جلده بحديدة ونحوها. القاموس المحيط ٤: ٣٨٦ (كوى).
٦ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٦.

«الدّينار و الدّرهم أهلكا من كان قبلكم و هما مُهْلكاكم»[١]. و ورد: «إنّ الله حرّم كنز الذّهب و الفضّة و أمر بإنفاقه في سبيل الله»[٢].

قال: «كان أبوذرّ الغفاري يَغْدُو كلّ يوم و هو بالشّام، فينادي بأعلى صوته: بَشّرْ أهلُ الكنوز بكَيٍّ في الجباه و كَيٍّ في الجنوب[٣] و كَيٍّ بالظّهور[٤] أبداً، حتّى يتردّد الحرّ في أجوافهم»[٥]. و ورد أيضاً: «إنّما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتُوجّهُوها حيث وجّهها الله، و لم يُعْطِكُمُوها لتكنزوها»[٦]. و في رواية: «موسّع على شيعتنا أن ينفقوا ممّا في أيديهم بالمعروف، فإذا قام قائمنا حرّم على كلّ ذي كنز كنزه، حتّى يأتيهُ به، فيستعين به على عدوّه؛ و هو قول الله عزّوجلّ: "والّذين يكنزون" الآية»[٧]. و في أخرى: «إنّما عنى بذلك ما جاوز ألفَيْ درهمٍ»[٨]. و في أخرى: «ما زاد على أربعة آلاف فهو كنز؛ أدّى زكاته أو لم يؤدِّ، و ما دونهما فهي نفقة»[٩]. و سئل: في كم تجب الزكاة من المال؟ فقال: «الزّكاة الظّاهرة أم الباطنة تريد؟» فقيل[١٠]: أريدهما جميعاً. فقال: «أمّا الظّاهرة ففي كلّ ألف خمسة وعشرون، و أمّا الباطنة فلا تستأثر[١١] على أخيك بما هو أحوج إليه منك»[١٢].

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: فيما كتبه و أثبته عنده ورآه حكمةً و صواباً ﴿يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾: مُذْ خلق الأجسام والأزمنة ﴿مِنۡهَآ

١ـ الخصال ١: ٤٣، الحديث ٣٧، عن أمير المؤمنين ﷺ، عن رسول الله ﷺ.
٢ـ تفسير القمّي ١: ٢٨٩، عن أبي جعفر ﷺ.
٣ـ في «ب» و «ج»: «بالجنوب».
٤ـ في المصدر: «في الظّهور».
٦ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٣١، الحديث ١٢٠، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ـ الكافي ٤: ٦١، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله ﷺ.
٨ـ العيّاشي ٢: ٨٧، الحديث: ٥٣، عن أبي جعفر ﷺ.
٩ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٦، عن أمير المؤمنين ﷺ.
١٠ـ في «الف» و المصدر: «فقال».
١١ـ رجل يستأثر على أصحابه أي: يختار لنفسه أشياء حسنة. القاموس المحيط ١: ٣٧٥ (أثر).
١٢ـ الكافي ٣: ٥٠٠، الحديث: ١٣، عن أبي عبدالله ﷺ.

﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ يحرم فيها القتال؛ ثلاثة سردٌ[1]، و هي: ذو القعدة و ذو الحجّة والمحرّم، و واحدٌ فردٌ و هو رجب. ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي: تحريم الأشهر الأربعة هو الدّين القويم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ بهتك حرمتها و ارتكاب حرامها ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ قال: «جميعاً»[2]. ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾: تأخير حرمة الشّهر إلى شهر آخر. كانوا إذا جاء شهر حرام و هم محاربون أحلّوه و حرّموا مكانه شهراً آخر، حتّى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرّد العدد. و في قراءتهم عليهم السّلام: «النّسْيُ»[3] كالرّمْي. ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ لأنّه تحريمُ ما أحلّ الله و تحليلُ ما حرّمه، فهو كفر آخر ضمّوه إلى كفرهم. ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ضلالاً زائداً ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾. القمّي: كان سبب نزولها: أنّ رجلاً من «كنانة» كان يقف في الموسم فيقول: قد أحللتُ دماءَ المحلّين ـ طيّ و خثعم ـ في شهر المحرّم و أنسأته، و حرّمتُ بدله صفرَ. فإذا كان العام المقبل يقول: قد أحللتُ صفرَ و أنسأته و حرّمت بدله شهر المحرّم[4]. ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟﴾: ليوافقوا[5] ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: عدّة الأربعة المحرّمة ﴿فَيُحِلُّوا۟﴾ بمواطأة العدّة ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ من القتال ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾: خذلهم الله، حتّى حسبوا قبيحَ أعمالهم حسناً ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لعدم قبولهم الاهتداء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ[6] إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾.

١ـ السَّرْدُ: تتابع بعض حلق الدّرع إلى بعض، يُقال: سَرَدَ فلانٌ الصّوم: إذا والاه. مجمع البحرين ٣: ٦٨ (سرد).
٢ـ القمّي ١: ٢٩٠، عن أبي جعفر ﷺ.
٣ـ في مجمع البيان (٥ ـ ٦: ٢٨): قرأ أبو جعفر ﷺ «النّسِيّ» بالتّشديد من غير همز؛ و قرأ جعفر بن محمّد عليهما السّلام و الزّهري «النّسْي» مخفّفاً في وزن الهَدْي بغير همز.
٤ـ القمّي ١: ٢٩٠.
٥ـ في «ب»: «ليتواطؤا».
٦ـ أصله: «تثاقلتم» فادغمت التّاء في الثّاء، ثمّ ادخلتْ همزة الوصل ليمكن الابتداء بها. مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٠.

تباطأتم، مخلّدين إلى أرضكم والإقامة بدياركم. قيل: ذلك[1] في غزوة تبوك في سنة عشر، بعد رجوعهم من الطّائف، استنفروا في وقت قحطٍ و قَيظ[2] مع بُعد الشُّقّة[3] وكثرة العدوّ، فشقّ ذلك عليهم[4]. القمّي: و ذلك لمّا شاع بالمدينة انّ الرّوم قد اجتمعوا يريدون غزو رسول الله ﷺ في عسكر عظيم، و انّ هِرَقْل[5] قد سار في جنوده، و جلب معه القبائل، و قدموا البَلْقاء[6] فامر رسول الله ﷺ بالتّهيّوء إلى تبوك ـ و هي من بلاد البلقاء ـ و بعث إلى القبائل حوله و إلى مكّة و إلى من اسلم من خُزاعة و مُزَيْنَة و جُهَيْنَة، و حثّهم على الجهاد، فقدمت القبائل، و قعد عنه قوم من المنافقين و غيرهم[7]. ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ و غرورها ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾: [بدلها][8] ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾: في جنبها ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾: مستحقر.

﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾: فسينصره كما نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾: لم يكن معه إلّا رجل واحد ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾: غار ثور؛ وهو جبل في يُمنى مكّة على مسيرة ساعة. ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ و هو ابوبكر ﴿لَا تَحْزَنْ﴾: لاتخف ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بالعصمة و المعونة. ورد: «إنّ رسول الله ﷺ اقبل يقول لابي بكر في الغار: اسكن فإنّ الله معنا، و قد اخذته الرِّعْدَة و هو لايَسْكُنُ، فلمّا

١ـ في «ج»: «قيل: كان ذلك»؛ وفي «الف»: «قال: كان ذلك».
٢ـ القَيظ: صميم الصَّيف من طلوع الثُّريّا إلى طلوع سهيل. يقال: قاظ يومنا: إذا اشتدّ حرُّه. القاموس المحيط ٢: ٤١٢ (قيظ).
٣ـ الشُّقّة ـ بالضمّ و الكسر ـ: البُعد، والنّاحية يقصدها المسافر، و السّفر البعيد، والمشقّة. القاموس المحيط ٣: ٢٥٨؛ ومجمع البحرين ٥: ١٩٤ (شقق).
٤ـ البيضاوي ٣: ٦٨؛ والكشّاف ٢: ١٨٩.
٥ـ هرقل ـ كـ: دمشق ـ و هرقْل ـ كـ: خِنْدِف: إسم مَلِك الرُّوم. القاموس المحيط ٤: ٦٩ (هرقل).
٦ـ البَلْقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشّام و وادي القرى. معجم البلدان ١: ٤٨٩.
٧ـ القمّي ١: ٢٩٠.
٨ـ ما بين المعقوفتين من «ب».

رأى رسولُ الله ﷺ حالَه، قال له: تريد أن أُرِيك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدّثون، و أُرِيك جعفر و أصحابه في البحر يغوصون؟ قال: نعم. فمسح بيده على وجهه؛ فنظر إلى الأنصار يتحدّثون، و إلى جعفر و أصحابه في البحر يغوصون، فأضمر تلك السّاعة أنّه ساحر»[١].

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ أمنَتهُ الّتي تسكن إليها القلوب ﴿عَلَيْهِ﴾. في قراءتهم عليهم السّلام: «على رسوله. قال: و هكذا تنزيلها»[٢]. و قال: «إنّهم يحتجّون علينا بقول الله تبارك و تعالى: "ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ" و ما لهم في ذلك من حجّة؛ فوالله لقد قال الله: "فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِ" و ما ذكره فيها بخير. قيل: هكذا تقرؤونها؟ قال: هكذا قرأتها»[٣]. ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة. قد سبق فيه كلام في تفسير: "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا" من سورة الأنفال[٤]. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلسُّفْلَىٰ﴾ قال: «هو الكلام الّذي تكلّم به عتيق»[٥].

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ القمّي: هو قول رسول الله[٦]. و يستفاد ممّا سبق أنّ كلمتهم ما كانوا يمكرون به من إثباته، أو قتله، أو إخراجه، و كلمةُ الله نصرُه و غلبتُه عليهم، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿ٱنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ القمّي: شباباً و شيوخاً؛ يعني إلى غزوة تبوك[٧]. ﴿وَجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

١. الكافي ٨: ٢٦٢، الحديث: ٣٧٧، عن أبي عبدالله عن أبيه عليهما السّلام
٢ـ المصدر: ٣٧٨، الحديث: ٥٧١، عن أبي الحسن الرّضا ﷺ.
٣ـ العيّاشي ٢: ٨٨، الحديث: ٥٨، عن أبي الحسن الرّضا ﷺ.
٤ـ في ذيل الآية: ٣٠
٥ـ العيّاشي ٢: ٨٩، الحديث: ٥٨، عن أبي جعفر ﷺ والعتيق: لقب أبي بكر. القاموس المحيط ٣: ٢٧٠؛ والنّهاية ٣: ١٧٩ (عتق)
٦و٧ـ القمّي ١: ٢٩٠

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا ﴾ قال: «يقول: غنيمةٌ قريبة»[١]. ﴿ وَسَفَرًا قَاصِدًا ﴾: متوسّطاً ﴿ لَاتَّبَعُوكَ ﴾: لوافقوك ﴿ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾: المسافة التي تقطع بمشقّة ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ﴾ أي: المتخلّفون، إذا رجعتَ من تبوك معتذرين ﴿ لَوِ اسْتَطَعْنَا ﴾: يقولون: لو كان لنا استطاعةُ العُدَّة، أو البدن ﴿ لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴾ وهذا إخبار بما سيقع قبل وقوعه. ﴿ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ بإيقاعها في العذاب ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾. قال: «كذّبهم الله في قولهم: "لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ" وقد كانوا مستطيعين للخروج»[٢].

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ في القعود حين استأذنوك واعتلّوا بالأكاذيب، وهلّا توقّفت ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ في الاعتذار ﴿ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ قال: «يقول: لتعرِفَ أهلَ العذر[٣] والّذين جلسوا بغير عذر»[٤]. في الجوامع: وهذا من لطيف المعاتبة، بداه بالعفو قبل العتاب، ويجوز العتاب من الله فيما غيرُه أولى[٥]، لاسيّما للأنبياء[٦]. وورد: «إنّه ممّا نزل: بإيّاك أعني واسمعي يا جارة؛ خاطب الله بذلك نبيّه وأراد [به][٧] أُمّته»[٨].

﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾

قيل: يعني ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا، وإنّ الخُلّصَ منهم يبادرون إليه ولا يوقفون[٩] على الإذن فيه فضلاً [عن][١٠] أن يستأذنوا في التّخلّف عنه، إذ

١ـ القمّي ١: ٢٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام
٢ـ التّوحيد: ٣٥١، الباب ٥٦، الحديث: ١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «أكذَبهم الله»
٣ـ في المصدر: «أهل العذر»
٤ـ القمّي ١: ٢٩٤، عن أبي جعفر عليه السلام
٥ـ في المصدر: «فيما غيره منه أولى».
٦ـ جوامع الجامع ٢: ٥٧.
٧ـ ما بين المعقوفتين من «ب»
٨ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٠٢، الباب ١٥، ذيل الحديث: ١
٩ـ في المصدر: «لا يتوقّفون»؛ وفي «ب» و«ج»: «ولا يوافقونه»
١٠ـ ما بين المعقوفتين من «ب»

ليس[1] من عادتهم ان يستأذنوك في التّخلف، كراهة ان يجاهدوا[2]. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ في التّخلف ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾. يتحيّرون. ورد: «من تردّد في الرّيب سبقه الاوّلون، و أدركه الآخرون، و وطأته[3] سنابك[4] الشّياطين»[5].

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾: أُهبَةً. قال: «يعني بالعُدّة: النيّة. يقول: لو كان لهم نيّةٌ لخرجوا»[6]. ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾: نهوضهم للخروج إلى الغزو، لعلمه بأنّهم لو خرجوا لكانوا يمشون بالنّميمة بين المسلمين ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: بطّأهم وجبّنهم وكسّلهم و خذلهم ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾: مع النّساء والصّبيان و هو إذن رسول الله ﷺ لهم في القعود، و في هذا دلالة على انّ إذنه لم يكن قبيحاً، و إن كان الاولى ان لا يأذن لهم؛ ليظهر للنّاس نفاقهم.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ﴾ بخروجهم ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾: فساداً و شرّاً ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾: ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنّميمة، او الهزيمة[7] ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾: يريدون ان يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم، والرّعب في قلوبكم، و إفساد نيّاتكم في غزوتكم ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ قيل: عيون نمّامون، يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم، او فيكم قوم يسمعون قولَ المنافقين؛ و يقبلونه و يطيعونهم؛ يريد من كان ضعيفَ الإيمان من المسلمين[8]. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

١ـ في «ب» و «ج»: «او ليس».
٢ـ البيضاوي ٣: ٦٩.
٣ـ في المصدر: «أطعته».
٤ـ سنابك جمع سُنبُك ـ كقُنفُذ ـ: ضربٌ من العَدْو و طرَفُ الحافر «القاموس المحيط ٣: ٣١٧» و هو كناية عن استيلاء الشّيطان.
٥ـ الخصال ١: ٢٣٣، ذيل الحديث ٧٤، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٦ـ العيّاشي ٢: ٨٩، الحديث ٦٠، عن ابي عبدالله ﷺ.
٧ـ في «العب» «والهزيمة».
٨ـ جوامع الجامع ٢: ٥٩.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ﴾: تشتيتَ شملكَ و تفريقَ أصحابك ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعني يوم أُحد، أو وقوفهم على الثَّنِيَّة[1] ليلة العقبة، ليفتكوا به[2]. ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾. دبّروا لك الحيلَ و المكائد، واحتالوا في إبطال أمرك ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ﴾ و هو تأييدك و نصرك ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾. و علب دينه و علا أهله ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ أي: علىٰ رغمٍ منهم.

والآيتان لتسلية رسول الله ﷺ وللمؤمنين على تخلّفهم، و بيانِ ما ثبّطهم الله لأجله، وهتك أستارهم، و إزاحة اعتذارهم، تداركاً لما فات الرّسول ﷺ بالمبادرة إلى الإذن.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾ في القعود ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾: و لا توقعني في الفتنة، أي: العصيان والمخالفة، بأن لاتأذنَ لي، فإنّي إن تخلّفتُ بغير إذنك أثمتُ، أو في الفتنة بنساء الرّوم، كما يأتي ذكره. ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي: إنّ الفتنة هي الّتي سقطوا فيها، و هي فتنة التّخلّف و ظهور النّفاق ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي: بهم، لأنّ آثار إحاطتها بهم معهم، فكأنّهم في وسطها.

القمّي: لقي رسول الله ﷺ «الجدّ بن قيس» فقال له: يا أبا وهب! ألا تنفر معنا في هذا الغزوة؟ لعلّك أن تحتفد[3] من بنات الأصفر[4]. فقال: يا رسول الله، والله، إنّ قومي ليعلمون أنّه ليس فيهم أحدٌ أشدّ عُجباً بالنّساء منّي، و أخاف إن خرجت معك أن لا أصبرَ إذا رأيت بنات الأصفر، فلا تفتنّي و ائذنْ لي أن أُقيمَ، و قال لجماعة من قومه: لاتخرجوا في الحرّ، فقال ابنه: تردّ على رسول الله ﷺ و تقول له ما تقول، ثمّ تقول لقومك: لاتنفروا في الحرّ! والله لَيُنزلنّ الله في هذا قرآناً يقرأه النّاس إلى يوم القيامة،

١ـ الثَّنِيَّةُ: العقبةُ، أو طريقُها، أو الجبل، أو الطريقة فيه أو إليه. القاموس المحيط ٤: ٣١١ (ثني).
٢ عن سعيد بن جبير: وقفوا لرسول الله ﷺ في غزوة تبوك على الثّنيّة ليلة العقبة ليفتكوا به و هم اثناعشر رجلاً. راجع: جوامع الجامع ٢: ٥٩.
٣ـ في المصدر: «أن تحتفد» و الإحتفاد: الإستخدام.
٤ ـ يعني به الرّوم، لأنّ أباهمُ الأوّل كان أصفر اللّون و هو روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم. النّهاية ٣: ٣٧ (صفر).

فأنزل الله على رسوله ﷺ في ذلك: «و منهم من يقول ائذن لي» الآية، ثمّ قال «جدّ بن قيس»: أيطمع محمّد أنّ حرب الرّوم مثل حرب غيرهم، لا يرجع من هؤلاء أحدٌ أبداً[1].

﴿إِن تُصِبْكَ﴾ في بعض غزواتك ﴿حَسَنَةٌ﴾ قال: «غنيمة و عافية»[2]. ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ لفرط حسدهم ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ قال: «بلاء و شدّة»[3]. ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾: تبجّحوا بانصرافهم، واستحمدوا رأيهم في التّخلّف ﴿وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾: مسرورون.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾: ناصرنا و متولّي أمرنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾: تنتظرون بنا ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾: الغنيمة والجنّة. ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ إحدى السّوءتين: ﴿أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾: بقارعة من السّماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ و هو القتل على الكفر ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ ما هو عاقبتنا ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ ما هو عاقبتكم.

ورد: «و كذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر إحدى الحسنيين: إمّا داعيَ الله، فما عند الله خير له، و إمّا رزقَ الله، فإذا هو ذو أهلٍ و مالٍ، و معه دينُه و حَسَبُه»[4]. و قال: «التّربّص انتظار وقوع البلاء بأعدائهم»[5].

﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾: متثاقلين. ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ إذ لا رجاءَ ثوابٍ لهم

١ـ القمّي ١: ٢٩١ـ٢٩٢.
٢ و ٣ـ المصدر: ٢٩٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ نهج البلاغة (صبحي الصالح): ٦٤، الخطبة ٢٣.
٥ـ الكافي ٨: ٢٨٧، ذيل الحديث: ٤٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.

ولاخوف عقاب.

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ يعني إنّ ذلك استدراج و وبال لهم، بسبب ما يكابدون[1] لجمعها و حفظها من المتاعب، و ما يرون فيها من الشّدائد و المصائب، و يشقّ عليهم إنفاقها في سبيل الله، و الزُّهوقُ: الخروج بصعوبة.

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾: لَمِنْ جملة المسلمين ﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾ لكفر قلوبهم ﴿ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾: يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين؛ من القتل والأسر، فَيُظْهِرُونَ الإسلام تقيّةً.

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا ﴾ حِصناً يلجؤون إليه ﴿ أَوْ مَغَٰرَٰتٍ ﴾: غِيراناً ﴿ أَوْ مُدَّخَلًا ﴾: موضعَ دُخول. قال: «أسراباً في الأرض»[2]. ﴿ لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ ﴾: لأقبلوا نحوه ﴿ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾: يُسْرِعُونَ إسراعاً لا يردّهم شيء، كالفرسِ الجَمُوح.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ ﴾: يَعيبك ﴿ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾: في قسمتها ﴿ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ يعني إنّ رضاهم و سخطهم لأنفسهم، لا للدِّين.

قال: «بينا رسول الله ﷺ يَقْسِمُ قَسْماً إذ جاءه ابنُ ذي الخُوَيْصِرَةِ التّميميّ، و هو حُرْقُوصُ ابنُ زُهَيْرٍ أصل الخوارج. فقال: اعدل يا رسول الله! فقال: ويلك! و من يعدل إذا لم أعدل؟» الحديث. إلى أن قال: «فنزلت»[3].

و ورد: «إنّ أهل هذه الآية أكثرُ من ثُلُثَي النّاس»[4].

١ـ في «الف»: «يكابدون» بالياء، و هو تصحيف. والمكابدة للشّيء: تحمّل المشاقّ فيه. مجمع البحرين ٣: ١٣٥ (كبد).

٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٠، عن أبي سعيد الخدري.

٤ـ المصدر: ٤١؛ و العيّاشي ٢: ٨٩، الحديث: ٦٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: ما أعطاهم الرّسول من الغنيمة أو الصّدقة؛ و ذكر «الله» للتّعظيم و التّنبيه على أنّ ما فعله الرّسول كان بأمر الله ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾. كفانا فضله ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ صدقة أو غنيمة أخرى ﴿وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ في أن يوسّع علينا من فضله. و جواب الشّرط محذوف، تقديره: لكان خيراً لهم.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أي: الزّكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾: فرض لهم فريضة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: يضع الأشياء مواضعها.

قال: «الفقراء» هم الّذين لا يسألون و عليهم مؤونات من عيالهم؛ و الدّليل على أنّهم هم الّذين لا يسألون قول الله عزّ و جلّ في سورة البقرة: «لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا» إلى قوله: «لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً»[1]. والمساكين: هم أهل الزّمانة من العميان والعرجان و المجذّمين[2]، و جميع أصناف الزّمنى من الرّجال والنّساء والصّبيان. والعاملين عليها: هم السّعاة والجباة في أخذها و جمعها و حفظها حتّى يؤدّوها[3] إلى من يقسمها. والمؤلّفة قلوبهم: قوم وحّدوا الله و لم تدخل المعرفة قلوبهم أنّ محمّداً رسول الله ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يتألّفهم و يعلّمهم كيما يعرفوا، فجعل الله لهم نصيباً في الصّدقات لكي يعرفوا و يرغبوا. و في الرّقاب: قوم قد لزمهم كفّارات في قتل الخطأ و في الظّهار و قتل الصّيد في الحرم و في الأيمان، وليس عندهم ما يكفّرون، وهم مؤمنون، فجعل الله لهم سهماً في الصّدقات ليكفّر عنهم. والغارمين: قوم قد وقعت عليهم ديون أنفقوها في طاعة الله من

١ـ الآية: ٢٧٣.
٢ـ في المصدر: «المجذومين».
٣ـ في المصدر: «حتّى يردّوها».

غير إسراف، فيجب على الإمام، أن يقضي ذلك عنهم، و يكفيهم[1] من مال الصّدقات. و في سبيل الله: قوم يخرجون في الجهاد و ليس عندهم ما ينفقون، أو قوم من المسلمين ليس عندهم ما يحجّون به، أو في جميع سبل الخير، فعلى الإمام أن يعطيهم من مال الصّدقات حتّى يقوون به[2] على الحجّ والجهاد. وابن السّبيل. أبناء الطّريق الّذين يكونون في الأسفار في طاعة الله، فيقطع عليهم و يذهب مالهم، فعلى الإمام أن يردّهم إلى أوطانهم من مال الصّدقات. والصّدقات تتجزّى ثمانية أجزاء، فيعطى كلّ إنسان من هذه الثّمانية على قدر مايحتاجون إليه بلا إسراف و لاتقتير، يقوم في ذلك الإمام، يعمل بما فيه الصّلاح»[3].

و في رواية: سئل عن مكاتب عجز عن مكاتبته و قد أدّى بعضها. قال: «يؤدّى عنه من مال الصّدقة، إنّ الله عزّوجلّ يقول في كتابه: «و في الرّقاب»»[4]. و ورد: «سهم المؤلّفة قلوبهم و سهم الرّقاب عامّ، والباقي خاصّ»[5] يعني خاصّ بمن يعرف الحقّ لايعطى غيره.

و ورد: «لاتحلّ الصّدقة لبني هاشم إلاّ في وجهين: إن كانوا عطاشاً فاصابوا ماءً فشربوا، و صدقة بعضهم على بعض»[6].

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾: يسمع كلّ ما يقال له و يصدّقه ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾. تصديق لهم بأنّه أُذن، ولكن لاعلى الوجه الذي ذمّوه به، بل من حيث إنّه يسمع الخير و يقبله. ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: يصدّق به ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: يصدّقهم، واللاّم للفرق بين الإيمانين كما يأتي.

١ـ في المصدر: «و يكفّهم».
٢ـ في المصدر: «حتى يقووا به».
٣ـ القمّي ١: ٢٩٨ـ٢٩٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ من لايحضره الفقيه ٣: ٧٤، الحديث: ٢٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الكافي ٣: ٤٩٦، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الخصال ١: ٦٢، الحديث: ٨٨، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهم السّلام.

القمّي: كان سبب نزولها: أنّ عبدالله بن نُفَيْل كان منافقاً، و كان يقعد إلى رسول الله ﷺ فيسمع كلامه و ينقله إلى المنافقين و ينمّ عليه، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ، فقال: يا محمّد إنّ رجلاً من المنافقين: ينمّ عليك و ينقل حديثك إلى المنافقين. فقال رسول الله ﷺ: من هو؟ فقال: الرّجل الأسود كثير[1] شعر الرّأس، ينظر بعينين كأنّهما قدران، و ينطق بلسانه شيطان[2]. فدعاه رسول الله ﷺ، فأخبره، فحلف أنّه لم يفعل، فقال رسول الله ﷺ: قد قبلتُ منك فلا تقعد، فرجع إلى أصحابه فقال: إنّ محمّداً أُذُنٌ أخبره الله أنّي أنمّ عليه و أنقل أخباره فقبل، و أخبرته أنّي لم أفعل فقبل، فأنزل الله على نبيّه: "و منهم الّذين يؤذون النّبيّ و يقولون هو أُذن قل أُذن خير لكم يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين" أي: يصدّق الله فيما يقول له، ويصدّقك فيما تعتذر إليه في الظّاهر و لايصدّقك في الباطن. قوله: "وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ" يعني المقرّين بالإيمان من غير اعتقاد[3].

و في رواية: «يعني يصدّق الله و يصدّق المؤمنين، لأنّه كان رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين»[4]. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي: هو رحمة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ﴾: لمن أظهر الإيمان حيث يقبله و لايكشف سرّه. وفيه تنبيه على أنّه ليس يقبل قولكم جهلاً بحالكم؛ بل رفقاً بكم و ترحّماً. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ على معاذيرهم فيما قالوا و تخلّفوا. ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾. توحيد الضّمير لتلازم الرّضائين ﴿إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾

القمّي: نزلت في المنافقين الّذين كانوا يحلفون للمؤمنين أنّهم منهم، لكي يرضوا عنهم[5].

١ـ في المصدر: «الكثير شعر الرّأس»
٢ـ في المصدر: «و ينطق بلسان شيطان»
٣ـ القمّي ١: ٣٠٠
٤ـ العيّاشي ٢: ٩٥، الحديث ٨٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٣٠٠

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يشاقق؛ من الحدّ، لأنّ كلاً من المخالفين في حدّ غير حدّ صاحبه ﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ و تهتك عليهم استارهم ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾. القمّي: كان قوم من المنافقين لمّا خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك يتحدّثون فيما بينهم و يقولون: أيرى محمّد ﷺ أنّ حرب الرّوم مثلُ حرب غيرهم؟ لا يرجع منهم أحد ابداً. فقال بعضهم: ما أخلقه[1] أن يخبر الله محمّداً ﷺ بما كنّا فيه و بما في قلوبنا، و ينزّل عليه بهذا قرءاناً يقرءه النّاس؛ و قالوا هذا على حدّ الاستهزاء. و قال رسول الله ﷺ لعمّار بن ياسر: «الحق القوم فإنّهم قد احترقوا»، فلحقهم عمّار فقال: ما قلتم؟ قالوا: ما قلنا شيئاً، إنّما كنّا نقول شيئاً على حدّ اللّعب و للزاح؛ فنزلت»[2].

و في رواية: «نزلت في اثنَيْ عشر رجلاً وقفوا على [باب][3] العقبة، ائتمروا بينهم ليقتلوا رسول الله ﷺ، و قال بعضهم لبعض: إن فطن نقول: إنّما كنّا نخوض و نلعب، و إن لم يَفْطِن نقتله، وذلك عند رجوعه من تبوك. فأخبره جبرئيل بذلك، و أمره أن يرسل إليهم و يضرب وجوه رواحلهم، فضربها حتّى نحّاهم»[4]. و ورد: «كانت ثمانية منهم من قريش و أربعة من العرب»[5]. و يأتي تمام قصّتهم عند تفسير قوله تعالى: "يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا"[6] من هذه السّورة إن شاء الله

﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ عمّا يعلم كذبه ﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾: قد أظهرتم الكفر ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بعد

١ـ في مصدر: «ما أخلقه»
٢ـ القمّي ١: ٣٠٠
٣ـ ما بين المعقوفتين من «ب»
٤ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٤٦، عن أبي جعفر ﷺ
٥ـ المصدر: ٥١، عن أبي جعفر ﷺ
٦ـ الآية: ٧٤

إظهاركم الإيمان ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ لتوبتهم و إخلاصهم ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾: مصرّين على النفاق. و في رواية في قوله: "لاتَعْتَذِرُوا": «هؤلاء قوم كانوا مؤمنين صادقين ارتابوا و شكّوا و نافقوا بعد إيمانهم، و كانوا اربعة نفر وقوله: "إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ" كان احد الأربعة مختبر بن الحُمَيِّر[1] فاعترف و تاب، وقال: يا رسول الله اهلكني اسمي، فسمّاه رسول الله ﷺ: عبدالله بن عبدالرّحمن، فقال: يا ربِّ اجعلني شهيداً حيث لايَعْلَمُ اين انا، فقتل يوم اليمامة، ولم يَعْلَمْ احدٌ اين قتل، فهو الّذي عفي عنه»[2].

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾. تكذيب لهم فيما حلفوا: "إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ"، و تحقيق لقوله: "وَمَا هُم مِّنكُمْ"[3] ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ﴾: بالكفر و المعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾: عن الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ شُحّاً[4] بالخيرات والصّدقات ﴿نَسُواْ اللَّهَ﴾: اغفلوا ذكره ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: فتركهم عن رحمته و فضله. قال: «يعني نسوا الله في دار الدّنيا فلم يعملوا بطاعته، فنسيهم في الآخرة، اي: لم يجعل لهم في ثوابه نصيباً، فصاروا منسيّين من الخير»[5]. و في رواية: «تركوا طاعة الله، فتركهم»[6].

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾. انتم مثلهم ﴿كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً

١ـ في «الف» «مخشير بن الحُمَيِّر». وفي «ج» «مخشر بن حميّر». وفي سيرة النّبويّ لابن هشام (٤: ١٦٨) و المغازي للواقدي (٢: ١٠٠٣) «مخشّي بن حمير» و «مُخَشّن بن حمير».
٢ـ القمّي ١: ٣٠٠، عن ابي جعفر ﷺ.
٣ـ الآية: ٥٦.
٤ـ الشُّحّ: البُخلُ و الحرص. القاموس المحيط ١: ٢٣٩ (شح).
٥ـ العيّاشي ٢: ٩٦، الحديث: ٨٦؛ و التّوحيد: ٢٥٩، الباب: ٣٦، ذيل الحديث: ٥، عن امير المؤمنين ﷺ.
وفي العيّاشي: «... فلم يعملوا له بالطّاعة، ولم يؤمنوا به وبرسوله، فنسيهم في الآخرة»
٦ـ العيّاشي ٢: ٩٥، الحديث: ٨٥، عن ابي جعفر ﷺ.

﴿وَأَوْلَادًا﴾ بيان لتشبيههم[1] بهم. ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ﴾: نصيبهم من ملاذّ الدّنيا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ﴾. ذمّ الأولين باستمتاعهم بحظوظهم الفانية، والتهائهم بها عن النّظر في العاقبة والسّعي في تحصيل اللّذائذ الحقيقيّة الباقية، تمهيداً لذمّ المخاطبين لمشابهتهم بهم واقتفائهم أثرهم. ﴿وَخُضْتُمْ﴾: دخلتم في الباطل ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾: كالخوض الّذي خاضوه ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ كيف أُغرقوا بالطوفان ﴿وَعَادٍ﴾ كيف أُهلكوا بالريح ﴿وَثَمُودَ﴾ كيف أُهلكوا بالرّجفة ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾ كيف أُهلك نمرود ببعوض وأُهلك أصحابه ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾: قوم شعيب كيف أُهلكوا بالنّار يوم الظلّة[2] ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾: أصحاب القرى المؤتفكة. قال: «أولئك قوم لوط ائتفكت عليهم، أي: انقلبت»[3]. ﴿أَتَتْهُمْ﴾ كلّهم ﴿رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بتعرّضها للعقاب بالكفر والتّكذيب.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. هي في مقابلة سابقته.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾: يطيب فيها العيش ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾: إقامة وخلود. قال: «عدن، دار الله الّتي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر، لا يسكنها غير ثلاثة: النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء. يقول الله تعالى: طوبى لمن دخلك»[4]. ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يعني وشيء

1ـ في «الف»: «لتشبّههم».
2ـ إشارة إلى الآية ١٨٩ من سورة الشّعراء: «فكذّبوه فأخذهم عذاب يوم الظّلّة إنّه كان عذاب يوم عظيم».
3ـ الكافي ٨: ١٨١، ذيل الحديث: ٢٠٢، عن أبي عبدالله ﷺ.
4ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٠، مرويّاً عن النّبيّ ﷺ.

من رضوانه أكبر من ذلك كلّه، لأنّ رضاه سبب كلّ سعادة، و موجب كلّ فوز، و به ينال كرامتهُ الّتي أكبر أصناف الثّواب. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ الّذي يستحقر دونه كلّ لذّة و بهجة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [قيل: بالسيف[1].][2] ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ قال: «بإلزام الفرائض»[3]. وفي رواية: إنّ في قراءتهم عليهم السّلام: «جاهد الكفّار بالمنافقين قالوا: لأنّ النّبيّ ﷺ لم يكن يقاتل المنافقين، ولكن كان يتألّفهم، ولأنّ المنافقين لا يُظهِرُون الكفرَ، و علمُ اللهِ بكفرهم لا يُبيحُ قتلهم إذا كانوا يُظهِرُون الإيمان»[4]. وفي أُخرى: «هكذا نزلت، يعني: "والمنافقين". قال: فجاهد رسول الله ﷺ الكفّار و جاهد عليّ عليه السلام المنافقين، فجاهد عليّ عليه السلام جهادَ رسول الله ﷺ»[5]. ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ﴾. القمّي: نزلت في الّذين تحالفوا في الكعبة أن لا يردّوا هذا الأمرَ في بني هاشم، فهي "كلمة الكفر"، ثمّ قعدوا لرسول الله ﷺ في العقبة و همّوا بقتله، و هو قوله: "و همّوا بما لم ينالوا"[6].

أقول: قد سبق حديث همّهم بقتله عند تفسير قوله تعالى: "إنّما كنّا نخوضُ ونلعبُ".

و ورد: «لمّا قال النّبيّ ﷺ ما قال في غدير خُمّ و صاروا[7] بالأخبية[8]، مرّ المقداد

١ـ جوامع الجامع ٢: ٧٠؛ والبيضاوي ٣: ٧٤؛ والكشّاف ٢: ٢٠٢.
٢ـ ما بين المعقوفتين من «ح».
٣ـ القمّي ١: ٣٠١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٥٠.
٥ـ القمّي ٢: ٣٧٧، ذيل الآية ٩ من سورة التّحريم، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٣٠١.
٧ـ في المصدر: «و صار».
٨ـ الأخبيةُ جمع الخباء: من الأبنية يكون من وبر أو صوفٍ أو شَعر. القاموس المحيط ٤: ٣٢٤ (خبي).

بجماعة منهم يقولون: إذا دنا موته و فنيت أيّامه و حضر اجله، أراد أن يولّينا عليّاً من بعده، أما والله ليعلمنّ، قال: فمضى المقداد و أخبر النّبيّ ﷺ فقال: الصّلاة جامعة قال. فقالوا: قد رمانا المقداد، فقوموا نحلف عليه، قال: فجاؤوا حتّى جثّوا[1] بين يديه، فقالوا: بآبائنا و أُمّهاتنا يا رسول الله، والّذي بعثك بالحقّ والّذي أكرمك بالنّبوّة، ما قلنا ما بلغك، والّذي اصطفاك على البشر. قال: فقال النّبيّ ﷺ: بسم الله الرّحمن الرّحيم يحلفون بالله ما قالوا، و لقد قالوا كلمة الكفر و كفروا بعد إسلامهم و همّوا بك يا محمّد ليلة العقبة»[2].

و في رواية: «لمّا أقام عليّاً يوم غدير خمّ كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين: و هم ابوبكر و عمر و عبدالرّحمن بن عوف و سعد بن ابي وقّاص و ابوعبيدة و سالم مولا أبي حذيفة و المغيرة بن شعبة. قال عمر: اما ترون عينيه كأنّهما عينا مجنون ـ يعني النّبيّ ﷺ ـ السّاعة يقوم و يقول: قال لي ربّي. قال: فنزل جبرئيل و أعلمه بمقالة القوم، فدعاهم و سألهم فأنكروا و حلفوا، فأنزل الله "يحلفون بالله ما قالوا"»[3].

﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾: و ما أنكروا و ما عابوا ﴿إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ﴾. قال: «كان أحدهم يبيع الرّؤوس، و آخر يبيع الكراع[4] و يفتل القرامل[5]، فأغناهم الله برسوله ﷺ ثمّ جعلوا حدّهم و حديدهم عليه»[6]. و المعنى: أنّهم جعلوا موضع شكر النّعمة كفرانها، و كان الواجب عليهم أن يقابلوها بالشكر. ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ﴾ بالإصرار على النّفاق ﴿يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ بالقتل

١ـ جثّ: برك. القاموس المحيط ١: ١٦٩؛ وأقرب الموارد ٢: ٨٤ (جث).
٢ـ العيّاشي ٢: ٩٩، الحديث: ٩٠، عن ابي عبدالله ؏.
٣ـ القمّي ١: ٣٠١، عن ابي عبدالله ؏.
٤ـ الكُراعُ من البقر و الغنم بمنزلة الوَظيف من الفرس و هو مستدقّ السّاق. و هو اسم يجمع الخيلَ. القاموس المحيط ٣: ٨١ (كرع).
٥ـ القَراملُ: ضفائر من شعر او صوف او ابريسم، تصل به المرأة شعرها. النّهاية ٤: ٥١ (قرمل).
٦ـ العيّاشي ٢: ١٠٠، ذيل الحديث: ٩٠، عن ابي عبدالله ؏.

والنّار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فينجيهم من العذاب.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾. قال: «هو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عوف، كان محتاجاً فعاهد الله، فلمّا آتاه بخل به»[1].

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: فاورثهم البخلُ نفاقاً متمكّناً في قلوبهم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾: يلقون الله. قال: «اللقاء هو البعث»[2]. ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾: ما أسرّوه في أنفسهم من النّفاق ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾: ما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾: يعيبون ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾. المتطوّعين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: إلّا طاقتهم، فيتصدّقون بالقليل. ورد: «افضل الصّدقة جُهْدُ المقلّ»[3] ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾: يستهزؤون ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ قال: «جازاهم جزاء السُّخريّة»[4]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ورد: «آجر أمير المؤمنين عليه السلام نفسه على أن يستقي كلّ دلو بتَمْرة بخيارها، فجمع تمراً فأتى به النّبيّ صلى الله عليه وآله وعبدالرّحمان بن عوف على الباب، فلمزه، أي: وقع فيه، فنزلت»[5]. والقمّي: نزلت في سالم بن عُمَيْر الأنصاريّ، جاء بصاع من تمر من كسب يده وقال: أقرضته ربّي، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينثره[6] في الصّدقات، فسخر منه المنافقون

١ـ القمّي ١: ٣٠١، عن أبي جعفر عليه السلام. وفي المصدر ونسخة «الف»: «ثعلبة بن خاطب».
٢ـ التّوحيد: ٢٦٧، الباب: ٣٦، الحديث: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٥٥، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. والجهد: الوسع والطّاقة ومع المقلّ أي: قدر ما يحتمله حال القليل المال. النّهاية ٢: ٣٢٠ (جهد).
٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٢٦، الباب: ١١، ذيل الحديث: ١٩. وفيه: فيجازيهم جزاء السّخريّة.
٥ـ العيّاشي ٢: ١٠١، الحديث: ٩٣، عن أبي عبدالله عليه السلام. ووقع فيه: لامه وعابه، يقال: وقعت بفلان: إذا لمتَهُ، ووقعتُ فيه: إذا عبتَهُ وذممتَه. لسان العرب ٨: ٤٠٥ (وقع).
٦ـ في «الف»: «ينثر».

و قالوا: أراد أن يذكّر نفسه ليُعطى من الصّدقات[1].

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾: لافرق بين الأمرين في عدم الإفادة لهم ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾. قيل: السّبعون جارٍ في كلامهم مجرى المثل للتكثير[2]. و ورد: «إنّ الله قال لمحمّد ﷺ: "إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم" فاستغفر لهم مائة مرّة ليغفر لهم، فأنزل الله: "سواء عليهم استغفرت لهم" الآية. فلم يستغفر لهم بعد ذلك»[3]. ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾.

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ بقعودهم عن الغزو[4] خلفه؛ يقال: أقام خلافَ القوم، أي: بعدهم. ﴿ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ إيثاراً للدّعة والخفض ﴿ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾. قاله بعضهم لبعض، و قد سبق قصّة الجدّ بن قيس في ذلك عند تفسير: "و منهم من يقول ائذن لي"[5] و هذا تفضيح له. ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ و قد آثرتموها بهذه المخالفة ﴿ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ أنّ مآبهم إليها، و أنّها كيف هي، ما اختاروها بإيثار الدّعة والخفض على طاعة الله.

﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾. إمّا على ظاهر الأمر، و إمّا إخبار عمّا يؤول إليه حالهم في الدّنيا و الآخرة، يعني: فيضحكون قليلاً و يبكون كثيراً، و يجوز أن يكون المراد بالضّحك والبكاء، السّرورَ و الغمَّ. ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ من الكفر و النّفاق والتّخلّف.

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ ﴾: فإن ردّك إلى المدينة و فيها طائفة من

١ـ القمّي ١: ٣٠٢.
٢ـ جوامع الجامع ٢: ٧٣، و الكشّاف ٢: ٢٠٥.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٠٠، الحديث: ٩٢، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام والآية في المنافقين (٦٣): ٦.
٤ـ في «الف»: «من الغزو».
٥ـ الآية: ٤٩ من نفس السّورة.

المتخلّفين، يعني منافقيهم ممّن لم يتب و لم يكن له عذر صحيح في التخلّف ﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ إلى غزوة أُخرى بعد تبوك ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾. إخبار في معنى النّهي. ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ بأن تدعو له و تستغفر ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ للدّعاء له ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾. قد مرّ تفسيرها[1]، و هي إمّا تأكيد، أو تلك في فرقة و هذه في أُخرى.

﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾: ذووا[2] السّعة ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ﴾ لعذر.

﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ قال: «مع النّساء»[3]. ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما في الجهاد و موافقة الرّسول ﷺ من السّعادة، و ما في التّخلّف عنه من الشّقاوة.

﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ يعني: إن تخلّف هؤلاء و لم يجاهدوا، فقد جاهد من هو خير منهم ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾: منافع الدّارين؛ النّصر و الغنيمة في الدّنيا، و الجنّة و نعيمها في الآخرة ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

١ـ في ذيل الآية ٥٥ من نفس السّورة.
٢ـ في «ب»: «ذوا السّعة».
٣ـ العيّاشي ٢: ١٠٣، الحديث ٩٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾: المقصّرون؛ من عذّر في الأمر: إذا توانى و لم يجدّ فيه. وحقيقته أن يُوهِم أنّ له عذراً فيما يفعل و لاعذر له، أو من «اعتذر» ـ بالإدغام[1] ـ: إذا مهّد العُذْر؛ و هم الذين يعتذرون بالباطل ﴿مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾: أهلِ البدو ﴿لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في ادّعاء الإيمان، فلم يجيبوا، أو لم يعتذروا[2] ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ بالقتل والنّار.

﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ﴾ كالهرمى و الزّمنى ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ لفقرهم ﴿حَرَجٌ﴾: إثم في التّخلّف ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بالإيمان و الطّاعة في السرّ و العلانية ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖ﴾: لاجناح عليهم و لاعتاب ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ﴾ يعني معك ﴿قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ القمّي: سألوا نعلاً يلبسونها[3]. ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ﴾: تسيل ﴿مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾ أي: يسيل دمعها، فإنّ «من» للبيان كأنّ العين كلّها دمعٌ فائض. ﴿حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ﴾: لئلاّ يجدوا ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ في مغزاهم. القمّي: جاء البكّاؤون إلى رسول الله ﷺ و هم سبعة نفر ـ و سمّاهم ـ، فقالوا: يا رسول الله ليس بنا قوّة أن نخرج معك. فأنزل الله فيهم: "ليس على الضّعفاء" إلى قوله: "ما ينفقون"[4].

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ﴾ يعني النّساء. القمّي: كانوا ثمانين رجلاً من قبائل شتّى[5]. ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ مَغَبَّته[6].

﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ﴾ في التّخلّف ﴿إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ من الغزوة ﴿قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ﴾

١ـ أي: بإدغام التّاء في الذّال و نقل حركتها إلى العين.
٢ـ في «ب» و «ج»: «أو لم يعتذروا».
٣، ٤، ٥ـ تفسير القمّي ١: ٢٩٣.
٦ـ مغبّة: عاقبة الشيء. القاموس المحيط ١: ١١٣٠ (غب).

بالمعاذير الكاذبة ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾: لن نصدقكم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾: أتتوبون من الكفر[1] أم تثبتون عليه؟ ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: إليه، فوضع الوصف موضع الضّمير للدّلالة على أنّه مطلع على سرّهم وعلنهم، لايفوت عن علمه شيء من ضمائرهم و أعمالهم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالتّوبيخ و العقاب.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ فلا تعاتبوهم ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ و لاتوبّخوهم ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾: لايؤثّر فيهم التّوبيخ والنّصح و العتاب، و لاسبيل إلى تطهيرهم ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ فتستديموا عليهم ما كنتم تعملون بهم ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ و لاينفعهم رضاكم إذا كان الله ساخطاً عليهم. ورد: «من التمس رضا الله بسخط النّاس، رَضِيَ اللهُ عنه و أرضىٰ عنه النّاسَ، ومن التمس رضا النّاس بسخط الله، سخط اللهُ عليه وأسخط عليه النّاس»[2]. القمّي: لمّا قدم النّبيّ ﷺ من تبوك كان أصحابه المؤمنون يتعرّضون للمنافقين و يؤذونهم، و كانوا يحلفون لهم أنّهم على الحقّ و ليسوا هم بمنافقين؛ لكي يعرضوا عنهم. فأنزل الله: "سيحلفون بالله لكم" الآية[3].

﴿الْأَعْرَابُ﴾: أهلُ البَدْوِ[4] ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل الحضَر، لتوحّشهم وقساوتهم و جفائهم، و نشوهم في بُعْدٍ من مشاهدة العلماء و سَماعِ التّنزيل ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾: و أحقّ بأن لا يعلموا ﴿حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ من الشّرايع ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بحال

١ـ في «ب» و «ج»: «عن الكفر».
٢ـ مجمع البيان ٥ـ ٦: ٦١، عن النبيّ ﷺ.
٣ـ القمّي ١: ٣٠٢.
٤ـ البدو: البادية و النّسبة إليه بدويّ. الصّحاح ٦: ٢٢٧٨ (بدا).

كلٍّ من أهل الوَبَر والمَدَر[1] ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يصيب به مسيئهم و محسنهم

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ﴾: يعدّ ﴿مَا يُنفِقُ﴾: ما يصرفه في سبيل الله و يتصدّق به ﴿مَغْرَمًا﴾: غرامةً و خسراناً، إذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثواباً، و إنّما ينفق رياءً و تقيّةً. ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾: دوائر الزّمان و عقباته و حوادثه، لينقلب الأمر عليكم فيتخلّص من الإنفاق. ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾. اعتراض بالدّعاء عليهم بنحو ما يتربّصونه، أو إخبار عن وقوع ما يتربّصون عليهم. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقولون عند الإنفاق ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرون.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ﴾: سبب قربات ﴿عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾: و سبب دعواته، لأنّه كان يدعو للمتصدّقين بالخير والبركة، و يستغفر لهم. ﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾. شهادة من الله لهم بصحّة معتقدهم، و تصديق لرجائهم. ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾. وعدٌ لهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. تقرير لهم.

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾ القمّي: هم النُّقباء و أبو ذرّ والمقداد و سلمان و عمّار، و من آمن و صدّق و ثبت على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[2]. و في نهج البلاغة: «لا يقع اسم الهجرة على أحدٍ إلّا بمعرفة الحجّة في الأرض، فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجر»[3]. ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾. بالإيمان والطّاعة إلى يوم القيامة ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بقبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما نالوا من نعمه من الدّينيّة والدّنيويّة[4] ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ

١ـ أهل الوَبَر والمَدَر، اي: أهل البوادي والمُدُن والقُرى، و هو من وبر الإبل، لأنّ بيوتهم يتّخذونها منه؛ والمدر جمع مدرة و هي اللبنة. النّهاية ٥: ١٤٤ (وبر).

٢ـ القمّي ١: ٣٠٣.

٣ـ نهج البلاغة (بتصحيح الصّالح): ٢٨٠، الخطبة ١٨٩.

٤ـ في «ب»: «من النّعمة الدّينيّة والدّنيويّة».

الفوز العظيم ﴾.

﴿ وممن حولكم ﴾ ممن حول بلدتكم، يعني المدينة ﴿ من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ﴾ تمهروا فيه و تمرنوا ﴿ لا تعلمهم ﴾: لا تعرفهم باعيانهم؛ و هو تقرير لمهارتهم فيه، يعني يخفون عليك، مع فطنتك و صدق فراستك لفرط تحاميهم مواقع الشك في امرهم. ﴿ نحن نعلمهم ﴾ و نطلع على اسرارهم ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ قيل: هما ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، عند قبض ارواحهم، و عذاب القبر[1] ﴿ ثم يردون إلى عذاب عظيم ﴾ عذاب النار.

﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ﴾. قال: «نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر»[2]. و قد سبقت قصته عند تفسير: "لا تخونوا الله والرسول" من سورة الانفال[3]. و في رواية: «أولئك قوم مؤمنون، يحدثون في إيمانهم من الذنوب التي يعيبها المؤمنون و يكرهونها. فأولئك عسى الله ان يتوب عليهم»[4]. و في أخرى: «هم قوم اجترحوا ذنوباً، مثل قتل حمزة وجعفر الطيار، ثم تابوا، ثم قال: و من قتل مؤمناً لم يوفق للتوبة، إلا ان الله لا يقطع طمع العباد فيه و رجاءهم منه. قال: و "عسى" من الله واجب»[5].

﴿ خذ من أموالهم صدقة ﴾. القمي: نزلت حين أطلق ابو لبابة و عرض ماله للتصدق[6]. ﴿ تطهرهم ﴾ الصدقة، او انت ﴿ وتزكيهم بها ﴾ أي: تنسبهم إلى الزكاء؛ والتزكية مبالغة في التطهير و زيادة فيه، او بمعنى الإنماء والبركة في المال. ﴿ وصل

١ـ جوامع الجامع ٢: ٨١.
٢ـ القمي ١: ٣٠٣؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٦٧، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ الآية: ٢٧.
٤ـ راجع: العياشي ٢: ١٠٦، الحديث ١٠٩، عن ابي جعفر عليه السلام، وفيه: «أولئك قوم مذنبون يحدثون في إيمانهم من الذنوب...».
٥ـ العياشي ٢: ١٠٥، الحديث: ١٠٦، مرفوعاً.
٦ـ القمي ١: ٣٠٤.

عَلَيْهِمْ﴾: و ترحّم عليهم بالدّعاء لهم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾: تسكن إليها نفوسهم و تطمئنّ بها قلوبهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ يسمع دعاءك لهم ﴿عَلِيمٌ﴾ يعلم ما يكون منهم. ورد: «إنّه كان إذا أتاه قوم بصدقتهم، قال: اللّهمّ صلّ عليهم»[١]. و ورد: «إنّ هذه الآية جارية في الإمام بعد رسول الله ﷺ»[٢].

و قال: «لمّا نزلت آية الزّكاة: "خذ من أموالهم صدقة" و أُنزلت في شهر رمضان فأمر رسول الله ﷺ مناديه فنادى في النّاس: إنّ الله فرض عليكم الزّكاة كما فرض عليكم الصّلاة، ففرض الله عليهم من الذّهب والفضّة، و فرض عليهم الصّدقة من الإبل والبقر والغنم، و من الحنطة والشّعير والتّمر والزّبيب، و نادى بهم ذلك[٣] في رمضان، و عفا لهم عمّا سوى ذلك. قال: ثمّ لم يعرض[٤] لشيء من أموالهم، حتّى حال عليهم الحول من قابل، فصاموا و أفطروا، فأمر مناديه فنادى في المسلمين: أيّها المسلمون زكّوا أموالكم تقبل صلاتكم. قال: ثمّ وجّه عمّال الصّدقة و عمّال الطّسوق[٥]»[٦].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ إذا صحّت ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ إذا صدرت عن خلوص النّيّة، يقبلها قبول من يأخذ شيئاً ليؤدّي بدله. قال: «أي: يقبلها من أهلها و يثيب عليها»[٧].

و ورد: «إنّ الله يقول: ما من شيء إلّا و قد وكّلت به من يقبضه غيري إلّا الصّدقة، فإنّي أتلقّفها بيدي تلقّفاً[٨]، حتّى أنّ الرّجل ليتصدّق بالتّمرة أو بشقّ التّمرة فأُربّيها له كما

١ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٦٨، عن النّبيّ ﷺ.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٠٦، الحديث: ١١١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٣ـ في المصدر: «فنادى فيهم بذلك».
٤ـ في المصدر: «فلم يفرض» و في نسخة منه: «فلم يعرض».
٥ـ الطّسق: كفلس، مكيال، أو ما يوضع من الخراج على الجُرْبان. أو شبه ضريبة معلومة و كأنّه مولّد أو معرّب. القاموس المحيط ٣: ٢٦٦ (طسق).
٦ـ الكافي ٣: ٤٩٧، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ـ التّوحيد: ١٦٢، الباب: ١٧، ذيل الحديث: ٢، عن أبي عبدالله ﷺ.
٨ـ لقفه و تلقّفه: تناوله بسرعة. القاموس المحيط ٣: ٢٠٣ (لقف).

يربّي الرّجل فلوّه[1] و فصيله[2]، فياتي يوم القيامة و هو مثل أُحُدٍ وأعظم من أُحُدٍ»[3].

وفي رواية: «ضمنت على ربّي أنّ الصّدقة لا تقع في يد العبد حتّى تقع في يد الرّبّ، و هو قوله تعالى: "و يأخذ الصّدقات"»[4].

و في أُخرى: «إذا ناولتم السّائل شيئاً فاسألوه ان يدعو لكم، فإنّه يجاب له فيكم، ولا يجاب في نفسه، لأنّهم يكذبون، وليردّ الّذي ناوله، يده إلى فيه، فيقبّلها، وإنّ الله عزّوجلّ يأخذها قبل ان تقع في يده، كما قال عزّوجلّ: "الم يعلموا انّ الله هو يقبل التّوبة عن عباده و يأخذ الصّدقات"»[5]. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ خيراً كان او شرّاً. قال: «المؤمنون هم الائمّة»[6]. و في رواية: «إيّانا عنى»[7]. و في أُخرى: «ليس هكذا هي، إنّما هي والمأمونون، فنحن المأمونون»[8].

و ورد: «تعرض الاعمال على رسول الله ﷺ، اعمالُ العباد، كلّ صباحٍ ابرارِها و فجّارِها[9]، فاحذروها، و هو قول الله عزّوجلّ: "و قل اعملوا" الآية»[10].

و في رواية: «قيل له: ادع الله لي و لأهل بيتي، فقال: او لستُ افعل؟ والله إنّ

١ـ الفلوّ ـ بالكسر ـ الجحش والمُهر فُطما او بلغا السّنة. القاموس المحيط ٤: ٣٧٧ (فلو).
٢ـ الفصيل: ولد النّاقة إذا فصل عن أمّه. القاموس المحيط ٤: ٣٠ (فصل).
٣ـ الكافي ٤: ٤٧، الحديث: ٦، عن ابي عبدالله ؑ.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٠٨، الحديث: ١١٨، عن ابي عبدالله، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٥ـ الخصال ٢: ٦١٩، ذيل الحديث: ١٠، عن ابي عبدالله، عن آبائه، عن امير المؤمنين ؑ.
٦ـ الكافي ١: ٢١٩، الحديث: ٢؛ والعيّاشي ٢: ١٠٩، الحديث: ١٢٥، عن ابي عبدالله ؑ.
٧ـ الامالي (للطّوسي) ٢: ٢٣، عن ابي عبدالله ؑ.
٨ـ الكافي ١: ٤٢٤، الحديث: ٦٢، عن ابي عبدالله ؑ.
٩ـ الابرار جمع برّ ـ بالفتح ـ بمعنى البارّ، والفجّار جمع فاجر فيكون قوله ؑ: «ابرارها و فجّارها» بدل تفصيلٍ للعباد، و يحتمل ان يكون بدل تفصيل لاعمال العباد فيقرآن بالرّفع. و في إطلاق الابرار والفجّار على الاعمال تجوّز. على انّه يحتمل كون الابرار حينئذٍ جمع البرّ ـ بالكسر ـ و ربّما يقرأ الفجار ـ بكسر الفاء و تخفيف الجيم ـ جمع فَجار مبنيّاً على الكسر و هو اسم الفجور، او جمع فجر ـ بالكسر ـ و هو ايضاً الفجور. مرآة العقول ٣: ٤.
١٠ـ الكافي ١: ٢١٩، الحديث: ١، عن ابي عبدالله ؑ.

أعمالكم لتعرض عليّ في كلّ يوم و ليلة. قال: فاستعظمت ذلك، فقال: أما تقرأ كتاب الله عزّوجلّ: "و قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"؟ قال: هو والله عليّ بن أبي طالب عليه السلام[1]. ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ مؤخّرون، موقوف أمرهم، من أرجأته: إذا أخّرته ﴿لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ في شأنهم ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعل بهم.

قال: «هم قوم كانوا مشركين، فقتلوا مثل حمزة و جعفر و أشباههما من المؤمنين، ثمّ إنّهم دخلوا في الإسلام؛ فوحّدوا الله و تركوا الشرك، و لم يعرفوا الإيمان بقلوبهم، فيكونوا من المؤمنين فيجب لهم الجنّة، و لم يكونوا على جحودهم، فيكفروا فيجب لهم النّار، فهم على تلك الحال، إمّا يعذّبهم و إمّا يتوب عليهم»[2].

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾: مضارّة للمؤمنين ﴿وَكُفْرًا﴾: و تقوية للكفر الذي كانوا يضمرونه ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الّذين كانوا يجتمعون للصّلاة في مسجد قبا، أرادوا أن يتفرّقوا عنه و تختلف كلمتهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾: و إعداداً ﴿لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾ يعني أبا عامر الرّاهب.

روي: «أنّه كان يقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله في غزواته، إلى أن هرب إلى الشّام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسولَ الله صلى الله عليه وآله، و مات بقِنَّسْرين وحيداً»[3].

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ﴾: ما أردنا ببنائه إلّا الخصلة الحسنى، و هي الصّلاة والذّكر والتّوسعة على المصلّين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

١ـ الكافي ١: ٢١٩، الحديث: ٤، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام.
٢ـ الكافي ٢: ٤٠٧، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام و فيه: «فتجب» في كلا الموضعين.
٣ـ الكشّاف ٢: ٢١٣؛ والبيضاوي ٣: ٨٠.

في حلمهم.

و ورد ما ملخّصه: «إنّ المنافقين اتّفقوا و بايعوا لأبي عامر الراهب ـ الّذي سمّاه رسول الله ﷺ الفاسقَ ـ و جعلوه أميراً عليهم و بخعوا له بالطّاعة، فقال لهم: الرّأي ان أغيبَ عن المدينة لئلاّ أُتّهمَ إلى ان يتمّ تدبيركم، و كاتبوا «أُكَيْدِرَ» ـ صاحب دُومَةَ الجَنْدل ـ ليقصد المدينة، فأوحى الله إلى محمّد ﷺ و عرّفه ما أجمعوا عليه من أمْرِه و أمَرَهُ بالمسير إلى تبوك. قال: فلمّا صحّ عزم رسول الله ﷺ على الرِّحْلَة إلى تبوك، عمد هؤلاء المنافقون فبنوا خارجَ المدينة مسجداً، و هو مسجد الضّرار، يريدون الاجتماع فيه، ويزعمون أنّه للصّلاة، و إنّما كان ليجتمعوا فيه لعلّة الصّلاة، فيتمّ تدبيرهم و يقع هناك ما يسهل به لهم ما يريدون، ثمّ جاء جماعة منهم إلى رسول الله ﷺ و قالوا: يا رسول الله إنّ بيوتنا قاصية عن مسجدك وإنّا نكره الصّلاة في غير جماعة، و يصعب علينا الحضور، وقد بنينا مسجداً، فإن رأيت ان تقصده و تصلّي فيه لنتيمّن و نتبرّك بالصّلاة في موضع مصلاّك؛ فلم يُعَرِّفْهُم رسولُ الله ﷺ ما عرّفه الله من أمرهم و نفاقهم. قال: وقال: ائتوني على جَناحِ سَفَرٍ فاسهلوا حتّى أرجعَ إن شاء الله تعالى ثمّ أنظر في هذا نظراً يرضاه الله. قال: و عاد رسول الله ﷺ غانماً ظافراً، و أبطل الله كيد المنافقين، و أمر رسول الله ﷺ بإحراق مسجد الضّرار، فأنزل الله تعالى: "والّذين اتّخذوا مسجداً ضراراً" الآيات»[١].

﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗا﴾ أي: لا تصلّ فيه أبداً. يقال: فلانٌ يقوم بـاللّيل، أي: يصلّي ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾ من ايّام وجوده. قال: «يعني مسجد قُبا»[٢] قيل: اسّسه رسول الله ﷺ، و صلّى فيه ايّام مُقامه بقُبا[٣] ﴿أَحَقُّ أَن

١ـ تفسير الإمام ﷺ: ٤٨٢ و ٤٨٣ و ٤٨٨، عن ابي الحسن الاول ﷺ.
٢ـ الكافي ٣: ٢٩٦، الحديث: ٢؛ والعيّاشي ٢: ١١١، الحديث: ١٣٥، عن ابي عبدالله ﷺ، والحديث: ١٣٦، عن الصادقين عليهما السلام.
٣ـ البيضاوي ٣: ٨١؛ والكشّاف ٢: ١١٤.

تقوم فيه﴾ أولى بأن تُصلّي فيه. قال: «يعني من مسجد النّفاق»[1] ﴿فيه رجال يحبّون أن يتطهّروا﴾ قال: «بالماء عن الغائط والبول»[2] ﴿والله يحبّ المطّهّرين﴾. ورد: «إنّ النّبيّ ﷺ قال لأهل قبا: ماذا تفعلون في طهركم؟ فإنّ الله قد أحسن عليكم الثّناء! قالوا: نغسل أثر الغائط. فقال: أنزل الله فيكم: "والله يحبّ المطّهّرين"»[3].

﴿أفمن أسّس بنيانه﴾ بنيان دينه ﴿على تقوى من الله ورضوان﴾ على قاعدة مُحْكَمة، هي الحقّ الّذي هو التّقوى من الله، و طلب مرضاته بالطّاعة ﴿خير أم من أسّس بنيانه على شفا جرف هار﴾: على قاعدة، هي أضعف القواعد و أقلّها بقاءً، و هو الباطل والنّفاق، الّذي مثله كمثل شفا جُرُف هارٍ في قلّة الثّبات. والشّفا: الشّفير. و جُرُفُ الوادي: جانبه الّذي يتحفّر[4] أصله بالماء و تجرفه السّيول. والهار: الهائر الّذي أشفى على السّقوط والهدم. ﴿فانهار به في نار جهنّم﴾. لمّا جعل الجُرُفُ الهار مجازاً عن الباطل قيل: "فانهار به في نار جهنّم". والمعنى: فهوى به الباطلُ في نار جهنّم، فكأنّ المبطلَ أسّس بناءاً على شفير جهنّم، فطاح به إلى قعرها. قال: «مسجد الضّرار، الّذي أسّس على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنّم»[5]. ﴿والله لا يهدي القوم الظّالمين﴾ إلى ما فيه صلاح و نجاة.

﴿لا يزال بنيانهم الّذي بنوا﴾ يعني مسجد الضّرار ﴿ريبة في قلوبهم﴾: سبب شكّ و ازدياد نفاق في قلوبهم لا يضمحلّ أثره، ثمّ لمّا هدمه الرّسول ﷺ، رسخ ذلك في قلوبهم و ازداد، بحيث لا يزول رسمه[6] عنها. ﴿إلّا أن تقطّع قلوبهم﴾ قطعاً بحيث لا يبقى لها قابليّة الإدراك والإضمار؛ و في قراءتهم عليهم السّلام: «إلى

۱ـ العيّاشي ۲: ۱۱۱، الحديث: ۱۳۶، عن الصّادقين عليهما السّلام.
۲ـ مجمع البيان ۵ ـ ۶: ۷۳، عن الصّادقين عليهما السّلام.
۳ـ المصدر، مرويّاً عن النّبيّ ﷺ.
۴ـ في «ب»: «ينحفر».
۵ـ القمّي ۱: ۳۰۵، عن أبي جعفر ﷺ.
۶ـ في «ألف»: «لا يزال رسمه».

أن تقطع»[1] والقمّي يعني حتّى تقطع[2] قلوبهم [3]. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنيّاتهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما أمر بهدم بنائهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾. تمثيل لإثابة الله إيّاهم بالجنّة على بذل أنفسهم و أموالهم في سبيله. ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾ أي. لا أحد أوفى ﴿بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾ فافرحوا به غاية الفرح إذ بعتم فانياً بباقٍ وزائلاً بدائم. ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هم التّائبون. و في قراءتهم عليهم السّلام: «"التّائبين" إلى قوله: "والحافظين" على أنّها صفة للمؤمنين. سئل عن العلّة في ذلك، فقال: اشترى من المؤمنين التّائبين العابدين»[4].

قال: «لمّا نزلت هذه الآية: "إنّ الله اشترى" قام رجل فقال: يا نبيّ الله أرأيتك الرّجل يأخذ سيفه فيقاتل حتّى يُقتَلَ إلاّ أنّه يقترف من هذه المحارم، أشهيد هو؟ فأنزل الله على رسوله: "التّائبون" الآية، فبشّر النّبيّ ﷺ المجاهدين من المؤمنين، الّذين هذه صفتهم وحليتهم، بالشّهادة والجنّة. و قال: التّائبون من الذّنوب، العابدون الّذين لا يعبدون إلاّ الله ولا يشركون به شيئاً، الحامدون: الّذين يحمدون الله على كلّ حال في الشّدّة والرّخاء، السّائحون الصّائمون الرّاكعون السّاجدون: الّذين يواظبون على الصّلوات الخمس، الحافظون لها والمحافظون عليها بركوعها و سجودها والخشوع فيها و في أوقاتها، الآمرون بالمعروف بعد ذلك والعاملون به، والنّاهون عن المنكر والمنتهون عنه.

١ـ جوامع الجامع ٢: ٨٦، عن أبي عبدالله ؈.
٢ـ في المصدر: «حتّى تنقطع».
٣ـ القمّي ١: ٣٠٥.
٤ـ الكافي ٨: ٣٧٧، الحديث: ٥٦٩، عن أبي جعفر ؈.

قال: فبشّر من قتل وهو قائم بهذه الشروط بالشهادة والجنّة»[1].

والقمّي: نزلت الآية في الائمّة، لانّه وصفهم بصفة لا تجوز في غيرهم؛ فالآمرون بالمعروف: هم الّذين يعرفون المعروف كلّه، صغيره و كبيره و دقيقه و جليله؛ والنّاهون عن المنكر: هم الّذين يعرفون المنكر كلّه، صغيره و كبيره؛ والحافظون لحدود الله: هم الّذين يعرفون حدود الله، صغيرها و كبيرها و دقيقها و جليلها. ولا يجوز ان يكون بهذه الصّفة غير الائمّة عليهم السّلام[2].

و في رواية: سئل عن قوله: "إنّ الله اشترى" فقال: «يعني في الميثاق ثمّ قرئ عليه: "التّائبون"[3]، فقال: إذا رأيت هؤلاء، فعند ذلك هؤلاء اشترى منهم أنفسهم وأموالهم، يعني في الرّجعة»[4].

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ ﴾ بموتهم على الشّرك، او بوحي من الله ﴿ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾.

﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾. ورد: إنّه سئل: «ما يقول النّاس في قول الله: "وما كان استغفار إبراهيم لأبيه" فقيل: يقولون: إنّ[5] إبراهيم وعد اباه أن يستغفر له. قال: ليس هو هكذا، إنّ أبا إبراهيم وعده أن يسلم فاستغفر له، فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله، تبرّأ منه»[6]. و في رواية: «لمّا مات تبيّن له أنّه عدوّ لله، فلم يستغفر له»[7]. والقمّي: إنّ إبراهيم قال لأبيه: إن لم

١- الكافي ٥: ١٥، ذيل الحديث الطويل: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢- القمّي ١: ٣٠٦.
٣- في المصدر: «ثمّ قرأت عليه: "التّائبون العابدون" فقال أبو جعفر عليه السلام: لا، و لكن اقرأها: "التّائبين العابدين"».
٤- العيّاشي ٢: ١١٢، الحديث: ١٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥- لم ترد كلمة «انّ» في «ب» و «ج».
٦- العيّاشي ٢: ١١٤، الحديث: ١٤٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧- المصدر، الحديث: ١٤٨، مضمراً.

تعبد الأصنام استغفرت لك، فلمّا لم يدع الأصنام تبرّأ منه [1].

أقول: و يؤيّده قوله تعالى: "إلّا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك" [2] فحمل الرّواية الأولى على وقوع الوعد من كلا الطّرفين.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾. ورد: «الأوّاه: هو الدّعّاء» [3]. و في رواية: «الأوّاه: المتضرّع إلى الله في صلاته، و إذا خلا في قفر من الأرض، و في الخلوات» [4].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ﴾: ليخذل ﴿قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ قال: «حتّى يعرّفهم ما يرضيه و ما يسخطه» [5]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم أمرهم في الحالين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ لا تتأتّى ولاية ولا نصرة إلّا من الله، فتوجّهوا بشراشركم إليه، و تبرّؤوا عمّا عداه.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾. في قراءتهم عليهم السّلام: «لقد تاب الله بالنّبيّ على المهاجرين» [6]. قال: «هكذا نزلت» [7]. و في رواية: «قيل له: إنّ العامّة تقرأ: "لقد تاب الله على النّبيّ" فقال: ويلهم! و أيّ ذنب كان لرسول الله ﷺ حتّى تاب الله منه؟ إنّما تاب الله به على أمّته» [8]. ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾. القمّي: في قصّة تبوك، هم أبوذرّ و أبو خيثمة و عميرة بن وهب، الّذين تخلّفوا ثمّ لحقوا

١ـ القمّي ١: ٣٠٦.
٢ـ الممتحنة (٦٠): ٤.
٣ـ الكافي ٢: ٤٦٦، الحديث ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٣٠٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ الكافي ١: ١٦٣، الحديث ٣؛ و العيّاشي ٢: ١١٥، الحديث ١٥٠؛ و التّوحيد: ٤١١، الباب ٦٤، الحديث ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٨٠، عن أبي الحسن الثّاني عليه السلام.
٧ـ القمّي ١: ٢٩٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الاحتجاج ١: ٩٨، عن النّبيّ ﷺ.

برسول الله ﷺ، و ذكر في عذر تخلّف أبي ذرّ: أنّ جَمَلَهُ كان أعْجَفَ[1]، فلحق بعد ثلاثة أيّام حاملاً ثيابه على ظهره، لوقوف جَمَلِه عليه في بعض الطّريق[2]، قيل: «العُسْرَة: حالهم في غزوة تبوك، كان يعتقب العَشَرَةُ على بعير واحد، و كان زادهم الشّعير المُسَوَّسُ و التّمر المُدَوَّدُ والإهالَةُ السَّنِخَةُ[3]، و بلغت الشّدّة بهم أن اقتسم التّمرة اثنان، و ربّما مصّها الجماعة؛ و كانوا في حَمارّة[4] القَيظ، و في الضِّيقة الشّديدة من القحط وقلّة الماء»[5] ﴿مِن بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ عن الثّبات على الإيمان و من اتّباع الرّسول في تلك الغزوة. القمّي: و كان الكفّار خمسة و عشرين ألف رجل، والمؤمنون خمسة و عشرين رجلاً[6]. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾. في قراءتهم عليهم السّلام: «خالفوا». قال: إنّما نزل: خالفوا، ولو خُلّفوا لم يكن عليهم عتب»[7]. القمّي: في قصّة تبوك، و قد كان تخلّف عن رسول الله ﷺ قوم من المنافقين و قوم من المؤمنين مستبصرين، لم يعثر عليهم في نفاق؛ منهم: كَعْبُ بن مالك الشّاعر، و مُرارَةُ بن الرَّبيع، و هِلالُ بن أُمَيَّةَ الواقفي، فلمّا بلغهم إقبالُ رسول الله ﷺ ندموا، فلمّا وافوا رسولَ الله ﷺ سلّموا عليه فلم يردّ عليهم السّلامَ و أعرض عنهم، و سلّموا على إخوانهم فلم يردّوا

١ـ عَجِفَ الفرس عجفاً، من باب تعب: ضَعُفَ. المصباح المنير ٢: ٤٨ (عجف).
٢ـ القمّي ١: ٢٩٤ و ٢٩٧.
٣ـ ساسَ و سَوِسَ الطَّعام، وقع فيه السُّوس (دودٌ يقع في الصّوف والطّعام) فهو مَسوس والمُسَوَّس. و داد الطّعام و دَوِّد: صار فيه الدّود فهو المَدود و المُدَوَّد. والإهالة ـ بكسر الهمزة ـ: الشحم المذاب و قيل: دهن يؤتدم به، و قيل الشحم الجامد. والسَّنِخة: المتغيّرة الرّيح، يقال: سَنِخَ الدّهن: إذا فسد و تغيّرت ريحه (راجع: القاموس و مجمع البحرين والصّحاح).
٤ـ حمارّة ـ بتخفيف الميم و شدّة الرّاء ـ: شدّة الحرّ. القاموس المحيط ٢: ١٤ (حمر). و في نسخة «ب» و «ج»: حمارة بالرّاء ـ و هي الشدّة. القاموس المحيط ٢: ١٨٠ (حمر).
٥ـ جوامع الجامع ٢: ٩٠.
٦ـ القمّي ١: ٢٩٦.
٧ـ المصدر: ٢٩٧ و فيه: «عيب» بدل «عتب».

عليهم، فبلغ ذلك أهليهم فقطعوا كلامهم، فخرجوا إلى ذِناب [1] جبل بالمدينة، فكانوا يصومون و أهلوهم يأتونهم بالطّعام، فيضعونه ناحيةً ثمّ يولّون عنهم فلا يكلّمونهم. فبقوا على هذه الحالة أيّاماً كثيرةً؛ يبكون باللّيل والنّهار و يدعون الله أن يغفر لهم، فلمّا طال عليهم الأمر حلفوا أن لا يكلّمَ أحدٌ منهم صاحبَه حتّى يموت أو يتوب الله عليه، فبقوا على هذه ثلاثة أيّام، حتّى نزلت توبتهم [2]. هذا ملخّص قصّتهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: مع سعتها، و هو مَثَلٌ لحَيْرتهم في أمرهم، كأنّهم لا يجدون في الأرض موضعَ قرارٍ، و ذلك حيث لم يكلّمهم رسول الله ﷺ ولا إخوانهم ولا أهلوهم، فضاقت المدينة عليهم حتّى خرجوا منها ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ حيث حلفوا أن لا يكلّم بعضُهم بعضاً، فتفرّقوا ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: و علموا ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾: من سخط الله ﴿إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ لما عرف صدق نيّاتهم. قال: «هي الإقالة» [3]. ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾: ليعودوا إلى حالتهم الأولى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لمن تاب، ولو عاد في اليوم مائة مرّة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾. ورد: «إيّانا عنى» [4]. و في رواية: «الصّادقون هم الأئمّة، والصّدّيقون بطاعتهم» [5]. و في أُخرى: «لمّا نزلت هذه الآية قال سلمان: يا رسول الله عامّةٌ هذه الآية أم خاصّةٌ؟ فقال: أمّا المأمورون فعامّة المؤمنين أُمِرُوا بذلك، و أمّا الصّادقون فخاصّةٌ لأخي عليّ ؑ و أوصيائي من بعده إلى

١ـ الذِّناب ـ بكسر الذّال ـ عقب كُلِّ شيء. الصّحاح ١: ١٢٨ (ذنب)
٢ـ القمّي ١: ٢٩٦.
٣ـ معاني الأخبار: ٢١٥، باب: توبة الله عزّ و جلّ على الخلق، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ؑ.
٤ـ الكافي ١: ٢٠٨، الحديث: ١، عن أبي جعفر ؑ.
٥ـ المصدر، الحديث: ٢، عن أبي الحسن الرّضا ؑ.

يوم القيامة»[1]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «من الصادقين»[2]

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ بل عليهم ان يصحبوه على البأساء والضرّاء، و يُكابِدوا معه الشّدائدَ برغبة و نشاط، كما فعله ابوذرّ و ابو خيثمة. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾: شيء من العطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾: تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾: مَجاعَة ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في طريق الجهاد ﴿وَلَا يَطَئُونَ﴾: ولا يَدُوسُون[3] بارجلهم و بحوافر خيولهم و اخفاف رواحلهم ﴿مَوْطِئًا﴾: موضعاً ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ وَطْأهم إيّاه، و يضيق صدورهم بتصرّفهم في ارضهم ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ بقتل، او اسر، او نهب ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ واستوجبوا الثّوابَ عند الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾. ارضاً في مسيرهم ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ جزاءَ ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾: و ما استقام لهم ان ينفروا جميعاً؛ لنحو غزوٍ وطلب علمٍ، كما لا يستقيم لهم ان يثبطوا[4] جميعاً. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ﴾: فهلاّ نفر من كلّ جماعة كثيرة، كقبيلةٍ و اهل بلدةٍ ﴿طَائِفَةٌ﴾: جماعة قليلة ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾: ليتكلّفوا الفقاهةَ فيه، و يتجشّموا مشاقَّ تحصيلها. ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عمّا يُنذَرونَ منه. قال: «امرهم ان ينفروا إلى رسول الله ﷺ و يختلفوا إليه فيتعلّموا، ثمّ يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم»[5]. و في

١ـ كمال الدّين ١: ٢٧٨، الباب ٢٤، الحديث ٢٥. عن امير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٨٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الدّوس: الوطء بالرِّجْل. القاموس المحيط ٢: ٢٢٥ (دوس).
٤ـ في «ج»: «أن يثبطوا».
٥ـ علل الشرايع ١: ٨٥، الباب ٧٩، الحديث: ٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.

رواية: «كان هذا حين كثر النّاس، فأمرهم الله أن ينفر منهم طائفةٌ و يقيم طائفةٌ للتّفقّه، و أن يكون الغزو نوباً»[١].

أقول. يعني يبقى مع النّبيّ ﷺ طائفة للتّفقّه و إنذار النّافرة، فيكون النّفرُ للغزو، والقعودُ للتّفقّه. و ورد: «تفقّهوا في الدّين، فإنّه مَنْ لم يتفقّه منكم في الدّين فهو أعرابيّ، إنّ الله يقول في كتابه: "ليتفقّهوا في الدّين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم"»[٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ قال. «الدّيلم»[٣].

والقمّي: يجب على كلّ قوم أن يقاتلوا من يليهم ممّن يَقْرُبُ من الإمام، ولا يجوزوا ذلك الموضعَ[٤]. ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: شدّة و صبراً على القتال. القمّي: أي: غلّظوا لهم القولَ والقتلَ[٥]. ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالحراسة والإعانة.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم﴾: فمن المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ إنكاراً و استهزاءً: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ بزيادة العلم الحاصل من تدبّر السّورة، و انضمام الإيمان بها و بما فيها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بنزولها، لأنّه سبب زيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم. و قد سبق لزيادة الإيمان و نقصانه بيان في أوائل سورة الأنفال[٦].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ قال يقول: «شكّاً إلى شكّهم»[٧]. ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾.

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٨٣، عن أبي جعفر ﷺ.
٢ ـ الكافي ١: ٣١، الحديث ٦، عن أبي عبدالله ﷺ.
٣ـ العيّاشي ٢: ١١٨، الحديث ١٦٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٤ و٥ـ القمّي ١: ٣٠٧.
٦ـ في ذيل الآية ٤.
٧ـ العيّاشي ٢: ١١٨، الحديث: ١٦٤، عن أبي جعفر ﷺ.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾: يبتلون بأصناف البليّات. القمّي: يمرضون [1] ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: تغامزوا بالعيون؛ إنكاراً لها وسخريّةً، أو غيظاً لما فيها من عيوبهم. ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي: يقولون: هل يراكم أحدٌ من المسلمين إن قمتم وانصرفتم، فإنّا لا نصبر على استماعه، وترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال فإن لم يرهم أحدٌ قاموا، وإن يرهم أحدٌ اقاموا، ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾: تفرّقوا، مخافة الفضيحة ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن الإيمان والانشراح به بالخذلان. القمّي: عن الحقّ إلى الباطل، باختيارهم الباطل على الحقّ [2]. قيل: وهو يحتمل الدّعاء والإخبار [3]. ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾. القمّي: مثلكم في الخلقة [4]. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «من أَنفَسِكُم، أي: من أشرفكم» [5]. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾: شديد شاقّ ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾: عنتكم ولقاؤكم المكروه. والقمّي: ما أنكرتم وجحدتم [6]. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾: على إيمانكم وصلاح شأنكم جميعاً ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

قال: «أي: المُلك العظيم» [7]. وورد: «"رسول من أنفسكم". قال: فينا. "عزيز عليه ما عنتّم". قال: فينا "حريص عليكم" قال: فينا. "بالمؤمنين رؤف رحيم". قال: شركنا المؤمنون في هذه الرّابعة، وثلاثة لنا» [8]. وفي رواية «فلنا ثلاثة أرباعها ولشيعتنا

١، ٢، ٤و٦ـ القمّي ١: ٣٠٨

٣ـ البيضاوي ٣: ٨٥

٥ـ جوامع الجامع ٢: ٩٤

٧ـ التّوحيد: ٣٢١، الباب ٥٠، الحديث ١، عن أبي عبدالله ﷺ

٨ـ العيّاشي ٢: ١١٨، الحديث ١٦٥، عن أبي عبدالله ﷺ

رُبعها[1]. وفي أُخرى. هكذا أنزل الله: لقد جاءنا رسول من أنفسنا عزيز عليه ما عنتنا حريص علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم»[2].



١ـ العيّاشي ٢: ١١٨، الحديث: ١٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٨: ٣٧٨، الحديث: ٥٧٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.



سورة يونس

[مكيّة، و هي مائة و تسع آيات][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة، او المحكم آياته.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ سابقةً و فضلاً، سمّيت قدماً لانّ السّبق بها، كما سمّيت النّعمة يداً لانّها باليد تُعْطىٰ، و إضافتها إلى الصّدق لتحقّقها، والتّنبيه على انّهم إنّما ينالونها بصدق القول والنّيّة. قال: «إنّ معنى "قدم صدق" شفاعة محمّد ﷺ»[2]. و في رواية: «هو رسول الله ﷺ»[3].

أقول: و هذا يرجع إلى ذاك. و في أُخرى: «بولاية امير المؤمنين عليه السلام»[4]

أقول: و هذا لانّ الولاية من شروط الشّفاعة، و هما متلازمتان.

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب»

٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٨٩، عن ابي عبدالله عليه السلام

٣ـ الكافي ٨: ٣٦٤، الحديث: ٥٥٤، عن ابي عبدالله عليه السلام.

٤ـ المصدر ١: ٤٢٢، الحديث: ٥٠، عن ابي عبدالله عليه السلام، و فيه: «ولاية امير المؤمنين عليه السلام».

﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾ اي: الرّسول ﷺ، و على قراءة. "لسحر"، يعنون الكتب و ما جاء به الرّسول ﷺ، و فيه اعتراف بأنّهم صادفوا منه أموراً خارقة للعادة، معجزة إيّاهم عن المعارضة.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾. قد سبق تفسيره عند آية السّخرة[1]. ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: يقدّره و يقضيه و يرتّبه في مراتبه على احكام عواقبه؛ والتّدبير: النّظر في ادبار الأمور لتجيء محمودة العاقبة، والامر: امر الخلق كلّه. ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾. تقرير لعظمته و عزّ جلاله، وردّ على من زعم أنّ آلهتهم تشفع لهم عند الله. ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ لا غير، إذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ وحده لا تشركوا به شيئاً ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾. يعني أنه ادنى تذكّر، ينبّه على الخطا فيما انتم عليه، و على أنّه المستحقّ للعبادة لا ما تعبدونه.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾: إليه رجوعكم في العاقبة، فاستعدّوا للقائه ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾: وَعَدَ وعداً حقاً ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾: بعدله او بعدالتهم في أمورهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ يستحقّونه بسوء اعتقادهم و شوم أعمالهم.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾: حساب الاوقات؛ من الاشهر والايّام واللّيالي ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الذي هو الحكمة البالغة ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: لا يتوقّعونه، لانكارهم البعث، و ذهولهم

١ـ الاعراف(٧): ٥٤

بالمحسوسات عمّا وراءها ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ من الآخرة لغفلتهم عنها ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾. وسكنوا إليها سكون من لا يُزعَج[1] عنها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ لا يتأمّلونها ولا ينظرون فيها.

﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ لاستقامتهم على سلوك الطريق المؤدّي إلى الجنة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾: دعاؤهم فيها: اللّهمّ إنّا نُسبّحك تسبيحاً ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾: وخاتمةُ دعائهم. ﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ الذي دعَوا به عند زجر، أو استحقّوه ﴿اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾: كما يُعجّل لهم الخيرَ ويُجيبهم إليه ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. يعني لا نعجّل لهم الشرّ، ولا نقضي إليهم أجلهم، بل نُمهِلُهم إمهالاً.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾ لدفعه مُخلصاً فيه ﴿لِجَنْبِهِ﴾ أي: مضطجعاً ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ يعني أنّه لا يزال داعياً في جميع حالاته لا يفترّ، حتّى يزولَ عنه الضرُّ. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ على طريقته الأولى قبل أن مسّه الضرّ، أو مرّ عن موقف الدّعاء والتضرّع لا يرجع إليه ﴿كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا﴾: كأنّه لم يدعنا ﴿إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ﴾: كشف ضرٍّ ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك التزيين ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الانهماك في الشّهوات، والإعراض عن العبادات، عند الرّخاء.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بالتكذيب ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ

١. أزعجه: أقلقه وقلعه من مكانه. مجمع البحرين ٢: ٣٠٤ (زعج).

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالحجج الدالّة على صدقهم ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم؛ لعلمه بإصرارهم على الكفر، و أنّه لا فائدة في إمهالهم بعد أن لزمهمُ الحجّةُ بإرسال الرّسل. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾: استخلفناكم فيها ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد القرون الّتي أهلكناهم ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: خيراً أو شرّاً.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾: قرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا[1] من ذمّ عبادة الأوثان والوعيد لعابديها ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ بأن تجعل مكان آية العذاب آية الرّحمة، و تسقط ذكرَ الآلهة و ذمّ عبادتها ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ في التّبديل والنّسخ من عند نفسي ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾: ولا أعلمكم به على لساني؛ يعني أنّ تلاوته ليست إلّا بمشيّة الله، و إحداثه أمراً عجيباً خارقاً للعادة؛ و هو أن يخرج رجل أُمّيّ لم يتعلّم ساعة من عمره، ولا نشأ في بلد فيه العلماء، فيقرأ عليكم كتاباً بهر بفصاحته كلّ كلام فصيح، مشحوناً بعلم ما كان و ما يكون. ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ﴾: فقد أقمت فيما بينكم ناشئاً[2] و كهلاً مقدار أربعين سنة فلم تعرفوني متعاطياً شيئاً من نحو ذلك فتتّهموني باختراعه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ تشفع لنا فيما يهمّنا من أمور الدّنيا والآخرة ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: أتخبرونه بما ليس بمعلوم للعالم بجميع المعلومات، يعني

١ـ في «الف»: «تغيظنا».
٢ـ نشأ ـ كمنع ـ شبّ والنّاشئ: الغلام والجارية جاوزا حدّ الصّغر. القاموس المحيط ١: ٣١ (نشأ)

بما ليس ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾. القمّي: كانت قريش يعبدون الأصنام، و يقولون. إنّما نعبدهم ليقرّبونا إلى الله زلفى، فإنّا لا نقدر على عبادة الله، فردّ الله عليهم، فقال: قل لهم: يا محمّد " أتنبّئون الله بما لا يعلم " أي: ليس. فوضع حرفاً مكان حرف، أي: ليس له شريك يعبد[1].

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ يعني: قبل بعث نوح كانوا على الفطرة؛ لامهتدين ولا ضلالاً، كما سبق بيانه[2]. ﴿فَٱخۡتَلَفُواْ﴾ ببعثة الرّسل، فتبعهم طائفة وأضرب أخرى ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ عاجلاً ﴿فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ و لتميز المحقّ من المبطل، و لكنّ الحكمة اوجبت أن تكون هذه الدّار للتكليف والاختبار، و تلك للثّواب والعقاب.

﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: من الآيات التي اقترحوها ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ﴾: هو المختصّ بعلمه، و لكلّ أمرٍ أجلٌ ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ لنزول ما اقترحتموه ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ لما يفعل الله بكم.

﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ﴾: صحّةً و سعةً ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ﴾ كمرض وقحط ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ﴾ فاجؤوا وقوع المكر منهم ﴿فِيٓ ءَايَاتِنَا﴾ بالطّعن والاحتيال في دفعها. قيل: قُحط أهلُ مكّة سبع سنين حتّى كادوا يهلكون، ثمّ لمّا رحمهم الله بالمطر، طفقوا يقدحون في آيات الله و يكيدون رسوله[3]. ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًا﴾ منكم، قد دبّر عقابكم قبل أن تُدبِّروا كيدكم. والمكر: إخفاء الكيد، و هو من الله: الاستدراج و الجزاء على المكر. ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾. إعلام بأنّ ما يظنّونه خافياً، غيرُ خافٍ على الله، و تحقيق للانتقام.

١ـ القمّي ١: ٣١٠.

٢ـ في سورة البقرة ذيل الآية: ٢١٣.

٣ـ الكشّاف ٢: ٢٣١؛ والبيضاوي ٣: ٨٩.

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾: يحملكم على السّير و يمكّنكم منه بتهيئة أسبابه ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾: في السّفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾: بمن فيها. عدل عن الخطاب إلى الغيبة؛ للمبالغة، كأنّه يذكر لغيرهم ليتعجّب من حالهم. ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾: ليّنة الهبوب ﴿وَفَرِحُوا بِهَا﴾: بتلك الرّيح ﴿جَاءَتْهَا﴾: جاءت السّفن ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: شديدة الهبوب ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ من أمكنة الموج ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي: أُهلكوا؛ يعني: سُدّت عليهم مسالكُ الخلاص، كمن أحاطت به العدوّ؛ وهو مَثَلٌ في الهلاك. ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: فاجؤُا الفسادَ فيه، و سارعوا إلى ما كانوا عليه ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: مبطلين فيه؛ و هو احتراز عن تخريب المسلمين ديارَ الكفرة، فإنّها إفساد بحقّ. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾: وباله عليكم. قال: «ثلاث يرجعن على صاحبهنّ: النّكث والبغي والمكر. ثمّ تلا هذه الآية»[1]. ﴿مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يتمتّعون متاعها ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: حالها العجيبة؛ في سرعة تقضّيها، و ذهاب نعيمها بعد إقبالها و اغترار النّاس بها ﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: زينتها ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾: و تزيّنت بأصناف النّبات و أشكالها و ألوانها المختلفة ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾: متمكّنون من حصدها و رفع غلّتها ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ ضربها عاهةٌ و آفةٌ بعد أمنهم و إيقانهم أن قد سلم ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا﴾: فجعلنا زرعها ﴿حَصِيدًا﴾: شبهاً[2] بما يُحصَدُ من الزّرع من أصله ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾: كأن لم يوجد زرعها فيما قبيله، و «الأمس»

١ـ العيّاشي ٢: ١٢١، الحديث ١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ في «ج»: «شبيهاً».

مَثَلٌ في الوقت القريب، والممثَّل به مضمون الحكاية لا الماء، وإن وليه حرف التّشبيه، لأنّه من التّشبيه المركّب. ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾: دار الله. قال: «إنّ السّلام هو الله عزّ وجلّ، وداره الّتي خلقها لعباده ولأوليائه، الجنّة»[1]. ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الّذي هو طريقها.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: المثوبة الحسنى ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: وما يزيد على المثوبة تفضّلاً. القمّي: هي النّظر إلى رحمة الله[2]. وورد: «أمّا الحسنى فالجنّة، وأمّا الزّيادة فالدّنيا، ما أعطاهم الله في الدّنيا لم يحاسبهم به في الآخرة ويجمع لهم ثواب الدّنيا والآخرة»[3]. وفي رواية: «الزّيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب»[4]. ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾: ولا يغشاها ﴿قَتَرٌ﴾: غبرة فيها سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: أثر هوان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾ لا تزاد عليها ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: من سخطه، أو من عنده ﴿مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ لفرط سوادها وظلمتها. قال: «أما ترى البيت إذا كان اللّيل كان أشدّ سواداً، فكذلك هم يزدادون سواداً»[5]. وقال: «هؤلاء أهل البدع والشّبهات والشّهوات، يسوّد الله وجوههم، ثمّ يلقونه ويلبسهم الذّلّة والصّغار»[6]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني: الفريقين ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ﴾:

١ـ معاني الأخبار: ١٧٧، ذيل الحديث: ٢، عن أبي جعفر ﷺ.
٢ـ القمّي ١: ٣١١.
٣ـ المصدر، عن أبي جعفر ﷺ.
٤ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٠٤، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٥ـ الكافي ٨: ٢٥٣، الحديث ٣٥٥، عن أبي عبدالله ﷺ، وفيه: «أشدّ سواداً من خارج فلذلك».
٦ـ القمّي ١: ٣١١، عن أبي جعفر ﷺ. والصّغار: الذّلّ والهوان. النّهاية ٣: ٣٢ (صغر).

الزموا مكانكم لا تبرحوا حتّى تنظروا ما يُفعل بكم ﴿أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: ففرّقنا بينهم، و قطعنا الوُصَل الّتي كانت بينهم. القمّي: يبعث الله ناراً تزيل بين الكفّار والمؤمنين[1]. ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ لأنّهم إنّما عبدوا في الحقيقة أهواءهم الّتي حملتهم على الإشراك لا ما أشركوا به، أو الشّياطين حيث أمروهم أن يتّخذوا[2] لله أنداداً فأطاعوهم.

﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا﴾: إنّه كنّا ﴿عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾.

﴿هُنَالِكَ﴾: في ذلك المقام ﴿تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾: تختبر ما قدّمت من عمل، فتعاين نفعه و ضرّه. ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾: ربّهم الصّادق ربوبيّته، المتولّي لأمرهم على الحقيقة، لا ما اتّخذوه مولى ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: و ضاع عنهم ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: يدّعون أنّهم شركاء الله و أنّهم تشفع لهم.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ جميعاً بأسباب سماويّة و أرضيّة؟ ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾: أمّن يستطيع خلقهما و تسويتهما و حفظهما من الآفات؟ ﴿وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: و من يحيي و يميت؟ ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾؛ إذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك؛ لفرط وضوحه. ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقابه في عبادة غيره.

﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أُريد بالكلمة كلمة العذاب، إن جعل "أنّهم لا يؤمنون" تعليلاً، و انتفاء الإيمان، إن جعل بدلاً.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.

١ـ القمّي ١: ٣١٢
٢ـ في النسخة: «أو يتّخذوا»

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ بنصب الحجج و إرسال الرّسل والتوفيق للنظر والتدبّر؟ ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي﴾. لايهتدي ﴿إِلَّا أَن يُهْدَىٰ﴾ يهديه غيرُه؟ ورد. «فأمّا من يهدي إلى الحقّ فهو محمّد و آل محمّد عليهم السّلام من بعده، و أمّا من لا يهدي إلّا ان يهدى فهو من خالف، من قريش و غيرهم، أهل بيته من بعده»[1]. ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ فيما يعتقدون ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾: مستنداً إلى خيالات فاسدة. ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ﴾: و ما صحّ و ما استقام ﴿هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: ان يكون افتراهُ من الخلق ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب المنزلة، لانّه مُعجز دونها، و هو عيارٌ عليها[2]، شاهد لصحّتها ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾: و تبيينَ ما شُرِعَ و فُرِضَ من الأحكام من قوله: «كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»[3]. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: اختلقه؟! ﴿قُلْ﴾ إن افتريتَه كما زعمتم ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ في البلاغة و حسن النّظم ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾ ان تدعوه للاستعانة به على الإتيان بمثله ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾. بل سارعوا إلى التكذيب ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ من القرآن و غيره أوّلَ ما سمعوه، قبل ان يتدبّروا فيه. ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾: و لم يقفوا بعدُ على تأويله و معانيه. ورد. إنّه سئل عن الأمور العظام من الرّجعة و غيرها، فقال: «إنّ هذا الذي تسألوني عنه لم يأت أوانه. قال الله: "بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه و لمّا يأتهم

١ـ القمّي ١: ٣١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ عيار الشيء: ما جعل نظاماً له يقاس به و يستوى. أقرب الموارد ٢: ٨٥٢ (عير)
٣ـ النّساء (٤): ٢٤.

تأويله»[1]. والقمّي: نزلت في الرّجعة، كذّبوا بها. أي: أنّها لا تكون[2] ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أنبياءهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ﴾ في نفسه و يعلم أنّه حقّ و لكنّه يعاند، أو و منهم من يؤمن به في المستقبل. ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ في نفسه لفرط غباوته[3] و قلّة تدبّره، أو فيما يستقبل و يُصرّ على الكفر. قال: «هم أعداء آل محمّد عليهم السّلام من بعده»[4] ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يعني: و إن يئستَ من إجابتهم و أصرّوا على تكذيبك فتبرّأ منهم و خلّهم، فقد أعذرتَ إليهم. قيل: هي منسوخة بآية القتال[5].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن و علّمت الشّرائع، و لكن لا يقبلون، كالأصمّ الّذي لا يسمع. ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾: تقدر على إسماعهم ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾: ولو انضمّ إلى صَمَمِهم عدمُ تعقّلهم؟! يعني أنّ حقيقة استماع الكلام ليست إلّا فهمَ المعنى المقصود منه، و ليس ذلك فيهم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ و يُعاينون دلالات نبوّتك، و لكن لا يصدّقون. ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾: تقدر على هدايتهم ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾: و إن انضمّ إلى عدم البَصَر عدمُ البصيرة؟!

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ ممّا يتّصل بمصالحهم من الحواسّ والعقول. ﴿وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بإفسادها و تفويت منافعها عليهم. ورد: «إنّ الله الحليمَ العليمَ

١- العيّاشي ٢: ١٢٢، الحديث: ٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢- القمّي ١: ٣١٢.
٣- غَبا الشّيءَ و عنه غباً و غباوةً: لم يفطن له. القاموس المحيط ٤: ٣٧٠ (غبا).
٤- القمّي ١: ٣١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥- مجمع البيان ٥-٦: ١١١؛ والكشّاف ٢: ٢٣٨.

إنّما غضبُهُ على من لم يقبل منه رضاه، و إنّما يمنع من لم يقبل منه عطاه، و إنّما يُضِلُّ من لم يقبل منه هداه»[١].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾: يستقصرون مدّة لبثهم في الدّنيا، أو القبور؛ لهول ما يرون. ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يعرف بعضهم بعضاً، كأنّهم لم يتفارقوا إلّا قليلاً ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب في حياتك، كما أراه يوم بدر ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن نُريك ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فنريكه في الآخرة ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾. مجاز عليه ذكر الشّهادة، و أراد مقتضاها، و لذلك رتّبها على الرّجوع بـ «ثمّ»، أو المراد:[٢] يشهد على أفعالهم يوم القيامة.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ بالبيّنات فكذّبوه، أو يوم القيامة ليشهد عليهم ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم﴾ بين الرّسول و مكذّبيه ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل؛ فأنجي الرّسولُ و عُذّبَ المكذّبون ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. قال: «تفسيرها في الباطن، أنّ لكلّ قرن من هذه الأمّة رسولاً من آل محمّد عليهم السّلام يخرج إلى القرن الّذي هو إليهم رسول؛ و هم الأولياء، و هم الرّسل. و أمّا قوله: "فإذا جاء رسولهم قُضي بينهم بالقسط" فإنّ معناه: أنّ رسل الله يقضون بالقسط و هم لا يظلمون»[٣].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾. استعجالٌ لما وُعدوا من العذاب واستبعاد له. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾. شاركوا النّبيّ ﷺ والمؤمنين[٤] في الخطاب.

﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فكيف أملك لكم الضّرّ؟! ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾

١ـ الكافي ٨: ٥٢، الحديث: ١٦، عن أبي جعفر ؈
٢ـ في «الف»: «والمراد»
٣ـ العيّاشي ٢: ١٢٣، الحديث: ٢٣، عن أبي جعفر ؈
٤ـ في جميع النّسخ: «شاركوا النّبيّ ﷺ المؤمنين» بدون الواو، والصّواب ما أثبتناه كما في الصّافي ٢: ٤٠٥

ان املكه، او ما شاء وقوعه فيقع ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: لهلاكهم. قال: «هو الّذي سُمّي لملك الموت في ليلة القدر»[1] ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: اخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾ الّذي تستعجلون به ﴿بَيَاتًا﴾: وقت بيات و اشتغالٍ بالنّوم ﴿أَوْ نَهَارًا﴾: حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾: أيّ شيء من العذاب يستعجلونه، و ليس شيء منه يوجب الاستعجال؟ وُضِعَ المجرمون موضع الضّمير، للدلالة على أنّهم لجرمهم ينبغي ان يَفزَعُوا لمجيء الوعيد لا ان يستعجلوه. قال: «هذا عذاب ينزل في آخر الزّمان على فسقة أهل القبلة، و هم يجحدون نزول العذاب عليهم»[2].

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾ بعد وقوعه، حين لا ينفعكم الإيمان به؟ ﴿آلْآنَ﴾ على إرادة القول، اي: قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب: آلآن آمنتم به ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ تكذيباً و استهزاءً.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾: و يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾: احقّ ما تقول من الوعد والوعيد و غير ذلك. قال: «ما تقول في عليّ عليه السلام»[3]. و في رواية: «و يستنبئك اهل مكّة عن عليّ عليه السلام إمام هو؟»[4]. ﴿قُلْ إِي﴾: نعم ﴿وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين إيّاه.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من خزائنها و اموالها ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾: لجعلته فديةً لها من العذاب. ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ لانّهم بُهِتُوا عمّا عاينوا ممّا لم يحتسبوه من فظاعة الامر و هوله. القمّي: «ظَلَمَتْ» يعني آل محمّد عليهم السّلام

١ـ العيّاشي ٢: ١٢٣، الحديث ٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣١٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ٤٣٠، الحديث ٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الامالي (للصدوق): ٥٣٦، المجلس السادس والتّسعون، الحديث ٧، عن ابي عبدالله، عن ابيه عليهما السّلام

حقّهم، "لافتدت به" يعني في الرّجعة[1]. وورد: إنّه سئل: ما ينفعهم إسرار النّدامة وهم في العذاب؟ قال: «كرهوا شماتة الأعداء»[2]. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ أي: بين الظّالمين والمظلومين ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. تقرير لقدرته على الإثابة والعقاب. ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ لا خلف فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأنّ علمهم لا يتجاوز الظّاهر من الحياة الدّنيا.

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ قال: «الشفاء من أمراض الخواطر و مشتبهات الأمور»[3]. و في رواية: «من نفث الشّيطان»[4]. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾. قال: «فضل الله: رسوله[5]ﷺ، و رحمته: عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[6]. و في رواية: «فضل الله: نبوّة نبيّكم، و رحمته: ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام "فبذلك" قال: بالنبوّة والولاية "فليفرحوا"، يعني الشّيعة»[7]. ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قال: «يعني مخالفيهم من الأهل والمال والولد في دار الدّنيا»[8].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم﴾: أخبروني ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ حلال كلّه ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾: فجعلتم بعضه حراماً و بعضه حلالاً مثل: "هذه أنعام وحرث"

١ـ القمّي ١: ٣١٣.
٢ـ المصدر، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ البحار ٢: ١٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ الكافي ٨: ٤٤، ذيل الحديث ٨، مرفوعة.
٥ـ في «ب» و «ج»: «رسول الله».
٦ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١١٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧و٨ ـ الأمالي (للصّدوق): ٤٠٠، المجلس الرّابع والسّتّون، ذيل الحديث ١٣، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السّلام.

حجر[١] «ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا و محرّم على أزواجنا»[٢].

﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في التّحريم والتّحليل ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ في نسبة ذلك إليه.

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ : أيّ شيء ظنّهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أيحسبون أن لا يجازوا عليه؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾ : في أمر ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ﴾ : من الشأن ﴿مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ : تخوضون فيه و تندفعون.

القمّي: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ هذه الآية بكى بكاءً شديداً[٣]. ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ : و ما يبعد و ما يغيب عن علمه ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ : ما يوازن نملة صغيرة، أو هباءة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من لحوق مكروه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بفوات مأمول.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾. بيان لأولياء الله، أو استيناف خبره ما بعده. قال: «هم نحن و أتباعنا ممّن تبعنا من بعدنا، طوبى لنا و طوبى لهم، و طوباهم أفضل من طوبانا. قيل: ما شأن طوباهم أفضل من طوبانا؟ ألسنا نحن و هم على أمر؟ قال: لا، إنّهم حملوا ما لم تحملوا، و أطاقوا ما لم تطيقوا»[٤].

و في رواية: «طوبى لشيعة قائمنا، المنتظرين لظهوره في غيبته، والمطيعين له في ظهوره، أُولئك أولياء الله الّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[٥]. و في أُخرى: «هم

١ـ الأنعام (٦): ١٣٨.
٢ـ الأنعام (٦): ١٣٩.
٣ـ القمّي ١: ٣١٣.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٢٤، الحديث: ٣٠، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٥ـ كمال الدين ٢: ٣٥٧، الباب: ٣٣، الحديث: ٥٤، عن أبي عبدالله ﷺ.

الّذين يُذكَرُ[١] الله برؤيتهم، يعني في السَّمْتِ والهيئة»[٢]. و في أُخرى: «إنّ أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً، و نظروا فكان نظرهم عبرةً، و نطقوا فكان نطقهم حكمةً، و مشوا فكان مشيهم بين النّاس بركةً، لولا الآجال الّتي كتبت عليهم لم تقرّ أرواحهم في أجسادهم، خوفاً من العذاب و شوقاً إلى الثّواب»[٣]. و في أُخرى: «"ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" إذا أدّوا فرائض الله، و أخذوا بسنن رسول الله، و تورّعوا عن محارم الله، و زهدوا في عاجل زهرة الدّنيا، و رغبوا فيما عند الله، واكتسبوا الطّيّب من رزق الله، لا يريدون التّفاخر والتّكاثر، ثمّ أنفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبة، فأولئك الّذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا، و يُثابون على ما قدّموا لآخرتهم»[٤].

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾. قال: «هي الرّؤيا الحسنة يراها المؤمن أو يُرى له»[٥]. ﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ قال: «هي بشارة المؤمن عند الموت بالمغفرة»[٦]. و في رواية: «بالجنّة»[٧]. و هو قوله تعالى: "ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ"[٨] و ورد: «يبشّرهم بقيام القائم عليه السلام و بظهوره و بقتل أعدائهم، و بالنّجاة في الآخرة، والورود على محمّد و آله الصّادقين على الحوض»[٩]. و في رواية: «إذا وقعت نَفْسُهُ في صدره يرى رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقول له: أنا رسول الله صلى الله عليه وآله أبشر، ثمّ يرى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فيقول: أنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام الّذي كنتَ تُحبّه، أنا أنفعك

١ـ في «ب»: «يذكرون الله» و هو تصحيف.
٢ـ جوامع الجامع ٢: ١١٩، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله. والسَّمْتُ: هيئة أهل الخير؛ يقال: ما أحسن سَمْتَهُ، أي: هَدْيَهُ. الصحاح ١: ٢٥٤ (سمت).
٣ـ الكافي ٢: ٢٣٧، الحديث: ٢٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٢٤، الحديث: ٣١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام؛ و جوامع الجامع ٢: ١١٩، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، و فيهما: «أو ترى له»؛ و في الكافي ٨: ٩٠، الحديث: ٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت.
٦ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٨٠، الحديث: ٣٥٦، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٧ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٢٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ النّحل (١٦): ٣٢.
٩ـ الكافي ١: ٤٢٩، الحديث: ٨٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

اليوم. قال: و ذلك في القرآن قوله عزّ و جلّ: «الّذين آمنوا و كانوا يتّقون لهم البشرى في الحيوة الدّنيا و في الآخرة»[١]. ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: لا تغيير[٢] لأقواله ولا إخلاف لمواعيده؛ و هو اعتراض. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾: تكذيبهم و تدبيرهم في إبطال أمرك، و ساير ما يتكلّمون به في شأنك. ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: إنّ الغلبة والقهر جميعاً للّه، لا يملك أحدٌ شيئاً منهما غيره، فهو يغلبهم و ينصرك عليهم. ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لما يقولون و بما يعزمون.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ يعني لا يتّبعون شركاء؛ فاقتُصِرَ على أحدهما، أي: شركاء على الحقيقة وإن كانوا يسمّونها شركاء. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: إلّا ظنّهم أنهم شركاء ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يقدّرون تقديراً باطلاً، و يجوز أن يكون «ما» في: «و ما يتّبع» استفهاميّة، أو موصولة معطوفة على «مَن».

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ يقيمون به رياستهم في الكفر ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي﴾: عظم و شقّ

١ ـ الكافي ٣: ١٣٣، الحديث ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ في «ج»: «لا تغيّر».

مكاني، أو إقامتي[1] بينكم مدّة مديدة، أو قيامي على الدّعوة ﴿وَتَذْكِيرِي﴾ إيّاكم ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾. فاعزموا على ما تريدون مع شركائكم، واجتمعوا على السّعي في إهلاكي ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: مستوراً، واجعلوه ظاهراً مكشوفاً؛ من غمّه: إذا ستره. والقمّي: لا تغتمّوا[2].

﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾: أدّوا إليّ ذلك الأمر الذي تريدون بي. والقمّي: ثمّ ادعوا عليّ[3] ﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾: ولا تمهلوني.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ يوجب تولّيكم، لثقله عليكم، واتّهامكم إيّاي لأجله ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين لحكمه.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: فاصرّوا على تكذيبه في المدّة الطّويلة ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ من الغرق ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾: خلفاء لمن هلك بالغرق[4] ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ قال: «يعني في الميثاق»[5]. وورد في تفسيرها: «بعث الله الرّسل إلى الخلق وهم في أصلاب الرّجال وأرحام النّساء، فمن صدّق حينئذ صدّق بعد ذلك، ومن كذّب حينئذ كذّب بعد ذلك»[6]. وقد مرّ فيه حديث آخر في الأعراف[7]. ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾

١ـ في «ب»: «أو إقامتي».
٢و٣ـ القمي ١: ٣١٤.
٤ـ في «ب»: «لمن هلك بالغرق في الأرض».
٥ـ الكافي ١: ٤٢٨، حديث ٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام، في تفسير الآية ١٥٨ من سورة الأنعام.
٦ـ العيّاشي ٢: ١٢٦، الحديث ٣٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ في ذيل الآية ١٠١.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ﴾: إنّه لسحر. حذف محكيّ القول لدلالة ما قبله و ما بعده عليه، او المعنى: أتعيبُونَ الحقَّ و تطعنُونَ فيه؟ ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾ قيل: استيناف بإنكار ما قالوه و ليس بمحكيّ القول، لأنهم بتّوا القول[١]. ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾.

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا ﴾: لتصرفنا ﴿ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾: حاذق فيه.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾.

﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ﴾ اي: الذي جئتم به هو السّحر لا ما سمّيتموه سحراً. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾.

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾: اولاد. قيل: اي: طائفة من شبّانهم[٢].

﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾: ان يعذّبهم ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ في الكبر والعتوّ والظلم والفساد، حتّى ادّعى الرّبوبيّة واسترقّ أسباط الأنبياء.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾ لمّا رأى تخوّف المؤمنين به. ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ ﴾: فثقوا به و أسندوا أمركم إليه واعتمدوا عليه، ولا تخافوا من فرعون و قومه

٨ ـ النحل (١٦): ٣٢

﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾: مستسلمين لقضاء الله مخلصين له؛ و ليس هذا تعليق الحكم بشرطين، فإنّ المعلّق بالإيمان وجوبُ التوكّل، فإنّه المقتضي له؛ و المشروط بالإسلام حصولُه، فإنّه لا يوجد مع التّخليط؛ نظيره: إن دعاك فلان فأجبه إن قدرت.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قال: «لا تسلّطهم علينا فتفتنهم بنا»[1] وفي رواية: «استعبدهم آل فرعون و قالوا: لو كان لهؤلاء كرامة كما يقولون، ما سلّطنا عليهم. فقال موسى لقومه: "يا قوم" الآية»[2].

أقول: هذه الرّواية تفسّر الأولى[3]. و قيل: أي: لا تسلّطهم علينا فيفتنونا عن ديننا أو يعذّبونا[4].

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: من كيدهم و استعبادهم إيّانا.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾: اتّخذاها لهم مباءة[5]، أي: مرجعاً يرجعون إليه للعبادة ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: مصلّى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فيها. قال: «لمّا خافت بنو إسرائيل جبابرتها، أوحى الله إلى موسى و هارون "أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً، واجعلوا بيوتكم قبلة". قال: أُمروا أن يصلّوا في بيوتهم»[6].

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنّصرة في الدّنيا والجنّة في العقبى.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً﴾: ما يتزيّن به من اللّباس والفرش والمراكب ونحوها ﴿وَأَمْوَالًا﴾: و أنواعاً من المال ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾. القمّي: أي: يفتنوا النّاس بالأموال، ليعبدوه ولا يعبدوك[7]. واللّام

١ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٢٨؛ والعيّاشي ٢: ١٢٧، الحديث. ٣٨، عن الصّادقين عليهما السّلام.
٢ـ القمّي ١: ٣١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ في «ب»: «تفسيرُ الأولى».
٤ـ تفسير أبي السعود ٤: ١٧١.
٥ـ في «الف» و «ج»: «مباءة» و في «ب»: «مباءًا».
٦ـ القمّي ١: ٣١٥، عن موسى بن جعفر عليهما السّلام.
٧ـ المصدر: ٣١٥

للعاقبة. ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾: أهلكها و امحقها ﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ و اقسها واطبع عليها، حتّى لا تنشرح للإيمان ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾. لمّا لم يبق له طمع في إيمانهم اشتدّ غضبه عليهم، فدعا الله عليهم بما علم أنّه لا يكون غيره.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ يعني موسى و هارون. قال: «دعا موسى و أمّن هارون و أمّنت الملائكة»[1]. ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾: فاثبتا على ما أنتما عليه من الدّعوة و إلزام الحجّة ولا تستعجلا، فإنّ ما طلبتما كائن، و لكن في وقته. ورد: «كان بين قول الله: "قد أجيبت دعوتكما" و بين أخذ فرعون أربعون سنة»[2]. ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في الاستعجال و عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿آلْآنَ﴾: أتؤمن الآن و قد أيست من نفسك و لم يبق لك اختيار ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾: قبل ذلك مدّة عمرك ﴿وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾. الضالّين المضلّين عن الإيمان.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾: ننقذك عارياً عن الرّوح، ممّا وقع فيه قومك من السحر او نلقيك على نَجْوَةٍ من الأرض، و هي المكان المرتفع ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾: علامةً يظهر لهم عبوديّتك و مهانتك ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾: لا يتفكّرون فيها ولا يعتبرون بها.

قال: «إنّ قوم فرعون ذهبوا أجمعين في البحر فلم يُرَ منهم أحدٌ، هَوَوا في البحر إلى النّار، و أمّا فرعون فنبذه الله وحده، فألقاه بالسّاحل لينظروا إليه و ليعرفوه، ليكون لمن خلفه آيةً، و لئلاّ يشكّ أحد في هلاكه، إنّهم كانوا اتّخذوه ربّاً فأراهم الله إيّاه جيفةً ملقاةً

١ـ الكافي ٢: ٥١٠، الحديث ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله.
٢ـ العياشي ٢: ١٢٧، الحديث ٤٠؛ والكافي ٢: ٤٨٩، الحديث ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيهما: «أربعين سنة».

بالسّاحل ليكون لمن خلفه عبرةً و عظةً. يقول الله: «و إنّ كثيراً من النّاس عن آياتنا لغافلون»»[١].

و في رواية. «و قد كان فرعون من قرنه إلى قدمه في الحديد، قد لبسه على بدنه، فلمّا غرق ألقاه الله على نجوةٍ من الأرض ببدنه، ليكون لمن بعده علامةً، فيرونه مع تثقّله بالحديد على مرتفع من الأرض و سبيل الثّقيل[٢] أن يرسب ولا يرتفع، فكان ذلك آيةً و علامةً، و لعلّة أُخرى أغرقه الله، و هي أنّه استغاث بموسى لمّا أدركه الغَرَقُ و لم يستغث بالله، فأوحى الله إليه: يا موسى لم تُغِثْ فرعون، لأنّك لم تخلقه، ولو استغاث بي لأغثته»[٣].

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: منزلاً صالحاً مرضياً و هو الشّام و مصر. القمّي: ردّهم إلى مصر و غرق فرعون[٤]. ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: اللّذائذ ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ في أمر دينهم و ما تشعّبوا شعباً ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بدين الحقّ و قرؤوا التّوراة و علموا أحكامها، و في أمر محمّد ﷺ، إلاّ من بعد ما علموا صدقه بنعوته و تظافر معجزاته. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيميز المحقّ من المبطل، بالإنجاء والإهلاك.

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. قال: «المخاطب بذلك رسول الله ﷺ و لم يكن في شكّ ممّا أنزل الله، و لكن قالت الجهلة: كيف

١ـ القمّي ١: ٣١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ في «ب»: «و سبيل الثّقل» و في «العـ»: «و سبيل الثّقيل يرسب» و ما في المتن موافق للمصدر.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٨، الباب: ٣٢، الحديث: ٧.
٤ـ القمّي ١: ٣١٦.

لا يبعث إلينا نبيّاً من الملائكة، لنفرق بينه و بين غيره في الاستغناء عن المأكل والمشرب والمشي في الأسواق؟ فأوحى الله إلى نبيّه: "فاسأل الّذين يقرؤون الكتب من قبلك" بمحضر من الجهلة، هل بعث الله رسولاً قبلك إلّا و هو يأكل الطّعام و يمشي في الأسواق؟ و لك بهم أسوة، و إنّما قال: "فإن كنت في شكّ" و لم يكن، ولكن ليتّبعهم، كما قال: "فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّهِ عَلَى الْكاذِبينَ"[١] ولو قال: تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم، لم يكونوا يجيبون للمباهلة، فقد عرف أنّ نبيّه ﷺ مؤدّ عنه رسالته و ما هو من الكاذبين و كذلك عرف النّبيّ ﷺ أنّه صادق فيما يقول، و لكن أحبّ أن ينصف من نفسه»[٢].

و ورد: «قال رسول الله ﷺ: لا أشكّ و لا أسأل»[٣].

و في رواية: «لمّا أسري برسول الله ﷺ إلى السّماء، و أوحى الله إليه في عليّ ﷺ ما أوحى، من شرفه و من عظمته عند الله، ورد إلى البيت المعمور و جمع له النّبيّين و صلّوا خلفه، عرض في نفس رسول الله ﷺ من عظم ما أوحى إليه في عليّ ﷺ، فأنزل الله: "فإن كنت في شكّ ممّا أنزلنا إليك فاسأل الّذين يقرؤون الكتاب من قبلك" يعني الأنبياء. فقد أنزلنا إليهم في كتبهم من فضله ما أنزلنا في كتابك "لقد جاءك الحقّ من ربّك فلا تكوننّ من الممترين ولا تكوننّ من الّذين كذّبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين". قال: فوالله ما شكّ و ما سأل»[٤].

١ـ آل عمران (٣): ٦١.
٢ـ العيّاشي ٢: ١٢٨، الحديث ٤٢؛ و علل الشّرايع ١: ١٢٩، الباب ١٠٧، الحديث ١، عن أبي الحسن الهادي ﷺ.
٣ـ علل الشّرايع ١: ١٣٠، الباب ١٠٧، الحديث: ٢، مرفوعاً عن أحدهما عليهما السّلام.
٤ـ القمّي ١: ٣١٦، عن أبي عبدالله ﷺ.

أقول: و على كلتا الرّوايتين، فالخطاب من قبيل: إيّاك أعني واسمعي يا جاره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بأنّهم يموتون كفّاراً ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ و حينئذ لا ينفعهم، كما لم ينفع فرعون.

﴿فَلَوْلَا﴾: فهلاّ ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ من القرى الّتي أهلكناها ﴿آمَنَتْ﴾ قبل معاينة العذاب، و لم تؤخّر إليها كما أخّر فرعون إلى أن أدركه الغرق ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾ بأن يقبله الله منها، و يكشف العذاب عنها ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾: لكنّ قوم يونس ﴿لَمَّا آمَنُوا﴾ أوّل ما رأوا أمارة العذاب و لم يؤخّروه إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾. و يجوز أن تكون الجملة في معنى النّفي، لتضمّن حرف التّحضيض معناه، فيكون الاستثناء متّصلاً، كأنّه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلّا قوم يونس.

قال: «ما ردّ الله العذاب إلّا عن قوم يونس، و كان يونس يدعوهم إلى الإسلام فأبوا ذلك، فهمّ أن يدعو عليهم، و كان فيهم رجلان عابد و عالم، و كان اسم أحدهما «مليخا» والآخر اسمه «روبيل»، و كان العابد يشير على يونس بالدّعاء عليهم، و كان العالم ينهاه و يقول: لا تدعُ عليهم، فإنّ الله يستجيب لك ولا يحبّ هلاك عباده. فقبل قولَ العابد و لم يقبل من العالم، فدعا عليهم، فأوحى الله إليه: يأتيهم العذاب في سنة كذا و كذا، في شهر كذا و كذا، في يوم كذا و كذا، فلمّا قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد، و بقي العالم فيها، فلمّا كان في ذلك اليوم نزل العذاب. فقال العالم لهم: يا قوم افزعوا إلى الله، فلعلّه يرحمكم فيردّ العذاب عنكم. فقالوا: كيف نصنع؟ قال: اخرجوا إلى المفازة، و فرّقوا بين النّساء والأولاد، و بين الإبل و أولادها، و بين البقر و أولادها، و بين الغنم و أولادها، ثمّ ابكوا وادعوا. فذهبوا و فعلوا ذلك

وضجّوا[1] وبكوا، فرحمهم الله وصرف عنهم العذاب وفرّق العذاب على الجبال، وقد كان نزل وقرب منهم»[2] الحديث. ويأتي تمامه في سورة الأنبياء إن شاء الله[3].

وفي رواية: «أصبحوا أوّل يوم ووجوههم صفر، وأصبحوا اليومَ الثاني ووجوههم سود، وأتاهم العذاب حتّى نالوه برماحهم، ففرّقوا بين الأمّهات وأولادهنّ، ولبسوا المسوح والصوف، ووضعوا الحبال في أعناقهم والرّماد على رؤوسهم، وضجّوا ضجّةً واحدةً إلى ربّهم وقالوا: آمنّا بإله يونس. فصرف الله عنهم العذاب، وأصبح يونس وهو يظنّ أنّهم هلكوا فوجدهم في عافية»[4].

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

قال: «إنّ المسلمين قالوا: لو أكرهتَ يا رسول الله من قدرتَ عليه من النّاس على الإسلام، لكثر عددنا وقوّتنا على عدوّنا[5]. فقال: ما كنت لألقى الله ببدعة لم يحدث إليّ فيها شيئاً، وما أنا من المتكلّفين، فأنزل الله عليه: يا محمّد "ولو شاء ربّك لآمن مَن في الأرض كلّهم جميعاً" على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدّنيا، كما يؤمن عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقّوا منّي ثواباً ولا مدحاً، ولكنّي أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرّين ليستحقّوا منّي الزّلفى والكرامة ودوامَ الخلود في جنّة الخلد "أفأنت تكره النّاس حتّى يكونوا مؤمنين". وأمّا قوله: "وما كان

1ـ في «القمّي»: «فضجّوا».
2ـ القمّي ١: ٣١٧ـ٣١٨، عن أبي عبد الله عليه السلام. ونحوه بالتفصيل في العيّاشي ٢: ١٢٩ـ١٣٤، الحديث: ٤٤، عن أبي جعفر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
3ـ في ذيل الآية: ٨٧.
4ـ العيّاشي ٢: ١٣٦، الحديث: ٤٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
5ـ في المصدر: «لو قوينا على عدوّنا».

لنفس أن تؤمن إلّا بإذن الله" [فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها، ولكن على معنى أنّها ما كانت لتؤمن إلّا بإذن الله][1] وإذنه: أمره لها بالإيمان، ما كانت مكلّفة متعبّدة، وإلجاؤه[2] إيّاها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبّد عنها»[3].

﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من عجائب صنعه ليدلّكم على وحدته وكمال قدرته. ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾. "ما" نافية، أو استفهامية. قال: «الآيات: الأئمّة، والنّذر: الأنبياء عليهم السّلام»[4].

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ﴾: مثل وقايعهم ونزول بأس الله بهم، إذ لا يستحقّون غيرها ﴿قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني نهلك الأمم ثمّ ننجي ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ حقّ ذلك علينا حقّاً، وهو اعتراض. ﴿نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: حين نهلك المشركين. قال: «ما يمنعكم أن تشهدوا على من مات منكم على هذا الأمر أنّه من أهل الجنّة، إنّ الله يقول: "كذلك حقّاً علينا ننجي المؤمنين"»[5].

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ وصحّته ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾. خصّ التوفّي بالذكر للتهديد. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدّقين بالتوحيد، فهذا ديني.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: وأمرت بالاستقامة والسّداد في الدّين، بأداء الفرائض والانتهاء عن القبائح ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

١ـ ما بين المعقوفتين لم ترد في «الف».
٢ـ في المصدر: «وإلجاؤه».
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٣٥، الباب ١١، الحديث ٣٣.
٤ـ الكافي ١: ٢٠٧، حديث ١؛ والقمّي ١: ٣٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ العيّاشي ٢: ١٣٨، الحديث ٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ إن دعوته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن خذلته ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾: فإن دعوته ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ فإنّ الشّرك لظلم عظيم. القمّي: مخاطبة للنّبيّ والمعنيّ النّاس[1].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾. ذكر المسّ مع الضرّ والإرادة مع الخير تنبيهٌ على أنّ الخير مراد بالذّات، و انّ الضرّ إنّما مسّهم لا بالقصد الاوّل، و وضع الفضل موضع الضّمير للدلالة على انّه متفضّل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه، و لم يستثن لانّ مراد الله لا يمكن ردّه ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بالخير ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ فتعرّضوا لرحمته[2] بالطّاعة، ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ و لم يبق لكم عذر ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾: اختار الهدى بالإيمان والطّاعة ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لانّ نفعه لها ﴿وَمَن ضَلَّ﴾: اختار الضّلال بالجحود ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لانّ وباله عليها ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: بحفيظ موكول إليّ أمركم وحملكم على ما أريد، إنّما أنا بشير و نذير.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ بالامتثال والتّبليغ ﴿وَاصْبِرْ﴾ على دعوتهم و احتمال أذاهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ لك بالنّصر والغلبة ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لانّه لا يحكم إلّا بالحقّ والعدل.

١ـ القمّي ١: ٣٢٠.
٢ـ في «ب»: «فتعرّضوا الرّحمة».

سورة هود

[مكيّة إلا الآيات ١٢ و ١٧ و ١١٤، وآياتها مائة وثلاث وعشرون آية] [١]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾: نُظِمت نظماً محكماً لا نقص فيه ولا خلل، كالبناء المحكم ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بدلائل التوحيد والمواعظ والاحكام والقصص. و معنى «ثمّ» التراخي في الحال لا في الوقت. قال: «هو القرآن» [٢]. ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد.

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك والمعصية ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾: يعيشكم في امن ودعة ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو آخر اعماركم ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ في دينه ﴿فَضْلَهُ﴾: جزاء فضله في الدنيا والآخرة ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ القمّي: يعني الدخان والصيحة [٣].

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٢ـ القمّي ١: ٣٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٢١.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على تعذيبكم أشدّ عذاب.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾: يعطفونها ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾. قال: «إنّ المشركين كانوا إذا مرّوا برسول الله ﷺ حول البيت طأطأ أحدهم ظهره و رأسه هكذا، و غطّى رأسه بثوبه حتّى لا يراه رسول الله ﷺ فأنزل الله الآية»[1]. والقمّي: يكتمون ما في صدورهم من بغض عليّ عليه السلام[2]. ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: يتغطّون بثيابهم ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. القمّي: كان النبيّ ﷺ إذا حدّث بشيء من فضل عليّ عليه السلام، أو تلا عليهم ما أنزل الله فيه، نفضوا ثيابهم[3] ثمّ قاموا، يقول الله: "يعلم ما يسرّون و ما يعلنون" حين قاموا[4].

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ لتكفّله إيّاه تفضّلاً و رحمة ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ قال: «من الأرحام والظّهور إلى أن يتناهى[5] بهم الغايات»[6]. ﴿كُلٌّ﴾ من الدّوابّ و رزقها و مستقرّها و مستودعها ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: مذكور في اللّوح المحفوظ.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾. سبق تأويله[7]. ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ قبل خلقهما. قال: «يعني أنّ الله حمّل دينه و علمه الماء قبل أن يكون سماء أو أرض أو جنّ أو إنس أو شمس أو قمر»[8]. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: خلقهنّ لحكمة بالغة، و هي أن يجعلها مساكن لكم، و ينعم عليكم بفنون النّعم،

١ـ الكافي ٨: ١٤٤، الحديث: ١١٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣٢١.
٣ـ نفض الثّوب: حرّكه لينتفض. القاموس المحيط ٢: ٣٥٩ (نفض).
٤ـ القمّي ١: ٣٢١.
٥ـ في المصدر: «تتناهى».
٦ـ نهج البلاغة (للصبحي الصالح): ١٢٣، الخطبة: ٩٠.
٧ـ في سورة الأعراف (٧): ٥٤.
٨ـ التوحيد: ٣١٩، الباب: ٤٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

و يكلّفكم و يعرّضكم لثواب الآخرة، و يفعل بكم ما يفعل المبتلي لأحوالكم، ليظهر أيّكم أحسن عملاً. قال: «ليس يعني أكثركم عملاً، و لكن أصوبكم عملاً، و إنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصادقة»[1] و روي: «أيكم أحسن عقلاً، و أورع عن محارم الله، و أسرع في طاعة الله»[2]. ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾. تمويه لا حقيقة له.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾: إلى جماعة من الأوقات قليلة. قال: «يعني به الوقت»[3]. و في رواية: «الأمّة المعدودة أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر»[4]. و في أُخرى: «يعني عِدّةً كعدّة بدر»[5]. ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ استعجالاً واستهزاءً: ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾: ما يمنعه من الوقوع ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ قال: «يعني العذاب»[6]. ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: و أحاط بهم؛ وُضِعَ الماضي موضعَ المستقبل تحقيقاً و مبالغةً في التهديد.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ﴾: شديد اليأس من أن تعود إليه تلك النّعمة ﴿كَفُورٌ﴾: عظيم الكفران لنعمه.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ كصحّة بعد سقم و غنى بعد عُدْم. في اختلاف الفعلين في الإسناد نكتة لا تخفى. ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ أي: المصائب الّتي ساءتني و حزنتني ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾: أشِرٌ بطِرٌ مغترّ بها ﴿فَخُورٌ﴾ على النّاس بما أنعم الله عليه، قد شغله الفرحُ والفخرُ عن الشكر والقيام بحقّها.

و في لفظتي الإذاقة والمسّ تنبيه على أنّ ما يجده الإنسان في الدّنيا من النّعم والمحن كالأُنموذج لما يجده في الآخرة، و أنّه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء؛ لأنّ الذوق

١ـ الكافي ٢: ١٦، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام، و فيه: «أكثر صلاة».
٢ـ الكشّاف ٢: ٢٦٠؛ والبيضاوي ٣: ١٠٢، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ و ٤ـ القمّي ١: ٣٢٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ و ٦ـ العيّاشي ٢: ١٤٠، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

إدراكُ الطّعم، وللمسّ مبدءُ الوصول.

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ في الشدّة على الضرّاء، إيماناً بالله و استسلاماً لقضائه ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في الرّخاء، شكراً لآلائه؛ سابقها ولا حقها ﴿أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾: تترك تبليغه مخافة ردّهم و استهزائهم ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾ ينفقه في الاستتباع، كالملوك ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يصدّقه؟ ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾: ليس عليك إلّا الإنذار بما أُوحي إليك ولا عليك، ردّوا، او اقترحوا، فما بالك يضيق به صدرك ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ لا انت، فتوكّل عليه فإنّه عالم بحالهم و فاعل بهم جزاء اقوالهم و افعالهم.

قال: «إنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ ؏: إنّي سألت ربّي ان يوالي بيني و بينك ففعل، و سألت ربّي ان يواخي بيني و بينك ففعل، و سألت ربّي أن يجعلك وصيّي ففعل. فقال رجلان من قريش: والله لصاعٌ من تمر في شنٍّ[1] بالٍ احبُّ إلينا ممّا سال محمّد ﷺ ربّه، فهلاّ سال ربّه ملكاً يعضده على عدوّه، او كنزاً يستغني به عن فاقته؟ والله ما دعاه إلى حقّ ولا باطل إلّا اجابه الله إليه. فانزل الله تعالى إليه: "فلعلّك تارك" الآية»[2].

و في رواية: «إنه ﷺ سال الله تعالى لعليّ ؏ المودّة في صدور المؤمنين، والهيبة والعظمة في صدور المنافقين. فقال "رمع"[3]. والله لصاع إلى قوله. فاقته. فانزل الله عشر آيات من هود، أوّلها: "فلعلّك تارك"»[4].

١ـ الشَّنُّ: القربة الخَلَق الصَّغيرة. القاموس المحيط ٤: ٢٤٢ (شن).
٢ـ الكافي ٨: ٣٧٨، الحديث: ٥٧٢، عن أبي عبدالله ؏.
٣ـ كلمة مقلوبة.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٤٢، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله ؏.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ في البيان و حسن النّظم ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ : مختلقات من عند أنفسكم، إن صحّ أنّي اختلقته من عند نفسي، فإنّكم عرب فصحاء مثلي، تقدرون على مثل ما أقدر عليه؛ بل أنتم أقدر، لتعلّمكم القصص، و تعوّدكم الأشعار. ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إلى المعاونة على المعارضة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنّه مفترى.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون مَنْ دعوتموهم إلى المعارضة، أو أيّها الكافرون من دعوتموهم إلى المعاونة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ : متلبساً بما لا يعلمه إلّا الله، ولا يقدر عليه سواه ﴿وَأَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لظهور عجز المدعوّين ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بإحسانه و برّه ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ : نُوصِلْ إليهم جزاء أعمالهم في الدّنيا؛ من الصّحّة والرّياسة و سعة الرّزق و كثرة الأولاد. قال: «يعني فلان و فلان»[1]. ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ : لا يُنقصون شيئاً من أجورهم.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ لأنّهم استوفوا ما تقتضيه صُوَرُ أعمالهم الحسنة، و بقيت لهم أوزار العزائم السيّئة. ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ : في الآخرة ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لأنّه لم يُعْمَلْ على ما ينبغي. القمّي: يعني من عمل الخير على أن يعطيه الله ثوابه في الدّنيا، أعطاه الله ثوابه في الدّنيا، و كان له في الآخرة النّار[2].

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ : على برهان من الله يدلّه على الحقّ والصّواب فيما يأتيه و يذره؛ والهمزة لإنكار أن يَعْقُبَ مَنْ هذا شأنه، هؤلاء المقصرين

١ـ العيّاشي ٢: ١٤٢، الحديث ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه «يعني فلاناً وفلاناً».
٢ـ القمّي ١: ٣٢٤.

همّهم و أفكارهم على الدّنيا، و أن يقارب بينهم في المنزلة؛ يعني أفمن كان على بيّنة كمن يريد الحياة الدّنيا؟ كيف و بينهما بون بعيد! ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: و يتبعه شاهد يشهد له منه ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ يعني التّوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «محمّد ﷺ على بيّنة من ربّه، و أنا الشّاهد، و أنا منه»[1]

و ورد: «إنّما نزل: أفمن كان على بيّنة من ربّه و يتلوه شاهد منه إماماً و رحمةً و من قبله كتاب موسى. قال: فقدّموا و أخّروا في التّأليف»[2]. و يستفاد من بعض الرّوايات: أنّ المراد بالبيّنة القرآن، و أنّ يتلوه في التّلاوة[3]. و في رواية: «شاهد من الله محمّد»[4]. و على هذا فيعمّ "من كان على بيّنة" كلّ مؤمن مخلص ذو[5] بصيرة في دينه. ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾: من تحزّب على رسول الله ﷺ ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ يردها لا محالة. و ورد: «لا يسمع بي أحد من الأمّة لا يهوديّ و لا نصرانيّ، ثمّ لا يؤمن بي إلّا كان من أهل النّار»[6]. ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: و يصفونها بالانحراف عن الحقّ و الصّواب ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ و ورد: «هم أربعة ملوك من قريش يتبع بعضهم بعضاً»[7]. «و الأشهاد هم الأئمّة عليهم السّلام»[8].

١ـ الأمالي (للطوسي) ١: ٣٨١، و يقرب منه ما في العيّاشي ٢: ١٤٣، الحديث: ١٣، عن أمير المؤمنين عليه السلام
٢ـ القمّي ١: ٣٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام، مع زيادة.
٣ـ بصائر الدّرجات: ١٣٣، الباب: ٩، ذيل الحديث: ٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام
٤ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٥٠، عن حسين بن عليّ عليهما السّلام.
٥ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الصّواب: «ذي بصيرة» كما في الصّافي.
٦ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٥٠، عن النّبيّ ﷺ
٧ـ العيّاشي ٢: ١٤٣، الحديث: ١٤، عن أبي جعفر عليه السلام
٨ـ المصدر: ١٤٢، ذيل الحديث: ١١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أقول: الملوك الأربعة معروفة [1].

القمّي: "الا لعنة الله على الظّالمين" آل محمد عليهم السّلام حقّهم، و "سبيل الله" طريق الله، و هو الإمامة. "يبغونها عوجاً": حرّفوها إلى غيره [2].

﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: ما كانوا معجزين الله في الدّنيا ان يعاقبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ يمنعونهم من العقاب لو اراد عقابهم، و لكنّه اخّر عقابهم إلى هذا اليوم ليكون اشدّ و أدوَم. ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ لتصامّهم عن الحقّ وبغضهم له. القمّي: ما قدروا ان يسمعوا بذكر امير المؤمنين عليه السلام [3]. ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ لتعاميهم عن آيات الله.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ خسروا بما بذلوا و ضاع [4] عنهم ما حصّلوا، فلم يبق معهم سوى الحسرة والنّدامة، ولا احد ابين و اكثر خسراناً منهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: اطمأنّوا إليه و خشعوا له ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾: الكافر والمؤمن ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾: كالاعمى و كالاصمّ [5]، او كالاعمى الاصمّ و كذا في نظيره، و ذلك لتعامي الكافر عن آيات الله و تصامّه عن استماع كلام الله، و تأبيه عن تدبّر معانيه. ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بضرب الأمثال والتأمّل فيها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أبيّن لكم موجبات العذاب

١ـ قال في الصافي (٢: ٤٣٩) هم الثلاثة و معاوية.
٢ـ القمّي ١: ٣٢٥. وفيه: «وهي الامامة ... حرّفوها إلى غيرها».
٣ـ المصدر
٤ـ في «الف»: «و ضايع».
٥ـ «الف»: «والاصمّ».

وجه الخلاص.

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾: اتّبعوك ظاهر الرّأي من غير تعمّق؛ من البَدْو، أو أوّل الرّأي من البَدْء، و إنّما استرذلوهُم لفقرهم، فإنّهم لمّا لم يعلموا إلّا ظاهراً من الحياة الدّنيا كان الأحظُّ بها أشرفَ عندهم، والمحرومُ أرذلَ. ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: حجّة شاهدة بصحّة دعواي ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ بإيتاء البيّنة، أو النّبوّة ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾: فخفِيَتْ عليكم[1] فلم تهدِكم[2] ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾: أنُكرِهكُمْ على الاهتداء بها ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ لا تختارونها ولا تتأمّلون فيها؟

﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ على التّبليغ جُعْلاً ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني الفقراء، و هو جواب لهم حين سألوا طردهم. ﴿إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ يلاقونه و يفوزون بقربه، فيخاصمون طاردَهُم فكيف أطردهم ﴿وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ الحقّ و أهله، أو تسفهون عليهم بأن تدعوهم أراذل.

﴿وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾: يدفع انتقامه ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ و هم بتلك المثابة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾: خزائن رزقه حتّى جحدتم فضلي ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾. ولا أقول: أنا أعلم الغيب، حتّى تكذّبوني استبعاداً، أو حتّى أعلم أنّ هؤلاء

١. الظاهر أنّ المصنف رجّح قراءة التّخفيف أي «فَعَمِيَتْ» لمكان التّفسير بقوله: فخفِيت، و في المصحف «فعُمِّيَتْ» بضمّ العين و تشديد الميم أي، «أُخفيَتْ عليكم».

٢. في جميع النّسخ «فلم يهدكم».

اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة و عقد قلب. ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ حتّى تقولوا: "ما أنت إلّا بشر مثلنا"[1]. ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ﴾: استرذلتموهم لفقرهم، من زرىٰ عليه: إذا عابه. و إسناده إلى الأعين، للمبالغة والتنبيه على أنّهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير رويّة. ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ فإنّ ما أعدّ الله لهم في الآخرة خير ممّا آتيكم في الدّنيا ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ إِذًا﴾: إن قلت شيئاً من ذلك ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾: خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾: فأطلته ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الدّعوى والوعيد.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ عاجلاً، أو آجلاً ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بدفع العذاب.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ بأن علم منكم الإصرار على الكفر فخلّاكم و شأنكم. ورد: «يعني أنّ الأمر إلى الله يهدي من يشاء و يضلّ»[2]. ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾. اعتراض. ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾: وباله ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ في إسناد الافتراء إليّ.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فلا تحزن حزن بائس مستكين ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾. أقنطه الله من[3] إيمانهم، و نهاه أن يغتمّ بما فعلوه من الإيذاء والتكذيب. قال: «فلذلك قال نوح: "و لا يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً"[4]».

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: متلبّساً بأعيننا، أتى بصيغة الجمع للمبالغة في الحفظ

١ـ الشّعراء (٢٦)، ١٥٤ و ١٨٦.
٢ـ قرب الإسناد، ٣٥٩، الحديث ١٢٨٢؛ والعيّاشي ٢: ١٤٤، الحديث ١٦٠، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ في «ب»: «من إيمانهم».
٤ـ الكافي ٨: ٢٨٣، الحديث ٤٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام. والآية في سورة نوح (٧١): ٢٧.

و لرعاية، على طريقة التّمثيل. ﴿وَوَحْيِنَا﴾ إليك كيف تصنعها ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باستدفاع العذاب عنهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: محكوم عليهم بالإغراق، فلا سبيل إلى كفّه.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾. حكايةُ حالٍ ماضية. ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾: استهزؤوا به. قال: «إنّه لمّا غرس النّوى مرّ عليه قومه فجعلوا يضحكون ويسخرون و يقولون: قد قعد[1] غرّاساً! حتّى إذا طال النّخل و كان جبّاراً[2] طوالاً قطعه ثمّ نحته، فقالوا: قد قعد نجّاراً! ثمّ ألّفه فجعله سفينة [فمرّوا عليه فجعلوا يضحكون و يسخرون و يقولون: قد قعد ملّاحاً في فلاة من الأرض!»[3]][4]. ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذ أخذكم[5] الغرقُ في الدّنيا والحَرَقُ[6] في الآخرة.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يعني الغرق ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ يعني عذاب النّار.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾: نبع الماء فيه و ارتفع كالقِدْرِ تفورُ. قال: «كان التّنور في بيت عجوز مؤمنة في دبر قبلة ميمنة المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ سُئِلَ: و كان بدو خروج الماء من ذلك التّنور؟ فقال: نعم، إنّ الله أحبَّ أن يُرِيَ قومَ نوحٍ آيةً، ثمّ إنّ الله أرسل المطر يفيض فيضاً، و فاض الفرات فيضاً، والعيون كلّهنّ فيضاً»[7]. و في رواية: «و كان ميعاده فيما بينه و بين ربّه في إهلاك قومه أن يفور التّنور، ففار. فقالت

١ـ لعلّه بمعنى صار نحو قولهم: حَدَّدَ شفرته حتّى قعدت كأنّها حَرْبَةٌ أي صار. القاموس المحيط ١: ٣٤١ (قعد)
٢ـ الجبّار: النّخلة الطّويلة الفتيّة و عُصَمٌ. القاموس المحيط ١: ٣٩٩ (جبر)
٣ـ الكافي ٨: ٢٨٣، الحديث: ٤٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ ما بين المعقوفتين ليس في «الف».
٥ـ في «ج»: «إذ أخذكم».
٦ـ الحرق ـ بالتّحريك ـ النّار أو لهيبها. القاموس المحيط ٣: ٢٢٧ (حرق).
٧ـ الكافي ٨: ٢٨١، الحديث: ٤٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

امرأته: إنّ التنّور قد فار فقام إليه فختمه فقام الماء [1]، و أدخل من أراد أن يُدخِلَ و أخرج من أراد أن يُخرِجَ، ثمّ جاء إلى خاتمه و نزعه. يقول الله: «فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ» الآيتين [2] قال: و كان نَجرُها [3] في وسط مسجدكم» [4].

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ذكراً و أُنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أُريد امرأته و بنوه و نساؤهم ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ بأنّه من المغرقين. أُريد ابنه «كنعان» و امرأته «واعلة»، فإنّهما كانا كافرين. ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ من غيرهم ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

قال: «آمن مع نوح من قومه ثمانيةُ نفر» [5]. و ورد: «امره الله ان ينادي بالسّريانيّة: لا يبقى بهيمة ولا حيوان إلّا حضر، فادخل من كلّ جنس من اجناس الحيوان زوجين السّفينةَ، وكان الّذين آمنوا به من جميع الدّنيا ثمانين رجلاً» [6].

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾: مُسمّين الله قائلين ذلك، ومعناه: بالله إجراؤها و إرساؤها. قال: «اي: مسيرها و موقفها» [7]. ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لولا مغفرتُه لفرَطاتكم، و رحمتُه إيّاكم لما نجّاكم.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ﴾ من الطوفان ﴿كَالْجِبَالِ﴾. كلّ موجة منها كجبل في تراكمها و ارتفاعها ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾: كنعان. قال: «ليس بابنه إنّما هو ابن امرأته، وهو لغة طيّ يقولون لابن المرأة [8]: ابنُهُ» [9]. يعني بفتح الهاء. و ورد: «إنّهم قرؤوا كذلك» [10]. و ورد أيضا: «ابنَها» [11]. والضّمير لامرأته. ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عزل فيه

١ـ قمّ الماء: انجمد. القاموس المحيط ٤: ١٧٠ (قوم).
٢ـ سورة القمر (٥٤): ١١ و ١٢.
٣ـ النَّجرُ: الأصل. القاموس المحيط ٢: ١٤٣ (نجر).
٤ـ الكافي ٨: ٢٨١، الحديث: ٤٢٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦و٧ـ القمّي ١: ٣٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ في «ب» و «ج»: «الابن الإمرأة» وفي المصدر: «لابن امرأته».
٩ـ العيّاشي ٢: ١٤٨، الحديث ٣١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٦٠، عن أمير المؤمنين والصّادقين عليهم السّلام.
١١ـ جوامع الجامع ٢: ١٤٧؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٦١.

نفسه عن المركب ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ في السفينة ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾. قال: «نظر نوح إلى ابنه يقع و يقوم، فقال له: "يا بنيّ اركب" الآية»[1].

﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾: إلّا الرّاحم و هو الله تعالى. ورد: «كان الجبل الّذي اعتصم به في النّجف، فأوحى اللّه إليه: يا جبل أيعتصم بك منّي أحد؟ فغار في الأرض و تقطّع إلى الشّام»[2].

﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾: انشفي[3]. قال: «نزلت بلغة الهند اشربي»[4]. و في رواية: «حبشيّة»[5]. ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ قال: «امسكي»[6].

أقول: نداء الأرض و السّماء، عبارة عن كمال اقتداره و عظمته، و أنّ الخلايق عارفون به، منقادون له، ممتثلون لأمره على الفور.

﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾: نقص ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: أنجز ما وعد ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾[7]: استقرّت عليه ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: بُعْدَ بُعْداً بعيداً لا يرجى عوده؛ كناية عن الهلاك. ما أفصح هذه الآية وأبلغها، و ما أفخم لفظها و أحسن نظمها، و ما أدلّها على كنه الحال مع الإيجاز الخالي عن الإخلال، و في إيراد الإخبار فيها على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل، وأنّه متعيّن في نفسه مستغن عن ذكره، إذ لا يذهب الوهم إلى غيره.

قال: «فدارت السّفينة و ضربتها الأمواج حتّى وافت مكّة و طافت بالبيت، و غرق جميع الدّنيا إلّا موضع البيت و إنّما سمّي البيتَ العتيق، لأنّه أُعْتِقَ من الغَرَق، فبقي الماء

١ـ القمّي ١: ٣٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ من لايحضره الفقيه ٢: ٣٥١، الحديث ١٦١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ نَشفَ الثّوب العرَق و نشفَ الحوضُ الماءَ: شربَه. الصّحاح ٤: ١٤٣٢ (نشف).
٤ و ٥ـ العيّاشي ٢: ١٤٩، الحديث: ٣٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٣٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ الجوديّ: جبل بالموصل. معجم البلدان ٢: ١٧٩.

ينصبّ من السّماء اربعين صباحاً، و من الأرض العيون؛ حتّى ارتفعت السّفينة فمسحت السّماء. قال: فرفع نوح عليه السلام يده فقال: يا رهمان اتقن[1]. و تفسيرها: يا ربّ احسن. فامر الله عزّوجلّ الأرض ان تبلع ماءها فبلعت ماءها، فاراد ماء السّماء ان يدخل في الأرض فامتنعت الأرض من قبولها، و قالت: إنّما امرني الله ان ابلع مائي، فبقي ماء السّماء على وجه الأرض، واستوت السّفينة على جبل جوديّ، و هو بالموصل جبل عظيم، فبعث الله جبرئيل فساق الماء إلى البحار حول الدّنيا»[2].

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ و قد وعدت ان تنجّي اهلي ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾: اعدلهم و اعلمهم.

﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾. قال: «نفاه عنه حين خالفه في دينه»[3]. و في رواية: «لمّا عصى الله نفاه عن ابيه»[4]. ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ﴾ فيما بعد ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾ ما فرط منّي من السّؤال ﴿وَتَرْحَمْنِي﴾ بالتّوبة و التّفضّل عليّ ﴿أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾: انزل من السّفينة مسلّماً من المكاره محفوظاً من جهتنا ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾: و مباركاً عليك. والبركات: الخيرات النّامية. ﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ يعني في السّفينة، لأنّهم كانوا جماعات، او لتشعّب الأمم منهم ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ اي: و ممّن معك أمم سنمتّعهم في الدّنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. قيل: اراد بهم الكفّار من ذرّيّة من معه[5].

١ـ في المصدر: «يا رهمان اتقن»
٢ـ القمّي ١: ٣٢٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٦، الباب: ٣٢، الحديث: ٣.
٤ـ المصدر: ٢٣٢، الباب: ٨٥، الحديث: ١.
٥ـ البيضاوي ٣: ١١١

قال: «فنزل نوح بالمَوْصِل من السّفينة مع الثّمانين، و بنوا مدينة الثّمانين، و كانت لنوح ابنة ركبت معه السّفينة، فتناسل النّاس منها. و ذلك قول النّبيّ ﷺ: نوح أحد الابوين»[١].

سئل: لأيّ علّة أغرق الله تعالى الدّنيا كلّها في زمن النّوح، و فيهم الأطفال، و فيهم من لاذنب له؟ فقال: «ما كان فيهم الأطفال، لأنّ الله تعالى أعقم أصلاب قوم نوح و أرحام نسائهم أربعين عاماً، فانقطع نسلهم، فغرقوا و لاطفل فيهم، و ما كان الله ليُهلك بعذابه من لاذنب له، و أمّا الباقون من قوم نوح فأُغرقوا بتكذيبهم لنبيّ الله نوح، و سائرهُم أُغرقوا برضاهم بتكذيب المكذّبين، و من غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهده»[٢].

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ﴾ على مشاقّ الرّسالة و إيذاء القوم، كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ في الدّنيا بالظّفر، و في الآخرة بالفوز ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن الشّرك و المعاصي.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾. «أخاهم» يعني أحدهم، كما سبق في الأعراف[٣].

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ على الله، باتّخاذ الأوثان شركاءه، و جعلها شفعاء.

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى﴾ الله[٤] ﴿الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعرفوا المحقّ من المبطل.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾: اطلبوا مغفرة الله بالإيمان، ثمّ توسّلوا إليها بالتّوبة ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: كثير الدّرّ[٥] ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾.

١ـ القمّي ١: ٣٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ٧٥، الباب ٣٢، الحديث ٢.
٣ـ في ذيل الآية ٦٥.
٤ـ لم ترد كلمة «الله» في «الف» و «ج».
٥ـ في «الف»: «كثير الدّرّ» و هو تصحيف.

قيل: رغّبهم في الإيمان بكثرة المطر و زيادة القوّة، لأنّهم كانوا أصحاب زروع و بساتين، و كانوا يُدِلّون بالقوّة و البطش[1]. ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾: مصرّين على أجرامكم.

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: بحجّة تدلّ على صحّة دعواك، و هو كذب و جحود لفرط عنادهم و عدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾: أصابك ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾: بجنون، لسبّك إيّاها و صدّك منها، فمن ثمّة تتكلّم[2] بكلام المجانين. ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

﴿مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾: لاتمهلوني؛ واجههم بهذا الكلام مع قوّتهم و شدّتهم وكثرتهم و تعطّشهم إلى إراقة دمه؛ ثقةً بالله و اعتماداً على عصمته إيّاه، واستهانةً بهم و بكيدهم، وإن اجتمعوا عليه وتواطؤوا على إهلاكه.

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: إلّا و هو مالك لها قاهر عليها، يصرفها على ما يريد بها؛ و الأخذ بالنّاصية تمثيل لذلك. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: إنّه على الحقّ و العدل، لايضيعُ عنده معتصم و لايفوته ظالم.

قال: «يعني أنّه على حقّ، يجزي بالإحسان إحساناً و بالسّيّء سيّئاً، و يعفو عمّن يشاء و يغفر سبحانه و تعالى»[3].

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: فإن تتولّوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾. وعيد لهم بالإهلاك. ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ بتولّيكم ﴿إِنَّ

١ـ راجع، جوامع الجامع ٢: ١٥١؛ والكشّاف ٢: ٢٧٥.
٢ـ في «الف» و «ج»: «تكلّم» والأنسب بالسّياق ما أثبتناه كما في «ج» والصافي.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٥١، الحديث ٤٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾: رقيب، فلا يخفى عليه اعمالكم، و لايغفل عن مؤاخذتكم.

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾. إمّا تكرير لبيان ما نجّاهم عنه، و إمّا المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضاً، والتّعريض بانّ المهلكين معذّبون في الآخرة ايضاً بالعذاب الغليظ.

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾: كفروا بها ﴿ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ﴾، لأنّهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميعَ رُسُلِ الله ﴿ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ يعني: رؤساءهم الدّعاة إلى تكذيب الرّسل.

﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ يعني: جعلت اللّعنة تابعةً لهم في الدّارين تكبّهم في العذاب ﴿ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾. دعاء عليهم بالهلاك، و دلالة بأنّهم كانوا مستوجبين لِما نزل بهم. و في تكرير "الا" و إعادةِ ذكر "عاد" تفظيعٌ لامرهم، وحثٌّ على الاعتبار بحالهم و الحذرِ من مثل افعالهم؛ و إنّما قيل: "قوم هود" ليتميّزوا عن عاد إرَم.

القمّي: كانت بلادهم في البادية، و كان لهم زرع و نخيل كثيرة، ولهم اعمار طويلة و أجسام طويلة، فعبدوا الاصنام، و بعث الله إليهم هوداً يدعوهم إلى الإسلام وخلعِ الانداد، فأبوا و لم يؤمنوا بهود و آذوه، فكفّت السّماء عنهم سبعَ سنينَ، حتّى قحطوا. قال: فجاؤوا إليه، فقالوا: يا نبيّ الله قد أجْدَبَتْ بلادُنا و لم يمطر، فسال الله ان يخصب بلادنا و يمطر، فتهيّأ للصّلاة، و صلّى و دعا لهم. فقال لهم: ارجعوا فقد أُمطرتم و أخصبت بلادكم. قال: فبقي هود في قومه يدعوهم إلى الله وينهاهم عن عبادة الاصنام حتّى أخصبت بلادهم و أنزل الله عليهم المطر، و هو قوله تعالى: "يا قوم استغفروا ربّكم" الآيات. فلمّا لم يؤمنوا أرسل الله عليهم

الريح الصرصر، يعني الباردة. و هو قوله ـ في سورة القمر ـ: «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ»[1]. و في الحاقّة. «وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ»[2].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ لاغيره ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: استبقاكم، او أمركم بعمارتها ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ منكم ﴿مُجِيبٌ﴾ لمن دعاه.

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا﴾ نرجو منك الخير، لما كانت تلوح منك من مخائله[3] ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾: مُوقِعٌ في الريبة، او ذي ريبة.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾: بيان و بصيرة ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾: نبوة ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾: فمن يمنعني من عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ في تبليغ رسالته و النهي عن الاشراك به ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ إذن باستتباعكم إيّاي ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ غير ان أنسبكم إلى الخسران، او غير ان تخسروني بإبطال ما منحني الله به.

﴿وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: عاجل.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾: عيشوا في منازلكم، او بلدكم ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكون ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ اي:

١ـ القمر (٥٤): ١٩.

٢ـ القمي ١: ٣٢٩ ـ ٣٣٠. والآية في سورة الحاقّة (٦٩): ٦.

٣ـ المخائل جمع المَخِيلة: ما يوقع في الخيال يعني به الامارات. و خِلْتُ الشيءَ خيلاً و مَخيلةً: ظننته. مجمع البحرين ٥: ٣٦٨ (خيل).

و نجّيناهم من خزي ذلك اليوم و ذلّه و فضيحته، و لا خزيَ أعظمُ من الهلاك بغضب الله وبأسه، أو أُريد بـ"يومئذٍ" يوم القيامة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾: ميّتين لا حَراكَ بهم، أي. استُؤصلوا.

﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾: كأن لم يُقيموا فيها أحياءً. و قد سبق تمام القصّة في الاعراف[1]. ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني الملائكة. قال: «كانوا أربعة: جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و كروبيل»[2]. ﴿بِالْبُشْرَى﴾: ببشارة الولد ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾: سلّمنا عليك سلاماً، أي: سلامة. ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾: أمرُكُم سلام. ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ قال: «يعني مشويّاً نضيجاً»[3].

و ورد: «إنّه قال: كلوا، فقالوا: لا نأكل حتّى تخبرنا ما ثمنه؟ فقال: إذا أكلتم فقولوا: بسم الله، و إذا فرغتم فقولوا: الحمدلله. قال: فالتفت جبرئيل إلى أصحابه ـ و كانوا أربعةً رئيسهم جبرئيل ـ فقال: حقّ لله أن يتّخذ هذا خليلاً»[4].

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾: لا يمدّون إليه أيديهم ﴿نَكِرَهُمْ﴾: أنكرهم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: و أضمر منهم خوفاً، أن يريدوا به مكروهاً ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾: إنّا ملائكة، مُرسَلة إليهم بالعذاب، لا نأكل.

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾ تسمع[5] محاورتهم. قال: «إنّما هي سارة»[6]. ﴿فَضَحِكَتْ﴾

١ـ في ذيل الآية: ٧٨.
٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٥٤، الحديث: ٤٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ المصدر: ١٥٣، الحديث: ٤٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ في "ج": "التستمع".
٦ـ العيّاشي ٢: ١٥٢، الحديث: ٤٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

قال: «يعني تعجّبت من قولهم»[1]. و في رواية: «حاضت»[2]. ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ أي: و من بعده. و قيل: الوراء: ولد الولد[3].

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ﴾: يا عجبا! و أصله في الشرّ، فأُطلق في كلّ أمر فظيع. ﴿أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي﴾: زوجي ﴿شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [تعني][4] بحسب العادة دون القدرة. قال: «و هي يومئذ ابنة تسعين سنةً، و إبراهيم يومئذٍ ابن عشرين و مائة سنة»[5].

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ يعني: انّ أمثال هذه ممّا يكرمكم الله به يا أهل بيت النبوّة، فليس هذا مكان تعجّب. ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾: فاعل ما يوجب الحمد ﴿مَّجِيدٌ﴾: كثير الخير و الإحسان.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ أي: ما أوجس من الخيفة، يعني لمّا اطمأنّ قلبه بعد الخوف ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ﴾ مكان الروع ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾: يجادل رسلنا في شأنهم و معناهم. و مجادلته إيّاهم: «أنّه قال لهم: إن كان فيها مائة من المؤمنين أتهلكونهم؟ فقال جبرئيل: لا. قال: فإن كان فيها خمسون أتهلكونهم؟ قالوا: لا. قال: فأربعون؟ قالوا: لا. فما زال ينقص حتّى قال: فواحد؟ قالوا: لا. "قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ"[6]». كذا ورد[7].

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: غير عجول على من أساء إليه بالانتقام ﴿أَوَّاهٌ﴾: يكثر الدعاء. قال: «دعّاء».[8] ﴿مُّنِيبٌ﴾: راجع إلى الله بما يحبّ و يرضى. والغرض من هذه

١ـ العيّاشي ٢: ١٥٢، الحديث: ٤٤، عن أبي جعفر عليه السلام
٢ـ المصدر، الحديث: ٤٥، عن أبي عبدالله عليه السلام
٣ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٨٠، عن ابن عبّاس
٤ـ مابين المعقوفتين لم ترد في «الف». وفي «ج»: «يعني».
٥ـ علل الشرائع ٢: ٥٥١، الباب ٣٤٠، الحديث ٦، عن أحدهما عليهما السلام
٦ـ العنكبوت (٢٩): ٣٢
٧ـ الكافي ٥: ٥٤٦، الحديث ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام
٨ـ العيّاشي ٢: ١٥٤، الحديث ٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام

الكلام، بيان الحامل له على المجادلة، و هو رقّة قلبه و فرط ترحّمه.

﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ على إرادة القول، أي: قالت الملائكة: يا إبراهيم! ﴿أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾ الجدال، و إن كانت الرّحمة دأبك، فلا فائدة فيه ﴿إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾: قضاؤه و حكمه الّذي لايصدر إلّا عن حكمة ﴿وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾: لا مردّ له بجدال و لاغيره.

﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ ساءه مجيئهم، لأنّهم جاؤوا في صورة غلمان، و ظنّ أنّهم أُناس، فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾: و ضاق بمكانهم ذَرْعُه[1]، و هو كناية عن شدّة الانقباض، للعجز عن مدافعة المكروه. ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾: شديد.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾: يُسْرِعُون إليه، يُدْفَعُون دفعاً، لطلب الفاحشة من أضيافه ﴿وَمِن قَبۡلُ﴾: و من قبل ذلك الوقت ﴿كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾: الفواحش، فتمرّنوا بها و لم يستحيوا منها، حتّى جاؤوا يهرعون إليه مجاهرين. ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ فتزوّجوهنّ. قال: «عرض عليهم التّزويج»[2]. و في رواية: «عرض عليهم بناته بنكاح»[3]. و القمّي: عنى به أزواجهم، و ذلك انّ النّبيّ هو ابو أُمّته، فدعاهم إلى الحلال و لم يكن يدعوهم إلى الحرام[4]. ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾: هنّ أنظف فعلاً و أقلّ فحشاً. قيل: يعني أدبارهنّ[5] ورد: إنّه سئل عن إتيان الرّجل المرأة من خلفها. قال: «أحلّه آية من كتاب الله، هو قول لوط: 'هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم' و قد علم أنّهم لايريدون الفرج»[6]. ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في مواقعة الذكور ﴿وَلَا تُخۡزُونِ﴾:

١ـ ضاق بالأمر ذَرْعُهُ: ضعفت طاقته و لم يجد من المكروه فيه مخلصاً. القاموس المحيط ٣: ٢٣ (ذرع).
٢ـ العيّاشي ٢: ١٥٦، الحديث: ٥٤ والكافي ٥: ٥٤٨، الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٥٦، الحديث: ٥٤، عن أحدهما عليهما السلام
٤ـ القمّي ١: ٣٣٥.
٥ـ لم نعثر على قائله.
٦ـ العيّاشي ٢: ١٥٧، الحديث: ٥٦ والتهذيب ٧: ٤١٤، الحديث: ١٦٥٩، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

ولا تخجلوني، من الخزاية، بمعنى الحياء، أو لا تفضحوني، من الخزي ﴿فِي ضَيْفِي﴾: في شأنهم ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ يهتدي إلى الحقّ و يرعوي[1] عن القبيح؟!

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: من حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾. عنوا إتيان الذكران.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾: لو قويت بنفسي على دفعكم ﴿أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: أو أويت إلى قوي أتمنّع به عنكم، لدفعتكم عن أضيافي. شبّه القويّ العزيز بالركن من الجبل في شدّته و منعته. قال: «لو يعلم أيّ قوّة له»[2]. و ورد: «رحم الله لوطاً لو يدري من معه في الحجرة، لعلم أنّه منصور. قال: أيّ ركن أشدّ من جبرئيل معه في الحجرة»[3].

﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ أرسلنا لإهلاكهم فلا تغتمّ ﴿لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ بسوء أبداً ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ من الإسراء، و هو السير ليلاً ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾: بطائفة منه، و في قراءتهم عليهم السّلام: «بقطع من الّليل مظلماً»[4]. ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾: ولا يتخلّف، أو لا ينظر إلى ورائه ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

روي: «أنّه قال: متى موعد إهلاكهم؟ قالوا الصّبح. فقال: أريد أسرع من ذلك ـ لضيق صدره بهم ـ فقالوا: "أليس الصّبح بقريب"؟»[5] و ورد: «"فاسر بأهلك" يا لوط إذا مضى لك من يومك هذا سبعة أيّام و لياليها. "بقطع من الّليل" إذا مضى نصف

١ـ الارعواء: النزوع عن الجهل و حسن الرّجوع عنه. القاموس المحيط ٤: ٣٣٧ (الرّعو).
٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ١٨٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الكافي ٥: ٥٤٦، ذيل الحديث ٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٥٨، الحديث ٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ١٦٠.

الليل. قال: فلمّا كان اليوم الثّامن مع طلوع الفجر، قدّم الله رسلاً إلى إبراهيم يبشّرونه بإسحاق و يعزّونه بهلاك قوم لوط، و ذلك قوله تعالى: "و لقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى"»[1].

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ بأن جعل جبرئيل جناحه في أسفلها، ثمّ رفعها إلى السّماء ثمّ قلّبها عليهم، واتّبعوا الحجارة من فوقهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ قال: «يقول: من طين»[2].

أقول، أي: من طين متحجّر، هي معرّبة من «سنْك كلْ»، بدليل قوله: "حِجارةً مِنْ طِين"[3] في موضع آخر.

﴿مَنْضُودٍ﴾ قيل: نُضِدَ في الإرسال كقطار الأمطار، أو نُضِدَ مُعَدّاً لعذابهم[4].

القمّي: يعني بعضها على بعض منضّلة[5].

﴿مُسَوَّمَةً﴾: مُعَلَّمَةً للعذاب. القمّي: أي: منقوطة[6]. ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾: في خزائنه. ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾. روي: «أنّ النّبيّ ﷺ سأل جبرئيل، فقال: يعني ظالمي أمّتك، ما من ظالم منهم إلّا و هو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة»[7]. و ورد: «أي: ظالمي أمّتك، إن عملوا ما عمل قومُ لوطٍ»[8]. و في رواية: «من مات مصرّاً على اللّواط، لم يمت حتّى يرميه الله بحجر من تلك الأحجار، فيكون فيه منيّته، و لا يراه أحد»[9]. و قد سبق نبذ من قصّة قوم لوط في الأعراف[10]، و يأتي طرف

١ـ علل الشرايع ٢: ٥٤٩ ـ ٥٥٠، الباب: ٣٤٠، الحديث: ٤، عن أبي جعفر ﷺ. والآية في نفس السّورة: ٦٩.
٢ـ القمّي ٢: ١١٤، في تفسير الآية: ٤٠ من سورة الفرقان، عن أبي جعفر ﷺ.
٣ـ الذّاريات (٥١). ٣٣
٤ـ البيضاوي ٣: ١١٧.
٥ و ٦ ـ القمّي ١: ٣٣٦.
٧ـ البيضاوي ٣: ١١٧.
٨ـ الكافي ٥: ٥٤٦، ذيل الحديث ٥، عن أبي جعفر ﷺ
٩ـ العيّاشي ٢: ١٥٨، الحديث ٥٩، عن أبي عبدالله ﷺ.
١٠ـ في ذيل الآية: ٧٩

آخر منه في الحجر[1] إن شاء الله.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾: بسعة تغنيكم عن البخس. قال: «كان سعرهم رخيصاً»[2]. ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ أي: مهلك. كقوله: "وأُحيط بثمره"[3]، أو لا يشذّ منه أحد منكم.

﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾. نبّه به على أنّه لا يكفي الكفّ عن التطفيف، بل يلزم السّعي في الإيفاء، ولو بزيادة لا يتأتّى الإيفاء بدونها. ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل والسّويّة. ورد: «إذا طفّف المكيال و الميزان اخذهم الله بالسّنين و النّقص»[4]. و في رواية: «و شدّة المؤونة و جور السّلطان»[5]. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾. تعميم بعد تخصيص، فإنّه أعمّ من أن يكون في المقدار أو في غيره. ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. هذا أيضاً تعميم بعد تخصيص، فإنّ العثو يعمّ تنقيص الحقوق و غيره من أنواع الفساد من السّرقة و الغارة و قطع السّبيل و غير ذلك.

﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾: ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزّه عمّا هو حرام ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ممّا تجمعون بالتطفيف ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: بشرط الإيمان، أو إن كنتم مصدّقين لي في نصيحتي ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أحفظ عليكم أعمالكم.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ يعنون الأصنام؛ استهزؤوا به و تهكّموا بصلاته[6] و كان كثير الصّلاة و هو جواب عن أمره إيّاهم بالتّوحيد.

١ ـ الآيات ٥٨ إلى ٧٥.
٢ ـ العيّاشي ٢: ١٥٩، الحديث: ٦١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٣ ـ الكهف (١٨): ٤٢.
٤ ـ الكافي ٢: ٣٧٤، الحديث: ٢، عن أبي جعفر ﷺ.
٥ ـ المصدر: ٣٧٣، الحديث: ١، عن أبي جعفر ﷺ، عن رسول الله ﷺ.
٦ ـ كذا في جميع النّسخ، و لكنّ المستفاد من الصّافي (٢: ٤٦٨) أنّه رجّح قراءة الجمع في قوله تعالى: "أصلواتك".

﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ : او ان نترك[1] فعلنا في اموالنا؟ و هو جواب عن النهي عن التطفيف و الامر بالإيفاء ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ . قيل: ارادوا بذلك نسبته إلى غاية السفه والغيّ، فعكسوا ليتهكّموا به[2] والقمّي: قالوا: إنّك لانت السفيه الجاهل، فحكى الله عزّ وجلّ قولهم فقال: "إنّك لانت الحليم الرّشيد"[3].

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ . قيل: إشارة إلى ما آتاه الله من العلم و النبوّة[4]. ﴿وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ . قيل: إشارة إلى ما آتاه الله من المال الحلال. و جواب الشرط محذوف تقديره: فهل يسع لي مع هذا الإنعام ان اخون في وحيه، و أخالفه في أمره و نهيه؟![5] ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ يعني: و ما أُريد ان اسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها، لاستبدّ بها دونكم. ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ : ان أصلحكم ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾[6] و الجواب الاوّل إشارة إلى مراعاة حقّ الله، و الثاني إلى مراعاة حقّ النفس، و الثالث إلى مراعاة حقّ النّاس.

﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ﴾ لاصابة الحقّ والصّواب ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ : إلا بهدايته و معونته ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فإنّه القادر المتمكّن من كلّ شيء دون غيره. و فيه إشارة إلى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ. ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ . إشارة إلى معرفة المعاد. نبّه بهذه الكلمات على اتكاله[7] على الله بشراشره فيما يأتي و يذر، و حسم اطماع الكفّار، و عدم المبالاة بعداوتهم، و تهديدهم بالرّجوع إلى الله للجزاء.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ : يكسبنّكم ﴿شِقَاقِىٓ﴾ : خلافي و معاداتي ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ من الغرق ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾ من الريح ﴿أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ﴾ من

۱. في «ب» و «ج»: «او نترك».
۲ـ الكشّاف ۲: ۲۸۷
۳ـ القمّي ۱: ۳۳۷
٤ و ٥ـ البيضاوي ۳: ۱۱۸.
٦ـ في «ب»: (إن اريد الاّ الإصلاح ما استطعت): ان اصلحكم ما استطعت
۷ـ في «ب» و «ج»: «على إيمانه».

الرّحمة ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ يعني أنّهم أهلكوا في عهد قريب من عهدكم، فإن لم تعتبروا بمن قبلهم، فاعتبروا بهم.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ عمّا أنتم عليه ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾: لا قوّة لك و لا عزّ، فلا تقدر على الامتناع منّا إن أردنا بك مكروهاً. القمّي: و قد كان ضعف بصره[1] ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾. قومك و عزّتهم عندنا، لكونهم على ملّتنا ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ لقتلناك شرّ قتلة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾؛ بل رهطك هم الأعزّة علينا.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾: وجعلتموه كالمنسيّ المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به. و كسر الظاء من تغييرات النسب. ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فلا يخفى عليه شيء منها.

﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: قارّين على ما أنتم عليه من الشرك و العداوة ﴿إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ منّي و منكم ﴿وَارْتَقِبُوا﴾: وانتظروا ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾. روي: «انّ جبرئيل ﷺ صاح بهم صيحة فزهق روح كلّ واحد منهم حيث هو»[2]. ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾: ميّتين.

﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾: كأن لم يقيموا فيها أحياء ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾. قيل. شبّههم بهم، لانّ عذابهم كان أيضاً بالصّيحة، غير انّ صيحتهم كانت من تحتهم و صيحة مدين كانت من فوقهم[3].

١ـ القمّي ١: ٣٣٧.
٢ـ جوامع الجامع ٢: ١٦٤.
٣ـ البيضاوي ٣: ١٢٠.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: بالمعجزات القاهرة و الحجج الباهرة

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يتقدّمهم إلى النّار و هم يتّبعونه، كما كان لهم قدوة في الضّلال في الدّنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾. ذُكِرَ بلفظ الماضي مبالغة في تحقّقه ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ الّذي يردونه: النّار؛ لانّ الورد ـ و هو الماء الّذي يورد ـ إنّما يراد لتسكين العطش و تبريد الأكباد، و النّار ضدّه.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ﴾: الدّنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾: رفدهم؛ لانّ الرِّفد ـ و هو العون و العطاء ـ إنّما يراد للنّفع، و اللّعنة مفرّ للعذاب في الدّارين.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ﴾: باقٍ كالزّرع القائم ﴿وَحَصِيدٌ﴾: ومنها عافي الأثر، كالزّرع المحصود.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بإهلاكنا إيّاهم ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بأن عرضوها له، بارتكاب ما يوجبه ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾: فما نفعتهم و لاقدرت أن تدفع عنهم ﴿آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي: عذابه و نقمته ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾: غير تخسير.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾. روي: «انّ الله يُمْهِلُ الظّالمَ حتّى إذا أخذه لم يُفْلِتْه[1]، ثمّ تلا هذه الآية[2].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾: لعبرة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ لعلمه بأنّه أنموذج منه.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾ قال: «يوم القيامة، و هو اليوم الموعود، يجمع الله فيه

١ـ لم يُفْلِتْهُ: أي: لم ينفلت منه، و يجوز أن يكون بمعنى: لم يُفْلِتْهُ منه أحد أي: لم يُخَلِّصْهُ. النّهاية ٣: ٤٦٦ (فلت).
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٩١، عن النّبيّ ﷺ.

الأوّلين و الآخرين»[1]. ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾. قيل: مشهود فيه أهل السّماوات والأرضين[2]. و القمّي: يشهد عليه الأنبياء و الرّسل[3].

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ اي: اليوم ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾: إلاّ لانتهاء مدّة معدودة متناهية.

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ﴾: لاتتكلم ﴿نَفْسٌ﴾ بما ينفع و ينجي ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: إلاّ بإذن الله. «هذا في موطن من مواطن ذلك اليوم، و قوله: "هـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ. وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ"[4] في موطن آخر منها». كذا ورد[5]. ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾. الزّفير: إخراج النّفس، والشّهيق: ردّه، دلّ بهما على شدّة كربهم و غمّهم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: غير مقطوع. قال: «هاتان الآيتان في غير اهل الخلود من أهل الشّقاوة و السّعادة»[6].

والقمّي: هذا في دار الدّنيا قبل يوم القيامة؛ "ففي الجنّة" يعني: في جنان الدّنيا الّتي تنقل إليها ارواح المؤمنين؛ "غير مجذوذ" يعني: غير مقطوع من نعيم الآخرة في

١ـ العيّاشي ٢: ١٥٩، الحديث: ٦٥، عن أحدهما عليهما السّلام؛ و الكافي ٨: ٧٣ذيل الحديث ٢٩، عن زين العابدين عليه السلام.
٢ـ البيضاوي ٣: ١٢١.
٣ـ القمّي ١: ٣٣٨.
٤ـ المرسلات (٧٧). ٣٥ و ٣٦.
٥ـ التّوحيد: ٢٦٠، الباب: ٣٦، ذيل الحديث ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام، مع تفاوت.
٦ـ العيّاشي ٢: ١٦٠، الحديث: ٦٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

الجنّة يكون متّصلاً به، و هو ردّ على من أنكر[1] عذاب القبر و الثّواب و العقاب في الدّنيا في البرزخ قبل يوم القيامة[2].

و في رواية: «إنّ المراد بالجنّة و النّار في هذه الآية ولاية آل محمّد عليهم السّلام وولاية أعدائهم. قال: قال الجاهل بعلم التّفسير: إنّ هذا الاستثناء من الله إنّما هو لمن دخل الجنّة و النّار، و ذلك أنّ الفريقين جميعاً يخرجان منهما فتبقيان وليس فيهما أحدٌ وكذبوا. قال: والله ليس يُخْرَجُ أهلُ الجنّة و لا كلُّ أهل النّار منها[3] أبداً، كيف يكون ذلك و قد قال الله في كتابه: "مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً"[4] ليس فيه استثناء»[5]؟

أقول: و يدلّ على أنّ هذا في الدّنيا قوله تعالى: "مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ" إذ لا سماء و لا أرض يوم القيامة؛ و قوله سبحانه: "النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً"[6] إذ ورد: «إنّ هذا في نار البرزخ قبل القيامة، إذا لا غدوّ و لا عشيّ في القيامة. قال: ألم تسمع قول الله: "وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ"[7]»[8].

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: في شكّ بعد ما أُنزل عليك هذه القصص ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: مشركي[9] قومك. ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: حالهم في الشّرك مثل حال آبائهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: حظّهم من العذاب كآبائهم

١ـ في المصدر: «من ينكر».
٢ـ القمّي ١: ٣٣٨.
٣ـ كذا في جميع النّسخ و لعلّ الصّواب: «منهما»
٤ـ الكهف (١٨): ٣.
٥ـ العيّاشي ٢: ١٦٠، الحديث: ٦٦، عن أبي عبدالله عليه السلام مع تفاوت يسير
٦و٧ـ الغافر (٤٠): ٤٦
٨ـ مجمع البيان ٧ـ٨: ٥٢٦، عن أبي عبدالله عليه السّلام، ذيل الآية: ٤٦ من سورة المؤمن؛ والقمّي ٢: ٢٥٨، بالمضمون
٩ـ كذا في جميع النّسخ، ولعلّ الأصحّ: «مشركوا قومك».

﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ قال: «اختلفوا كما اختلف هذه الأمّة في الكتاب، و سيختلفون في الكتاب الّذي مع القائم الّذي يأتيهم به، حتّى يكره ناس منهم فيقدمهم فيضرب أعناقهم»[1]. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ قيل: يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة[2] ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بإنزال ما يستحقّه المبطل ليتميّز به عن المحقّ. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: و إنّ كفّار قومك ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾: من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾: موقع للرّيبة.

﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾: و إنّ كلّ المختلفين من المؤمنين و الكافرين ﴿لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾. قيل: «لمّا» أصله «لمن ما»، يعني: لمن الّذين يوفّيهم[3]. و على قراءة التّخفيف[4]، إحدى اللامين موطّئة للقسم و الأخرى للتّأكيد، و «ما» مزيدة للفصل بينهما، و على قراءة تخفيف «إن» و رفع «كلّ»[5]، «إن» نافية و «لمّا» بمعنى إلّا. ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فلا يفوت عنه شيء.

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ على جادّة الحقّ غير عادل عنها، و هي شاملة للعقائد والأعمال. قال: «أي: افتقر إلى الله بصحّة العزم»[6]. ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾: وليستقم من تاب من الكفر و آمن معك ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾: و لاتخرجوا من حدود الله ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فهو مجازيكم عليه.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: و لاتميلوا أدنى ميل. ورد: «إنّ الرّكون المودّة و النّصيحة و الطّاعة»[7]. و في رواية: «هو الرّجل يأتي السّلطان فيحبّ بقاءه» إلى

١ـ الكافي ٨: ٢٨٧، الحديث: ٤٣٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكشّاف ٢: ٢٩٥؛ و البيضاوي ٣: ١٢٣.
٣ـ البيضاوي ٣: ١٢٣
٤و٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ١٩٦؛ والبيضاوي ٣: ١٢٣
٦ـ جوامع الجامع ٢: ١٧٠. عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٠٠، روي عنهم عليهم السّلام.

أن يُدْخِلَ يده كيسه فيعطيه»[1]. ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾. قال: «أما إنّه لم يجعلها خلوداً، و لكن تمسّكم فلا تركنوا إليهم»[2]. ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ من أنصار يمنعون العذاب عنكم ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: ثمّ لاينصركم الله.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾. و ساعاتٍ من اللّيل، قريبةً من النّهار. من أزلفَهُ، إذا قرّبه. قال: «طرفاه: المغرب و الغداة، و ﴿زُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ هي صلاة العشاء الآخرة»[3] ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. يكفّرنها. ورد: «إنّ الصّلاة إلى الصّلاة كفّارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر»[4]. و في رواية: «هي صلاة المؤمن باللّيل، تذهب بما عمل من ذنب بالنّهار»[5] و في أُخرى: «إنّ الله يكفّر بكلّ حسنة سيّئةً، ثمّ تلا هذه الآية»[6]. ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾: عظة للمتّعظين.

﴿وَاصْبِرْ﴾ على الطّاعات و عن المنهيّات ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾ فهلّا[7] كان ﴿مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ﴾ من الرّأي و العقل و الفضل؛ و إنّما سمّي بقيّةً، لأنّ الرّجل يستبقي أفضل ما يُخرجه، و منه: «فلان من بقيّة القوم»، أي: من خيارهم. و قولهم: «في الزّوايا خبايا، و في الرّجال بقايا».

﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: لكن قليلاً ممّن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني: تاركي النّهي عن المنكرات ﴿مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾: ما أُنعموا فيه من الشّهوات؛ من حبّ الرّياسة و طلب أسباب العيش الهنيء، و رفضوا ما وراء ذلك ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾؛ كأنّه أراد بيان سبب استيصال الأمم السّالفة،

١ـ الكافي ٥: ١٠٨، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام
٢ـ العيّاشي ٢: ١٦١، الحديث: ٧٢، عن أبي عبدالله عليه السلام
٣ـ التّهذيب ٢: ٢٤١، الحديث: ٩٥٤، عن أبي جعفر عليه السلام
٤ـ الكشّاف ٢: ٢٩٧؛ و البيضاوي ٣: ١٢٤
٥ـ من لايحضره الفقيه ١: ٢٩٩، الحديث: ١٣٧١؛ وعلل الشّرايع ٢: ٣٦٣، الباب: ٨٤، الحديث: ٤٧٠؛ و العيّاشي ٢: ١٦٢، الحديث: ٧٦، عن أبي عبدالله عليه السلام
٦ـ الأمالي (للطّوسي) ١: ٢٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام
٧ـ في «الف»: «هلّا كان».

و هو فشوّ الظّلم فيهم، و اتّباعهم الهوى، و تركهم النّهي عن المنكرات.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منه لهم، أو منهم لأنفسهم، كشرك ومعصية[1] ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ فيما بينهم. قال: «ينصف بعضهم من بعض»[2].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: مسلمين كلّهم ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ قال: «في الدّين»[3].

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ إلّا ناساً هداهم الله و لطف بهم، فاتّفقوا على دين الحقّ. قال: «يعني آل محمّد عليهم السّلام و أتباعهم»[4]. ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال: «خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم»[5]. و في رواية: «النّاس يختلفون في إصابة القول، و كلّهم هالك "إلّا من رحم ربّك"، و هم شيعتنا، و لرحمته خلقهم، و هو قوله: "و لذلك خلقهم" يقول: لطاعة الإمام»[6]. و في أخرى: «"ولايزالون مختلفين" عنى بذلك من خالف من هذه الأمّة، و كلّهم مخالف بعضهم بعضاً في دينهم، و أمّا قوله: "إلّا من رحم ربّك و لذلك خلقهم" فأولئك أولياؤنا من المؤمنين»[7]. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾: من عصاتهما ﴿أَجْمَعِينَ﴾ القمّي: و هم الّذين سبق الشّقاء لهم، فحقّ عليهم القول أنّهم للنّار خلقوا[8].

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ فتصبر على أداء الرّسالة واحتمال الأذى، و اطمئنان قلبك في ذلك ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ الأنباء المقتصّة عليك ﴿ٱلْحَقُّ﴾: ما هو حقّ ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

١ـ في «الف»: «أو معصية».
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٠٢، عن النبيّ ﷺ.
٣و٤ـ القمّي ١: ٣٣٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ التوحيد: ٤٠٣، الباب ٦٢، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ الكافي ١: ٤٢٩، الحديث ٨٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ٢: ١٦٤، الحديث ٨٢، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٨ـ القمّي ١: ٣٣٨.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالكم الّذي أنتم عليه ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ على حالنا.

﴿وَانتَظِرُوا﴾ بنا الدّوائر ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ أن ينزل بكم نحوُ ما نزل بأمثالكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا لغيره ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ لا إلى غيره ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فإنّه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أنت وهم، فيجازي كلاًّ ما يستحقّه.

سورة يوسف

[مكّيّة إلّا الآيات ١ و٢ و٣ و٧ مدنيّة، و آياتها: ١١١ نزلت بعد سورة هود] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ : بلغتكم ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ : إرادة أن تفقهوه و تحيطوا بمعانيه. ورد: «تعلّموا العربيّة، فإنّها كلام الله الّذي تكلّم به خلقه» [2].

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ يحتمل الجمع و المصدر ﴿ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾.

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ ﴾. يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ أصله: يا أبي ﴿ إِنِّى رَأَيْتُ ﴾ من الرّؤيا لا من الرّؤية ﴿ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ قال: «إنّه رآها في أُفق السّماء ساجدةً له، فلمّا قصّها على أبيه قال: هذا أمر متشتّت يجمعه الله عزّ و جلّ من بعد» [3]. ورد: «إنّ تأويل هذه الرّؤيا أنّه سيملك مصر

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
٢ـ الخصال ١: ٢٥٨، الحديث: ١٣٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ المصدر ٢: ٤٥٥، الحديث: ٢، عن النّبيّ ﷺ.

و يدخل عليه ابواه و إخوته، امّا الشّمس فأمّ يوسف: "راحيل"، و القمر: "يعقوب"، و امّا الاحدعشر كوكباً فإخوته»[1]. و في رواية: «خالته»[2] مكان أمّه. و قال: «إنّه رأى هذه الرّؤيا و له تسع سنين»[3].

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾. ضمّن "يكيدوا" معنى يحتالوا، فعدّاه باللام ليفيد معنى الفعلين. ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾. خاف عليه حسد إخوانه له و بغيهم عليه، لما عرف من دلالة رؤياه على أنّه يبلّغه[4] من شرف الدّارين امراً عظيماً.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾. من تعبير الرّؤيا[5]؛ سمّيت أحاديث لأنّهاإمّا حديث الملك، و هي ما كان منها صادقة، وإمّا حديث النّفس أو الشّيطان، و هي ما كان منها كاذبة. ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ بأن يصل نعمة الدّنيا بنعيم الآخرة، بأن يجعلهم انبياء وملوكاً، ثمّ ينقلهم إلى الدّرجات العلى من الجنّة. ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بمن يستحقّ الاجتباء ﴿حَكِيمٞ﴾ في تدبير الأشياء.

﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ﴾: دلائل قدرة الله و حكمته و علامات نبوّتك ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: لمن سأل عن قصّتهم.

روي: «أنّ اليهود قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمّداً لِمَ انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ و قصّة يوسف. قال: فأخبرهم بالصّحّة من غير سماع

١ـ القمّي ١: ٣٣٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ جامع البيان (للطبري) ١٢: ٩١، عن ابن عبّاس، و ذكره في جوامع الجامع ٢: ١٧٥ بلفظة «قيل»؛ وفي تفسير البغوي ٢: ٤٠٩، عن قتادة والسّدّي.
٣ـ القمّي ١: ٣٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ في «ب» و «ج»: «على أن يبلغه».
٥ـ كذا في جميع النّسخ و لعلّ الأصحّ: «الرّؤى» بالجمع.

ولا قراءة كتاب»[1].

﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾: بنيامين. خصّ بالأخوّة، لأنّ أُمّهما كانت واحدة. وفي رواية: «كان ابن خالته»[2]. ﴿أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: والحال أنّا جماعة أقوياء، أحقّ بالمحبّة من صغيرين لاكفاية فيهما ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ لتفضيله المفضول و تركه التّعديل في المحبّة.

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: يَصفُ[3] لكم وجهه، فيُقبِل عليكم بكلّيته و لايمازعكم في محبّته أحد ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ قال: «أي: تتوبون»[4].

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ قال: «هو لاوي»:[5] ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾: في قعر البئر ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾: يأخذه ﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾: الّذين يسيرون في الأرض ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾: مشفقون مريدون له الخير.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصّحراء ﴿يَرْتَعْ﴾: يتّسع في أكل الفواكه و غيرها، من الرّتعة، و هي الخِصْب ﴿وَيَلْعَبْ﴾ بالاستباق بالأقدام و الرّمي ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ لشدّة مفارقته عليّ، و قلّة صبري عنه ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ قيل: لأنّ الأرض

١ ـ جوامع الجامع ٢: ١٧٧.
٢ ـ العيّاشي ٢: ١٩٧، الحديث: ٨٤، عن أبي الحسن عليه السلام.
٣ ـ صَفَو الشيء: خالصه. وصَفَا صَفْوًا (من باب قعد) وصَفَاءً: إذا خلص من الكدر. المصباح المنير ١: ٤١٥ (صفو).
٤ ـ علل الشرايع ١: ٤٧، الباب: ٤١، ذيل الحديث: ١، عن عليّ بن الحسين عليه السلام.
٥ ـ القمّي ١: ٣٥٦، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام.

كانت مذأبة[1]. قال: «إنّ يعقوب قرّب لهم العلّة فاعتلّوا بها في يوسف»[2]. و ورد: «إنّما أبتلي يعقوب بيوسف إذ ذبح كبشاً سميناً، و رجل من أصحابه محتاج لم يجد ما يفطر عليه، فاغفله و لم يطعمه، وكان بعد ذلك ينادي مناديه إلى غدائه و عشائه»[3].

﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة أقوياء ﴿إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ و عزموا؛ و جوابه محذوف أي: فعلوا به ما فعلوا. ورد: «إنّهم نزعوا قميصه فدلّوه في البحر[4] و تنحّوا عنه، فقال يوسف في الجبّ: يا إله إبراهيم و إسحاق و يعقوب ارحم ضعفي و قلّة حيلتي وصغري»[5]. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾: إلى يوسف ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾: لتحدّثنّهم بما فعلوا بك؛ بَشَّرَهُ بما يؤول إليه أمره حين عرفهم و هم له منكرون؛ إيناساً له و تطييباً لقلبه ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قال: «يقول: لا يشعرون أنّك أنت يوسف. أتاه جبرئيل فأخبره بذلك»[6].

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾: متباكين.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾: نتسابق في العدْو ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾: بمصدّق لنا ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ لسوء ظنّك بنا و فرط محبّتك ليوسف.

﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾: مكذوب فيه؛ وُصِفَ بالمصدر للمبالغة. قال: «ذبحوا جدْياً[7] على قميصه»[8]. و ورد: «لمّا أوتي بقميصه على يعقوب، قال: اللّهمّ

١ـ البيضاوي ٣: ١٢٨.
٢ـ علل الشرائع ٢: ٦٠٠، الباب ٣٨٥، الحديث: ٥٦، عن أبي عبدالله عليه السلام
٣ـ العيّاشي ٢: ١٦٧، الحديث ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام
٤ـ في المصدر: «في اليمّ»، وفي «الف» : «في البحر».
٥ـ القمّي ١: ٣٤١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر ١: ٣٤٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ الجَدْي. من أولاد المعز و هو ما بلغ ستّة أشهر أو سبعة. مجمع البحرين ١: ٨١ (جدا).
٨ـ القمّي ١: ٣٤١، عن أبي جعفر عليه السلام.

لقد كان ذئباً رفيقاً، حين لم يشقّ القميص»[1]. ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: سهّلت و هوّنت في أعينكم أمراً عظيماً؛ من السّوك و هو الاسترخاء. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: فأمري صبر جميل. قال: «الصّبر الجميل الّذي لاشكوى فيه إلى الخلق»[2]. ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف. قال: «إنّه لمّا سمع مقالتهم استرجع و استعبر، و ذكر ما أوحى الله إليه من الاستعداد للبلاء، و اد عن للبلوى. يعني بسبب غفلته عن إطعامه الجار الجائع. فقال لهم: "بل سوّلت لكم انفسكم أمراً" و ما كان الله ليطعم لحم يوسف للذّئب من قبل ان ارى تأويل رؤياه الصّادقة»[3].

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: رفقة يسيرون، نزلوا قريباً من الجبّ ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الّذي يرد الماء و يستقي[4] لهم ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ﴾: فارسلها في الجبّ ليملأها، فتدلّى بها يوسف، فلمّا رآه ﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ﴾ بشّر قومه ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾: أخفوه متاعاً للتّجارة. اي: اخفى الواردُ و اصحابُه من ساير الرّفقة، او إخوةُ يوسف من السّيّارة؛ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ لم يخف عليه أسرارهم.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: مبخوس ناقص ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: قليلة؛ فإنّهم كانوا يَزِنُونَ الكثير، و يعدّون القليل. ورد: «كانت عشرين درهماً»[5]. و في رواية: «ثمانية عشر»[6]. ﴿وَكَانُوا فِيهِ﴾: في يوسف ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾: الرّاغبين عنه. ورد: «لمّا اصبحوا قالوا: انطلقوا بنا حتّى ننظر ما حال يوسف، أمات ام هو حيّ؟ فلمّا انتهوا إلى الجبّ، وجدوا سيّارة قد ارسلوا واردهم، و أدلى دلوه؛ إذا هو بغلام متعلّق بدلوه! فقال

١ـ العيّاشي ٢ـ ١٧١، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ البيضاوي ٣: ١٢٩، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٣ـ العيّاشي ٢: ١٦٩، ذيل الحديث: ٥؛ وعلل الشّرايع ١: ٤٧، الباب: ٤١، ذيل الحديث ١، عن السّجّاد عليه السلام.
٤ـ في «ج»: «يستقي».
٥ـ العيّاشي ٢ـ ١٧٢، الحديث: ١٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ المصدر، الحديث ١٤، عن أبي جعفر عليه السلام؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٢٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

لاصحابه: يا بشرى هذا غلام! فلمّا اخرجوه أقبل إليهم إخوة يوسف، فقالوا: هذا عبدنا سقط منّا امس في هذا الجبّ، و جئنا اليوم لنخرجه، فانتزعوه من أيديهم و تنحّوا به ناحية، فقالوا: إمّا ان تقرّ لنا انّك عبدنا فنبيعك بعض هذه السيّارة، او نقتلك. فقال: لاتقتلوني واصنعوا ما شئتم، فاقبلوا به إلى السيّارة فقالوا: منكم من يشتري منّا هذا العبد؟ فاشتراه رجل منهم بعشرين درهماً، و كان إخوته فيه من الزّاهدين»[1]. القمّي: فحملوا يوسف إلى مصر و باعوه من عزيز مصر[2].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ قال: «كان اسمها زليخا»[3]. ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾: اجعلي مقامه عندنا كريماً، اي: حَسَناً، و المعنى: احسني تعهّده ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ في ضياعنا و اموالنا، و نستظهر به في مصالحنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾: نتبنّاه، و ذلك لما تفرّس[4] منه الرّشد. قال: «و كان عنّيناً»[5]. القمّي: و لم يكن له ولد، فاكرموه و ربّوه، فلمّا بلغ اشدّه هوته امراة العزيز، و كانت لاتنظر إلى يوسف امراة إلّا هوته، و لارجل إلّا احبّه، و كان وجهه مثل القمر ليلة البدر[6]. ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾: لايمنع عمّا يشاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لطائف صنعه، و انّ الامر كلّه بيده.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾: منتهى اشتداد جسمه و قوّته ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: حكمة ﴿وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾: طلبت منه و تمحّلت[7] مُواقعتها؛ من راد

١ـ العيّاشي ٢: ١٧١، الحديث: ١٠، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٢ـ القمّي ١: ٣٤٢.
٣ـ المصدر ١: ٣٥٧، عن ابي الحسن الثالث ؑ.
٤ـ تفرّس: تثبّت. القاموس المحيط ٢: ٢٤٥ (فرس).
٥ـ القمّي ١: ٣٥٧، عن ابي الحسن الثالث ؑ.
٦ـ المصدر: ٣٤٢.
٧ـ تمحّل له: احتال. القاموس المحيط ٤: ٥٠ (محل).

يرود: إذا جاء و ذهب لطلب شيء. ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ أي: أقبل وبادر. و في قراءتهم عليهم السّلام بالهمزة و ضمّ التاء[1]، بمعنى تهيّأتُ لك. ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾: أعوذ بالله معاذاً ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾: سيّدي أحسن تعهّدي، فليس جزاؤه أن أخونه في أهله، أو إنّ الله خالقي و أحسن منزلتي، بأن عطف عليّ قلبه فلا أعصيه. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾: قصدت مخالطته ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ قال: «ولولا أن رأى برهان ربّه لهَمَّ بها كما هَمَّتْ به، ولكنّه كان معصوماً، والمعصوم لا يهُمُّ بذنب ولا يأتيه»[2]. و قال: «البرهان: النّبوّة المانعة من ارتكاب الفواحش والحكمة الصّارفة عن القبائح»[3]. و في رواية: «همّت بأن تفعل و همّ بأن لا يفعل»[4]. و في أخرى: «إنّها همّت بالمعصية، و همّ يوسف بقتلها إن أجبرته؛ لعظم ما تداخله»[5]، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة»[6]. ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ قال: «يعني القتل والزّنا»[7]. ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ الّذين أخلصهم الله لطاعته، أو[8] أخلصوا دينهم لله، على اختلاف القراءتين[9].

﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ أي: تسابقا إليه، و ذلك أنّ يوسف فرّ منها ليخرُجَ، و أسرعت وراءه لتمنعه الخروج. ﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾ اجتذبته من ورائه فانقدّ قميصه. والقَدُّ: الشّقُّ طولاً. والقطّ: الشّقّ عرضاً. ﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا﴾: و صادفا زوجها ﴿لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾. بادرت إلى

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٢٢، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٢ و٤ ـ عيون أخبار الرّضا ﷺ ٢٠١:٢، الباب: ١٥، ذيل الحديث: ١
٣ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٢٥، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ـ في «ألف»: «و همّ يوسف بقتلها أجبرته، لعظمة ما تداخله».
٦ و٧ـ عيون أخبار الرّضا ﷺ ١: ١٩٣، الباب: ١٤، ذيل الحديث: ١.
٨ـ في «ألف» و «ج»: «وأخلصوا».
٩ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٢٣؛ وجوامع الجامع ٢: ١٨٤

هذا القول إيهاماً بأنّها فرّت منه؛ تبرأةً لساحتها عند زوجها، و «ما» نافية، أو استفهاميّة
﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ : طالبتني بالمواتاة؛ و إنّما قال ذلك دفعاً لما عرضته له من السّجن والعذاب، و لو لم تكذب عليه لما قاله ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ . قال: «وكان عندها صبيّ[1] من أهلها زائر لها؛ فأنطقه الله لفصل القضاء»[2] وفي رواية: «ألهم الله عزّوجلّ يوسف أن قال للملك: سل هذا الصّبيّ في المهد، فإنّه سيشهد أنّها راودتني عن نفسي. فقال العزيز للصّبيّ. فانطق الله الصّبيّ في المهد ليوسف»[3]. ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ لأنّه يدلّ على أنّه قدّت قميصه من قدّامه بالدّفع عن نفسها، أو أنّه أسرع خلفها فتعثّر بذيله فانقدّ جيبه.
﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ لأنّه يدلّ على أنّها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدّته.
﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ لأنّه يعلق بالقلب و يؤثّر في النّفس، لمواجهتهنّ به، بخلاف كيد الشّيطان، فإنّه يوسوس به مسارقة.
﴿يُوسُفُ﴾ : يا يوسف ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ : اكتمه و لاتذكره ﴿وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ﴾ يا زليخا ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ من القوم المذنبين؛ من خطئ: إذا أذنب متعمّداً.
﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ : تطلب مواقعة غلامها إيّاها ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قال: «قد حجبها حبّه عن النّاس، فلا تعقل غيره. والشّغاف هو حجاب القلب»[4]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «بالمهملة»[5] أي،

١ـ في «الف»: «وكان صبيّ عندها».
٢ـ العيّاشي ٢: ١٧٤، ذيل الحديث: ١٩، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٤٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ القمّي ١: ٣٥٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ١٨٦، عن أهل البيت عليهم السّلام

أحرقها، كما يُحرق البعير بالقطران[1] إذا هنئ به. ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ عن الرّشد والصّواب. القمّي: و شاع الخبر بمصر، و جعلن النّساء يتحدّثن بحديثها، ويعذلنها[2] ويذكرنها[3].

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ باغتيابهنّ و تعييرهنّ؛ و إنّما سمّاه مكراً لأنّهنّ أخفينه، كما يخفي الماكر مكره ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: تدعوهنّ ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ قال: «هيّأت لهنّ طعاماً و مجلساً، ثمّ آتتهنّ باُترج»[4]. قيل: كانوا يتّكئون للطّعام و الشّراب ترفاً[5]. والقمّي: متكأ أي: أُترُجاً[6] كأنّه قرأه باسكان التّاء و حذف الهمزة.

﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ فقالت: اقطعن. ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ القمّي: و كان[7] في بيت[8].

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾: عظّمنه و هبن حسنه الفائق. و في حديث المعراج: «رأيت في السّماء الثّانية رجلاً صورته صورة القمر ليلة البدر، فقلت لجبرئيل: من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف»[9]. ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: جرحنها بالسكاكين من فرط الدّهشة ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهاً لله سبحانه من صفات العجز، و تعجّباً من قدرته على خلق مثله ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ لأنّ هذا الجمال غير معهود للبشر ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ لأنّ جماله فوق جمال البشر، و لأنّ الجمع بين الجمال الرّائق و الكمال الفائق و العصمة

١ـ القطران: عُصارة الأبهل و الأرز و نحوهما يُطبخ فيتحلّب منه ثمّ تُهنأ به الإبل. لسان العرب ٥: ١٠٥ (قطر).
٢ـ العذل: الملامة. القاموس المحيط ٤: ١٤ (عذل).
٣ـ القمّي ١: ٣٤٣، و فيه: أو يعيرنّها بدل: أو يعذلنها.
٤ـ علل الشرايع: ٤٩، الباب: ٤١، ذيل الحديث: ١، عن السّجاد عليه السلام.
٥ـ البيضاوي ١: ٣٣٢، و الكشاف ٢: ٣١٦.
٦ـ القمّي ١: ٣٤٣، و فيه: أترجة.
٧ـ في «ج»: وكانت.
٨ـ القمّي ١: ٣٤٣.
٩ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٣١، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

البالغة من خواصّ الملائكة.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ قال: «يعني في حبّه»[1]. ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾: فامتنع طالباً للعصمة. أقرّت لهنّ حين عرفت أنّهنّ يعذرنها، كي يعاونّها على إلانة عريكته[2]. ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾: الأذلّاء.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ قال: «فخرجن النّسوة من عندها، فأرسلت كلّ واحدة منهنّ إلى يوسف - سرّاً من صواحبها - تسأله الزّيارة، فأبى عليهنّ»[3]. ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أمِلْ إلى إجابتهنّ ﴿وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾: من السّفهاء، بارتكاب ما يدعونني إليه.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: فثبّته بالعصمة، حتّى وطّن نفسه على مشقّة السّجن، وآثرها على اللّذّة المتضمّنة للعصيان ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ أي: الشّواهد الدّالّة على براءته ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾. قال: «الآيات: شهادة الصّبيّ، والقميص المخرق من دبر، واستباقهما الباب حتّى سمع مجاذبتها إيّاه على الباب. فلمّا عصاها لم تزل مولعة بزوجها حتّى حبسه»[4].

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾. القمّي: عبدان للملك أحدهما خبّاز[5]، والآخر صاحب الشّراب[6]. ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي﴾: أرى في المنام، وهي حكاية حالة ماضية ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي: عنباً، سمّاه بما يؤول إليه. ﴿وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ

---

١ و ٣ - علل الشّرايع ١: ٤٩، الباب ٤١، ذيل الحديث ١، عن السّجّاد عليه السلام.
٢ - أي: على تليين شدّة يوسف وإمالته على إطاعتها.
٤ - القمّي ١: ٣٤٤، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه «ملحّة» بدل «مولعة».
٥ - في مصدر: «خبّاز».
٦ - القمّي ١: ٣٤٤.

﴿فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ قال: «جَفْنَة فيها خبز»[1] ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾. قال: «لما أمر الملك بحبس يوسف في السّجن ألهمه الله علم تاويل الرؤيا، فكان يعبّر لاهل السّجن رؤياهم»[2]. ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. قال: «كان يوسّع المجلس و يستقرض للمحتاج و يعين الضّعيف»[3].

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ لعلّه اراد ان يدعوهما اولاً إلى التّوحيد، و ياتي بما يكون معجزة له من الإخبار بالغيب، ليدلّ على صدقه، ثمّ يجيبهما عمّا سالا منه. ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ بالإلهام والوحي، و ليس من قبيل التكهّن والتنجّم ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ يبعثنا لارشادهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾: آلهة من غير حجّة تدلّ على استحقاقها الإلهيّة، و إنّما تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها اسم الإله ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾. الحقّ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيخبطون في جهالاتهم.

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ يعني صاحب الشّراب ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ كما

١ـ العيّاشي ٢: ١٧٧، الحديث: ٢٥، عن أبي عبدالله ﷺ. و الجفنة. القصعة، خصّت بوعاء الاطعمة، جمعها: جفان. القاموس المحيط ٤: ٢١١؛ والمفردات: ٩٣ (جفن)
٢ـ المصدر. ١٧٦، الحديث: ٢٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٣ـ الكافي ٢: ٦٣٧، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله ﷺ

يسقيه من قبل. القمّي: قال له يوسف: تخرج من السّجن و تصير على شراب الملك، وترتفع منزلتك عنده[1]. ﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ﴾ يعني الخبّاز ﴿فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾ القمّي ولم يكن رأى ذلك و كَذِبَ. فقال له يوسف: أنت يقتلك الملك و يصلبك وتأكل الطّير من دماغك، فجحد الرّجل، فقال إنّي لم أر ذلك. فقال يوسف:[2] ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ و هو مايؤول إليه أمركما؛ يعني قُطِعَ و فُرِغَ منه؛ صدقتما أو كذبتما.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا﴾: علم نجاته ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾: اذكر حالي عند الملك، و انّي حُبستُ ظلماً، لكي يخلّصني من السّجن ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ قيل: فانسى الشّيطان صاحبَ الشّراب أن يذكره لربّه، أو انسى يوسف ذكرَ الله، فستعان بغيره[3]. و ورد: «لم يفزع يوسف في حاله إلى الله فيدعوه، فلذلك قال الله: "فانساه الشّيطان ذكر ربّه"»[4]. ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ قال: «سبع سنين»[5].

ورد: «أوحى الله إليه في ساعته، كيف استعنت بغيري و لم تستعن بي[6] وتسألني أن أُخرِجَك من السّجن، و أملت عبداً من عبادي ليذكرك إلى مخلوق من خلقي في قبضتي، ولم تفزع إليّ؟! إلبثْ في السّجن بذنبك بضع سنين، بإرسالك عبداً إلى عبد»[7].

و ورد: «لمّا انقضت المدّة و أذن الله له في دعاء الفرج، وضع خدّه على الأرض، ثمّ قال: اللّهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك، فإنّي أتوجّه إليك بوجوه آبائي

١ و ٢ ـ القمّي ١: ٣٤٤.
٣ ـ البيضاوي ٣: ١٣٤، و الكشّاف ٢: ٣٢٢.
٤ ـ العيّاشي ٢: ١٧٦، الحديث: ٢٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ المصدر: ١٧٨، الحديث: ٣٠، مرفوعاً عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ في المصدر: «كيف استغثت بغيري و لم تستغث بي».
٧ ـ العيّاشي ٢: ١٧٦، الحديث: ٢٣، مرفوعاً عن أبي عبدالله عليه السلام.

الصّالحين إبراهيم و إسماعيل و إسحق و يعقوب، ففرّج الله عنه»[١].

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ ﴾ في قراءتهم عليهم السّلام: «سبع سنابل»[٢]. ﴿ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾: التوت على الخضر حتّى غلّبت عليها، و استغنى عن بيان حالها بذكر حال البقرات ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ ﴾: عبّروها ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾: إن كنتم عالمين بتاويلها

﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ﴾: تخاليطها و اباطيلها، و ما يكون منها من وسوسة او حديث نفس. جمع ضغث و هو ما جُمِعَ من اخلاط النّبات و حُزِمَ، فاستعير[٣] للرّؤيا الكاذبة. ورد: «الرّؤيا على ثلاثة وجوه: بشارة من الله للمؤمن، و تحذير من الشّيطان، و اضغاث احلام»[٤]. ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴾ اي: الباطلة خاصّة. اعتذار لجهلهم بتاويله، بانّه ممّا ليس له تاويل.

﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا ﴾: من صاحبي السّجن، و هو الشّرابي ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾: و تذكّر يوسف، بعد جماعة من الزّمان مجتمعة، اي: مدّة طويلة. قال: «اي: بعد وقت»[٥]. ﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ اي: إلى من عنده علمه.

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ اي: فارسلوه إلى يوسف، فاتاه و قال له: يا يوسف ايّها البليغ في الصّدق. و إنّما قال ذلك لانّه جرّب احواله و عرف صدقه في تاويل رؤياه و رؤيا صاحبه. ﴿ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾ اي: في رؤيا ذلك ﴿ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ اي: على عادتكم المستمرّة ﴿ فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ

١ـ العيّاشي ٢: ١٧٨، الحديث ٢٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ المصدر: ١٧٩، الحديث ٣٣، عن ابي عبدالله عليه السلام؛ والقمّي ١: ٣٤٥.
٣ـ في «الف» و «ج»: «استعير».
٤ـ الكافي ٨: ٩٠، الحديث ٦١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٣٢٣، عن امير المؤمنين عليه السلام.

﴿فِي سُنْبُلِهِ﴾ لئلاّ يأكله السُّوس، وهي نصيحة خارجة عن التعبير ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي: يأكل أهلهنّ ما ادّخرتم لأجلهنّ، فأسند إليهنّ على المجاز، تطبيقاً بين المعبّر والمعبّر به. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «ما قرّبتم لهنّ»[١]. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾: ممّا تحرزون لبذور الزّراعة.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾: يُمطَرون، من الغيث. أو يغاثون من القحط، من الغوث. ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: ما يُعْصَرُ من الثّمار والحبوب والزّروع. وفي قراءتهم عليهم السّلام: على البناء للمفعول[٢]، أي: يمطرون بعد المجاعة. قال: «والدّليل على ذلك قوله تعالى: "وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا"»[٣].

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ بعد ما جاءه[٤] الرّسول بالتعبير ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ ليُخرجه ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ قال: «يعني العزيز»[٥]. ﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾. تأنّى في إجابة الملك، وقدّم سؤال النّسوة وفحص حاله، ليُظهِرَ براءة ساحته، ويُعْلِمَ أنّه سُجِنَ ظلماً، ولم يتعرّض لامرأة العزيز مع ما صنعت به، كرماً ومراعاةً للأدب.

ورد عن النّبيّ ﷺ: «لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره؛ والله يغفر له، حين سُئلَ عن البقرات العجاف والسّمان؛ ولو كنتُ مكانه ما أخبرتهم حتّى اشترط أن يُخرجوني، ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه، والله يغفر له، حين أتاه

١ـ القمّي ١: ٣٤٥، عن أبي عبدالله ﷺ.
٢و٣ـ القمّي ١: ٣٤٦، عن أبي عبدالله، عن أمير المؤمنين عليهما السّلام. والآية في سورة النّبأ (٧٨): ١٤.
٤ـ في «الف»: «جاءه».
٥ـ العيّاشي ٢: ١٨٠، الحديث: ٣٧، عن أبي عبدالله ﷺ.

الرّسول، فقال: ارجع إلى ربّك؛ ولو كنت مكانه و لبثتُ في السّجن ما لبث، لاسرعت الإجابة و بادرتهم الباب و ما ابتغيت العذر؛ إن كان[1] لحليماً ذا أناة»[2].

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾: قال الملك: ما شأنكن؟ ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾: من ذنب ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾: ثبت و استقرّ، او ظهر ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ حيث قال: «هي راودتني عن نفسي»[3].

﴿ذَٰلِكَ﴾. قاله يوسف لمّا عاد إليه الرّسول و اخبره بكلامهنّ. اي: ذلك التثبّت ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾: بظهر الغيب في حرمته ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾: لا ينفذه و لا يسدّده؛ فيه تعريض بامراة العزيز، و تاكيد لامانته.

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾: لا انزّهها؛ تواضع لله و تنبيه على انّه لم يرد بذلك تزكية نفسه و العُجبَ بحاله، بل إظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتّوفيق. ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾: إلّا وقت رحمة ربّي، او إلّا ما رحمه الله من النّفوس، فعصمه عن ذلك. و يحتمل انقطاع الاستثناء، يعني: ولكن رحمة ربّي هي الّتي تصرف السّوء.

و قيل: إنّ الآيتين من تتمّة كلام امراة العزيز، اي: ذلك الّذي قلتُ ليعلم يوسفُ انّي لم أكذب عليه في غيبته، و صدقتُ فيما سُئلتُ عنه، و «ما أُبرّىء نفسي» مع ذلك من الخيانة، فإنّي خنته حين قذفته و سجنته، تريدالاعتذار ممّا كان فيه[4]. و هذا التّفسير هو المستفاد من كلام القمّي حيث قال: «لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ» اي: لا اكذب عليه الآن كما

1ـ كذا في جميع النّسخ، و لعلّ الصّواب: «إنّه كان» كما في المصدر و الصّافي.
2ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٤٠. و الأناة ـ كقناة ـ : الحلْمُ و الوقار. القاموس المحيط ٤: ٣٠٢ (انى).
3ـ نفس السّورة: ٢٦.
4ـ الكشّاف ٢: ٣٢٧.

كذبت عليه من قبل[1]. ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر ميل النفس، و يرحم من يشاء بالعصمة.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾: أجعله خالصاً لنفسي ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾: فلمّا أتوا به و كلّمه، و شاهد منه الرّشد و الأمانة، واستدلّ بكلامه على عقله، وبعفّته على أمانته ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو مكانة و منزلة ﴿أَمِينٌ﴾. مؤتمن على كلّ شيء.

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾: ولّني أمرها. و الأرض: أرض مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ قال: «بما تحت يدي»[2]. ﴿عَلِيمٌ﴾ قال: «بكلّ لسان»[3]. قيل: إنّما طلب الولاية ليتوصّل بها إلى امضاء أحكام الله، و بسط الحقّ و وضع الحقوق مواضعه[4]. ورد: «رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل: "اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ" لولّاه[5] من ساعته، و لكنّه أخّر ذلك سنة»[6].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر. قال: «ملك يوسف مصر و براريها، لم يجاوزها إلى غيرها»[7]. ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾: ينزل من بلادها حيث يهوى. ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. ورد ما ملخّصه: «إنّه لم يبق بمصر و ما حولها مال و لا عبد و لا حرّ إلّا صار ليوسف، ببيعه الطّعام إيّاهم. فقال للملك: ما ترى فيما خوّلني ربّي من ملك مصر و أهلها؟ أشر علينا برأيك، فإنّي لم أُصلحهم

١ـ القمّي ١: ٣٤٦
٢ و ٣ـ علل الشّرايع ١: ١٢٥، الباب ١٠٥، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ وعيون أخبار الرّضا عليه السلام ٢: ١٣٩، الباب: ٤٠، الحديث: ١؛ والعيّاشي ٢: ١٨١، الحديث ٣٩، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٤ـ الكشّاف ٢: ٣٢٨
٥ـ في «الف»: «لولّى».
٦ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٤٣، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٧ـ العيّاشي ٢: ١٨١، الحديث: ٤١، عن أبي جعفر عليه السلام.

لأفسدنهم، و لم أنجهم من البلاء ليكون وبالاً عليهم، و لكنّ الله نجّاهم على يدي. قال له الملك: الرأي رأيك. قال يوسف: إنّي أُشهد الله و أُشهدك أيّها الملك، إنّي قد أعتقت أهل مصر كلّهم، و رددت عليهم أموالهم و عبيدهم، و رددت عليك أيّها الملك خاتمك و سريرك و تاجك؛ على أن لا تسير إلّا بسيرتي و لا تحكم إلّا بحكمي. قال له الملك: إنّ ذلك لشرفي و فخري أن أسير بسيرتك و أحكم بحكمك، و لولاك ما قويت و لا اهتديت له، و لقد جعلت سلطاني عزيزاً ما يرام[1]، و أنا أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، و أنّك رسوله. فأقم على ما ولّيتك، فإنّك لدينا مكين أمين»[2].

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ لِلْمِيْرَة،[3] و ذلك لأنه أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد من الجدب، فأرسل يعقوب بنيه غير بنيامين إليه.

القمّي. أمر يوسف أن يبنى له كنا ديج[4] من صخر و طيّنها بالكلس[5]، ثمّ أمر بزرع مصر، فحصدت و دفع إلى كلّ إنسان حصّة، و ترك في سنبله لم يدسّه، فوضعها في الكناديج، ففعل ذلك سبع سنين. فلمّا جاء سنوّا القحط، كان يُخرج السّنبل فيبيع بما شاء، و كان بينه و بين أبيه ثمانية عشر يوماً، و كان النّاس من الآفاق يخرجون إلى مصر ليَمْتاروا طعاماً، وكان يعقوب و ولده نزولاً في بادية فيها مُقْل[6]، فأخذ إخوة يوسف من ذلك المُقْل، و حملوه إلى مصر ليمتاروا به طعاماً، و كان يوسف يتولّى البيع بنفسه[7]. ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ لانّ همّته كانت معقودة بهم ﴿وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾

١ـ في المصدر: «جعلت سلطاناً عزيزاً لا يرام».
٢ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٤٤، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.
٣ـ الميرة ـ بالكسر ـ: جَلَبُ الطّعام. القاموس المحيط ٢: ١٤٢ (مير).
٤ـ كُنَاديج جمع كُنْدوج: شبهُ المخزن، معرب كَنْدُو. القاموس المحيط ١: ٢١٢ (كلج).
٥ـ الكِلْس ـ بالكسر ـ: الصّاروج. القاموس المحيط ٢: ٢٥٦ (كلس).
٦ـ المُقْل ـ بالضمّ ـ: الكُنْدُر الّذي يتدخّن به اليهود و صَمْغُ شجرة. القاموس المحيط ٤: ٥٢ (مقل).
٧ـ القمّي ١: ٣٤٦.

قال: «الهيبة الملك وعزّه»[1].

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ اصلحهم بعدّتهم، و أوقر ركائبهم بما جاؤوا لأجله. وأصل الجهاز ما يعدّ من الأمتعة للنقلة. ﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ ورد: «إنّه قال لهم يوسف: قد بلغني انّ لكم أخوين لأبيكم، فما فعلا؟ قالوا: امّا الكبير منهما فإنّ الذئب أكله، و امّا الصّغير فخلّفناه عند أبيه، و هو به ضنين[2] وعليه شفيق قال: فإنّي أحبّ أنّ تأتوني به معكم إذا جئتم تمتارون»[3].

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾: المضيفين، و كان أحسن إنزالهم وضيافتهم.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾.

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: سنجتهد في طلبه من أبيه ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ذلك لاتتوانى فيه.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾: لغلمانه الكيّالين ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ يعني: ثمن طعامهم وما كانوا جاؤوا به ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾: في أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾: يعرفون حقّ ردّها، وحقّ التكرّم بإعطاء بدلين ﴿إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ و فتحوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعلّ معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرّجوع.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ أرادوا قول يوسف: «فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي». ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾: نرفع المانع[4] ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ عن أن يناله مكروه.

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾: يوسف ﴿مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ

١ـ العيّاشي ٢: ١٨١، الحديث ٤٢، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه: «وعزّته».
٢ـ الضّنين: البخيل، و الضنّة: هو البخل بالشيء النّفيس. المفردات: ٣٠٨ (ضنّ).
٣ـ العيّاشي ٢: ١٨١، الحديث ٤٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ في «الف»: «نرفع الموانع».

حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾: يرحم ضعفي و كِبَر سنّي، فيحفظه و يردّه عليّ، ولايجمع عليّ مصيبتين. ورد: «إنّ الله سبحانه قال فبعزّتي لأردّنّهما إليك بعد ما توكّلت عليّ»[١].

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ﴾: ماذا نطلب؟ هل من مزيد على ذلك؟ أكرمنا و أحسن مثوانا و باع منّا وردّ علينا متاعنا؛ أو المعنى،[٢] لانطلب وراء ذلك إحساناً، أو ما نريد منك بضاعة أخرى. ﴿ هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ بالرّجوع إلى المَلِك ﴿ وَنَحْفَظُ أَخَانَا ﴾ عن المَخاوف، في ذهابنا و إيابنا ﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ باستصحاب اخينا ﴿ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ اي: مكيل قليل[٣] لايكفينا؛ استقلّوا ما كيل لهم، فارادوا ان يردادوا إليه ما يُكال لاخيهم، او ارادوا انّ كَيْلَ بعيرٍ يسيرٌ لايُضايقنا فيه المَلِكُ.

﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ ﴾ اي: عهداً مؤكّداً بذكر الله. ﴿ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾: إلّا ان تُغلَبوا فلا تُطيقُوا ذلك، او إلّا ان تَهلكُوا جميعاً. ﴿ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾: رقيب مطّلع، إن اخلفتم[٤] انتصف لي منكم.

﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ لانّهم كانوا ذوي جمال و بهاءٍ و هيئةٍ حسنةٍ، و قد شهرُوا في مصرَ بالقرب من المَلِك، و التّكرمة الخاصّة الّتي لم تكن لغيرهم، فخاف عليهم العينَ. ﴿ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ يعني وإن أراد الله بكم سوءً لم ينفعكم، و لم يدفع عنكم ما اشرتُ به عليكم من التّفرّق و هو مصيبكم لامحالة، فإنّ الحذَرَ لايمنع القدَرَ. ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٤٨.
٢ـ في «الف»: «والمعنى».
٣ـ في «الف»: «كيل قليل».
٤ـ في «ج»: «إن اختلفتم».

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ اي. من ابواب متفرقة ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم﴾ راى يعقوب ﴿مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾. مما قضاه عليهم، فسرقوا و أخذ[١] بنيامين، وتضاعفت المصيبة على يعقوب ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾. استثناء منقطع؛ يعني، ولكن حاجة في نفسه، و هي شفقته عليهم، و حزازته من ان يعانوا. ﴿قَضَاهَا﴾: اظهرها و وصّى بها ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾: لذو يقين و معرفة بالله، من اجل تعليمنا إيّاه. و لذلك قال: "ما أغني عنكم" ولم يغترّ بتدبيره. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: سرّ القدر، و انّه لايغني عنه الحذر.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: ضمّ إليه بنيامين ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فلا تحزن؛ من البؤس ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في حقّنا، فإنّ الله قد احسن إلينا وجمعنا.

ورد: «و قد كان هيّأ لهم طعاماً، فلمّا دخلوا عليه قال: ليجلس[٢] كلّ بني أمّ على مائدة. قال: فجلسوا و بقي بنيامين قائماً. فقال له يوسف: مالك لاتجلس؟ قال له: إنّك قلت: ليجلس كلّ بني أمّ على مائدة، وليس لي فيهم ابن أمّ. فقال له[٣] يوسف: أما كان لك ابن أمّ؟ فقال له بنيامين: بلى. قال يوسف: فما فعل؟ قال: زعم هؤلاء انّ الذئب أكله. قال: فما بلغ من حزنك عليه؟ قال. ولد لي احد عشر ابناً، كلّهم اشتققت له اسماً من اسمه. فقال له يوسف: أراك قد عانقت النّساء و شممت الولد من بعده. قال له بنيامين: إنّ لي أباً صالحاً، و انّه قال. تزوّج، لعلّ الله ان يخرج منك ذرّية تثقل الارض بالتسبيح. فقال له: تعال فاجلس معي على مائدتي. فقال إخوة يوسف. لقد فضّل الله

١ـ في «ب»: «وأخذوا»
٢ـ في «الف»: «يجلس»
٣ـ في «الف» و «ج»: «فقال يوسف»

يوسف و أخاه، حتّى أنّ الملك قد أجلسه معه على مائدته»[1]

و القمّي. فلمّا خرجوا من عنده قال يوسف لأخيه: أنا أخوك يوسف فلا تبتئس بما كانوا يعملون، ثمّ قال له: أنا أحبّ أن تكون عندي. فقال: لايدعوني إخوتي، فإنّ أبي قد أخذ عليهم عهد الله و ميثاقه أن يردّوني إليه، قال: أنا أحتال بحيلة، فلا تنكر إذا رأيت شيئاً و لاتخبرهم، فقال: لا[2].

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾: المشربة قال: «كان قدحاً من ذهب وكان صُواع يوسف إذا كيل، كيل به»[3]. ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ قال: «من حيث لم يقف عليه إخوته»[4]. ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نادى منادٍ: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ أي: القافلة. و هو اسم الإبل الّتي عليها الأحمال، فقيل لأصحابها. القمّي: معناه يا أهل العير، و مثله "وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا، وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا"[5] ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾. قال: «ما سرقوا و ما كذب يوسف، فإنّما عنى سرقتهم[6] يوسف من أبيه»[7] و في رواية: «ألا ترى أنّهم حين قالوا: "مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا: نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ" و لم يقولوا: سرقتم صواع الملك»[8].

﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾.

﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ قال: «الطاس الّذي يشرب منه»[9]. ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام جُعْلاً له ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾: كفيل أؤدّيه.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾. قسمٌ فيه معنى التعجّب. ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٥١ـ ٢٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام
٢ و ٤ـ القمّي ١: ٣٤٨
٣ـ العيّاشي ٢: ١٨٥، الحديث: ٥٢، عن أبي عبدالله عليه السلام مع تفاوت.
٥ـ القمّي ١: ٣٤٩، والآية في نفس السورة: ٨٢.
٦ـ في «ب» و «ج» والمصدر: «سرقهم».
٧ـ القمّي ١: ٣٤٩، عن أبي عبدالله عليه السلام
٨ـ العيّاشي ٢: ١٨٥، الحديث: ٥٠ وعلل الشرايع ١: ٥٢، الباب: ٤٣، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام
٩ـ المصدر، الحديث: ٥١، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾. استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم، لِما ثبت عندهم دلائل دينهم وأمانتهم في معاملتهم معهم، مرّةً بعد أُخرى.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾: فما جزاء السّرَق؟ ﴿إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في ادّعائكم البراءة منه.

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي: جزاء سَرِقته أخذ من وجد في رحله واسترقاقُه. هكذا كان شرعُ يعقوبَ. قال: «يعنون السُّنّة الّتي كانت تجري فيهم أن يحبسه»[1]. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بالسّرقة.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾: بنيامين، دفعاً للتهمة ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ بأن علّمناه إيّاه ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾: مَلِكِ مصرَ، لأنّ حكم السّارق في دينه أن يُضرَب ويُغرَم، لا أن يُستعبَد. ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ بالعلم، كما رفعنا درجة يوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾: أرفعُ درجةً منه في علمه.

﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ القمّي: يعنون يوسف[2].

وورد: «كانت لإسحق النّبيّ منطقة[3] يتوارثها الأنبياء والأكابر، وكانت عند عمّة يوسف، وكان يوسف عندها، وكانت تحبّه، فبعث إليها أبوه أن ابعثيه إليّ وأردّه إليك، فبعثت إليه أن دَعْهُ عندي الّليلة أشمّه، ثمّ أُرسله إليك غدوةً، فلمّا أصبحت أخذت المنطقة فربطتها في حَقْوِه[4] وألبسته قميصاً وبعثت به إليه، وقالت: سُرِقت المنطقة فوُجِدَتْ عليه. وكان إذا سرق أحدٌ في ذلك الزّمان دُفِعَ إلى صاحب السّرقة، فأخذته فكان عندها»[5]. ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: أكنّها ولم يظهرها لهم

١ـ العيّاشي ٢: ١٨٣، الحديث: ٤٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ القمّي ١: ٣٤٩.
٣ـ المِنْطَقة: ما ينتطق به وكمِنبَر: شُقّة تلبسها المرأة وتشدّ وسطها. القاموس المحيط ٣: ٢٩٥ (نطق).
٤ـ الحَقْوُ: موضع شدّ الإزار وهو الخاصرة. مجمع البحرين ١: ١٠٥ (حقا).
٥ـ العيّاشي ٢: ١٨٥، الحديث: ٥٣، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام.

﴿قَالَ﴾: في نفسه ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: منزلةً في سرقتكم أخاكم و سوء صنيعكم به ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: و هو يعلم انّ الأمر ليس كما تصفون و انّه لم يسرقْ.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾. القمّي: ولم يقل: إلّا من سرق متاعنا[1]. ﴿إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾ يعني: عندكم. «اجتمعوا إلى يوسف يجادلونه في حبسه و هم يقولون: "خُذْ أحدَنا مكانَهُ إنّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" فاطلق عن هذا وكانوا إذا غضبوا خرج من ثيابهم شعر، و يقطر من رؤوسها دم أصفر». كذا ورد[2].

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ﴾: يئسوا من يوسف و إجابته إيّاهم. و زيادة السّين والتّاء للمبالغة ﴿خَلَصُوا﴾: انفردوا و اعتزلوا ﴿نَجِيًّا﴾: متناجين ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ قال: «قال لهم يهودا[3]، و كان اكبرهم»[4]. و القمّي: قال لهم لاوي[5] ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾: عهداً و ثيقاً؟ ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ ذلك ﴿مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾: قصّرتم في شأنه ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾: فلن أفارق ارض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ في الرّجوع إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾: او يقضي الله لي بالخروج ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾. قال: «فرجع إخوة يوسف إلى ابيهم و تخلّف يهودا»[6].

﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾.

١ـ القمّي ١: ٣٤٩.
٢ـ راجع: القمّي ١: ٣٤٩، و العيّاشي ٢: ١٨٦، الحديث: ٥٥ و ٥٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في «الف»: «يهودا» في جميع المواضع.
٤ـ العيّاشي ٢: ١٨٦، الحديث: ٥٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ـ القمّي ١: ٣٤٩، وفيه: «لاوي بن يعقوب».
٦ـ العيّاشي ٢: ١٨٧، ذيل الحديث: ٥٦، عن ابي عبدالله عليه السلام، و القمّي ١: ٣٤٩.

﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ يعني: فلمّا رجعوا إلى ابيهم، وقالوا له ما قال لهم اخوهم، "قال: بل سوّلت"، اي: زيّنت وسهّلت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ اردتموه كتعليمكم إيّاه انّ السارق يؤخذ بسرقته. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: لا شكوى فيه ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾: يوسف وبنيامين ويهودا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: واعرض عنهم ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾: تعال فهذا اوانك؛ والاسف أشدّ الحزن والحسرة، والالف بدل من ياء المتكلّم. وهذا الكلام من يعقوب يدلّ على انّ مصابه بيوسف كان عنده غضّاً طرياً، مع طول العهد. ورد: سُئل: ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ قال: «حزن سبعين ثكلى على اولادها»[1].

﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ لكثرة بكاه ﴿مِنَ الْحُزْنِ﴾ كانّ العَبْرَة[2] محقت سوادهما. والقمّي: يعني: عميت من البكاء[3]. ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوّ من الغيظ على اولاده، ممسك له في قلبه، ولا يظهره.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ اي: لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجّعاً عليه حذف «لا» لعدم التباسه بالإثبات. ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾: مريضاً من الهمّ، مُشفياً على الهلاك ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي﴾: همّي الذي لا اقدر الصّبر عليه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى غيره، فخلّوني وشكايتي ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ من صنعه ورحمته ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فإنّ حسن ظنّي به ان يأتيني بالفرج من حيث لا احتسب.

١ـ القمّي ١: ٣٥٠، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ـ العَبْرَة: الدَّمعة قبل ان تفيض. القاموس المحيط ٢: ٨٦ (عبر).
٣ـ القمّي ١: ٣٥٠.

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: فتحسّسوا من حالهما، و تطلّبوا خبرهما ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾: لا تقنطوا من فرجه و تنفيسه [١] و رحمته ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾. لأنّ المؤمن من الله على خير يرجوه عند البلاء و يشكره في الرّخاء.

ورد: «إنّه كان يعلم أنّ يوسف حيّ، لأنّه كان قد سأل ملك الموت بعد ما دعا الله أن يهبطه عليه فهبط، فقال: أخبرني عن الأرواح تقبضها مجتمعة أو متفرّقة؟ فقال: بل متفرّقة روحاً روحاً. قال: فمرّ بك روح يوسف؟ قال: لا. فعند ذلك علم أنّه حيّ» [٢].

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ بعد ما رجعوا إلى مصر ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ﴾: رديّة، و هي المُقْل، كما مرّ [٣] ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ قيل: و تفضّل علينا بالمُسامحة، و زدنا على حقّنا [٤]. و ورد: «و تصدّق علينا بأخينا بنيامين» [٥]. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾. فرقّ لهم يوسف، و لم يتمالك أن عرّفهم نفسه.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ قاله شفقة و نصحاً، لما رأى من عجزهم و تمسكنهم، لا معاتبة و تثريباً، إيثاراً لحقّ الله على حقّ نفسه في ذلك المقام الّذي ينفث فيه المصدور [٦]، و لعلّ فعلهم بأخيه إفراده عن يوسف. قيل: و إذلاله، حتّى

١ـ نفّس الله عنه كربة: فرّجها. الصّحاح ٣: ٩٨٥ (نفس).
٢ـ علل الشرايع ١: ٥٢، الباب ٤٤، الحديث ١٠؛ والكافي ٨: ١٩٩، الحديث ٢٣٨؛ والقمّي ١: ٣٥٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ في ذيل الآية: ٥٨.
٤ـ راجع: جوامع الجامع ٢: ٢٠٧.
٥ـ العيّاشي ٢: ١٩١، ذيل الحديث ٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام؛ ومجمع البيان ٥ـ٦: ٢٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ النّفاثة: ما ينفثه المصدور من فيه. القاموس المحيط ١: ١٨٢ (نفث).

لايستطيع أن يكلّمهم إلّا بعجز و ذلّة[1]. ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾. ورد: «كلّ ذنب عمله العبد و إن كان عالماً فهو جاهل، حين خاطر بنفسه معصية ربّه، فقد حكى الله سبحانه قول يوسف لاخوته: "هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ" فنسبهم إلى الجهل، لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله»[2]

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى﴾ من أبي و أمّي، ذكره تعريفاً لنفسه و تفخيماً لشأنه. ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ أي: بالسلامة و الكرامة ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾: يتّق الله ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على البلايا و عن المعاصي ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: اختارك علينا، بحسن الصّورة و كمال السّيرة ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾: و إنّ شأننا و حالنا إنّا كنّا مذنبين بما فعلنا بك، لاجرم أنّ الله أعزّك و أذلّنا. ورد: «قالوا: فلاتفضحنا و لاتعاقبنا اليوم، واغفرلنا»[3].

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾: لاتأنيب ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ عما فعلتم ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

ورد: «إنّ يعقوب اشتدّ حزنه و تقوّس ظهره، و أدبرت الدّنيا عنه و عن ولده، حتّى احتاجوا حاجة شديدة و فنيت ميرتهم، فعند ذلك قال لولده: "اذهبوا فتحسّسوا" الآية. فخرج منهم نفر، و بعثهم ببضاعة يسيرة، و كتب معهم كتاباً إلى عزيز مصر يتعطّفه[4] على نفسه و ولده، و أوصى ولده أن يبدؤوا بدفع كتابه قبل البضاعة، ثمّ ذكر صفة الكتاب و ملخّصه: أنّه ذكر فيه ابتلاء جدّه بالإحراق و ابتلاء أبيه بالذّبح، و ابتلائه بفراق يوسف ثمّ أخيه، و أنّه كان يسكن إليه مكان يوسف قال: وذكروا أنّه سرق مكيال الملك، و نحن أهل بيت لانسرق، و قد حبسته و فجعتني به، و قد اشتدّ لفراقه حزني؛

١. البيضاوي ٣: ١٤٢
٢ ـ مجمع البيان ٣ ـ ٤: ٢٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، ذيل الآية: ١٧ من سورة النساء
٣ ـ العيّاشي ٢: ١٩٢، ذيل الحديث: ٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام
٤ ـ في «ب»: «يتعطّفه»

حتّى تقوّس لذلك ظهري، و عظمت به مصيبتي مع مصائب متتابعات عليّ، فمُنَّ عليّ بتخلية سبيله و إطلاقه من محبسه، و طيّب لنا القَمْحَ[1]، وأسمح[2] لنا في السّعر، وعجّل سَراحَ[3] آل يعقوب. قال: فأخذ يوسف كتاب يعقوب، فقبّله و وضعه على عينيه، و بكى و انتحب[4] حتّى بلّت دموعه القميصَ الّذي كان عليه، ثمّ أقبل عليهم فقال: "هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ" الآية»[5]. «و أعطاهم قميصه، و هو قميص إبراهيم»[6].

و في رواية: «قال: "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـٰذَا" الّذي بلّته دموعُ عيني، "فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي" يرتدّ بصيراً، لو قد شمّ ريحي»[7].

و ورد: «إنّ يعقوب وجد ريح قميص يوسف من مسيرة عشر ليال. قال: و هو القميص الّذي نزل على إبراهيم من الجنّة، فدفعه إبراهيم إلى إسحٰق، و إسحٰق إلى يعقوب، و يعقوب إلى يوسف»[8]. و في رواية: «و كان نزل على إبراهيم من الجنّة في قصبة من فضّة، و كان إذا لبس كان واسعاً كبيراً قال: "إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ" يعني: ريح الجنّة، لأنّه كان من الجنّة»[9].

أقول: يعني: من عالم الملكوت برز إلى عالم الملك.

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

١ـ القَمْحُ: البُرُّ. القاموس المحيط ١: ٢٥٢ (قمح).
٢ـ سَمُحَ و أسْمَحَ: جادَ. القاموس المحيط ١: ٢٣٧ (سمح).
٣ـ السّراح: الإرسال و تسريح المرأة: تطليقها و الإسم: السَّراح. مجمع البحرين ٢: ٣٧١، و الصّحاح ١: ٣٧٤ (سرح).
٤ـ النّحبُ والنّحيب والانتحاب: البكاء بصوت طويل ومدّ. النّهاية ٥: ٢٧ (نحب).
٥ـ العيّاشي ٢: ١٩٠، الحديث: ٦٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ المصدر: ١٩٣، ذيل الحديث: ٦٨، مرفوعاً.
٧ـ المصدر: ١٩٦، الحديث: ٧٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٨ـ العيّاشي ٢: ١٩٤، الحديث: ٧٣، مرفوعاً.
٩ـ المصدر، الحديث: ٧٢؛ وعلل الشّرائع ١: ٥٣، الباب: ٤٥، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ﴾ من مصر، وخرجت من عمرانها ﴿قَالَ أَبُوهُمۡ﴾ لمن حضره.

﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾: تنسبوني إلى الفَنَد، و هو نقصان عقل يحدث من الهَرَم؛ و جواب "لولا" محذوف، تقديره: لصدّقتموني.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾: لفي ذهابك عن الصّواب قدماً؛ بإفراطك في محبّة يوسف و إكثارك ذكره، و التوقّع للقائه.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ﴾. قال: «و هو يهوذا ابنه»[1]. ﴿أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾: طرح القميص على وجهه ﴿فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ﴾ لما انتعش فيه من القوّة ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من حياة يوسف، و إنزال الفرج من الله.

و يحتمل أن يكون "إنّي أعلم" مستأنفاً، و المقول محذوفاً دلّ عليه الكلام السّابق.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾.

﴿قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾. قال: «أخّره إلى السّحر ليلة الجمعة»[2]. و ورد: «خير وقت دعوتم الله فيه الأسحار، و تلا هذه الآية»[3].

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾: ضمّهما إليه. و في رواية: «الّتي سارت[4] معهم إلى مصر كانت خالته و ليست بأمّه»[5]. و لعلّها نزلت منزلة الأمّ، كما نزل العمّ منزلة الأب ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ دخلتموه ﴿ءَامِنِينَ﴾ إنّما دخلوا عليه قبل دخولهم مصر، لأنّه استقبلهم يوسف

١ ـ كمال الدين ١: ١٤٢، الباب ٥، ذيل الحديث ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٧٢، الحديث ١٢٤٠؛ والعيّاشي ٢: ١٩٦، الحديث ٨١، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيهما «أخّرها».
٣ ـ الكافي ٢: ٤٧٧، الحديث ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٤ ـ في «ب»: «صارت».
٥ ـ راجع العيّاشي ٢: ١٩٦، ذيل الحديث ٧٩، عن أبي جعفر عليه السلام و ١٩٧، حديث ٨٤، عن أبي الحسن عليه السلام.

ونزلهم[1] في بيت أو مضرَب هناك.

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾. قال: «العرش: السرير، وكان سجودهم ذلك عبادةً لله»[2]. ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾: صدقاً.

قال: «لمّا دخلوا على يوسف في دار المَلِك اعتنق أباه و بكى ورفعه و رفع خالته على سرير الملك، ثمّ دخل منزله؛ فادّهن و اكتحل و لبس ثياب العزّ و المُلك، ثمّ خرج إليهم. فلمّا رأوه سجدوا له إعظاماً له وشكراً لله؛ فعند ذلك قال: "يا أبتِ هذا تأويلُ رؤياي من قبلُ"»[3].

و في رواية: «فسجد يعقوب و ولده و يوسف معهم شكراً لله، لاجتماع شملهم. ألم تر أنّه يقول في شكره ذلك الوقت: "ربِّ قد آتيتني من المُلكِ" الآية»[4]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «و خرّوا لله ساجدين»[5].

﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴾. لعلّه لم يذكر الجبّ؛ لئلاّ يكون تثريباً عليهم ﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾: من البادية؛ لأنّهم كانوا أصحاب المواشي، ينتقلون في المياه و المناجع[6] ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ﴾: أفسد و حرّش[7] ﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾: بعضه ﴿ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾: بعضه ﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى

١ـ في «ب» و «ج»: «نزل لهم».
٢ـ العيّاشي ٢: ١٩٧، الحديث: ٨٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي ٢، الحديث: ٨٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٦٥، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ٢١٠، مرويّاً عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ النُّجعة ـ بالضمّ ـ: طلب الكلأ في موضعه. والمُنتجَع: المنزل في طلب الكلأ، و يقال للمُنتجَع مَنجَعٌ، و جمعه مناجع. القاموس المحيط ٣: ٩٠؛ ولسان العرب ٨: ٣٤٧ (نجع).
٧ـ التّحريش: الإغراء بين القوم أو الكلاب. القاموس المحيط ٢: ٢٧٨ (حرش).

﴿بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال: «عاش يعقوب مائة وأربعين سنةً، وعاش يوسف مائة وعشرين[1] وعاش يعقوب مع يوسف بمصر حولين»[2].

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [يا][3] محمّد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾: لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ﴾: عزموا على ما همّوا به ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: لم تعرف ذلك إلّا بالوحي.

﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم وبالغت في إظهار الآيات عليهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ لعنادهم وتصميمهم على الكفر.

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة من الله ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تدلّ على حكمة الله وقدرته في صنعه ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ ويشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾: لا يتفكّرون فيها ولا يعتبرون بها.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ قال: «شرك طاعة وليس شرك عبادة»[4]. وفي رواية: «يطيع الشّيطان من حيث لا يعلم فيشرك»[5]. وفي أخرى: «هو الرّجل يقول: لولا فلان لهلكت، ولولا فلان لأصبت كذا وكذا، ولولا فلان لضاع عيالي. ألا ترى أنّه قد جعل لله شريكاً في ملكه، يرزقه ويدفع عنه؟ قيل: فيقول: لولا أن منّ الله عليّ بفلان لهلكت. قال: نعم، لا بأس بهذا»[6]. وفي أخرى: «من ذلك قول الرّجل: لا وحياتك»[7].

١. كمال الدّين: ٢٨٩ (النّسخة الحجريّة) عن أبي عبدالله عليه السلام، وفي المطبوع منه ٢: ٥٢٤ «مائة وعشرين سنة».
٢. العيّاشي ٢: ١٩٨، الحديث: ٨٧؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٦٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣. ما بين المعقوفتين من «ب» و «ج».
٤. الكافي ٢: ٣٩٧، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥. المصدر، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦. العيّاشي ٢: ٢٠٠، الحديث: ٩٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧. المصدر: ١٩٩، الحديث: ٩٠، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾: عقوبة تغشاهم و تشملهم ﴿أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ﴾. من غير سابقة علامة ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ بإتيانها، غير مستعدّين لها.

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾. تفسير للسّبيل. ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ قال: «عليّ اتّبعه»[1] ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾. قال: «انفة للّه»[2] أما ترى الرّجل إذا عجب من الشّيء قال: سبحان الله»[3]. و في رواية: «التنزيه»[4].

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ قال: «يعني إلى الخلق»[5] ﴿إِلَّا رِجَالٗا﴾ ردّ لقولهم: لو شاء ربّك لانزل ملائكة. ﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾ كما نوحي إليك ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ لانّهم اعلم و احكم من اهل البدو ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ من المكذّبين بالرّسل و الآيات، فيحذروا تكذيبك، و من المشغوفين بالدّنيا فيزهدوا فيها. و قد سبق[6] تفسير الارض بارض القرآن. ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾. غاية كلام محذوف. كأنّه قيل: قد تأخّر نصرنا الرّسل، حتّى إذا استيأسوا عنه ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ هكذا في قراءتهم عليهم السّلام:[7] «كُذِبُوا» بالتّخفيف. و معناه: و ظنّ المرسَل إليهم انّ الرّسل قد كذبوهم فيما أخبروهم، من نصرة الله إيّاهم. كذا ورد[8] و على قراءة التّشديد، معناه:

١ـ روضة الواعظين ١٠٥، عن أبي جعفر عليه السلام، في مجلس ذكر فضائل امير المؤمنين عليه السلام
٢ـ انفة للّه: تنزيه للّه. قال بعض الشّارحين: الأنفة في الاصل للضّرب على الانف ليرجع، ثمّ استعمل لتبعيد الأشياء، فيكون هنا بمعنى رفع الله عن مرتبة المخلوقين بالكليّة، لانّه تنزيه عن صفات الرّذائل و الاجسام «مجمع البحرين ٥ :٢٨».
٣ـ الكافي ٢ :٣٣٠، ذيل الحديث ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام
٤ـ المصدر ١ :١١٨، الحديث ١١، عن ابي عبدالله عليه السلام و فيه: «التنزيه»
٥ـ عيون اخبار الرّضا عليه السلام ١ :٢٧٠، الباب ٢٧، ذيل الحديث ١
٦ـ في ذيل الآية ١٣٧ من سورة آل عمران، و الآية ١١ من سورة الانعام
٧ـ العيّاشي ٢ :٢٠١، الحديث ١٠١؛ ومجمع البيان ٥-٦ :٢٦٩، عن الصّادقين عليهما السّلام
٨ـ راجع: جوامع الجامع ٢ :٢١٣

و ظنّ الرّسل أنّهم قد كُذّبتهم قومهم فيما وعدوا من العذاب والنّصرة عليهم. ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ بإرسال العذاب على الكفّار ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إذا نزل.

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ﴾ القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾: يختلق ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب الإلهيّة ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدّين ﴿وَهُدًى﴾ من الضّلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ ينال بها خير الدّارين ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يصدّقونه.

سورة الرّعد

[مدنيّة، وهي ثلاث واربعون آية. وقيل: مكّيّة[1]][2]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾: بغير اساطين ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾. صفة لـ «عَمَدٍ». قال: «فثَمَّ عمد ولكن لا ترونها»[3]. ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾. سبق معناه في الاعراف[4]. ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾: لمدّة معيّنة يتمّ فيها ادواره، اولغاية مضروبة ينقطع دونها سيرُه، وهي «إذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وإذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ»[5]. ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾: امرَ ملكوته من الإيجاد والإعدام، والإحياء والإماتة وغير ذلك ﴿ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ ﴾: ينزلها ويبيّنها ﴿ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾.

1ـ مجمع البيان 5ـ6: 273
2ـ ما بين المعقوفتين من «ب».
3ـ العيّاشي 2: 203، الحديث: 3، عن ابي الحسن الثّاني عليه السلام، وفيه: «ولكن لا ترى».
4ـ ذيل الآية: 54.
5ـ التّكوير (81): 2 و3.

لكي تتفكّروا فيها، و تتحقّقوا كمال قدرته و صنعه في كلّ شيء، فتعلموا أنّه بكلّ شيء محيط. و هذا كقوله سبحانه: «ألا إنّهم في مِريَةٍ من لقاء ربّهم ألا إنّه بكلّ شيءٍ محيط»[١].

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾: بسطها طولاً و عرضاً ليثبت فيها الأقدام، و يتقلّب[٢] عليه الحيوان ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابت ﴿وَأَنْهَارًا﴾ تتولّد منه ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: صنفين اثنين: أسود و أبيض، حلواً و حامضاً، رطباً ويابساً، صغيراً و كبيراً، و ما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة. ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾: يُلبِسُ ظلمةَ الليل ضياءَ النّهار، فيصير الهواء مُظلماً بعد ما كان مضيئاً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾: متلاصقة من طيّبة و سبخة، و رخوة و صلبة، و صالحة للزّرع دون الشّجر و بالعكس، و غير صالحة لشيء منهما. ﴿وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ فيها أنواع الأعناب و النّخيل و الزّروع ﴿صِنْوَانٌ﴾: نخلات، أصلها واحد ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: متفرّقات مختلفة الأصول، أو أمثال[٣] و غير أمثال. ورد: «عمّ الرّجل صنو أبيه»[٤]. ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾: في الثّمر، شكلاً و قدراً، و رائحةً و طعماً. قال: «يعني هذه الأرض الطّيبة مجاورة لهذه الأرض المالحة، و ليست منها، كما يجاور القومُ القومَ و ليسوا منهم»[٥]. و عن النّبي ﷺ أنّه قال لعليّ عليه السلام: «النّاس من شجر[٦] شتّى و أنا و أنت من شجرة واحدة،

١ـ فصّلت (٤١): ٥٤.
٢ـ في «ألف»: «ينقلب».
٣ـ في «ألف»: «و أمثال».
٤ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٧٦، عن النبيّ ﷺ.
٥ـ العيّاشي ٢: ٢٠٣، الحديث: ٤، مرفوعاً، رفعه إلى أهل العلم والفقه من آل محمّد عليهم السّلام.
٦ـ في «ب»: «من شجرة».

ثمّ قرأ هذه الآية»[1]. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم بالتفكّر فيهتدون إلى عظمة الصّانع، و علمه و حكمته البالغة، و قدرته النّافذة، و تدبيره الكامل، و لطفه الشّامل، و حسن تربيته صنايعه[2] شيئاً فشيئاً إلى بلوغها منتهى كمالاتها اللائقة بها.

﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمّد من قولهم في إنكار البعث ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾: محقيق بان يتعجّب منه، فإنّ من قدر على إنشاء ما قصّ عليك كانت الإعادة أهون عليه ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾: مقيّدون بالضّلال، لا يرجى خلاصهم لإصرارهم ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: بالعقوبة قبل العافية، و ذلك أنّهم استعجلوا بالعذاب استهزاءً ﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾: مضت ﴿مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾: عقوبات أمثالهم من المكذّبين، فما بالهم[3] لم يعتبروا بها! ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ أي: مع ظلمهم أنفسهم بالذّنوب[4] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. قيل: لمّا نزلت هذه الآية، قال رسول الله ﷺ: «لولا عفو الله و تجاوزه ما هنا أحداً العيشُ، و لولا وعيد الله و عقابه لاتّكل كلّ أحد»[5].

و ورد حين تذاكروا الكبائرَ و قولَ المعتزلة فيها: إنّها لا تغفر: «قد نزل القرآن بخلاف قول المعتزلة؛ قال الله جلّ جلاله: "و إنّ ربّك لذو مغفرة للنّاس على ظلمهم"»[6].

١ـ مجمع البيان ٥: ٦ / ٢٧٦
٢ـ في «ب»: «و صنايعه»
٣ـ في «ألف»: «فما لهم لم يعتبروا بها»
٤ـ في «ألف»: «أي أنفسهم بالذّنوب»
٥ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٧٨
٦ـ التّوحيد: ٤٠٦، الباب ٦٣، الحديث ٤، عن أبي الحسن الثّاني، عن أبي عبدالله ﷺ

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ لم يعتدّوا بالآيات المنزلة، واقترحوا نحو ما أُوتي موسى و عيسى. ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾: مُرْسَلٌ للإنذار كغيرك من الرّسل، و ما عليك إلّا الإتيان بما يصحّ به أنّك رسول مُنذرٌ، و الآيات كلّها متساوية في حصول الغرض. ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ يهديهم إلى الدّين، و يدعوهم إلى الله بوجه من الهداية، و بآية خُصَّ بها.

قيل: لمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «أنا المنذرُ و عليٌّ الهادي من بعدي، يا عليّ بك يهتدي المهتدون»[1]. و ورد: «كلّ إمامٍ هادٍ للقرن الّذي هو فيهم»[2].

القمّي: هو ردّ على من أنكر أنّ في كلّ عصرٍ و زمانٍ إماماً، و أنّ الأرض لا تخلو من حجّة[3].

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾: من ذكر او أنثى، تامّ و ناقص، حسن و قبيح، سعيد و شقيّ ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾: و ما تنقصه ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ في المدّة و العدد و الخلقة. قال: «الغيض: كلّ حمل دون تسعة أشهر، و ما تزداد: كلّ شيء يزداد على تسعة أشهر، فكلّما رأت المرأة الدّم في حملها من الحيض، فإنّها تزداد بعدد الأيّام الّتي رأت في حملها من الدّم»[4]. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾.

﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ﴾ في نفسه ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِ﴾ لغيره ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾ طالب للخفاء في مُخْتَبأ[5] باللّيل ﴿وَسَارِبٌ﴾: بارزٌ ﴿بِالنَّهَارِ﴾ يراه كلُّ أحد. قال: «يعني السرّ و العلانية عنده سواء»[6].

١ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٧٨
٢ـ الكافي ١: ١٩١، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ﷺ
٣ـ القمّي ١: ٣٥٩. و في «ب»: «ان الأرض لاتخلو من حجّة لله».
٤ـ الكافي ٦: ١٢، الحديث: ٢، عن أحدهما عليهما السّلام، وفيه: «فكلّما رأت المرأة الدّم الخالص».
٥ـ في «الف»: «مختفياً».
٦ـ القمّي ١: ٣٦٠، عن أبي جعفر ﷺ

﴿لَهُۥ﴾. لمن أسرّ أو جهر أو استخفى أو سرّب ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾: ملائكة يعقّب بعضهم بعضاً في حفظه و كلاءته ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾: من جوانبه ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ قيل: من أجل أمر الله[1]. وورد: «إنّها قُرِئَتْ عنده، فقال لقاريها: ألستم عرباً؟ فكيف يكون المعقّبات من بين يديه؟!، وإنّما المعقّب من خلفه، فقال الرّجل: جعلت فداك، كيف هذا؟ فقال: إنّما أُنزلت: له معقّبات من خلفه، و رقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله، و من ذا الّذي يقدر أن يحفظ الشّيء من أمر الله، و هم الملائكة الموكّلون بالنّاس»[2]

و في رواية: «يقول: من أمر الله[3]، من أن يقع في ركيٍّ[4]، أو يقع عليه حائط، أو يصيبه شيء، حتّى إذا جاء القدر خلّوا بينه [و بينهم][5] يدفعونه إلى المقادير، و هما ملكان يحفظانه باللّيل و ملكان بالنّهار يتعاقبانه»[6].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ من العافية و النّعمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ من الأحوال الجميلة بالأحوال القبيحة. قال: «إنّ الله قضى قضاءً حتماً لا يُنعم على عبده نعمةً فيسلبها إيّاه قبل أن يُحدث العبد ذنباً، يستوجب بذلك الذّنب سلبَ تلك النّعمة، وذلك قول الله: " إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم "»[7]. وورد: «الذّنوب الّتي تغيّر النّعم: البغي على النّاس، و الزّوال عن العادة في الخير، و اصطناع المعروف، و كفران النّعم، و ترك الشّكر، ثمّ تلا الآية»[8]. ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾: مَنْ يلي أمرهم فيدفع عنهم السّوء.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ قال: «خوفاً للمسافر و طمعاً

١ـ الكشّاف ٢: ٣٥٢، و البيضاوي ٣: ١٤٨.
٢ـ القمّي ١: ٣٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ في المصدر: «بأمر الله».
٤ـ الرّكيّ: جنس للرّكيّة، و هي البئر و جمعها ركايا «النّهاية ٢: ٢٦١ـ ركا». و في «المصدر»: «في ركوة».
٥ـ ما بين المعقوفتين من المصدر، و في «ألف» و «ج»: «خلّوا بينه و بينه».
٦ـ القمّي ١: ٣٦٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ العيّاشي ٢: ٢٠٦، الحديث: ١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ معاني الأخبار: ٢٧٠، الحديث: ٢، عن السّجّاد عليه السلام.

للمقيم»[1] ﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ القمّي: يعني يرفعها من الارض[2].

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾. سئل عن الرّعد؟ فقال: «ملك موكّل بالسّحاب معه مخاريق من نار، يسوق بها السّحاب»[3]. وفي رواية: «إنّه بمنزلة الرّجل يكون في الإبل فيزجرها، هاي هاي كهيئة ذلك»[4]. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ حيث يكذّبون رسول الله ﷺ فيما يصفه من التفرّد بالالوهيّة وإعادة النّاس ومجازاتهم ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ قال: «شديد الاخذ»[5].

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ فإنّه يُدعى فيستجيب ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ من الطلبات ﴿إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ﴾: إلّا استجابة كاستجابة مَنْ بسط كفّيه ﴿إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾: يطلب منه ان يبلغه من بعيد ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ إذ لا يشعر الماءُ بدعائه، ولا يقدر على إجابته، وكذلك آلهتهم. قال: «هذا مَثَلٌ ضربه الله للذين يعبدون الآلهة من دون الله فلا يستجيبون لهم بشيء ولا ينفعهم، إلّا كباسط كفّيه إلى الماء ليتناوله من بعيد ولا يناله»[6]. ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: في ضياع وبطلان.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾

قال: «امّا من يسجد من أهل السّماوات طوعاً، فالملائكة يسجدون لله طوعاً؛ ومن يسجد من أهل الارض، فمَن وُلِدَ في الاسلام فهو يسجد له طوعاً؛ وامّا من يسجد له كَرْهاً، فمن جُبِرَ على الإسلام؛ وامّا من لم يسجد [له][7] فظلّه يسجد له

١ـ عيون أخبار الرّضا ؑ ١: ٢٩٤، الباب ٢٨، الحديث ٥١.
٢ـ القمّي ١: ٣٦١.
٣ـ راجع: البيضاوي ٣: ١٤٨، عن النّبي ﷺ.
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٠٧، الحديث ٢٣، عن أبي عبدالله ؑ.
٥ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٨٣، عن امير المؤمنين ؑ.
٦ـ القمّي ١: ٣٦١، عن ابي جعفر ؑ.
٧ـ مابين المعقوفين من «المصدر».

بالغداة والعشيّ»[1].

و القمّي: ليس شيء إلّا له ظلّ يتحرّك بحركته، و تحويله سجوده للّه[2].

و قيل: أريد بالظّلّ الجسد[3]. و إنّما يقال للجسم الظّلّ، لأنّه عنه الظلّ، و لأنّه ظلّ للرّوح، لأنّه ظلمانيّ و الرّوح نورانيّ، و هو تابع له يتحرّك بحركته النّفسانيّة، و يسكن بسكونه النّفسانيّ. القمّي: ظلّ المؤمن يسجد طوعاً، و ظلّ الكافر يسجد كرهاً، و هو نموّهم و حركتهم، و زيادتهم و نقصانهم[4].

و في رواية: «"وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ"؟ قال: هو الدّعاء قبل طلوع الشمس و قبل غروبها، و هي ساعة إجابة»[5].

أقول: كما يجوز أن يراد بكلّ من السّجود و الظّلّ، و الغدوّ و الآصال معناه المعروف، كذلك يجوز أن يراد بالسّجود الانقياد، و بالظّلّ الجسد، و بالغدوّ و الآصال الدّوام، و يجوز أيضاً أن يراد بكلّ منها[6] ما يشمل كلا المعنيين، فيكون في كلّ شيء بحسبه و على ما يليق به. و بهذا يتوافق الأخبار. و يأتي لهذا المعنى مزيد بيان في سورة النّحل[7] إن شاء اللّه تعالى.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللّٰهُ﴾: أجب عنهم بذلك، إذ لا جواب لهم سواه. ﴿قُلْ أَ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيٰاءَ لاٰ يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَ لاٰ ضَرًّا﴾ فكيف لغيرهم! ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمىٰ وَ الْبَصِيرُ﴾ القمّي: الكافر و المؤمن[8]. ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمٰاتُ وَ النُّورُ﴾: الكفر و الإيمان ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكٰاءَ﴾: بل أجعلوا، و الهمزة

١ـ القمّي ١: ٣٦٢، عن أبي جعفر عليه السلام، و فيه «فمن أجبر على الإسلام».
٢ـ المصدر ١: ٣٨٦، ذيل الآية: ٤٨ من سورة النّحل.
٣ـ الدّرّ المنثور ٤: ٦٣٠، عن الحسن.
٤ـ القمّي ١: ٣٦٢.
٥ـ الكافي ٢: ٥٢٢، الحديث: ١، عن أبي عبد اللّه عليه السلام.
٦ـ في «ألف» و «ج»: «منهما».
٧ـ في ذيل الآية: ٤٨.
٨ـ القمّي ١: ٣٦٢.

للإنكار. ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾. صفة لـ "شركاء"، داخلة في حكم الإنكار. ﴿فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾: خلقُ الله و خلقُهم؛ و المعنى: أنّهم ما اتّخذوا لله شركاء خالقين مثله، حتّى يتشابه الخلق عليهم، فيقولوا: هؤلاء خلقوا كما خلق الله، فاستحقّوا العبادة كما استحقّها. و لكنّهم اتّخذوا شركاء عاجزين، لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق، فضلاً عمّا يقدر عليه الخالق. ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: لا خالق غيره فيشاركه في العبادة ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾: المتوحّد بالألوهيّة، الغالب على كلّ شيء.

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾: في الصغر و الكبر، و على حسب المصلحة ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾: مرتفعاً ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ من أنواع الفلزّات، كالذهب و الفضّة و الحديد و النحاس ﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾: طلب حلية ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ كالأواني و آلات الحرث و الحرب ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾: مثل زبد الماء، و هو خبثه.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي: مثلهما مثل الحقّ في إفادته و ثباته بالماء الذي ينزل من السماء، فيسيل[1] به الأودية على وجه الحاجة و المصلحة، فينتفع به أنواع المنافع، و يمكث في الأرض؛ بأن يثبت[2] بعضه في منابعه، و يسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون و الآبار، و بالفلزّ الذي ينتفع به في صوغ الحليّ و اتّخاذ الأمتعة المختلفة، و يدوم ذلك مدّة متطاولة. و الباطل في قلّة نفعه و سرعة اضمحلاله بزبدهما.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾: يجفا[3] به، أي: يرمي به السيل أو الفلزّ المذاب. ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ كالماء و خلاصة الفلزّ ﴿فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ ينتفع به أهلها ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ لإيضاح المشتبهات[4]

١ـ كذا في جميع النسخ، و لعلّ الصواب: «تسيل».
٢ـ في «الف»: «تثبت».
٣ـ الجفاء: ما يرمي به الوادي أو القدر من الغثاء إلى جوانبه، يقال: أجفأت القدر زبدها. ألقته. مفردات: ٩٢ (جفا).
٤ـ في «الف»: «الشبهات».

القمّي[١] يقول. أنزل الحقّ من السّماء فاحتمله القلوب بأهوائها؛ ذو اليقين على قدر يقينه، و ذو الشكّ على قدر شكّه، فاحتمل الهوى باطلاً كثيراً و جُفاءً، فالماء هو الحقّ، و الأودية هي القلوب، و السّيل هو الهوى، و الزبد و خبثُ الحِلْيَة هو الباطل، و الحلية و المتاع هو الحقّ من أصاب الحلية و المتاع في الدّنيا انتفع به، و كذلك صاحب الحقّ يوم القيامة ينفعه، و من أصاب الزّبد و خبث الحلية في الدّنيا لم ينتفع، و كذلك صاحب الباطل يوم القيامة لا ينتفع به[١].

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾: الاستجابة الحسنى ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ يعني: كذلك يضرب الأمثال للفريقَين؛ و ما بعده كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين، و يحتمل عدم تعلّقه بما قبله ويراد بالحسنى: المثوبة الحُسْنى، و يكون ما بعده متعلّقاً به. كذا قيل[٢]. ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ قال: «هو أن لا تُقبَل لهم حسنة و لا تُغفَر لهم سيّئة»[٣]. وورد: «من نوقش في الحساب عذّب»[٤] ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: يمهّدون في النّار.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾ فيستجيب ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾: أعمى القلب، لا يستبصر فيستجيب. و الهمزة للإنكار، يعني: لا شبهة في عدم تشابههما بعد ما ضُرِبَ من المَثَل، فإنّ بينهما من البون ما بين الزّبد و الماء، و الخَبَث والإبريز[٥]. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: ذوو العقول المبرّأة عن مشايعة الإلف ومعارضة الوهم.

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: ما عقدوه على أنفسهم لله ﴿وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾:

١ـ القمّي ١: ٣٦٢.
٢ـ الكشّاف ٢: ٣٥٦، والبيضاوي ٣: ١٥٠.
٣ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٨٧، عن أبي عبدالله ؑ.
٤ـ المصدر، و فيه: «من نوقش الحساب عذّب».
٥ـ ذهبٌ إبريز و إبْريزيّ: خالص. القاموس المحيط ٢: ١٧٢ (برز).

ما وثّقوه من المواثيق بينهم و بين الله و بين العباد. قال: «نزلت في آل محمّد عليهم السّلام و ما عاهدهم عليه، و ما أخذ عليهم من الميثاق في الذرّ، من ولاية أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السّلام بعده»[١].

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ من الرّحم، و لا سيّما رحم آل محمّد عليهم السّلام و يندرج فيه موالاة المؤمنين و مراعاة حقوقهم. قال: «نزلت في رحم آل محمّد [عليه و آله السّلام][٢] و قد تكون في قرابتك. ثمّ قال: فلا تكونن ممّن يقول للشّيء: إنّه في شيء واحد»[٣]. و ورد: «الرّحم معلّقة بالعرش تقول: اللّهمّ صِلْ مَنْ وصلني و اقطع مَنْ قطعني، و هو رحم آل محمّد، و هو قول الله: "والّذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل"، و رحمُ كلّ ذي رحم»[٤]. و في رواية: «و رحم كلّ مؤمن»[٥]. ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ قال: «أن تُحْسَبَ عليهم السّيّئاتُ و لا تُحسب لهم الحسنات»[٦]. و ورد: «إنّه تلا هذه الآية حين وافى رجلاً استقصى حقّه من أخيه، و قال: أتراهم يخافون أن يظلمهم أو يجور عليهم؟ لا، و لكنّهم خافوا الاستقصاء و المُداقّة، فسمّاه الله سوء الحساب، فمن استقصى فقد أساء»[٧].

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على القيام بأوامر الله و مشاقّ التّكاليف، و على المصائب في النّفوس و الأموال، و عن معاصي الله ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا

١ـ القمّي ١: ٣٦٣، عن أبي الحسن عليه السلام.
٢ـ ما بين المعقوفين من المصدر.
٣ـ الكافي ٢: ١٥٦، الحديث ٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٠٨، الحديث ٢٧، عن أبي عبدالله عليه السلام، إلّا أنّ فيه: «و رحم كلّ مؤمن» بدل «و رحم كلّ ذي رحم».
٥ـ المصدر.
٦ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٨٩؛ و العيّاشي ٢: ٢١٠، الحديث ٣٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ـ راجع: الكافي ٥: ١٠٠، الحديث ١؛ والعيّاشي ٢: ٢١٠، الحديث ٤١؛ والقمّي ١: ٣٦٤؛ ومعاني الأخبار: ٢٤٦، الحديث ١، جميعاً عن أبي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف وتفاوت.

﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ طلباً لرضاه[1] ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾: يدفعونها بها، فيُجازُون الإساءة بالإحسان، و يتبعون[2] الحسنة السيّئة فتمحوها. ورد: «أتبع السيّئة بالحسنة تمحها»[3]. ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾: عاقبة الدّنيا و ما ينبغي أن يكون مآلَ أهلها، و هي الجنّة.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾. العَدْنُ: الإقامة، أي: جنّاتٌ يقيمون فيها. قال: «جنّة عدن في وسط الجنان، سورها ياقوت أحمر و حَصْباؤُها[4] اللّؤلؤ»[5]. ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾. «من أبواب غُرَفِهم». كذا ورد[6].

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾. القمّي: نزلت في الائمّة عليهم السّلام و شيعتهم الّذين صبروا[7]. و ورد: «نحن صُبَّرٌ[8] و شيعتنا أصبر منّا، لأنّا صبرنا بعلم، و [شيعتنا][9] صبروا على ما لا يعلمون»[10].

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: من بعد ما أوثقوه به من الإقرار والقبول. القمّي: يعني: في أمير المؤمنين ﷺ و هو الّذي أخذ الله عليهم في الذّرّ، و أخذ عليهم رسول الله ﷺ بغدير خُمّ[11]. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الرَّحِم وغيرها ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالظّلم و تهييج الفتن ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ

١ـ في «ب»: «طلباً لرضاء الله».
٢ـ في «الف»: «يتبعون».
٣ـ القمّي ١: ٣٦٤، عن أبي عبدالله ﷺ.
٤ـ الحصباء: الحصى واحدتها حَصَبَةٌ. القاموس ١: ٥٧ (حصب).
٥ـ من لا يحضره الفقيه ١: ١٩٣، ذيل الحديث ٩٠٥، عن النّبيّ ﷺ.
٦ـ الكافي ٨: ٩٨، الحديث: ٦٩، عن أبي جعفر ﷺ، عن النّبيّ ﷺ.
٧ـ القمّي ١: ٣٦٥.
٨ـ في «ب» و المصدر: «صبرنا».
٩ـ ما بين المعقوفتين من «ب» و «ج».
١٠ـ القمّي ١: ٣٦٥، عن أبي عبدالله ﷺ.
١١ـ المصدر: ٣٦٣.

﴿النَّارِ﴾: عذاب النّار.

﴿اللَّهُ﴾ وحده ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يوسّعه و يضيّقه دون غيره ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بما بسط لهم فيها ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾: في جنبها ﴿إِلَّا مَتَاعٌ﴾: إلّا شيء قليل يُتمتّع به ثمّ يفنى؛ يعني: أنّهم أشروا[1] بما نالوا من الدّنيا، ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيمَ الآخرة، و اغترّوا بما هو في جنبه نزر[2]، قليل النّفع، سريع الزّوال.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾: من أقبل إلى الحقّ و رجع عن العناد.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾: تسكن إليه، أنساً به و اعتماداً عليه ورجاءً منه. قال: «بمحمّد ﷺ تطمئنّ، و هو ذكر الله و حجابه»[3]. و القمّي: «الّذين آمنوا»: الشّيعة، و ذكر الله: أمير المؤمنين و الأئمّة عليهم السّلام[4]. ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾. قال: «طوبى شجرة في الجنّة، أصلها في دار النّبيّ ﷺ، و ليس من مؤمن إلّا و في داره غصن منها، لا يخطر على قلبه شهوة شيء إلّا أتاه به ذلك، و لو أنّ راكباً مُجدّاً سار في ظلّها مائة عام ما خرج منه، و لو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتّى يسقط هرماً، ألا ففي هذا فارغبوا»[5]. و في رواية: «أصلها في دار عليّ بن

١ـ أشِر من باب تعب: بطر وكفر النّعمة فلم يشكرها. المصباح المنير ١: ٢١٠ (أشر).
٢ـ النَّزْر: القليل. القاموس المحيط ٢: ١٤٦ (نزر).
٣ـ العيّاشي ٢: ٢١١، الحديث: ٤٤، عن أبي عبدالله ﷺ.
٤ـ القمّي ١: ٣٦٥.
٥ـ الكافي ٢: ٢٣٩، الحديث: ٣٠، عن أبي عبدالله ﷺ.

ابي طالب»[1] و ورد: «إنّه قيل للنّبيّ ﷺ في ذلك، فقال: إنّ داري و دار عليّ في الجنّة بمكان واحد»[2]

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾: و حالهم انّهم يكفرون بالواسع الرّحمة، الّذي احاطت بهم نعمتُهُ، و وسعت كلّ شيء رحمته. ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: مرجعي.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾. زُعزِعَتْ عن مقارّها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾: تصدّعَتْ من خشية الله و تشقّقت ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾ فتسمَعُ وتُجيبُ، لكان هذا القرآن؛ لعظم قدره و جلالة شانه. القمّي: لو كان شيء من القرآن كذلك لكان هذا[3]، و ورد: «وقد ورِثْنا نحن هذا القرآن، الّذي فيه ما تُسَيَّرُ به الجبالُ، وتُقَطَّعُ به البلدانُ، و يُحيَىٰ به الموتى»[4]. ﴿بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾: بل لله القدرةُ على كلّ شيء.

﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. قيل: اي: افلم يعلم؟ و هي لغة قوم من النّخع[5]. وقيل. إنّما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمّنه معناه، لانّ اليائس عن الشّيء عالم بانّه لايكون[6]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «افلم يتبيّن»[7]. ﴿أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾[8]: داهية تقرعهم من[9] صنوف

١ ـ كمال الدّين ٢: ٣٥٨، الباب ٣٣، الحديث ٥٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٩١، عن أبي الحسن، عن آبائه عليهم السّلام.
٣ ـ القمّي ١: ٣٦٥.
٤ ـ الكافي ١: ٢٢٦، الحديث ٧، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام.
٥ ـ النّخَع ـ محرّكة ـ قبيلة باليمن. القاموس المحيط ٣: ٩٠ (نخع).
٦ ـ الكشّاف ٢: ٣٦٠.
٧ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٢٩٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ القارعة: البليّة الّتي تقرعُ القلبَ بشدّة المخافة. مجمع البحرين ٤: ٣٧٧ (قرع).
٩ ـ في «ب»: «عن».

المصائب، في انفسهم و اموالهم. قال: «[هي][1] النّقمة»[2] ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ القارعة ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ فيفزعون منها و يتطاير إليهم شررها[3]، كالسّرايا الّتي يبعثها رسول الله ﷺ تُغيرُ حواليهم، و تَختطفُ مواشيهم قال: «تحلّ بقوم غيرهم، فيرون ذلك و يسمعون به، والّذين حلّت بهم عصاة كفّار مثلهم، و لا يتّعظ بعضهم ببعض»[4].

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ قال: «و لن يزالوا كذلك، حتّى يأتي وعد الله الّذي وعد المؤمنين من النّصر، و يخزي الله الكافرين»[5]. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾. الإملاء: أن يُترَكَ مُلاوةً[6] من الزّمان في أمن و دَعَة. يعني: طوّلتُ لهم الأمل ثمّ أهلكتهم. و هو تسلية لرسول الله ﷺ، و وعيد للمستهزئين به. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾. عقابي إيّاهم.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾: رقيب عليه حافظ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: من خيرٍ و شرٍّ، فلا يخفى عليه شيء من أعمالهم[7]، و لا يفوت عنه شيء من جزائهم، كمن ليس كذلك؟ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ مَنْ هُمْ؟ أو صِفُوهم، فانظروا هل لهم ما يستحقّون به العبادة، و يستأهلون الشّركة؟ ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ﴾. بل أتنبّؤونه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾: بشركاءَ لا يَعلَمُهُمْ في الأرض، و هو العالم بما في السّماوات و الأرض. فإذا لم يَعْلَمْهُمْ فإنّهم ليسوا بشيء يتعلّق به العلم. و المراد: نفي أن يكون له شركاء. ﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾. أم تسمّونهم شركاءَ بظاهر من القول، من غير حقيقة و اعتبار، كتسمية الزّنجيّ كافوراً. أُنظر إلى هذه الأساليب العجيبة في الاحتجاج، كيف تنادي بلسانٍ فصيح: أنّها ليست من كلام البشر. ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾: تمويههم،

1- ما بين المعقوفتين من «ب».

2 و 4- القمّي 1: 365-366، عن أبي جعفر ؏.

3- في «الف»: «شرّها».

5- القمّي 1: 365-366، عن أبي جعفر ؏.

6- الملاوة - بالحركات الثّلاث - أي: حيناً و برهةً. مجمع البحرين 1: 398 (ملا).

7- في «ب»: «أحوالهم».

فتخيلوا[1] أباطيل ثمّ خالوها. ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾: سبيل الحق ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾: يخذله ﴿فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ يوفقه للهدى.

﴿لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ بالقتل و الأسر و سائر المصائب ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ﴾ لشدته و دوامه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾: من دافع.

﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾: صفتها التي هي مثَلٌ في الغرابة ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ﴾: لا مقطوعةٌ و لا ممنوعةٌ ﴿وَظِلُّهَاۚ﴾ كذلك ﴿تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۚ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ﴾ قال: «أي: يفرحون بكتاب الله إذا يُتلى عليهم، و إذا تلوه تفيض أعينهم دمعاً من الفزع و الحزن»[2]. ﴿وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾: مَن تحزّب على رسول الله بالعداوة ﴿مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ﴾ و هو ما يخالف شرائعهم ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ﴾ فإنكاركم إنكار لعبادة الله و توحيده. ﴿إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ﴾ لا إلى غيره ﴿وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ﴾: و إليه مرجعي لا إلى غيره.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ مأموراً فيه بعبادة الله و توحيده، و الدعوة إليه و إلى دينه ﴿حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ﴾: حِكمَةً عربيّةً، مترجمَةً بلسان العرب ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ في أمور يدعونك إلى أن توافقهُم عليها ﴿بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ بنسخ ذلك ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ﴾ ينصرك ﴿وَلَا وَاقٖ﴾ يمنع العقاب عنك، و هو حَسْمٌ لأطماعهم، و تهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ﴾ بشراً مثلك ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ﴾. نساءً و أولاداً ردٌّ لتعييرهم إيّاه بكثرة الأزواج. قال: «فما كان رسول الله إلّا كأحد أولئك، جعل الله له أزواجاً، و جعل له ذريّةً، لم يُسلِّمْ مع أحدٍ من الأنبياء من أسلم من

١ـ في «ج»: فتخيلوا
٢ـ القمي ١: ٣٦٦، عن أبي جعفر ﷺ.

أهل بيته، أكرم الله بذلك رسوله»[١]. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ يقترح عليه و يلتمس منه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فإنّه القادر على ذلك. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾: لكلّ وقت حكم يكتب على العباد، و لهم ما يقتضيه صلاحهم.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾: ينسخ ما ينبغي نسخه، و يثبت ما يقتضيه حكمته، و يمحو سيّئات التائب، و يثبت الحسنات مكانها، و يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلّق به جزاء، و يترك غيره مثبتاً، أو يثبت ما رآه في صميم قلب عبده، و يمحو الفاسدات و يثبت الكائنات، و يمحو قرناً و يثبت آخرين. و الأخير مروي[٢]، و هو أحد معانيه. و قال: «هل يُمحىٰ إلّا ما كان ثابتاً، و هل يثبت إلّا ما لم يكن؟»[٣].

و ورد: «إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة و الروح و الكتبة إلى سماء الدنيا، فكتبوا ما يكون من قضاء الله تلك السنة. فإذا أراد الله أن يقدّم شيئاً أو يؤخّره أو ينقص[٤] شيئاً، أمر الملك أن يمحو ما يشاء، ثمّ أثبت الّذي أراد»[٥].

﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يعني: أصل الكتب؛ و هو اللّوح المحفوظ عن المحو و التبديل، و هو جامع للكلّ، ففيه إثبات المثبت و إثبات الممحوّ[٦]، و محوه و إثبات بدله.

قال: «هما كتابان: كتاب سوى أمّ الكتاب، يمحو الله منه ما يشاء و يثبت؛ و أمّ الكتاب لا يغيّر منه شيء»[٧].

و في رواية: «هما أمران: موقوف و محتوم، فما كان من محتوم أمضاه، و ما كان من موقوف فله فيه المشيّة يقضي فيه ما يشاء»[٨].

١ـ العيّاشي ٢: ٢١٤، الحديث: ٥١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٩٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٣ـ الكافي ١: ١٤٧، الحديث ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ـ في «الف» و «ج»: «ينقص».
٥ـ راجع: القمّي ١: ٣٦٦؛ و العيّاشي ٢: ٢١٦، الحديث: ٦٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، مع اختلاف يسير.
٦ـ في جميع النسخ: «إثبات المحو». و ما أثبتناه من الصافي.
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٩٨، عن النبيّ صلّى الله عليه و آله.
٨ـ مصدره، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ يعني و كيفما دارت الحال من الأمرين ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ لا غير ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ للمجازاة لا عليك، فلا تحتفل بإعراضهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: بإذهاب أهلها. قال: «يعني بذلك ما يهلك من القرون، فسمّاه إتياناً»[1]. و في رواية: «هو ذهاب العلماء»[2].

أقول: و على هذا التفسير يكون الأطراف جمع طَرْفٍ بالتّسكين. قال في الغريبين[3]: أطراف الأرض: علماؤها و أشرافها، الواحد طَرْفٌ، و يقال طَرَفٌ أيضاً.

﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾: لا رادّ له، و المُعَقِّبُ: الّذي يعقّب الشّيء فيُبطله. ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾. فيحاسبهم عمّا قليل.

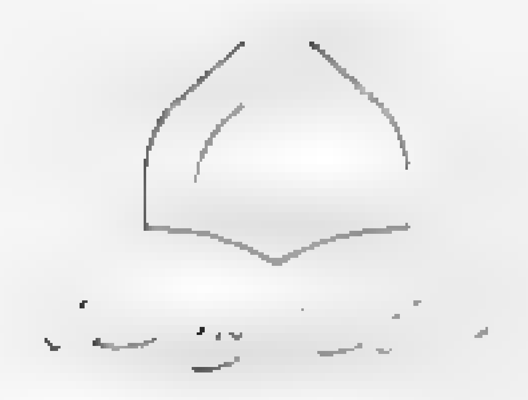
﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ إذ لا يُؤْبَهُ بمكر دون مكره، فإنّه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره. ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيُعِدُّ جزاءه ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ يعني: العاقبة المحمودة، و هذا كالتّفسير لمكر الله بهم. القمّي: المكر من الله هو العذاب[4].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

قال: «إيّانا عنى، و عليّ أوّلنا، و أفضلنا، و خيرنا بعد النّبيّ ﷺ»[5].

١ـ الاحتجاج ١: ٣٧٢، عن أمير المؤمنين ﷺ.
٢ـ الكافي ١: ٣٨، الحديث ٦، عن أبي جعفر، عن أبيه عليّ بن الحسين عليهما السّلام. و في «ب»: «ذهاب العلماء».
٣ـ لا يوجد لدينا هذا الكتاب. راجع: أساس البلاغة: ٣٨٨؛ و لسان العرب ٩: ٢١٨؛ و تاج العروس ٢٤: ٧٩ (طرف)؛ و مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٠٠.
٤ـ القمّي ١: ٣٦٧.
٥ـ الكافي ١: ٢٢٩، الحديث ٦؛ و العيّاشي ٢: ٢٢٠، الحديث: ٧٦، عن أبي جعفر ﷺ.

وسئل عليٌ عليه السلام عن أفضل منقبة له فقرأ هذه الآية وقال: «إيّاي[1] عنى بـ "مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ"»[2].



١ـ في «الف»: «إيّانا».
٢ـ الاحتجاج ١: ٢٣٢.

سورة إبراهيم

[مكيّة، و هي اثنان و خمسون آية] [1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: من الكفر و انواع الضّلال ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: إلى الإيمان والهدى ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾: بتوفيقه و تسهيله ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾. بدل من قوله: "إلى النُّورِ".

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾.

الويل الهلاك، نقيض الوَأْلِ و هو النّجاة.

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: يختارونها عليه ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾: يطلبون لها اعوجاجاً ليقدحوا فيها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾: إلّا بلغة قومه الّذين هو منهم و بُعِثَ فيهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ ما أمروا به فيفقهوه بيسرٍ و سرعةٍ.

1ـ ما بين المعقوفتين من: ض

وورد «و مَنْ علَيَّ ربّي وقال: يا محمّد قد ارسلتُ كلّ رسول إلى أمّة بلسانها، و ارسلتك إلى كلّ احمر و اسود من خلقي»[1].

﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ بالخذلان ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بالتوفيق ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ قال: «بنعم الله و آلائه»[2]. و قيل: بوقائعه الواقعة على الأمم الماضية[3]. و في رواية: «أيّام الله: يوم يقوم القائم و يوم الكرّة و يوم القيامة»[4]. و القمّي: أيّام الله ثلاثة: يوم القائم و يوم الموت و يوم القيامة[5].

اقول: لا منافاة بين هذه التفاسير، لانّ النّعمة على المؤمن نقمة على الكافر، وكذا الأيّام المذكورة نِعَمٌ لقوم و نِقَمٌ لآخرين.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ يصبر على بلائه ﴿شَكُورٍ﴾ يشكر لنعمائه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾: يكلفونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: استعبادكم بالاعمال الشاقّة، كما سبق في سورة البقرة[6] ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾: و اذكروا إذ أعلم ربكم: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ يا بني إسرائيل ما أنعمت عليكم من الإنجاء و غيره، بالإيمان و العمل الصّالح ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمةً إلى نعمةٍ. وورد: «ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه، و حمد الله ظاهراً بلسانه، فتمّ

١ ـ الخصال ٢: ٤٢٥، الحديث ١، عن النّبيّ ﷺ، وفيه: «إلى أمّته».
٢ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٠٤؛ و العياشي ٢: ٢٢٢، الحديث ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ البيضاوي ٣: ١٥٦؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٠٤.
٤ ـ الخصال ١: ١٠٨، الحديث ٧٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥ ـ القمي ١: ٣٦٧.
٦ ـ في ذيل الآية ٤٩.

كلامه حتّى يؤمّر له بالمزيد»[1]. ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ قال: «هو كفر النِّعم»[2].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن شكركم ﴿حَمِيدٌ﴾: مستحقّ للحمد في ذاته وإن لم يحمده حامد، محمود يحمده نفسه وملائكته وسائر المخلوقات، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[3].

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾. القمّي: أي: في أفواه الأنبياء[4]. أقول: يعني منعوهم من التكلّم، وهو تمثيل.

﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى وقت سمّاه الله وجعله آخر أعماركم. ﴿قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: لا فضل لكم علينا، فلمَ خُصِصْتم بالنبوّة دوننا؟! ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: بحجّة واضحة. أرادوا بذلك ما اقترحوه من الآيات، تعنّتاً وعناداً.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾. سلّموا مشاركتهم في البشريّة، وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوّة فضل الله، ومنّه عليهم بخصائص فيهم ليست في أبناء جنسهم ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾:

١ـ الكافي ٢: ٩٥، الحديث ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام
٢ـ المصدر: ٣٩٠، الحديث ١، عن أبي عبدالله عليه السلام
٣ـ الإسراء (١٧): ٤٤
٤ـ القمّي ١: ٣٦٨

فليتوكّل[1] في الصّبر على معاداتكم. عمّموا للإشعار بما يوجب التّوكّل، و هو الإيمان.

﴿وَمَا لَنَا﴾ اي. ايّ عذر لنا ﴿أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ التي بها نعرفه، و نعلم انّ الأمور كلها بيده ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾. حلفوا على ان يكون احد الامرين؛ و العودُ بمعنى الصّيرورة، لأنّهم لم يكونوا[2] على ملّتهم قطّ. ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ اي: ارضهم و ديارهم. ورد: «من آذى جاره طمعاً في مسكنه ورّثه الله داره»[3]. ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ اي: موقفي للحساب ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ اي. و عيدي بالعذاب.

﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾. سألوا من الله الفتح على اعدائهم، او القضاء بينهم و بين اعدائهم[4]. من الفُتاحة، بمعنى الحكومة. ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ قال: «يعني: مَنْ ابى ان يقول لا إله إلاّ الله»[5]. و في رواية: «العَنِيدُ: المعرض عن الحقّ»[6].

﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾: من بين يدي هذا الجبّار نارُ جهنّم، فإنّه مرصد بها، واقف على شفيرها في الدّنيا، مبعوث إليها في الآخرة. ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ اي: يُلقىٰ فيها و يسقى ﴿مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ قال: «و يسقى ممّا يسيل من الدّم و القيح من فروج الزّواني في النّار»[7].

١ـ في «ب»: «فليتوكل»
٢ـ في «الف»: «لا يكونوا»
٣ـ القمّي ١: ٣٦٨، مرفوعاً عن النّبيّ ﷺ.
٤ـ في «ب» و «ج»: «أعاديهم»
٥ـ التّوحيد: ٢١، الباب ١، الحديث ٩، عن النّبيّ ﷺ
٦ـ القمّي ١: ٣٦٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٠٨، عن أبي عبدالله عليه السلام

و في رواية: «يقرب إليه فيكرهه، فإذا أُدني منه شوى وجهه و وقع فروة رأسه[١]، فإذا شرب قُطِّعَ أمعاؤه[٢] حتّى يخرج من دبره، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[٣]، و يقول ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾[٤]»[٥].

﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يتكلّف جرعه ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾: ولا يقارب أن يسيغه، فكيف يسيغه؟ ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: أسبابه من الشدائد، فيحيط به من جميع الجهات ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فيستريح ﴿وَمِن وَرَائِهِ﴾: و من بين يديه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي: يستقبل في كلّ وقت عذاباً أشدّ ممّا هو عليه قال: «إنّ أهل النّار لمّا غلى الزّقوم و الضّريع[٦] في بطونهم كغلي الحميم، سألوا الشّراب فأُتوا بشراب غسّاق[٧] و صديد ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: حميم[٨]، يغلي به جهنّم منذ خلقت ﴿كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾»[٩].

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾: صفتهم الّتي هي مثل في الغرابة ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾: حملته و أسرعت الذّهاب به ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾. العصف: اشتداد الرّيح. وُصِفَ به اليوم للمبالغة. شبّه مكارمهم - من الصّدقة و صلة الرّحم و عتق الرّقاب

١- في المصدر: «وقعت». و وقع: سقط؛ و الفروة: جلدة الرّأس. القاموس المحيط ٣: ٩٩ (وقع) و ٤: ٣٧٦ (فرو).
٢- في «ألف» و «ج» والمصدر: «قطّع أمعاءه».
٣- سورة محمّد (٤٧): ١٥.
٤- الكهف (١٨): ٢٩.
٥- مجمع البيان ٥-٦: ٣٠٨، عن النّبيّ ﷺ.
٦- الزّقوم: شجرة مرّة، كريهة الطّعم و الرّائحة؛ و الضّريع: على ما نقل عن رسول الله ﷺ: شيء يكون في النّار يشبه الشّوك، أمرّ من الصّبر و أنتن من الجيفة و أشدّ حرّاً من النّار. مجمع البحرين ٤: ٣٦٤ (ضرع) و ٦: ٧٩ (زقم).
٧- الغسّاق: ما يغسق من صديد أهل النّار أي: يسيل، يقال: غسقت العين: إذا سالت دموعها. مجمع البحرين ٥: ٢٢٣ (غسق).
٨- في المصدر: «و حميم».
٩- العيّاشي ٢: ٢٢٣، الحديث ٧، عن أبي عبدالله، عن آبائه، عن عليّ عليهم السّلام. والآية في سورة الكهف (١٨): ٢٩.

و إغاثة الملهوف في حبوطها و ذهابها هباءً منثوراً، لبنائها على غير أساس من معرفة الله، والتوجّه بها إليه ـ برماد طيّرته الرّيح العاصف. ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ يوم القيامة ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ منها ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ يعني لا يرون لشيء منها ثواباً ﴿ذَٰلِكَ﴾ اي: ضلالهم مع حسبانهم أنّهم محسنون ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ في غاية البعد عن الحقّ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: بالحكمة و الغرض الصّحيح، ولم يخلقها عبثاً باطلاً ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: بمتعذّر، او متعسّر.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يعني يوم القيامة. ذكر بلفظ الماضي لتحقّق وقوعه.

﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾: ضعفاء الرّاي، يعني الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾. لرؤسائهم، قال: «اتدرون ما الاستكبار ما هو؟ هو ترك الطّاعة لمن أمروا بطاعته، و التّرفّع على من نُدبوا إلى متابعته»[1]. ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾: منجىً و مهرب من العذاب.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾. قال: «كلّما كان في القرآن "قال الشّيطان" يريد به الثّاني»[2].

﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾. القمّي: اي: لمّا فرغ من امر الدّنيا من اوليائه[3]. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ من البعث و الجزاء، فوفى لكم بما وعدكم ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ خلاف ذلك ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾: فلم أوف لكم ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ فاجبركم على الكفر والعصيان ﴿إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ تسويلي و وسوستي ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ أسرعتم إجابتي ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ بوسوستي، فإنّ من صرّح بعداوته لا يلام بامثال ذلك ﴿وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾ حيث اغتررتم ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيثكم من العذاب ﴿وَمَا أَنتُم

١ـ مصباح المتهجّد: ٧٠١، عن امير المؤمنين عليه السلام في خطبة يوم الغدير.
٢ـ العيّاشي ٢: ٢٢٣، الحديث ٨، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٦٨.

بِمُصْرِخِيَّ﴾. بمغيثيّ. لا ينجي بعضنا بعضاً ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ تبرّأت منه. قال: «إنّ الكفر في هذه الآية البراءة»[1]. ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. من تتمة كلامه، أو استيناف.

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: قولاً حقّاً و دعاءً إلى صلاح ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ يطيب ثمرها، كالنخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الارض ضارب بعروقه فيها ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا﴾: تعطي ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ﴾: كلّ وقت وقّته الله لاثمارها ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾. قال: «هذا مثل ضربه الله لاهل بيت نبيّه و لمن عاداهم»[2]. و سئل عن هذه الشجرة؟ فقال: «رسول الله ﷺ أصلها، و أمير المؤمنين صلوات الله عليه فرعها، و الائمّة من ذرّيّتهما أغصانها، و علم الائمّة ثمرها، و شيعتهم المؤمنون ورقها»[3]. و قال: «"تؤتي أكلها كلّ حين": ما يخرج من علم الامام إليكم في كلّ سنة من كلّ فجّ عميق»[4].

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: قول باطل، و دعاء إلى ضلال أو فساد ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ لا يطيب ثمرها، كشجرة الحنظل ﴿اجْتُثَّتْ﴾: استوصلت و أخذت جثّته بالكلّيّة ﴿مِن فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ لانّ عروقها قريبة منه ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾. قال: «إنّ هذا مثل بني أميّة»[5].

١ـ الكافي ٢: ٣٩٠، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ؑ.
٢ـ العيّاشي ٢: ٢٢٥، الحديث ١٥، عن أبي عبدالله ؑ.
٣ـ المصدر ٢٢٤، الحديث ١١، عن أبي عبدالله ؑ، و فيه: «و شيعتهم ورقها».
٤ـ كمال الدّين ٢: ٣٤٥، الباب ٣٣، الحديث ٣٠، عن أبي عبدالله ؑ، و فيه بدل قوله «من كلّ فجّ عميق»: «من حجّ وعمرة».
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣١٣، عن أبي جعفر ؑ.

و قال: «كذلك الكافرون لا تصعد أعمالهم إلى السّماء»[١].

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ الّذي ثبت بالحجّة و البرهان عندهم، و تمكّن في قلوبهم و اطمأنّت إليه أنفسهم ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فلا يزلّون إذا افتتنوا في دينهم ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ فلا يتلعثمون[٢] إذا سئلوا عن معتقدهم ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الّذين ظلموا أنفسهم بالجحود و الاقتصار على التّقليد، فلا يهتدون إلى الحقّ، ولا تثبتون في مواقف الفتن. قال: «يعني يضلّهم يوم القيامة عن دار كرامته»[٣].

ورد: «إنّ الشّيطان ليأتي الرّجل من أوليائنا عند موته عن يمينه و عن شماله ليضلّه عمّا هو عليه، فيأبى الله له ذلك، و ذلك قول الله عزّ و جلّ: "يثبّت الله الّذين آمنوا" الآية»[٤] ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: دار الهلاك؛ بحملهم[٥] على الكفر.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾. قال: «عنى بها قريشاً قاطبةً، الّذين عادوا رسول الله و نصبوا له الحرب، و جحدوا وصيّه»[٦].

و في رواية: «هم الأفجران من قريش: بنو أميّة و بنو المغيرة؛ فأمّا بنو أميّة فمتّعوا إلى حين؛ و أمّا بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر»[٧].

و في أخرى: «ما بال أقوام غيّروا سنّة رسول الله ﷺ، و عدلوا عن وصيّه لا يتخوّفون أن ينزل بهم العذاب؟! ثمّ تلا هذه الآية، ثمّ قال: نحن و الله نعمة الله الّتي

١ـ القمّي ١: ٣٦٩، عن أبي عبدالله ؏.
٢ـ تلعثم الرّجل في الأمر، إذا تمكّث فيه و تأنّى. مجمع البحرين ٦: ١٦٢ (لعثم)
٣ـ التّوحيد: ٢٤١، الباب ٣٥، الحديث ١، عن أبي عبدالله ؏
٤ـ من لايحضره الفقيه ١: ٨٠، الحديث: ٣٦٣؛ و العيّاشي ٢: ٢٢٥، الحديث ١٦، عن أبي عبدالله ؏
٥ـ في «ألف» و «ب»: «يحملهم»
٦ـ الكافي ١: ٢١٧، الحديث ٤، عن أبي عبدالله ؏، و فيه: «وصيّه وصيّه»
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣١٤، عن عليّ ؏.

أنعم الله بها على عباده، و بنا يفوز من فاز يوم القيامة»[1].

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾.

﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ اي: أقيموا الصلاة، او ليقيموا[2] ﴿وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾. قال: «إنّه من الحقوق الّتي هي غير الزكاة المفروضة»[3] ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فيبتاعَ المقصّرُ ما يتدارك به تقصيره، او يفدي به نفسه ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾: و لا مُخالّة، فيشفعَ لك خليل. القمّي: لا صداقة[4].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ تعيشون به. يشمل المطعوم و الملبوس و غيرهما ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾.

﴿وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾: يدأبان في سيرهما لا يفترّان في منافع الخلق. قال: «في مرضاته»[5]. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يتعاقبان لسباتكم[6] ومعاشكم.

﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾: ما كان حقيقاً بأن يسأل، سئل اولم يسأل. قال: «و الشيء الّذي لم تسأله إيّاه أعطاك»[7]. و في قراءتهم عليهم السّلام: «من كلٍّ بالتنوين»[8]. ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾: لا تعدّوها و لا تطيقوا حصر انواعها فضلاً عن افرادها ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ﴾ للنعمة لا يشكرها ﴿كَفَّارٌ﴾ يكفرها.

١ـ الكافي ١: ٢١٧، الحديث ١، عن ابي عبدالله عليه السلام، وفيه: «نحن النعمة الّتي...».
٢ـ في «ب» و «ج»: «اقيموا الصلاة يقيموا، او ليقيموا»
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٣٠، الحديث ٢٩، مضمراً
٤ـ القمّي ١: ٣٧١
٥ـ نهج البلاغة (للصبحي الصالح): ١٢٣، الخطبة ٩٠
٦ـ في «العين» «لسباتكم». والسبات: نوم المريض والشيخ المسنّ، وهو النومة الخفية، واصله من السَّبْت: الراحة والسكون. النهاية ٢: ٣٣١ (سبت).
٧ـ العيّاشي ٢: ٢٣٠، الحديث ٣٠، عن ابي جعفر عليه السلام
٨ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣١٥، عنهما عليهما السّلام

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾: [بلد][1] مكّة ﴿ءَامِنًا﴾: ذا أمن لمن فيها. وقد مرّ بيانه[2]. ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾. قال: النّبيّ ﷺ: «فانتهت الدّعوة إليّ و إلى أخي عليّ، لم يسجد أحد منّا لصنم قطّ، فاتّخذني الله نبيّاً و عليّاً وصيّاً»[3].

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: صرن سبباً لاضلالهم ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ قال: «من اتّقى الله منكم و أصلح»[4]. و في رواية: «من أحبّنا فهو منّا أهل البيت قيل: منكم أهل البيت؟! قال: منّا أهل البيت، قال فيها إبراهيم: "فمن تبعني فإنّه منّي"»[5] ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال: «تقدر أن تغفر له و ترحمه»[6].

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾: بعض ولدي، و هو إسماعيل و من ولد منه. قال: «نحن هم، و نحن بقيّة تلك الذّرّيّة»[7]. ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ يعني: وادي مكّة ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾: الّذي حرّمت التّعرّض له و التّهاون به ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: بعضهم. قال: «أما إنّه لم يعن النّاس كلّهم، أنتم أُولئك ونظراؤكم، إنّما مثلكم في النّاس مثل الشّعرة البيضاء في الثّور الأسود، أو مثل الشّعرة السّوداء في الثّور الأبيض»[8]. ﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾: تسرع إليهم، شوقاً و وداداً. و في قراءتهم عليهم السّلام: «تَهْوَى بفتح الواو»[9]. من: هوي كرضي: إذا أحبّ؛ و تعديته بـ«إلى» لتضمين معنى النّزوع. قال: «و لم يعن البيت فيقول: "إليه"، فنحن والله دعوة إبراهيم»[10] ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ قال: «يعني من

١ـ ما بين المعقوفتين من «ب» و «ج».
٢ـ في سورة البقرة: ١٢٦.
٣ـ الأمالي (للطوسي) ١: ٣٨٨.
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٣١، الحديث: ٣٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ـ المصدر، الحديث: ٣٢، عن أبي جعفر ﷺ، و الحديث: ٣٤، عن أبي عبدالله ﷺ.
٦ـ الصّافي ٣: ٩٠، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ـ العيّاشي ٢: ٢٣١، الحديث: ٣٥، عن أبي جعفر ﷺ.
٨ـ المصدر: ٢٣٢، الحديث: ٣٩، عن أبي عبدالله ﷺ.
٩ـ مجمع البيان ٥ـ ٦: ٣١٧، عن أمير المؤمنين و الصّادقين عليهم السّلام.
١٠ـ الكافي ٨: ٣١١، الحديث: ٤٨٥، عن أبي جعفر ﷺ.

ثمرات القلوب»[1]. أي: حبّبهم إلى النّاس ليأتوا إليهم و يعودوا. و في رواية: «إنّ الثّمرات تُحْمَلُ إليهم من الآفاق، و قد استجاب الله له حتّى لا يوجد في بلاد الشّرق و الغرب ثمرة لا توجد فيها؛ حتّى حكي أنّه يوجد فيها في يوم واحد فواكه ربيعيّة و صيفيّة وخريفيّة و شتائيّة»[2]. و قد سبقت رواية أخرى في سورة البقرة عند قوله: "و ارزق أهله من الثّمرات"[3]. و ورد: «إنّه نظر إلى النّاس حول الكعبة فقال: هكذا كانوا يطوفون في الجاهليّة، إنّما أُمروا أن يطوفوا بها، ثمّ ينفروا إلينا فيُعلِمونا ولايتهم و مودّتهم، ويَعرضوا علينا نصرتهم. ثمّ قرأ هذه الآية»[4].

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾: تعلم سرّنا و علانيتنا. و المعنى: أنّك أعلم بأحوالنا و مصالحنا و أرحم بنا منّا بأنفسنا، فلا حاجة لنا إلى الطّلب، لكنّا ندعوك إظهاراً لعبوديّتك، و افتقاراً إلى رحمتك، و استعجالاً لنيل ما عندك. ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾: لمجيبه[5]؛ مِن سمعه: إذا اعتدّ به. و فيه إشعار بأنّه دعا ربّه و سأل منه الولد، فأجابه حين ما وقع اليأس منه.

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: معدلاً لها[6]، مواظباً عليها ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾: وبعض ذرّيّتي ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾: عبادتي.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ قال: «آدم و حوّاء»[7]. و في قراءتهم عليهم السّلام:

١- القمّي ١: ٣٧١، عن أبي عبدالله عليه السلام
٢- عوالي اللآلي ٢: ٩٦، الحديث ٢٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام
٣- راجع: ذيل الآية ١٢٦
٤- الكافي ١: ٣٩٢، الحديث ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٥- في «الف»: «يجيبه»
٦- في «ب»: «معدّاً لها»
٧- العيّاشي ٢: ٢٣٤ - ٢٣٥، الحديث ٤٦، عن أحدهما عليهما السّلام

«و لولديّ»[1]. قال: «هذه كلمة صحّفها الكتّاب، إنّما كان استغفاره لأبيه عن موعدة وعدها إيّاه، و إنّما كان: ربّنا اغفرلي و لولدَيَّ يعني إسماعيل و إسحاق»[2] ﴿وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾: يوم القيامة.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾. القمّي: تبقى أعينهم مفتوحة من هول جهنّم، لا يقدرون أن يطرفوا[3].

﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين إلى الدّاعي، أو مقبلين بأبصارهم لا يطرفون هيبةً و خوفاً، و الإهطاع: الإقبال على الشيء. ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾: رافعيها ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ بل بقيت عيونهم شاخصةً لا تطرف ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ قيل: خلاءٌ أي: خالية عن العقول لفرط الحيرة و الدّهشة، لا قوّة لها و لا جراة و لا فهم[4] و القمّي: قلوبهم تتصدّع من الخفقان[5].

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ القمّي: أي: لا تهلكون[6].

﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر و المعاصي ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ بما شاهدتم في منازلهم من آثار ما نزل بهم، و ما تواتر عندكم من أخبارهم. ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ فلم تعتبروا.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ المستفرغ فيه جهدهم، لإبطال الحقّ و تقرير الباطل

١ ـ العيّاشي ٢: ٢٣٥، الحديث: ٤٧، عن أحدهما عليهما السّلام؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣١٧، عن الحسين و الباقر عليهما السّلام.
٢ ـ المصدر، الحديث: ٤٧، عن أبي جعفر عليه السّلام.
٣ ـ القمّي ١: ٣٧٢، و فيه: «يطرفوها». طرف بصره: أطبق أحد جفنيه على الآخر. القاموس المحيط ٣: ١٧٢ (طرف).
٤ ـ البيضاوي ٣: ١٦٣؛ و الكشّاف ٢: ٣٨٢.
٥ و ٦ ـ القمّي ١: ٣٧٢.

﴿وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾: و مكتوب عنده مكرهم فهو مجازيهم عليه، أو عنده ما يمكرهم به جزاءً لمكرهم ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ في العظم و الشدّة. القمّي: مكر بني فلان[1].

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ لأوليائه من أعدائه.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ قال: «يعني بأرضٍ لم تكسب[2] عليها الذنوب، بارزةً ليس عليها جبال و لا نبات، كما دحاها أوّل مرّة»[3]. و في رواية: «تبدّل[4] الارض خبزةً نقيّةً يأكل النّاس منها حتّى يفرغوا من الحساب»[5]. ﴿وَالسَّمَاوَاتُ﴾ يعني: والسّماوات غير السّماوات. روي: «ارضاً من فضّة و سماوات من ذهب»[6]. ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ لمحاسبته و مجازاته.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾. القمّي: مقيّدين بعضهم إلى بعض[7]. قيل: لعلّ ذلك بحسب مشاركتهم في العقائد و الاخلاق و الاعمال[8].

﴿سَرَابِيلُهُم﴾: قمصانهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ و هو ما يُطلى به الإبل الجربى، فيُحرق الجَرَبَ و الجلدَ، و هو اسود منتن يشتعل فيه النّار بسرعة. وورد: «هو الصفر الحارّ الذائب، يقول الله: انتهى حرّه»[9]. أقول: يعني هذا الحديث على قراءة: "قطرٍ آنٍ"، فإنّ القطر: النّحاس و الصفر المذاب، و الآني: المتناهي حرّه. ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾.

١ـ القمّي ١: ٣٧٢
٢ـ في المصدر: «لم تكتسب».
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٣٦، الحديث: ٥٢، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام.
٤ـ في «الف»: «يبدل».
٥ـ الكافي ٦: ٢٨٦ـ٢٨٧، الحديث: ١ و٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ البيضاوي ٣: ١٦٤، عن عليّ عليه السلام.
٧ـ القمّي ١: ٣٧٢.
٨ـ البيضاوي ٣: ١٦٤.
٩ـ القمّي ١: ٣٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: يفعل بهم ذلك ليجزي ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لأنّه لا يشغله حساب عن حساب. وقد مضى تفسيره[1].

﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ﴾: كفاية لهم في الموعظة، لينصحوا ﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

١ـ في سورة البقرة ذيل الآية: ٢٠٢

سورة الحجر

[مكيّة، وهي تسع وتسعون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾. قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من عندالله لايدخل الجنّة إلاّ مُسْلم، فيومئذ يودّ الّذين كفروا لو كانوا مسلمين»[2]

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾ بدنيا[3] ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ عن الاستعداد للمعاد ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ سوء صنيعهم، إذا عاينوا الجزاء.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾: اجل مقدّر كتب في اللّوح المحفوظ ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عنه.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾. نادوه على سبيل التّهكّم والاستهزاء. ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾: لتقول قول المجانين، حين تدّعي ذلك.

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب».
٢ ـ القمّي ١: ٣٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ ـ في «ج»: «بدنياهم».

﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾: هلاّ تأتينا ﴿بِالْمَلَائِكَةِ﴾ ليصدقوك ويعضدوك ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك.

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: بالحكمة والمصلحة ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ﴾: مهلين. يعني لايمهلهم ساعة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾. ردّ لإنكارهم واستهزائهم. ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من التّحريف والتّغيير، والزّيادة والنّقصان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾: في فرقهم وطوائفهم. والشّيعة: الفرقة إذا اتّفقوا في مذهب وطريقة؛ من شاعهُ إذا تبعهُ.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. حكاية حال ماضية.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ندخل الذكر ونَظمُهُ، مكذّباً به غير مقبول، كذا قيل[1]. وقيل: الضّمير للاستهزاء[2].

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: بالذكر ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سنّة الله فيهم، بأن خذلهم وسلكَ الكفر في قلوبهم؛ أو بأن أهلكهم حين كذّبوا رسلهم.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾.

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾: سُدّت من الإبصار بالسّحر، وخيّل إلينا على غير حقيقة ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ قد سحرنا محمدٌ بذلك.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾. قال: «البروج: الكواكب، والبروج الّتي للرّبيع والصّيف: الحمل والثّور والجوزاء والسّرطان والأسد والسّنبلة، وبروج الخريف والشّتاء: الميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وهي اثنى عشر برجاً»[3].

١ ـ الكشّاف٢: ٣٨٨.
٢ ـ مجمع البيان٥ ـ ٦: ٣٣١؛ والبيضاوي٣: ١٦٦.
٣ ـ القمّي١: ٣٧٢، عن أبي جعفر عليه السلام.

والقمّي: هي منازل الشّمس والقمر[1].

أقول: معنى البروج القصور العالية، سُمّيت الكواكب بها لأنّها للسيّارات كالمنازل لسُكّانها، واشتقاقه من التبرّج لظهوره. و ورد: «إنّ للشّمس ثلثمائة وستّين برجاً، كلّ برج منها مثل جزيرة من جزاير العرب، تنزلُ كلّ يوم على برجٍ منها»[2].

أقول: وذلك لأنّ سير الشّمس يكون في كلّ برجٍ من البروج الاثنى عشر ثلاثين يوماً تقريباً، فبهذا الاعتبار ينقسم كلّ منها إلى ثلاثين برجاً، فتصير ثلثمائة وستّين. ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ قال: «بالكواكب النيّرة»[3].

﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ فلا يقدر أن يَصْعَدَ إليها، ويوسوس أهلها، ويتصرّف في أمرها، ويطّلع[4] على أحوالها.

﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾: اختلسه سرّاً ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾ ولحقه ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر للمبصرين. والشّهاب: شُعْلة نارٍ ساطعة، وقد يُطلَق للكوكب والسّنان لما فيهما من البريق.

قال: «كان إبليس لعنه الله يخترق السّماوات السّبع، فلمّا وُلِدَ عيسى حُجِبَ عن ثلاث سماوات، وكان يَخْتَرِقُ أربع سموات، فلمّا وُلِدَ رسول الله ﷺ حُجِبَ عن السّبع كلّها، ورُمِيَتْ الشّياطين بالنّجوم. وقالت قريش: هذا قيام السّاعة الّذي كنّا نسمع أهل الكتب يذكرونه. وقال عمرو بن أُميّة، وكان من أزجر[5،6] أهل الجاهليّة: أُنظروا هذه النّجوم الّتي يُهْتَدَى بها و يُعْرَف بها أزمان الشّتاء والصّيف، فإن كان يُرْمَى[7] بها فهو هلاك

١ ـ القمّي ١: ٣٧٣.
٢ ـ الكافي ٨: ١٥٧، الحديث ١٤٨، عن أمير المؤمنين ﷺ، وفيه «فتنزل».
٣ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٣١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٤ ـ في «الف»: «يتطلّع».
٥ ـ والزَّجْرُ: العيافة، وهو ضرب من التّكهّن. الصّحاح ٢: ٦٦٨ (زجر).
٦ ـ في «المصدر»: «أزجر».
٧ ـ في «ج» والمصدر: «يرمى».

كلّ شيء، وإن كانت ثبتت ورُمِيَ بغيرها فهو أمر حدث»[١] الحديث.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾: بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابت ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾. قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أنبت في الجبال الذّهب والفضّة، والجوهر والصُّفْر، والنّحاس والحديد، والرّصاص والكحل والزّرنيخ وأشباه هذه، لاتباع إلّا وزناً»[٢].

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ تعيشون بها من المطاعم والملابس ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾: وجعلنا لكم من لستم له برازقين، من العيال والخدم والمماليك والحيوانات، وساير ما تحسبون أنّكم ترزقونه حسباناً كاذباً، فإنّ الله يرزقكم وإيّاهم.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾. القمّي: الخزانة: الماء الّذي ينزل من السّماء، فينبت لكلّ ضرب من الحيوان ماقدّر الله له من الغذاء[٣].

أقول: هذا تمثيل للتّقريب من أفهام الجمهور وتفسير في الظّاهر؛ وأمّا في الباطن: فالخزائن عبارةٌ عمّا كتبه القلم الأعلى، أولاً: على الوجه الكلّي، في لوح القضاء المحفوظ عن التّبديل، الّذي منه يجري؛ ثانياً: على الوجه الجزئي، في لوح القدر الّذي فيه المحو و الإثبات، مدرّجاً على التّنزيل، ثمّ منه ينزل ويظهر في عالم الشّهادة، وإليه أُشير ما ورد: «إنّ في العرش تمثال جميع ماخلق الله من البرّ والبحر. قال: وهذا تأويل قوله تعالى: "وإنْ منْ شيءٍ إلّا عِنْدنا خزائنُه"»[٤]

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾. القمّي: تلقح الأشجار[٥]. و ورد: «لاتسبّوا الرّيح، فإنّها

١ ـ الامالي (للصّدوق): ٢٣٥، المجلس الثّامن والاربعون، الحديث: ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ القمّي ١: ٣٧٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٣ ـ القمّي ١: ٣٧٥.
٤ ـ روضة الواعظين: ٤٧، عن جعفر بن محمّد، عن ابيه، عن جدّه عليهم السّلام، وفيه: «في البرّ والبحر».
٥ ـ القمّي ١: ٣٧٥.

بُشْر وإنّها نُذْر وإنّها لواقح، فاسألوا الله من خيرها وتعوّذوا به من شرّها»[١]. ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ أي: نحن الخازنون للماء، القادرون على خلقه في السّماء وإنزاله منها.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾. القمّي: أي: نَرِثُ الأرض ومَنْ عليها[٢].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ قال: «هم المؤمنون من هذه الأمّة»[٣].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ﴾ القمّي: الماء المتَصلْصِل بالطين[٤]. ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾: متغيّر. وفي حديث خَلْق آدم: «فاغترف جلّ جلاله غرفةً من الماء فصلْصَلَها فجُمِدَت»[٥] الحديث.

والصَّلْصال: يقال للطّين اليابس الذي يُصَلصِل، أي: يصوت إذا نقر وهو غير مطبوخ، فإذا طُبِخَ فهو فَخّار. والحَمَأ: الطين الأسود المتغيّر. والمسنون: يقال للمصوَّر، وللمصبوب المُفرَغ، وللمنتن، كأنّه أفرِغَ الحمأ فصُوِّرَ منها تمثال إنسانٍ أجوف، فيبُس حتّى إذا نُقِرَ صَلْصَلَ، ثمّ غيّر فصيّر إنساناً.

﴿وَالْجَانَّ﴾ يعني أبا الجنّ ﴿خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾: من قبل خلق الإنسان ﴿مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾: من نار الحرّ الشّديد النّافذ في المَسام[٦].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾. واذكر وقت قوله ﴿لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ

١ ـ العيّاشي ٢: ٢٣٩، الحديث: ٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ ـ القمّي ١: ٣٧٥
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٠، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام
٤ ـ القمّي ١: ٣٧٥
٥ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٠، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام
٦ ـ السَّمُّ: الثَّقب، ومَسامُّ الجسد: ثُقَبه. الصّحاح ٥: ١٩٥٣؛ ومصباح المنير ١: ٣٩٤ (سمم)

مَّسْنُونٍ﴾.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾: عدّلتُ خلقته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ حتّى جرى آثاره في تجاويف أعضائه فحيّ. قال: «روح اختاره الله واصطفاه وخلقه وأضافه إلى نفسه، وفضّله على جميع الارواح، فنفخ منه في آدم»[1]. ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ قال. «كان ذلك من الله تقدمة في آدم قبل أن يخلقه، واحتجاجاً منه عليهم»[2]. وقد سبق تفسيره في سورتي البقرة والاعراف[3].

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ وهو أخسّ العناصر، وخلقتني من نار وهي أشرفها، غرّته الحميّة وغلبت عليه الشقوة. وقد سبق جوابه في الأعراف[4].

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾: من المنزلة التي أنت عليها في السّماء ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مطرود من الخير والكرامة.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾. فإنّه منتهى أمد اللّعن.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أراد أن يجد فُسحةً في الإغواء ونجاةً من الموت.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾. قال: «يوم الوقت المعلوم: يوم ينفخ في الصّور نفخة

١ـ التّوحيد: ١٧٠، الباب: ٢٧، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «فأمر فنفخ منه في آدم».
٢ـ علل الشرائع ١: ١٠٥، الباب: ٩٦، ذيل الحديث: ١؛ والقمّي ١: ٣٧؛ والعيّاشي ٢: ٢٤٠، الحديث: ٧، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.
٣ـ البقرة، ذيل الآيات: ٣٠ الى ٣٤؛ والاعراف، ذيل الآية: ١١ و١٢.
٤ـ الاعراف (٧): ١٢.

واحدة، فيموت إبليس مابين النّفخة الأولى والثّانية»[1].

وفي رواية: «إنّ الله أنظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا، فإذا بعث الله قائمنا، كان في مسجد الكوفة، وجاء إبليس حتّى يجثو[2] بين يديه على ركبتيه، فيقول: يا ويله من هذا اليوم! فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه، فذلك يوم الوقت المعلوم»[3].

وفي أخرى: «يوم الوقت المعلوم: يوم يذبحه رسول الله ﷺ على الصّخرة الّتي في بيت المقدس»[4].

أقول: يعني عند الرّجعة.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾: بسبب إغوائك إيّاي: وهو تكليفه إيّاه بما وقع فيه الغيّ ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ المعاصي ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾: الّذين أخلصتهم لطاعتك، وطهّرتهم من الشّوائب، فلا يعمل فيهم كيدي.

﴿قَالَ هَـٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ﴾ أي: هذا طريق حقّ، عليّ أن أراعيه ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: لا انحراف عنه، وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي المخلصين. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «عليٌّ» بالرّفع[5]. وفسّر بعلوّ الشّرف[6]. وورد: «هذا صراط عليّ مستقيم»[7]. وهذا يحتمل الإضافة أيضاً. وفي رواية: «هو أمير المؤمنين ﷺ»[8].

١ـ علل الشرايع ٢: ٤٠٢، الباب: ١٤٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله ﷺ.
٢ـ جثا، يجثو: جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها. لسان العرب ١٤: ١٣١؛ ومجمع البحرين ١: ٨١ (جثا).
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٤٢، الحديث: ١٤، عن أبي عبدالله ﷺ.
٤ـ القمّي ٢: ٢٤٥، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٣٦، عن أبي عبدالله ﷺ.
٦ـ جوامع الجامع ٢: ٢٦٦؛ والكشّاف ٢: ٣٩١.
٧ـ الكافي ١: ٤٢٤، الحديث: ٦٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٨ـ العيّاشي ٢: ٢٤٢، الحديث: ١٥.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾. قال: «قال الله إنّك لاتملك أن تدخلهم جنّة ولانارا»[1]. وقال: «والله ماأراد بهذا إلّا الائمة وشيعتهم»[2]. ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. قال: «وقوفهم على الصّراط»[3].

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾. القمّي: يدخل في كلّ باب أهل ملّة[4]. وقد ورد تفصيل أصحاب الأبواب في رواية ذكرناها في الصّافي[5].

وورد: «إنّ الأبواب أطباق بعضها فوق بعض، ووضع إحدى يديه على الأُخرى، فقال: هكذا، وإنّ الله تعالى وضع الجنان على العرض، ووضع النّيران بعضها فوق بعض؛ فأسفلها جهنّم، وفوقها لظى، وفوقها الحطمة، وفوقها سقر، وفوقها الجحيم، وفوقها السّعير، وفوقها الهاوية»[6]. وفي رواية: «أسفلها الهاوية وأعلاها جهنّم»[7].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ على إرادة القول

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾. القمّي: العداوة[8]. قال: «أنتم والله الّذين قال الله: "ونزعنا مافي صدورهم من غلّ"»[9]. ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾: تعب وعناء ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾

١ـ العيّاشي ٢: ٢٤٢، الحديث: ١٦، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ الكافي ٨: ٣٥، ذيل الحديث: ١٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ القمّي ١: ٣٧٦، عن أبي جعفر عليه السلام
٤ـ القمّي ١: ٣٧٦
٥ـ الصّافي ٣: ١١٤؛ والخصال ٢: ٣٦١، الحديث: ٥١، عن أبي عبدالله، عن أبيه، عن جدّه عليهم السّلام
٦ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٣٨، عن أمير المؤمنين عليه السلام
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٣٨، في رواية الكلبي.
٨ـ القمّي ١: ٣٧٧
٩ـ الكافي ٨: ٢١٤، الحديث: ٢٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ فارجوا رحمتي وخافوا عذابي.

﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾.

﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا﴾: نُسَلِّمُ عليك سلاماً ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ﴾.

خائفون وذلك لأنهم امتنعوا عن الأكل، كما سبق في سورة هود[1].

﴿قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ قال: «هو إسماعيل من هاجر»[2].

﴿قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾.

﴿قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ﴾.

﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾.

﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾ قال: «يعني قوم لوط»[3].

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾: الباقين مع الكفرة لتهلك معهم.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾

﴿قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ تنكركم نفسي وتنفر عنكم، مخافة أن تطرقوني بشرّ.

﴿قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾ قال: «من عذاب الله»[4].

﴿وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ قال: «لتنذر قومك العذاب»[5]. ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

﴿فَأَسۡرِ﴾: سِرْ ليلاً يا لوط ﴿بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ قال: «إذا مضى نصف

---

١ ـ ذيل الآية ٦٩.

٢ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٦، ذيل الحديث ٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٦، ذيل الحديث ٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: «قوم لوط».

٤ و٥ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٦، ذيل الحديث: ٢٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

الليل[1] ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ . وكن على أثرهم لتكون عيناً عليهم، فلا يتخلف أحدٌ منهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى ما وراءه ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ : حيث أمرتم بالذهاب إليه.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾ : إلى لوط ﴿ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾ . مبهمٌ يفسّره ما بعده ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ﴾ : آخرهم ﴿مَقْطُوعٌ﴾ يعني يستأصلون عن آخرهم، لا يبقى منهم أحد ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ : داخلين في الصبح.

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ : مدينة سدوم[2] ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بأضياف لوط، طمعاً فيهم.

﴿قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ بفضيحة ضيفي.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ركوب الفاحشة ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ : ولا تذلّوني، أو ولا تخجلوني.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ . قال: «أرادوا به النهي عن ضيافة الناس وإنزالهم»[3].

﴿قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ . قد سبق تفسيره في سورة هود[4].

﴿لَعَمْرُكَ﴾ القمّي: أي: وحياتك يا محمّد. قال: فهذه فضيلة لرسول الله ﷺ على الأنبياء[5]. ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ : لفي غوايتهم التي أزالت عقولهم يتحيّرون، فكيف يسمعون النصح!

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ : صيحة جبرئيل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ : داخلين في وقت شروق الشمس.

١ ـ علل الشرائع ٢: ٥٥٠، الباب: ٣٤٠، ذيل الحديث: ٤، عن أبي جعفر ؈.

٢ ـ سدوم، بفتح السين: قرية قوم لوط ؈، ومنها قاضي سدوم. الصحاح ٥: ١٩٤٩، مجمع البحرين ٦: ٨٢ (سدم). وفي لسان العرب ١٢: ٢٨٥: سدوم مدينة بحمص.

٣ ـ علل الشرائع ٢: ٥٤٩، الباب: ٣٤٠، ذيل الحديث: ٤، عن أبي جعفر ؈، نقلاً بالمضمون.

٤ ـ ذيل الآية: ٧٨.

٥ ـ القمّي ١: ٣٧٧.

﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾. قلبنا[1] القرية بهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾. من طينٍ متحجّرٍ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: للمتفرّسين، الّذين يتثبّتون في نظرهم، حتى يعرفوا حقيقة الشّيء بسمته. ورد: «اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله»[2]. وقال: «إنّ لله عباداً يعرفون النّاس بالتوسّم»[3].

وفي رواية: «ليس مخلوق إلاّ وبين عينيه مكتوب مؤمن أو كافر، وذلك محجوب عنكم، وليس محجوباً عن الأئمّة من آل محمّد صلوات الله عليهم، ثمّ ليس يدخل عليهم أحد إلاّ عرفوه مؤمن أو كافر، ثمّ تلا هذه الآية»[4].

﴿وَإِنَّهَا﴾: وإنّ آثارها ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾: ثابت يسلكه النّاس لم يندرس بعدُ، وهم يبصرون تلك الآثار، وهو تنبيه لقريش، كقوله: "وإنّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيهِمْ مُصْبِحِينَ". كذا قيل[5]. وورد: «نحن المتوسّمون، والسّبيل فينا مقيم»[6]. القمّي: والسبيل طريق الجنّة[7].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِن كَانَ﴾: وإنّه كان ﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ يعني الغيضة، وهي الشّجرة المتكاثفة

١ ـ في «الف»: «علياً».
٢ ـ الكافي ١: ٢١٨، الحديث ٣؛ وبصائر الدّرجات: ٣٥٤، الباب ١٧، الحديث: ٤ و١١، عن أبي جعفر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وعيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٠٠، الباب: ٤٦، ذيل الحديث: ١، عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ومعاني الأخبار: ٣٥٠، ذيل الحديث: ١، عن جعفر بن محمّد عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٣ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٤٣، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٤ ـ بصائر الدّرجات: ٣٥٤، الباب: ١٧، الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير.
٥ ـ الكشّاف ٢: ٣٩٢. والآية في سورة الصّافّات (٣٧): ١٣٧.
٦ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٧، الحديث: ٢٩؛ والكافي ١: ٢١٨، باب أنّ المتوسّمين... هم الأئمّة، الحديث ١ و٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ القمّي ١: ٣٧٧.

﴿لَظَالِمِينَ﴾. قال: «هم قوم شعيب، كانوا يسكنون الغيضة، فبعثه الله إليهم فكذّبوه؛ فأُهلكوا بالظلّة»[1].

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالإهلاك ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ يعني سدوم والأيكة ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: لبطريق واضح يأمّ ويتّبع ويهتدى به.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني ثمود كذّبوا صالحاً. والحجر: واديهم، وهو مابين المدينة والشام، وكانوا يسكنونها.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ كالناقة و سقيها وشربها ودرّها ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾.

﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ فلا يُلائم استمرار الفساد ودوام الشرّ، فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء، وإراحة فسادهم من الأرض. ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ فينتقم الله لك فيها ممّن كذّبك ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾. قال: «يعني العفو من غير عتاب»[2].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الذي خلقكَ وخلقهم، وبيده أمرك وأمرهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحالك وحالهم؛ فهو حقيق بأن تكلَ إليه، ليحكُمَ بينكم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾. قال: «هي سورة الحمد وهي سبع آيات، منها بسم الله الرّحمن الرّحيم، وإنّما سمّيت المثاني لأنّها تثنّى في الركعتين»[3]. وفي رواية:

١ـ لم نعثر عليه، والظاهر أنّها ليست برواية، ويحتمل أن تكون كلمة «قال» تصحيف «قيل»، وهذا القول بعينه من البيضاوي في تفسيره ٣: ١٧٣. ويؤيّده ما في البحار ١٢: ٣٨٢ نقلاً عن البيضاوي، ويؤيّده أيضاً ما في الصافي ٣: ١١٩ بأنّ المصنّف لم يذكر كلمة «قال».

٢ـ عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ١: ٢٩٤، الباب ٢٨، الحديث ٥٠.

٣ـ العيّاشي ١٩٠١، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله (عليه السلام). وفيه: «يثنى».

«تثنّى فيها القول»[١]. وفي رواية: «نحن المثاني الّتي أعطاها الله نبيّنا ﷺ»[٢].

قيل: أي: نحن الّذين قرننا النّبيّ إلى القرآن، وأوصى بالتّمسّك بالقرآن وبنا، وأخبر أمّته أنّا لانفترق حتّى نرِدَ حوضه[٣].

أقول: لعلّهم إنّما عدّوا سبعاً باعتبار أسمائهم؛ فإنّها سبعة، وعلى هذا فيجوز أن يجعل المثاني من الثّناء، وأن يجعل من الثّنية باعتبار تثنيتهم مع القرآن، وأن يجعل كناية عن عددهم الأربعة عشر، بأن يجعل نفسه واحداً منهم بالتّغاير الاعتباري بين المعطي والمعطى له. ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: لا تطمح ببصرك طموح راغب ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾: أصنافاً من الكفّار، فإنّه مستحقر في جنب ماأوتيته ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: وتواضعْ لمن معك من المؤمنين، وارفقْ بهم، وطبْ نفساً عن إيمان الأغنياء والأقوياء.

ورد: «من أوتي القرآن فظنّ أنّ أحداً من النّاس أوتي أفضل ممّا أوتي، فقد عظّم ماحقّر الله، وحقّر ماعظّم الله»[٤].

﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾

﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾. قيل: أي: أنزلنا عليك مثل ماأنزلنا على اليهود والنّصارى، الّذين جعلوا القرآن أجزاء وأعضاء، وقالوا لعنادهم: بعضه حقّ موافق

١ ـ العيّاشي ٢: ٢٤٩، الحديث: ٣٤، عن أحدهما عليهما السّلام، وفيه: «يثنّى».

٢ ـ التّوحيد: ١٥٠، الباب: ١٢، الحديث: ٦؛ والقمّي ١: ٣٧٧؛ والعيّاشي ٢: ٢٤٩، الحديث: ٣٣، ٣٦، عن أبي جعفر عليه السلام، وفي العيّاشي: «نحن المثاني الّتي أعطى نبيّنا».

٣ ـ التّوحيد: ١٥١، الباب: ١٢، ذيل الحديث: ٦.

٤ ـ الكافي ٢: ٦٠٤، ذيل الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام عن رسول الله ﷺ.

للتوراة أو الإنجيل، وبعضه باطل مخالف له، فاقتسموه إلى حقّ وباطل[١]. وقيل: مثل العذاب الّذي أنزلنا عليهم[٢]. والقمّي: قسّموا القرآن ولم يألّفوه على ما أنزل الله[٣].

وورد: «هم قريش»[٤].

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فنجازيهم عليه.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾: فاجهر به وأظهره ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فلا تلتفت إلى ما يقولون.

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ بقمعهم وإهلاكهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم. قال: «اكتتم رسول الله ﷺ مختفياً خائفاً خمس سنين - وفي رواية: «ثلاث سنين»[٥] - ليس يظهر أمره، وعليّ عليه السلام معه وخديجة، ثمّ أمره الله أن يصدع بما أُمر فظهر، فأظهر أمره»[٦].

وقال: «كان المستهزؤن برسول الله ﷺ خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطّلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن طُلاطِلَة الخُزاعي، فقتل الله خمستهم، كلّ واحد منهم بغير قتلة صاحبه، في يوم واحد. قال: وذلك أنّهم كانوا بين يديه فقالوا له: يا محمّد ننتظر بك إلى الظهر، فإن رجعت عن قولك وإلّا قتلناك، فدخل منزله فأغلق عليه بابه مغتمّاً لقولهم، فأتاه جبرئيل عن الله من ساعته فقال: يا

١ - الكشّاف ٢: ٣٩٨.

٢ - البيضاوي ٣: ١٧٤.

٣ - القمّي ١: ٣٧٧، وفيه: «على ما أنزله الله».

٤ - العيّاشي ٢: ٢٥١-٢٥٢، الحديث: ٤٣، عن أحدهما عليهما السلام، والحديث: ٤٤، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام.

٥ - كمال الدين ٢: ٣٤٤، الباب: ٣٣، الحديث: ٢٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ - المصدر، الحديث: ٢٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «بمكّة مختفياً ... فظهر رسول الله ﷺ وأظهر أمره».

محمّد، السّلام يقرئك السّلام وهو يقول: "اصْدَعْ بِما تُؤمَرُ وأعْرِضْ عنِ المُشركين". يعني أظهر أمرك لأهل مكّة، وادعهم إلى الإيمان. قال: يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزئين وما أوعدوني[1]؟ قال له: "إنّا كَفَيْناكَ المُسْتَهزِئين". قال: يا جبرئيل كانوا السّاعة بين يديّ. قال: قد كُفيتَهُم. فأظهر أمره عند ذلك»[2].

والقمّي: بعد ما ذكر كيفيّة كفايتهم، قال: فخرج رسول الله ﷺ فقام على الحجر فقال: يا معشر قريش يا معشر العرب أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله، آمركم بخلع الأنداد والأصنام، فأجيبوني تملكوا به العرب، ويَدِنْ لكم العجم، وتكونوا ملوكاً في الجنّة. فاستهزؤوا منه وقالوا: جُنَّ محمّد بن عبدالله، ولم يجسروا عليه لموضع أبي طالب[3].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبك والطّعن فيك وفي القرآن، وفي رواية: «يعني فيما يذكره في فضيلة وصيّه»[4].

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾: فافزَعْ إلى الله فيما نابك بالتّسبيح والتّحميد والصّلاة، يَكْفِكَ الهمّ[5] ويكشف عنك الغمّ.

ورد: «كان رسول الله ﷺ إذا حزنه[6] أمر فزع إلى الصّلاة»[7].

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي: الموت، يعني مادمت حيّاً.

١ـ في «العدة»: «أوعدوا في».
٢ـ الاحتجاج ١: ٣٢١ـ٣٢٢، في حديث طويل عن أمير المؤمنين ﷺ. وانظر العيّاشي ٢: ٢٥٢، الحديث: ٤٦؛ والقمّي ١: ٣٧٨؛ والخصال ١: ٢٧٨ـ٢٧٩، الحديث: ٢٤ـ٢٥.
٣ـ القمّي ١: ٣٧٨، وفيه: «تملكوا بها العرب وتدين ...».
٤ـ الكافي ١: ٢٩٤، الحديث: ٣، في حديث طويل، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ـ في «المعوج»: «المهمّ».
٦ـ في «ج» والكشّاف: «إذا حزبه»، أي: إذا نزل به مُهِمٌّ أو أصابه غمٌّ. النّهاية ١: ٣٧٧ (حزب).
٧ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٧٤؛ والكشّاف ٢: ٣٩٩.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة النّحل

[مكيّة، و هي مائة وثمان وعشرون آية][1]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ ﴾. القمّي: نزلت لمّا سألت قريش رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم العذاب[2]. و ورد: «إذا أخبر الله أنّ شيئاً كائن، فكأنّه قد كان»[3].

﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾. قيل: وكانوا يقولون: إن صحّ ماتقوله فالأصنام تشفع لنا وتخلّصنا منه، فنزلت يعني: تبرّأ وجلّ أن يكون له شريك، فيدفع ما أراد بهم[4]

﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ ﴾: بما تحيا به القلوب الميّتة بالجهل. قال: «بالكتاب والنّبوّة»[5]. وفي رواية: «جبرئيل الّذي نَزَلَ على الأنبياء، و الرّوح يكون معهم ومع الأوصياء لايفارقهم، يفقّههم ويسدّدهم من عند الله»[6]. ﴿ مِنۡ أَمۡرِهِۦ ﴾. من ملكوته

١ ـ مابين المعقوفتين من «ب».
٢ ـ القمّي ١: ٣٨٢.
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٥٤، الحديث ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «إنّ الله إذا أخبر ...».
٤ ـ البيضاوي ٣: ١٧٥.
٥ ـ القمّي ١: ٣٨٢، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ بصائر الدّرجات: ٤٦٣، الحديث ١، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت يسير في العبارة.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟﴾ بأن اعلموا؛ من أنذرت بكذا، إذا أعلمته ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾: الأزواج الثمانية ﴿خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ القمّي: ماتستدفؤون به، ممّا يتّخذ من صوفها ووبرها[1] ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾. نسلها ودرّها وظهورها، وإثارة الأرض ومايعوض بها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: زينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: تردّونها من مراعيها إلى مَراحِها بالعشيّ ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تخرجونها بالغداة إلى المَرْعَى، فإنّ الأفنية تتزيّن بها في الوقتين، ويجلّ أهلها في أعين النّاظرين إليها. وتقديم الإراحة، لأنّ الجمال فيها أظهر، فإنّها تقبل مِلاء البطون، حافلة الضروع[2]، ثمّ تأوي إلى الحظائر[3] حاضرة[4] لأهلها.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ﴾ إن لم تكن، فضلاً عن أن تحملوها على ظهوركم إليه ﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾: إلاّ بكلفة مشقّة ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ القمّي: من العجائب الّتي خلقها الله في البرّ والبحر[5].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: هداية الطّريق المستقيم، الموصل إلى الحقّ ﴿وَمِنْهَا

١ـ القمّي ١: ٣٨٢.
٢ـ ضَرْعٌ حافلٌ، أي: ممتلئ لبناً. الصحاح ٤: ١٦٧١، (حفل).
٣ـ الحظيرة: الموضع الّذي يحاط عليه، لتأوي إليه الماشية، فيقيها البرد والرّيح. راجع الصّحاح ٢: ٦٣٤؛ ومصباح المنير ١: ١٧٣؛ ولسان العرب ٤: ٢٠٣ (حظر).
٤ـ في النهاية: «الخاضرة». شابٌّ أخضر وفلان أخضر أي: كثير الخير. أساس البلاغة: ١٦٦ (خضر).
٥ـ القمّي ١: ٣٨٢.

﴿جَائِرٌ﴾: حائد[1] عن القصد ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلى القصد.

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾. ترعون مواشيكم.

﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ بأن هيّأها لمنافعكم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. جَمَعَ الآيات هنا، وذَكَرَ العقل من دون الفكر، لأنّ في الآثار العُلْوِيَّة أنواعاً من الدّلالة الظّاهرة للعقلاء على عظمة الله.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾: وسخّر لكم ما خَلَقَ لكم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ من حيوان ونبات ومعدن ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي: أصنافه، فإنّها تتخالف باللّون غالباً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾: ذلّله بحيث تتمكّنون من الانتفاع به، بالركوب والاصطياد والغوص ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السّمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ كاللّؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾: السّفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: جواري فيه تشقّه بحيازيمها[2]، من المَخْر وهو شقّ الماء. وقيل: صوت جَرْي الفُلْك[3]. ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾: من سعة رزقه بركوبها للتّجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: تعرفون نعمة الله، فتقومون بحقّها.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابت ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهة أن تميل بكم وتضطرب. ورد: «إنّ الله جعل الأئمّة أركان الأرض أن تميد بأهلها»[4] ﴿وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا

---

١ ـ حاد عن الشّيء، تنحّى وبَعُدَ. مصباح المنير ١: ١٩٤ (حاد).
٢ ـ الحَيزوم: وَسَطُ الصّدر. الصّحاح ٥: ١٨٩٩ (حزم).
٣ ـ الكشّاف ٢: ٤٠٤، عن الفرّاء.
٤ ـ الكافي ١: ١٩٦، الحديث ١، عن أبي عبدالله عليه السلام، و١٩٨، ذيل الحديث ٣، عن أبي جعفر عليه السلام، مع تفاوت.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم.

﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ هي معالم الطّرق ممّا يستدلّ به المارّة: من جبل ومنهل[1] وغير ذلك ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ باللّيل في البراري والبحار. قال: «هو الجدي لأنّه نجم لايزول، وعليه بناء القبلة، وبه يهتدي أهل البرّ والبحر»[2].

و ورد في أخبار كثيرة: «نحن العلامات، والنّجم رسول الله»[3].

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ يعني الأصنام ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفوا فساد ذلك.

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾: لاتضبطوا عددها، فضلاً أن تطيقوا القيام بشكرها. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾: يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكرها ﴿رَّحِيمٌ﴾: لايقطعها لتفريطكم فيه، ولايعاجلكم بالعقوبة على كفرانها.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ من عقائدكم وأعمالكم؛ وهو وعيد.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ هم أو عبدتهم.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ قال: «يعني الرّجعة»[4]. ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾. قال: «يعني كافرة»[5]. ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أحاديثهم وأباطيلهم. قال: «يعني سجع أهل الجاهليّة في جاهليّتهم»[6]

١ـ المَنهل: المشرَب، والشُّرب، والموضع الّذي فيه المَشرب. القاموس المحيط ٤: ٦٣ (نهل).
٢ـ العيّاشي ٢: ٢٥٦، الحديث: ١٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٣ـ الكافي ١: ٢٠٧، الحديث: ٣؛ والعيّاشي ٢: ٢٥٦، الحديث: ١٠، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام؛ والقمّي ١: ٣٨٣؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٥٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤و٥ـ القمّي ١: ٣٨٣؛ والعيّاشي ٢: ٢٥٧، ذيل الحديث: ١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ـ العيّاشي ٢: ٢٥٧، الحديث: ١٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ﴾ أي: قالوا ذلك، ليضلّوا النّاس، ويحملوا أوزار ضلالتهم ﴿كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ قال: «ليستكملوا الكفر ليوم القيامة»[1]. ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ وبعض أوزار من أضلّوهم. قال: «يعني كفر الذين يتولّونهم»[2].

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. يعني يضلّون من لايعلم أنّهم ضلال. وإنّما لم يعذر الجاهل لأنّ عليه أن يبحث وينظر بعقله، حتّى يميز بين المحقّ والمبطل. ورد. «أيّما داعٍ[3] إلى ضلالة فاتّبع عليه، فإنّ عليه مثل أوزار من تبعه، من غير أن ينقص من أوزارهم»[4]. ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: من الأساطين الّتي بنوا عليها ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾. هذا تمثيل لاستيصالهم بمكرهم. والمعنى أنّهم سوّوا منصوبات ليمكروا الله بها، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات، كحال قوم بنوا بنياناً وعمّدوه بالأساطين، فأتي البنيان من جهة الأساطين؛ بأن ضعضعت[5] فسقط عليهم السّقف وهلكوا. وفي المثل: من حفر لأخيه جبّاً، وقع فيه مكبّاً.

قال: «فأتاه بنيانهم من القواعد: إرسال العذاب»[6].

وفي قراءتهم عليهم السّلام: «فأتى الله بيتهم»[7]. قال: «يعني بيت مكرهم»[8]. وفي رواية: «كان بيت غدر، يجتمعون فيه إذا أرادوا الشرّ»[9] وفي أخرى: «أي: ماتوا

[1] و[2] ـ العيّاشي ٢: ٢٥٧، الحديث: ١٦ و١٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
[3] ـ في المصدر: «أيّما داع دعا».
[4] ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٥٦، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.
[5] ـ ضعضعه، أي: هدمه حتّى الأرض. الصّحاح ٣: ١٢٥٠ (ضعع).
[6] ـ التّوحيد: ٢٦٦، الباب: ٣٦، ذيل الحديث الطّويل: ٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «إرسال العذاب عليهم».
[7] ـ العيّاشي ٢: ٢٥٨، الحديث: ٢٠ و٢١؛ وجوامع الجامع ٢: ٢٨٤، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٥٦، عن أهل البيت عليهم السّلام.
[8] ـ العيّاشي ٢: ٢٥٨، الحديث: ٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
[9] ـ المصدر، الحديث: ٢٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

فالقاهم الله في النّار. قال: وهو مثل لأعداء آل محمّد[1] عليه وعليهم السّلام.

﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ ﴾: يذلّهم ﴿ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ﴾ تعادون المؤمنين وتخاصمونهم في شأنهم ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾: ملائكة العذاب ﴿ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ بأن عرّضوها للعذاب المخلّد. ﴿ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ﴾: فسالموا وأخبتوا[2] حين عاينوا الموت ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾. جحدوا ما عملوا. ﴿ بَلَىٰ ﴾ ردّ عليهم أولوا العلم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ﴾ كلّ صنف بابها المعدّ ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ اطبقوا الجواب على السّؤال معترفين بالإنزال؛ بخلاف الجاحدين إذ قالوا: "أساطير الأوّلين"[3] ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾: مكافاة في الدّنيا ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ .ورد: «عليكم بتقوى الله، فإنّها تجمع الخير ولاخير غيرها، ويدرك بها من الخير ما لا يدرك بغيرها من خير الدّنيا والآخرة. قال الله تعالى: "وقيل للّذين اتّقوا" وتلا هذه الآية»[4]. وفي رواية: «"ولَنعم دارُ المتّقين": الدّنيا»[5].

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾: ملائكة الرّحمة ﴿ طَيِّبِينَ ﴾ يبشّارتهم إيّاهم بالجنّة

١ـ القمّي ١: ٣٨٤، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢ـ أخبت: خشع وتواضع. القاموس المحيط ١: ١٥٢ (خبت).
٣ـ الآية: ٢٤، من هذه السورة.
٤ـ الأمالي (للشيخ الطوسي) ١: ٢٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «من خير الدّنيا وخير الآخرة».
٥ـ العيّاشي ٢: ٢٥٨، الحديث: ٢٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ﴾: سلامة لكم من كلّ سوء ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: هل ينتظر[1] الّذين لايؤمنون بالآخرة ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: ملائكة العذاب لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ القمّي: من العذاب والموت وخروج القائم عليه السلام[2]. ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بتدميرهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: وأحاط بهم جزاؤه. القمّي: من العذاب في الرّجعة[3].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ﴾ يبعثهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ أي: يبعثهم ليبيّن لهم ﴿الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وهو الحقّ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾. قال: «ما تقول في هذه الآية؟ فقيل: إنّ المشركين يزعمون ويحلفون لرسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الله لايبعث الموتى، فقال: تبّاً لمن قال هذا، سلهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللّات والعزّى؟ ثمّ قال: لو قد قام قائمنا، بعث الله قوماً من شيعتنا قبائع[4] سيوفهم على عواتقهم، فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا،

1 ـ في «ب»: «هل ينظرون».
2 و3 ـ القمّي 1: 385.
4 ـ في الكافي: «قُبَع». قبيعة السيف ونحوه: ما على طرف مقبضه من فضّة أو حديد، يقال: ما أحسن قبائع سيوفهم. أقرب الموارد 3: 560 (قبع).

فيقولون: بعث فلان وفلان[1] من قبورهم، وهم مع القائم، فيبلغ ذلك قوماً من عدوّنا، فيقولون: يا معشر الشّيعة ماأكذبكم! هذه دولتكم وأنتم تقولون فيها الكذب، لا والله ماعاش هؤلاء، ولايبعثون إلى يوم القيامة. فحكى الله قولهم»[2]. وفي معناه أخبار أخر[3].

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾. بيان لإمكان البعث في عالم القدرة.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾: في حقّه ولوجهه ﴿مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾. قيل: هم رسول الله ﷺ والمهاجرون، ظلمهم قريش، فهاجر بعضهم إلى الحبشة، ثمّ إلى المدينة، أو المحبوسون المعذّبون بمكّة بعد هجرة رسول الله ﷺ من أصحابه[4] ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: مباءة[5] حسنة، وهي المدينة حيث آواهم الأنصار ونصروهم؛ أو نبوئة حسنة. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «لنثوّينّهم»[6] بالثاء المثلّثة، يعني لننزلنّهم في الدّنيا منزلة حسنة، وهي الغلبة على أهل مكّة الّذين ظلموهم، وعلى العرب قاطبة، وعلى أهل المشرق والمغرب[7]. ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ ممّا تعجّل لهم في الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذى الكفّار ومفارقة الوطن ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾. قيل: ردّ لقولهم: الله أعظم من أن يرسل إلينا بشراً مثلنا[8]. وقد سبق بيان الحكمة فيه في سورة الأنعام[9] عن رسول الله ﷺ.

١ ـ في الكافي: «بعث فلان وفلان وفلان».
٢ ـ الكافي ٨: ٥١، ذيل الحديث ١٤؛ والعيّاشي ٢: ٢٥٩، الحديث: ٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٥٩، الحديث ٢٨؛ والقمّي ١: ٣٨٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ البيضاوي ٣: ١٨١؛ والكشّاف ٢: ٤١٠.
٥ ـ المباءة: المنزل. والباءة هو للموضع الّذي تبوءُ إليه الإبل، ثمّ جعل عبارة عن المنزل. القاموس المحيط ١: ١٩؛ والمصباح المنير ١: ٨٤(بوء).
٦ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٦١؛ والكشّاف ٢: ٤١٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٧ ـ في «الف»: «على أهل الشرق والغرب».
٨ ـ البيضاوي ٣: ١٨٢.
٩ ـ ذيل الآية ٩.

ولعلّه أشير إلى ذلك بقوله: "فسئلوا أهل الذكر" يعني وجه الحكمة فيه. ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قال: «رسول الله ﷺ الذكر، وأهل بيته المسؤولون، وهم أهل الذكر»[1].

«قال الله تعالى: "قد أنزل الله إليكم ذكراً. رسولاً يتلو عليكم آيات الله". فالذكر رسول الله، ونحن أهله»[2].

و في رواية: «الذكر القرآن، وأهله آل محمّد، أمر الله بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجهّال. وسمّى الله القرآن ذكراً، فقال: "وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل إليهم"»[3].

وفي أخرى: «قيل له: إنّ من عندنا يزعمون أهل الذكر اليهود والنّصارى، فقال: إذا يدعونكم إلى دينهم»[4].

[أقول: هذه الأخبار لاتلائم ان يكون "وماارسلنا" ردّاً لقول المشركين؛ إلّا ان يكون "فاسئلوا" كلاماً مستأنفاً، او يكون المسؤول عنه بيان الحكمة فيه][5].

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ اي: أرسلناهم بالمعجزات والكتب؛ كأنّه جواب قائل: بمَ أرسلوا؟ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾. سمّي القرآن ذكراً، لأنّه موعظة وتنبيه. ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ ممّا أمروا به ونهوا عنه ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: وإرادة ان يتأمّلوا فيه، فيتنبّهوا للحقايق والمعارف.

١ ـ الكافي ١: ٢١١، الحديث ٤، عن أبي عبدالله ﷺ. وراجع العيّاشي ٢: ٢٦٠، الحديث ٣٢؛ والقمّي ٢: ٦٨، ذيل الآية ـ ٧ من سورة الأنبياء، عن أبي جعفر ﷺ؛ وعيون أخبار الرّضا ﷺ ١: ٢٣٩، الباب: ٢٣، ذيل الحديث الطّويل ١.

٢ ـ عيون أخبار الرّضا ﷺ ١: ٢٣٩، الباب ٢٣، ذيل الحديث الطّويل ـ ١. والآية في سورة الطلاق (٦٥) ١٠ـ١١.

٣ ـ بصائر الدّرجات: ٤١، الباب ١٩، الحديث ١٩؛ والكافي ١: ٢٩٥، ذيل الحديث ٣، عن أبي عبدالله ﷺ.

٤ ـ العيّاشي ٢: ٢٦٠، الحديث ٣٢، عن أبي جعفر ﷺ، مع اختلاف يسير.

٥ ـ مابين المعقوفتين من «ب».

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ إذا جاؤوا وذهبوا في متاجرهم وأعمالهم ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ القمّي: على تيقّظ[1]. و ورد: «هم أعداء الله، وهم يمسخون ويقذفون ويسيحون[2] في الأرض»[3]. ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث[4] لا يعاجلهم بالعقوبة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾: مستسلمين له منقادين ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾: صاغرون لأفعال الله فيها. القمّي: تحويل كلّ ظلّ خلقه الله، هو سجود لله[5]. قيل: ويجوز أن يكون المراد بقوله "وهم داخرون" أنّ الأجرام أنفسها أيضاً داخرة صاغرة منقادة لله سبحانه فيما يفعل فيها، ولمّا كان الدّخور من صفات العقلاء جمع بالواو والنّون[6].

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾. الدّبيب هو الحركة الجسمانيّة، سواء كانت في أرض أو سماء. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ ممّن لا مكان له ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادته.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾: يخافونه وهو فوقهم بالقهر: "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ"[7]. ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

قال: «إنّ لله ملائكة في السّماء السّابعة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة،

١ ـ القمّي ١: ٣٨٦.
٢ ـ في «الف» و«ج»: «يسحرون».
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٦١، الحديث: ٣٥، عن أبي عبدالله ﷺ.
٤ ـ في «الف»: «يعني».
٥ ـ القمّي ١: ٣٨٦.
٦ ـ الكشّاف ٢: ٤١٢؛ والبيضاوي ٣: ١٨٢.
٧ ـ الأنعام (٦): ١٨ و٦١.

ترعد فرائصهم[1] من مخافة الله، لا تقطر دموعهم[2] قطرة إلّا صار ملكاً، فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا: ما عبدناك حقّ عبادتك»[3]. وقد سبق في سورة الرّعد[4] كلام في معنى سجود كلّ شيء.

قال بعض أهل المعرفة: إنّ في أمثال هذه الآيات دلالة على أنّ العالَم كلّه في مقام الشّهود والعبادة، إلّا كلّ مخلوق له قوّة التّفكّر، وليس إلّا النّفوس الإنسانيّة والحيوانيّة خاصّة، من حيث أعيان أنفسهم لا من حيث هياكلهم، فإنّ هياكلهم، كسائر العالَم في التّسبيح له والسّجود، فأعضاء البدن كلّها مسبّحة ناطقة، ألا تراها تشهد على النّفوس المسخّرة لها يوم القيامة من الجلود والأيدي والأرجل والألسنة والسّمع والبصر وجميع القوى، فالحكم لله العليّ الكبير[5].

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾. أكّد العدد في الموضعين دلالة على العناية به. ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ كأنّه قيل: وأنا هو فإيّاي فارهبون لا غير.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ﴾: الطاعة ﴿وَاصِبًا﴾ قال: «واجباً»[6].

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾. قال: «من لم يعلم أنّ لله عليه نعمة إلّا في مطعم أو ملبس، فقد قصر عمله ودنا عذابه»[7]. ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ فما تتضرّعون إلّا إليه، والجُؤار: رفع الصّوت بالدّعاء والاستغاثة.

١ ـ الفريصة: لحمة عند نُغض الكتف، في وسط الجنب، عند منبض القلب؛ وهما فريصتان ترتعدان عند الفزع. وقال أبو عبيد: الفريصة: اللّحمة القليلة، تكون في الجنب، تُرعد من الدابّة إذا فزعت. وقال أيضاً: هي اللّحمة التي بين الجنب والكتف، التي لا تزال تُرعد من الدابّة. وقيل: جمعها فريص وفرائص. لسان العرب ٧: ٦٤ (فرص).
٢ ـ في المصدر: «لا تقطر من دموعهم».
٣ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٦٥، عن النبيّ ﷺ.
٤ ـ ذيل الآية: ١٥.
٥ ـ أسرار الآيات (لصدر المتألهين): ٨١ ـ ٨٢؛ ولطائف الإشارات (للإمام القشيري) ٢: ٣٠٠.
٦ ـ العيّاشي ٢: ٢٦٢، الحديث: ٣٧، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ ـ القمّي ١: ٣٨١؛ والأمالي (للشيخ الطوسي) ٢: ١٠٥، عن النبيّ ﷺ.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من نعمة الكشف عنهم، كأنّهم قصدوا بشركهم كفرانَ النّعمة وإنكارَ كونها من الله. ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. تهديد ووعيد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾: لآلهتهم الّتي لاعلم لها، أو لاعلم لهم بها ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الزّروع والانعام. القمّي: كانت العرب يجعلون للأصنام نصيباً في زرعهم وإبلهم وغنمهم، فردّ الله عليهم[1]. ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ من أنّها آلهة وأنّها أهل للتقرّب إليها.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾. القمّي: قالت قريش الملائكة هم بنات الله[2]. ﴿سُبْحَانَهُ﴾. تنزيه له من قولهم أو تعجّب منه. ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعني البنين.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾. أخبر بولادتها ﴿ظَلَّ﴾: صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ من الكآبة[3] والحياء من النّاس ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوّ من الغيظ.

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾: يستخفي منهم ﴿مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ﴾ مُحدِّثاً نفسه متفكّراً في أن يتركه ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾. ذلّ ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾: يُخفيه فيه ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد، ماهذا محلّه عندهم.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾: صفة السَّوء وهي الحاجةُ إلى الولد، والاستظهارُ بالذّكور، وكراهةُ الإناث، ووأدُهن[4] خشيةَ الإملاق والعار. ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ وهي صفات الإلهيّة والغنى عن الصّاحبة والولد، والنّزاهة عن صفات المخلوقين ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: المتفرّد بكمال القدرة والحكمة.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾: بكفرهم ومعاصيهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ على

١ ـ القمّي ١: ٣٨٨، في «ب»: «فردّ الله إليهم».
٢ ـ المصدر، وفيه: «ان الملائكة».
٣ ـ كئب يكأب ـ من باب. تعب ـ كآبة وكأباً وكأبة: حزن أشدّ الحزن. المصباح المنير ٢: ٢٣٧ (كئب).
٤ ـ وأدابنته: دفنها في القبر وهي حيّة. الصّحاح ٢: ٥٤٦ (وأد).

الارض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ بشؤم ظلمهم؛ او من دابة ظالمة ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾: مايكرهونه لانفسهم من البنات، وارادل الاموال والشركاء في الرياسة، والاستخفاف بالرسل ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ مع ذلك والقمّي يقول: السنتهم الكاذبة[1]. ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ اي: عدالله، كقول قائلهم: "وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ"[2]. ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾. ردّ لكلامهم وإثبات لضده ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾: مقدّمون إلى النّار معجّلون. القمّي: معذّبون[3].

﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فاصرّوا على قبائحهم، وكفروا بالمرسلين ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾: قرينهم او ناصرهم، يعني: لاناصر لهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ من المبدأ والمعاد، والحلال والحرام ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ بسمع باطنهم وقلبهم، ويختص بـ "مَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ"[4].

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ تذكير الضمير هاهنا باعتبار اللفظ، وتانيثه في المؤمنين باعتبار المعنى؛ لكونه اسم جمع ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا﴾ يكتنفانه ﴿خَالِصًا﴾: صافياً لايستصحبه لون الدّم ولا رائحة الفرث، ولايشوبانه شيئاً

١ ـ القمّي ١: ٣٨٦
٢ ـ فصلت (٤١): ٥٠
٣ ـ القمّي ١: ٣٨٦
٤ ـ ق (٥٠): ٣٧

﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾. سهل المرور في حلقهم. ورد: «ليس أحد يغصّ بشرب اللّبن، لأنّ الله عزّوجلّ يقول: "لبناً خالصاً سائغاً للشاربين"»[1].

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾. قيل: خمراً[2] والقمّي: الخلّ[3].

وورد: «نزلت قبل آية التّحريم فنسخت بها»[4].

أقول: وفيه دلالة على أنّ المراد به الخمر، وقد جاء بالمعنيين جميعاً. وعلى إرادة الخمر لايستلزم حلّها في وقت، لجواز أن يكون عتاباً ومنّة قبل بيان تحريمها. ومعنى النّسخ مسخ السكوت عن التّحريم. وفي مقابلتها بالرّزق الحسن، تنبيه على قبحها.

﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزّبيب والدّبس ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ قال: «وحي إلهام»[5].

أقول: يعني ألهمها وقذف في قلوبها، فإنّ في صنعتها الأنيقة ولطفها في تدبير أمرها ودقيق نظرها، شواهد بيّنة على أنّ الله سبحانه أودعها علماً بذلك.

﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾: يعرش النّاس من كَرْم أو سقف.

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: من كلّ ثمرة تشتهيها، حلوها ومرّها ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾: الطرق الّتي ألهمك في عمل العسل ﴿ذُلُلًا﴾: مذلّلة، ذلّلها وسهّلها لك؛ أو أنت منقادة لما أمرت به ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ يعني العسل فإنّه مما يشرب ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾: أبيض وأصفر وأحمر وأسود ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾. قال «لعق

١- الكافي ٦: ٣٣٦، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢- مجمع البيان ٥-٦: ٣٧٠؛ والكشاف ٢: ٤١٧؛ والبيضاوي ٣: ١٨٥.
٣- القمّي ١: ٣٨٧.
٤- العيّاشي ٢: ٢٦٣، ذيل الحديث: ٤٠، عن أبي عبدالله عليه السلام. وآية التّحريم في سورة المائدة (٥): ٩٠.
٥- القمّي ١: ٣٨٧؛ والعيّاشي ٢: ٢٦٣، الحديث: ٤١، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه «قال: إلهام».

العسل شفاء من كلّ داء، ثمّ تلا هذه الآية»[1]. وفي رواية مامعناه: «النّحل: الأئمّة، والجبال: العرب، والشّجر: العجم، وممّا يعرشون: الموالي، والشّراب المختلف ألوانه: العلمُ الّذي يخرج منهم»[2]. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ بآجال مختلفة. ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: أخسّه وأحقره، يعني الهرم الّذي يشابه الطّفوليّة في نقصان القوّة والعقل. قال: «هو خمس وسبعون سنة»[3]. وفي رواية: «المائة»[4]. وفي أخرى: «أن يكون عقله عقل ابن سبع سنين»[5]. ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ القمّي: إذا كبر لايعلم ماعلمه قبل ذلك[6]. وفي حديث الأرواح ذكر هذه الآية، ثمّ قال: «فينتقص[7] منه جميع الأرواح، وليس بالّذي يخرج من دين الله، لأنّ الفاعل به ردّه إلى أرذل عمره، فهو لايعرف للصّلاة وقتاً، ولايستطيع التّهجّد باللّيل ولابالنّهار، ولاالقيام في الصّفّ مع النّاس، فهذا نقصان من روح الإيمان، وليس يضرّه شيئاً»[8]. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بما ينبغي ويليق بكم من مقادير الأعمار ﴿قَدِيرٌ﴾ على أن يعمّركم بذلك.

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فمنكم غنيّ ومنكم فقير، ومنكم موالٍ يتولّون رزقهم ورزق غيرهم، ومنكم مماليك على خلاف ذلك. ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا

١ـ الكافي ٦: ٣٣٢، الحديث ٢؛ والخصال ٢: ٦٢٣، ذيل الحديث ١٠، عن أبي عبدالله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السّلام.
٢ـ القمّي ١: ٣٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ وانظر العيّاشي ٢: ٢٦٣ ـ ٢٦٤، الحديث ٤٣ و٤٤.
٣ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٣٧٢، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، وعن أمير المؤمنين عليه السلام؛ وفي الكشّاف ٢: ٤١٨، والدرّ المنثور ٥: ١٤٦، عن عليّ عليه السلام.
٤ـ القمّي ٢: ٧٨، عن أبي عبدالله، عن أبيه عليهما السّلام؛ والخصال ٢: ٥٤٦، ذيل الحديث ٢٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ الخصال ٢: ٥٤٦، ذيل الحديث ٢٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ـ القمّي ١: ٣٨٧.
٧ـ في المرجع: «فهذا ينتقص» وفي «ب»: «فينتقص».
٨ـ الكافي ٢: ٢٨٣، ذيل الحديث ١٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ﴾: بمعطي رزقهم ﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: على ممالیكهم ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾. قيل: معناه أنّ الموالي والمماليك، الله رازقهم جميعاً، فهم في رزقه سواء[1]، فلا يَحْسَبُ الموالي أنّهم يرزقون المماليك من عندهم، وإنّما هو رزق الله، أجراه إليهم على أيديهم[2]. وقيل: معناه: فلم يردّ الموالي فضلَ ما رُزِقوه على مماليكهم، حتّى يتساووا في المطعم والملبس[3]. وقيل غير ذلك[4]. والقمّي: لايجوز للرّجل أن يخصّ نفسه بشيء من المأكول دون عياله[5] ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: من جنسكم لتأنسوا بها، ولتكون أولادكم مثلكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾. قال: «الحفدة بنو البنت، ونحن حفدة رسول الله ﷺ»[6]. وفي رواية: «هم أختان[7] الرّجل على بناته»[8]. وأصل الحفد: المسرع في الخدمة والطّاعة. ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: من اللّذائذ، أي: بعضها. ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾. قيل: هو مايعتقدون من منفعة الأصنام وشفاعتها[9]. ﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ حيث يضيفونها إلى الأصنام، أو يحرّمون ما أحلّ الله. وقيل: يريد بنعمة الله رسول الله والقرآن والإسلام[10].

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ﴾ من مطر ﴿وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ من نبات ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أن يملكوه، أو لااستطاعة لهم.

١ـ في «الف»: «فهم فيه سواء».
٢ـ الكشّاف ٢: ٤١٩؛ وجوامع الجامع ٢: ٢٩٨.
٣ـ جوامع الجامع ٢: ٢٩٨.
٤ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٢٩٩؛ والكشّاف ٢: ٤١٩؛ والبيضاوي ٣: ١٨٧.
٥ـ القمّي ١: ٣٨٧.
٦ـ العيّاشي ٢: ٢٦٤، الحديث: ٤٦، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ـ الختن ـ بالتحريك ـ: كلّ من كان من قبل المرأة، مثل الأب والأخ، وهم الأختان، هكذا عند العرب، وأمّا عند العامّة فختن الرّجل: زوج ابنته. الصّحاح ٥: ٢١٠٧ (ختن).
٨ـ مجمع البيان ٥ـ٦: ٣٧٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٩ـ الكشّاف ٢: ٤١٩.
١٠ـ جوامع الجامع ٢: ٢٩٩.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾: تشركون به أو تقيسونه على شيء. قيل: كانوا يقولون: إنّ عبادة عبيد الملك أدخل في التّعظيم من عبادته[1]. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ كنه الأشياء، وضرب الأمثال ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ﴾. قيل: معناه إذا لم يستويا هذان مع تشاركهما في الجسميّة والمخلوقيّة، فكيف يستوي الأصنامُ الّتي هي أعجز المخلوقات والغنيُّ القادر على كلّ شيء؟ ويجوز أن يكون تمثيلاً للكافر المخذول والمؤمن الموفّق؛ أو الجاهل والعالم المعلّم[2]. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لا يستحقّه غيره فضلاً عن العبادة، لأنّ النّعم كلّها منه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيضيفون النّعم إلى غيره ويشركون به.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾: وُلِدَ أخرس لا يَفْهَمُ ولا يُفْهِمُ ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من الصّنائع والتّدابير لنقصان عقله ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾: ثقلٌ وعيالٌ ﴿عَلَىٰ مَوْلَاهُ﴾: على من يلي أمرَه ويعوله ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ﴾: حيثما يُرسلْه مولاه في أمر ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾: بنُجحٍ وكفاية مهم ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ ومن كان سليم الحواسّ نفّاعاً كافياً ذا رشد وديانة، فهو يأمر النّاس بالعدل والخير ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: وهو في نفسه على دين قويم وسيرة صالحة. وهذا المَثَل، مثل سابقه في الاحتمالات[3].

القمّي. الّذي يأمر بالعدل أمير المؤمنين والأئمّة صلوات الله عليهم[4]

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ما غاب منهما ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ في سرعته

١ و٢ - البيضاوي ٣: ١٨٧.

٣ - قيل في معنى هذا المثل أيضاً قولان. أحدهما: أنّه مثل ضربه الله تعالى فيمن يؤمن الخير من جهته، ومن لا يؤمل منه؛ وأصل الخير كلّه من الله تعالى. فكيف يستوي بينه وبين شيء سواه في العبادة. والآخر: أنّه مثل للكافر والمؤمن؛ فالأبكم الكافر، والّذي يأمر بالعدل المؤمن؛ عن ابن عبّاس؛ وقيل: إنّ الأبكم أُبيّ بن خلف، ومن يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن مظعون؛ عن عطاء؛ وقيل: إنّ الأبكم هاشم بن عمر بن الحارث القرشي، وكان قليل الخير، يعادي رسول الله ﷺ؛ عن مقاتل؛ مجمع البيان ٥-٦: ٣٧٥.

٤ - القمّي ١: ٣٨٧

وسهولته ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾: كرجع الطَّرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ لأنّه يقع دفعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر على أن يُحْيي الخلايق دفعة، كما قدَر أن أحياهم متدرّجاً.

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: كي تعرفوا ماأنعم الله عليكم، طَوْراً بعد طَوْر، فتشكروه.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فإنّ ثقل جسدها يقتضي سقوطها، ولاعلاقةَ فوقها ولادِعامةَ تحتها تُمْسِكُها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾: موضعاً تسكنون فيه وقت إقامتكم ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ يعني الخِيَم والمضارب المتّخذة من الادم[1] والوبر والصّوف والشّعر ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾: تجدونها خفيفة، يخفّ عليكم حملُها ونقلُها ووضعُها وضربُها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾: ترحالكم وسفركم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾: نزولكم وحضركم ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ يعني مالِلضّأن ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ يعني مالِلإبل ﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾ يعني مالِلمعز ﴿أَثَٰثًا﴾: مايلبس ويفرش ﴿وَمَتَٰعًا﴾: ماينتفع به ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ من الشّجر والجبل والابنية وغيرها ﴿ظِلَٰلًا﴾ تتّقون به حرّ الشّمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾: مواضع تسكنون بها، من الغيران والبيوت المنحوتة فيها ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾: ثياباً من القطن والكتّان والصّوف وغيرها ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ اكتفى بذكر أحد الضدّين لدلالته على الآخر، ولأنّ وقاية الحرّ كانت عندهم أهمّ ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ يعني الدُّروع والجواشنَ والسّرّ بال يعمّ كلَّ مايلبس ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ أي تنظرون في نِعَمه الفاشية، فتؤمنون به وتنقادون لحكمه.

[1] أدم ـ بفتحتين وضمّتين ـ الجلد المدبوغ. المصباح المنير ١: ١٤ (أدم).

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال: «نحن والله نعمة الله الّتي أنعم بها على عباده، وبنا فاز من فاز»[1]. وفي رواية: قال: «يعني ولاية عليّ»[2].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يشهد لهم وعليهم، بالإيمان والكفر. قال: «لكلّ زمان وأمّة إمام، يبعث كلّ أمّة مع إمامها»[3]. ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار، إذ لا عذر لهم، فدلّ بترك الإذن على أن لا حجّة لهم ولا عذر ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: يسترضون. أي: لا يقال لهم: أرضوا ربّكم؛ من العتبى وهو الرّضا.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾ ثقل عليهم ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يمهلون.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ من الأصنام والشياطين ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ﴾: نعبدهم أو نطيعهم ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يعني كذبهم الّذين عبدوهم بإنطاق الله إيّاهم في أنّهم شركاء الله، وأنّهم عبدوهم حقيقة؛ وإنّما عبدوا أهواءهم، كقوله "كلّا سيكفرون بعبادتهم"[4].

﴿وَأَلْقَوْا﴾: وألقى الّذين ظلموا ﴿إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾: الاستسلام لأمره وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدّنيا ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: وضاع عنهم وبطل ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من أنّ لله[5] شركاء، وأنّهم ينصرونهم ويشفعون لهم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بالمنع عن الإسلام والحمل على الكفر.

١ ـ القمّي ١: ٣٨٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ الكافي ١: ٤٢٧، ذيل الحديث: ٧٧، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام.
٣ ـ مجمع البيان ٥-٦: ٣٧٨؛ والقمّي ١: ٣٨٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ مريم (١٩): ٨٢.
٥ ـ في «المصة»: «من دون الله».

القمّي: كفروا بعد النبيّ وصدّوا عن الوصيّ[١]. ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ الناس بصدّهم.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾. سبق تفسيره في سورتي البقرة والنساء[٢]. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ بياناً بليغاً. قال: «حتّى والله ما ترك شيئاً يحتاج إليه العباد، حتّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن؛ إلّا أنزله[٣] الله فيه»[٤]. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ قال: «العدل: الإنصاف، والإحسان: التفضّل»[٥]. ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ وإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾: ما جاوز حدود الله ﴿وَالْمُنكَرِ﴾: ما ينكره العقول ﴿وَالْبَغْيِ﴾: التطاول[٦] على الناس بغير حقّ.

وورد: في تأويله: «العدل: الشهادتان»[٧]. وفي رواية: «العدل: محمّد، والإحسان: عليّ، وإيتاء ذي القربى: مودّة الأئمّة وإيتاؤهم»[٨] «والثلاثة المنهيّ عنها: الأوّل والثاني والثالث»[٩] ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. وورد: «جماع التقوى في هذه الآية»[١٠].

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ

١ـ القمّي ١: ٣٨٨، وفيه «وصدّوا عن أمير المؤمنين عليه السلام».
٢ـ البقرة (٢) ذيل الآية: ١٤٣؛ والنساء (٤) ذيل الآية: ٤١.
٣ـ في «الف»: «أنزل».
٤ـ الكافي ١: ٥٩، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ معاني الأخبار: ٢٥٧، الحديث: ١؛ والعيّاشي ٢: ٢٦٧، الحديث: ٦١، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ تطاول عليه: اعتدى عليه. الرائد ١: ٤٠٨ (طول).
٧ـ القمّي ١: ٣٨٨.
٨ـ العيّاشي ٢: ٢٦٧، الحديث: ٥٩؛ و٢٦٨، الحديث: ٦٣، عن أبي جعفر عليه السلام.
٩ـ المصدر: الحديث: ٦٢، عن أبي جعفر عليه السلام. وراجع: القمّي ١: ٣٨٨؛ والعيّاشي ٢: ٢٦٨، الحديث: ٦٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
١٠ـ روضة الواعظين: ٤٣٧، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: شاهداً ورقيباً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾: من بعد إحكام وفتلٍ ﴿أَنكَٰثًا﴾. جمع نِكْث بالكسر، وهو ما يُنكث فتلُه.

قال: «الّتي نقضت غزلها، امرأةٌ من بني تيم بن مرّة، يقال لها: رَيطة بنت كعب بن سعد بن تيم بن لويّ بن غالب، كانت حمقاء تغزل الشّعر، فإذا غزلته نقضته، ثمّ عادت فغزلته. فقال الله "كَالَّتي نقضت غزْلَها" الآية. قال: إنّ الله تبارك وتعالى أمر بالوفاء ونهى عن نقض العَهْد، فضرب لهم مثلاً»[١].

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ دَغَلاً وخيانة ومكراً وخديعة، وذلك لأنّهم كانوا حين عهدهم يضمرون الخيانة، والنّاس يسكنون إلى عهدهم. والدَّخَلُ أن يكون الباطن خلاف الظّاهر، وأصله أن يدخل الشّيء ما لم يكن منه. ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ يعني لا تنقضوا العهد بسبب أن يكون جماعة ـ وهي كَفَرة قريش ـ أزيَدَ عدداً وأوفرَ مالاً من أمّةٍ، يعني جماعة المؤمنين. ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾: إنّما يختبركم بكونهم أربى، لِيَنظُرَ أتوفون بعهدالله، أم تغترّون بكثرة قريش وقوّتهم وثروتهم، وقلّة المؤمنين وضعفهم وفقرهم. ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾. وعيدٌ وتحذيرٌ من مخالفة الرّسول ﷺ.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: مُسلمة مؤمنة ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ بالخذلان ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ بالتوفيق ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾. تصريح بالنّهي عنه بعد التّضمين، تأكيداً ومبالغة في قبح المنهيّ عنه ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ﴾ عن محجّة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ عليها، أي، فتضلّوا عن الرّشد بعد أن تكونوا على هدى ﴿وَتَذُوقُوا ٱلسُّوٓءَ﴾ في الدّنيا ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. بصدودكم أو صدّكم غيركم. ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة

١ ـ القمّي ١: ٣٨٩، عن أبي جعفر ﷺ.

قال: «نزلت هذه الآيات[١] في ولاية عليّ والبيعة له، حين أُمروا بالتّسليم عليه بإمرة المؤمنين»[٢].

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾: يعيش عيشاً طيّباً. قال: «هي[٣] القناعة والرّضا بما قسم الله»[٤]. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾: إذا اردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: فاسأل الله ان يعيذك من وَساوسه، لئلاّ يُوَسْوِسَك في القراءة. قال: «تقول: أستعيذ بالله السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم»[٥]. قال: «الرّجيم اخبث الشّياطين»[٦].

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. قال: «يسلّط والله من المؤمن على بدنه، ولا يسلّط على دينه»[٧]. وفي رواية: «ليس له ان يزيلهم عن الولاية، فامّا الذّنوب واشباه ذلك، فإنّه ينال منهم كما ينال من غيرهم»[٨].

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾: يحبّونه ويطيعونه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾.

قال: «يسلّط على ابدانهم وعلى اديانهم»[٩].

١ - في «ب» والمصدر: «هذه الآية».
٢ - جوامع الجامع ٢: ٣٠٦، عن ابي عبدالله عليه السلام. وفي الكافي ١: ٢٩٢، الحديث: ١، ما يقرب منه.
٣ - في المصدر: «إنّها».
٤ - مجمع البيان ٥-٦: ٣٨٤، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٥ - العيّاشي ٢: ٢٧٠، الحديث: ٦٧، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٦ - المصدر، الحديث: ٦٧-٦٨، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ - الكافي ٨: ٢٨٨، الحديث: ٤٣٣، عن ابي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي ٢: ٢٦٩، الحديث: ٦٦، ما يقرب منه.
٨ - العيّاشي ٢: ٢٧٠، الحديث: ٦٩، عن ابي عبدالله عليه السلام، وفي القمّي ١: ٣٩٠، مع اختلاف يسير.
٩ - الكافي ٨: ٢٨٨، الحديث: ٤٣٣؛ والعيّاشي ٢: ٢٦٩، الحديث: ٦٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ بالنّسخ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ من المصالح، فلعلّ ما يكون مصلحة في وقت يكون مفسدة في آخر؛ وهو اعتراض. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾. متقوّل[1] على الله تأمر بشيء، ثمّ يبدو لك، فتنهى عنه. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حكمة الاحكام.

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾. قال: «هو جبرئيل والقدس الطّاهر»[2]. ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بما يرون في النّاسخ من الصّلاح والحكمة. قال: «هم آل محمّد»[3].

﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ المنقادين لحُكمه.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾: يضيفون إليه التّعليم، ويميلون قولهم عن الاستقامة إليه ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾ غير بيّن. القمّي: هو لسان أبي فكيهة مولى ابن الحضرميّ، كان أعجميّ اللّسان، وكان قد اتّبع النّبيّ ﷺ وآمن به، وكان من أهل الكتاب، فقالت قريش: هذا والله يعلّم محمّداً، علّمه بلسانه[4]. ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾: ذو بيان وفصاحة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾. لا يصدّقون[5] أنّها من عندالله ﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾. ردّ لقولهم: "إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ" ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾. نزلت في عمّار بن ياسر حين أخذته كفّار مكّة فعذّبوه، حتّى أعطاهم بلسانه ما أرادوا، "وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ" «فقال له النّبيّ ﷺ عندها. يا عمّار إن عادوا فعُد، فقد أنزل الله عذرك،

١ـ تقوّل قولاً: ابتدعه كذباً. القاموس المحيط ٤: ٤٣(قول).
٢و٣ـ القمّي ١: ٣٩٠، عن أبي جعفر ﷺ.
٤ـ القمّي ١: ٣٩٠، وفيه: «هذا والله يعلّم محمّداً بلسانه».
٥ـ في «ألف»: «لا يصدّقون بها».

وأمرك أن تعود إن عادوا». كذا ورد[1]. ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾: اعتقده وطاب به نفساً. القمّي: هو عبدالله بن أبي سرح[2]، وكان عاملاً لعثمان بمصر.[3] ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا﴾: آثروا ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ عذّبوا في الله وأكرهوا على الكفر، فاعطوا بعض ما أريد منهم، ليسلموا من شرّهم، كعمّار ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على الجهاد، وما أصابهم من المشاقّ، و«ثمّ» لتباعد حال هؤلاء من حال أولئك. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. خبر «إنّ» الأولى والثانية جميعاً واحد، ونظير تكرير إنّ ربّك هاهنا في القرآن كثير[4].

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ أي: ذاتها، تحتجّ عنها وتعتذر لها وتسعى في خلاصها لا يهمّها شأن غيرها ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾: جزاء ما عملت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ لكلّ من أنعم الله عليه، فأبطرته النّعمة فكفر بها، فأنزل الله به النّقمة ﴿قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ لا يزعج[5] أهلها خوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾: واسعاً ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من نواحيها ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا

---

١ ـ الكافي ٢: ٢١٩، الحديث: ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي الكشّاف ٢: ٤٣٠، والبيضاوي ٣: ١٩٢ مايقرب منه.

٢ ـ تقدّمت ترجمته في سورة النّساء، ذيل الآية: ١٣٧.

٣ ـ القمّي ١: ٣٩١.

٤ ـ الأنعام (٦): ٥٤، والنّحل (١٦): ١١٩.

٥ ـ زعجه كمنعه: أقلعه وقلعه من مكانه. القاموس المحيط ١: ١٩٨، والصّحاح ١: ٣١٩ (زعج).

كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. استعار[1] الذوقَ لإدراك أثر الضرر، واللّباسَ لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف.

قال: «إنّ أهل قرية ممّن كان قبلكم، كان الله قد وسّع عليهم حتّى طغوا[2]، فقال بعضهم لبعض. لو عَمَدْنا[3] إلى شيء من هذا النقيّ فجعلناه نستنجي به، كان ألين علينا من الحجارة. قال: فلمّا فعلوا ذلك بعث الله على أرضهم دوابّاً أصغر من الجَراد، فلم تدعْ لهم شيئاً خلقه الله إلّا أكلته[4] من شجر أو غيره، فبلغ بهم الجُهْدُ إلى أن أقبلوا على الّذي كانوا يستنجون به فأكلوه. وهي القرية الّتي قال الله "ضَرَبَ الله مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمنةً" الآية»[5].

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. قد سبق تفسيره[6].

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾. مبالغة في وصف بالكذب، كأنّ حقيقة الكذب كانت مجهولةً، وألسنتهم تصفها، وتعرفها بكلامهم. هذا كقولهم: وَجْهُها يَصِفُ الجمالَ وعيْنُها تصف السّحرَ. ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾. القمّي: هو ماكانت اليهود يقولون "ما في بُطُونِ هذهِ الأَنعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا وَمُحَرَّمٌ عَلى أَزْواجِنا"[7].

﴿لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

١ ـ في «الف»: الشمار؛
٢ في المصدر: «كان الله قد اوسع عليهم حتّى طغوا»
٣ ـ عمد إليه: قصده، المصباح المنير ٢: ٩٢ (عمد)
٤ ـ في المصدر: «شيئاً خلقه الله يقدر عليه إلّا اكله ...»
٥ ـ العيّاشي ٢: ٢٧٣، الحديث: ٧٩، عن أبي عبدالله عليه السلام وفي معناه ما في المحاسن (للبرقي) ٢: ٥٨٨، الباب: ١٧، الحديث: ٨٨؛ والعيّاشي ٢: ٢٧٣، الحديث: ٧٨، عن أبي عبدالله عليه السلام
٦ ـ ذيل الآية: ١٧٣ من سورة البقرة.
٧ ـ القمّي ١: ٣٩١ والآية في سورة الأنعام (٦): ١٣٩

﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ أي: مايفترون[١] لأجله منفعة قليلة تنقطع عن قريب ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ في الآخرة. ورد: «من قال للحلال هذا حرام، وللحرام هذا حلال ودان بذلك، فعندنا يكون خارجاً من الإيمان والإسلام إلى الكفر»[٢].

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ﴾ أي، في سورة الأنعام بقوله: "وَعَلَى الذينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذي ظُفُرٍ" الآية[٣]. ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾ بالتحريم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾: جاهلين غير متدبّرين للعاقبة ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾: من بعد التوبة ﴿لَغَفُورٞ﴾ لذلك السوء ﴿رَّحِيمٌ﴾ يثيب على الإنابة.

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا﴾. قال: «وذلك إنّه كان على دين لم يكن عليه أحد غيره، فكان أمّة واحدة. قال: وأمّا قانتاً فالمطيع، وأمّا الحنيف فالمسلم»[٤]. ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾. تكذيب لقريش فيما كانوا يزعمون أنّهم على ملّة إبراهيم.

﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ﴾: لأنعم الله، معترفاً بها. روي: «إنّه كان لايتغدّى إلّا مع ضيف»[٥]. ﴿ٱجۡتَبَىٰهُ﴾ اختاره ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾ بأن حبّبه إلى الناس، حتّى أنّ أرباب الملل يتولّونه ويثنون عليه، ورزقه أولاداً طيّبة، وعمراً طويلاً في السعة والطاعة.

﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: لمن أهل الجنّة، كما سأله بقوله "وَأَلْحِقْني بِالصّالحينَ"[٦].

١ ـ في «الف»: «مايفترون».
٢ ـ التوحيد (للصدوق)، ٢٢٩، الباب: ٣٠، ذيل الحديث: ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام
٣ ـ الأنعام (٦): ١٤٦
٤ ـ القمّي ١: ٣٩٢، عن أبي جعفر عليه السلام
٥ ـ الكشّاف ٢: ٤٣٩، وجوامع الجامع ٢: ٣١٣
٦ ـ الشعراء (٢٦): ٨٣

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

قيل: في «ثمّ» هذه تعظيم[1] لمنزلة رسول الله ﷺ، وإعلامٌ بأنّ أفضل ما أوتي خليل الله من الكرامة اتّباعُ نبيّنا ﷺ ملّتَهُ، حيث دلّت على تباعد هذا النّعت في المرتبة من بين ساير النّعوت الّتي اثنى الله عليه بها[2].

ورد: «لا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء، لأنّه المنهج الأوضح. قال الله عزّ وجلّ: "ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً" فلو كان لدين الله تعالى مسلك أقوم من الاقتداء، لندب أنبياءه وأولياءه إليه»[3].

و ورد: «ما أحد على ملّة إبراهيم إلّا نحن وشيعتنا، وساير النّاس منها بُرآء»[4].

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. قد سبق قصّتهم في الأعراف[5].

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾: بالمقالة المحكمة الصّحيحة، الموضحة للحقّ، المزيحة للشّبهة؛ هذا للخواص. ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾: الخطابات المُقنعة والعِبَر النافعة، الّتي لا يخفى عليهم أنّك تناصحهم بها وتنفعهم فيها؛ وهذا للعوامّ. ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: بالطّريقة الّتي هي أحسن طُرُق المجادلة؛ وهذا للمعاندين والجاحدين. قال: «يعني بالقرآن»[6]. «وهذا كقوله سبحانه "وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ"[7] إلى آخر السّورة، مجادلاً به من جحد البعث بعد الموت، وغير الّتي هي أحسن، أن تجادل مبطلاً يُورد عليك حقّاً ليعين به باطله، فتجحَدَ ذلك الحقّ مخافة أن

١ـ في «الف»: «التعظيم».
٢ـ جوامع الجامع ٢: ٣١٣؛ والكشّاف ٢: ٤٣٤؛ والبيضاوي ٢: ١٩٤.
٣ـ مصباح الشّريعة: ١٥٧، الباب: ٧٤، عن أبي عبدالله ﷺ وفي «الف» و«ج»: «لندب أولياءه وأنبياءه إليه».
٤ـ العيّاشي ١: ٣٨٨، الحديث: ١٤٦، عن الحسين بن عليّ عليهما السّلام.
٥ـ الأعراف (٧): ١٦٣.
٦ـ الكافي ٥: ١٣، الحديث: ١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ـ يس (٣٦): ٧٨.

يكون له عليك فيه حجّة، لأنّك لاتدري كيف الخلص منه». كذا ورد[1] قال: «والجدال بغير الّتي هي أحسن محرّم، حرّمه الله على شيعتنا»[2].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي: ليس عليك أن تهديهم ولا أن تردعهم عن الضّلالة، وإنّما عليك البلاغ، فمن كان فيه خيرٌ كفاه البرهان أو الوَعْظ، ومن لاخير فيه عجزت عنه الحيل، فكأنّك تضرب منه في حديد بارد.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ قال: «لمّا رأى رسول الله ﷺ ماصنع بحمزة بن عبدالمطّلب، قال: اللّهم لك الحمد وإليك المشتكى، وأنت[3] المستعان على ماأرى، ثمّ قال: لئن ظفرت لأمثّلنّ وأمثّلنّ[4]، قال: فأنزل الله الآية، فقال رسول الله ﷺ أصبرُ أصبرُ»[5]. وفي رواية: «إنّه لمّا رأى مافعل به بكى، ثمّ قال: ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ عليّ من هذا المكان، لئن أمكنني الله من قريش لأمثّلنّ سبعين رجلاً منهم، فنزلت، فقال: بل أصبر»[6].

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: إلا بتوفيقه وتثبيته ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: على أصحابك ومافعل بهم، فإنّ الله نقلهم إلى دار كرامته ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾

١ ـ تفسير الإمام ﷺ: ٥٢٨، ذيل الآية: ١١١، من سورة البقرة؛ والاحتجاج ١: ١٤ و١٥، عن العسكري، عن أبي عبدالله ﷺ.

٢ ـ تفسير الإمام ﷺ: ٥٢٧؛ والاحتجاج ١: ١٤، عن العسكري، عن أبي عبدالله ﷺ. وفي «ب»: «حرّم الله».

٣ ـ في «ب» و«ج»: «وإنّك».

٤ ـ في المصدر: «الأمثلنّ لأمثلنّ».

٥ ـ العيّاشي ٢: ٢٧٤، الحديث: ٨٥، عن أبي عبدالله ﷺ. وفي «الف»: «فقال رسول الله ﷺ: أصبر».

٦ ـ القمّي ١: ١٢٣. وفي «الف»: «فقال: أصبر».

سورة بني إسرائيل[1]

[مكيّة، وهي مائة وإحدى عشرة آية][2]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ يعني إلى ملكوت المسجد الأقصى. قال: «ذاك في السّماء، إليه أُسري رسول الله ﷺ»[3]

وفي رواية: «نظر إلى السّماء مرّة وإلى الكعبة مرّة، ثمّ تلا هذه الآية، ثمّ قال: ليس كما يقولون. أسري به من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، ولكنّه أسرى به من هذه إلى هذه، وأشار بيده إلى السّماء»[4]. ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

قال: «أتى جبرئيل رسول الله ﷺ بالبراق، أصغر من البغل، وأكبر من الحمار، مضطرب الأذنين، عينه في حافره، وخطاه مدّ بصره، فإذا انتهى إلى جبل قصرت يداه وطالت رجلاه، فإذا هبط طالت يداه وقصرت رجلاه، أهدبَ العُرف

١ ـ في «ب»: «سورة الإسراء».
٢ ـ ما بين المعقوفين من «ب».
٣ ـ العيّاشي ٢: ٢٧٩، الحديث ١٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ القمّي ٢: ٢٤٣، عن أبي جعفر عليه السلام

الايمن[1]، له جناحان من خلفه»[2].

وفي رواية: «إنّ الله سخّر لي البراق، وهي دابّة من دوابّ الجنّة، ليست بالقصير ولا بالطّويل، فلو انّ الله أذِنَ لها لجالت الدّنيا والآخرة في جرية واحدة، وهي أحسن الدّوابّ لوناً»[3].

وورد: «جاء جبرئيل وميكائيل وإسرافيل بالبراق إلى رسول الله ﷺ، فأخذ واحد باللّجام، وواحد بالركاب، وسوّى الآخر عليه ثيابه، فتضعضعت البراق، فلطمها جبريل، ثمّ قال: اسكني يابراق، فماركبك نبيٌّ قبله ولا يَرْكَبُك بعده مثلُه، قال: فترقّت به، ورفعته ارتفاعاً ليس بالكثير ومعه جبرئيل يريه الآيات من السّماء والارض»[4] ثمّ ذكر تفصيل الآيات وفيها أسرار لايعثر عليها إلاّ الراسخون في العلم.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾: ربّاً تكلون إليه أموركم.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: كثير الشكر. سئل بم سمّي شكوراً؟ قال: «بكلمات بالغ فيهنّ، كان يقولها إذا أصبح ثلاثاً وإذا أمسى ثلاثاً»[5].

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: وأوحينا إليهم وحياً مقضيّاً مبتوتاً. والقمّي: أي: أعلمناهم[6]. ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾: وعد عقاب أولاهما ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ

١ ـ أي: طويلة مرسلة من جانب الايمن. العُرف: شعر عنق الفرس. اقرب الموارد ٣: ٧٦٩ (عرف).
٢ ـ الكافي ٨: ٣٧٦، الحديث: ٥٦٧، عن ابي جعفر عليه السلام، وفيه: «عينيه في حافره».
٣ ـ عيون اخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٢، الباب: ٣١، الحديث: ٤٩، عن النبيّ ﷺ.
٤ ـ القمّي ٢: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ الكافي ٢: ٥٣٥، الحديث: ٣٨؛ والعيّاشي ٢: ٢٨١، الحديث: ١٩، عن ابي جعفر عليه السلام، وفي من لايحضره الفقيه ١: ٣٣٥، الحديث: ٩٨١؛ وعلل الشرايع ١: ٢٩، الباب: ٢١؛ والقمّي ٢: ١٤، مايقرب منه.
٦ ـ القمّي ٢: ١٤.

شَدِيدٍ﴾: ذوي قوّة وبطش في الحرب شديد. وفي قراءتهم عليهم السّلام: «عبيداً لنا»[1]
﴿فَجَاسُوا﴾ تردّدوا لطلبكم ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ وسطها، للقتل والغارة والسّبي.
﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾: الدّولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ممّا كنتم. والنّفير: مَن ينفر مع الرّجل من قومه.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾: فإنّ وبالها عليها. قيل: وإنّما ذكر اللام ازدواجاً[2] و[3]. وفي رواية: «فلها ربّ يغفر»[4]. وورد: «ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه، وتلا الآية»[5]. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: وعد عقوبة المرّة الآخرة ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾: بعثناهم ليجعلوا وجوهكم بادية آثار المساءة فيها، فحُذف لدلالة ذكره أوّلاً عليه. ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا﴾: وليُهلكوا ﴿مَا عَلَوْا﴾: ما غلبوه واستولوا عليه، أو مدّة علوّهم ﴿تَتْبِيرًا﴾.

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ نوبة أخرى ﴿عُدْنَا﴾ مرّة ثالثة إلى عقوبتكم.

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾: محبساً لا يقدرون الخروج منها أبداً. قيل في تفسير الآيات: إنّ الإفسادتين: قتل زكريّا ويحيى. والعلوّ الكبير: استكبارهم عن طاعة الله، وظلمهم النّاس. والعباد أولي بأس: بخت نصّر[6] وجنوده، وردّ الكرّة

١ـ مجمع البيان ٦-٥: ٣٩٧؛ وجوامع الجامع ٢: ٣١٧، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٢ـ أي: للمشاكلة مع القرينة السابقة: «لأنفسكم».
٣ـ البيضاوي ٣: ١٩٧.
٤ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ٢٩٤، الباب: ٢٨، الحديث: ٤٩.
٥ـ جوامع الجامع ٢: ٣١٨؛ والكشّاف ٢: ٤٣٩، عن أمير المؤمنين عليه السلام.
٦ـ بُخْتُ نَصَّر: أصله بُوخْتُ ومعناه ابن، ونصَّر كبَقَّم: صنم، وكان وُجد ملقىً عند الصنم ولم يعرف له أب، فنسب إليه. وفي رواية: أنّه سُمّي بذلك، لأنّه رضع بلبن كلبة، وكان اسم الكلب: بخت، واسم صاحبه: نصر. خرّب القدس. راجع: القاموس المحيط ٢: ١٤٨؛ وسفينة البحار ١: ٦٠. وتفصيل الكلام في البحار ١٤: ٣٥١.

عليهم: ردّ بهمن بن إسفنديار أسراءهم إلى الشّام وتمليكه دانيال عليهم، ووعد الآخرة: تسليط الله الفُرْس عليهم مرّة أخرى[1].

وورد: «إنّ الإفسادتين: قتلُ عليّ بن أبي طالب وطعنُ الحسن، والعلوّ الكبير: قتلُ الحسين، والعبادَ أُولي بأس: قومٌ يبعثهم الله قبل خروج القائم، فلا يَدعون وِتْراً لآل محمّد إلاّ قتلوه، ووعد الله: خروج القائم، وردّ الكرّة عليهم: خروج الحسين في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهّب، حين كان الحجّة القائم بين أظهرهم»[2].

وفي رواية: «إنّ العباد أُولي بأس هم القائم وأصحابه عليهم السّلام»[3].

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي﴾ قال: «يدعوا»[4]. ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ للطريقة التي هي أقوم الطرق وأشدّ استقامةً. قال: «يهدي إلى الإمام»[5]. وفي رواية: «إلى الولاية»[6].

﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يعني يبشّر المؤمنين ببشارتين: ثوابهم، وعقاب أعدائهم.

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾: مثل دعائه بالخير ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ قال: «إعرف طريقَ نجاتك وهلاكك، كيلا تدعو الله بشيء، عسى أن يكون فيه هلاكك وأنت تظنّ أنّ فيه نجاتك، ثمّ تلا هذه الآية»[7].

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾.

١ـ البيضاوي٣: ١٩٦ـ١٩٧.
٢ـ الكافي٨: ٢٠٦، الحديث: ٢٥٠؛ والعيّاشي٢: ٢٨١، الحديث: ٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ العيّاشي٢: ٢٨١، الحديث: ٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ الكافي٥: ١٣، الحديث: ١، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ـ المصدر، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي٢: ٢٨٢، الحديث: ٢٤، مقطوعاً.
٦ـ العيّاشي٢: ٢٨٣، الحديث: ٢٥، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ مصباح الشّريعة: ١٣٢، الباب: ٦٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

قال: «أمر الله جبرئيل أن يمحو ضوء القمر فمحاه، فأثّر المحو في القمر خطوطاً سوداء، ولو أنّ القمر ترك على حاله بمنزلة الشّمس ولم يمح[1]، لما عُرِفَ اللّيل من النّهار، ولا النّهار من اللّيل، ولا علم الصّائم كم يصوم، ولا عرَفَ النّاس عدد السّنين، وذلك قول الله: "وجعلنا اللّيل" الآية»[2].

﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ . لتطلبوا في بياض النّهار أسباب معايشكم. ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ قال: «بمقادير هما»[3] ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ تفتقرون إليه في أمر الدّين والدّنيا ﴿فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾: بيّناه بياناً غير ملتبس.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ . عمله وما قدّر له، كأنّه طير له من عش الغيب ووكر القدر. قال: «قدره الّذي قدّر عليه»[4]. ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾: لزومَ الطوق في عنقه. قال: «خيره وشرّه معه، حيث كان لا يستطيع فراقه، حتّى يُعطى[5] كتابه يوم القيامة بما عمل»[6]. ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ هو صحيفة عمله، أعني نفسه الّتي رسخت فيها آثارُ أعماله. ﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ لكشف الغطاء.

﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ على إرادة القول ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

قال: «يذكر العبد[7] جميع ما عمل وما كتب عليه، حتّى كأنّه فعله تلك السّاعة، فلذلك قالوا: "يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يُغادرُ صَغيرةً ولا كَبيرةً إلّا أحْصيها"»[8].

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

١ـ كذا في المصدر، وفي «الف» و«ج»: «لم يمسح»، وفي «ب»: «لم يمح» بدون الواو.
٢ـ علل الشرايع ٢: ٤٧٠، الباب ٢٢٢، الحديث ٣٣، عن رسول الله ﷺ.
٣ـ نهج البلاغة (للصبحي الصالح): ١٢٨، الخطبة: ٩١.
٤ـ العيّاشي ٢: ٢٨٤، الحديث: ٣٢، عن الصادقين عليهم السلام؛ والقمّي ٢: ١٧.
٥ـ في «الف»: «حتّى يؤتى».
٦ـ القمّي ٢: ١٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٧ـ في العيّاشي: «يذكر بالعبد».
٨ـ العيّاشي ٢: ٢٨٤، الحديث: ٣٣؛ ومجمع البيان ٥-٦: ٤٠٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.

أُخْرَىٰ﴾. التأنيث باعتبار النفس. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ يبيّن الحجج ويمهّد الشرائع، فيلزمهم الحجّة.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾: متنعّميها. قال: «أكابرها»[1]. وقال: «أمّرنا، مشدّدة ميمه[2]، تفسيرها: كثّرنا. وقال: لاقرأتها مخفّفة»[3]. وفي رواية: «إنّه قرأ: آمرنا»[4]. على وزن عامرنا. يقال: أمّرت الشيء وآمرته إذا كثّرته[5]. والقمّي: كثّرنا جبابرتها[6]. ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾. يعني كلمة العذاب ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾: اهلكناهم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ يُدرِكُ بواطنَها وظواهرَها، فيُعاقب عليها.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾: النّعمة الدّنيويّة، مقصوراً عليها همّه ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾. قيّد للمعجّل والمعجّل له بالمشيّة والارادة لانّه لايجد كلُّ متمنٍّ مايتمنّاه، ولاكلُّ أحدٍ جميعَ مايهواه، وليعلم انّ الامر بالمشيّة. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾: مطروداً من رحمة الله.

في الحديث النّبويّ: «معنى الآية: من كان يريد ثواب الدّنيا بعمله الّذي افترضه الله عليه، لايريد به وجه الله والدّارَ الآخرة، عجّل له مايشاء الله من عرض الدّنيا، وليس له ثواب في الآخرة؛ وذلك انّ الله سبحانه يؤتيه[7] ذلك ليستعين به على الطّاعة، فيستعمله

---

١ ـ العيّاشي ٢: ٢٨٤، الحديث: ٣٥، عن ابي جعفر عليه السلام.
٢ ـ في المصدر: «مشدّدة منصوبة».
٣ ـ المصدر، الحديث: ٣٤، عن ابي جعفر عليه السلام.
٤ ـ مجمع البيان ٦: ٤٠٥، عن امير المؤمنين عليه السلام. ولم ترد كلمة «انّه» في «المصدر».
٥ ـ في «الف»: «اكثرته».
٦ ـ القمّي ٢: ١٧.
٧ ـ في «الف»: «يعطيه».

في معصية الله، فيعاقبه الله عليه[1].

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾: حقّها من السّعي، وهو الإتيان بما أُمر به، والانتهاء عمّا نهي عنه، لا التّقرّب بما يخترعون بآرائهم. وفائدة اللّام اعتبار النّيّة والإخلاص. ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ إيماناً لا شرك فيه ولا تكذيب ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ من الله، مقبولاً عنده مثاباً عليه. في الحديث النّبويّ: «من أراد الآخرة فليترك زينة الحياة الدّنيا»[2].

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾: كلّ واحد من الفريقين، نتفضّل عليه بالعطاء مرّة بعد أخرى، ونجعل الآنف منه مدداً للسّالف لا نقطعه، فنرزق المطيع والعاصي جميعاً. ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾: ممنوعاً، لا يمنع العاصي لعصيانه.

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾. يعني في الدّنيا ﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ أي: التّفاوت في الآخرة أكثر. روي: «إنّ ما بين أعلى درجات الجنّة وأسفلها مثل ما بين السّماء والأرض»[3]. وقال: «إنّما تفاضل القوم بالأعمال»[4]. وفي رواية: «على قدر عقولهم»[5].

﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾. الخطاب لكلّ أحد، أو للرّسول والمراد به أمّته. ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾. يعني: إذا فعلتَ ذلك، بقيتَ ما عشتَ مذموماً على ألسنة العقلاء، مخذولاً لا ناصر لك. وإنّما عبّر عن ذلك بالقعود، لأنّ في القعود معنى الذّلّ والعجز والهوان. يقال: قعد به الضّعف.

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾: وأمر أمراً مقطوعاً به ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا ﴾: بأن لا تعبدوا ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾

١ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٤٠٧.

٢ ـ روضة الواعظين: ٤٢٤؛ والخصال١: ٢٩٣، ذيل الحديث: ٥٨، وفيه: «فليدع زينة الحياة الدنيا».

٣ ـ مجمع البيان٥ـ٦: ٤٠٧، ولم ترد فيه كلمة «مثل».

٤ ـ العيّاشي١: ٣٨٨، الحديث: ١٤٧؛ ومجمع البيان٩ـ١٠: ٢١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ ـ الكافي١: ١١، الحديث: ٨، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه: «إنّ الثواب على قدر العقل».

لأنّ غاية التّعظيم لايحقّ، إلّا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام. ويجوز أن تكون «أن» مفسّرة، و«لا» ناهية، كما يشعر به بعض الأخبار[١]. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: وبأن تحسنوا، أو أحسنوا.

ورد: سئل ماهذا الإحسان؟ فقال: «أن تحسن صحبتهما، وأن لاتكلّفهما أن يسألاك شيئاً، وإن كانا مستغنيين»[٢].

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾. زيدت على «إن» الشّرطيّة «ما» للتأكيد. ﴿عِندَكَ الْكِبَرَ﴾: في كنفك وكفالتك ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾: قال: «إن أضجراك»[٣].

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: ولاتزجرهما. قال: «إن ضرباك»[٤]. القمّي: أي: لاتخاصمهما[٥].

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: حسناً جميلاً. قال: «إن ضرباك، فقل لهما: غفر الله لكما، فذلك منك قول كريم»[٦].

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾: تذلّل لهما وتواضع ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾: من فرط رحمتك عليهما، لافتقارهما إلى مَنْ كان أفقر خلق الله إليهما. قال: «لاتملأ عينيك من النّظر إليهما إلّا برحمة ورقّة، ولاترفع صوتك فوق أصواتهما، ولايدك فوق أيديهما، ولاتقدّم قدّامهما»[٧]. ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا﴾: وادع الله أن يرحمهما برحمة الباقية، ولاتكتف برحمتك الفانية ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾: جزاء لرحمتهما عليّ، وتربيتهما لي في صغري.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ قال: «هم التّوّابون المتعبّدون»[٨].

١ ـ الكافي٢: ٣٠، ذيل الحديث: ١، عن أبي جعفر عليه السلام.
٢، ٣، ٤، و٦ ـ الكافي٢: ١٥٧، الحديث: ١ والعيّاشي٢: ٢٨٥، الحديث: ٣٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ القمّي٢: ١٨.
٧ ـ الكافي٢: ١٥٨، ذيل الحديث: ١ والعيّاشي٢: ٢٨٥، ذيل الحديث: ٣٩؛ ومجمع البيان٥ ـ ٦: ٤٠٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ العيّاشي٢: ٢٨٦، الحديث: ٤٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾. قال: «لمّا نزلت قال رسول الله ﷺ. يا جبرئيل قد عرفتُ المسكين، من[1] ذوالقربى؟ قال: هم أقاربك. فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة فقال: إنّ ربّي أمرني أن أعطيكم ممّا أفاء الله عليّ. قال: أعطيتكم[2] فدك[3]»[4]. وفي معناه أخبار مستفيضة[5]. وفي رواية: «وكان عليّ، وكان حقّه الوصيّة الّتي جعلت له، والاسم الاكبر، وميراث العلم، وآثار علم النّبوّة»[6].

أقول: لاتنافي بين الرّوايتين، لانّ حقّ عليّ كان الوصيّة، وحقّ فاطمة وأولادها فدك، ولكلّ أحد قرابةٌ، وفي قرابته مَنْ له عليه حقّ.

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ بصرف المال فيما لاينبغي، وإنفاقه على وجه الإسراف. وأصل التّبذير: التّفريق. سئل عن هذه الآية فقال: «من أنفق شيئاً في طاعة الله فهو مبذّر، ومن أنفق في سبيل الله[7] فهو مقتصد»[8]. و ورد: «إنّه دعا برطب، فأقبل بعضهم يرمي بالنّوى، فقال ﷺ: لاتفعل، إنّ هذا من التّبذير، وإنّ الله لايحبّ الفساد»[9].

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: أمثالهم، السّالكين طريقتهم، وهذا غاية

١ - في المصدر: «فمن».
٢ - في «ب» و«ج»: «أعطيكم».
٣ - فَدَك - بفتحتين -. قرية من قرى اليهود، بينها وبين مدينة يومان، وبينها وبين خيبر دون مرحلة. وهي ممّا أفاء الله على رسوله، وكانت لرسول الله ﷺ؛ لانّه فتحها هو وأمير المؤمنين عليهما السلام لم يكن معهما أحد، فزال عنها حكم الفيء ولزمها حكم الأنفال. وقد حدّها عليّ ﷺ: حدّ منها جبل أحد، وحدّ منها عريش مصر، وحدّ منها سيف البحر، وحدّ منها دومة الجندل، يعني الجوف. مجمع البحرين ٥: ٢٨٣ (فدك).
٤ - العيّاشي ٢: ٢٨٧، الحديث: ٤٦، عن أبي عبدالله ﷺ.
٥ - الكافي ١: ٥٤٣، الحديث: ٥؛ وعيون أخبار الرضا ﷺ ١: ٢٣٣، الباب ٢٣، الحديث: ١؛ والعيّاشي ٢: ٢٨٧، الحديث: ٤٧، ٤٨، ٤٩ و ٥٠؛ ومجمع البيان ٥-٦: ٤١١.
٦ - الكافي ١: ٢٩٤، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٧ - في المصدر: «في سبيل الخير».
٨ - العيّاشي ٢: ٢٨٨، الحديث: ٥٣، عن أبي عبدالله ﷺ.
٩ - المصدر، الحديث: ٥٨، عن أبي عبدالله ﷺ.

الذمّ ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾: وإن تعرض عن هؤلاء الّذين امرتك بإيتاء حقوقهم حياءً من الردّ، لتبتغي الفضل من ربّك والسّعة الّتي يمكنك معها البذلُ، فقل لهم قولاً ليّناً وعِدْهُم عدة جميلة روي: «إنّه كان لمّا نزلت هذه الآية، إذا سُئل ولم يكن عنده مايعطي قال. يرزقنا الله وإيّاكم من فضله»[1].

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ تمثيل لمنع الشّحيح وإسراف المبذّر، نهى عنهما وامر بالاقتصاد بينهما، الّذي هو الكرم والجود. ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾. قال: «نزلت لمّا سأله رجل فلم يحضره شيء، فاعطاه قميصه. قال: فادّبه الله على القصد»[2]. وفي رواية: «فنهاه الله ان يبخل ويسرف، ويقعد محسوراً من الثّياب»[3]. وقال: «المحسور: العريان»[4]. وفي رواية: «الإحسار: الإقتار»[5]. وفي أخرى: «الفاقة»[6]. وفي رواية: «كانت عنده أوقيّة من الذّهب، فكرِه ان تبيت عنده، فتصدّق بها، فاصبح وليس عنده شيء، وجاء من يسأله فلم يكن عنده مايعطيه، فلامه السّائل واغتمّ هو»[7]. الحديث.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يوسّعه ويضيّقه بحسب المصلحة ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ فيعلم مصالحهم، ومايبنغي لهم ومالاينبغي.

ورد: «وإنّ من عبادي من لايُصلِحه إلاّ الفقر، ولو اغنيتُه لأفسده ذلك، وإنّ من

١ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤١١.
٢ ـ الكافي ٤: ٥٦، الحديث ٧؛ والعيّاشي ٢: ٢٨٩، الحديث: ٥٩، عن ابي عبدالله عليه السلام
٣ ـ القمّي ٢: ١٩.
٤ ـ المصدر؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤١١، عن ابي عبدالله عليه السلام
٥ ـ العيّاشي ٢: ٢٨٩، الحديث: ٦١، عن ابي عبدالله عليه السلام، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله
٦ ـ الكافي ٤: ٥٥، الحديث: ٦، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ الكافي ٥: ٦٧، ذيل الحديث الطويل ـ ١، عن ابي عبدالله عليه السلام.

عبادي من لا يصلحه إلّا الغنى، ولو أفقرتُه لأفسده ذلك»[١]. وقال: «وإنّي لأعلم بمصالح عبادي»[٢] الحديث.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ﴾. القمّي: مخافة الفقر والجوع، فإنّ العرب كانوا يقتلون أولادهم لذلك[٣]. سئل: ما الإملاق؟ قال: «الإفلاس. ثمّ تلا هذه الآية»[٤] ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾: ذنباً كبيراً.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً﴾: قبيحة زائدة على حدّ القبح. قال: «معصية ومقتاً، فإنّ الله يمقته ويبغضه»[٥]. ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾. قال: «وهو أشدّ الناس[٦] عذاباً. قال: والزّنا من أكبر الكبائر»[٧].

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ككفر بعد إيمان، وزناً بعد إحصان، وقتل مؤمن عمداً. ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾: تسلّطاً بالمؤاخذة. ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾.

سئل: «ما هذا الإسراف الّذي نهى الله عنه؟ قال: «نهى أن يَقتُلَ غيرَ قاتله، أو يمثّل بالقاتل»[٨]. وفي رواية: «إذا اجتمع العدّة على قتل رجل واحد، حكم الوالي أن يقتل أيّهم شاؤوا. وليس لهم أن يقتلوا أكثر من واحد»[٩].

١ ـ علل الشرايع ١: ١٢، الباب: ٩، قطعة من حديث: ٧، عن النبيّ ﷺ، في حديث قدسيّ.
٢ ـ الكافي ٢: ٦٠، ذيل الحديث: ٤، عن أبي جعفر عليه السلام، عن رسول الله ﷺ، في حديث قدسيّ بمضمون.
٣ ـ القمّي ٢: ١٩.
٤ ـ العيّاشي ٢: ٢٩٠، ذيل الحديث: ٦٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ و٧ ـ القمّي ٢: ١٩، عن أبي جعفر عليه السلام.
٦ ـ في «مصدر» و«الف»: «أشدّ النّار».
٨ ـ الكافي ٧: ٣٧١، الحديث: ٧، عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام.
٩ ـ الكافي ٧: ٢٨٤، الحديث: ٩، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي ٢: ٢٩٠، الحديث: ٦٦، مع اختلاف في اللفظ.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾. سئل عنه، قال: «و أيّ نصرة أعظم من ان يدفع القاتل اولياء المقتول فيقتله، ولاتبعة تلزمه من قتله؛ في دين ولادنيا»[1].

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ ﴾ فضلاً ان تتصرّفوا فيه ﴿ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ إلا بالطّريقة الّتي هي احسن، وهي حفظه عليه ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾. قال: «انقطاع يتم اليتيم الاحتلام، وهو اشدّه»[2]. وفي رواية: «الاشدّ ثلاث عشرة سنة والدّخول في الاربع عشرة، احتلم او لم يحتلم»[3]. ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾.

قال: «ثلاثة لم يجعل الله لاحد من النّاس فيهنّ رخصة، وعدّ منها الوفاء بالعهد»[4].

﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾. بالميزان السّويّ. قال: «هو الميزان الّذي له لسان»[5]. ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾: واحسن عاقبة.

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾: ولاتتّبع. والقمّي: اي: لاتقل، ولاترم احداً بما ليس لك به علم[6]. و ورد: «من بهت مؤمناً او مؤمنة أقيم في طينة خبال او يخرج ممّا قال»[7]. ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ قال: «يسأل السّمع عمّا سمع، والبصر عمّا نظر إليه، والفؤاد عمّا عقد عليه»[8].

١ ـ الكافي ٧: ٣٧١، الحديث: ٧، عن ابي الحسن الكاظم عليه السلام.
٢ ـ الكافي ٧: ٦٨، الحديث: ٢؛ والتهذيب ٩: ١٨٣، الحديث: ٧٣٧؛ ومن لايحضره الفقيه ٤: ١٦٣، الحديث: ٥٦٩، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ الكافي ٧: ٦٩، الحديث: ٧؛ ومن لايحضره الفقيه ٤: ١٦٤، الحديث: ٥٧١، عن أبي عبدالله عليه السلام،
٤ ـ الخصال ١: ١٢٨، الحديث: ١٢٩، عن ابي عبدالله عليه السلام
٥ ـ القمّي ٢: ١٩، عن ابي جعفر عليه السلام.
٦ ـ المصدر
٧ ـ المصدر، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله.
٨ ـ الكافي ٢: ٣٧، الحديث: ٢، عن ابي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾: ذا مرح وهو الاختيال. القمّي: أي، بطراً وفرحاً[1] ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾: لن تجعل فيها خرقاً لشدّة وطأتك. القمّي: أي: لن تبلغها كلّها[2] ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ بتطاولك. القمّي: أي: لاتقدر أن تبلغ قلل الجبال[3] قيل: هو تهكّم بالمختال، وتعليل للنّهي بأنّ الاختيال حماقة مجرّدة، لايعود بجدوى، ليس في التّذلّل[4].

﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ ﴾. إشارة إلى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله و "لا تجعل مع الله إلهاً آخر"[5] ويقال: إنّها المكتوبة في ألواح موسى[6]. ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾: المنهيّ عنه منه ﴿ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾: مبغوضاً.

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾. كرّره للتّنبيه على أنّ التّوحيد مبدء الأمر ومنتهاه، ورأس الحكمة وملاكها. ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا ﴾ تلوم نفسك ويلومك غيرك ﴿ مَّدْحُورًا ﴾: مبعداً عن رحمة الله. القمّي: المخاطبة للنّبيّ والمعنى النّاس[7].

﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ﴾. القمّي: هو ردّ على قريش فيما قالوا: إنّ الملائكة هي بنات الله[8]. ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ بإضافة الولد إليه، ثمّ بتفضيل أنفسكم عليه، حيث تجعلون له ماتكرهون، ثمّ تجعل[9] الملائكة الّذين هم من أشرف خلق الله أدونهم.

١، ٢ و٣ ـ القمّي ٢: ٢٠.
٤ ـ البيضاوي ٣: ٢٠٢.
٥ ـ الآية: ٢٢، من هذه السورة.
٦ ـ البيضاوي ٣: ٢٠٢؛ والكشّاف ٢: ٤٥٠، عن ابن عبّاس.
٧ ـ القمّي ٢: ٢٠، وفيه: «والمعنى للنّاس».
٨ ـ المصدر، وفيه: «هنّ بنات الله».
٩ ـ في «ب»: «يجعل»، والأصحّ: «بجعل».

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ﴾ : كرّرنا الدّلائل وفصّلنا العبر ﴿ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا ﴾ ليتّعظوا ويعتبروا ﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ عن الحقّ.

﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ : لطلبوا إلى مالك المُلك سبيلاً بالتقرّب والطّاعة، كما قال. «يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ»[1]

﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾. قال: «تنقّض[2] الجدر تسبيحها»[3]. وسئل: أتسبّح الشّجرة اليابسة؟ فقال: «نعم، اما سمعت خشب البيت كيف ينقض، وذلك تسبيحه لله، فسبحان الله على كلّ حال»[4].

اقول. وذلك لانّ نقصانات الخلايق دلائل كمالات الخالق، وكثراتها واختلافاتها شواهد وحدانيته، وانتفاء الشّريك عنه والضّدّ والنّدّ.

قال: «بتشعيره المشاعر عرف ان لامشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف ان لاجوهر له، وبمضادّته بين الاشياء عرف ان لاضدّ له، وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لاقرين له»[5] الحديث.

فهذا تسبيحٌ فطريٌّ واقتضاءٌ ذاتيٌّ نشأ عن تجلٍّ تجلّى لهم فاحبّوه؛ فانبعثوا إلى الثّناء عليه من غير تكليف، وهي العبادة الذاتيّة؛ الّتي اقامهم الله فيها بحكم الاستحقاق الّذي

١ ـ الآية ٥٧، من نفس السورة

٢ ـ تَنَقَّضَ البيت تشقّق، فسُمِعَ له صوت. القاموس المحيط ٢: ٣٦٠ (نقض)

٣ ـ الكافي ٦: ٥٣١، الحديث ٤، عن ابي عبدالله عليه السلام وفي العيّاشي ٢: ٢٩٣، الحديث ٧٩، عنه عليه السلام

٤ ـ العيّاشي ٢: ٢٩٤، الحديث ٨٤، عن جعفر بن محمّد، عن ابيه عليهما السّلام، ولم ترد فيه كلمة «لله»

٥ ـ الكافي ١: ١٣٩، ذيل الحديث: ٤، عن امير المؤمنين عليه السلام؛ ونهج البلاغة (للصّبحي الصّالح) ٢٧٣، الخطبة ١٨٦

يستحقّه جلّ جلاله.

﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ لايعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم ﴿غَفُورًا﴾ لمن تاب منكم.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ عن الحسّ من قدرة الله تعالى يحجبك عنهم.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ تكنّها وتحول دونها عن إدراك الحقّ وقبوله ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يمنعهم عن استماعه ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ غير مشفوع به آلهتهم ﴿وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾: هرباً من استماع التّوحيد ونفرة.

قال: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل منزله واجتمعت عليه قريش يجهر ببسم الله الرّحمن الرّحيم، ويرفع بها صوته فتولّي قريش فراراً. فأنزل الله في ذلك "وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ" الآية»[1].

وفي رواية: «كان إذا صلّى بالنّاس جهر ببسم الله الرّحمن الرّحيم، فتخلّف من خلفه من المنافقين عن الصّفوف، فإذا جازها في السّورة عادوا إلى مواضعهم، وقال بعضهم لبعض: إنّه ليردّد اسم ربّه ترداداً[2]، إنّه ليحبّ ربّه. فأنزل الله الآية»[3].

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ بسببه من اللّغو والاستهزاء بالقرآن. ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾: متناجون ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾: قد سُحِرَ به، فَجُنَّ واختلط عليه عقله.

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾. مثّلوك بالسّاحر والشّاعر والكاهن والمجنون.

﴿فَضَلُّوا﴾ عن الحقّ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إليه.

١ـ الكافي ٨: ٢٦٦، الحديث: ٣٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ في «ب»: «تردّداً».
٣ـ العيّاشي ٢: ٢٩٥، الحديث: ٨٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا ﴾ : تراباً وغباراً، وانتثر لحومنا ﴿ أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴾ على الإنكار والاستبعاد. قال: «جاء أُبَيّ بن خلف، فاخذ عظماً بالياً من حائط ففتّه ثمّ قال: يا محمّد "إذا كنّا عظاماً ورفاتاً ءإنّا لمبعوثون خلقاً"؟ فانزل الله تعالى: "قالَ مَنْ يُحْيِي العظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذي أنْشَأهَا أوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ"[1]»[2].

﴿ قُل ﴾: جواباً لهم ﴿ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴾.

﴿ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ ﴾ فإنّه يقدر على إعادتكم احياء. قال: «الخلق الّذي يكبر في صدوركم الموت»[3]. ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ ﴾ فإنّه على الإعادة اقدر. ﴿ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ ﴾: فسيحركون نحوك رؤوسهم تعجّباً واستهزاء. ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴾ فإنّ كلّ ماهو آتٍ قريبٌ.

﴿ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ ﴾ اي: يوم يبعثكم فتنبعثون منقادين. استعار لهما الدّعاء والاستجابة للتّنبيه على سرعتهما وتيسّرا مرهما. ﴿ بِحَمۡدِهِۦ ﴾: حامدين لله على كمال قدرته ﴿ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾.

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي ﴾ يعني المؤمنين ﴿ يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ اي: يقولوا للمشركين الكلمة الّتي هي أحسن، ولايخاطبوهم بما يغيظهم ويغضبهم ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾: يهيج بينهم المراء والشّرّ، فلعلّ المخاشنة بهم تفضي إلى العناد وازدياد الفساد ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴾.

﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ ﴾. قيل: هي تفسير للّتي هي أحسن، ومابينهما اعتراض، اي: يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها، ولايصرّحوا بأنّهم

١ ـ يس (٣٦)، ٧٨ ـ ٧٩.
٢ ـ العيّاشي ٢: ٢٩٦، الحديث: ٨٩، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ القمّي ٢: ٢١، عن أبي جعفر عليه السلام.

من أهل النّار، فإنّ ذلك يهيّجهم على الشرّ، مع انّ ختام أمرهم غيب لايعلمه إلّا الله[1] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾: موكولاً إليك امرهم، تجبرهم على الإيمان، وإنّما ارسلناك مبشّراً ونذيراً، فدارهم ومُر[2] أصحابك بالاحتمال منهم.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وأحوالهم، فيختار منهم لنبوّته وولايته من يستاهل لهما، وهو ردّ لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيّاً، وان يكون الفقراء اصحابه. ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾.

قال: «سادة النّبيّين والمرسلين خمسة، وهم أولوا العزم من الرّسل وعليهم دارت الرّحى: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد عليهم السّلام»[3].

وفي الحديث النّبويّ: «إنّ الله فضّل انبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النّبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ وللائمّة من ولدك»[4].

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ انّها آلهة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ كالملائكة والمسيح وعزير[5] ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾ كالمرض والفقر والقحط ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ولاتحويل ذلك منكم إلى غيركم.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾: هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة بالطّاعة ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أي: يبتغي من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة، فكيف بغير الاقرب! ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ كسائر العباد، فكيف يزعمون أنّهم آلهة! ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ حقيقاً بان يحذره كلّ احد، حتّى الملائكة والرّسل.

١ ـ البيضاوي ٣: ٢٠٥؛ والكشّاف ٢: ٤٥٣.
٢ ـ في «ب»: «وامر».
٣ ـ الكافي ١: ١٧٥، الحديث: ٣، عن ابي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ علل الشرائع ١: ٥، الباب: ٧، الحديث: ١.
٥ ـ في نسخة: «كالمسيح وعزير والملائكة».

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾. قال: «هو الفناء بالموت»[١]. ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾: في اللوح المحفوظ مكتوباً.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحتها قريش ﴿إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾: إلّا تكذيب الأوّلين الّذين هم أمثالهم كعاد وثمود، وأنّها لو أُرسلت لكذّبوا بها، كما كذّب أولئك، واستوجبوا العذاب العاجل المستاصل، "وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ"[٢]. قال: «سأله قومه أن يأتيهم بآية، فنزل جبرئيل وقال: إنّ الله يقول "وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ" الآية، وكنّا إذا ارسلنا إلى قرية آية فلم يؤمنوا بها، أهلكناهم فلذلك أخّرنا عن قومك الآيات»[٣]. ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ بسؤالهم ﴿مُبْصِرَةً﴾: آية بيّنة ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾: فظلموا أنفسهم بسبب عقرها ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ وإنذاراً بعذاب الآخرة، فإنّ أمر من بُعثْتَ إليهم مؤخّر إلى يوم القيامة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ فهم في قبضة قدرته. وقيل: أي: أهلكهم، يعني بشّرناك بوقعة بدر، وتصرتك عليهم، وهو قوله "سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ"[٤] "سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ"[٥]، فجعله تعالى كأنّه قد كان على عادته في إخباره[٦]. ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾. ورد في أخبار كثيرة: «إنّه ﷺ أري في منامه أنّ بني تيم وبني عدي وبني أُميّة، يصعدون منبره، يردّون النّاس عن الإسلام القهقرى، فأصبح كئيباً حزيناً»[٧]. وفي رواية: «ينزون على منبره

١ ـ من لا يحضره الفقيه١: ١١٨، الحديث: ٥٦٢؛ والعيّاشي٢: ٢٩٧، الحديث: ٩١، عن أبي عبدالله ﷺ.
٢ ـ الأنفال(٨): ٣٣.
٣ ـ القمّي٢: ٢١، عن أبي جعفر ﷺ.
٤ ـ القمر(٥٤): ٤٥.
٥ ـ آل عمران(٣): ١٢.
٦ ـ الكشّاف٢: ٤٥٤.
٧ ـ الكافي٨: ٣٤٥، الحديث: ٥٤٣، عن أحدهما عليهما السّلام؛ والعيّاشي٢: ٢٩٨، الحديث: ١٠٠، عن أبي جعفر ﷺ.

نزو القردة»[1] وفي أخرى: «رأى في نومه كأنّ قروداً تصعد منبره، فساءه ذلك وغمّه غمّاً شديداً، فأنزل الله "وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ" ليعمهوا فيها»[2].

القمّي: كذا نزلت[3]. ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾. عطف على الرّؤيا. قال: «يعني بني أميّة»[4] في أخبار كثيرة[5]. ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بأنواع التّخويف ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ فيه لطافة لاتخفى.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾

قد سبق تفسيره[6].

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾: أخبرني ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾. فضّلته عليّ، لِمَ فضّلته وأنا خير منه؟! ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾. لأستأصلنّهم بالإغواء، ولأستولينّ[7] عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لاأقدر أن أقاوم سكينتهم.

﴿قَالَ اذْهَبْ﴾: امضِ لما قصدته. وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سوّلت له نفسه. ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾: جزاؤك وجزاؤهم: ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾: مكمّلاً.

﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾: واستخفّ[8] ﴿مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ﴾ أن تستفزّه ﴿بِصَوْتِكَ﴾: بدعائك إلى الفساد ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ﴾: وصِحْ عليهم ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾: بفرسانك

---

١ ـ الصّحيفة السّجّاديّة: ٦٥، جملة: ٥٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن جدّه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وتفسير القرآن العظيم (لابن كثير) ٣: ٥٢.

٢ ـ مجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٢٤، بالمضمون.

٣ ـ القمّي ١: ٢١.

٤ ـ العيّاشي ٢: ٢٩٧، الحديث: ٩٣، عن أبي جعفر عليه السلام.

٥ ـ المصدر، الأحاديث: ٩٤، ٩٥، ٩٩ و١٠٠؛ ومجمع البيان ٥ ـ ٦: ٤٢٤.

٦ ـ ذيل الآية: ٣٤، من سورة البقرة؛ والآية: ١١، من سورة الأعراف.

٧ ـ في «الف»: «الأستولين».

٨ ـ في «الف»: «واستخف».

ورواحليك، واحشرهم[1] عليهم تمثيل لتسلّطه على من يغويه، كمن صوّت على قوم فاستفزّهم من أماكنهم، وأجلب عليهم بجنده حتّى استأصلهم. ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام، وإنفاقها فيما لاينبغي ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾

«فإنّه إذا زنى الرّجل، أو اشترى الأمة بمال حرام، أو ترك اسم الله عند النّكاح[2]، فإنّ الشّيطان يدخل ذكره حينئذ ثمّ يختلط النّطفتان». كذا ورد[3].

وقال: «إذا اشتركا فربّما خلق من أحدهما، وربّما خلق منهما جميعاً»[4].

قال: «ويعرف بحبّنا وبغضنا، فمن أحبّنا كان نطفة العبد، ومن أبغضنا كان نطفة الشّيطان»[5].

﴿وَعِدْهُمْ﴾ المواعيد الكاذبة، كشفاعة الآلهة، وتأخير التّوبة لطول الأمل ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾. اعتراض.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ يعني المخلصين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ لهم، يتوكّلون عليه في الاستعاذة منك، فيحفظهم من شرك.

﴿رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي﴾: هو الذي يجري ﴿لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾: الرّبح[6] وأنواع الأمتعة الّتي لاتكون عندكم ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾: خوف الغرق ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾: ذهب عن خواطركم كلُّ من تدعونه[7] في حوادثكم ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾ وحده، فلاترجون هناك النّجاة إلّا

١ ـ في «ب»: «اجسرهم».
٢ ـ في «ب»: «على النّكاح».
٣ ـ الكافي٥: ٥٠٢، الحديث ٢، و٥٠٣، الحديث ٥؛ والعيّاشي٢: ٢٩٩، الحديث ١٠٢ و١٠٤ و٣٠٠، الحديث: ١٠٨، بالمضمون.
٤ ـ الكافي٥: ٥٠٣، الحديث: ٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ المصدر: ٥٠٢، الحديث: ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٦ ـ في «ب»: «الرّبح».
٧ ـ في «ب»: «من هو تدعونه».

من عنده. وقد مرّ في هذا المعنى حديث في سورة الفاتحة[١]. ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التّوحيد، واتّسعتم في كفران النّعمة ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً ترمي بالحصباء[٢] ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ يحفظكم من ذلك.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾: في البحر ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ بتقوية دواعيكم، إلى أن ترجعوا فتركبوه ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾ كاسراً ﴿مِّنَ الرِّيحِ﴾. قال: «هي العاصف»[٣]. ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بسبب إشراككم، أو كفرانكم نعمة الإنجاء ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ مطالباً يتبعنا بانتصار أو صرف.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ بالعقل والنّطق، والصّورة الحسنة والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد، والتّسلّط على ما في الأرض، وتسخير ساير الحيوانات، والتّمكّن من الصّناعات إلى غير ذلك. ورد: «في صورة الآدميّين، إنّها أكرم صورة على الله»[٤]. ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ قال: «على الرّطب واليابس»[٥]. ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: المستلذّات. قال: «يقول من طيّبات الثّمار كلّها»[٦].

وفي رواية: «إنّ الله لا يُكرِّمُ روحَ كافر ولكن كرَّمَ أرواحَ المؤمنين، وإنّما كرامة النّفس والدّم بالرّوح، والرّزق الطيّب هو العلم»[٧].

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾. قال: «من التّفضيل أنّه يرفع بيده إلى فيه طعامه»[٨] «وأنّه خلق منتصباً»[٩].

١ـ ذيل كلمة «بسم الله»
٢ـ الحَصْباء: صغار الحصى. المصباح المنير ١: ١٦٩ (حصب)
٣ـ القمّي ٢: ٢٢، عن أبي جعفر ﷺ.
٤ـ القمّي ١: ٨٥، عن أمير المؤمنين ﷺ
٥، ٦ و٨ـ الامالي (للشيخ الطوسي) ٢: ١٠٣، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.
٧ـ القمّي ٢: ٢٢، عن أبي جعفر ﷺ
٩ـ العيّاشي ٢: ٣٠٢، الخصيث: ١١٣، عن أبي جعفر ﷺ

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾: بمن ائتمّوا به، من نبيّ أو وصيّ أو شقيّ.

قال: «بإمامهم الّذي بين أظهرهم، وهو قائم أهل زمانه»[1].

وفي رواية: «إمام دعا إلى هدى فأجابوه، وإمام دعا إلى ضلالة[2] فأجابوه، هؤلاء في الجنّة وهؤلاء إلى النّار»[3].

وقال: «سيدعى كلّ أناس[4] بإمامهم، أصحاب الشّمس بالشّمس، وأصحاب القمر بالقمر، وأصحاب النّار بالنّار، وأصحاب الحجارة بالحجارة»[5].

وورد: «كم من إمام يجيء يوم القيامة يلعن أصحابه ويلعنونه»[6].

﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ مبتهجين بما يرون فيه ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: ولا ينقصون من أجورهم أدنى شيء. والفتيل: المفتول الّذي في شقّ النّواة.

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ﴾: أعمى القلب، لا يبصر رشده، ولا يهتدي إلى طريق النّجاة ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾. لا يهتدي إلى طريق الجنّة.

قال: «من لم يدلّه خلق السّموات والأرض، واختلاف اللّيل والنّهار، ودوران الفلك والشّمس والقمر، والآيات العجيبات، على أنّ وراء ذلك أمراً أعظم منه، فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً»[7].

وقال: «أشدّ العمى، من عمي عن فضلنا وناصبنا العداوة، بلا ذنب سبق إليه منّا؛ إلّا أن دعوناه إلى الحقّ، ودعاه من سوانا إلى الفتنة والدّنيا، فأتاهما ونصب البراءة منّا

---

١ ـ الكافي ١: ٥٣٦، الحديث: ٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ ـ في «ب»: «إلى ضلال».

٣ ـ الأمالي (للصدوق): ١٣١، ذيل الحديث الطويل ١٠، عن أبي عبدالله عليه السلام، وفيه «وهؤلاء في النار».

٤ ـ في «الصحاح»: «كلّ ناس».

٥ ـ العيّاشي ٢: ٣٠٣، الحديث: ١١٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٦ ـ المصدر، الحديث: ١٢٠، و٣٠٤، الحديث: ١٢٣، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٧ ـ التوحيد: ٤٥٥، الباب: ٦٧، الحديث: ٦، عن أبي جعفر عليه السلام.

والعداوة»[1].

﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾: قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك في الفتنة بالاستنزال ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: عن حكمه ﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾: غير ما أوحينا إليك. القمّي: يعني في أمير المؤمنين عليه السلام[2]. ﴿وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾: ولو اتّبعتَ مرادهم لاظهروا خُلّتك. القمّي: يعني لاتخذوك صديقاً لو أقمت غيره[3].

﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾: لقاربتَ أن تميلَ إلى اتباع مرادهم.

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾. قيل: أي: عذاباً ضعفاً في الحياة وعذاباً ضعفاً في الممات، يعني مضاعفاً على ما إذا فعله غيرك، لأنّ خطأ الخطير أخطر[4].

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ يدفع عنك.

قال: «إنّ هذا ممّا نزل: بإيّاكِ أعني واسمعي يا جاره[5]. خاطب اللهُ بذلك نبيَّه والمرادُ به أُمّته»[6]. وفي رواية: «عني بذلك غيره»[7]. وفي أخرى: «إنّه من فريّة[8] الملحدين

١ ـ الخصال ٢: ٦٣٣، في حديث أربعمائة، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه «والعداوة لنا».
٢ ـ القمّي ٢: ٢٤
٣ ـ القمّي ٢: ٢٤.
٤ ـ البيضاوي ٣: ٢٠٨
٥ ـ إيّاكِ أعني فاسمعي يا جارَة: أول من قاله سَهْل بن مالك الفَزاري. وذلك أنّه عدل في طريقه إلى النعمان إلى خباء حارثة بن لأم الطائي، فما أصابه شاهداً، فرحبت به أخته، وكانت جميلة بيلة، ثم إنّه اتكى بها، فجلس وهو يترنّم بقوله:

يا أُختَ خَيرِ البَدْوِ والحَضارَة … كيفَ تَرَيْنَ في فتى فَزارَة
أصبحَ يَهوى حُرَّةً مِعْطارَة … إيّاكِ أعني واسْمَعي يا جارَة

يضرب في التعريض بالشيء، يليه الرجل وهو يريد غيره. المستقصى ١: ٤٥٠؛ مجمع الأمثال ١: ٨٠.
٦ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٠٢، الباب ١٥، ذيل الحديث: ١؛ والعيّاشي ١: ١٠، الحديث: ٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٧ ـ الكافي ٢: ٦٣١، ذيل الحديث: ١٤؛ والعيّاشي ١: ١٠، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ ـ في المصدر: «من فرقة».

وتحريفهم»[1].

﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾: ليزعجونك[2] بمعاداتهم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ مكّة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني لو خرجت لايبقون بعد خروجك إلّا زماناً قليلاً. القمّي: حتّى قتلوا ببدر[3]. قيل: وكان ذلك بعد الهجرة بسنة[4].

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾: سنّ الله ذلك سنّة، وهو أن يهلك كلّ أمّة أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾: تغيراً.

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾: لزوالها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾: إلى ظلمته. قال: «دلوكها: زوالها، 'وغسق الليل': انتصافه، وفيما بينهما أربع صلوات»[5]. ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾. قال: «يعني صلاة الفجر يشهده ملائكة اللّيل وملائكة النّهار، فإذا صلّى العبد الصّبح مع طلوع الفجر أثبتت له مرّتين، أثبتها ملائكة اللّيل وملائكة النّهار»[6]. وقال: «في هذه الآية جمعت الصّلوات كلّهن»[7].

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ وبعض اللّيل فاترك الهجود للصّلاة بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: فريضة زائدة لك على الصّلوات المفروضة.

ورد: سئل عن النّوافل فقال: «فريضة، ثمّ قال: أعني صلاة اللّيل على رسول الله ﷺ، ثمّ تلا هذه الآية»[8].

١ - الاحتجاج١: ٣٨٣، عن أمير المؤمنين ﵇، بالمضمون.
٢ - أزعجه: أي: أقلقه وقلعه من مكانه. الصحاح١: ٣١٩(زعج).
٣ - القمّي٢: ٢٤.
٤ - البيضاوي٣: ٢٠٨.
٥ - الكافي٣: ٢٧١، الحديث: ١؛ ومن لايحضره الفقيه١: ١٢٥، الحديث: ٦٠٠؛ والتّهذيب٢: ٢٤١، الحديث: ٩٥٤؛ والعيّاشي٢: ٣٠٨، الحديث: ١٣٦، عن أبي جعفر ﵇، مع تقدّم و تأخّر في العبارة.
٦ - الكافي٣: ٢٨٣، ذيل الحديث: ٢؛ والاستبصار١: ٢٧٥، الحديث: ٩٩٥، عن أبي عبدالله ﵇.
٧ - العيّاشي٢: ٣٠٩، الحديث: ١٤١، عن الصادقين عليها السلام.
٨ - التّهذيب٢: ٢٤٢، الحديث: ٩٥٩، عن أبي عبدالله ﵇.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾. قال: «هي الشفاعة»[١]. وفي الحديث النبوي: «هو المقام الّذي أشفع لأمتي»[٢].

وقال: «إذا قمت المقام المحمود تشفّعت في أصحاب الكبائر من أمّتي، فيشفّعني الله فيهم، والله لاتشفّعت فيمن آذىٰ ذرّيّتي»[٣].

﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾. القمّي: نزلت يوم فتح مكّة، لمّا اراد دخولها[٤].

﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾. قال: «إنّه دخل يوم فتح مكّة والأصنام حول الكعبة، وكانت ثلاثمائة وستّين صنماً، فجعل يطعنها بمخصَرَة[٥] في يده ويقول: "جاءَ الحَقُّ وزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً" "وَمَا يُبدِئُ الباطِلُ وما يُعيدُ"[٦]، فجعلت تنكّب لوجهها»[٧].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: في معانيه شفاء الارواح، وفي ألفاظه شفاء الأبدان؛

ورد: «ماشتكىٰ احدٌ من المؤمنين شكاية قطّ وقال بإخلاص نيّة ومسح موضع العلّة "وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ" الآية إلّا عوفِيَ من تلك العلّة، أيّة علّة كانت، ومصداق ذلك في الآية حيث يقول: "شِفاءٌ ورَحْمَةٌ لِلمُؤمِنينَ"»[٨].

١ـ العيّاشي ٢: ٣١٤، الحديث: ١٤٨، عن أحدهما عليهما السلام
٢ـ روضة الواعظين: ٥٠٠
٣ـ روضة الواعظين: ٢٧٣، عن النبيّ ﷺ
٤ـ القمّي ٢: ٢٦
٥ـ المخصَرَة ـ كمِكنَسة ـ: مايتوكّأ عليه كالعصا ونحوه، ومايأخذه الملك يشير به إذا خاطب، والخطيب إذا خطب. القاموس المحيط ٢: ٢١ (خصر).
٦ـ سبأ (٣٤): ٤٩.
٧ـ الأمالي ١: ٣٤٦، عن أبي عبدالله، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام.
٨ـ طبّ الأئمّة: ٢٨، عن أبي عبدالله ﷺ.

وقال: «لا بأس بالرّقية والعوذة والنّشرة إذا كانت من القرآن، ومن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله»[1] ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ لتكذيبهم وكفرهم به.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ﴾ بالصّحّة والسّعة ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ذكر الله ﴿وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾: لوى عطفه وبَعُدَ بنفسه عنه، كأنّه مستغنٍ مستبدٌّ برأيه. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ من مرض أو فقر ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾: شديد اليأس من روح الله.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾: على ما يُشاكل حاله في الهدى والضّلالة. قال: «يعني على نيّته»[2].

وقال: «إنّما خُلّد أهل النّار في النّار، لأنّ نيّاتهم كانت في الدّنيا أن لو خُلّدوا فيها أن يَعْصوا الله أبداً، وإنّما خُلّد أهلُ الجنّة في الجنّة، لأنّ نيّاتهم كانت في الدّنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً؛ فبالنّيّات خُلّد هؤلاء وهؤلاء، ثمّ تلا: "قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ"»[3].

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. قال: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ، وهو مع الائمّة عليهم السلام، وهو من الملكوت»[4].

وفي رواية: «خلق من خلقه، له بصر[5] وقوّة وتأييد، يجعله في قلوب المؤمنين

١ ـ طبّ الأئمّة: ٤٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ ـ الكافي ٢: ١٦، الحديث: ٤، و٨٥، الحديث: ٥، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ ـ الكافي ٢: ٨٥، الحديث: ٥؛ والعيّاشي ٢: ٣١٦، الحديث: ١٥٨، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ الكافي ١: ٢٧٣، الحديث: ٣؛ والقمّي ٢: ٢٦، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ في «المصدر»: «له نصرة».

والرّسل»[1]. وفي أخرى: «وليس كلّما طلب وُجِدَ»[2]. وفي رواية: «سئل عنها، فقال: الّتي في الدّوابّ والنّاس، قيل: وماهي؟ قال: هي من الملكوت من القدرة»[3]. وقد سبق له بيان في سورة الحجر[4]. وهذه الأخبار إخبار بما يتميّز به عن غيره، وما أبهم في الآية حقيقته، فلا منافاة.

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾: قال: «وما أوتيتم كثيرٌ فيكم، قليلٌ عند الله»[5]. وفي رواية: «قال: تفسيرها في الباطن: أنّه لم يؤتَ العلمَ إلّا أناسٌ يسير فقال "وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلّا قَلِيلاً" منكم»[6].

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾: ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصّدور ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾: من يتوكّل علينا باسترداده وإعادته محفوظاً مستوراً.

﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾: إلّا أن يرحمك ربّك فيردّه عليك ﴿ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾.

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ في البلاغة وحسن النّظم وجزالة[7] المعنى ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ وفيهم العرب العرباء وأرباب البيان ﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾.

١ ـ العيّاشي ٢: ٣١٦، الحديث: ١٦٠، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام، وفيه: «يجعله في قلوب الرسل والمؤمنين».

٢ ـ الكافي ١: ٢٧٣، الحديث: ٤، والعيّاشي ٢: ٣١٧، الحديث: ١٦١، عن أبي عبدالله عليه السلام. وفي العيّاشي: «ليس كما طلب وجد».

٣ ـ العيّاشي ٢: ٣١٧، الحديث: ١٦٣، عن أحدهما عليهما السلام، مع تفاوت يسير.

٤ ـ ذيل الآية: ٢٩.

٥ ـ القمّي ٢: ١٦، عن أبي جعفر عليه السلام، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

٦ ـ العيّاشي ٢: ٣١٧، الحديث: ١٦٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٧ ـ جَزُلَ يجزُلُ جزالةً الشيءُ: عظم، واللفظ: فصح ومتن. الرائد ١: ٥١٢ (جزل).

ورد. «إنّ ابن أبي العوجاء وثلاثة من الدّهرية اتّفقوا على أن يُعارِض كلٌّ منهم ربع القرآن، وكانوا بمكّة، وعاهدوا على أن يجيئوا بمعارضته في العام القابل، فلمّا حال الحول واجتمعوا مقام إبراهيم، قال أحدهم: إنّي لمّا رأيت قوله: "يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ"[1] كففت عن المعارضة. وقال الآخر: وكذا أنا لمّا وجدت قوله: "فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً"[2] آيست عن المعارضة. وكانوا يسترون ذلك، إذ مرّ عليهم جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام، فالتفت إليهم، وقرأ عليهم: "قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ" الآية. فبهتوا»[3].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: كرّرنا بوجوه مختلفة؛ زيادة في التقرير والبيان ﴿لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: من كلّ معنى كالمثل في غرابته ووقوعه موقعاً في الأنفس ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: إلّا جحوداً.

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ قال: «عيناً»[4].

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ قال: «أي: بستان»[5]. ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ قال: «أي. من تلك العيون»[6].

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾: قطعاً. قال. «وذلك أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّه سيسقط من السّماء كسفاً، لقوله: "وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ"»[7]. ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾. قال: «أو تأتي به وبهم، وهم لنا مقابلون»[8]. وفي رواية: «القبيل: الكثير»[9].

١ ـ هود(١١): ٤٤.

٢ ـ يوسف(١٢): ٨٠.

٣ ـ الخرائج والجرائح٢: ٧١٠، الغيبة: ٤٥، والاحتجاج٢: ١٤٢.

٤، ٥، ٦و٧ ـ القمّي٢: ٢٧ عن أبي جعفر ﷺ. والآية في سورة الطور(٥٢): ٤٤.

٨ ـ الاحتجاج١: ٢٧، عن أبي محمّد الحسن العسكري، عن أبيه عليهم السلام.

٩ ـ القمّي٢: ٢٧، عن أبي جعفر ﷺ.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ قال: «من ذهب»[1]. ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ﴾ قال: «أي. تصعد»[2]. ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ قال: «الصعودك»[3] أي: وحده ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ فيه تصديقك. ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تنزيهاً لله من أن يتحكّم عليه أحدٌ، ويأتي بما يقترحه الجهّال ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ كسائر الرّسل، وقد كانوا لا يأتون إلّا بما يظهره الله عليهم من الآيات على ما يلائم حال قومهم، وليس أمر الآيات إليّ وإنّما هو إلى الله، وهو العالمُ بالمصالح، فلا وجه لطلبكم إيّاها منّي.

قال ﷺ بعد تلاوة هذه الآية: «ما أبعد ربّي عن أن يفعل الأشياء على قدر ما يقترحه الجهّال بما يجوز وما لا يجوز[4]، "وهَلْ كُنْتُ إلاّ بَشَراً رَسُولاً" لا يلزمني إلاّ إقامة حجّة الله الّتي أعطاني، وليس لي أن آمر على ربّي ولا أنهى ولا أشير، فأكون كالرّسول الّذي بعثه مَلِكٌ إلى قومٍ من مخالفيه، فرجع إليه يأمره أن يفعل بهم ما اقترحوه عليه»[5].

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾: وما منعهم الإيمان بعد ظهور الحقّ إلاّ إنكارهم أن يرسل الله بشراً.

﴿قُل﴾ جواباً لشبهتهم ﴿لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ كما يمشي بنو آدم ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾: ساكنين فيها ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ لتمكّنهم من الاجتماع به والتّلقّي منه، وأمّا الإنس فعامّتهم عماة عن إدراك المَلَك والتّلقّف[6] منه، فإنّ ذلك مشروط بنوع من التّناسب والتّجانس، وليس إلاّ لمن يصلح للنّبوّة.

١ ـ الاحتجاج ١: ٣٥، عن أبي محمّد الحسن العسكري، عن أبيه، عن رسول الله صلوات الله عليهم وفيه: «وهو الذهب».

٢، ٣ ـ المصدر: ٢٨، عنه ﷺ.

٤ ـ في المصدر: «ممّا يجوز وممّا لا يجوز».

٥ ـ الاحتجاج ١: ٣٥، عن أبي محمّد الحسن العسكري، عن أبيه، عن رسول الله صلوات الله عليهم.

٦ ـ تلقّف الكلام من فمه: حفظه بسرعة. المرشد ١: ٤٤٥ (لقف).

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على أنّي رسول إليكم، وأنّي قد قضيتُ ما عليّ من التبليغ ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾. فيه تسلية للرّسول، وتهديد للكفّار.

﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ﴾ يهدونه ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾[1] قال: «على جباههم»[2] ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾. لايُبصرون مايقرّ أعينهم، ولايسمعون مايلذّ مسامعهم، ولاينطقون بما ينفعهم ويقبل منهم، لأنّهم في الدّنيا لم يستبصروا بالآيات والعبر، وتصامّوا عن استماع الحقّ، وأبوا أن ينطقوا به.

﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾: كلّما انطفت بأن أكلت جلودهم ولحومهم، زدناهم توقّداً، بأن تبدّل جلودهم ولحومهم متلهّبة متسعّرة.

ورد: «إنّ في جهنّم وادياً يقال له «سعير»، إذا خبت جهنّم فتح سعيرها[3]، وهو قوله تعالى "كُلَّما خَبَتْ زِدناهُمْ سَعيراً"»[4]. أي: كلّما انطفت.

﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ أي: فنفنيهم ونعيدهم، ليزيد ذلك تحسّرهم على التّكذيب بالبعث، فإنّهم لما كذّبوا بالإعادة بعد الإفناء جزاهم الله، بأن لايزالون على الإعادة والإفناء.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾. أو لم يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ فإنّهم ليسوا أشدّ خلقاً منهنّ، ولا الإعادة أصعب عليه من الإبداء ﴿وَجَعَلَ

---

١. أخرج أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم، وأبو نعيم في المعرفة، وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات، عن أنس قال: قيل يا رسول الله، كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال: «الّذي أمشاهم على أرجلهم، قادرٌ أن يمشيهم على وجوههم». الدّرّ المنثور ٥: ٣٤١.

٢ـ العيّاشي ٢: ٣١٨، الحديث: ١٦٨، مرفوعة، عن أحدهما عليهما السلام.

٣ـ في العيّاشي: «فتح سعيرها».

٤ـ العيّاشي ٢: ٣١٨، الحديث: ١٦٩؛ والقمّي ٢: ٢٩، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام.

﴿لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾: جحوداً.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾: خزائن أرزاق الله ونعمه على خلقه ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ﴾: لبخلتم[1] مخافة النّفاد بالإنفاق ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾: بخيلاً، لأنّ بناء أمره على الحاجة والضّنّة[2] بما يحتاج إليه، وملاحظة العوض فيما يبذل.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾. قال: «هي الجراد والقمّل والضّفادع والدّم والطّوفان والبحر والحجر والعصا ويده»[3]. وفي رواية: «العصا وإخراج يده من جيبه بيضاء، والجراد والقمّل والضّفادع والدّم، ورفع الطّور، والمنّ والسّلوى آية واحدة، وفلق البحر»[4].

﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عنها، ليظهر للمشركين صدقك. فهو اعتراض. كذا قيل[5]. ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ موسى ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾: سُحرت، فتخبّط عقلك.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾: بيّنات، تبصّرك صدقي، ولكنّك معاند ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾: مصروفاً عن الخير أو هالكاً، قابل ظنّه المكذوب بظنّه الصّحيح. قال: «أراد أن يخرجهم من الأرض، وقد علم فرعون وقومه ما أنزل تلك الآيات إلّا الله»[6]. وفي رواية: «علمتُ بضمّ التّاء، قال: والله ما علم عدوّ الله، ولكن موسى هو الّذي

١ ـ في «الف»: «لبخلتم».
٢ ـ الضّنّة ـ بالكسر ـ: البخل. المصباح المنير ٢: ١٢ (ضنن).
٣ ـ الخصال ٢: ٤٢٣، الحديث: ٢٤، عن أبي عبدالله عليه السلام؛ والعيّاشي ٢: ٣١٨، الحديث: ١٧٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ ـ قرب الإسناد: ٣١٨، ذيل الحديث: ١٢٢٨، عن موسى بن جعفر عليهما السلام.
٥ ـ تفسير الكبير (للفخر الرّازي) ٢١: ٦٤.
٦ ـ القمّي ٢: ٢٩، عن أبي جعفر عليه السلام.

علم»[١].

﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾: أن يستخفّ موسى وقومه، وينفيهم من الأرض بالاستيصال، أو أرض مصر ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾: فعكسنا عليه مكره، فاستفززناه وقومه بالإغراق.

﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ التي أراد أن يستفزّكم منها ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾: مختلطين، ثمّ نحكم بينكم. واللّفيف: الجماعات من قبائل شتّى. قال: «أي: من كلّ ناحية»[٢]. وفي رواية: «لفيفاً يقول: جميعاً»[٣].

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي: وما أنزلنا القرآن إلّا بالحقّ، وما نزل إلّا بالحقّ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ للمطيع بالثواب ﴿وَنَذِيرًا﴾ للعاصي بالعقاب.

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾: نزّلناه منجماً ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾: على مَهَلٍ وتُؤَدَةٍ، فإنّه أيسر للحفظ وأعون في الفهم ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ على حسب الحوادث.

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ فإنّ إيمانكم بالقرآن لايزيده كمالاً، وامتناعكم عنه لايورثه نقصاناً ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ أي: العلماء الّذين أوتوا الكتب السّابقة، وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النّبوّة، وتمكّنوا من الميز بين الحقّ والمبطل. القمّي: يعني أهل الكتاب الّذين آمنوا برسول الله[٤]. ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾: يسقطون على وجوههم تعظيماً لأمر الله، وشكراً لإنجازه وعده في تلك الكتب، ببعثة محمّد ﷺ على فترة من الرّسل، وإنزال القرآن عليه.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ عن خلف الوعد ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ إنّه كان

١ ـ مجمع البيان ٦: ٤٤٤، والدرّ المنثور ٥: ٣٤٤، عن أمير المؤمنين ؈.
٢ ـ القمّي ٢: ٢٩، في رواية عليّ بن إبراهيم.
٣ ـ المصدر، عن أبي جعفر ؈.
٤ ـ القمّي ٢: ٢٩.

وعده كائناً لامحالة.

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾. كرّره لاختلاف الحالين، وهما: خرورهم للشكر وإنجاز الوعد[1] حال كونهم ساجدين؛ وخرورهم لما أثّر فيهم من المواعظ، حال كونهم باكين. وذكر الذّقن، لأنّه أوّل مايلقى الأرض من وجه السّاجد. والقمّي. فسّر الأذقان بالوجوه[2]. ومعنى اللاّم الاختصاص، لأنّهم جعلوا أذقانهم ووجوههم للسّجود والخرور ﴿ وَيَزِيدُهُمْ ﴾ سماع القرآن ﴿ خُشُوعًا ﴾ لمايزيدهم علماً ويقيناً.

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ﴾: سمّوا الله بأيّ الاسمين شئتم، فإنّهما سيّان في حسن الإطلاق. والمعنى بهما واحد ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ أي: أيّ هذين الاسمين سمّيتم وذكرتم فهو حسن. موضع موضعه: «فله الأسماء الحسنى» للمبالغة والدّلالة على ماهو الدّليل عليه، فإنّه إذا حسنت أسماؤه كلّها، حسن هذان الاسمان؛ لأنّهما منها. و«ما» مزيدة مؤكّدة للشّرط، والضّمير في «له» للمسمّى. ومعنى كون أسمائه أحسن الأسماء، استقلالها بمعاني التّمجيد والتّعظيم والتّقديس، ودلالتها على صفات الجلال والإكرام.

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ بعني بقراءتها ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾.

قال: «الجهر بها: رفع الصّوت، والتّخافت: مالاتسمع نفسك، واقرأ بين ذلك»[3].

وفي رواية: «الإجهار أن ترفع صوتك تسمعه من بَعُدَ عنك، والإخفات أن لاتسمع من معك إلاّ يسيراً»[4].

و ورد: «إنّه ﷺ إذا كان[5] بمكّة جهر صوته، فيعلم بمكانه المشركون، فكانوا يؤذونه

١ ـ في «ب»: «وهما خرورهم لإنجاز الوعد».
٢ ـ القمّي ٢: ٢٩.
٣ ـ القمّي ٢: ٣٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٤ ـ المصدر، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٥ ـ في «ب» و«ج»: «إذ كان».

فنزلت»[1].

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾. القمّي: ولم يذلّ فيحتاج إلى ناصر ينصره[2]. ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ ورد: «إنّ معنى الله أكبر: الله أكبر من أن يوصف»[3].

تمّ الجزء الأوّل من الأصفى، ويتلوه في الجزء الثّاني من سورة الكهف إلى آخر القرآن، إن شاء الله العزيز المنّان.

١ ـ العيّاشي ٢: ٣١٨، الحديث: ١٧٥، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام.
٢ ـ القمّي ٢: ٣٠.
٣ ـ الكافي ١: ١١٧ ـ ١١٨، الحديث: ٨و٩؛ والتّوحيد: ٣١٣، الباب: ٤٦، الحديث: ١و٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.

فهرس المصادر[1]

«الاحتجاج». لابي منصور احمدبن علي بن ابي طالب الطبرسي(ق٦). قم، مكتبة القدس.

«الإرشاد». لابي عبدالله محمّدبن محمّدبن النّعمان البغدادي، الشيخ المفيد (٣٣٦ـ٤١٣) قم، مكتبة بصيرتي. [بالأوفست عن مطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف الاشرف]

«الاستغاثة في بدع الثلاثة». للسيّد ابي القاسم علي بن أحمد الكوفي (م٣٥٢). جزءان في مجلدٍ واحد، ٨٢ + ٩٢ ص/ النجف الاشرف.

«اسد الغابة». لابي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني، ابن الاثير. بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«اسرار الآيات». لصدر الدين محمّدبن إبراهيم الشيرازي (١٠٥٠). تقديم وتصحيح محمّد خواجوي، وزارة الثقافة والتعليم العالي، ١٤٠٢.

«الإصابة في تمييز الصحابة» لاحمدبن علي بن محمّد العسقلاني، ابن الحجر (٨٥٢). الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٢٨.

«الاعلام» لخير الدين الزركلي (١٣١٠ـ ١٣٩٦). الطبعة السادسة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

١ـ يشتمل مصادر الجزئين.

«أعيان الشيعة». للسيّد محسن بن عبدالكريم الأمين الحسيني العاملي الشقرائي (١٢٨٤ـ ١٣٧١) إعداد السيّد حسن الأمين. الطبعة الخامسة، ١٠ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

«أقرب الموارد». لسعيد الخوري الشرتوني اللبناني الطبعة الأولى

«أمالي الصدوق». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (٣٨١). تقديم الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الخامسة، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٠.

«أمالي الطوسي». لأبي جعفر محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠). إعداد السيّد محمّد صادق بحرالعلوم. مجلّدان، بغداد، المكتبة الأهلية، ١٣٨٤/ ١٩٦٤م

«أمالي المفيد». لأبي عبدالله محمّدبن محمّدبن النُعمان البغدادي، الشيخ المفيد (٣٣٦ـ٤١٣). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري وحسين أُستاد ولي. الطبعة الثانية، قم، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣

«بحار الأنوار الجامعة لِدُرَرِ أخبار الأئمة الأطهار». للعلاّمة محمّد باقربن محمّدتقي المجلسي (١٠٣٧ـ ١١١٠) إعداد عدّةٍ من العلماء. الطبعة الثالثة، ١١٠ مجلّد (إلّا ٦ مجلّدات، من المجلّد ٢٩ـ ٣٤) + المدخل، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م [بالأوفست عن طبعة إيران].

«بشارة المصطفى لشيعة المرتضى». لأبي جعفر محمّدبن أبي القاسم محمّدبن عليّ الطبري (القرن السادس). الطبعة الثانية، النجف الأشرف، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

«بصائر الدرجات» لأبي جعفر محمّدبن الحسن بن فروخ الصفّار (٢٩٠). تقديم وتعليق و تصحيح ميرزا محسن كوچه باغي، شركت چاپ كتاب، ١٣٨٠.

«البيان في تفسير القرآن» للسيّد أبي القاسم الموسوي الخوئي. الطبعة الثانية، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٣٨٥/ ١٩٦٦.

«تاج العروس من جواهر القاموس». للسيّد محمّد بن محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي

(١١٤٥ـ١٢٠٥) ١٠ مجلّدات، مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦ـ١٣٠٧[1]

«تاج العروس من جواهر القاموس». للسيّد محمّدبن محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي (١١٤٥ـ ١٢٠٥). تحقيق عدّة من الفضلاء. [الطبعة الأولى]، صدر منه حتّى الآن ٢٥ جزءاً، [بيروت]، دار الهداية [بالأوفست عن طبعة الكويت، ١٣٨٥ـ١٤٠٩ / ١٩٦٥ـ١٩٨٩م].

«تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة». للسيد شرف الدين عليّ الحسيني الأسترابادي الغروي (القرن العاشر). تحقيق حسين أستاد ولي، الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.

«التبيان في تفسير القرآن». لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّدبن الحسن، الطوسي (٣٨٥ـ٤٦٠). إعداد أحمد حبيب قصير العاملي. ١٠ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي. [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف].

«تحف العقول». لحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبه الحراني (ق ٤). تصحيح وتعليق عليّ اكبر الغفاري، الطبعة الثانية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤

«ترتيب كتاب العين». ترتيب وإعداد محمّدحسن بكائي. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤.

«تفسير ابن جزي». لمحمّدبن أحمدبن جزي الكلبي. بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣.

«تفسير أبي السعود» = «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم». للإمام أبي السعود محمّدبن محمّد العمادي (٩٥١). ٩ أجزاء في ٤ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«تفسير البغوي». لأبي محمّد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠). بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥.

«تفسير البيضاوي». لأبي سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي (٦٨٥). بيروت، دار الجليل.

«تفسير روح البيان». للشيخ إسماعيل حقي البرسوي (م١١٣٧) ١٠ مجلّدات، بيروت،

١ـ كلّما أرجعنا إلى هذه الطبعة ـ لأنّ الطبعة المحقّقة لا تكمل بعدُ ـ ذكرنا بعد اسم الكتاب «الطبعة القديمة»؛ تمييزاً بينها وبين الطبعة الجديدة المحقّقة

دار إحياء التراث العربي.

«تفسير روح الجنان» لأبي الفتوح الرازي (ق ٦) قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤

«تفسير الصافي». لمحمّدبن مرتضى المولى محسن الفيض الكاشاني (١٠٩١). تصحيح وتقديم وتعليق الشيخ حسين الأعلمي. الطبعة الأولى، مشهد، دار المرتضى

«تفسير العياشي». لأبي النصر محمّدبن مسعودبن عياش السمرقندي (ق٣) تصحيح و تحقيق و تعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي. قم، المطبعة العلمية.

«تفسير فرات الكوفي» لفرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (ق٣) قم، مكتبة الداوري

«تفسير القرآن العظيم». لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠١ـ ٧٧٤). الطبعة الجديدة المصحّحة، ٤ مجلّدات، بيروت، دار المعرفة.

«تفسير القمي». لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (ق ٣ـ٤). تصحيح و تعليق و تقديم السيد طيب الجزائري الطبعة الثالثة، قم، مؤسسة دار الكتاب، ١٤٠٤.

«التفسير الكبير» = «تفسير الرازي» = «مفاتيح الغيب». لمحمّدبن عُمَر الخطيب فخرالدين الرازي (٥٤٤ـ ٦٠٦). الطبعة الثالثة، ٣٢ جزءاً في ١٦ مجلّداً، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«التفسير المنسوب إلى الإمام ابي محمّدالحسن بن عليّ العسكري عليهم السلام». تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام. قم، مطبعة مهر، ١٤٠٩هـ.

«تفسير نور الثقلين». للشيخ عبدعليّبن جمعة العروسي الحويزي. (م ١١١٢). تصحيح و تعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي. ٥مجلّدات، قم، مطبعة العلمية [بالأوفست]

«تنقيح المقال في علم الرجال». للشيخ عبدالله بن محمّد حسن المامقاني (١٢٩٠ـ ١٣٥١) الطبعة الثانية، ٣ مجلّدات، [قم]. [بالأوفست عن طبعة النجف الاشرف، المطبعة المرتضوية، ١٣٥٢].

«التوحيد». لأبي جعفر محمّدبن عليّبن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م٣٨١) الطبعة الرابعة، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي.

«تهذيب الأحكام». لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠) إعداد السيّد حسن الموسوي الخرسان. الطبعة الثالثة، ١٠ مجلّدات، طهران، دار الكتب

الإسلامية، ١٣٦٤هـ.ش

«تهذيب التهذيب». لأبي الفضل أحمدبن عليّ بن حجر العسقلاني (٨٥٢). الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر، ١٣٢٥.

«ثواب الأعمال». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١). تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري، طهران، مكتبة الصدوق، ١٣٩١.

«الجامع لأحكام القرآن». لأبي عبدالله محمّدبن أحمد الأنصاري القرطبي (م ٦٧١). الطبعة الثانية، ٢٠ جزءاً في ١٠ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٧م. [بالأوفست عن الطبعة السابقة].

«جامع البيان في تفسير القرآن». لأبي جعفر محمّدبن جرير الطبري (م ٣١٠). ٣٠ جزءاً في ١٢ مجلّداً، بيروت، دار المعرفة.

«جوامع الجامع في تفسير القرآن الكريم». لأبي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطَبْرِسي (حوالي ٤٧٠ـ٥٤٨). تحقيق السيد محمّد عليّ القاضي الطباطبائي. مجلّد واحد، تبريز، مطبعة مصباحي [بالأوفست عن طبعة تبريز، الرجب ١٣٧٩هـ].

«جوامع الجامع». لأبي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطَبْرِسي (حوالي ٤٧٠ـ ٥٤٨). تحقيق أبوالقاسم گُرجي. الطبعة الثانية، مجلّدان حتّى الآن، قم، شورى مديرية الحوزة العلمية بقم، ١٤٠٩/١٣٦٧هـ.ش.

«الخرائج والجرائح». لقطب الدين الراوندي (٥٧٣). الطبعة الأولى، قم، مؤسسة الإمام المهدي(ع)، ١٤٠٩.

«الخصال». لأبي جعفر محمّدبن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي

«دائرة المعارف الإسلامية». لمجموعة من المستشرقين. ترجمة محمّد ثابت الفندي، أحمد الشنتاوي إبراهيم زكي، عبدالحميد يونس.

«دائرة معارف القرن العشرين». لمحمّد فريد وجدي (١٣٧٣). الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩.

«الدرّ المنثور في التفسير المأثور». لعبدالرحمن جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١). الطبعة الأولى، ٨ مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«الرائد». جبران مسعود. الطبعة الخامسة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٦.

«روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». لابي الفضل شهاب الدين السيد المحمود الآلوسي البغدادي (م ١٢٧٠). ٣٠ جزءاً في ١٥ مجلّداً، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«روضة الواعظين». لمحمّد بن الفتال النيسابوري (٥٠٨). تقديم السيد محمّد مهدي الخرسان، قم، منشورات الشريف الرضي.

«زاد المسير في علم التفسير». لابي الفرج عبدالرحمن بن عليّ ابن الجوزي (م٥٩٧). تحقيق محمّدبن عبدالرحمن عبدالله. ٨مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«سعد السعود». لرضي الدين السيّد علي بن موسى بن طاووس الحسني الحلّي (٥٨٩ـ ٦٦٤). قم، منشورات الرضي، ١٣٦٣. [بالأوفست عن طبعة النجف الاشرف].

«سنن ابي داود». لابي داود سليمان بن الاشعث السجِسْتاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥). تحقيق محمّد محيي الدين عبدالحميد. ٤ مجلّدات، دار إحياء السنّة النبوية.

«سنن البيهقي» = «السنن الكبرى». لابي بكر احمدبن الحسين بن عليّ البيهقي (٣٨٤ـ ٤٥٨) ١٠ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار المعرفة. [بالأوفست عن طبعة حيدرآباد الدكن].

«سنن الترْمذي». لابي عيسى محمّدبن عيسى بن سورة الترْمذي (٢٠٩ ـ ٢٧٩). تحقيق احمد محمّد شاكر. ٥ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

«السيرة النبوية». لابي الفداء إسماعيل بن كثير (٧٤٧). تحقيق مصطفى عبدالواحد. بيروت، دار احياء التراث العربي.

«شرح أصول الكافي والروضة». للمولى محمّد صالح المازندراني (١٠٨١ او ١٠٨٦). تعليق الميرزا ابوالحسن الشعراني. تصحيح وتخريج عليّ أكبر الغفاري. طهران، المكتبة الإسلامية، ١٣٨٢.

«شواهد التنزيل». لعبيد الله بن عبدالله، الحاكم الحسكاني (ق ٥). تحقيق و تعليق محمّد باقر

المحمودي. الطبعة الأولى، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١١.

«الصحاح». لإسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣). تحقيق احمد عبدالغفور عطار. الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٤.

«صحيح البخاري». لابي عبدالله محمّدبن إسماعيل البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦). تحقيق مصطفى ديب البُغا. الطبعة الرابعة، ٦ مجلّدات + الفهرس، دمشق و بيروت، دار ابن كثير و اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠ / ١٩٩٠م.

«صحيح مسلم». لابي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ ـ ٢٦١). تحقيق محمّد فؤاد عبدالباقي. الطبعة الثانية، ٥ مجلّدات، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨ [بالأوفست عن طبعته السابقة].

«الصحيفة السجادية الكاملة». تقديم السيّد محمّد باقر الصدر. بيروت، دارالتعارف للمطبوعات.

«طب الائمّة». لابي عتاب عبدالله بن سابور الزيات والحسين ابني بسطام النيسابوري. الطبعة الثانية، قم، منشورات الرضي، ١٤١١ـ١٣٧٠ [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ].

«علم اليقين». لمحمّدبن المرتضى المولى محسن، الفيض الكاشاني (١٠٩١). قم، انتشارات بيدار، ١٤٠٠.

«علل الشرائع». لابي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تقديم السيّد محمّدصادق بحرالعلوم. [الطبعة الأولى]، النجف الاشرف، المكتبة الحيدرية، ١٤٠٣ / ١٩٨٣م.

«عوالي اللآلي العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة». للشيخ محمّدبن علي بن إبراهيم الإحسائي، ابن أبي جمهور. تحقيق مجتبى العراقي. ٤ مجلّدات، قم، مطبعة سيد الشهداء

«عيون اخبار الرضا ـ ع ـ». لمحمّدبن علي بن الحسين، الشيخ الصدوق (٣٨١). تصحيح وتذييل السيد مهدي الحسيني اللاجوردي. الطبعة الثانية، قم، نشر رضا مشهدي.

«غرائب القرآن» لحسن بن محمّد القمي النيسابوري، نظام النيسابوري. ٣ مجلّدات، الطبعة الحجرية، ١٢٨٠هـ.

«الغيبة» لابي جعفر محمّدبن الحسن، الشيخ الطوسي (٤٦٠). تقديم آغابزرك الطهراني. الطبعة الثانية، قم، مكتبة بصيرتي، ١٤٠٨.

«فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير». لمحمّدبن عليّ بن محمّد الشوكاني (م ١٢٥٠). ٥ مجلّدات، بيروت، دار المعرفة.

«فيض القدير». لمحمّد عبدالرّؤوف المناوي. بيروت، دار الفكر.

«القاموس المحيط». لمجدالدين محمّدبن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧). الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل.

«قُرْب الإسناد» لابي العبّاس عبدالله بن جعفر الحميري القمي (م بعد ٣٠٤). تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث. الطبعة الأولى، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٣.

«قصص الأنبياء» لقطب الدين سعيدبن هبة الله الراوندي. تصحيح غلامرضا عرفانيان الطبعة الأولى، رجب ١٤٠٩هـ، مشهد، مؤسسة الطبع والنشر في الأستانة الرضوية المقدسة.

«قصص الأنبياء». لابي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠١ ـ ٧٧٤). تحقيق شيخ علي المسيس. الطبعة السابعة، بيروت، دار القلم، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

«الكافي». لابي جعفر ثقة الإسلام محمّدبن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (م ٣٢٩). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري. الطبعة الرابعة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار صعب و دار التعارف، ١٤٠١ [بالأوفست عن طبعة دار الكتب الإسلامية بطهران].

«كتاب العين» لابي عبدالرحمان الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥). تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي. الطبعة الأولى، قم، دار الهجرة، ١٤٠٥.

«الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل». لابي القاسم جار الله محمودبن عُمَر الزمخشري (٤٦٧ـ٥٣٨) ٤ مجلّدات، [قم]، نشر ادب الحوزة

[بالأوفست عن طبعته السابقة، ١٣٦٦/١٩٤٧م].

«كشف المهجة لثمرة المهجة». لأبي القاسم رضي الدين عليّ بن موسى بن طاووس الحسيني (٥٨٩ـ٦٦٤). قم، مكتبة الداوري [بالأوفست عن طبعة النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م].

«كمال الدين و تمام النعمة». لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق عليّ أكبر الغفّاري. الطبعة الخامسة، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٣٦٣/١٤٠٥.

«كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال». لعلاء الدين عليّ المتقي بن حسام الدين الهندي (٨٨٨ـ٩٧٥) ١٦ مجلّداً + ١٢ الفهارس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

«لسان العرب». لجمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور المصري (٦٣٠ـ٧١١) ١٥ مجلّداً، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥ [بالأوفست عن طبعة بيروت، ١٣٧٦].

«مجمع البيان لعلوم القرآن». لأبي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطّبرسي (حوالي ٤٧٠ـ٥٤٨). تحقيق الميرزا أبوالحسن الشعراني. الطبعة الخامسة، ١٠ أجزاء في ٥ مجلّدات، طهران، المكتبة الإسلامية، ١٣٩٥.

«مجمع البحرين». لفخر الدين الطريحي (١٠٨٥) تحقيق السيد احمد الحسيني. الطبعة الثانية، طهران، مكتبة مرتضوي، ١٣٦٥.

«المحاسن». لأبي جعفر احمد بن محمّد بن خالد البرقي (م ٢٧٤/٢٨٠). تحقيق جلال الدين الحسيني، المحدّث الأرموي. الطبعة الثانية، قم، دار الكتب الإسلامية.

«المحجة البيضاء». لمحمّد بن المرتضى المولى محسن، الفيض الكاشاني (١٠٩١). تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري. الطبعة الثانية، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٣٨٣.

«مختصر بصائر الدرجات». للشيخ حسن بن سليمان الحلّي (ق ٩) الطبعة الأولى، قم، انتشارات الرسول المصطفى (ص).

«مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول». للعلامة محمّدباقر بن محمّد تقي المجلسي

(١٠٣٧ ـ ١١١٠). إعداد هاشم الرسولي ومحسن الحسيني الأميني. الطبعة الأولى، ٢٦ مجلداً، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤ ـ ١٤١١/١٣٦٣ ـ ١٣٦٩هـ.ش.

«المستدرك على الصحيحين». لأبي عبدالله محمّدبن عبدالله، الحاكم النيسابوري (م ٤٠٥) ٤ مجلّدات، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨/١٩٧٨م.

«المسند». لأحمدبن حنبل (٢٤١). ٦ مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

«مصباح الشريعة». المنسوب إلى الإمام جعفربن محمّد الصادق(ع) (١٤٨). الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٠.

«مصباح المتهجد». لأبي جعفر محمّدبن الحسن الطوسي (٤٦٠). تصحيح و تقديم و نشر إسماعيل الأنصاري الزنجاني.

«المصباح المنير في غريب الشرح الكبير». لأحمدبن محمّدبن عليّ الفيّومي (م حوالي ٧٧٠). جزءان في مجلّد واحد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨/١٩٧٨م.

«المعارف». لابن قتيبة الدينوري (٢١٣ـ٢٧٦ق). تصحيح و تعليق محمد إسماعيل عبدالله الصاوي. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٤٩.

«معاني الأخبار». لمحمّدبن علي بن الحسين ابن بابويه، الشيخ الصدوق (٣٨١). تصحيح عليّ أكبر الغفّاري. قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٦١.

«معجم البلدان». لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي الحَمَوي (٥٧٤ ـ ٦٢٦). الطبعة الثالثة ٥ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩/١٩٧٩م.

«معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة». للسيّد أبي القاسم ابن السيّد عليّ أكبر الموسوي الخوئي (١٣١٧ ـ ١٤١٣). الطبعة الثالثة، ٢٣ مجلّداً + الفهرس، بيروت، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م

«معجم مفردات ألفاظ القرآن». للراغب الأصفهاني(٥٠٣). تحقيق نديم مرعشلي. قم، دار الكتب العلمية

«المعجم الوسيط». لدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور عبدالحليم منتصر عطية الصوالحي. محمد خلف الله أحمد. الطبعة الرابعة، قم، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ١٤١٢هـ.

«المغازي». لمحمّدبن عمر بن واقد، الواقدي (٢٠٧). تحقيق الدكتور مارسدن جونس. نشر دانش إسلامي، ١٤٠٥.

«مناقب ابن شهر آشوب». لأبي جعفر رشيد الدين محمّدبن عليّ بن شهر آشوب (٥٨٨). قم، المطبعة العلمية.

«من لا يحضره الفقيه». لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق السيّد حسن الموسوي الخرسان. ٤ مجلّدات، بيروت، دارصعب و دارالتعارف، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

«النهايةفي غريب الحديث والأثر». لأبي السعادات مجدالدين المبارك بن محمّد بن محمّد، ابن الأثير الجزري (٥٤٤ـ ٦٠٦). تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي. الطبعة الرابعة، ٥ مجلّدات، قم، إسماعيليان، ١٣٦٣هـ ش [بالأوفست عن طبعة بيروت].

«نهج البلاغة». (ماختاره المؤلّف من كلام أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين). لأبي الحسن الشريف الرضيّ محمّدبن الحسين بن موسى الموسوي (٣٥٩ـ ٤٠٦). تحقيق صبحي الصالح. قم، الهجرة، ١٣٩٥ [بالأوفست عن طبعة بيروت، ١٣٨٧].

«الوافي». لمحمّدبن المرتضى المولى محسن الفيض الكاشاني (١٠٠٧ـ ١٠٩١). منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام العامّة. ١٧ مجلّداً حتّى الآن، إصفهان، مطبعة نشاط.



Al-Aṣfā Fi Tafsir Al-Qurān

[The Clearer Interpretation For Qurān]

Al-Mawla Moḥammad Moḥsin

Al-Fayḍ Al-Kāshāni

(1007 - 1091 A.H.)

Islamic Studies and Research Center



The center of publication of the office of
Islamic Propagation of the Islamic Seminary of Qum.

P. O. Box: 37185. 917

Qum, I.R. IRAN. phon no: 742155 - 7 Fax: 742154

Al-Asfā Fi Tafsir Al-Qurān

[The Clearer Interpretation For Qurān]

Al-Mawlā Mohammad Mohsin
Al-Fayḍ Al-Kāshāni
(1007 - 1091 A.H.)

Islamic Studies and Research Center

The center of publication of the office of
Islamic Propagation of the Islamic Seminary of Qum.

P. O. Box: 37185, 917
Qum, I.R. IRAN, phone no: 742155 - 7. Fax: 742154

شابك ٩٦٤ـ٤٢٤ـ٢٥٧ـ٢

ISBN 964 - 424 - 257 - 2